تفسير القرآن العظيم

مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي رحمه الله تعالى
٧١٠ھ / ١٣١٠م

مع الحواشي المسمّاة بالاسم التاريخي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

١٤٢٩ھ

من سورة الكهف إلى سورة الفرقان

لفضيلة الشيخ محمد احمد المصباحي حفظه الله تعالى

عُني بالتقديم والطبع والنشر
مجلس البركات
الجامعة الاشرفية مباركفور أعظم جره
الهند. رمز البريد ٢٧٦٤٠٤

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تفسير القرآن العظيم

مَدارِكُ التَّنزِيلِ وَحَقائِقُ التَّأوِيلِ

للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي رحمه الله تعالى

٧١٠هـ/ ١٣١٠ء

مع الحَواشي المُسَمّاة بالاسْم التّاريْخي

مَوَاهِبُ الْجَلِيْلِ لِتَجْلِيَةِ مَدارِكِ التَّنْزِيْلِ

١٤٢٩هـ

من سورة الكهف إلى سورة الفرقان

لفضيلة الشيخ محمد أحمد المصباحي حفظه الله تعالى

رئيس المدرسين بالجامعة الأشرفية بمبارك فور

التعريف بالمصنّف والمدارك و المواهب والمحشي من ص:٣٤٢ إلى ٣٩١

عُنِيَ بِالطَّبْعِ وَ النَّشْرِ

مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مباركفور

أعظم جراه ، الهند- ٢٧٦٤٠٤

❁ الطبعة الأولى : شوال ١٤٣١هـ/ سيتمبر٢٠١٠ء ❁ الطبعة الثانية : شعبان ١٤٣٢هـ/ يوليو٢٠١١م

سورة الكهف مائة و إحدى عشرة آية بصري ....

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد للّٰه الذي خلق الإنسان ○ و علّمه البيان ○ والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن ○ تبياناً لكل شيء، وهو هدًى و فرقان ○ و على اله و أصحابه الذين سلكوا مناهج الصدق والعرفان ○ وجاهدوا في سبيل الحقّ و نشر الدين بسيف و سنان وحجّة وبرهان○ وعلى من اتّبعهم بإحسان○

أمّا بعد! فهذه حواش على تفسير الإمام أبي البركات عبد اللّٰه بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى ٧١٠ھ) الذي سمّاه "مدارك التنزيل و حقائق التأويل" تقررت دراستها في المدارس الإسلامية مذ عهد طويل و شعر التلاميذ والأساتذة بالحاجة إلى شرح أو حاشية تنحلّ بها معاقدها، و قد كتب العلّامة عبد الحق الإلٰه آبادي المهاجر المكّي حواشي بسيطة عليها طبعت في مجلدات باسم "الإكليل على مدارك التنزيل" سنة ١٣٣٠ھ، و نفدت، و مجلس البركات يهدف إلى إعادة طبعها، مع ذلك رأى عدد من الأساتذة مسيس الحاجة إلى الزيادة عليها، خاصّةً فيما تقرّر درسه بين المدارس، وهو من سورة الكهف إلى ختام سورة الفرقان. فبدأتُ هذا الأمر مستعيناً باللّٰه مع العلم بقصور بضاعتي، والاعتراف بجلالة هذا العمل، و أرجو من اللّٰه التوفيق للصواب، والحفظ من الخطأ والخطل، وهو الميسّر للصعاب و منه هداية الحق و الصواب. و سميت هذه الحواشي بعد الإتمام باسم تاريخي: مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل (١٤٢٩ھ) و أسأل اللّٰه العظيم تمام النفع و القبول بمنّه و كرمه.

سورة الكهف

سبب نزول هذه السورة الكريمة: قال محمد بن إسحٰق حدّثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع و أربعين سنة، عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث و عقبة بن أبي مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم سَلُوهم عن محمد، و صِفُوا لهم صفتَه، و أخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأوّل، و عندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتّى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم، و وصفوا لهم أمره وبعضَ قوله، و قالا: إنّكم أهل التوراة و قد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالوا لهم: سَلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإنْ أخبركم بهن فهو نبي مرسل، و إلّا فرجل متقوّل، تروا فيه رأيكم. سَلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسَلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض و مغاربها، ما كان نبؤه؟ و سَلُوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، و إن لم يخبركم فإنه رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر و عقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور– فأخبروهم بها– فجاء وا رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه و على آله وسلم، فقالوا: يا محمد أخبِرنا، فسألوه عمّا أمروهم به، فقال لهم رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم: أخبركم غدا عمّا سألُتم عنه – ولم يَستَثْنِ– فانصرفوا عنه، و مكث رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم خمس عشرة ليلة، لا يحدث اللّٰه إليه وحيًا، و لا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكّة و قالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عمّا سألناه عنه، حتى أحزن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم مكثُ الوحي، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكّة، ثم جائه جبرائيل عليه السلام من اللّٰه عز و جل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم، و خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، و قولِ اللّٰه=

و عشر آيات كوفي[١]

﴿بِسۡمِ اللّٰهِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِيۡمِ ○﴾

﴿اَلۡحَمۡدُ لِلّٰهِ الَّذِیۡۤ اَنۡزَلَ عَلٰی عَبۡدِهِ﴾ محمد صلى اللّٰه عليه وسلم[٢]﴿الۡكِتٰبَ﴾ القرآن . لقن اللّٰه عباده [٣] وفقّهَهم[٤]كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على محمد صلى اللّٰه عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عز و جلّ (وَيَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الرُّوۡحِ قُلِ الرُّوۡحُ مِنۡ اَمۡرِ رَبِّیۡ) الاٰية۔ (ابن كثير)

واعلم أن العلمآء اختلفوا في أمر التناسب بين السور والاٰيات فذهب جمع إلى أنّ القراٰن مغزاه التذكير، و تبيين العقائد والأحكام، و تيسير الفهم و تقريب الأمر بالقصص والأمثال، ولا يلزم التناسب بين سوره و اياته، فنرى أنه قد يذكر العقائد، و يقرّرها بالدلائل، ثم يذكر فجأة حكمًا و عملًا أو قصّة، ثم يأتي بذكر الجنّة والنّار، ولا تناسب بينها–– و ذهب أكثر المفسرين إلى أن القراٰن سوره و آيه منتظمة، بينها تناسب دقيق، و ارتباط أنيق، كيف لا وهو كلام اللّٰه الجليل الحكيم، وقد أبان هؤلاء المفسّرون في كتبهم وجوه التناسب كما نرى في مفاتيح الغيب للإمام الرازي، و صنف بعضهم كتبًا مستقلّة في مجلّدات في بيان التناسب كالبقاعي صاحب نظم الدرر بين الآي والسور.

لكنهم لم يتوافقوا على معنى واحد في بيان التناسب، لأنّ هذا استخراج، و فهم، يرجع إلى العقول التي فكرت في القرآن، فذهبوا في تقريرات التناسب إلى عبارات مختلفة، و ليس ذاك بعجيب، فإن القرآن يشتمل على علوم كثيرة، و معان دقيقة، و إشارات لطيفة، والباحث عنها يجد كنوزًا غالية حسب قوة فكره، وصفاء سرّه، و رسوخ علمه. و روى البغوي في شرح السنة عن ابن مسعود رضي اللّٰه تعالى عنه قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم: أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر و بطن، و لكل حدّ مطلع.

فيمكن اختلاف الأنظار، و جهات الأفكار، و تبعًا لذلك اختلاف الثمار والنتائج، لكن يلزم لكل ناظر و مفسّر أن يذكر من التناسب ما يوافق مغزى الكتاب العزيز، و يزيد الطالب هداية و بصيرة.

والعلّامة النسفي تبعًا للرازي و البيضاوي يذكر التناسب كثيرًا لكن في عبارات وجيزة و إشارات لطيفة. يطلع عليها و يفرح بها من طالع كتابه بإمعان النظر.

بِسۡمِ اللّٰه الرّحمٰن الرَّحيم

(١) عند قرّاء البصرة آية على قوله تعالى: قُل رَّبِّیۡۤ اَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِمۡ مَا يَعۡلَمُهُمۡ اِلَّا قَلِيۡلٌ ○ فعدد الآي عندهم مأة و إحدى عشرة.

(٢) أظهر به أن الإضافة في "عبده" للعهد والمعهود هو السيد الأخص بين عباده و كذا اللام في الكتٰب للعهد والمعهود هو أفضل الكتب و أخصّها المنزّل على أفضل الرسل عليه أفضل الصلوات و أكرم التسليمات.

(٣) حق المتكلّم أن يقول: "الحمد لي" لكن نزل هنا اَلۡحَمۡدُ لِلّٰهِ فذكر المصنّف الفائدة في العدول عن التكلم إلى الغيبة، وهي تعليم العباد طريق الحمد على نعمة الإسلام والقرآن، فأنزل الكلام على ألسنتهم بطريق الغيبة ليفهموا و يتلقنوا ذلك الحمد ثم يحمدوا على الطريق المحمود المطلوب.

(٤) فعل ماض من التفقيه بمعنى علّم و فهّم و المجرد من سمع بمعنى أدرك و فهم، و من كرم أيضًا بمعنى صار فقيهًا و يُثنون من الإفعال بمعنى الحمد و الثناء و المجرد من ضرب بمعنى العطف واللّيّ، و قوله "ما أنزل" عطف على نعمة الإسلام و "ما" موصولة، و من الكتاب بيانها.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ عِوَجًا﴾ أي شيئاً من العِوَج[٥] والعِوَج في المعاني كالعَوَج في الأعيان، يقال في رأيه عوج وفي عصاه عوج، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة[٦] ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا[٧] وانتصابه بمضمر وتقديره: جعله قيماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح. أو قيماً على سائر الكتب مصدقا لها شاهداً بصحتها ﴿لِّيُنْذِرَ﴾[٨] «أنذر» متعد إلى مفعولين كقوله:(اِنَّآ اَنْذَرْنٰكُمْ عَذَابًا قَرِيْبًا) [النبأ:٤٠] فاقتصر على أحدهما، وأصله لينذر الذين كفروا ﴿بَأْسًا﴾ عذاباً ﴿شَدِيْدًا﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي «أنذر» لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه ﴿مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ صادراً من عنده[٩] ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ﴾ أي بأن لهم ﴿اَجْرًا حَسَنًا﴾ أي الجنة،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥) العموم مستفاد من وقوع النكرة تحت النفي، والعوج كالعنب بكسرٍ ففتحٍ في المعاني أي ما يدرك بالبصيرة ولا يدرك بالحواس، والعَوَج بفتحتين في الأعيان أي ما يدرك بالحواس.

(٦) العوج حقيقة توجد في الأجسام والأعيان و إن استعمل في المعاني مجازًا، فإنّه الانحراف عن السواء و هنا ورد نفيه للتنزيل العزيز فليس المقصود نفي الانحراف عن السواء كالأجسام بل نفي ما يكون كالانحراف الجسماني معنىً، وهو بالنسبة إلى الكتاب أن يكون فيه اختلاف، و يكون في معانيه تناقض أو يكون شيء منه خارجًا عن الحكمة، فإن هذه الأمور في المعاني كالانحراف و عدم الاستقامة في الأجسام فأبان المصنّف أن المقصود هنا نفي هذه الأمور. و خروج في قوله "خروج شيء من الحكمة" معطوف على الاختلاف أي المراد نفي خروج شيء من القرآن من الحكمة.

(٧) ذكر معنيين لقوله "قيّمًا". الأول مستقيمًا، والثاني قيّمًا على سائر الكتب أي حفيظًا لها بأن يكون مصدّقًا لمعانيها شاهدًا بصحّتها. و ذكر أنه منصوب بفعل مقدر مع ضمير المفعول الأول و هو "جعله" والحذف يحتاج إلى القرينة فذكر قرينته وهو نفي العوج، فإنه دليل إثبات الاستقامة. ثم أجاب عمّا يرد أن نفي العوج يغني عن ذكر الاستقامة كما أن إثبات الاستقامة يغني عن نفي العوج فأي فائدة في الجمع بين نفي العوج و إثبات الاستقامة؟ ذكر أن فائدة الجمع هو التأكيد، وفائدة التأكيد دفع التوهم الفاسد، وهو أن الشيء قد يشاهد مستقيمًا لكنه لا يخلو عن أدنى عوج حين التصفح والتفتيش فيزول هذا الوهم إذا جاء النفي عن كل عوج مع إثبات الاستقامة.

(٨) متعلق بأنزل، والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه، والإطلاق عن ذكر المفعول الأول للإيذان بأن ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني ، وأن الأول ظاهر لا حاجة إلى ذكره، أي أنزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به ـ اهـ ـ أبو السعود

قوله: بأن لهم: تعدية بشَر و أَبشَر و بشّر إلى المفعول الثاني تكون بالباء. لكن حذف حرف الجار قبل "أنْ" و "أنَّ" مُطّرِد أي عامّ قياسي، فأشار بإظهار الباء إلى الأصل.

(٩) أشار به إلى معنيين، الأول أن الظرف مع متعلقه صفة ثانية لقوله "بأسًا"، والثاني أن "لدن" بمعنى "عند" لكنهم فرقوا بينهما بأن لدن يشترط فيه الحضور، و عند لا يشترط ذلك فيه، فلا يقال المال لديك إلّا إذا كان حاضرًا بقربك، و يقال المال=

(ويبشر)[١٠] حمزة وعليّ. ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ حال من «هم» في (لهم) ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝﴾ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره. ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جَهل مفرط فإن قلت:[١١] إتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل:(ما لهم به من علم) قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته. وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، أولأنه في نفسه محال. ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ المقلدين[١٢] ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة! والضمير في (كبرت) يرجع إلى قولهم (ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا) وسميت كلمة كما يسمّون القصيدة بها [١٣] ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة لـ (كلمة) تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عندك إذا كان حاضرًا و إذا لم يكن حاضرًا بل كان في ملكك أو في خزانتك، والله متعال عن المكان و القرب المكاني فصدور البأس من لدنه معناه صدوره من عنده أي من قِبَله و من قدرته و تصرّفه وحيطة ملكه، لا أن له مكانًا و بقربه بأس و عذاب يصدر من ذلك المكان.

(١٠) قرأ الأخوان (حمزة و علي الكسائي) بفتح الياء وإسكان الباء الموحّدة و ضم الشين مخفّفةً (يَبْشُر) و الباقون بضم الياء و فتح الموحّدة و كسر الشين مشدّدة (يُبَشِّر)–اهـ– غيث النفع في القرائات السبع لسيدي علي النوري الصفاقسي– ص٢٢٢– على هامش سراج القاري للعلامة ابن الفاصح شرح الشاطبية طبعة مصر سنة ١٢٩٣هـ. قراء ة الأخوين من نصر، والباقين من التفعيل.

(١١) إيضاح السوال و الجواب يسهل بمثال، إذا كان لي أخ ولا تعلمه أنت، فأقول ليس لك به من علم و إذا لم يكن لي أخ فلا أقول ليس لك به من علم، فإن المعدوم لا يتعلّق به العلم فلا حاجة إلى نفيه عنه و اتخاذ الولد معدوم و مستحيل فلا يتعلق به العلم فلا محل لنفي العلم به عنهم لكن القرآن قد نفى العلم به عنهم مع استحالته، فأجاب أن تعلّق العلم بشيء قد يحتاج إلى وجوده لكن انتفاء العلم لا يحتاج إلى الوجود، بل له طريقان: **أحدهما** أن يكون الشيء موجودًا و ينتفي العلم به، **والآخر** أن يكون معدومًا أو مستحيلًا و ينتفي العلم به لانتفاء وجوده أو لاستحالته، فيصح نفي العلم عن الموجود والمعدوم كليهما و عن المستحيل بالطريق الأولى، هذا بيان مرامه حسب كلامه، و **يظهر لي** أنّ العلم في قوله تعالى: "ما لهم به من علم ولا لآبائهم" نكرة واقعة تحت النفي و "من" زائدة تؤكّد معنى النفي، فيفيد عموم النفي كل نوع من العلم به، و يكون المعنى ليس لهم شيء من العلم به، حتى أنّهم لايعلمون أنه ممّا يستحيل، و ادّعاؤُهم وقوعَه من الأباطيل الواضحة والأكاذيب الفاضحة.

(١٢) بصيغة اسم المفعول من التقليد، صفة آبائهم، يشير إلى أن الأبناء أخذوا هذا القول عن الآباء بتقليد بَحُتٍ بدون دليل سمعي أو نظر عقلي.

(١٣) إطلاق الكلمة على الجملة جاء على عرف العرب وقت التنزيل، وهو إطلاق الكلمة على المفرد والمركب المفيد وغيره أمّا تخصيصها باللفظ الموضوع لمعنى مفرد فعرف حدث بعد التنزيل حين تدوين النحو، ووضع المصطلحات النحوية لكن إطلاقها على المعنى القديم أيضًا لم ينقطع بعدُ، فإن العرب في زماننا أيضًا يسمون القصيدة أو الخطبة بالكلمة.١٢

بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به بل يكظمون عليه فكيف بمثل هذا المنكر[١٤] ﴿إِنْ يَقُوْلُوْنَ اِلَّا كَذِبًا﴾ما يقولون ذلك إلا كذباً هو صفة لمصدر محذوف أي قولاً كذباً ﴿فَلَعَلَّكَ[١٥] بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتل نفسك ﴿عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ﴾ أي آثار الكفار. شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الأسف على توليهم برجل فارقه أحبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفا على فراقهم ﴿اِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا بِهٰذَا الْحَدِيْثِ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٤) دفع لما يختلج في الصدر أن الكلمة لا تخرج إلّا من الأفواه، فأي حاجة إلى وصفها بقوله "تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ" و حاصل الجواب أن مثل هذه الصفة قد تفيد الاستعظام والاستقباح، كما يقال: هذا قتل شنيع اجترحَتْه يداك، وأيضًا قد تطلق الكلمة على ما أضمرته النفس كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ❖ جعل اللّسان عليه دليلًا

فيمكن أن تُحدّث نفس أحد بكلمة قبيحة و لكنه يستقبحها ولا يجترئ على التكلم بها لكن من عظيم جراء ة هؤلاء وشنيع شقاوتهم أنهم لم يكتفوا باعتقادها و إضمارها في النفوس بل أخرجوها من الأفواه.

● استعظمه: عدّه عظيمًا، من المنكرات:بيان "ما" في قوله يوسوسه، لا يتمالكون:أي لايستطيعون، خبر إن، تفوّه:تكلّم، مأخوذ من الفوه، وهو أصل "فم". يكظمون عليه: أي يحبسونه، و يمتنعون من النطق به.

(١٥) لعلّ في الأصل للترجّي والإشفاق، و قد تكون لترجي المخاطب كما في قوله تعالى: فَقُوْلَا لَـهٗ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّـهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشٰى، وكثيرًا فسروها بمعنى كي، وقد يقصد بها التشبيه والتمثيل، كما فسّروا في قوله تعالى: وَ تَتَّخِذُوْنَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُوْنَ أي كأنكم تخلدون، أي صورة بناء كم المصانع و تشييدها تشبه صورة من يرجو الخلود، و تفسير المصنف ههنا يشير إلى هذا المعنى.

● بخع نفسَه: (من فتح) قتلها غمّا، و بخع بالشاة بالغ في ذبحها ثم استعمل في كل مبالغة في الإهلاك. و ما في قوله "ما تداخله" موصولة معطوفة على الضمير المنصوب في "شبهه" و من الأسف بيان ما، تداخله بمعنى دخله، حسراتٍ مفعول له أي بسبب حسراتٍ و أحزان، كما في تفسير قوله تعالى: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ– ٨– فاطر. وجد عليه: حزِن عليه، و تلهّف من التفعل ولهف لهَفًا من سمع بمعنى حزن و تحسّر. **و توضيح التمثيل** أنّ الرسول عليه السلام لم يذهب على آثارهم مهلكًا نفسه، لكن لحقه حزن كبير و غم عظيم لما أعرضوا عن دعوته، و اختاروا الهلاك في الآخرة على النجاة، فصورته هذه تشابه صورةَ رجل فارقه أحبته فهو يذهب على آثارهم متساقطًا متحسّرًا، و يهلك نفسه حزنًا عليهم، و أسفًا على فراقهم، ففي الطرفين أمور متعددة أخذت منها صورتان، و شبهت إحدى الصورتين بالأخرى، و جملة المشبه به ــ و هي التي تشتمل على بخع النفس على آثار الأحبة– جاء ت موضع جملة المشبه– وهي أنك بلغت غاية الحزن على إعراضهم عن الإيمان.

و يمكن أن تكون استعارة بخع النفس على الآثار للبلوغ غاية الحزن على الإعراض، فالثاني مشبه، محذوف، والأول مشبه به مذكور صراحة موضع المشبه، وهذه استعارة مصرّحة، أي حذف المشبه و وضع المشبه به موضعه تصريحًا، والاستعارة تكون في المفرد، والتمثيل في المركب، فجملة أراك تقدم رجلًا و تؤخر أخرى، موضع تتردد في أمرك، ولاتقضي قضاء حاسمًا، تمثيل، و "سيفًا بتّارًا" في قولك رأيت سيفًا بتّارًا إذا أردت به رجلًا مهاجمًا فتاكا استعارة، والبسط في كتب البلاغة، مع ذلك أطنبتُ هنا ليكون مغنيًا عن الإطالة فيما سيأتي بمواضع كثيره.

أخرج ابن مردويه في سبب نزول الاية عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما أن عتبة بن ربيعة، و شيبة بن ربيعة، و أبا جهل بن هشام، والنضر بن الحارث ، و أمية بن خلف، و العاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبا البختري في نفر=

بالقرآن﴿أَسَفًا۝﴾ مفعول لهُ أي لفرط الحزن. والأسف: المبالغة في الحزن والغضب [١٦]﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ أي ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها [١٧] ﴿لِنَبْلُوَهُمْ [١٨] أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا۝﴾ وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها.[١٩] ثم زهد في الميل إليها بقوله:﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾ من هذه الزينة ﴿صَعِيدًا﴾ أرضاً ملساء ﴿جُرُزًا۝﴾ يابساً لانبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة، والمعنى نعيدها بعد عمارتها خراباً بإماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار وغير ذلك.[٢٠]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= من قريش اجتمعوا. وكان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلّم قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إيّاه و إنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا فأنزل اللّٰه تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) الآية.

(١٦) قال الراغب: الأسف الحزن والغضب معا، و قد يقال لكل منهما على الانفراد، و حقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان على من دونه انتشر فصار غضبًا، و متى كان على من فوقه انقبض فصار حزنًا. و لذلك سئل ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما عن الحزن والغضب فقال: مخرجهما واحد، واللفظ مختلف. فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظًا و غضبًا، و من نازع من لا يقوى عليه أظهره حزنًا و جزعًا. و بهذا النظر قال الشاعر: فحزن كل أخي حزن أخو الغضب.

(١٧) إشارة إلى أن ما يستقذر منه، و ما تنفر منه الطباع ليس مرادًا هنا، و إن كان داخلًا تحت قوله (خَلَقَ لَكُمُ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيْعًا) فإن تلك الآية تذكر أن اللّٰه خلق كل ما في الأرض لينتفع به الإنسان بواسطة أو بلا واسطة في مطاعمه و مساكنه و مدافعه أو في دينه بأن يستدل به على الصانع أو بأن يعتبر به و يقيس عليه آلام الآخرة و مكارهها و مخاوفها. ولا ضير في دخول بعض المكلفين تحت الزينة كما نصّ عليه القرآن (اَلْمَالُ وَالْبَنُوْنَ زِيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فالبنون زينة وهم لابتلاء الآباء، و إن لم يكونوا لابتلاء أنفسهم، فلا حاجة إلى تخصيص "ما على الأرض" بغير المكلفين.

ما يستحسن منها عطف على زخارف الدنيا، و من زخارف، بيان "ما" في ما يصلح، والزُّخرُف في الأصل الذهبُ و كمال حسن الشيء، والمراد هنا ما يُعجب الأبصار، و تميل إليه النفوس فكأنّ قوله "وما يُستحسَن منهَا" عطف تفسير.

(١٨) أي لنعاملهم معاملة المختبرين، و أيّ مرفوعة بالابتداء ، و أحسن خبرها، و الجملة في محلّ النصب معلّقة لفعل البلوى، لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر. (أبو السعود)

(١٩) و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و الحاكم في التاريخ و ابن مردويه عن ابن عمر رضي اللّٰه تعالى عنهما قال: تلا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم هذه الآية (لِنَبْلُوَهُمْ أَ يُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فقلت: ما معنى ذلك يا رسول اللّٰه؟ قال: ليبلوكم أيكم أحسن عقلا، و أورع عن محارم اللّٰه، و أسرعكم في طاعة اللّٰه. و أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: أشدهم للدنيا تركًا و أخرج عن الثوري قال: أزهدهم في الدنيا. زهد فيه من فتح و سمع و كرم ضد رغب، والتزهيد فيه و عنه ضد الترغيب، و غرّه: خدعه. و اغترّ به: انخدع به.

(٢٠) ملس مُلوسة و ملُس مَلاسة ضد خشُن، عشِب عشَبًا و عشُب عَشابة المكان: نبت عُشُبه، و العُشب بضم فسكون: الكلأ الرطب وأعشب المكان: أنبت العشب، و أرض عشِبة و عشيبة و مُعشبة و مِعشاب: كثيرة العشب.

و وجه ربط هاتين الآيتين بما قبلهماكما ذكره العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) أن قوله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) يبعث الرسول عليه السلام على الحذر والاشفاق من=

ولما ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض بما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ[٢١] أَنَّ أَصْحٰبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيْمِ﴾ يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة،والكهف: الغار الواسع في الجبل. والرقيم اسم كلبهم أو قريتهم أو اسم كتاب كتب في شأنهم أو اسم الجبل الذي فيه الكهف[٢٢]﴿كَانُوْا مِنْ اٰيٰتِنَا عَجَبًا﴾ أي كانوا آية عجباً من آياتنا وصفاً بالمصدر أو على ذات عجب[٢٣]﴿إِذْ﴾ أي اذكر إذ ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوْا رَبَّنَآ اٰتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ[٢٤] رَحْمَةً﴾ أي رحمة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= شدة الوجد على إعراضهم و قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَا ما عَلى الْأَرْض) استئناف و تعليل لما في لعل من معنى الإشفاق و قوله تعالى: (إِنَّا لَجَاعِلُوْنَ مَا عَلَيْهَا صَعِيْدًا جُرُزًا) لتكميل ما في السابقة من التعليل و حاصل المعنى لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب، فإنّا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها، لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها، و إنّا لمُفْنُوْنَ (اسم فاعل للجمع من الإفناء) جميعَ ذلك عن قريب، و مُجازون لهم بحسب أعمالهم.

(٢١) أم حسبت، الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد إنكار حسبان أمته، و أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند الجمهور، و ببل وحدها عند غيرهم، و معناها الانتقال من حديث إلى حديث آخر، لا إبطال الأول والإضراب عنه كما هو معنى بل في الأصل، والتقدير بل أحسبت أو بل حسبت-اه- أبوالسعود- و وجه المناسبة على ما ذكر المصنف بقوله (و لما ذكر من الاٰيات الكلية -الخ) أن من عظيم اياتنا تزيين وجه الأرض بصنوف النبات و أنواع من الأشياء دهرا طويلا ثم إفناء ذلك كله حين قيام الساعة فقصة أصحاب الكهف ليست بأعجب منها.

(٢٢) الرقيم اسم كلبهم- كما رواه ابن أبي حاتم عن أنس- و أخرج عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لا أدري ما الرقيم و سألت كعبًا فقال اسم القرية التي خرجُوا منها- و أخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جبير أنه لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف و أمرهم ثم وضع على باب الكهف ــ وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم- و قال ابن جريج عن ابن عباس : الرقيم الجبل الذي فيه الكهف – و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس أنه وادٍ دون فلسطين قريب من أيلة، و فيه أقوال أخر. و رجّح بعض المصنّفين أن الرقيم اسم قرية خرجوا منها، و كان بلدًا معروفًا و في التوراة مذكور باسم "راقيم" وهو قريب من أيلة و كان عاصمة ملكهم، ثم لما غلب عليه الروم سمّوه "بطرا" و نسي الاسم الأول حتى ذهبت العرب في تعيين الرقيم إلى معاني أخر لكن التوراة حفظت اسمه الأول، و بذلك تيسر تعيين بلدهم، والقصة وقعت بعد ميلاد المسيح بنحو مأة سنة و أكثر.

(٢٣) آيةً موصوف مقدر و عجبًا مصدر وصف به مبالغة والحمل بالمواطاة. أوهو صفة آية بتقدير ذات، والحمل بالاشتقاق أي كانوا آية ذات عجب. و من آياتنا حال متقدمة، و عجبًا مع موصوفه المقدر خبر كانوا.

(٢٤) مِنْ في (مِن لَّدُنْكَ) ابتدائية متعلقة باٰتِنا، أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني، قدمت عليه لكونه نكرة – ولو تأخرت لكانت صفة له – أي آتنا كائنة من لدنك رحمة. و ليس المراد بقوله " من لدنك رحمة" أن له مكانا و من ذلك المكان إيتاء الرحمة. بل المراد آتنا رحمة من خزائن رحمتك بدون تصور مكان له تعالى. و "لدن" قد تستعمل موضع " عند" فيراد بها ما هو أعم من القرب المكاني و القرب من وجه القدرة و الملك.

من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا ﴾[٢٥] أي الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿ رَشَدًا ﴾ حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك «رأيت منك أسداً» [٢٦] أو يسر لنا طريق رضاك ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ ﴾ أي ضربنا عليها حجاباً من النوم يعني أنمناهم إنامة ثقيلة[٢٧] لاتنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذي هو الحجاب ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ذوات عدد فهو صفة لسنين.قال الزجاج: أي تعد عددًا لكثرتها لأن القليل يعلم مقداره من غير عدد فإذا كثر عُدَّ فأما (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) [يوسف:٢٠] فهي على القلة لأنهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير[٢٨]﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ أيقظناهم من النوم ﴿ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ ﴾ المختلفين[٢٩] منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله:(قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) وكان الذين قالوا: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ غاية. و(أحصى) فعل ماض و (أمدا) ظرف لـ (أحصى) أو مفعول له، والفعل الماضي خبر المبتدأ وهو أي و المبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي «نعلم». والمعنى أيهم ضبط أمداً

(٢٥) أصل التهيئة إحداث هيئة الشيء ثم اتسع فيه أي أصلح و رتب و أتمم لنا من أمرنا (رشدًا) إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب و اهتداء إليه، و كلا الجارين (لنا – و – من أمرنا) متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى، و تقديم المجرورين على المفعول الصريح (رشدًا) لإظهار الاعتناء بهما.

(٢٦) هذا التفسير بناء على أن من تجريدية، والكلام على طريق التجريد، وهو أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخَر مثله مبالغة كأنه بلغ إلى مرتبة من الكمال بحيث يوخذ منه آخر فالمعنى اجعل أمرنا في غاية الرشد حتى يؤخذ منه الرشد والاهتداء، والتفسير الثالث بناء على أن المطلوب هو رضا المولى سبحانه، والرشد هو إصابة ما يوصل إليه، والتهيئة بمعنى التيسير فيكون المعنى يسر لنا طريق الوصول إلى رضا ك حال كونه من أمرنا الذي يهمنا فيكون "من أمرنا" حالاً متقدّمة لقوله (رشدًا) لكونه نكرة.

(٢٧) على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها، و قيل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة، لأن الصوت و التنبيه طريق من طرق إزالة النوم، فسدُّ طريقه يدل على استحكامه.

(٢٨) "في الكهف" ظرف مكان لضربنا، و "سنين" ظرف زمان له، و"عددا" صفة سنين بتقدير المضاف أي ذوات، أو عددًا مفعول مطلق لفعل مقدر وهو تُعَدُّ، و الجملة صفة سنين، و وصف سنين بذوات عدد أو بالجملة تعد عددًا، لبيان الكثرة كما قال الزجاج، أن القليل يعلم بلا عدّ، والكثير يحتاج إلى العد، و يورد عليه بدراهم معدودة فإنّ وصف الدراهم بهذا لِبيان القلة، فأبان الفرق بأن الدراهم الكثيرة يجري فيها الوزن لإدراك مقدارها، والقليلة يجري فيها العدّ فهناك طريق آخر و وصف الدراهم بمعدودة لبيان القلة إطلاق آخر بخلاف وصف نحو سنين بها فإنه لبيان الكثرة – و قال البيضاوي: ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل، فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى.

(٢٩) اختلفوا في الحزبين فعن مجاهد أنهما من أصحاب الكهف كما فسّر المصنف و عن ابن عباس أنهما أصحاب الكهف والملوك الذين تداولوا المدينة واحدًا بعد واحد، و عن الفراء أنهما من المسلمين الذين اختلفوا في مدة لبثهم، و قيل غير ذلك.

لأوقات لبثهم وأحاط علماً بأمد لبثهم؟[٣٠] ومن قال: «أحصى» أفعل من الإحصاء وهو العد فقد زل لأن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس.[٣١] وإنما قال: «لنعلم» مع أنه تعالى لم يزل عالماً بذلك، لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً، وليكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفاره. أو المراد لنعلم اختلافهما موجوداً كما علمناه قبل وجوده.[٣٢] ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق[٣٣]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٠) أي الحزبين مبتدأ، أحصى فعل ماض، أمدا مفعوله، [قول المصنف: أمدًا ظرف لأحصى أو مفعول له أي مفعول به لأحصى] لما لبثوا حال من "أمدا" قدمت عليه لكونه نكرة و ما مصدرية. والمعنى أيهما ضبط أمد لبثهم، والفعل خبر المبتداء، والجملة قائمة مقام مفعولي نعلم، و معنى الاستفهام في "أي" علق عنه لنعلم، والتعليق من خصائص أفعال القلوب وهو وجوب إبطال عملها لفظًا دون معنى بسبب وقوعها قبل معنى الاستفهام، و قبل النفي الداخل على معمولها و قبل لام الابتداء الداخلة على معمولها نحو ما علمت أصديقك شاعر أم كاتب، رأيت ما أخوك بفارس، ظننت لحزنك قاتل نفسك – و على تقدير ظرفية أمدا يكون المعنى أيهما ضبط في المدة أوقات لبثهم.

(٣١) اختاره الزجاج والتبريزي لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) و بناء أفعل التفضيل من غير الثلاثي المجرد عند بعض النحاة جائز مطلقًا وهو ظاهر كلام سيبويه، و ردّه أبو علي و الزمخشري، و في الكشف أن قول الزجاج ليس بذلك المردود، إلّا أن ما آثره الزمخشري أحق بالإيثار لفظًا و معنىً.(خفاجي) لكن الموافقة للآيات ترجّح هنا ما اختاره الزجاج و التبريزي.

(٣٢) قال الخفاجي: العلم كناية عن ظهور أمرهم ليطمئن بازدياد الإيمان قلوب المؤمنين، و تنقطع حجة المنكرين، وعلم الله تعالى حيث تعذر إرادة حقيقته في كتابه تعالى جعل كناية عن بعض لوازمه المناسبة لموقعه، والمناسب هنا ما ذكر، و قول المصنف لأن المراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم يشير إلى ذلك، أي العلم هنا بمعنى أحد من لوازمه وهو ظهور الأمر، أي بعثناهم ليظهر أي الفريقين ضبط أمد لبثهم، وقوله آخرًا "أو المراد لنعلم اختلافهما موجودًا كما علمناه قبل وجوده" يشير إلى أن علمه تعالى أزلي و يتعلق بالحوادث قبل وقوعها و بعد وقوعها أمّا قبله فتعلقًا استقباليًّا و أمّا بعده فتعلقًا حاليًا، والتعلقات حادثة لكن العلم قديم أزلي. و حاصل المعنى الثاني أنّا أيقظناهم ليتعلق علمنا باختلاف الحزبين موجودًا بأنه وقع في الحال و ظهر الأمر كما تعلق به علمنا قبل وجوده بأنه سيقع و يظهر الأمر في الاستقبال. **واعلم** أنّ الأزمنة من الماضي والحال والمستقبل و كذا الأمكنة القريبة والبعيدة كلها حادثة مخلوقة بعد العدم، لا تكون ظرفًا إلّا للحوادث أمّا ذاته تعالى وصفاته فقديمة موجودة قبل الحوادث و بعدها أزلًا و أبدًا. متعالية أن يحيط بها زمان أو مكان، و كل ما يتوهم به ظرفية زمان أو مكان لذاته أو صفة من صفاته فمؤول، والبسط في الكتب الكلامية.

(٣٣) شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى: إذ أوى الفتية الخ – والنبأ الخبر الذي له شان و خطر، والباء في (بالحق) للملابسة، وهي مع مجرورها إمّا حال من فاعل نقص أو من مفعوله وهو النبأ، والحق في الأصل بمعنى الموجود الثابت، والصدق مطابقة الخبر للواقع، وفرقوا بينهما بأن الحكم إذا طابق الواقع كان الواقع أيضًا مطابقًا له، فإن المفاعلة من الطرفين، فهو من حيث إنه مطابق (بالكسر) للواقع يسمى صدقًا، و من حيث أنه مطابَق (بالفتح) له يسمى حقًّا، و قد يطلقان على نفس المطابقة فإنها إذا اعتبرت من جانب الواقع تسمي حقًّا، و إذا اعتبرتُ من جانب الحكم تسمّى صدقًا و أكثر ما يستعمل الحق في=

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾(٣٤)جمع فتى والفتوة(٣٥)بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى(٣٦) واجتناب المحارم واستعمال المكارم.(٣٧)وقيل: الفتى من لايدعي قبل الفعل ولايزكي نفسه بعد الفعل ﴿اٰمَنُوْا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنٰهُمْ هُدًى﴾ يقينا(٣٨)، وكانوا من خواص دقيانوس(٣٩)قد قذف الله في قلوبهم الإيمان وخاف بعضهم بعضاً وقالوا: ليخل(٤٠)اثنان اثنان منا فيظهر كلاهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا فحصل اتفاقهم على الإيمان ﴿ وَّرَبَطْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ﴾ وقويناها(٤١)بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام ﴿اِذْ قَامُوْا﴾ بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام ﴿ فَقَالُوْا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ﴾ مفتخرين(٤٢)﴿لَنْ نَّدْعُوَا مِنْ دُوْنِهٖٓ اِلٰهًا﴾(٤٣) ولئن سميناهم آلهة ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ اِذًا شَطَطًا﴾قولاً ذا شطط

= الاعتقادات، و ضده الباطل، والصدق في الأخبار و ضده الكذب. فكأن الاعتقاد يعتبر أصلاً، والواقع يطابقه إذا كان حقًا و في الأخبار يعتبر الواقع أصلاً، والخبر يطابقه إذا كان صدقًا. وقد يطلق أحدهما موضع الآخر، والأمر هنا من الأخبار فالأصل إطلاق الصدق و لذا فسّره بالصدق لكن ورود الحق موضع الصدق لا يخلو عن نكتة، وهي إبانة كمال صدق خبره تعالى كأنه هو الأصل.

(٣٤) استئناف مبني على السوال من قبل المخاطب كأنه قيل: ما نبؤهم؟ والفتية جمع فَتيّ كصِبيَة و صبيّ، والفتيّ والصبيّ أصلهما فتوى و صبوى بوزن فَعُول بفتح الفاء، اجتمعت الواو و الياء فقلبت الواو ياءً و أدغمت، و كسرت التاء لموافقة الياء كذا في الإكليل والبيضاوي. و يظهر من النظر في لسان العرب أن جمع الفَتِيّ "أفتاء" ــــ و "فِتيَة" جمع "فَتىً" و هو بمعنى السخي و الكريم أيضا كما هو بمعنى الشاب و الحَدث ـ المصباحي ـ

(٣٥) بضم الفاء و التاء وتشديد الواو، والندى: الفضل والجود والخير.

(٣٦) منقول عن الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى.

(٣٧) منقول عن غيره من المشايخ و قال القرطبي هذا حسن جداء لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة.

(٣٨) يشير إلى أن نفس الإيمان بمعنى التصديق لا يقبل الزيادة والنقصان، فالمراد زيادة ثمرات الهدى أو زيادة اليقين، فإن تظاهر الأدلّة، و تعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان و قوة اليقين، والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة، وهي التي عبر عنها بالزيادة، للفرق النير بين يقين الأنبياء و أرباب المكاشفات و آحاد الأمة، وكذا بين ما قام عليه دليل واحد و ما قامت عليه أدلّة كثيرة.١٢ أبو السعود، وقد قال الخليل عليه السلام (بلى ولكن ليطمئن قلبي) جوابًا عن ربه (أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ) فالإيمان يقوى و يشتد، والقلب يسكن ويطمئن بمشاهدة ما آمن به غيبًا.

(٣٩) دِقيانوس بكسر الدال اسم ملك مشرك.

(٤٠) لِيَخْلُ من خلا يخلو خلوةً و خَلُوا و خلاء، اجتمع معه على خلوة.

(٤١) الربط هو الشد بالحبل، واستعير للتقوية ففيه استعارة تصريحية تبعية، والأظهر أن جملة ربطنا على قلوبهم مجاز مركب و تمثيل. شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدّوابّ بالرباط– والمعنى قوّيناها بالصبر– ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارّها كما قال الله تعالى. (بَلَغَتِ الْقُلُوْبُ الْحَنَاجِرَ) قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكّن و ثبت. الغيران جمع غار كنيران جمع نار، جسّرناهم من التفعيل بمعنى شجّعناهم و جعلناهم مجترئين.

(٤٢) والافتخار يظهر من إضافة الرب إلى ضمير المتكلم في المبتدأ ثم بإضافته إلى السموات والأرض في الخبر كما في قولك نبينا نبي الأنبياء.

(٤٣) للدعاء معانٍ، منها النداء، والسوال، والاستغاثة، والعبادة، والتسمية، ويناسب المقام معنيان: العبادة،=

وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط يشط ويشط إذا بعد.﴿هَٰؤُلَآءِ﴾ مبتدأ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ خبروهوإخبار في معنى الإنكار(٤٤) ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ بحجة ظاهرة وهو تبكيت(٤٥)لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه.

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ نصب عطف على الضمير أي وإذ اعتزلتموهم وإذ اعتزلتم معبوديهم(٤٦) ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه غيره كأهل مكة،(٤٧)أو منقطع أي وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها من دون الله، أو هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله﴿ فَأْوُۥٓا إِلَى الْكَهْفِ﴾ صيروا إليه أو اجعلوا الكهف مأواكم(٤٨)﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِۦ﴾ من رزقه(٤٩)﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ (مَرفقاً) مدني وشامي(٥٠) وهو ما يرتفق به أي ينتفع. وإنما قالوا ذلك ثقة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والتسمية فالمعنى على الأول لن نعبد من دونه إلٰهًا، لا استقلالًا، ولا اشتراكًا ويرد عليه قولهم (لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) و يتوجه السؤال أنهم كيف عبّروا فعل عبادة الغير بالقول الشطط مع أن الفعل والقول مختلفان، و أجيب عنه كما في روح البيان أن فعل العبادة يتضمن القول والاعتقاد، فمن عبد أحدًا اعتقده إلٰها وقال بإلٰهيته. والمعنى على الثاني "لَن نسمي غيره إلٰهًا" و لئن سمّيناهم آلهة لقد قلنا قولًا متجاوزًا عن الحد، وتقدير المصنف و لئن سميناهم آلهة يشعر أنه أخذ المعنى الثاني: و حيئنذ لا حاجة إلى السوال والجواب، والإنكار عن تسمية غيره إلٰها أبلغ من الإنكار عن عبادة غيره فمن لم يرض لغيره باسم الإلٰه لن يرضى له بفعل العبادة، و اتخاذه معبودًا– هذا ما ظهر لي من النظر في تقدير المصنف (و لئن سميناهم آلهة).––– وشط من ضرب و نصر و (شططا) صفة القول المقدر بتقدير ذي، أو وصفًا بالمصدر مبالغة. و (إذًا) يدل على الشرط المقدر، و (لقد) يدل على القسم المقدر فالمعنى والله لو دعونا غيره إلٰهًا لقد قلنا قولًا مفرطًا في الظلم والبعد عن الحق.

(٤٤) بقرينة ما بعده، ولأنّ فائدة الخبر معلومة.

(٤٥) التبكيت: التقريع والتعنيف، والغلبة بالحجة و في "لولا" تحضيض على وجه الإنكار والتعجيز.

(٤٦) فيه إشارة إلى أن "ما" موصولة، أي والذين يعبدونهم.

(٤٧) أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني قال: كان قوم الفتية يعبدون الله و يعبدون معه آلهة شتى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة و لم تعتزل عبادة الله– الدر المنثور– في هذه الصورة تصير "ما" نافيةً و في الصورتين الأوليين تصير موصولة.

(٤٨) الأول (أي صيروا إليه بمعنى ارجعوا إليه، والتجئوا) أعم يدل على الأمر بالذهاب إليه سواء جعلوه مأوى مستقلًا أو انصرفوا منه بعد هدوء الحال، والثاني أخص يدل على الأمر بالاستقرار هناك، والاجتناب الدائم عن المشركين المضطهدين لعدم رجاء هدوء الحال.

(٤٩) التخصيص به لقرينة السباق وقال البيضاوي: يبسط لكم الرزق، و يوسع عليكم من رحمته في الدارين. وقال القرطبي: هذا كله دعاء بحسب الدنيا، و على ثقة كانوا من الله في أمر آخرتهم.

(٥٠) مَرْفِقًا بفتح الميم و كسر الفاء قرأه نافع المدني، و أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (من العشرة) و ابن عامر الشامي، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، أو أخبرهم به نبي في عصرهم ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ(٥١) تَّزَاوَرُ ﴾ بتخفيف الزاي: كوفي، (تَزْوَرُّ) شامي، (تزَّاور) غيرهم. وأصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها والكل من الزور وهو الميل، ومنه زاره إذا مال إليه، والزور الميل عن الصدق (٥٢) ﴿ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾ (٥٣) أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم ﴿ذَاتَ الْيَمِيْنِ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين(٥٤) ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِيْ فَجْوَةٍ مِّنْهُ ط﴾ في متسع من الكهف. والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم. وقيل: منفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (٥٥) ﴿ ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللهِ ط﴾ أي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله (٥٦) يعني أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً لهم بالكرامة. وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً،(٥٧) ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله ﴿مَنْ يَّهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ج﴾ مثل ما مر في «سبحان» (٥٨)

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥١) بيان لحالهم بعد ما أَوَوْا إلى الكهف، والخطاب للرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب، و ليس المراد به الإخبار بوقوع الروية تحقيقًا، بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس. (أبو السعود)

(٥٢) تَزَاوَرُ بتخفيف الزاي أي بفتح الزاي مخففة، والف بعدها، و تخفيف الراء– و أصله تتزاور، حذفت إحدى التائين كوفي أي عاصم والحمزة والكسائي، تَزْوَرُّ بإسكان الزاي، و تشديد الراء بلا ألف، من الازورار كتحمرّ شامي أي ابن عامر الشامي تَزَّاوَرُ بفتح الزاي مشددة و بعدها الف غيرهم.– إكليل– أصله تتزاور فأبدلت التاء الثانية زاءً ثم ادغمت. الزَوَر بفتحتين : الميل. والزُورُ بالضم بمعنى الكذب.

(٥٣) الذي أووا إليه، والإضافة لأدنى ملابسة.

(٥٤) في البيضاوي : و حقيقتها الجهة ذاتُ اسم اليمين.

(٥٥) والمعنى أنهم في ظلّ نهارَهم كله – نهارهم منصوب، مفعول فيه للعامل "في ظل" – منفتح : اسم ظرف من الانفتاح، معرض: اسم ظرف من العرض، منفسح: اسم ظرف من الانفساح بمعنى الاتساع والمراد أن المكان متسع. و في التفسير الأول واسع منفتح أي المكان مكشوف مع الاتساع محل لتعرض الشمس، رَوح بفتح الراء: الراحة والفرح. والنسيم الريح الليّنة.

(٥٦) بيّن المشار إليه من "ذلك" – و ما صنعه الله مبتدأ، و من ازورار الشمس بيان "ما" قرضها مجرور معطوف على "ازورار" طالعة غاربة منصوبتان حالان من الضمير المضاف إليه في "قرضها" آية من آيات الله خبر ما صنعه – وهذا التفسير اختاره الزجاج واستدل عليه بكونه آية خارقة كما ذكر القرآن.

(٥٧) بنات النعش سبعة كواكب في جهة القطب الشمالي، مَقنَأة و مَقنُؤة، مهموز اللام مكان لا تقع عليه الشمس كما في القاموس وغيره.

(٥٨) بيان القراء ة في (المهتد) قال هناك: و بالياء يعقوب و سهل، وافقهما أبو عمرو و مدني في الوصل – أي المهتدي بالياء عند أبي عمرو البصري و نافع المدني من السبعة و أبي جعفر المدني من العشرة وصلاً، و=

وهو ثناء عليهم[٥٩] بأنهم جاهدوا في اللّٰه وأسلموا له وجوههم فأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية ﴿وَمَنْ يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهٗ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ أي من أضله فلا هادي له.[٦٠] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ بفتح السين: شامي وحمزة وعاصم غير الأعشى،[٦١] وهو خطاب لكل أحد ﴿اَيْقَاظًا﴾ جمع يقظ ﴿وَّهُمْ رُقُوْدٌ﴾[٦٢] نيام. قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً[٦٣] ﴿وَّنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِيْنِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل:لهم تقلبتان في السنة.[٦٤]وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء[٦٥] ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي[٦٦] ﴿بِالْوَصِيْدِ﴾ بالفناء أو بالعتبة ﴿لَوِاطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لو أشرفت عليهم فنظرت إليهم[٦٧] ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ﴾ لأعرضت عنهم وهربت منهم ﴿فِرَارًا﴾ منصوب على

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عند يعقوب و سهل بن محمد في الحالين. و عند غيرهم (المهتد) بدون الياء وقفًا و وصلًا.

(٥٩) مثل هذا الكلام و إن كان عامًّا لكن يكون له تناسب و ارتباط بموقع ذكره، فبيّن المصنف ارتباطه بأمر أصحاب الكهف. والسَّنية على وزن فعيلة بمعنى الرفيعة من سني يسنىٰ سناءً بابه سمع.

(٦٠) أي من يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه فلا هادي له إشارة إلى عدم وجود ناصر هادٍ له، وليس المعنى أن الطالب المتتبع لا يجده مع أنه موجود، بل الحق أن الهادي لمن أضلّه اللّٰه خارج عن الإمكان فضلًا عن الوجود.

(٦١) الأعشى هو أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال. يروي عن أبي بكر شعبة وهو عن عاصم الكوفي، فهو والباقون بكسر السين، وهذا الخطاب أيضًا كالخطاب في قوله (وَ تَرَى الشَّمْسَ) أي لو رأيتهم تحسبهم أيقاظًا يقِظ يَقَظا من سمع و يقُظ يقاظَةً من كرُم: ضد نام والصفة يقُظ و يقظ بضم القاف و كسرها و يقظان والجمع أيقاظ كذا في القاموس وغيره.

(٦٢) رقود : جمع راقد، و نيام جمع نائم.

(٦٣) قاله الواحدي، وقال الزجاج: لكثرة تقلّبهم.

(٦٤) أخرجه ابن مردويه و ابن أبيحاتم عن ابن عباس، و حكى القرطبي روايته عن أبي هريرة.

(٦٥) حكاه الإمام الرازي و رُوي عن قتادة أنهم كانوا يُقلبون في كل عام مرة، أخرجه عنه ابن أبي حاتم.و ظاهر القراٰن يدلّ على أنّ تقليبهم كان كعادة النائمين في كل يوم و ليلة.

(٦٦) يشترط لعمل اسم الفاعل أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال، فإن كان "باسط" بمعنى الماضي يمتنع نصب ذراعيه به، لكنه ناصب هنا فعلم أنه بمعنى الحال، وقد يحكى المتكلم أمرًا ماضيًا بصيغة الحال إحضارًا للصورة الماضية و تصويرًا لأمر عجيب كما تقول: خرجت أمس فأرى رجلين يتقاتلان، أحدهما نازع خنجرًا مسمومًا، والآخر آخذ سيفًا مسلولًا، أمنعهما و أنصحهما لكنهما لا يمتنعان ولا يقبلان نصحى. فكذلك "باسط ذراعيه" هنا لحكاية الحال الماضية إحضارًا لصورتها الغريبة في العقول– و إذا كان بمعنى الحال يعمل قطعًا، و عند الكسائي وهشام ، و أبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقًا.

وقوله بالفِناء، أخرجه ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس، و نسبه ابن كثير إلى مجاهد، و سعيد بن جبير، و قتادة أيضًا، و في القاموس: الوصيد الفِناء والعَتَبَة. قال= =السُّدِي: والكهف لا يكون له باب و لا عَتَبَة، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت، والتفسير بالباب أيضًا مروي عن ابن عباس عند ابن جرير و ابن المنذر كما في الدر المنثور.

(٦٧) طلع الجبل و اطّلعه بمعنى علاه، والطِلُع والطَّلُع: المكان المشرِف الذي يُطّلع منه، و في الحديث:=

المصدر لأن معنى (وليت منهم) فررت منهم[٦٨] ﴿ وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ وبتشديد اللام: حجازي[٦٩]للمبالغة ﴿ رُعْبًا ﴾ تمييز. وبضم العين: شامي وعلي، وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة أو لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم.[٧٠] وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: أريد أن أدخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد قيل لمن هو خير منك «لوليت منهم فراراً» فدخلت جماعة بأمره فأحرقتهم ريح.[٧١]

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ وكما[٧٢] أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهاراً للقدرة على الإنامة والبعث جميعاً ﴿لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً[٧٣] ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ رئيسهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾[٧٤] كم مدة لبثكم؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= ولكل حدّ مُطَّلَعٌ أي مَصعَد يُصعَد إليه من معرفة علمه، و كذا الشَرَف بفتح الراء: العلو والمكان العالي والمجد، و أشرف الجبل: علاه و أشرف عليه: اطّلع من فوقُ، وذلك الموضع مُشْرَف (كل ذلك من القاموس) فالمعنى لو صعدت إلى جبلهم و عاينتهم من فوقهم وقال المصنف في تفسير قوله تعالى (أَطَّلَعَ الغَيبَ - ٧٨، مريم) من قولهم: اطّلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه.

(٦٨) قاله الزجاج كما في المفاتيح.

(٦٩) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، يعني قرأ نافع و ابن كثير (وَلَمُلِّئْتَ) و قرأ أبو جعفر المدني من العشرة (وَ لَمُلِّيتَ) بتشديد اللام و إبدال الهمزة ياء- و قرأ السوسي (أبو شعيب صالح بن زياد، راوي أبي عمرو البصري بواسطة اليزيدي) (و لَمُلِيتَ) بتخفيف اللام و إبدال الهمزة ياء، وقفًا و وصلًا، و حمزة وقفًا فقط. و قرأ الباقون(وَ لَمُلِئْتَ) بتخفيف اللام والهمزة. (من الإكليل وغيره.)

(٧٠) نسب القول الثاني القرطبي إلى المهدوي، والنحاس والزجاج والقشيري ثم قال: وهذا بعيد لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: لبثنا يومًا أو بعض يوم. ودلّ هذا على أن شعورهم و أظفارهم كانت بحالها، إلّا أن يقال: إنّما قالوا ذلك قبل أن ينظروا إلى أظفارهم و شعورهم قال ابن عطية: والصحيح في أمرهم أن الله عز و جل حفظ لهم الحالةَ التي ناموا عليها، لتكون لهم و لغيرهم فيهم آيةً، فلم يُبلَ لهم ثوبٌ ولم تغيَّر صفة، ولم يُنكر الناهض إلى المدينة إلّا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهمّ اه. وهذا النقد والفصل صحيح ولو تكلف بعض الناس بأجوبة ضعيفة عنه.

(٧١) أخرجه ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن ابن عباس كما في الدر المنثور، و فيه: فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحًا فأخرجتهم و ذكر في الإكليل أن في نسخة من المدارك فأخرجتهم و في أخرى فأهلكتهم. ١٢

(٧٢) بيان للمشار إليه من "ذلك".

(٧٣) بيان لمعنى التساؤل الذي هو من التفاعل، واللام للسببية لكن نفس التساؤل لم يكن أصل المقصود بل ما يترتب عليه من الاعتبار، والاستدلال، و زيادة اليقين ثم الشكر على إنعام الربّ جلّ و علا، و أشار إليه المصنف بزيادة (و يتعرّفوا حالهم. الخ)

(٧٤) كم منصوبة على الظرفية، والمميز محذوف -تقديره كم يومًا- لدلالة الجواب عليه. (الفتوحات الإلٰهية)

﴿قَالُوْا رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ بمدة لبثكم إنكار عليهم من بعضهم كأنهم قد علموا بالأدلة أو بإلهام أن المدة متطاولة وأن مقدارها لا يعلمه إلا الله. ورُوي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك[٧٥]: وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما على أن الصحيح: أنّ عددهم سبعة لأنه قد قال في الآية:(قَالَ قائل منهم كم لبثتم) وهذا واحد، وقالوا في جوابه (لبثنا يوماً أو بعض يوم) وهو جمع وأقله ثلاثة، ثم قال: (ربكم أعلم بما لبثتم) وهذا قول جمع آخرين فصاروا سبعة ﴿ فَابْعَثُوْا اَحَدَكُمْ ﴾ كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا أحدكم أي يمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة،وبسكون الراء:أبوعمرو وحمزة وأبوبكر ﴿ هٰذِهٖۤ اِلَى الْمَدِيْنَةِ﴾هي طرسوس[٧٦]وحملهم الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح للمسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات.[٧٧]

وعن بعض العلماء أنه كان شديد الحنين إلى بيت الله ويقول: ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ﴿ فَلْيَنْظُرْ اَيُّهَاۤ﴾ أي أهلها فحذف كما في(واسئل القرية) [يوسف:٨٢] و«أي» مبتدأ وخبره ﴿اَزْكٰى﴾ أحل وأطيب أو أكثر وأرخص[٧٨] ﴿طَعَامًا﴾ تمييز﴿فَلْيَاْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لايغبن أو في أمر التخفي حتى لايعرف ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ اَحَدًا۝﴾ ولا يفعلن ما يؤدي إلى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: بمدّة لبثكم ـ أشار به إلى أن ”ما“ مصدرية، والمدة مقدّرة قبلها.

(٧٥) تقدم الكلام عليه، و أنهم بعثوا على الحالة التي ناموا عليها.

(٧٦) طَرَسوس بفتح الطاء والراء كحَلَزون بلد إسلامي مخصب و اسمه أفسوس من قبلُ بضم الهمزة و سكون الفاء. قاموس و إكليل.

(٧٧) حاصله أن حمل الزاد والنفقة لا ينافي التوكل. والاعتماد على أن يوجد الطعام والشراب والمال اتّفاقًا، أو ربط الطمع بأن يجد حاجته من المسافرين وغيرهم ليس من داب المتوكلين، حمل النفقة اسم أن، و ما يصلح معطوف على النفقة، والتوكل والاتكال من التفعل والافتعال بمعنى الثقة والاعتماد – على ما في أوعية عطف على (على الاتفاقات) و من النفقات بيان ما، و أوعية جمع وِعاء ما يُوعى فيه الشيء أي يجمع و يحفظ أي ليس ذلك طريق الذين يتّكلون على الاتفاقات و على النفقات التي هي في أوعية الناس، الحنين بمعنى الاشتياق من ضرب، والهميانِ بكسر الهاء كيس الدراهم يُشدّ في الوسط. جَمَعَ في قوله شدَّ الهميان أي أخذ الدراهم والنفقة مع التوكل على الرحمٰن. فعُلم أن حمل الدراهم و النفقة لا يُنافي التوكل بل يجتمع به.

(٧٨) زكا بمعنى طاب و طهر، و بمعنى نما و كثر و منه زكا الزرع قال الشاعر: قبائلنا سبع و انتم ثلاثة، والسبع أزكى من ثلاث و أطيب، والأول أي الأحلّ الأطيب هو اللائق بحالهم، و أخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن ابنِ عباس في قوله (أزكى طعامًا) قال : أحل ذبيحةً، وكانوا يذبحون للطواغيت. و أخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أطهر، لأنهم كانوا يذبحون الخنازير.

الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه.[٧٩] والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ راجع إلى الأهل المقدر في (أيها) ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يطلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم أخبث القتلة[٨٠] ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ بالإكراه، والعود بمعنى الصيرورة كثير في كلامهم[٨١] ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾((إذاً)) يدل على الشرط أي ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبداً.﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم[٨٢] ﴿لِيَعْلَمُوا﴾أي الذين أطلعناهم على حالهم﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾وهو البعث ﴿حَقٌّ﴾ كائن لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ﴾متعلق بـ(أعثرنا)أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت ﴿فَقَالُوا﴾[٨٣]حين توفى الله أصحاب الكهف ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أي على باب كهفهم لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة[٨٤] ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: (ربهم أعلم بهم) أو من كلام الله عز وجل رداً لقول الخائضين في حديثهم[٨٥]

(٧٩) دفع لما يتوهم أن الذاهب إلى المدينة منهم، و هو أيضًا يخاف على نفسه بصورة الوقوف عليه وعليهم فلا يتصور منه الإخبار بهم فكيف نهوه مؤكدا عن الإخبار فأجاب أن الإسناد إليه بطريق التسبب.

(٨٠) والرجم أي الإهلاك بالحجارة أخبث أنواع القتل، والقتلة بزنة فعلة بكسر الفاء للنوع.

(٨١) عاد أو أعاده في دينه يصح إذا كان فيه من قبل، فخرج عنه ثم رجع إليه، لكنّ أصحاب الكهف لم يكونوا من قبل على مذهب الشرك فكيف قالوا أو يعيدوكم؟ أجاب المصنّف عنه أنّ العود له معنى آخر وهو الصيرورة، فالمعنى يصيروكم و يدخلوكم في ملّتهم.

(٨٢) بيان للمشار إليه من (ذلك)، والمراد أنهم تكلّفوا الإخفاء، لكن الله أراد الإظهار ليستدلّوا بحالهم على صحة البعث.

(٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال المسلمون: نبني عليهم مسجدًا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا، وقال المشركون نبني عليهم بيعة لأنهم من أهل ملّتنا.١٢ الجمل على الجلالين.

(٨٤) تطرق إليه: سار إليه، واتخذ إليه طريقًا، أصل الضن البخل من ضرب و سمع بفتح الضاد في المصدر و كسرها، و بمعنى الاختصاص والاحتفاظ مجازًا لأن الباخل بشيء يمسكه و يحتفظ به، وقول المصنف ومحافظة عليها عطف تفسير، الحظيرة أصلها من المنع وهو ما يحاط به الشيء و يُمنع، كالحجرة الممنوعة بالحيطان.

(٨٥) التناقل من التفاعل أي نقلوا الكلام فيما بينهم، و خاض الماء: دخله وخاض في الحديث: أفاض فيه أي ناقش و وقع فيه.

﴿قَالَ الَّذِيْنَ غَلَبُوْا عَلٰٓى اَمْرِهِمْ﴾ من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على باب الكهف[٨٦] ﴿مَّسْجِدًا۝﴾ يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

رُوي[٨٧] أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك[٨٨] وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه. فأنطقه الله تعالى فقال: ما تريدون مني إني أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم. وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله مَلَكَ مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه. ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزًا فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث. ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا. ﴿سَيَقُوْلُوْنَ ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ وَيَقُوْلُوْنَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًاۢ بِالْغَيْبِ ۚ وَيَقُوْلُوْنَ سَبْعَةٌ وَّثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ؕ﴾ الضمير في «سيقولون» لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين، وأهل الكتاب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٨٦) لاعلى أنفسهم، فإن بناء المسجد على قبور الصالحين والصلاة عليها أو إليها منهي عنه في صريح الأحاديث، أمّا بناء المساجد بقربهم والاستبراك بمواضعهم فلا مانع منه بل هو ممّا استحسنه أهل الإسلام قديمًا و حديثًا، وقد ذكره القرآن و أقرّه ولم ينكر عليه و ما ذكره القرآن من طريق الأمم السابقة الصالحة ولم ينكر عليه و لَم يَرِدُ خلافه في شرعنا فهو دليل جوازه. والوهابية غالون في الدين، فيستدلّون على حرمة المساجد بقرب الصالحين بالأحاديث التي وردت في النهي عن اتخاذ القبور مساجد و عن الصلاة والجلوس عليها. و لا يكادون يفقهون فرقًا في المسجد بقرب الصلحاء، و في المسجد على قبور الصلحاء. والله الهادي.

(٨٧) القصّة ماخوذة من عدة روايات، ذكر بعضها محمد بن اسحاق صاحب المغازي، و أخرج بعضها عبد الرزاق و ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه، و أخرج بعضها ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله تعالى عنه كما في الدر المنثور وغيره.

(٨٨) أراده عليه: حمله عليه و فتيةً مفعول أراد. توعّد: هدّد و خوّف. فناموا صيغة الجمع المخاطب، فعل أمر. المسح بكسر الميم والجمع أمساح و مسوح، ما يُلبس من نسيج الشعَر على البدن تقشفًا و قهرًا للجسد، والبلاس يُقعد عليه الرماد بفتح الراء، معروف، رُعيان بضم الراء جمع الراعي.

سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم. ويُروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد: وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقال العاقب: وكان نسطوريا(٨٩) كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. فحقق الله قول المسلمين. وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل. وعن علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماؤهم: يمليخا ومكشلينا ومشلينا. هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير. وسين الاستقبال(٩٠) وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك:«قد أكرم وأنعم» تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً، أو أريد بـ «يفعل» معنى الاستقبال الذي هو صالح له «ثلاثة» خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة، وكذلك «خمسة» و «سبعة» و «رابعهم كلبهم» جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لـ «ثلاثة» و كذلك «سادسهم كلبهم» و «ثامنهم كلبهم» «رجماً بالغيب» رمياً بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله: (ويقذفون بالغيب) [سبأ:٥٣] أي

(٨٩) ذكر المصنف في سورة مريم تحت تفسير قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع، ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم. وهم يعقوب، و نسطور، و ملكان. فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء، و قال نسطور: كان ابن الله، أظهره ماشاء، ثم رفعه إليه، وقال الثالث: كذبوا، كان عبدًا مخلوقًا نبيًّا. فتبع كل واحد منهم قوم أه. و في القاموس : نُسطُورية بالضم و تفتح.

(٩٠) ذكر المصنف هنا سبب نزول الآية، و ما جرى بعد ذلك بين المؤمنين و أهل الكتاب، ثم فصل ما يتعلق بالجمل الثلاثة (١) سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (٢) و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب (٣) و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم —— فذكر (١)أن سين الاستقبال و إن كانت داخلة في الأول لكن الآخرين أيضًا تحتها (٢) و ثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة و ثلاثة موصوف والجملة رابعهم كلبهم صفة و إعراب خمسة سادسهم كلبهم كذلك. وقوله رجمًا بالغيب يتعلق بالقولين الأولين (٣) والثالثة تفارق الأولين بدخول الواو بين سبعة و صفتها (ثامنهم كلبهم) فبيّن أن هذه الواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف، و لتحقيق هذا القول، والدليل الآخر على صحته انفصالُه عن (رجمًا بالغيب) (٤) و حقق معنى الرجم بالغيب بأن الرجم بمعنى الرمي والقذف، والغيب مصدر بمعنى الغائب والأمر الخفي والرمي بالأمر الخفي هو الإتيان به والقول بدون تثبتٍ، أو هو بمعنى الظن بالغيب و أصل الرجم رمي الحجارة استعير لرمي القول بدون تأكد بجامع الوقوع في موضع صائب أو خاطيء، ثم ذكر قولًا اخر أن هذه الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب، والضمائر في الأفعال الثلاثة لهم. و هذا منقول عن عطاء كما في أبي السعود.

يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل: «ظنا» بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين. والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة النكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في قولك «جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف» وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف. والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم و لم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله : (رجماً بالغيب) و أتبع القول الثالث قوله : ﴿قُلْ رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ أي قل ربي أعلم بعدّتهم و قد أخبركم بها بقوله: (سبعة وثامنهم كلبهم) ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من ذلك القليل.(٩١)

وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في «سيقولون» على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا﴾ إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده(٩٢) ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ﴾ لأجل شيء تعزم عليه(٩٣) ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ الشيء ﴿غَدًا﴾ أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٩٤) أن تقوله بأن يأذن ذلك

(٩١) أخرجه عنه الطبراني في الأوسط بسند صحيح و عبد الرزاق، و الفريابي، وابن سعد، و ابن جرير، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم من طرق قال: أنا من القليل كانوا سبعة، و في الطبراني ذكر أسمائهم أيضًا. و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: أنا من القليل ، كانوا سبعة. الدر المنثور.

(٩٢) العَنَت بفتحتين: الفساد، والإثم، والهلاك، و دخول المشقة على الإنسان عنِت عنَتا من سمع: وقع في أمر شاق، و منه قوله تعالى: ودّوا ما عنتّم – و عزيز عليه ما عنتّم، عنّته شدد عليه و ألزمه ما يصعبُ أداؤه و تحمله، و تعنّتَه: أدخل عليه الأذى، و طلب زلته و مشقته و أصله: تكلف دخول المشقة و تعنّت الرجلَ و عليه في السوال: سأله على جهة التلبيس عليه، جاء ه متعنّتًا أي طالبًا زلته، درهم زَيف و زَيّف ما فيه غش، و زَيّفه جعله مغشوشًا أو أظهر غشّه و رداء ته و منه استعير للكلام، زيّف كلامَه: أظهر فساده. من القاموس وغيره.

(٩٣) أظهر به أن اللام للتعليل لا للتبليغ.

(٩٤) (إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللّٰهُ) ذكر فيه وجهين: الأوّل أن المعنى لا تقولن ذلك في وقت من الأوقات إلّا وقت أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، فالمستثنى مفرغ و لفظ الوقت مقدر قبلَ أن،=

لك فيه، أو ولا تقولنه إلا بأن يشاء اللّٰه أي إلا بمشيئته، وهو في موضع الحال أي إلا ملتبساً بمشيئة اللّٰه قائلاً إن شاء اللّٰه. وقال الزجاج: معناه: ولا تقولن إني أفعل ذلك إلا بمشيئة اللّٰه تعالى، لأن قول القائل: «أنا أفعل ذلك إن شاء اللّٰه» معناه: لا أفعله إلا بمشيئة اللّٰه،(٩٥) وهذا نهي تأديب من اللّٰه لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه ﴿وَاذۡكُرۡ رَّبَّكَ﴾ أي مشيئة ربك وقل إن شاء اللّٰه ﴿إِذَا نَسِيۡتَ﴾ إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر.

عن الحسن: مادام في مجلس الذكر. وعن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما: ولو بعد سنة. وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء، فأما الاستثناء المغير حكماً فلا يصح إلا متصلاً،(٩٦)

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والوقت يقدر كثيرًا قبل المصدر كما تقول آتيك طلوع الشمس أي وقت طلوعها، و أن بصلتها بمعنى المصدر، و أن تقوله مفعول يشاء، و مفعول شاء يحذف كثيرًا قال تعالى: لَوۡ شَآءَ لَهَدَاكُمۡ أي لو شاء هدايتكم لهداكم فحذف لدلالة الجواب عليه. والوجه الثاني: أن باء الملابسة مقدّرة قبل أن و حذْفُ الجار قبل أن و أنّ مطّرد، فالمعنى لا تقولن ذلك بحال من الأحوال إلّا ملتبسًا بمشية اللّٰه أي قائلًا إن شاء اللّٰه. والمستثنى على هذا التقدير أيضًا مفرغ. لكنه في الوجه الأول ظرف زمان، و في الثاني حال.

أمّا قول الزجاج فالظاهر أنه أراد تعليقه بفاعل ذلك غدا لكن لا يصح هذا، قال البيضاوي: ولا يجوز تعليقه بفاعل، لأن استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد، و استثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي.اه – فإن المعنى على الوجه الأول إني فاعل ذلك إلّا أن يشاء اللّٰه ذلك الفعل، أي إن يشأ ذلك الفعل فلا أفعله، فساد هذا غني عن البيان، ولولا النهي لما قال النبي عليه السلام ذلك. والمعنى على الوجه الثاني إني فاعل ذلك إلّا أن تعترض مشية اللّٰه دونه، أي فلا أقدر على فعله، و هذا الكلام سديد فلا وجه للنهي عن مثل هذا القول.

(٩٥) لا أفعله إلا بمشيئة اللّٰه، سديد. و أفعله إلّا بمشيئة اللّٰه مع تعلق النهي (أي لا تقولنّ أفعله إلّا بمشيئة اللّٰه) لا وجه لسَداده كما ذكر مفصلا.

قوله: إذا فرط منك نسيان ـ الخ ـ أشار به أن النسيان بمعنى الذهول عن شيء بدون إرادة، و ليس بمعنى الترك قصدًا، فإن النسيان، قد يطلق بمعنى الترك مجازًا.

(٩٦) قال أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ﻫ في كتابه أحكام القرآن: قد اختلف أهل العلم بعد اتفاقهم على صحة الاستثناء في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أنحاء – فقال ابن عباس، و مجاهد، و سعيد بن جبير، و أبو العالية: إذا استثنى بعد سنة صحّ استثناؤه– وقال الحسن، وطاؤس: يجوز الاستثناء ما دام في المجلس. وقال إبراهيم، وعطاء، والشعبي: لا يصح الاستثناء إلّا موصولا بالكلام – و روي عن إبراهيم في الرجل يحلف و يستثنى في نفسه قال: لا حتى يجهر بالاستثناء كما جهر بيمينه – وهذا محمول عندنا على أنه لا يصدّق في القضاء إذا ادّعى أنه كان استثنى و لم يُسمع منه، وقد سُمِع منه اليمين. وقال أصحابنا و سائر الفقهاء: لا يصح الاستثناء إلّا موصولًا بالكلام. وذلك لأنّ الاستثناء بمنزلة الشرط، والشرط لا يصح ولا يثبت حكمه إلّا موصولًا بالكلام من غير فصل، مثل قوله أنت طالق إن دخلت الدار، فلو قال أنت طالق ثم قال إن دخلت الدار بعد ما سكت لم يوجب ذلك تعلق الطلاق بالدخول. اه. قال البيضاوي : لو صحّ=

وحُكي أنه بلغ المنصور أن أباحنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة: هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا(٩٧)فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده. أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام بها، أو صل صلاة نسيتها إذا ذكرتها، أو إذا نسيت شيئاً فاذكره ليذكرك المنسي ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ يعني إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة.«اَن يهديني»،«اِن ترني»، «أن يؤتيني»، «أن تعلمني». مكي في الحالين،ووافقه أبو عمرو ومدني في الوصل.(٩٨)

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله: (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا) وسنين عطف بيان لثلثمائة. ثلثمائة سنين بالإضافة: حمزة وعليّ، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله: (بالأخسرين أعمالاً) (٩٩) [الكهف:١٠٣] ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه (تسعاً) مفعول به لأن «زاد» تقتضي مفعولين فـ«ازداد» يقتضي مفعولاً واحداً(١٠٠) ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ أي هو أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة

= ذلك لم يتقرّر إقرار، ولا طلاق ، ولا عتاق، ولم يعلم صدق، ولا كذب. اهـ

قال الشيخ أحمد الصاوي المالكي هنا: ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآيةَ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضلّ، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. اهـ

(٩٧) مثلا يقولوا: والله أنت إمامنا و طاعتك واجبة علينا ثم يقولوا بعد الخروج عن المجلس إن شاء الله أو يحملهم الأمير أن يقولوا إن خرجنا عليك و أبَينا طاعتك فعبيدنا أحرار، و نساؤنا طوالق، فقالوا ذلك و زادوا بعد الذهاب عن المجلس "إن شاء الله".

(٩٨) أن يهديني، إن ترني، أن يوتيني، أن تعلمني بإثبات الياء وقفًا و وصلًا في قراء ة ابن كثير المكي و يعقوب الحضرمي من العشرة، و بإثبات الياء وصلًا فقط في قراء ة أبي عمرو البصري، و نافع المدني، وأبي جعفر المدني من العشرة، الأول في هذه الآية٢٤ – والثاني في الآية ٣٩ – والثالث في الآية ٤٠– والرابع في الآية ٦٦– لكن إثبات الياء وصلًا في (إن ترني) ليس قراء ة نافع مطلقًا بل قراء ة أحد راوييه وهو قالون كما في غيث النفع وغيره من كتب القراء ة و قراء ة ورش عن نافع في هذا موافق للباقين، وهو حذف الياء وصلًا و وقفًا.

(٩٩) الأصل في تمييز المأة أن يكون واحدًا، وقراء ة الباقين بتنوين مأة.

(١٠٠) وهذه السنون الثلاث مأة عند أهل الكتاب شمسية، و تزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين.١٢ جلالين ـ لأن كل ثلاث و ثلاثين سنة و ثُلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية. ١٢صاوى ـ أنكر عليه الإمام الرازي بعدم توافق الحساب، و أجيب أن زيادة التسع على وجه التقريب، فإن الزائد تحقيقًا تسع سنين و ثلاث و سبعون يومًا، و تسع ساعات و ثمان و أربعون دقيقة، وهذا الزائد على التسع لم يبلغ نصف سنة، بل ولا فصلًا من=

لبثهم والحق ما أخبرك به، أو هو حكاية لكلام أهل الكتاب و(قل الله أعلم) رد عليهم،[١٠١] والجمهور على أن هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم كذا مدة[١٠٢] ﴿لَهٗ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ ذكر اختصاصه بعلم ما غاب في السماوات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها[١٠٣] ﴿اَبْصِرْ بِهٖ وَاَسْمِعْ﴾ أي وأسمع به والمعنى ما أبصره بكل موجود وما أسمعه لكل مسموع[١٠٤] ﴿مَا لَهُمْ﴾ لأهل السموات والأرض[١٠٥] ﴿مِّنْ دُوْنِهٖ مِنْ وَّلِيٍّ﴾ من متول لأمورهم ﴿وَّلَا يُشْرِكُ فِيْ حُكْمِهٖٓ﴾ في قضائه ﴿اَحَدًا﴾ منهم، ولا تشرك على النهي.شامي.

كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له[١٠٦]: ﴿وَاتْلُ مَآ اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنْ كِتٰبِ رَبِّكَ﴾ أي من القرآن ولا تسمع لما يهزءون[١٠٧] به من طلب التبديل فإنه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِهٖ﴾ أي لايقدر أحد على تبديلها أو تغييرها إنما يقدر على ذلك هو وحده ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُوْنِهٖ مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فصولها فلم يعبأ به ـ والسنة الشمسية ثلاث مأة وخمسة و ستون يومًا و خمس ساعات و تسع و أربعون دقيقة على مقتضى الرصد الايل خاني، والسنة القمرية ثلاث مأة و أربعة و خمسون يومًا و ثمان ساعات وثمان و أربعون دقيقة، والتفاوت بينهما عشرة أيام و إحدى و عشرون ساعة و دقيقة واحدة.وعلى هذاكل ثلاث و ثلاثين سنة إلا أربعة أيام تزيد سنة قمرية. (محمد أحمد المصباحي)

(١٠١) أخرجه ابن أبي حاتم عن قتادة. الدرّ المنثور.

(١٠٢) قال الطبري: إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الإعثار عليهم إلى مدة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بعضهم: إنّهم لبثوا ثلث مأة سنين و تسع سنين، فأخبر الله تعالى نبيّه أن هذه المدة في كونهم نيامًا، و أن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمر الله تعالى أن يردّ علم ذلك إليه. قال ابن عطية: فقوله على هذا (لبثوا) الأوّل في نوم الكهف و (لبثوا) الثاني يريد بعد الإعثار إلى مدة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. قرطبي.

(١٠٣) الاختصاص مستفاد من تقديم (له) و من اللام، و أشار بقوله ما غاب الخ أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، وهو عام لكل ما خفي من الأعيان و أحوالها.

(١٠٤) وهما (أي صيغتا التعجب له تعالى) على جهة المجاز، لأن التعجب استعظام أمر خفي سببه، والله لايخفى عليه شيء، والمراد الإخبار بأنه تعالى لايغيب عن بصره و سمعه شيء، فالكلام من قِبَل استعمال الإنشاء في الخبر اه. جلالين والجمل.

و ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عمّا عليه إدراك السامعين والمبصرين ـ إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف، وصغير وكبير، وخفي وجلي اه. بيضاوي.

(١٠٥) المدلول عليهم بذكرهما.

(١٠٦) وجه المناسبة أن اليهود دلت المشركين على الأسئلة الثلاثة، و قالت إن أجاب صاحبكم عنها فهو نبي ، ومنها خبر أصحاب الكهف، فلمّا كان الإخبار بالغيب دليل النبوة، وقد أخبر عنه ثبت أنه نبي صادق، والإيمان به واجب، مع ذلك إن لم يومنوا و سألوا تعنّتًا أن يأتيهم بقرآن غير هذا، أو اقترحوا تكبرا أن يطرد أصحابه الفقرآء فليس على الرسول إلّا البلاغ، والمداومة على تلاوة ما أوحى إليه من الكتاب، والصبر على مجالسة من آمن به، و ترك الالتفات إلى من تعاظم و استكبر. و أصر على الكفر متبعًا هواه فقال تعالى واتل ما أوحي ـ الخ ـ

(١٠٧) يهزؤن من سمع بمعنى يسخرون.

قوله:على تبديلها أو تغييرها: التبديل هو الإتيان بالبدل و نسخ الأول، والتغيير هو التصرف في الكلام بحيث يتغيّر معناه كزيادة "إن دخلتَ الحصنَ" بعد قوله: "أنت حر" فينصرف الكلام من التنجيز إلى التعليق و يتغيّر مدلوله.

ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نحِّ هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل(١٠٨):﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ واحبسها معهم وثبتها﴿ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ دائبين على الدعاء في كل وقت، أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير، والعشي لطلب عفو التقصير، أوهما صلاة الفجر والعصر. «بالغُدوة» شامي﴿ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهٗ ﴾رضا الله ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنٰكَ عَنْهُمْ ۚ﴾ولاتجاوز، عداه إذا جاوزه وعدى بـ«عن» لتضمن «عدا» معنى«نبا» في قولك «نبت عنه عينه»، وفائدة التضمين(١٠٩)إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٠٨) أخرج ابن جرير عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، و ذووهم فقالوا: يا نبي الله إنّك لو جلست في صدر المسجد و نفيت عنا هولاء و أرواح جِبَابهم — يعنون سلمان، و أبا ذر، وفقراء المسلمين، و كانت عليهم جباب الصفوف، ولم يكن عليهم غيرها — جلسنا إليك و حادثناك، و أخذنا عنك فأنزل الله: (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلمته ولن تجد من دونه ملتحدًا ــ حتى بلغ : إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظّٰلِمِيْنَ نَارًا) يتهددهم بالنار.

فقام نبي الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا و معكم الممات، و أخرج ابن مردويه، و أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان عنه إلى قوله يتهددهم بالنار، و أخرج أبو الشيخ عنه آخر الحديث كما في الدر المنثور.

و أخرج ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ عَنْ ذِكْرِنَا) قال: نزلت في أُمَيّة بن خلف، و ذلك أنه دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أمر كرهه الله من طرد الفقراء عنه، و تقريب صناديد أهل مكّة فأنزل الله (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ عَنْ ذِكْرِنَا) و أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: حدثنا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تصدى لأمية بن خلف وهو ساهٍ غافل عما يقال له فأنزل الله (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ–الآية–) فرجع إلى أصحابه و خلّى عن أمية، فوجد سلمان يذكرهم فقال: الحمد لله الذي لم أفارق الدنيا حتى أراني أقوامًا من أمتي أمرني أن أصبر نفسي معهم. ١٢ الدر المنثور، و لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نزلت (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ عَنْ ذِكْرِنَا) في عيينة بن حصن. قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقد آذاني ريح سلمان الفارسي، فاجعل لنا مجلسًا معك لا يجامعنا فيه، واجعل لهم مجلسًا لا نجامعهم فيه، فنزلت.

و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في يوم حارّ و عنده سلمان عليه جبّة من صوف، فثار منه ريح العرق في الصوف، فقال عيينة: يا محمد إذا أتيناك فأخرج هذا و ضربائه من عندك، لا يؤذونا ، فإذا خرجنا فانت و هم أعلم. فأنزل الله (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ) الآية– الدر المنثور.

(١٠٩) التضمين المصطلح: أن يُقصد بلفظ معناه الحقيقي و يُلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه، و يدلّ عليه بذكر صلته نحو "أحمد إليك فلانًا" أي أُنهي حمده إليك، فالفعلان مقصودان معًا، قصدًا و تبعًا، فتارة يجعل المذكور أصلًا في الكلام، والمحذوف قيدًا فيه على أنه حال، كقوله تعالى: وَ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلٰى مَا هَدٰاكُمْ ـ أي حامدين ـ و تارة بعكس ذلك، فيجعل المحذوف أصلًا، والمذكور=

إعطاء معنى فَذٍّ[١١٠] ﴿تُرِيْدُ زِيْنَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ في موضع الحال ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهٗ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر وهو دليل لنا على أنه تعالى خالق أفعال العباد[١١١] ﴿وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ وَكَانَ اَمْرُهٗ فُرُطًا﴾ مجاوزاً عن الحق[١١٢] ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ﴾ أي الإسلام أو القرآن، و «الحق» خبر مبتدأ محذوف أي هو ﴿فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَّمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك. وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ماشاء من النجدين.[١١٢] ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال: ﴿اِنَّآ اَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلظّٰلِمِيْنَ﴾ للكافرين فقيد بالسباق[١١٣] كما تركت حقيقة الأمر والتخيير بالسياق وهو قوله: «اِنَّآ اَعْتَدْنَا لِلظّٰلِمِيْنَ»، ﴿نَارًا اَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجزة التي تكون حول الفسطاط،[١١٤] أو هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، أو هو حائط من نار يطيف بهم[١١٥] ﴿وَاِنْ يَّسْتَغِيْثُوْا﴾ من العطش ﴿يُغَاثُوْا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ﴾ هو دردى الزيت

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= مفعولًا كما مرّ في "أحمد إليك فلانًا" أو حالا كما في "يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ" أي يعترفون مؤمنين به.

(١١٠) فذ بمعنى فرد و واحد، جمعه أفذاذ و فذوذ.

(١١١) لأنه أسند خلق الغفلة في القلب إلى ذاته، والغفلة من فعل العبد.

(١١٢) الفرط بضمتين: الظلم والاعتداء والأمر المجاوَز فيه عن الحد. قاموس، و في المفردات للراغب فرس فرط: يسبق الخيل اه. فأخذ منه معنى التقدم والمجاوزة عن الحد كما في المفاتيح.

(١١٢) النجدين أي الطريقين، و في الأصل: ما أشرف من الأرض.

(١١٣) فسر الظلمين بالكافرين مع أن الظلم أعم من الكفر، فبين سبب التخصيص وهو أن التقييد به بقرينة ما سبق أي فمن شاء فليكفر، و قوله فمن شاء فليومن، و من شاء فليكفر يدل أن الإنسان مخير بينهما، لا بأس عليه باختيار أحدهما لكن السياق أي ما يأتي بعده وهو قوله (اِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظّٰلِمِيْنَ نَارًا) يدل أن التخيير ليس بمراد ، وكما إذا قيل للحربي "انزل" كان أمانًا له لكن إذا قيل له "انزل إنْ كنت رجلًا" لم يثبت الأمان، فالسياق هنا دليل على ترك حقيقة التخيير، والإنسان يلزم عليه الإيمان ، نعم لم يخلقه الله مجبورًا على أحدهما بل خلقه قادرًا على أن يختار بإرادته أحدهما، و الجزاء على هذه الإرادة والاختيار.

(١١٤) في الإكليل: الحُجْزَة بالزاي، أي ما يحجز و يمنع من الوصول إليه من خندق و نحوه. أو بالمهملة، أي الحظيرة التي تجعل حوله، الفسطاط: الخيمة.

يُطيف بهم: طاف بالشيء يطوف طوفًا و طوافًا استدار به، والمطاف موضع الطواف، وطاف يطيف من باب باع [راجع المصباحَ المنير للفيّومي مادة طَوف و طَيف] و أطافه بالألف واستطاف به كذلك، و أطاف بالشيء: أحاط به. درديّ الزيت، هو ما يبقى في أسفله. اه.

(١١٥) قال ابن جرير: و ذلك فيما قيل حائط من نار، يطيف بهم كسرادق الفسطاط، و هي الحجرة التي تطيف بالفسطاط و أخرج في تفسيره عن ابن عباس قال حائط من نار، و عن معمر عمن أخبره قال دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله (ظل ذي ثلاث شعب) و أخرج أحمد و الترمذي وابن أبي الدنيا في صفة النار، وابن جرير و أبو يعلى و ابن أبي حاتم و ابن حبان و أبو الشيخ والحاكم و صحّحه و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: سرادق النار أربعة جدر، كُثُف كل جدار منها أربعون سنة. اه.=

أو ما أذيب من جواهر الأرض[١١٦] وفيه تهكم بهم[١١٧] ﴿يَشْوِي الْوُجُوْهَ﴾ إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ ذلك ﴿وَسَآءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ متكأ من الرفق وهذه لمشاكلة قوله: (وحسنت مرتفقا) وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.[١١٨] وبين جزاء من اختار الإيمان فقال:

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ إِنَّا لَا نُضِيْعُ اَجْرَ مَنْ اَحْسَنَ عَمَلًا ۚ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ جَنّٰتُ عَدْنٍ﴾ كلام مستأنف بيان للأجر المبهم، ولك أن تجعل «اِنَّا لا نضيع» و «أولئك» خبرين معاً. والمراد من"أحسن منهم عملاً" كقولك:«السمن منوان بدرهم»، أو لأن (من أحسن عملاً) و (الذين آمنواوعملوا الصّٰلحٰت)ينتظمهما معنى واحد فأقام من«أحسن»مقام الضمير[١١٩]

= الدر المنثور و جامع البيان للطبري ـ والكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ اهـ. مجمع البحار، والمراد ثخن كل منها مسيرة أربعين سنة.

(١١٦) أخرج ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما هو بمعنى التفسير الأول و صرح به أبو عبيدة و أخرج ابن جرير عن مجاهد بمعنى القيح والدم، و عن سعيد بن جبير الذي قد انتهى حره و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو ماء غليظ مثل درديّ الزيت و أخرج أحمد، و عبد بن حميد، والترمذي، و أبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم ، و ابن حبان و الحاكم و صحّحه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه ـ اهـ ـ العَكَر بفتحتين: ما غلظ من درَنه والفَروة بفتح فسكون: جلدة الرأس بشَعَرها. ثم قال ابن جرير: وهذه الأقوال و إن اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعنى. وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حره، و أن ما أوقدت عليه من ذلك النارُ حتى صار كدرديّ الزيت فقد انتهى أيضًا حرّه.

(١١٧) فإن الإغاثة هي النصرة و دفع الضرر، والمهل لا يدفع ضرر العطش بل يزيده فهو على طريقة قوله: ؎

وخيلٍ قد دَلَفتُ لهم بخيل ❖ تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع

جعل الشاعر الضرب الوجيع الذي يجري بين المتحاربين كالتحية التي تجري بين المتحابّين، فتقديم المهل للظَّلَمة المستغيثين جُعل كتقديم الماء العذب البارد للأبرار المشتاقين تهكّمًا و إذلالًا.

(١١٨) (بِئْسَ الشَّرَابُ) ذلك أي الماء كالمهل، ذلك بيان للمخصوص بالذم، و (سَاء ت) النار ـ بيان لمرجع الضمير(مرتفقًا) تمييز منقول من الفاعل أي قبح مرتفقها، و نصب (مرتفقًا) على التمييز، مبالغة و تاكيدًا، لأن ذكر الشيء مبهمًا ثم مفسرًا أوقع في النفس من أن يفسر أولًا، و أصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد، ثم أطلق للاتكاء على المرفق والمِخَدَّة، ثم لمطلق الاتكاء والاستراحة، والرفق بالكسر ما استُعين به، واللُّطف والفعل من (ن، س، ك) بمعنى عامله بلطف. والمشاكلة في اصطلاح البديع: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا. ورد هنا فيما يأتي و صف الجنة بقوله (حَسُنَتُ مُرُتَفَقًا) فورد لمقابلته في صفة النار أيضًا (سائت مرتفقًا) والمراد بئست هي مرجعًا ومصيرًا. أو إطلاق الارتفاق لها على طريق التهكم كما سبق في إطلاق الإغاثة بماء كالمهل.

(١١٩) هنا ثلاثة أوجه من الإعراب الأول: "إِنَّ الَّذِيُنَ آمَنُوُا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ" مبتدأ، إِنَّا لَا نُضِيُعُ أَجُرَ مَنُ أَحُسَنَ عَمَلًا خبر والجملة الواقعة خبرًا لا بد لها من عائد إلى المبتدأ، فالعائد مقدر، والتقدير من أحسن منهم عملًا، و عملًا تمييز للنسبة المقدرة.

أو كان أصل الكلام إِنَّا لَا نُضِيُعُ أَجُرَهم فوضع "مَنُ أَحُسَنَ عَمَلًا" موضع الضمير واستغنى=

﴿تَجۡرِيۡ مِنۡ تَحۡتِهِمُ الۡاَنۡهٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيۡهَا مِنۡ اَسَاوِرَ﴾ «من» للإبتداء، وتنكير أساور وهي جمع أسورة التي هي جمع سوار لإبهام أمرها في الحسن ﴿مِنۡ ذَهَبٍ﴾ «من» للتبيين ﴿وَّيَلۡبَسُوۡنَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّنۡ سُنۡدُسٍ﴾ ما رَقَّ من الديباج ﴿وَّاِسۡتَبۡرَقٍ﴾ ما غلظ منه أي يجمعون بين النوعين ﴿مُّتَّكِـِٕيۡنَ فِيۡهَا عَلَى الۡاَرَآئِكِ﴾ خص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسِرّتهم ﴿نِعۡمَ الثَّوَابُ﴾ الجنة ﴿وَحَسُنَتۡ﴾ الجنة والأرائك ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ متكأ.

﴿وَاضۡرِبۡ لَهُمۡ مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ﴾(١٢٠) ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل،(١٢١) أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا. وقيل:هما المذكوران في «والصافات» في قوله: (قال قائل منهم إني كان لي قرين) [الصافات:٥١] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين، فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار فقال المؤمن: اللّٰهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بألف فقال: اللّٰهم إني أشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال: اللّٰهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال: اللّٰهم إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به، ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله ﴿جَعَلۡنَا لِاَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ اَعۡنَابٍ﴾ بستانين من كروم(١٢٢) ﴿وَّحَفَفۡنٰهُمَا بِنَخۡلٍ﴾ وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين(١٢٣)

= به عن الرابط لأن من أحسن عملًا بمعنى الذي آمن و عمل صالحًا، فهو في حكم التكرير كما في قوله "الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ" موضع "ما هي" و "أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ" جملة مستانفة لبيان الأجر المبهم كأن سائلًا سأل ما هو أجرهم فجاء البيان بذكر خمسة أنواع من الثواب، الأول: جنات عدن. الثاني: جري الأنهار تحت مساكنهم. الثالث: تحلية الأساور، الرابع: لباس التحلي و هو الرقيق من الديباج و لباس التستر و هو الغليظ منه. الخامس: الاتّكاء على الأرائك.

الوجه الثاني "إنَّا لا نضيع" و"أولئك لهم جنات" خبران معًا، والوجه الثالث:الخبر "أولئك لهم جنات" وما بينهما اعتراض.

والأرائك جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة ـ بفتحتين ـ وهي بيت يزين بالثياب و الستور للعروس.

(١٢٠) قال القرطبي: هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا، و يستنكف عن مجالسة المؤمنين ، وهو متصل بقوله "واصْبِرْ نَفْسَكَ".

(١٢١) منقول عن عطاء الخراساني ـ و قطروس بضم الفاء أو القاف كما في شروح الكشاف و بعده طاء و راء و سين مهملات، و بهوذا بذال معجمة أو مهملة بعدها ألف. إكليل.

(١٢٢) العنب هو الثمر، والبستان يتكوّن من الأشجار، فالمراد من الأعناب أشجارها، وهي الكروم واحدها كَرُم، بفتح فسكون، و قال الراغب: العنب يقال لِثَمرَة الكرْم، والكرْم نفسه ـ اهـ ـ و على هذا لا حاجة إلى التأويل.

(١٢٣) يؤثره: يختاره، من الإيثار، الدهاقين جمع دهقان بكسر الدال، و في لغة تضم، رئيس القرية، =

في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة. يقال حفوه إذا أطافوا به، وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً ﴿وَّجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة[١٢٤]لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق.﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ﴾ أعطت حمل على اللفظ لأن لفظَ «كلتا» مفرد ولو قيل «آتتا» على المعنى لجاز ﴿اُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِّنْهُ﴾ ولم تنقص من أكلها[١٢٥] ﴿شَيْـًٔا وَّفَجَّرْنَا خِلٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ نعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب[١٢٦] فجعله أفضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها. ﴿وَّكَانَ لَهٗ﴾ لصاحب الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾ أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما. له ثمر وأحيط بثمره[١٢٧] بفتح الميم والثاء: عاصم، وبضم الثاء وسكون الميم: أبو عمرو، وبضمهما: غيرهما ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهٖ وَهُوَ يُحَاوِرُهٗٓ﴾ يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع، يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه ﴿اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَّاَعَزُّ نَفَرًا﴾ أنصاراً وحشماً،[١٢٨] أو أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الإناث.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهٗ﴾ إحدى جنتيه أو سماهما جنة لاتحاد الحائط، وجنتين للنهر الجاري بينهما ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهٖ﴾ ضار لها بالكفر ﴿قَالَ[١٢٩] مَآ اَظُنُّ اَنْ تَبِيْدَ هٰذِهٖٓ اَبَدًا﴾ أي أن

= والتاجر، و من له مال و عقار. مؤزرة: التازير، التغطية والتقوية، والأزر: الإحاطة، والقوة، والظهر. والتقوية، والضعف (ضد). قاموس.

(١٢٤) عمِر المالُ و عمُر صار عامرًا أي كثيرًا وافرًا، و مَعمر: أرض كثيرة الماء والكلأ، والعمارة تطلق للدار، والمنزل، والأرض بمعنى البناء، والسكن، و جعلها عامرةً أي آهلة بالسكّان، أو مملوئة بالزرع و النبات، فالعمارة هنا كون الأرض متوافرة النبات من الزرع والشجر، والتشابك هو التداخل والاختلاط، والأنيق الحسَن المعجب، والفعل من (س)

(١٢٥) من ظلمه حقَّه: بَخَسه و نقصه إيّاه.

(١٢٦) الشِّرب بالكسر: الماء ، والحظ منه، والمورد، والفعل من سمع بمعنى جرع.

(١٢٧) الآتي في الآية ٤٢ ـ أخرج ابن جرير عن مجاهد أنه بمعنى الذهب والفضة و عن ابن عباس أنه بمعنى أنواع من المال، و اختار ابن جرير أنه بمعنى أنواع من الثمار، و ثُمُر بضمّتين جمع ثمار وهو جمع ثمر، و بفتحتين أيضًا جمع ثمار أو ثمرة كما في جامع البيان والمفاتيح وقال الراغب: الثمَر هو الثمار، وقيل جمعه، و يكنى به عن المال المستفاد وعلى ذلك حمل ابن عباس (وكان له ثَمَر).

(١٢٨) حشم الرجل بفتحتين : خاصته الذين يغضبون له من أهل و عبيد أو جيرة والفعل من ض و ن مصدره بسكون الأوسط بمعنى أغضب و من سمع بمعنى غضب و أغضب لازم و متعدٍ والمصدر بفتحتين وهو بمعنى العيال والقرابة أيضًا، و نفر (من ضرب) للقتال أو الأمر: ذهب.

(١٢٩) استيناف جوابًا عن سوال نشأ من الكلام السابق كأن سائلًا سأل: كيف كان ظالمًا فأجاب (قال ما أظن ـ الخ)

تهلك هذه الجنة، شك في بيدودة جنته لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين تنطق ألسنة أحوالهم بذلك ﴿ وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كائنة(١٣٠) ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ إقسام منه(١٣١) على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا إدعاء لكرامته عليه ومكانته عنده(١٣٢) «منقلبًا» تمييز أي مرجعاً وعاقبة ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقاً له ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي خلقك من نطفة ﴿ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. جعله كافراً بالله لشكه في البعث. (١٣٣)﴿ لَّٰكِنَّا ﴾ بالألف في الوصل: شامي، الباقون بغير ألف، وبالألف في الوقف اتفاق، وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فأدغمت الأولى في الثانية بعد أن سكنت ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ هو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر «أنا» والراجع منها إليه ياء الضمير، وهو استدراك لقوله: «أكفرت» قال لأخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول: زيد غائب لكن عمراً حاضر، وفيه حذف أي أقول هو الله بدليل عطف ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَآ ﴾ وهلا ﴿ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ «ما»موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره:الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما

(١٣٠) كان شكه في عين وجود الساعة في الزمان الآتي، لا في صفة من صفاتها، فالقيام بمعنى الكون والوجود.

(١٣١) اللام في (لئن) تدلّ على القسم المقدر، والجواب المؤكد (لأجدنّ) جواب القسم، وهو يدل على جواب الشرط أيضًا.

(١٣٢) والسبب في وقوع هذه الشبهة أنه تعالى لما أعطاه المال في الدنيا ظنّ أنه إنّما أعطاه ذلك لكونه مستحقًّا له، و الاستحقاق باقٍ بعد الموت، فوجب حصول العطاء. والمقدمة الأولىٰ كاذبة، فإن فتح باب الدنيا على الإنسان يكون في أكثر الأمر للاستدراج والتملية. مفاتيح الغيب.

(١٣٣) والمنكر لأحد من ضروريات الدين كافر بالله، ليس مؤمنًا به و كذا الشاكّ فيه ، فإن الشكّ ينافي الإذعان والإيمان.

(١٣٤) أخرج أبو يعلى، و ابن مردويه ، والبيهقي في الشعب، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل، أو مال، أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلّا بالله إلّا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته و قرأ (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) و أخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مَنْ رأى شيئًا من ماله فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلّا بالله، لم يصب ذلك المال آفة أبدًا. و قرأ (ولولا إذ دخلت جنتك) الآية ـ و أخرجه البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعًا. و أخرج ابن مردويه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاء ها فليكثر من لاحول ولا قوّة إلّا بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه =

رزقك الله منها الأمر ما شاء الله، اعترافا بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله، وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده(١٣٤).

من قرأ ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾ بنصب (أقل) فقد جعل (أنا) فصلاً ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ و«أقل»خبره والجملة مفعولاً ثانياً لـ«ترني»(١٣٥) وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.(١٣٦) ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا أو في العقبي ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾(١٣٧) عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها(١٣٨) ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائراً أي ذاهبًا في الأرض(١٣٩)﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ فلا يتأتى منك طلبه فضلاً عن الوجود، والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا

= وسلم (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ). الدر المنثور.

(١٣٥) إن ترن - و - إن ترني. ذكر القراء تين تحت قوله تعالى (عسى أن يهدين) وهنا ذكر قرائتين في (أقل) بالرفع عند الكسائي، وبالنصب عند غيره، و أوضح الإعراب على القراء تين. وهو أن يكون ضمير المتكلم - أي الياء المثبتة - عند بعض القرّاء في قوله ترني، والمحذوفة عند الأكثر مع بقاء الكسرة على نون الوقاية - مفعولًا أوّ لا للروية، و أقلّ بالنصب مفعولًا ثانيًا، و كلمة أنا صيغة فصل للتاكيد، كما هو معلوم، و أقلّ بالرفع خبر، والمبتدأ (أنا) والجملة مفعول ثانٍ للروية. ولم أجد قراءة الرفع في (أقلّ) عند الكسائي في كتب القراءة والتفسير، بل وجدتها لعيسى بن عمر في كتب التفسير، فالرفع ليس من المشهورات، بل من الشواذ، و ذكر الكسائي هنا في المدارك أظنّه خطأ من قلم الناسخ.

(١٣٦) ذكر قولين في تفسير "نفَرا" في قوله : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا و أَعَزُّ نَفَرًا. الأوّل الأنصار والحشم، والثاني الأولاد الذكور، و هنا يذكر تائيد القول الثاني بأن الأخ المسلم تكلم على طريق الجواب و قال: إن ترن أنا أقلّ منك مالًا و ولدًا. فذكر قلة الولد مع قلة المال، فالمقابلة تقتضي أن يكون المذكور في كلام الأخ الكافر كثرة الأولاد مع كثرة المال.

(١٣٧) قوله عذابًا في تفسير حسبانًا رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و قتادة (جامع البيان ١٦٣/٨) وقال الراغب: إنّما هو في الحقيقة ما يحاسَب عليه فيجازى بحسَبه - اه - و في الكشاف: الحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب، وقال الزجاج: عذاب حسبان و ذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك فالمراد به المحسوب والمقدر من تخريبها و إبادتها أو عذاب حساب الأعمال السيئة، و قال ابن جرير: والحسبان جمع حسبانة وهي المرامي.

(١٣٨) و أصل معنى الزلق الزلل في المشي لوحل و نحوه، و عبّر بالمصدر عن المزلقة مبالغة، و أطلق مجازًا على ما لا يكون فيه نبات و نحوه، أو كنى عنه (شهاب) و الملاسة والملوسة ضد الخشونة، والصفة أملس و ملسآء كأحمر و حمرآء من ك و س. إكليل.

(١٣٩) و التعبير بالمصدر للمبالغة - ذكر صورتين لإبادة البستان. إحداهما الاستئصال بإرسال العذاب عليه عاجلًا و بغتة والأخرى إهلاكه آجلًا و مدرجًا بإذهاب ما هو مادّة خصبه و نمائه وهو الماء، والضمير في قوله (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) راجع إلى الماء، أي إذا أغار الله الماء فليس من قدرتك أن تطلبه فضلًا عن ردّه و وجدانه.

أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي ومابك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيراً من جنتك، ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾[١٤٠]هو عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أي الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يضرب إحداهما على الأخرى ندماً وتحسراً. وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعَضِّ الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عُدي تعديته بـ«على» كأنه قيل: فأصبح يندم[١٤١] ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[١٤٢] يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[١٤٣] تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني، ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٤٠) تمّت حكاية كلام الأخ المسلم، و أخبر الله سبحانه بعد ذلك أنّ الله أهلك أموال الكافر كما توقعه المسلم و أنذره منه. و في قوله "أحيط بثمره" استعارة تمثيلية، شبه إهلاك أمواله بإهلاك قوم بجيش عدوّ أحاط بهم و أوقع بهم بحيث لم ينجُ أحد منهم ، فيقال أحاط به العدوّ، ثم يقال "أحيط به" و يراد أُهلك، و إن كان هلاكه من غير العدوّ ـــ و نظيره "أُتِيَ عليه " بمعنى أهلكه. أصله أتى عليه العدو مستعليًا بالقهر. و إتيان العدوّ غالبًا قاهرًا يردُفه و يتبعه الهلاك، فيقال أتى عليه العدو، و يراد به أهلكه، ثم يقال "أُتِيَ عليه" بدون ذكر العدو، و يراد به الهلاك مطلقًا.

(١٤١) ذكر المصنف هنا أمرين. الأول أن تقليب الكفين كناية عن الندم والحسرة، والثاني أن قوله "عَلىٰ مَا أَنفَقَ فِيْهَا" ظرف لغو لقوله يقلب كفيه، لأنه صار بمعنى يندم و يتحسر فصحّ إيراد "على" صلةً له. و يعلم منه أنه يجوز في الكناية أن تعدّى بصلة المعنى الحقيقي، كما في بنى عليها، و بصلة المعنى الكنائي كما في بنى بها، و ما هُنا من الثاني.

و ذكر المصنف نظيرين لهذه الكناية، الأوّل عضّ الكفّ كما في قوله تعالى: ويوم يَعَضّ الظالم على يديه، (٢٧ ـ الفرقان) لأن النادم يعضّ يده، والثاني السقوط في اليد، كما في قوله تعالى: ولمّا سُقِط في أيديهم (١٤٩ـ الأعراف) قال المصنف في سورة الأعراف، ولما اشتدّ ندمهم على عبادة العجل، و أصله أن من شانٍ من اشتد ندمه أن يعضّ يده غمّا، فتصير يده مسقوطًا فيها، لأن فاه وقع فيها، و "سقط" مسند إلى "في أيديهم" وهو من باب الكناية (٧٧/٢) و في مجمع بحار الأنوار: الظرف نائبه، أي سقط فيها العضّ، فإن من يندم يعضّ يده. (٨٥/٣)

(١٤٢) (وهي) أي الجنّة من الأعناب المحفوفة بنخل (خاوية) ساقطة ـ خوى البيت خواءً من ض : سقط و تهدّم، و خوى المكان خواءً فرغ و خلا، والرجل: فرغ جوفه من الطعام، و خوِي خيًّا و خُويًّا و خوايةً من س: المكان ، فرغ وخلا (على عروشها) أي دعائمها المصنوعة للكروم، لسقوطها قبل سقوطها ـــ وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إمّا لأنّها العمدة، و هما من متمّماتها ـــ و إمّا لأن ذكر هلاكها مغنٍ عن ذكر هلاك الباقي، لأنها حيث هلك، وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولىٰ ـــ و إمّا لأنّ الإنفاق في عمارتها أكثر ـ أبو السعود.

(١٤٣) يا أصلها للنداء، وهنا مجردة للتنبيه (جلالين) أُتِي من جهة كفره بصيغة المجهول بمعنى أُهلِك، أي أتاه هلاك أمواله من جهة كفره و طغيانه. قوله (ويجوز أن يكون توبة) عبر بالجواز والاحتمال إشارة إلى أن مجرّد الندم على الكفر لا يكون إيمانا ـــ و إن كان الندم على المعصية قد يكون توبة إذا=

﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَّهٗ فِئَةٌ يَّنْصُرُوْنَهٗ ﴾(١٤٤) يقدرون على نصرته ﴿ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ﴾ أي هو وحده القادر على نصرته لايقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لحكمة ﴿ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلّٰهِ الْحَقِّ﴾(١٤٥) (يكن) بالياء و(الولاية) بكسر الواو:حمزة وعلي فهي بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك، والمعنى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عزم على أن لا يعود ، و كان الندم عليها من حيث كونها معصية كما هو المتبادر، صرّح به في المواقف ـ لأن الإيمان لا يكفي فيه ذلك، مع أن ندمه عليه ليس من حيث هو كفر بل بسبب هلاك جنتيه، و أيضًا لا بد فيه من توبته ممّا كفر به، و هو إنكار البعث، والآية فيما بعد ظاهرة في أنه لم يتب من كفره (عناية القاضي) والحاصل أن القول بالإيمان يحتاج إلى دليل واضح، والظاهر يقتضي خلافه.

(١٤٤) الفئة: الفرقة من الناس، من فأوتُ راسه إذا شققته ـ فأصله فِأْوٌ، وهو ناقص مهموز العين، حذف الآخر والحقت التاء، فوزنه فعة، والمناسبة مع الأصل أن الفرقة شقة و قطعة من الناس، أو هي من فاء بمعنى رجع فهو أجوف مهموز اللام، حذفت العين فوزنه فِلَةٌ لأن الفرقة يرجع إليها (بيضاوي و خفاجي) والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضرر فالمعنى لم تكن له فرقة تدفع عذاب الله عنها، والمراد بالنصر لازمه وهو قدرة النصر، كما فسره المصنف بقوله يقدرون على نصرته، فإنه لو أُبقي على ظاهره لفُهِم منه وقوع النصر من الله تعالى، فإنك إذا قلت لم ينصر زيدًا أحد دون بكر فهم منه في العرف أن بكرًا وحده نصر زيدًا. فالمراد لم تكن له فئة تقدر على دفع ضرره، و ردِّ عقابه تعالى سوى الله القدير الذي يفعل ما يشاء لمن يشاء، ولا يحول حولَ قدرته و تنفيذ إرادته أحد، ولا يقتدر عليه فرد و لا جماعة.

(١٤٥) ذكر المصنف هنا أمورًا ـ الأول القراءات في (لم تكن) و (الولاية) و (الحق) و (عقبا) الثاني تعيين المشار إليه في (هنالك) و معاني الولاية، و إعراب الحق على القراء تين الثالث وجه الارتباط بإرادة كل معنى من معاني الولاية.

أمّا الأوّل فالقراء ة في (لم يكن) بالياء و في (الولاية) بالكسر لحمزة و علي، (و خلف) و بالتاء في الأوّل و بفتح الواو في الثاني لغيرهم ـ و القراء ة في الحق بالرفع لأبي عمرو البصري و علي الكسائي ، و بالجرّ لغيرهما ـ والحق مرفوعًا صفة الولاية، أي الولاية الحق لله وحده، أو خبر مبتدأ محذوف، والمحذوف إمّا هي فيرجع إلى الولاية، أو هو فيرجع إلى الله، و الحق بالجرّ صفة لاسم الجلالة، أي الولاية لله الحقِ جلّ جلاله. القرا ئة في عقبا مذكورة في الكتاب واضحة.

أمّا الثاني والثالث فقوله هنالك إشارة إلى ذلك المقام و تلك الحال الشديدة أو إشارة إلى الدار الآخرة كما ذكر فيما بعد. والولاية بالفتح بمعنى النصرة، و بمعنى التولّي أي الموالاة، والولاية بالكسر بمعنى السلطنة والملك. و في بيان الارتباط ذكر المصنف أربعة معان، اثنين بمعنى النصرة الأول النصرة المطلقة، والثاني النصرة المقيدة بالأولياء، و واحدًا بمعنى التولّي والمولاة و واحدًا بمعنى الملك والسلطان ـ نشرحها فيما يلي:

[١] في ذلك المقام، و تلك الحال النصرة لله وحده، أي لا يقدر عليها غيره كما تقرر فيما سبق، والحصر مستفاد من تقديم الظرف ، و تعريف المسند إليه، ولام الاختصاص مع اسم الجلالة. و هذا تقرير و تاكيد لقوله و لم تكن له فئة ينصرونه ـ الآية ـ

[٢] هنالك السلطان والملك لله، لا يُغلب. مجهول، بيان للسلطان والملك أي سلطانه قاهر لا يغلبه ولا يقهره أحد.

[٣] في مثل تلك الحال الشديدة يُتولّى الله، و يؤمن به كل مضطر، أي حين اضطراره يظهر موالاة الله سبحانه و يقول يا ليتني لم أشرك بربّي أحدًا، و قبل ذلك لم يعتقد الله ربًّا له. فهذه كلمة قالها مضطرًا، جزعًا ممّا دهاه أي أتاه و أصابه بغتة من شوم=

هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً لقوله: (وَلَمْ تَكُنْ لَّهٗ فِئَةٌ يَّنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ) أو هنالك السلطان والملك لله لايُغلب، أو في مثل تلك الحالة الشديدة يُتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله: (يٰلَيْتَنِيْ لَمْ اُشْرِكْ بِرَبِّيْٓ اَحَدًا) كلمة ألجيء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها. أو هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله: (فعسى ربى أن يوتيَنِ خيرًا من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء) ويؤيده قوله: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَّخَيْرٌ عُقْبًا۝٤٤﴾ أي لأوليائه، أو «هنالك»إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) [غافر: ١٦] «الحق» بالرفع: أبو عمرو وعلي صفة لـ(الولاية) أو خبر مبتدأ محذوف أي هي الحق أو هو الحق. غيرهما بالجر صفة لله. و «عقبا»بسكون القاف: عاصم وحمزة، وبضمها: غيرهما، وفي الشواذ «عقبى» على وزن «فعلى» وكلها بمعنى العاقبة. ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنْزَلْنٰهُ مِنَ السَّمَآءِ﴾(١٤٦) أي هي كماء أنزلناه ﴿فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْاَرْضِ﴾ فالتفّ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= كفره، و لولا ذلك لم يقلها. والإلجاء بمعنى الإجبار، ودهىٰ يدهىٰ دهيًا أصابه أمر عظيم و منه الداهية المصيبة العظيمة.

[٤] هنالك الولاية أي النصرة الخاصة لله ـ ينصر فيها أولياء ه ـ الخ

[٥] هنالك أي في تلك الدار الآخرة الولاية أي السلطان والملك لله، كقوله لمن الملك اليوم. و كذلك الولاية بمعنى النصرة و الموالاة أيضًا لله وحده يوم القيامة قال الخازن: يعني أنهم يتولّونه يومئذ، و يتبرؤن ممّا كانوا يعبدون من دونه في الدنيا ـ اهـ ـ هذا التفسير باعتبار معنى الموالاة. ولا شك أن النصرة المطلقة، والنصرة الخاصّة بالأولياء أيضًا لله وحده يومئذ.

والكلام على تقدير الإشارة إلى الدار الآخرة يكون مبتدأً ـ مع ارتباط و اتصال بالقصة المذكورة ـ إفادة لمعنى عام هامّ، وهو أن الدار الباقية هي الآخرة، و هنالك السلطنة القاهرة، والنصرة الباهرة، والموالاة العامّة لله وحده، لا تظهر لغيره صورةً أيضًا ، فينبغي للعاقل أن يترك الكفر والطغيان، و يستعدّ لذلك اليوم بالإيمان به.

(١٤٦) اعلم أنّ المقصود : اضرب مثلًا آخر يدل على حقارة الدنيا، و قلة بقاء ها. و الكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقرآء المؤمنين فقال : واضرب لهم أي لهولاء المفتخرين بأموالهم و أنصارهم على فقرآء المسلمين ثم ذكر المثل فقال كماء والمبتدأ مقدر، أي هي أي الحياة الدنيا أو هو أي المثل، و في عامة نسخ المدارك هو، و كذا في البيضاوي، والمشبه به الصورة المنتزعة من الجملة، لا الماء وحده، ولا كيفيته الخاصّة. والهيئة المنتزعة اختلاط النبات بالماء النازل، والتفافه و اخضراره، ثم يبسه، و تكسّره و تفتته حتى تطيره الريح ، و تبثّه في أنحاء الأرض، و حاصل هذه الهيئة الحسن والنضارة أمدًا قليلًا ثم الزوال والفناء سريعًا. كذلك الحياة الدنيا، ولمّا بيّن تعالى سرعة انقضاء الدنيا ذكر أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا، ليفهم العاقل أن هذا الجزء من ذلك الكل، فهو أيضًا سريع الفناء، فليس من شأن العاقل أن يفتخر به ، أو يفرح بسببه ، ثم ذكر تعالى أن ما يأتيه هولاء الفقراءُ من أعمال طاعة الله تبقى عند الله دائمًا، والباقي خير من الفاني، والأمل المعقود به من الثواب والجزاء خير من الآمال الكاذبة المعقودة=

بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روى[١٤٧] ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يابساً متكسراً[١٤٨] الواحدة هشيمة ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيٰحُ ﴾ تنسفه وتطيره. «الريح» حمزة وعلي ﴿ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿ مُّقْتَدِرًا ﴾ قادراً . شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك و الإفناء بحال النبات يكون أخضر ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن.[١٤٩] ﴿ اَلْمَالُ وَالْبَنُوْنَ زِيْنَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ﴾ لا زاد القبر وعدة العقبى ﴿ وَالْبٰقِيٰتُ الصّٰلِحٰتُ ﴾ أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، أو الصلوات الخمس، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[١٥٠] ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾ جزاء

= بالأموال والأولاد و سائر متاع الدنيا ، و هذه ليس لها ثبات و دوام ، فكيف بما عُقد بها من الآمال.

(١٤٧) قوله: فالتفّ بسببه و تكاثف، إشارة إلى أن الباء في قوله (فاختلط به) سببية، والالتفاف اجتماع بعض ببعض، والتكاثف: الغلظة والكثرة والتجمع ، و قوله ثانيًا أو أثر في النبات الماء فاختلط به حتى روِي ـ اه ـ يشير إلى أن الباء صلة الاختلاط، أي اختلط الماء بالنبات، والنباتُ بالماء حتى تنعّم و اخضرّ، رَوِي بكسر الواو بمعنى شرب و شبع من س، و رَوِي الشجر: تنعّم و اخضرّ.

(١٤٨) قال البيضاوي: مهشومًا مكسورًا، والهشم من ض بمعنى الكسر، قال في الكشاف: والهشيم ما تهشم و تحطم. الواحدة هشيمة. قوله: (تذروه) في الأصل واوي، و يائي، و بمعناه من التفعيل والإفعال ذرت الريح التراب: أطارته و فرقته، و نسف من ضرب بمعنى القلع والتفريق، نسفَ الحَبَّ: نفضه و ذرّاه و نسفت الريح التراب: قلعته و فرقته.

(١٤٩) المشبه حال الدنيا، والمشبه به حال النبات و وجه الشبه تعقب الهلاك و الفناء بعد النضارة والبهجة و قوله ثم يهيج أي يصير يابسًا قال المجد في القاموس: هاج يهيج هيجًا، و هَيَجَانًا، و هِيَاجًا بالكسر: ثار ـ كاهتاجَ و تهيّج ـ و أثار. والنبتُ : يبِسَ.

(١٥٠) جمع الأقوال المروية في تفسير (الباقيات الصالحات) مع تبيين الراجح، و تلخيص الأقوال فيما يلي:

(**الأول**) هي سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلّا الله، والله أكبر و في بعض الروايات بزيادة لا حول ولا قوة إلّا بالله.

عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا بزيادة لا حول. عند سعيد بن منصور، و أحمد، و أبى يعلى، و ابن جرير و ابن أبي حاتم ، و ابن حبان، والحاكم و صحّحه و ابن مردويه.

وعن النعمان بن بشير مرفوعًا عند سعيد بن منصور و أحمد و ابن مردويه بلفظ: ألا و إن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر من الباقيات الصالحات.

وعن أبي هريرة مرفوعًا عند النسائي، و ابن جرير ، و ابن أبي حاتم ، والطبراني في الصغير، و الحاكم و صحّحه ، و ابن مردويه، والبيهقي.

وعن أبي الدرداء مرفوعًا عند الطبراني، وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وابن مردويه و عن أنس بن مالك مرفوعًا عند ابن مردويه و أحمد، و عن علي، و عن ابن عباس مرفوعًا عند ابن مردويه.

وعن عائشة مرفوعًا عند ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، و ابن مردويه. و عن سعد بن جنادة مرفوعًا عند الطبراني— والروايات في هذا المعنى كثيرة، مرفوعة، و موقوفة.

(**الثاني**) الصلوات الخمس. رواه ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفًا. و كذا رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير، و عمرو بن شرحبيل، و إبراهيم، و أبي ميسرة.

(**الثالث**) الكلام الطيب رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(**الرابع**) جميع أعمال الحسنات. =

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ لأنه وعد صادق وأكثر الآمال كاذبة يعني أن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ﴾[١٥١] واذكر يوم ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ (تُسيَّر الجبال) مكي وشامي وأبو عمرو أي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= رواه ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن ابن عباس في قوله. والباقيات الصالحات قال: هي ذكر الله. لا إله إلاّ الله، والله أكبر، و سبحان الله، والحمد لله، و تبارك الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، و أستغفر الله، وصلّى الله على محمد رسول الله، والصلاة، والصيام، والحج، والصدقة، والعتق، والجهاد، والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم عن قتادة... قال: كلّ شيء من طاعة الله فهو من الباقيات الصالحات و في رواية عند ابن أبي حاتم و ابن مردويه عنه بلفظ: كل ما أريد به وجه الله و روى ابن جرير عن ابن زيد قال: الأعمال الصالحة. (جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري. والدر المنثور للإمام الجلال السيوطي)

قال ابن جرير: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال هن جميع أعمال الخير، كالذي روي عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، و عليها يجازى و يثاب. و إن الله عز ذكره لم يخصّص من قوله (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) بعضًا دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

فإن ظن ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم فإن ذلك بخلاف ما ظنّ. و ذلك أن الخبر عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم إنّما ورد بأن قول سبحان الله، والحمد لله، و لا إله إلّا الله، والله أكبر هن من الباقيات الصالحات. ولم يقل هن جميع الباقيات الصالحات، ولا كلّ الباقيات الصالحات، و جائز أن تكون هذه باقياتٍ صالحات، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحات ـ اهـ ـ

وكذا ورد عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه مرفوعًا بلفظ: من الباقيات الصالحات. و عليه يُحمَل غيره من الأخبار والآثار، لأن عموم اللفظ يقتضي عموم المعنى، ونظير ذلك تفسير النعيم في قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ) بالماء الحارّ في الشتاء و نحوه. من البديهي الضروري أن التخصيص ليس بمعنيّ، بل المقصود التفهيم بذكر مثال أو فرد من أفراد النعيم. و نظائره كثيرة في الماثور من التفاسير. محمد أحمد المصباحي.

(١٥١) لما بيّن خساسة الدنيا، و شرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة و أهواله. و فيه ردّ على أغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الأموال والأولاد على فقراء المسلمين ـ (مفاتيح الغيب و غرائب القرآن للنيسابوري)

والناصب في يوم "اذكر" أو "قلنا" المقدر قبل لقد جئتمونا كما سيأتي، و فسر التسيير على وجهين (١) قلع الجبال من أماكنها و تسييرها في الجوّ على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (٨٨ ـ نمل) (٢) تسيير أجزائها بعد تفتيتها كما في قوله تعالى: وَ يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَىٰ فِيْهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا (١٠٥ ـ ١٠٧ طه) و في قوله تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُنْبَثًّا (٥ ـ ٦ واقعة) قال المصنف في تفسير النسف: أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يُذرى الطعام (٦٦/٣) و قال في تفسير البسّ: و فُتِّتَتْ حتّى تعود كالسويق، أو سيقت، منُ: بسّ الغنم إذا ساقها (٢١٤/٤) هباء منبثا أي غبارًا متفرقًا و قوله هنا: يذهب بها كناية عن إهلاك صورتها و إفنائها.

تسير في الجو، أو يذهب بها بأن تجعل هباء منثوراً منبثاً ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ أي الموتى ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي فلم نترك. غادره أي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لايحجب أحد أحداً. شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان(١٥٢) ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي قلنا لهم لقد جئتمونا، وهذا المضمر يجوز أن يكون عامل النصب في «يوم نسير» ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي لقد بعثناكم كما أنشأناكم أول مرة، أو جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولاً. (١٥٣) وإنما قال: (وحشرناهم) ماضياً بعد «نسير»و «ترى» للدلالة على حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال. كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك(١٥٤) ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور أومكان وعد للمحاسبة. (١٥٥) ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي صحف الأعمال(١٥٦) ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ أي لا يترك شيئاً من المعاصي ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ حصرها وضبطها ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ في الصحف عتيداً أو جزاء ما عملوا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه أو يعذبه بغير جرم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾(١٥٧) ....

(١٥٢) قوله مصطفّين إشارة إلى أنّ (صفا) حال بمعنى اسم الفاعل ، و قوله ظاهرين الخ ماخوذ من كيفية العرض، و قوله: شبهت حالهم الخ إشارة إلى أن اللّٰه ليس له مكان، لكن حشر الخلق يقع بصورة الصفوف حيث يظهر و يرى كل واحد منهم كما يكون إذا عرض الجند على السلطان.

(١٥٣) ذكر صورتين لتوضيح التشبيه، الأول تشبيه البعث والحشر بالخلق والإنشاء، أي تحققت يومئذ قدرة اللّٰه على البعث، و تبيّن ما وعده اللّٰه تعالى بألسنة الأنبياء - و الثاني تشبيه حالة حشرهم بحالة ولادتهم في الخلوّ عن اللباس و المتاع كما قال تعالى: و لقد جئتمونا فرادى كما خلقنا كم أول مرّة ، و تركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم (٩٤ - أنعام) و في صحيح مسلم عن عائشة رضي اللّٰه تعالى عنها قالت سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم يقول: يحشر الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلًا. قلت يا رسول اللّٰه! الرجال والنسآء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض - اه - غُرُلا أي غير مختونين. (قرطبي ١٠/٤١٨)

(١٥٤) و على هذا تكون الواو للحال بإضمار قد (بيضاوي) و ذو الحال على القراء تين فاعل نسيّر الملفوظ أو القائم مقام المحذوف، و الرابط الواو فقط حينئذ. (خفاجي)

(١٥٥) وبل للخروج من قصة إلى أخرى. (بيضاوي) أي الإضراب فيهما انتقالي لا إبطالي، والمراد بالقصة الأولى جملة "لقد جئتمونا" الخ. (خفاجي)

(١٥٦) و فيه إشارة إلى أن تعريف الكتاب للجنس، والمراد بالجنس فيه الاستغراق. (شهاب)

(١٥٧) تكررت هذه القصّة في مواضع من القرآن، و في الحقيقة ليست بمكرّرة، لأنها تتضمن عبرًا و نصائح، فذكرت في كل محلّ لفائدة تناسب ذلك=

سجود تحية أو سجود انقياد(١٥٨) ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو مستأنف كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ خرج عما أمره ربه به من السجود(١٥٩) وهو دليل على أنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ الهمزة للإنكار والتعجيب(١٦٠) كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ وتستبدلونهم بي؟(١٦١) ومن ذريته «لاقيس» موسوس الصلاة و«الأعور» صاحب الزنا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= المقام، و كذا كل ما تكرّر في القرآن، و مناسبة هذه القصة بهذا المقام التشنيع على المفتخرين على فقراء المسلمين، و تقرير أن الافتخار والتعلّي من صنيع إبليس الذي هو عدوّ مبين لآدم و بنيه ثم التوبيخ والتعجيب من أن هولاء الكفرة سلكوا مسلك عدوّهم، واتّبعوا إبليس و ذريته وهو في قوله تعالى: أفتتخذونه و ذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ.

(١٥٨) اختلفوا أن المأمور به كان سجودَ عبادةٍ للّٰه، و آدم كان قبلة، أو المأمور به سجود تحية لآدم، أو الخضوع والانقياد لآدم بدون انحناء فهذه ثلاثة أقوال. قال المصنف في تفسير سورة البقرة: والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض، وكان السجود تحيةً لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان للّٰه تعالى لما امتنع عنه إبليس. وكان سجود التحية جائزًا فيما مضى. ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له "لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلّا اللّٰه تعالى" ـ اهـ ـ والأحاديث في النهي عن سجود التحية كثيرة. و **للإمام أحمدرضا** القادري البريلوي (١٢٧٢هـ ـــــ ١٣٤٠هـ) رسالة جليلة في هذا المبحث سمّاها "الزبدة الزكية لتحريم سجود التحية" (١٣٣٧هـ) جمع فيها أربعين حديثا، و أضاف إليها نحو مأة و خمسين نصًّا من كتب الفقه على حرمة سجود التحية في شريعتنا.

و كذا اختلفوا في أن إبليس كان من الملائكة أو من الجن. مرجع الأول روايات عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، وهي بتقدير صحّة إسنادها ليست ماثورة عن الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم فذلك إمّا قوله عن رأي واجتهاد أو ماخوذ من الإسرائيليات. والثاني مروي عن الحسن و قتادة ، ورجّحه الإمام الرازي (١) لموافقته القرآن (كان من الجن) (٢) و لثبوت الذرية لإبليس، والملائكة ليست فيهم إناث بنص التنزيل، فلا توالد فيهم، ولا ذرية لهم (٣) ولما جاء في صحيح مسلم أن الملائكة خلقوا من النور ، والجن من مارج من نار. (٤) و لثبوت عصمة الملائكة ، و عصيان إبليس و كفره. والاستثناء في قوله إلّا إبليس منقطع. ولا عجب فإنه سائغ كثير في كلام العرب، و وارد في التنزيل العزيز أيضًا بمواضع، و إن كان الأصل في الاستثناء هو المتصل. و إبليس كان مأمورًا بالسجود. هذا ثابت بالنص نحو قوله تعالى: ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك. هذا مختصر ، و تمام الكلام في مواضع من مفاتيح الغيب و غيرها.

(١٥٩) قوله خرج عمّا أمره ربه. إشارة إلى أصل معنى الفسق. وهو الخروج عن القصد، والميل عن الاستقامة (طبري و بيضاوي) قال الراغب: فسق فلان: خرج عن حَجْر الشرع، و ذلك من قولهم: فَسَقَ الرُّطبُ إذا خرج عن قِشره. وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب و الكثير. لكن تُعُورِفَ فيما كان كثيرًا. وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع و أقرّ به ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه ـ الخ ـ

(١٦٠) التعجيب حمل الغير على التعجب فإن اللّٰه منزه عن التعجب فمعنى الإنكار لا يصح هذا الفعل ولا يليق بعاقل، و معنى التعجيب تعجبوا أيها العقلاء من هولاء الذين اتخذوا عدوهم وليًا من دوني.

(١٦١) قوله و تستبد لونهم بي ـ الاستبدال ماخوذ من قوله (من دوني) فإن "دون" معناه المجاوزة. قال البيضاوي بعد بيان الاستعارة في دون: ثم اتّسع فيه=

و«بتر» صاحب المصائب و«مطوس»صاحب الأراجيف و«داسم» يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى[١٦٢] ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أعداء[١٦٣] ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا۝﴾ بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله[١٦٤] ﴿مَآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي إبليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: (مَآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) لأعتضد بهم في خلقها أو أشاورهم فيه أي تفردت بخلق الأشياء فأفردوني في العبادة[١٦٥] ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض[١٦٦] كقوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) [النساء:٢٩] ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ أي وما كنت متخذهم ﴿عَضُدًا۝﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ، و تخَطّي أمر إلى آخر. قال الله تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ـ اه ـ والمجاوزة تكون بترك الأول و أخذ الثاني أو بمجرّد المجاوزة فحمله على الأول، لأنه أبلغ في الذم، ولدلالة قوله (بدلا) بعده على أنه المراد. ولما لم يكن المقصود حقيقة الاستبدال، بل ترك طاعة الله و أخذ طاعة الشياطين فسّره المصنف فيما بعد بقوله لمن استبدله فأطاعه بدل طاعة الله ـ اه ـ للدلالة على ما هو المقصود أنّ الكافرين تركوا طاعة الله و أطاعُوا إبليس و ذريته.

(١٦٢) تعيين هذه الأسماء يرجع إلى ما روي عن مجاهد، و في رواية الطبري زَلَنبور صاحب الأسواق، و ثبر صاحب المصائب (يزين خمش الوجوه و لطم الخدود) والأعور صاحب الزنا و مسوط (كذا في نسخة الطبري والدر المنثور و القرطبي) صاحب الأخبار الكاذبة يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلًا و داسم الذي يدخل مع الرجل بيته إذا لم يسلم ولم يذكر الله الخ. و زاد الثعلبي في روايته عن مجاهد أسماء أخر منها لاقيس موسوس الصلاة كما ذكر المصنف.

و في صحيح مسلم أن للصلاة شيطانًا يسمي خُنزُب، و في جامع الترمذي أن للوضوء شيطانًا يسمى الولهان. و ما ذكره الإمام مجاهد أيد بعضَه القرطبي بأحاديث.

(١٦٣) والعدو كالصديق يطلق على الواحد والجمع والمؤنث (قاموس)

(١٦٤) فاعل بئس هو الضمير المبهم و تمييزه بدلًا، والمخصوص بالذم محذوف وهو إبليس، والظلم هو وضع الشيء في غير محلّه ، و من وضع طاعة إبليس مقام طاعة الله ظالم أيّ ظالم.

(١٦٥) لما قرّر الله سبحانه أنهم وضعوا طاعة الشياطين مقام طاعة الله، و تركوا طاعة الله ثبت أنهم جعلوا الشياطين آلهتهم ـ ولا أقل من أنهم اعتقدوا الشياطين شركاء الله في العبادة والألوهية. فردّ الله تعالى عليهم صنيعهم هذا على الطريق البرهاني. وهو أن الإله له الخلق والأمر كله. فمن كان شريكًا في الإلهية يلزم أن يكون شريكًا في الخلق. وليس هولاء الشياطين شركاء في الخلق. فإن الله وحده خلق السّموات والأرض ولم يُشرك هولاء في خلقها، ولا في خلق أنفسهم، ولم يُشهد هم حين خلقها للمعاونة والمشاورة. فإذ ليسوا شركاء في الخلق فلن يكونوا شركاء في العبادة و الألوهية. فما أعجب جهل هولاء الكفرة الذين جعلوا الإلهية أو شركة الإله لمن ليس له نصيب من التخليق، بل ليس له اسم مشاركة و معاونة في التخليق.

و قوله لأعتضِدَ بهم ـ صيغة المتكلم المفرد من المضارع بمعنى استعين بهم. و أصله من العضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف، ثم استعير للناصر والمعين كاليد.

(١٦٦) من لم يتم خلقه لا يثبت له الشركة والشهود في الخلق، فالمراد أن من تمّ خلقه لم يشهد خلق من هو بصدد التخليق.

أي أعواناً[١٦٧] فوضع «المضلين» موضع الضمير ذمًّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق فمالكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله للكفار، وبالنون: حمزة[١٦٨] ﴿نَادُوا﴾ ادعوا بصوت عال ﴿شُرَكَآءِيَ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم فيكم شركائي ليمنعوكم من عذابي،[١٦٩] وأراد الجن وأضاف الشركاء إليه على زعمهم توبيخاً لهم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَّوْبِقًا﴾ مهلكا من وبق يبق وبوقاً إذا هلك، أو مصدر كالموعد أي وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، أو الملائكة وعزيراً وعيسى. والموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمداً بعيداً لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان[١٧٠] ﴿وَرَاَ الْمُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوْا﴾ فأيقنوا[١٧١] ﴿اَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوْهَا﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٦٧) قوله "أعوان" إشارة إلى أن العضد مستعار للمعين، و أفرد لعمومه في سياق النفي، ولذا فسّره بالجمع (خفاجي) قوله: فوضع المضلين -الخ- ما ذُكر فيما سبق فالأصل الاكتفاء بإعادة الضمير له. فكان الأصل أن يقال: و ما كنت متخذهم عضدًا. والعدول عنه إلى (متخذ المضلّين) لتصريح صفة الإضلال للشياطين، و ذمّهم بهذا الوصف. وهذه الفائدة لا تحصل من الاكتفاء بالضمير.

(١٦٨) يوم نقول بنون الجمع قراء ة حمزه، و بياء الغيبة قراء ة غيره، معطوف على قوله (و إذ قلنا للملائكة) أي اذكر لهم أحوالهم و أحوال آلهتهم يوم نقول لهم ـــ وقول المصنف : ادعوا بصوت عال. إشارة إلى أن المراد أصل معنى النداء. قال الراغب: النداء رفع الصوت و ظهوره ثم ذكر استعماله في غير هذا المعنى حسب القرائن.

(١٦٩) أنهم فيكم الخ إظهار لمفعول زعمتم، و حرف الموصول مع صلته قائم مقام مفعوليه، و قوله ليمنعوكم ، بيان للمراد المفهوم من الأمر بالنداء حين اشتداد الحاجة، و مواجهة العذاب.

(١٧٠) في القاموس: وبق - كوعد، و وجل، و ورِث ــ وُبُوْقا، و مَوبِقا: هلك -كاستوبق - و كمجلس: المهلِك، والموعِد، والمحبِس، و وادٍ في جهنّم، وكل شيء حال بين شيئين. و أوبَقَه: حبسه أو أهلكه - اهـ - عدّ المفسرون الموبق بمعنى المهلك و بمعنى الوادي قولين، لكن المصنف رحمه الله جمعهما وقال : أي و جعلنا بينهم واديًا - و هو مكان الهلاك - مشتركًا يهلكون فيه جميعًا، و إذا كان مصدرًا ميميًّا بمعنى الهلاك فالمراد: جعلنا بينهم هلاكًا مشتركًا. هذا حين إرادة الجن من الشركاء. و إن كان المراد منه الملائكة و عزيرًا و عيسى عليهم السلام فالموبق بمعنى الحائل والبرزخ البعيد. والبعد مستفاد من تنكير موبقًا للتعظيم و على كلا المرادين "بينهم" مفعول ثان مع متعلّقه، و موبقًا مفعول أول لجعلنا، والجعل بمعنى التصيير، و إن أريد به معنى الفعل أو الإيجاد فموبقًا مفعوله، و بينهم ظرفه.

(١٧١) تفسير الظن بالعلم واليقين هنا رواه عبد الرزاق، وابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة كما في الدر المنثور و جامع البيان والظن قد يأتي بمعنى اليقين في كلام العرب كما قال دُرَيد بن الصِّمة:

فقلت لهم ظُنُّوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ
سَراتهم، في الفارسيِّ المسَرَّدِ -أي تيقّنوا (قرطبي)

وقال الرازي : الأقرب أن المعنى أن هولاء الكفار يرون النار من مكان بعيد، فيظنون أنهم مواقعوها في تلك الساعة من غير تأخير و مهلة، لشدة ما يسمعون من تغيظها و زفيرها، كما قال تعالى (إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوْا لَهَا تَغيظًا و زَفِيْرًا) - اهـ - و يؤيد هذا المعنى ما رواه ابن جرير =

مخالطوها واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا﴾ عن النار ﴿مَصْرِفًا﴾ معدلاً ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه(١٧٢) ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ تمييز أي أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء(١٧٣) ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي سببه(١٧٤) وهو الكتاب والرسول ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ «أن» الأولى نصب، والثانية رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك، أو انتظار أن يأتيهم العذاب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: إن الكافر يرى جهنم فيظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة. و رواه عنه الإمام أحمد و أبو يعلي، و ابن حبان، والحاكم و صحّحه، وابن مردويه أيضًا كما في الدر المنثور. قوله مخالطوها، واقعون فيها. معنى المخالطة ماخوذ من مفاعلة الوقوع لأنها تقتضيه، والمواقعة ملابَسةُ الشيء بشدّة. و قوله واقعون فيها بيان للمراد منه.

(١٧٢) اعلم أن أولئك الكفرة لما افتخروا على فقرآء المسلمين بكثرة أموالهم و أتباعهم، و بيّن تعالى بالوجوه الكثيرة أن قولهم فاسد، و شبهتهم فاسدة، و ذكر فيه المثلين المتقدّمين، قال بعده (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيْ هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) وهو إشارة إلى ما سبق. التصريف يقتضي التكرير، والأمر كذلك ، لأنه تعالى أجاب عن شبهتهم من وجوه كثيرة، و مع تلك الجوابات الشافية والأمثلة المطابقة لا يترك هؤلاء المجادلة الباطلة فقال: وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا. (مفاتيح الغيب)

و"**من**" في (مِنْ كُلِّ مَثَل) إمّا زائدة على رأي، أو تقديره مثلًامن كل مثل. ولما كان ظاهره يوهم أنه ذكر في القرآن مثلًا من جنس كل مثل أشار إلى تأويله بأن المراد ما يحتاجون إليه. والمثل بمعنى الشبه والنظير، ثم استعمل لقول غريب ورد في موضع ثم يورد في مواضع كثيرة تُشابِهُ الموضع الأول. ثم اتّسع فيه لكلّ حالة غريبة و صفة بديعة. والمراد هنا إمّا معناه المشهور، و قد مرّ من الأمثال مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا ـ أو كل نوع من أنواع المعاني البديعة الداعية إلى الإيمان، التي هي في الغرابة والحسن كالمثل، ليتلقّوه بالقبول، فلم يفعلوا.

(١٧٣) قوله:إن فصلتها واحدًا بعد واحد. إشارة إلى أن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى الجمع أريد التفضيل بالنسبة إلى الجماعة، و إذا أضيف إلى الواحد أريد التفضيل بالنسبة إلى كل واحد من الجماعة كما إذا قلت حامدٌ أحسن الرفقاء و أحسن رفيق لي، أردتّ في الأول بالنسبة إلى الجماعة و في الثاني بالنسبة إلى كل واحد منهم مفصّلا، و قوله خصومة و مماراة بالباطل بيانٌ لمعنى الجدل، و قوله يعني أن... الخ ـ إيضاح لمعنى التمييز فإن المنسوب إليه في الأصل هو التمييز كما إذا قلت أبوك أكثر مالًا، أردت أن ماله أكثر من مال غيره.

(١٧٤) و إطلاق المسبب على السبب مجاز مرسل، و هذا لأن أصل الهدى لم يحصل لهم. و يجوز أن يقال : أطلق الهدى على الهادي مبالغة كما في صوم و عدل. قوله: (أن الأولى) هي التي في "أن يومنوا"، و يستغفروا معطوف على يومنوا ـ و أن بصلتها تكون بمعنى المصدر (نصب) هذا على القول بأن المنع يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه، أو على القول بنزع الخافض. (وهو "مِنْ" في هذا المقام) و إفضاء الفعل إلى المجرور بنفسه كما هوعند الفراء و سيبويه، و حذف الجار قبل أن و أنّ مطرد، و بعد ذلك يقدر الخليل والكسائي (أنْ) مجرور المحل، والفراء و سيبويه منصوب الحل بنزع الخافض و إيصال الفعل بنفسه قوله (والثانية) هي التي في "أن تأتي" ويأتيَ معطوف على تأتي. (رفع) لأنها تكون فاعلَ منع مع مضافها المحذوف، وقد أوضح المصنف كل ذلك بما أظهر من تقدير الكلام.

أي عذاب الآخرة ﴿قُبُلًا﴾ كوفي أي أنواعاً جمع قبيل. الباقون (قِبَلاً) أي عياناً.[١٧٥] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ اِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ﴾ يوقف عليه ويستأنف بقوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِالْبَاطِلِ﴾ هو قولهم للرسل (مَا اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) [يس:١٥] و(لَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَاَنْزَلَ مَلٰئِكَةً) [المؤمنون: ٢٤] ونحو ذلك ﴿ لِيُدْحِضُوْا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة[١٧٦] ﴿وَاتَّخَذُوْٓا اٰيٰتِيْ ﴾ القرآن ﴿ وَمَآ اُنْذِرُوْا﴾ «ما» موصولة والراجع من الصلة محذوف أي وما أنذروه من العقاب، أو مصدرية أي وإنذارهم ﴿هُزُوًا﴾ موضع استهزاء[١٧٧]بسكون الزاي والهمزة:حمزة، وبإبدال الهمزة واوا: حفص، وبضم الزاي والهمزة: غيرهما. ﴿ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰيٰتِ رَبِّهٖ ﴾ بالقرآن ولذلك رجع الضمير إليها مذكراً في قوله أن «يفقهوه» ﴿فَاَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر[١٧٨]﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدٰهُ﴾ عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء. ثم علل[١٧٩]إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله: ﴿اِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اَكِنَّةً﴾

(١٧٥) قوله كوفي أي عند قراء الكوفة الثلاثة، الأخوان حمزة و على الكسائي و عاصم، قُبُلًا بضمتين جمع قبيل نحو سبل و سبيل، قِبَلًا بكسر ففتح عند الباقين أي نافع ، و ابن كثير، وأبي عمرو ، وابن عامر و كذا عند يعقوب من العشرة.

(١٧٦) أصل الدحض الزلَق يقال دَحَضت رِجله أي زلقت، تدحَض دَحْضًا (ف) و دحضت الشمس عن كبد السماء زالت، و دحضت حجته دُحُوضًا بطلت، و أدحضها اللّٰه أبطلها و مكان دَحْض: مزلّ مزلَق.

(١٧٧) فإن الهزء هو السخر، و إنّما جعلوه مهزوّا به أو موضع استهزاء لا الهزء نفسه لكن السائر الغالب في كلام العرب هو استعمال الهزء في نحو هذا المقام بالتأويل المذكور. أما القراء ات في هزوا فقال العلامة علي النوري الصفاقسي في كتابه غيث النفع في القراء ات السبع: قرأ حمزة بإسكان الزاي، والباقون بالضم. وحفص بالواو، والباقون بالهمز، إلّا أن حمزة في الوقف يبدلها واوًا كحفص، وله أيضًا نقل حركة الهمزة إلى الزاي و حذفها ـ اهـ (ص ٢٢٥) فالقراء ات خمس هكذا: (١) هُزُوًا ـ بضم الزاي، والواو ـ حفصٌ (٢) هُزْءًا ـ بإسكان الزاي، والهمزة ـ حمزةُ وصلًا (و خلف، في الحالين) (٣-٤) هُزْوًا ـ بإسكان الزاي، والواو ـ هُزًا ـ بنقل حركة الهمزة إلى الزاي، و حذفِ الهمزة ـ حمزةُ وقفًا (٥) هُزُءًا ـ بضم الزاي، والهمزة ـ الباقون ـــ الاختلاف الأول في الزاي، وهو الإسكان عند حمزة، والضم عند الباقين. والاختلاف الثاني في آخر الكلمة فهو واو عند حفص، و همزة عند الباقين وصلًا و وقفًا. و عند حمزة همزة وصلًا فقط و في الوقف عنده حالتان الواو كحفص، و نقل الفتح إلى الزاي و حذف الهمزة ــ فعند حمزة ثلاث قرائات، إحداها في الوصل، والباقيتان في الوقف ـ و عند حفص قراء ة واحدة، و عند الباقين قراء ة واحدة.

(١٧٨) بيان للمعنى المراد. وأصل أعرض : أظهر عرَضه أي ناحيته، و إذا قيل أعرض عنّي فمعناه ولّى مُبديًا عَرضه (مفردات) ثم يستعار لعدم القبول ، و كذا أبان المراد من نسيان الكفر و المعاصي، أنه لم يتفكر في عاقبتها، ولم ينظر في جزاء الأعمال، لأنه لم يتدبّر في القرآن، ولم يمتنع عن إنكار البعث والجزاء، فهو غافل عن عاقبة كفره، و عقاب ذنوبه.

(١٧٩) القول الآتي يفيد التعليل لأنّه جواب عن السوال عن العلة، و قوله مطبوع بمعنى مختوم على قلوبهم، و أن يفقهوه إمّا مفعول لما دلّ عليه الكلام ـ أي منعناهم أن يقفوا على كنهه، أو مفعول له أي =

أغطية جمع كنان وهو الغطاء ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلاً عن استماع الحق وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ من ومعناه[١٨٠] ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهُدٰى﴾ إلى الإيمان ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوٓا﴾ فلا يكون منهم اهتداء ألبتة ﴿إِذًا﴾ جزاء وجواب[١٨١] فدل على انتفاء اهتداءهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا أدعوهم حرصاً علي إسلامهم؟ فقيل: (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدٰى فَلَنْ يَهْتَدُوٓا إِذًا) ﴿أَبَدًا﴾ مدة التكليف كلها. ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُوْرُ﴾[١٨٢] البليغ المغفرة ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ الموصوف بالرحمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوْا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ أي ومن رحمته ترك مؤاخذته أهل مكة عاجلاً مع فرط عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بَلْ لَّهُمْ مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم بدر ﴿لَّنْ يَّجِدُوْا مِنْ دُوْنِهٖ مَوْئِلًا﴾ منجى ولا ملجأ يقال: وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه[١٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الْقُرٰى﴾ صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر ﴿أَهْلَكْنٰهُمْ﴾ أو (تلك القرى) نصب بإضمار «أهلكنا» على شريطة التفسير، والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لَمَّا ظَلَمُوْا﴾ مثل ظلم أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا﴾[١٨٤] وضربنا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= كراهة أن يفقهوه (أبو السعود) والمراد أنهم لما أعرضوا عن القرآن و أصروا على الكفر سلب الله عن قلوبهم استعداد فهم الحق، و عن آذانهم قوة استماعه، و جعل فيهما ختمًا و صممًا معنويًا.

(١٨٠) الضمائر ترجع إلى من في قوله ممّن ذُكّر الخ. والإفراد في ذكر، و أعرض، و نسي، و يداه، والجمع في قلوبهم، و يفقهوا، و آذانهم، فالإفراد موافقة للفظ من، و الجمع مراعاة لمعناه.

(١٨١) إذا جزاء و جواب ـ كذا في عامّة كتب النحو ـ و للنحاة فيه كلام ـ فقال الفارسي: إن المراد أنها تارة تكون كذا و تارةً كذا. فالأول نحو آتيك غدًا فتقول إذن أكرمك، والثاني نحو أن يقول آتيك غدًا فتقول إذنْ أظنك صادقا. إذ لا جزاء فيها هنا. وقال الدماميني في شرح التسهيل: الصواب أن يقال كونها جوابًا لا ينفك عنها، بخلاف الجزائية، فإنها قد تنفك عنها. و معنى كونها جوابًا أنها لا تقع إلّا في كلام يجاب به كلام آخر، إمّا محقّق و إمّا مقدّر. و معنى كونها جزاءً أنه يجازى بها أمر وقع. وليس المراد بالجواب والجزآء معناهما الاصطلاحي حتى يكونا بمعنى واحد. (إكليل) وقول المصنف : فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول ـ الخ ـ تفريع على كونها جوابًا. و تنبيه على أنها جواب لكلام مقدر، وهو قول الرسول مالي لا أدعوهم، والجواب مجموع الشرط والجزاء أي إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدًا ـ والمراد بالأبد مدّة التكليف لأن كل كافر يؤمن بعد الموت. وهذا الحكم لقوم معينين من الكفار علم الله أنهم يموتون مصرين على الكفر.

(١٨٢) ربك مبتدأ، الغفور خبره، و ذو الرحمة خبر بعد خبر، و غفور على زنة فعول للمبالغة و لذا فسّره بقوله البليغ المغفرة.

(١٨٣) و بابه ضرب، والمصدر و ألا ، ووئيلًا، ووؤُلًا على أوزان فَعل و فَعيل و فُعول كما في القاموس.

(١٨٤) القراء ات ـ (١) مَهْلَك ـ بفتح الميم واللام ـ شعبة (٢) مَهْلِك ـ بفتح الميم و كسر اللام ـ حفص (٣) مُهْلَك ـ بضم الميم و فتح اللام ـ الباقون ـ هلك. =

لإهلاكهم وقتاً معلوماً لايتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته.وبفتح الميم وكسر اللام: حفص،وبفتحهما: أبوبكر أي لوقت هلاكهم أو لهلاكهم والموعد وقت أو مصدر.

﴿وَإِذْ﴾واذكر إذ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾(١٨٥)هو يوشع بن نون.(١٨٦)وإنما قيل «فتاه» لأنه كان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال(١٨٧)وقد حذف الخبر لدلالة الحال

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= المجرد من س و ض ، و مهلك بفتح الميم اسم ظرف، أو مصدر ميمي، و بضم الميم أيضًا إمّا اسم ظرف من الإهلاك أو مصدر منه، فإن المصدر الميمي من غير الثلاثي المجرّد على وزن اسم الظرف منه قياسًا. والموعد أيضًا إمّا مصدر أو ظرف. و جاز في كل من المهلك ـ على القراء ات ـ والموعد هنا أن يكون زمانًا و مصدرًا، لكن إذا كان أحدهما زمانًا لا بد من جعل الآخر مصدرًا، لئلًا يكون للزمان زمان، و تفسير المصنف (ضربنا لإهلاكهم وقتًا معلومًا) إشارة إلى أن الأول مصدر، والثاني اسم زمان، ولم يعكسه لركاكته. وقال وقتًا معلومًا لأن الموعد لا يكون إلّا كذلك وإلا فاسم الزمان مبهم. (خفاجي) و حاصل الآيتين أنّ اللّه بليغ المغفرة صاحب الرحمة، يترك كثيرًا من أنواع العقاب التي لا تحصى، و يفيض الأرزاق والنعم مع كثرة الذنوب والمعاصي من العباد. و من آثار رحمته تركُ العذاب العاجل لكفرة الزمان، و ضربُ الأجل المعلوم لمؤاخذتهم، كما أمهل الكفرة السابقين مدة واسعة و ضرب لإهلاكهم وقتًا معلومًا حتى يتوبوا أو تلزمهم الحجة و يذهب العذر، فليحذر المخالفون، و ليرجعوا إلى الطاعة والإيمان عاجلًا ليأمنوا عذابه آجلًا.

(١٨٥) هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها اللّه تعالى في هذه السورة ، وهي أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلّم منه العلم. وهذا و إن كان كلامًا مستقلًا في نفسه إلّا أنه يعين على ما هو المقصود في القصّتين السابقتين. أمّا نفع هذه القصّة في الرد على الكفار المفتخرين فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه و عمله، و علوّ منصبه، و استجماع موجبات الشرف التام في حقّه ذهب إلى الخضر لطلب العلم، و تواضعَ له. و ذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر. و أمّا نفع هذه القصّة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكّة إن أخبركم محمد عن هذه القصّة فهو نبي وإلّا فلا. و هذا ليس بشيء، لأنه لا يلزم من كونه نبيًّا أن يكون عالمًا بجميع القصص والوقائع بدون إعلام من اللّه تعالى كما أنّ كون موسى عليه السلام نبيًّا صادقًا لم يلزم أن يعلم جميع العلوم، و أمره اللّه تعالى أن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه. فظهر مما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها و مع ذلك فهي نافعة في تقرير ما هو المقصود في القصتين المتقدمتين. (مفاتيح الغيب، بتلخيص و توضيح)

(١٨٦) كما هو ثابت في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما مرفوعًا. وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام. وقد نبّأه اللّه بعد موت موسى، و قاتل الجبارين، و هو الذي وقفت له الشمس. (جمل) والعرب تسمّى الخادم فتى، لأن الغالب استخدام من هو في سنّ الفتوة (خفاجي)

(١٨٧) قوله لا أزال ـ أوضح به أن لا أبرح فعل ناقص مع اسمه الذي هو ضمير المتكلم، ثم ذكر أن خبره محذوف، و أصل الكلام لا أزال أسير حتى أبلغ. فحذف الخبر وهو أسير، والحذف لا بد له من قرينة، فنبّه أن هنا قرينتين، حالية، و مقالية. أمّا الحال فهو أنه كان سائرًا في السفر فقوله لا أبرح يدلّ على أن المراد لا أبرح أسير. أمّا المقال فهو أن بعد ذلك حتى أبلغ ، وحتى للغاية، و الغاية تقتضي المغيا. فالغاية مذكورة و هي بلوغ مجمع البحرين، لكن المغيّا ليس بمذكور، فذكر الغاية =

والكلام عليه، أما الأولى فلأنها كانت حال سفر وأما الثاني فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لاأبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحر فارس والروم. وسمي خضراً لأنه أينما يصلي يخضر ما حوله ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ أو أسير زماناً طويلاً قيل ثمانون سنة.[١٨٨] رُوي أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط[١٨٩] سأل ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى،[١٩٠] فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= يدُلّ على أن المغيّا محذوف، ولا بد أن يكون مناسبًا للبلوغ، وهو السير. هذا توضيح كلامه: "و أمّا الثاني فلأن قوله حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة أي محدودة معينة، تستدعي أي تطلب و تقتضي شيئًا هي غاية أي حدّ و نهاية له. فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير الخ".

قوله: وهو المكان الذي الخ ـ كما في الحديث المرفوع عند البخاري وغيره، قوله: وهو ملتقى بحر فارس والروم. رواه عبد الرزاق ، وابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن قتادة، قوله: و سمّى خضرًا الخ رواه سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، وابن عساكر عن مجاهد. و أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما مرفوعًا: لأنه صلّى على فروة بيضآء فاهتزت خضرآء و أخرج البخاري و أحمد والترمذي وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه مرفوعًا: لأنه جلس على فروة بيضآء ، فإذا هي تهتزّ من خلفه خضرآء (الدر المنثور) الفَرْوَة هنا وجه الأرض، قاله الخطّابي وغيره(قرطبي) والخَضِر بفتح الخاء و كسر الضاد، والخِضْر بكسر الخاء و سكون الضاد (قاموس) و دخول اللام عليه للإشارة إلى الوصفية مثل الحسن والحسين. (إكليل)

(١٨٨) في القاموس: الحقب ـ بالضم، و بضمتين ـ ثمانون سنة أو أكثر، والدهر ، والسنة أو السنون ـ والجمع: أحقاب و أحقب. و روي ابن جرير تفسيره عن ابن عباس (دهرًا) و عن قتادة و ابن زيد (زمانًا) و عن عبد اللّٰه بن عمرو (ثمانين سنة) و عن مجاهد (سبعين خَرِيفًا) و حكي أنه في لغة قيس سنة و اختار تفسيره بقوله: أو أسير زمانًا و دهرًا، و هو واحد ، و يجمع كثيره و قليله أحقاب. (جامع البيان)

(١٨٩) من قوله لما ظهر ـ إلى هنا مأخوذ ممّا أخرجه ابن جرير و ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنه. قال ابن عطية: لم يُعرف أن موسى عليه الصلاة والسلام أنزل قومه مصر، ولا أراه يصح ـ و فيه نظر ـ (عناية القاضي)

(١٩٠) من قوله سأل ربه ـ إلى هنا فيما أخرجه ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم ، والخطيب، وابن عساكر من طريق هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما موقوفًا. و ما بعده ملخص مما رواه البخاري و مسلم و غيرهما بطرق و ألفاظ مختلفة (جمعها الإمام السيوطي في الدر المنثور) عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم.

قوله: الذي يبتغي الخ ـ ضمنه معنى يضم، أو تجوّز به عنه فلذا عدّاه بإلى. و قوله: عسى. ترجٍّ على لسان العبد. و قوله: عن رَدىً بفتح الراء و بابه سمع: الهلاك، والمراد عمّا يوقعه في الهلاك. و قوله كيف لي به أي كيف السبيل لي بلقائه ، أو كيف يتيسّر لي الظفر به. =

الصخرة قال: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال: وأنى بأرضنا السلام: فعرفه نفسه فقال: ياموسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ مجمع البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي نسي أحدهما وهو يوشع لأنه كان صاحب الزاد دليله (فإِنِّي نَسيت الحوت) وهو كقولهم: «نسوا زادهم» وإنما ينساه متعهد الزاد.[١٩١] قيل: كان الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحياة ونام موسى. فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووقعت في الماء ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ أي اتخذ طريقاً له من البر إلى البحر ﴿سَرَبًا﴾ نصب على المصدر[١٩٢] أي سرب فيه سرباً يعني دخل فيه واستربه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله[١٩٣] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ هي موضع الموعد ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ﴾ و بضم الهاء : حفص ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الهاء في «أنسانيه» أي و ما أنساني ذكره إلا الشيطان ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ و هو أن أثره بقي إلى حيث سار[١٩٤] ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلب. وبالياء: مكي،[١٩٥] وافقه

= و المكتل بكسر الميم و فتح التاء الفوقانية: الزنبيل كما في شرح البخاري (خفاجي) قوله:مسَجًّى بثوبه أي مغطًّى به و في رواية: تسجّى بثوبه أي تغطّى و تلفّف به، قوله:أنى بأرضنا السلام؟ أي السلام ليس بمعروف هنا. قوله:فعرفه نفسَه: من التفعيل أي أخبره بأني موسى بني إسرائيل.

(١٩١) فالنسيان وقع من واحد يحتفظ بالزاد و يتفقّده حالًا بعد حال، لكنه أسند إلى الجماعة، كذا هنا. قوله:رَوح الماء الروح بفتح الراء، الراحة ونسيم الريح.

(١٩٢) أي هو مفعول مطلق لفعله المقدر، وهو سَرَبَ من ن قال الراغب: السَّرَب الذهاب في حدور، والسّرَبُ المكان المنحدر. يقال سَرَبَ سَرَبًا و سُرُوبًا نحو مَرَّ مرًّا و مرورًا. (مفردات) والسرب من معانيه الطريق أيضًا (قاموس) قول المصنف:استربه من الافتعال أي اتّخذه سَرَبا و طريقًا.

(١٩٣) في الصحيحين وغيرهما مرفوعًا: فانطلقا بقيةَ يومهما و ليلتِهما حتى إذا كان من الغد قال ـ الخ. قوله: ولم يتعب ولا جاع الخ في ذلك الحديث: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، قوله: بدل من الهاء أي بدل الاشتمال ـ والبدل هو المقصود لذا فسّره بما يأتي.

(١٩٤) في الحديث المذكور: و أمسك الله عن الحوت جِرية الماء فصار عليه مثل الطاق. قال الخفاجي: و ليس المراد بالطاق الكوّة، بل البناء المقوّس كالقنطرة، فالسرب كالنفق. لا مقابله كما قيل. و قوله: عجبًا إمّا صفة لمصدر محذوف أي اتخاذًا عجبًا، أو هو ثاني مفعولي اتّخذ ـ والتقدير سبيلًا عجبا والمفعول الأول سبيله ـ و قيل فيه غير ذلك.

(١٩٥) نبغي بإثبات الياء قرأه ابن كثير المكّي وصلًا و وقفًا، و نبغِ بحذف الياء قرأه عاصم، و حمزة، و ابن=

أبو عمرو وعلي ومدني في الوصل، وبغير ياء فيهما: غيرهما اتباعاً لخط المصحف و «ذلك» إشارة إلى اتخاذه سبيلاً أي ذلك الذي كنا نطلب لأن ذهاب الحوت كان علماً على لقاء الخضر عليه السلام ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ اٰثَارِهِمَا﴾ فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه[١٩٦] ﴿قَصَصًا﴾ يقصان قصصاً أي يتبعان آثارهما اتباعاً. قال الزجاج: القصص اتباع الأثر ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ أي الخضر راقداً تحت ثوب أو جالساً في البحر[١٩٧] ﴿اٰتَيْنٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ هي الوحي والنبوة أو العلم أو طول الحياة[١٩٨] ﴿وَعَلَّمْنٰهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ يعني الإخبار بالغيوب. وقيل: العلم اللدني ما حصل للعبد بطريق الإلهام. ﴿قَالَ لَهٗ مُوْسٰى[١٩٩] هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلٰٓى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أي علماً ذا رشد أرشد به[٢٠٠] في ديني (رشَدا) أبو عمرو وهما لغتان كالبخل والبخل، وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان

= عامر الشامي وصلًا و وقفًا، والقراء الثلاثة ـ أبوعمرو البصري، و علي الكسائي، و نافع المدني وافقوا المكي وصلًا ، و وافقوا الثلاثة وقفًا، أي قرأوا بإثبات الياء وصلًا، و بحذف الياء وقفًا. كذا أبو جعفر من العشرة بالياء وصلًا، و بغيرها وقفًا، و يعقوب من العشرة وافق المكي وصلًا و وقفًا.

في حاشية الشيخ سليمان الجمل على الجلالين نقلًا عن السمين: كان من حقّها (أي الياء) الثبوت، و إنما حذفت تشبيهًا بالفواصل. أو لأن الحذف يأنس بالحذف، فإن ما موصولة حذف عائدها. اه. أي أصل الكلام "ما نبغيه" فحذفت الهاء العائدة، ثم الياء. قال أبو البقاء: و سهّل ذلك أن الياء لا تُضَمّ ههنا ـ اهـ ـ

(١٩٦) الرجوع معنى الارتداد، و قوله في الطريق الذي الخ ـ مأخوذ من قوله تعالى على آثارهما. قال الراغب: أَثَر الشيء: حصولُ ما يدلّ على وجوده، والجمع الآثار، و من هذا يقال للطريق المستدَلّ به على من تقدمّ آثارٌ ـ اه ـ و جاء تفسير الآثار في قوله (و نكتب ما قدموا و آثارهم ـ يس ١٢) خُطاهم بأرجلهم. و قول المصنف يقصّان قصصًا يشير إلى أن قصصًا مفعول مطلق للفعل المقدر ، والجملة حال. قال القرطبي: فرجعا يقصّان آثارهما لئلّا يخطئا طريقهما ـ اهـ ـ

(١٩٧) إشارة إلى اختلاف الروايات فقد أخرج عبد بن حميد بطريق ابن المبارك عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان قال رأى موسى الخضر على طنفسة خضراء على وجه الماء، ولفظ البخاري عن عثمان: على طنفسة خضرآء على كبد البحر، و روى ابن أبي حاتم أنه وجده في جزيرة البحر و في رواية عند البخاري : قال سعيد بن جبير مسجًّى بثوبه، قد جعل طرفه تحت رجليه، و طرفه تحت رأسه فسلّم عليه موسى فكشف عن وجهه ـ اه ـ طنفسة فرش صغير أو بساط له خمل، و في القاموس: الطنفسة مثلثة الطاء و الفاء و بكسر الطاء و فتح الفاء، و بالعكس ، واحدة الطنافس للبسط والثياب والحصير من سَعَف عرضه ذراع ـ اهـ ـ

(١٩٨) الأوّل قول الجمهور و أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس، وما بعده من ذكر العلم يقتضي أن يكون المراد بالرحمة شيئًا غير العلم.

(١٩٩) استئناف مبني على سؤال نشأ من السباق. كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى.

(٢٠٠) يعني أن نصبه لكونه صفة لثاني مفعولي تعلمني، وهو قائم مقام المفعول، وصف به مبالغة، و مفعول عُلّمتَ الضمير المحذوف العائد إلى ما الموصولة، و كلاهما مأخوذان من عَلِم الذي له مفعول واحد، و بعد النقل إلى التفعيل صارا متعديين إلى مفعولين. و يجوز أن يكون (رشدا) مفعولًا له لأتبعك، أو مفعولًا مطلقا بإضمار (أرشدُ) والجملة استئنافية (بيضاوي و خفاجي) رَشَدًا بفتحتين قرأه أبو عمرو البصري و كذا يعقوب البصري من العشرة، والباقون بضم الراء، وسكون الشين. قوله: و فيه دليل الخ فإن سيدنا موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، و هو مع علوّ منصبه، و وفور علمه سافر=

قد بلغ نهايته وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.﴿ قَالَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيْعَ مَعِيَ ﴾ وبفتح الياء: حفص، وكذا ما بعده في هذه السورة ﴿صَبْرًا﴾ أي عن الإنكار والسؤال(٢٠١) ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰى مَا لَمْ تُحِطْ بِهٖ خُبْرًا﴾ تمييز، نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك أن يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبياً(٢٠٢) ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيْٓ اِنْ شَآءَ اللّٰهُ صَابِرًا﴾ من الصابرين عن الإنكار والإعراض ﴿وَّلَآ اَعْصِيْ لَكَ اَمْرًا﴾في محل النصب عطف على(صابراً) أي ستجدني صابراً وغير عاص، أو هو عطف على (ستجدني) ولا محل له ﴿ قَالَ فَاِنِ اتَّبَعْتَنِيْ فَلَا تَسْـَٔلْنِيْ﴾بفتح اللام وتشديد النون: مدني وشامي، وبسكون اللام وتخفيف النون: غيرهما، والياء ثابتة فيهما إجماعاً(٢٠٣) ﴿عَنْ شَيْءٍ حَتّٰٓى اُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولاتراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك،(٢٠٤) وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع. ﴿ فَانْطَلَقَا حَتّٰٓى اِذَا رَكِبَا فِي السَّفِيْنَةِ خَرَقَهَا﴾ فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال أهلها: هما من اللصوص، وقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء فحملوهما بغير نول، فلما لجحوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق

= لطلب العلم، و سأل الخضر أن يعلمه، فإذا كان هذا هَدْي مثل هذا الرسول العظيم، فما أجدر غيره من الخلق أن يجهد في سبيل جمع العلم و طلبه. و أنه عليه السلام تواضع للخضر غاية التواضع حيث عرض عليه مطلوبه بطريق السؤال، و جعل نفسه تابعًا و متعلّمًا، و إيّاه متبوعًا و معلّمًا و لم يقل علّمني صراحة.

(٢٠١) الصبر هو الحبس والإمساك، و يتعدى بعن و على، فالصبر عن شيء حبس النفس و منعها عنه أي الإمساك و الامتناع عنه. و الصبر على شيء حبس النفس عليه، أي الثّبات، والقرار عليه. كذا فهمت من الاستعمال و كتب اللغة، والبسطُ فيها.

(٢٠٢) قوله: تمييز، يرفع الإبهام في نسبة الإحاطة إلى المخاطب، أي لم يحط به خبرك. و خبر يخبر من باب نصر و علم معناه عرف. قوله: نفى استطاعة الصبر الخ. من وجوه التأكيد تصدير الكلام بانّ ، و إيراد لن، و إدخالها على الاستطاعة دون نفس الصبر، و تنكير صبرًا في سياق النفي أي شيئًا من الصبر. قوله يتولّى أمورًا، أي يباشرها و يقوم بها. مناكير أي منكرات. لايتمالك أن يجزع. أي لا يقدر على نفسه، ولا يستطيع منعها من الجزع و فقد الصبر.

(٢٠٣) بفتح اللام و نون التأكيد الثقيلة قرأ نافع و أبو جعفر المدنيان، وابن عامر الشامي، والأصل (لا تسألنّ ني) حذفت نون الوقاية لاجتماع النونات، و كسرت الشديدة للياء، و بسكون اللام و تخفيف النون قرأ غيرهم على أن النون للوقاية. (إكليل)

(٢٠٤) هذه عبارة الكشاف سوى بعض اللفظ، قوله فمن شرط اتباعك خبر مقدم، أنك مبتدأ مؤخّر، و خبر أن جملة إذا رأيت و جزاء إذا محذوف، و قوله أن لا تفاتحني بدل من أنك ، وهو المقصود، أي من شرط الاتباع عدم المفاتحة أي عدم الابتداء بالسؤال، و عدم المراجعة فيه أي في ذلك الشيء. حتى أكون أنا الفاتح أي المبتدئ بالذكر والبيان.

بثيابه[٢٠٥] ثم ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ «ليَغرق»حمزة وعلي من غرق[٢٠٦]﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾أتيت شيئاً عظيماً من أمر الأمر إذا عظم. ﴿قَالَ﴾ أي الخضر ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فلما رأى موسى أن الخرق لا يدخله الماء ولم يفر من السفينة ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني[٢٠٧]أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي،أو أراد بالنسيان الترك أي لاتؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة[٢٠٨]﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولاتغشني عسراً من أمري وهو اتباعه إياه أي ولا تعسر عليَّ متابعتك ويسرها عليَّ بالإغضاء وترك المناقشة[٢٠٩] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ قيل: ضرب برأسه الحائط. وقيل: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.[٢١٠] وإنما قال: «فقتله» بالفاء وقال: «خرقها» بغير فاء، لأن «خرقها» جعل جزاء للشرط وجعل «قتله»من جملة الشرط معطوفاً عليه والجزاء ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام[٢١١] ﴿زَكِيَّةً﴾ «زاكية»

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٠٥) في إحدى روايات البخاري. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلمّا ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلّا والخضر قد قلع لوحًامن ألواح السفينة بالقَدُوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول (أي أجرة.) عمدتَّ إلى سفينتهم فخرقتها ـ و في رواية له: فخرقها، و وتّد فيها وتِدًا، و في رواية عند عبد بن حميد و غيره: أخرج (أي الخضر) منقارًا له و مطرقة ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحًا فطبقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها (الدر المنثور، و ابن جرير) قوله : فلمّا لجّجوا أي ركبوا اللُّجَّة، و لُجة البحر حيث لا يدرك قَعره، (إكليل من لسان العرب) قوله: مما يلي الماء أي ما يقرب و يتصل بالماء.

(٢٠٦) ليغرق بالياء مفتوحة، و فتح الراء، ورفع لام أهلُها حمزة وعلي من غرق كسمع، والباقون بالتاء مضمومة و كسر الراء من الإغراق، و نصب لام أهلها (إكليل) قوله: من أمر الأمر بابه سمع ـ قوله لم يفر على زنة لم يقل من فار يَفُور فَوَرانًا و فَوْرًا و فُؤُرًا. جاش، و نبع (قاموس)

(٢٠٧) أي يجوز أن تكون ما موصولة،أو موصوفة، أو مصدرية.

(٢٠٨) لكن عند البخاري وغيره بسند صحيح عن أبي بن كعب عن النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلم: كانت الأولى نسيانًا، والوسطى شرطًا، و الثالثة عمدًا ـ اهـ ـ

(٢٠٩) رهقه بابه طرب، و أرهقه عسرًا: كلّفه إيّاه، و الإغضاء في الأصل تقريب الجفنين، يلزمه عدم النظر إلى بعض الأشياء، فاستعمل بمعنى الحلم و ترك المؤاخذة.

(٢١٠) في البخاري: قال يعلى قال سعيد: وجد غلمانًا يلعبون فأخذ غلامًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، و في الصحيحين والترمذي: فأخذ الخضر رأسه بيده، فاقتلعه بيده فقتله و روى ابن جرير أن الخضر مرّ بغلمان يلعبون فأخذ بيده غلامًا ليس فيهم أضوء منه، و أخذ حجرًا فضرب به رأسه حتى دَمَغه فقتله: قال القرطبي: ولا اختلاف بين هذه الأحوال الثلاثة، فإنه يحتمل أن يكون دَمَغه أوّلا بالحجر، ثم أضجعه فذبحه، ثم اقتلع رأسه. واللّه أعلم بماكان من ذلك ـ اهـ ـ

(٢١١) يَرِدُ عليه أن الحديث الصحيح خير شاهد على أن الخرق تعقب الركوب فقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعًا: فلمّا ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلّا والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدتَّ إلى=

حجازي و أبوعمرو [٢١٢] و هي الطاهرة من الذنوب ، إما لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت أو لأنها صغيرة لم يبلغ الحنث ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي لم تقتل نفساً فيقتص منها. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالـمُ موسى فلك أن تقتل. [٢١٣] ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ وبضم الكاف حيث كان: مدني وأبوبكر [٢١٤] وهو المنكر. وقيل: النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= سفينتهم فخرقتها ـ الخ ـ وقال البيضاوي في وجه تغير النظم: و لعلّ تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاءً، واعتراض موسى عليه السلام مستانفًا، و في الثانية قتْلَه من جملة الشرط، واعتراضَه جزاءً، لأن القتل أقبح ، والاعتراض عليه أدخل، فكان جديرًا بأن يجعل عمدة الكلام ـ و ذكر أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وجهًا آخر، حاصله أن الخضر عليه السلام أكّد نفي الصبر عن موسى، وعلّله بأنه يرتكب أمورًا غريبةً لا يتمالك الرجل الصالح معها الصبر فالسامع تشوقت نفسه إلى علم ما يرتكب من الغرائب فاعتنى به التنزيل و قصّ أنهما لما ركبا في السفينة خرقها الخضر، مع أن الإنسان يهتمّ بصيانة مثلها إذا ركبها و ذكر بعد ذلك اعتراض موسى عليه السلام ثم جواب الخضر و وعْد موسى المؤكّد، فالسامع تحقق عنده أن الخضر لا محيد له عن ارتكاب الغرائب والخوارق لكن نشأ ترقبه وانصرفت نفسه إلى أن موسى هل يثبت على وعده أم يفقد صبره، فاهتم التنزيل ببيان حال موسى عليه السلام بأن جعل ما وقع منه عمدة و جزاء، و ما وقع من الخضر وضعه بموضع ما يجري عادة و جعله جزء من الشرط فقال : فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قال أقتلت نفسًا زكيّة بغير نفس ـ الآية ـ

(٢١٢) زاكية بالألف بعد الزاي، و تخفيف الياء اسم فاعل حجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي ابن كثير المكي، و نافع المدني، و كذا أبو جعفر المدني ـ وليس من السبعة بل هو من العشرة ـ و أبو عمرو البصري ـ والباقون بتشديد الياء من غير ألف (إكليل) قال القرطبي: اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغًا أم لا ؟ فقال الكلبي: كان بالغًا يقطع الطريق بين قريتين ، وقال الجمهور لم يكن بالغًا ـ اهـ ـ و قد جاء فيما رواه عبد بن حميد، و عنه ابن جرير عن أبي بن كعب مرفوعًا: صغير لا ذنب له. و في كتاب العرائس للثعلبي: إن موسى لما قال للخضر: أقتلت نفسا زكية ـ الآية ـ غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر، و قشر اللحم عنه، وإذا في عظم كتفه مكتوب: كافر لا يؤمن بالله أبدًا (قرطبي) و أخرج مسلم و أبو داؤد و الترمذي و عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه عن أبي بن كعب عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا، ولو أدرك لأرهق أبويه طغيانًا و كفرًا. (الدر المنثور)

قوله: فيقتصّ منه أورد عليه أن الصبي لا قصاص عليه. و أجاب عنه الكرماني في شرح البخاري بأن المراد التنبيه على أنه قتله بغير حق ـ أو أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي ـ اهـ ـ وقد نقل المحدّثون كالبيهقي أنه كان في شرعنا كذلك قبل الهجرة ـ وقال السبكي : قبل أحد ـــ ثم نسخ، و على هذا بنى المصنف رحمه الله قوله فيقتصّ منه (شهاب)

(٢١٣) روى نحوه أبو يعلى (ابن حجر) و رواه الإمام أحمد عن عطاء عن ابن عباس مختصرًا، و أخرج ابن أبي شيبة عن يزيد بن جرير بمعناه مفصّلا (الدر المنثور) قوله: نجدة الحروري: أي نَجُدة بن عامر الحَروري الحنفي اهـ لسان العرب، و أيضا فيه: حَرُوْراء موضع بظاهر الكوفة يُنسب إليه الحرورية من الخوارج. لأنه كان أول اجتماعهم بها و تحكيمهم حين خالفوا عليًّا رضي الله تعالى عنه. (إكليل)

(٢١٤) نكرا بضمتين ـ نافع المدني، و أبو جعفر المدني من العشرة و كذا يعقوب البصري و شعبة عن عاصم، و ابن ذكوان عن ابن عامر و نُكرًا بضم فسكون ـ الباقون.

أهون من إغراق أهل السفينة، أو معناه جئت شيئاً أنكر من الأول لأن الخرق يمكن تداركه بالسد ولا يمكن تدارك القتل.

﴿ قَالَ اَلَمۡ اَقُلۡ لَّكَ اِنَّكَ لَنۡ تَسۡتَطِيۡعَ مَعِيَ صَبۡرًا۝٧٥ ﴾ زاد ﴿لك﴾ هنا لأن النكر فيه أكثر ﴿ قَالَ اِنۡ سَاَلۡتُكَ عَنۡ شَيۡءٍۭ بَعۡدَهَا﴾ بعد هذه الكرة أو المسألة ﴿ فَلَا تُصٰحِبۡنِيۡ ۚ قَدۡ بَلَغۡتَ مِنۡ لَّدُنِّيۡ عُذۡرًا۝٧٦ ﴾ أعذرت فيما بيني وبينك في الفراق. و (لدني) بتخفيف النون: مدني وأبو بكر.[٢١٥] ﴿ فَانۡطَلَقَا ۗ حَتّٰۤى اِذَاۤ اَتَيَاۤ اَهۡلَ قَرۡيَةِ ﴾ هي أنطاكية أو الأبلة وهي أبعد أرض الله من السماء[٢١٦] ﴿اِسۡتَطۡعَمَاۤ اَهۡلَهَا﴾ استضافا[٢١٧] ﴿ فَاَبَوۡا اَنۡ يُّضَيِّفُوۡهُمَا﴾ ضيفه أنزله وجعله ضيفه قال عليه السلام:"كانوا أهل قرية لئاماً" وقيل: شر القرى التي تبخل بالقرى ﴿فَوَجَدَا فِيۡهَا﴾ في القرية ﴿جِدَارًا﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢١٥) لَدُني ـ بضم الدال و كسر النون مع التخفيف نافع ، وأبو جعفر المدنيان، و لَدْني بإسكان الدال مع إشمامها الضم شعبة، و له وجه آخر وهو اختلاس ضمة الدال. لدُنّي بضم الدال و تشديد النون مع الكسر، الباقون.

وأخرج ابن أبي شيبة، و أبو دواد، والترمذي، والنسائي، والحاكم ـ و صحّحه ـ و ابن مردويه، أن النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال: رحمة اللّٰه علينا وعلى موسى ــ فبدأ بنفسه ــ لو كان صبر لقصّ علينا من خبره، ولكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني (الدر المنثور) وروى ابن جرير بطريق حمزة الزيّات عن أبي إسحٰق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: كان النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة اللّٰه علينا و على موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب و لكنه قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرًا ــ مثقلة ــ اه أي بتشديد النون (جامع البيان للطبري) و رواه بهذا الطريق أبو داؤد، والنسائي، وابن حبّان و أصله في مسلم (الكافي الشاف للإمام ابن حجر العسقلاني)

(٢١٦) وهنا أقوال أخر، قال ابن حجر في شرح البخاري: الخلاف هنا كالخلاف في مجمع البحرين، ولا يوثق بشيء منه ـ اه ـ أنطاكية أخرجه ابن أبي حاتم بطريق قتادة عن ابن عباس : قال هي أبرقة، قال وحدثني رجل أنها أنطاكية، وأخرج عن محمد بن سيرين قال: أتيا الأبلّة وهي أبعد أرض اللّٰه من السماء ـ اه ـ إنطاكية ـ بالفتح والكسر، وسكون النون، وكسر الكاف، وفتح الياء المخففة ـ قاعدة العواصم، وهي ذات أعين و سُور عظيم من صخر، داخله خمسة أجبل، دَورها اثنا عشر ميلًا. أُبُلّة كعُتُلَّة موضع بالبصرة أحد جِنان الدنيا. (قاموس)

(٢١٧) أي طلبا الضيافة فسره به لما يدل عليه قوله فأبوا أن يضيفوهما. قوله عليه السلام في أهل القرية أخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن أبي إسحٰق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ عن النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم في قوله تعالى فأبوا أن يضيفوهما قال: كانوا أهل قرية لئامًا، وهو في مسلم بلفظ: فانطلقا حتى أتيا أهل قرية لئامًا. (تخريج أحاديث الكشاف للعلّامة ابن حجر) قوله: شرّ القرى بضم القاف جمع قرية بالقرى بكسر القاف. قرى يقري (ض) قِرىً و قَراءً الضيفَ: أضافَه والقِرى ما يقدم للضيف، أيضًا، وفي صحيح البخاري عن عقبة بن عامر رضي اللّٰه تعالى عنه قال قلنا للنبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم: إنك تبعثنا فنـنزل بقوم لايَقْرُوْنَنَا فما ترى فيه؟ فقال لنا: إن نزلتم بقوم فأُمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف (كتاب المظالم. باب قصاص المظلوم إذا وجد ماله)

ظاهر هذا الحديث أن قِرى الضيف واجب، و أن المنزول عليه لو امتنع من الضيافة أخذت منه قهرًا. و إليه ذهب الليث مطلقًا، و خصه أحمد بأهل البوادي دون القرى. و قال الجمهور : الضيافة سنة مؤكدة و ليست بواجبة. و أجابوا=

طوله مائة ذراع ﴿يُّرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ﴾ يكاد يسقط استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك(٢١٨) ﴿فَاَقَامَهٗ﴾ بيده أو مسحه بيده فقام واستوى، أو نقضه وبناه.و كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسياً، فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رآى من الحرمان ومساس الحاجة أن ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا﴾ أي لطلبت على عملك جعلا حتى تستدفع به

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عن حديث الباب بأجوبة: أحدها حمله على المضطرين. و ثانيها أن ذلك كان في أول الإسلام، و كانت المواساة واجبة فلما فتحت الفتوح نسخ ذلك. و يدل على نسخه قوله عليه السلام في حديث أبي شريح عند مسلم في حق الضيف "و جائزته يوم و ليلة" و الجائزة تفضل، لا واجبة. و ثالثها أنه مخصوص بالعمال المبعوثين بقبض الصدقات من جهة الإمام و كان على المبعوث إليهم إنزالهم في مقابلة عملهم الذي يتولّونه لأنه لا قيام لهم إلّا بذلك. (حاشية البخاري عن الفتح والعمدة والكرماني) والحاصل أن النزيل إذا لم يجد بدًّا حلّ له السوال، و وجب على المنزول عليه قِراه. و كان حال موسى والخضر عليهما السلام حال اضطرار، و لذا طلبا الضيافة، و ذُمّ أهل القرية بعدم الإجابة.

قوله: طوله مأة ذراع، قال وهب بن منبه : طوله مأة ذراع في السماء (قرطبي)

(٢١٨) قوله للمداناة والمشارفة، المداناة من المفاعلة مجردها من الدنو بمعنى المقاربة وكذا المشارفة، قال القرطبي: أي قرب أن يسقط، وهذا مجاز و توسع وقد فسّره في الحديث بقوله "مائل" فكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن، وهو مذهب الجمهور ـ وجميع الأفعال التي حقّها أن تكون للحيّ الناطق متى أسندت إلى جماد أو بهيمة فإنّما هي استعارة، أي لو كان مكانهما إنسان لكان ممتثلًا لذلك الفعل، وهذا في كلام العرب و أشعارها كثير فمن ذلك قول الأعشى:

أ تنتهون ولا ينهىٰ ذوي شطَطَ
كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُل

فأضاف النهي إلى الطعن. (الشطط: الجور والظلم، يقول لا ينهى الظالم عن ظلمه إلّا الطعنُ الجائف الذي يغيب فيه الفُتُل) ومن قول الآخر:

يُريد الرمحُ صدرَ أَبي بَراء ❖ ويرغب عن دماء بني عَقيل

و قال آخر: (حسان بن ثابت)

إن دهرًا يلُفّ شَملي بجُمْل ❖ لزمانٌ يهُمّ بالإحسان

(جمل بضم الجيم وسكون الميم اسم امرأة) وقال آخر:

في مهمهٍ فُلِقَتْ بها هاماتُها❖ فلقَ الفؤس إذا أَرِدْنَ نُصولًا

أي ثبوتًا في الأرض، من قولهم نَصلَ السيفُ إذا ثبت في الرميّة، فشبّه وقع السيوف على رؤسهم بوقع الفؤس في الأرض ـ الخ ـ

قوله فأقامه بيده ـ كما في رواية البخاري بطريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب مرفوعًا ـ أو مسحه بيده فقام و استوى ـ كما في روايته بطريق ابن جريج عن يعلى عن سعيد ـ أو نقضه و بناه ـ كما رواه ابن جرير عن ابن عباس أنه قال: هدمه ثم قعد يبنيه ـ اه ـ قال القرطبي: قال سعيد بن جبير مسحه بيده و أقامه فقام، وهذا القول هو الصحيح وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل والأولياء. و في بعض الأخبار: إن سُمُك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعًا بذراع ذلك القرن، و طوله على وجه الأرض خمس مأة ذراع، و عرضه خمسون ذراعًا فأقامه الخضر عليه السلام أي سوّاه بيده فاستقام. قاله الثعلبي في كتاب العرائس ـ اه ـ قال الشهاب: و عدم استحقاق الأجر مع حصول الغرض غير مسلّم، ولا يضرّه سهولته على الفاعل ـ اه ـ

قوله لزّتهما الحاجة الخ : لزّ (ن) لزًّا ولزَزا و لَزَازا، الشيءَ بالشيء: شدّه و ألصقه به، والشيءُ بالشيء: لصق، ولزه إلى كذا: اضطره إليه ـأي ألجأهما الاحتياج إلى السؤال ، قوله جُعلا: أي أجرة.

الضرورة. «لتخذت»[٢١٩] بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال: بصري، وبإظهارها: مكي، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإظهار الذال: حفص، وبتشديد التاء وفتح الخاء وإدغام الذال في التاء: غيرهم. والتاء في «تخذ» أصل كما في «تبع»، و«اتخذ» افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء.

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل هذا فراق بيني وبينك، وقد قرىء به فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ ﴾[٢٢٠] ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر[٢٢١] ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ ﴾ أمامهم أو خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندي ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ ﴾ أي يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها غصباً وإن كانت معيبة تركها، وهو مصدر أو مفعول له.[٢٢٢] فإن قلت: قوله:(فأردت أن أعيبها) مسبب عن خوف الغصب

(٢١٩) في غيث النفع: قرأ المكي والبصري بتخفيف التاء الأولى، وكسر الخاء من غير ألف وصل، والباقون بألف وصل و تشديد التاء، و فتح الخاء. ولم يدغم الذالَ في التاء المكيُّ و حفص، و أدغمه الباقون ـ اهـ ـ فالقراء ات أربع (١) لَتَخِذْتَّ ـ البصري (٢) لَتَخِذْتَ ـ المكي (٣) لَتَّخَذْتَ ـ حفص (٤) لَتَّخَذْتَّ ـ الباقون

قوله: والتاء في تخذ أصل ـ الخ ـ هذا عند البصريين. و من خالفهم فيه يقول: المدة العارضة تبدل تاء أيضًا، و لكثرة استعماله هنا أجروه مجرى الأصلي، و قالوا: "تخذ" ثلاثيًا جريًا عليه. (خفاجي)

قوله: والأصل هذا فراقٌ وقد قرئ به أي في الشواذ، قرأه ابن أبي عبلة كما في الكشاف.

(٢٢٠) التاويل: رجع الشيء إلى مآله ، و المراد به ههنا المآل والعاقبة، إذ هو المنبَّأ به، دون التأويل، وهو ـ أي المآل ـ خلاص السفينة من اليد العادية، وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن، و استخراج اليتيمين للكنز (أبو السعود)

قوله: فكانت لمساكين: قد قيل إنهم كانوا تجّارًا، ولكن من حيث هم مسافرون على قَلَتٍ (أي على شرف هلاك أو خوف) في لُجّة بحر، و بحال ضعف عن مدافعة خطب عُبّر عنهم بمساكين، إذ هم في حالة يُشفق عليهم بسببها، وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة أو خطبٍ : مسكينٌ. (قرطبي)

(٢٢١) نسبه القرطبي إلى كعب الأحبار وغيره، **قوله**: أجعلها ذات عيب عاب الشيء بمعنى نسبه إلى العيب و منه الحديث "ما عاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طعامًا قطّ" و بمعنى صيّره ذا عيب و منه هذه الآية. **قوله**: أمامهم: يؤيده ما في البخاري وغيره أن ابن عباس قرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا. **قوله**: وهو جلندي قاله السهيلي وهو بضم الجيم، و فتح اللام، و سكون النون، و فتح الدال المهملة ثم ألف مقصورة (خفاجي) واسم أبيه كركر على وزن مَرمَر. و روى ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك الملك هُدَد بن بُدَد، وهو في رواية البخاري، وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن إسحق، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة (ابن كثير)

(٢٢٢) **قوله**: وهو مصدر أو مفعول له : أي غصبًا مفعول مطلق لقوله يأخذ لأن الغصب نوع من الأخذ، أو مفعول له بيان لعلة الأخذ.

عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب.قلت:المرادبه التأخير وإنما قدم للعناية.

﴿ وَأَمَّا الْغُلٰمُ ﴾وكان اسمه الحسين(٢٢٣)﴿ فَكَانَ أَبَوٰهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَّكُفْرًا ﴾ فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وهو من كلام الخضر. وإنما خشي الخضر منه ذلك لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وإن كان من قول الله تعالى، فمعنى (فخشينا) فعلمنا إن عاش أن يصير سبباً لكفر والديه ﴿فَأَرَدْنَآ أَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ (يبدّلهما ربهما) مدني وأبو عمرو(٢٢٥) ﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكٰوةً ﴾ طهارة ونقاء من الذنوب ﴿وَّأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ رحمة وعطفا، و (زكاة) و (رحما) تمييز. روي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبياً أو سبعين نبياً أو أبدلهما ابناً مؤمناً مثلهما (رُحُما) شامي وهما لغتان ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلٰمَيْنِ﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: قدم للعناية، أي للاهتمام ببيان أني ما أردت إلّا جعلها مَعيبة، لا خرقَها لإغراق أهلها كما أنكرتَ عليّ بنسبته إليّ.

(٢٢٣) **قوله**: اسمه الحسين، كذا في الكشاف، و في البخاري: اسمه جَيْسُور، قال القرطبي: و هكذا قيدناه في الجامع (أي جامع البخاري) من رواية يزيد المَرْوزيّ، و في غير هذه الرواية حَيسور، بالحاء، و عندي في حاشية الكتاب رواية ثالثة: وهي حيسون ـ اه ـ و فيما عندي من نسخة صحيح البخاري: رواية رابعة جَنسور ـ بالجيم والنون. محمد أحمد المصباحي.

(٢٢٤) أرهقه الأمر:كلّفه إيّاه، وحمّله ذلك. وذكر المصنف لإرهاقهما الطغيانَ و الكفر معنيين، المعنى الأول راجع إلى أن الكفر بمعنى كفران النعمة، وفاعل الطغيان والكفران ذلك الولد، فحصل أنّا خشينا أن يحمّل الولد طغيانه و كفرانه والديه، ويوقعهما في الشر والبلاء. والمعنى الثاني راجع إلى أن الكفر بمعنى الإنكار وجحود الحق، و فاعل الطغيان والكفر ذانك الوالدان، فحصل أنا خشينا أن يوقعهما الولد فيالكفر والطغيان، و يجعل داء ه متعديًّا إليهما. فيصيرا مرتدّين بسببه.

قوله: وهو من كلام الخضر ـ الخ ـ وهو الذي يشهد له سياق الكلام، وهو قول كثير من المفسرين (قرطبي) أما احتمال أن يكون من كلام الله فمرجعه إلى ما ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره قائلًا: وهي في مصحف عبد الله بن مسعود فخاف ربّك أن يرهقهما طغيانًا و كفرا. ثم قال: والخشية والخوف تُوَجّههما العرب إلى معنى الظن، و توجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء و كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله خشينا في هذا الموضع كرهنا لأن الله لا يخشى. اه.

(٢٢٥) قرأ أبو عمرو البصري و نافع من السبعة و أبو جعفر المدني من العشرة من التبديل، والباقون من الإبدال، و الفعل مضارع معروف على القراء تين ـ

قوله: رحمًا بضمتين قرأه ابن عامر الشامي، و بضم فسكون، قرأه الباقون. قال القرطبي: و عن ابن جبير و ابن جُريج أنهما بُدِّلا جارية، قال الكلبي فتزوّجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيًّا، فهدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم. قال قتادة: ولدت اثني عشر نبيًا. و عن ابن جريج أيضًا أن أمّ الغلام يوم قتل كانت حاملًا بغلام مسلم و كان المقتول كافرًا. و عن ابن عباس فولدت جارية ولدت نبيًا. و في رواية أبدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيًّا، و قاله جعفر بن محمد عن أبيه. قال علماؤنا : وهذا بعيد، ولا تُعرف كثرة الأنبياء إلّا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم ـ اه ـ

أصرم وصريم[٢٢٦] ﴿يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ هي القرية المذكورة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ أي لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. أو مال مدفون من ذهب وفضة أو صحف فيها علم والأول أظهر. وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا، وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا.[٢٢٧] ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا﴾ قيل:جدهما السابع[٢٢٨] ﴿صَالِحًا﴾ ممن يصحبني. وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما. قال: فأبي وجدي خير منه ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي الحلم ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً﴾ مفعول له أو مصدر منصوب بـ «أراد ربك» لأنه في معنى رحمهما[٢٢٩] ﴿مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ وما فعلت ما رأيت ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ عن اجتهادي وإنما فعلته

(٢٢٦) **قوله**: صريم، مصغّرا بالصاد المهملة (خفاجي)
قوله: لوح من ذهب ـ الخ ـ أخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه والبزار عن أبي ذر مرفوعًا، قال: إن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مُصمَت (الذي لاجوف فيه) مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصِب، و عجبت لمن ذكر النار لم ضحك، و عجبت لمن ذكر الموت لم غفل، لا إله إلّا الله محمد رسول الله ـ و في إسناده بشر بن المنذر يقال له قاضي المَصِيْصَه، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي في حديثه وهم (ابن كثير) و لفظ المصنف في المكتوب في الذهب رواه ابن جرير عن الحسن البصري و فيه روايات أخر، وقال عكرمة و قتادة و غير واحد: و كان تحته مال مدفون لهما، وهو ظاهر السياق ، وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. و ما ذكر السلف من كونه مكتوبًا فيه، و ورد به الحديث المتقدم لاينافي أنه كان مالًا، لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب. و فيه مال جزيل. أكثر ما زادوا أنه كان مودعًا فيه علم، وهو حكم و مواعظ، والله أعلم. (ابن كثير)
(٢٢٧) لم أجد مأخذ قوله في حرمة الكنز، و إن أراد به مالًا لم تؤد زكاته فله دليل في القرآن والسنة، لكن أيّ دليل على حلّة هذا المال لمن قبلنا؟ ولا يظهر هذا المراد من قوله و كان تحته كنز لهما ، بل الظاهر هو المال المدفون، والنص على صلاح الأب دليل على أدائه ما وجب فيه. و في العناية شرح الهداية: المال المستخرج من الأرض ثلاثة: الكنز، والمعدن، والركاز. (فالكنز) اسم لما دفنه بنو آدم (والمعدن) اسم لما خلق الله تعالى في الأرض يوم خلقت الأرض (والركاز) اسم لهما جميعًا ـ اه ـ و في المعدن والكنز الخمس كما في الغنائم، و تفصيل الصور والأحكام مذكور في الفقه. نعم حرمة الغنيمة على من قبلنا وحلتها لنا منصوصتان في الحديث. كانوا يجمعون الغنائم و تأتي نار من السماء فتأكلها.
(٢٢٨) قاله جعفر بن محمد ، رواه عنه ابن جرير و قال القرطبي: ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دِ نية ـ اه ـ أي الأدنى.
و أخرج ابن مردويه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن الله يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده، و ولد ولده، و أهل دويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم". (الدر المنثور)
(٢٢٩) و أورد عليه أنه إذا كان مصدر أراد ربّك بمعنى رحم كانت الرحمة من الرب لا محالة، فأي فائدة في ذكر قوله "من ربك" و كذا إذا كان مفعولا له. فأما على تقدير "فعلت ما فعلت رحمةً من ربك" فهو منصوب بنزع الخافض، أي برحمة ربك أو هو مفعول له بتقدير إرادةَ أو رَجاءَ رحمة ربك. (خفاجي)
قوله تعالى: "و ما فعلته" الهاء عائدة إلى الأمور الثلاثة، و تذكير الضمير. بتأويل المذكور أو "ما=

بأمر الله.والهاء تعود إلى الكل أو إلى الجدار ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأجوبة الثلاثة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ حذف التاء تخفيفاً.

وقد زل أقدام أقوام من الضلال(٢٣٠)في تفضيل الولي على النبي وهو كفر جلي حيث قالوا: أمرموسى بالتعلم من الخضر وهو وليّ. والجواب أن الخضر نبي وإن لم يكن كما زعم البعض، فهذا ابتلاء في حق موسى عليه السلام. على أن أهل الكتاب يقولون: إن موسى هذا ليس موسى بن عمران إنما هو موسى بن ماثان، ومن المحال أن يكون الوليّ وليًّا بإيمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الوليّ، ولا غضاضة في طلب موسى العلم لأن الزيادة في العلم مطلوبة. وإنما ذكر أولاً (فأردت) لأنه إفساد في الظاهر وهو فعله، وثالثاً (فأراد ربك) لأنه إنعام محض وغير مقدور البشر، وثانياً (فأردنا) لأنه إفساد من حيث الفعل إنعام من حيث التبديل. وقال الزجاج: معنى فأردنا فأراد الله عز وجل ومثله في القرآن كثير.(٢٣١) ﴿وَيَسْئَلُونَكَ﴾ أي اليهود على جهة الامتحان، أو أبو جهل

= رأيت" أو الضمير عائد إلى الأخير أي أمر الجدار. (ما لم تسطع) أصله ما لم تستطع يجوز حذف التاء تخفيفًا في استطاع و يستطيع. والتأويل رجع الشيء إلى مآله.

(٢٣٠) قوله من الضُلاّل، جمع ضال. قوله لا غضاضة أي لا منقصة. غض منه: و ضع و نقص من قدره (ن) و أكثر العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات، و في الصحيحين وغيرهما عن سعيد بن جبير أنه ذكر عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلًا قاصًّا بالكوفة يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل فقالَ كذب عدو الله ـ الحديث ـ واحتجّ الأكثرون على صحة قولهم بأن موسى حيث أطلق في القرآن أريد به موسى بن عمران، فلو كان المراد ههنا شخصًا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور. والمنكرون تمسكوا بأن موسى بن عمران قد خصّه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التي لم يتفق لمن قبله مثلها، فيبعد أن يومر بالتعلم والاستفادة، و أجاب عنه المصنف بأن لا منقصة فيه ـ الخ ـ

(٢٣١) قال الإمام : لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة نفسه فقال أردت أن أعيبها، ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهًا على أنه من العظماء في علوم الحكمة، فلم يقدم على هذا القتل إلّا لحكمة عالية. ولمّا ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى. لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلّا الله سبحانه و تعالى (مفاتيح الغيب)

تنبيه: **قال ابن كثير في تفسيره**: ذكر ابن قتيبة في المعارف أن اسم الخضر بَلْيا بن ملكان بن فالغ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. قالوا و كان يكنى أبا العباس و يلقب بالخضر، و كان من أبناء الملوك. ذكره النووي في تهذيب الأسماء ـ اه ـ وقال علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي الشافعي المعروف بالخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل: اختلف العلماء في أن الخضر أحي أم ميت فقيل: إنه حي وهو قول الأكثرين من العلمآء، وهو متفق عليه عند مشايخ الصوفيةو أهل الصلاح والمعرفة. والحكايات في رويته والاجتماع به، و وجوده في المواضع الشريفة و مواطن الخير أكثر من أن تحصر. و قيل إن الخضر و إلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم. و ذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله سبحانه و تعالى (و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة: "أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مأة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد." ولو كان الخضر حيًّا لكان لا يعيش بعده. اه.=

وأشياعه﴿عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ ط﴾ هوالإسكندر الذي ملك الدنيا.[٢٣٢] قيل:ملكها مؤمنان:ذو القرنين

= وأجيب عن الاستدلال بالآية بأن المراد من الخلد الدوام الأبدي، والقائلون بوجوده اليوم لا يقولون بتأبيده بل منهم من يقول إنه يقاتل الدجال و يموت، و منهم من يقول إنه يموت زمان رفع القرآن، ومنهم من يقول إنه يموت في آخر الزمان. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه تعالى عنهما. قال القرطبي: والصحيح أنه حي. و جعل نصّ الحديث قابلًا للتخصيص. يقول كما لم يتناول العموم عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن و معناه، و لا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجسّاسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام، وليس مشاهدا للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضًا فمثل هذا العموم لا يتناوله. قال: والألف واللام في قوله (على الأرض) للعهد لا للجنس، وهي أرض العرب، بدليل تصرفهم فيها وإليها غالبًا، دون أرض ياجوج و ماجوج، و أ قاصي جزر الهند والسند ممّا لا يقرع السمع اسمه، ولا يعلم علمه. ولا جواب عن الدجال. اه. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي)

(٢٣٢) اختلف المفسّرون في تعيين ذي القرنين و وجه تلقيبه اختلافًا كثيرًا. و رجّح الإمام الرازي أنه الأسكندر بن فيلبوس اليوناني. ثم قال: إلّا أن فيه إشكالًا قويًّا، و هو أنه كان تلميذ أرسطا طاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم اللّٰه إيّاه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطا طاليس حق و صدق، وذلك ممّا لاسبيل إليه. ذكر ابن كثير أن الإسكندر الذي كان من الروم و بنى الإسكندرية هو الإسكندر الثاني، وكان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاث مأة سنة. فأمّا الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل عليه السلام كما ذكره الأزرقي وغيره أنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام، و قرب إلى اللّٰه قربانًا. وقد ذكرنا طرفا صالحًا من أخباره في كتاب البداية و النهاية بما فيه كفاية.

وقول المصنف ملكها مومنان و كافران. أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد (تخريج أحاديث الكشاف) لكن كتب التاريخ لا تثبت سعة ملكهم جميع الدنيا، بل تذكرها محدودة في ممالك و أقطار خاصة. والمفسرون من الصحابة والتابعين كانوا يأخذون كثيرًا من القصص والأقوال من الذين أسلموا من أهل الكتاب، والكتب السابقة تطرق إليها التحريف والتبدل، فسرى الخطأ والغلط في أقوال المفسرين من هذا الطريق.

وكذا اختلفوا في أنه كان نبيًا أو ملكًامن الملائكة أو عبدًا صالحًا آتاه اللّٰه الملك والسعة في البلاد، الأول أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، والثاني أخرجه ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير، و فيه أثر عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه تعالى عنه والثالث أخرجه ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد قال سئل علي عن ذي القرنين: أ نبي هو؟ فقال سمعت نبيكم صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم يقول: هو عبد ناصح اللّٰه فنصحه، وأخرج ابن أبي حاتم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه أن النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : هو ملك مسح الأرض بالإحسان، وهو الراجح.

أمّا وجه تلقيبه بذي القرنين فقد ذكر المصنف فيه عشرة أقوال:

الأول عن علي رضي اللّٰه تعالى عنه. أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه من طريق أبي الطفيل أن ابن الكوّاء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين. الخ.

الثاني يدعوهم إلى التوحيد الخ. قريب من الأول رواه أبو الشيخ في العظمة عن أبي الورقاء عن علي رضي اللّٰه تعالى عنه.

الثالث المروي عن النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. قال ابن حجر في كتابه "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" لم أجده مرفوعًا، و إنّما رواه الدار قطني في الموتلف من رواية عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال: إنّما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، و قرن الشمس من مطلعها. اه. و ذكره في الدر المنثور=

وسليمان، وكافران: نمرود وبختَ نَصّر وكان بعد نمرود. وقيل:كان عبداً صالحاً ملّكه الله

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عن الزهري بتخريج ابن عبد الحكم في فتوح مصر، و أخرج نحوه ابن المنذر و أبو الشيخ عن أبي العالية.
الرابع أخرجه الشيرازي في الألقاب عن قتادة، قال : إنّما سمي ذا القرنين، لأنه كان له عقيصتان ـ اهـ ـ (أي ضفيرتان)
السادس والتاسع : أخرج أحمد في الزهد، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم، و أبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه أنه سئل عن ذي القرنين، فقال لم يوح إليه و كان ملكًا، قيل: فلم سمي ذا القرنين؟ فقال: اختلف فيه أهل الكتاب، فقال بعضهم ملك الروم و فارس، وقال بعضهم: إنه كان في رأسه شبه القرنين،أمّا الخامس والسابع والثامن والعاشر فقد حكاها المفسرون كالزمخشري والرازي وغيرهما، ولم أجدها مأثورةً، و حكوا غيرها أيضًا.

نقلتُ سابقًا ما كتب الإمام الرازي و ابن كثير في تعيين ذي القرنين. و أوردوا على قول ابن كثير أن كتب التاريخ لا تذكر مثل هذا الملك العظيم بزمن إبراهيم عليه السلام سوى نمرود. و لو كان مثل هذا الملك في عصر نمروذ أو بعده لذكره القرآن، و لكان معروفًا مشهورًا في الكتب.

ولذا عدل عن هذين القولين بعض المصنفين واستمد بالتوراة و كتب التاريخ، و قال: سؤال المشركين عن ذي القرنين وقع بتعليم اليهود. و هذا يدل على أن اليهود كان عندهم العلم بمثل هذا الملك. و كان ملقّبًا عندهم بذي القرنين، فوجب الفحص عن ذكره في كتبهم. فوجدنا ذكره في كتاب دانيال في الباب الثامن أن النبي دانيال يذكر روياه أنه رفع بصره فرأى بقرب النهر كبشًا قائمًا له قرنان. ثم ذكر أن جبريل عليه السلام أخبر عن تعبير تلك الرويا. أن الكبش الذي له قرنان هو ملِك فارس و ماهات. و ذكر له صفات و أحوالا حسنة من إنجاء بني إسرائيل عن بخت نصر، و تعمير بيت المقدس، وغير ذلك. فظهر بهذا التعبير أن الملِك شُبّه بالكبش، و دولتاه ماهات (ميديا) و فارس شبّهتا بالقرنين، و لتلك الرويا المباركة تلقّب الملِك بذي القرنين.

و كانت هذه الرويا و إخبار دانيال عليه السلام بزمن بُخت نصّر الذي أباد البيت المقدس، و استرقّ بني إسرائيل. و يذكر المؤرخون أن دولة إيران انقسمت في سنة ٦٢٢ قبل المسيح إلى قسمين: قسم شمال المغرب يسمي ماهات (ميديا) و قسم المغرب يسمى فارس. ملكهما رجل صالح حرّر بني إسرائيل و عمر بيت المقدس. و هذا الملك الصالح يسميه أهل يونان "سائرس" و أهل فارس "گورش" والعرب "كيخسرو" واليهود "خورس". و يذكر المؤرخون أنه سافر إلى الجهات الثلاث التي ذكرها القرآن ـــ أمّا سفره إلى مغرب الشمس فسببه أن دولة تسمى "ليديا" كانت في هذه الجهة، و ملكها الذي يسمى "كرويسس" نقض عهود الصلح التي تمّت بين أبيه و بين جدّ خورس، و هجم على إيران، فسافر خورس نحو هذا العدو فهزمه، و تسيطر على "ليديا" و جاوزها حتى بلغ شطّ البحر. و ساحل البحر يتشكّل من مجموعة خُلُج صغيرة ماؤها كدر، فرأى الشمس كأنها تغرب في عين حمئة ـ ولم يظلم المفتوحين بل عاملهم بالعفو ــــ أمّا سفره إلى مطلع الشمس فسببه أن بعض القبائل الساكنة في الصحارى أشعلوا نار الفتن، فسافر نحوهم لإطفائها، و سخّر قبائل بلخ و باختر. و أمام ذلك كانت سلسلة الجبال الشامخة فتوقّف سفره على تلك الصحارى ــــ أمّا سفره إلى السدّين فيذكر المؤرخون أن خورس سافر إلى جبال "كاكيشيا" و هنا سلسلتا جبال متناوحتان بين البحر الأسود، و بحر الخَزَر، و كان بين الجبال طريق يأتي منها القبائل الغير المتحضرة، و تهجم على الناس، و تورث الفساد والهلاك. فطلبوا من خورس أن يبني سدًا. فقبِل طلبهم و بنى سدًّا منيعًا. و هنا سدود عديدة لكن سد خورس يمتاز بأنه مبني من زبر الحديد الملقى عليها النحاس المذاب. وهو واقع بين جبل قفقاز بمقرب بلد يسمى "دربند" ـ قال: و يأجوج و مأجوج من تلك القبائل الوحشية، ليست لهم خلقة تخالف خلقة عامة الناس كما تزعم الروايات الإسرائيلية ـ اهـ ـ مختصرًا.

الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل: نبياً. وقيل: ملكاً من الملائكة. وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال:ليس بملك ولانبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله، فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله أراد نفسه. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى. وقال عليه السلام: «سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا» يعني جانبيها شرقها وغربها.وقيل:كان له قرنان أي ضفيرتان، أو انقرض في وقته قرنان من الناس، أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم، أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين، أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من ذي القرنين ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلنا له فيها مكانة واعتلاء[٢٣٣] ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه ﴿سَبَبًا﴾ طريقاً موصلاً إليه ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة فأراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدين فأتبع سبباً. (فأتبع سبباً) (ثم أتبع) كوفي وشامي الباقون: بوصل الألف وتشديد التاء. عن الأصمعي: أتبع لحق واتبع اقتفى وإن لم يلحق ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع[٢٣٤]قال صلى الله عليه وسلم: «بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد فجعل يسير في طلبها والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفر ذو القرنين» ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات حمأة[٢٣٥]من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة. «حامية» شامي وكوفي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٣٣) قوله تعالى: (إِنَّا مَكَّنَّا) شرو ع في الجواب، و يحسن التأكيد في جواب السائل، لرفع شك و تردّد يوجد في قلبه. والمكانة بمعنى المنزلة. والاعتلاء: العلو والرفعة أي التمكين في الأرض بمعنى إعطاء المنزلة والعلو في الأرض فلا حاجة إلى تقدير مفعولِ مكّنّا. وقوله:أراده الخ صفة مخصصة لشيء، فإنه لم يوتَ أسباب كل شيء، و قوله فأراد بلوغ المغرب إشارة إلى أن الفاء في فأتبع سببًا فصيحة، قدره لما يأتي حتي إذا بلغ مغرب الشمس، و كذا التقدير فيما بعد. فأتبع سببًا في موضع ثم أتبع سببًا في موضعين بقطع الهمزة من الإفعال قراء ة عاصم، و حمزة، و علي و بوصل الألف و تشديد التاء من الافتعال قراء ة الباقين. والفرق بينهما معنىً نقله عن الأصمعي فالأول خاص على قوله لصورة اللحوق، والثاني عام لكل اقتفاء وقع بعده اللحوق أم لا.

(٢٣٤) أي منتهى العمارة نحو المشرق. فسّرهما بهذا لأن الشمس أبدًا في دوران، وليس لها غروب ولا طلوع إلّا في عيون أهل الأرض، إذا جاوزت معمورتهم حتى غابت عنهم قالوا غربت، ثم إذا عادت و ظهرت عليهم قالوا طلعت. والحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا في شرب الخضر من عين الحياة و حرمان ذي القرنين عنه لم أجد له مأخذًا حتى الذين قالوا بحياة الخضر لم يذكروا هذا الحديث، مع أنه من أعظم دليل لمذهبهم على تقدير وجوده ولو بطريق ضعيف. و مضمون العبارة مذكور في قصّة طويلة أخرجها ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، والظاهر أنه أخذها من علماء أهل الكتاب.

(٢٣٥) الحَمْأة ـ بفتح فسكون ـ والحَمَأ ـ بفتحتين ـ =

غير حفص بمعنى حارة. عن أبي ذر: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال:«أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية». وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية فقرأ معاوية «حامية» فقال: ابن عباس: حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو: كيف تقرؤها؟ فقال: كما يقرأ أمير المؤمنين. ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين كذلك نجده في التوراة فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما، ولاتنافي فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا ﴾ عند تلك العين﴿ قَوْمًا ﴾عراة من الثياب لباسهم جلود الصيد وطعامهم ما لفظ البحر وكانوا كفاراً ﴿ قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ اَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّآ اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾(٢٣٦) إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه

= الطين الأسود المُنتِنُ ـ حَمَأتُ البير (من ف) أخرجت حمأتها، و اَحمأتُ البيرجعلت فيها حَمَأ (مفردات) و حمِئ الماء كفرِح خالطتُه الحَمْأةُ فكدِر (قاموس) فما في التنزيل حمِئة بكسر الميم على زنة فرحة ، و ما في التفسير ذات حَمْأة بسكون الميم، و كذا قوله إذا صارت فيها الحمأة، و حمئت البير بكسر الميم من باب سمِع. و هنا قراء تان (حامية) ابن عامر، حمزة، علي،شعبة (حَمِئة) نافع، ابن كثير، أبو عمرو، حفص.

أمّا حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه ففي تخريج أحاديث الكشاف للعلّامة ابن حجر: كذا في نسخ الكشاف على جمل، والذي في كتب الحديث "على حمار" ولم يصرح فيه بالإرداف عن أبي داؤد والحاكم من طريق الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وهو على حمار، والشمس عند غروبها فقال: هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت: الله و رسوله أعلم. قال: فإنها تغرب في عين حامية. زاد الحاكم: غير مهموزة. و رواه ابن أبي شيبة، و أحمد، و أبو يعلى، و البزار و زاد "و تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها، و إذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فيقول: اطلعي من حيث غربت. فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها" و قال : تفرد به سفيان بن حسين عن الحاكم، و رواه الجماعة عن إبراهيم التيمي، و هو في الصحيحين دون قوله (تغرب في عين حامية) و أوله كنت مع النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم جالسًا ـ الحديث ـ

أمّا حديث ابن عباس ففي الدر المنثور أخرجه عبد الرزاق ، و سعيد بن منصور ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، و في القصة زيادة. و إذ ثبت تواتر القرائتين ثبت اجتماع الوصفين لتلك العين. والمراد أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب، و لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين، و إن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشطّ ، وهي في الحقيقة تغرب وراء البحر (مفاتيح الغيب)

(٢٣٦) قال أبو السعود ما ملخصه أنّهم كانوا كفّارًا فخيره الله تعالى بين أن يعذبهم بالقتل من أول الأمر، و أن يدعوهم إلى الإيمان، فأجاب ذو القرنين لذلك النبي، أو لمن عنده من خواصّه بعد ما تلقّى أمره تعالى، مختارًا للشق الأخير أمّا من ظلم نفسه و لم يقبل دعوتي، و أصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل، و أمّا من آمن بموجب دعوتي ـ الخ ـ وقيل خيّر بين القتل والأسر، والجواب من باب الأسلوب الحكيم. لأن الظاهر التخيير بينهما وهم كفار. فقال أمّا الكافر فيراعى في حقّه قوة الإسلام، و أمّا المؤمن فلا يتعرض له إلّا بما يجب. و يجوز أن تكون (إما و إمّا) للتوزيع دون التخيير أي وليكنْ شانك معهم إمّا التعذيب، و إمّا الإحسان، فالأول لمن بقي على حاله، والثاني لمن تاب. و قوله تعالى (إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) أي أمرا ذا حسن، على حذف المضاف=

بهذا وإلا فقد أوحي إلى نبي فأمره النبي به، أو كان إلهاماً خير بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا، أو التعذيب القتل وإتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحسان. ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بالقتل ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ في القيامة يعني أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين. ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي عمل ما يقتضيه الإيمان ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة. (جَزَاءً الْحُسْنَىٰ) كوفي غير أبي بكر أي فله الفعلة الحسنى جزاء(٢٣٧) ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي ذا يسر أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج(٢٣٨) ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ من دون الشمس ﴿سِتْرًا﴾ أي أبنية. عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم، أو الستر اللباس. عن مجاهد : من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيماً لأمره ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات وأسباب الملك ﴿خُبْرًا﴾ نصب على المصدر لأن في «أحطنا» معنى خبرنا، أو بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها، أو تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ

= أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه مبالغة. و محل أن مع صلته إمّا الرفع على الابتداء، أو الخبرية. و إمّا النصب على المفعولية. أي إمّا تعذيبك واقع، أو إمّا أمرك تعذيبك أو إمّا تفعل تعذيبك. وهكذا الحال في الاتّخاذ. (إرشاد العقل السليم)

(٢٣٧) فله جزاءُ الحسنى ـ برفع جزاء، و إضافته إلى الحسنى ـ قرأه نافع ، و ابن كثير، و أبو عمرو، وابن عامر، و شعبة ـ فله جزاءً الحسنى ـ بنصب جزاء و تنوينه ـ قرأه حمزة، و الكسائي، و حفص ـ و تقدير الكلام فله الحسنى جزاءً. له خبر مقدم ، والحسنى مبتدأ مؤخر، و جزاءً تمييز أو مصدر مؤكّد لمضمون الجملة، قدم على المبتدأ اعتناء به، أو منصوب بمضمر أي نجزى بها جزاء والجملة حالية أو معترضة بين المبتدأ و الخبر المتقدم عليه. و يجوز غير ذلك.

(٢٣٨) الزنج ـ بفتح الزاي، و يكسر ، جيل من السودان، واحدهم زنجي (قاموس) و تفسير أولئك القوم بالزنج مروي عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق، و ابن أبي حاتم. والسرب بفتحتين : جُحر الوحشي، والحفير تحت الأرض. ذكر في نفي الستر قولين، خلو أرضهم عن البناء الساتر، و خلو أبدانهم عن اللباس الساتر. و ذكر في إعراب كذلك ثلاثة وجوه: (١) مبتدأ مقدر و خبر أي أمر ذي القرنين في بسطة الملك و رفعة المكان كما وصفناه. و هذه الجملة لإظهار عظمة أمره، و قوله وقد أحطنا ـ الآية ـ تكميل لذلك ، كأنه لعظمته لا يحيط البشر بما لديه (٢) كذلك صفة لمصدر محذوف وهو بلوغًا، والتقدير بلغ مطلع الشمس بلوغًا مثل ذلك. (٣) كذلك صفة ثانية لقوم، والتقدير تطلع على قوم مثل ذلك ـ الخ ـ

ﱫﭐﱬ ﴾السَّدَّيْنِ﴿[٢٣٩] بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما. (السَّدين) و (سداً) مكي وأبو عمرو وحفص (السُّدين) و (سَدا) حمزة وعلي، وبضمهما: غيرهم. قيل: ما كان مسدوداً خلقة فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح. وانتصب (بين) على أنه مفعول به لـ (بلغ) كما انجر بالإضافة في (هذا فراق بيني وبينك) وكما ارتفع في (لقد تقطع بينكم) [الأنعام:٩٤] لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق ﴿وَجَدَ مِنْ دُوْنِهِمَا﴾ من ورائهما ﴿قَوْمًا﴾ هم الترك ﴿لَّا يَكَادُوْنَ يَفْقَهُوْنَ قَوْلًا﴾أي لايكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها. (يُفقهون) حمزة وعليّ أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة.[٢٤٠]

﴿ قَالُوْا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يَاْجُوْجَ وَمَاْجُوْجَ ﴾ هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وهمزهما عاصم فقط. وهما من ولد يافث أو يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ﴿مُفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ﴾ قيل كانوا يأكلون الناس. وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، ولا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد

(٢٣٩) ذكر سفره الثالث، وهو كما ذكر المؤرخون إلى جهة الشمال، وهذا المكان في جبال قفقاز (كاكيشيا)
والقراءات في السدين، و سدًا ثلاث (١)بفتح السين في الموضعين ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري و حفص(٢) بالضم في السدّين وبالفتح في سدًا حمزة و علي(٣) بالضم فيهما الباقون : نافع ، وابن عامر، و شعبة. قال الراغب: السَّد والسُّد. قيل هما واحد، و قيل السُّد (بالضم) ما كان خِلقة، والسَّد (بالفتح) ما كان صنعة، و أصل السد مصدرُ سددتُه ـ اه ـ سدّ الإناء (ن) نقيض فتحه، سدّ الثُّلمةَ: ردمها و أصلحها والسد: الجبل ، والحاجز (قاموس)ـ

(٢٤٠) الفقه : الفهم والإفقاه من الإفعال: الإفهام. قراءة الأخوين حمزة وعلي من الإفعال، وغيرهما من المجرّد. يأجوج و مأجوج بالهمزة في الكلمتين قراءة عاصم و بالألف الخالصة قرائة الباقين.

قال ابن كثير: يأجوج و مأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين (إنّ اللّٰه تعالى يقول: يا آدم فيقول لبيك و سعديك فيقول ابعث بعث النار فيقول و ما بعث النار؟ فيقول من كل ألف تسع مأة و تسعة و تسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير و تضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلّا كثرتاه، يأجوج ومأجوج) وقد حكى النووي رحمه اللّٰه في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج و مأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك. فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم و ليسوا من حوّاء. و هذا قول غريب جدًّا، لا دليل عليه، لا من عقل و لا من نقل، ولا يجوز الاعتماد ههنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعَلة. واللّٰه أعلم. و في مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال (ولد نوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو السودان، و يافث أبو الترك) قال بعض العلماء: هولاء من نسل يافث أبي الترك. و قد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرًا طويلًا عجيبًا في سير ذي القرنين و بنائه السدّ، و كيفية ما جرى له، و فيه طول و غرابة و نكارة في أشكالهم و صفاتهم و طولهم و قصر بعضهم و آذانهم. و روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها ـ واللّٰه أعلم.

(٢٤١) قال ابن حجر: (أخرج) ابن عدي، والطبراني في=

حمل السلاح.[٢٤١] وقيل: هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ (خراجا) حمزة وعلي أي جعلاً نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال[٢٤٢] ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ بالإدغام وبفكه مكي﴿فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾أي ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾جداراً وحاجزًا حصينًا موثقًا والردم أكبر من السد[٢٤٣]﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد والزبرة القطعة الكبيرة. قيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى، فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جلداً وصلدا، وقيل: بعدما بين السدين مأة فرسخ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بفتحتين جانبي الجبلين لأنها يتصادفان أي يتقابلان. (الصُّدُفين) مكي وبصري وشامي.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= الأوسط، وابن مَرْدَوَيْه، والثَعْلَبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد عن محمد بن إسحٰق ، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: سألت النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال : يأجوج أمة، و مأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذَكَر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ـــ قال ابن عدي: هذا موضوع، و محمد بن إسحٰق هذا ليس هو صاحب المغازي، و إنّما هو العكاش. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه، فلم يصب فإن له طريقًا أخرى، ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعًا (إن يأجوج و مأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا) و في النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه، رفعه (إن يأجوج و مأجوج يجامعون ما شاؤا، ولا يموت رجل منهم إلّا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا) و في المستدرك عن عبد اللّٰه بن عمرو، رفعه (إن يأجوج و مأجوج من ولد آدم، ولن يموت رجل منهم إلّا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا) ـ تخريج أحاديث الكشاف ـ

(٢٤٢) خَراجًا ـ بفتح الخاء ـ قراء ة حمزة و علي، خَرجا قراء ة الباقين ـ قوله جُعلًا نخرجه الخ ـ الجعل بضم الجيم أجر العامل، و قوله نخرجه بيان للمناسبة، النول والنوال كلاهما بفتح النون بمعنى العطاء ـ إشارة إلى أن الخرج والخراج بمعنى واحد، وقال الراغب: الخرج أعم من الخراج، و جُعل الخَرج بإزاء الدَّخل، و الخَراج مختصّ في الغالب بالضريبة على الأرض، و قيل : العبد يؤدي خرجه ـ أي غلّته، والرِعية تُودّي إلى الأمير الخَراج ـ اهـ ـ

مكنني: بفتح النون الأولى، و كسر الثانية قراء ة ابن كثير. مكّنّي ـ بإدغام النون الأولى في الثانية ـ قراء ة الباقين ـ

قوله: بفعلة و صناع: الأول جمع فاعل، ككاتب و كتَبة، وهو من يفعل فعلاما، و يختصّ في الاستعمال بمن يعمل بأجرة و نحوها في البناء. (خفاجي) والثاني جمع صانع كقارئ و قراء.

(٢٤٣) **الردم** بابه ضرب قال الراغب الردم سدّ الثلمة بالحجارة، وقال ابن جرير: الردم: حاجزُ الحائط والسدُّ، إلّا أنه أمنع منه و أشد، قوله: حاجزًا حصينًا موثقًا أي مانعًا شديدًا محكمًا. قوله قطع الحديد بكسر القاف و فتح الطاء جمع قِطعة، قوله المنافيخ جمع منفاخ آلة النفخ في النار قوله التصق : اتّصل و اشتبك قوله جَلْدًا صَلْدًا، أي شديدًا صلبا. جلُد جَلادَة (ك) صار ذا صلابة، صلدت الأرض صُلودًا (ض) صلُبت. قوله فرسخ. الفرسخ ثلاثة أميال، والميل بالكسر عند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع و عشرون إصبعًا (إكليل)

(الصُّدْفين) أبو بكر ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ أي قال ذو القرنين للعملة: انفخوا في الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي المنفوخ فيه وهو الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾ أعطوني ﴿أُفْرِغْ﴾ أصب ﴿عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ نحاساً مذاباً لأنه يقطر وهو منصوب بـ «أفرغ» وتقديره آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه. (قَالَ ائْتُونِى) بوصل الألف: حمزة وإذا ابتدأ كسر الألف أي جيئوني. ﴿فَمَا اسْطَٰعُوٓا﴾ بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوا السد ﴿وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته[٢٤٤] ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي[٢٤٥] ﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي السد ﴿دَكَّآءَ﴾ أي مدكوكا مبسوطاً مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك. (دكاء) كوفي أي أرضاً مستوية ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ آخر قول ذي القرنين ﴿وَتَرَكْنَا﴾ وجعلنا ﴿بَعْضَهُمْ﴾ بعض الخلق ﴿يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ﴾ يختلط ﴿فِى بَعْضٍ﴾ أي يطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى،[٢٤٦] ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في

قوله (١) الصَّدَفين ـ بفتح الصاد والدال ـ قرأه حفص، و نافع ، وحمزة، وعلي (٢) الصُّدُفين ـ بضمهما ـ قرأه ابن كثير، و أبو عمرو، و ابن عامر (٣) الصُّدفين ـ بضم الصاد و سكون الدال ـ قرأه شعبة ـ قال البيضاوي : وكلها لغات من الصَّدُف (ض، ن) وهو المَيْل، لأن كلا منهما منعزل عن الآخر، ومنه التصادف للتقابل ـ اه ـ قوله للعملة. هو جمع عامل، وهذا بيان للقائل والمقول له و إيضاح للقول. قوله كالنار إشارة إلى أنه تشبيه بليغ، فإن الحديد لا يكون عين النار قوله آتوني من الإيتاء وهو الإعطاء قراء ة غير حمزة. قال أتوني من الإتيان و الهمزة للوصل قراء ة حمزة بمعنى المجيء والحضور.

(٢٤٤) قال الراغب: النَقُب في الحائط والجِلد كالثقُب في الخشَب. قال ابن كثير : وقد بعث الخَليفة الواثق في دولته بعض أمرائه، وجهّز معه جيشًا سريّة، لينظروا إلى السد، و يعاينوه و ينعتوه له إذا رجعوا، فتوصّلوا من بلاد إلى بلاد، و من ملك إلى ملك حتّى وصلوا إليه ورأوا بنائه من الحديد و من النحاس، و ذكروا أنهم رأوا فيه بابًا عظيمًا، و عليه أقفال عظيمة، و رأوا بقية اللِّبْن والعمل في برج هناك ، وأن عنده حَرَسًا من الملوك المتاخمة له، و أنه عال منيف شاهق لا يستطاع، ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، و كانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالًا و عجائب. اه.

(٢٤٥) قوله فإذا دنا مجيء يوم القيامة، أراد بالوعد الموعود وهو يوم القيامة، و أراد بالمجيء قرب المجيء لأن اندكاك السد و خروج يأجوج و مأجوج يقع قبل يوم القيامة كما هو مذكور في الأحاديث، و شارفَ بمعنى قاربَ قوله دكًّا ـ قرأه نافع ، و ابن كثير، و أبو عمرو ، وابن عامر ـ على أنّه مصدر دَكّ الحائط (ن) بمعنى هدمه حتى سواه بالأرض و قرأ الكوفيون (عاصم ، وحمزة، و علي) دكّاء على أنه بزنة فعلاء و هذا يقتضي موصوفًا مونثًا ففسره بأرض مستوية ـ والدك بمعنى المفعول ففسّره بقوله مدكوكًا.

(٢٤٦) أخرج ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق هارون بن عنترة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: الجن والإنس يموج بعضهم في بعض ـ و أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: ذلك حين يخرجون على الناس ـ قال ابن كثير : أي يوم يدكّ هذا السد و يخرج هولاء فيموجون في الناس و يفسدون على الناس أموالهم و يتلفون أشيائهم ـ اه ـ والأحاديث في خروج يأجوج و مأجوج و=

البلاد. ورُوي أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام الساعة ﴿فَجَمَعْنٰهُمْ﴾ أي جمع الخلائق للثواب والعقاب ﴿جَمْعًا﴾ تأكيد ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكٰفِرِيْنَ عَرْضَا﴾ وأظهرناها لهم فرأوها وشاهدوها ﴿الَّذِيْنَ كَانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِيْ غِطَآءٍ عَنْ ذِكْرِيْ﴾ عن آياتي التي ينظر إليها أو عن القرآن فأذكره بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه ﴿وَكَانُوْا لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَمْعًا﴾ أي وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ إذ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿اَفَحَسِبَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَنْ يَّتَّخِذُوْا عِبَادِيْ مِنْ دُوْنِيْٓ اَوْلِيَآءَ﴾ أي أفظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام أولياء نافعهم بئس ما ظنوا. وقيل: «أن» بصلتها(٢٤٨) سد مسد مفعولي (أفحسب) و (عبادي أولياء) مفعولا (أن يتخذوا) وهذا أوجه يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء ﴿اِنَّآ اَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكٰفِرِيْنَ نُزُلًا﴾ هو ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِيْنَ اَعْمَالًا﴾ (أعمالاً) تمييز. وإنما

= إفسادهم في الأرض كثيرة.

قوله: نغفا في أقفائهم. النَّغَف، بفتحتين و غين معجمة: الدُّوُد الذي يكون في أنوف الإبل و الغنم، الواحدة نغفة بفتحتين أيضا. والقفا مقصورًا مؤخر العنق يذكر و يؤنث، والجمع قُفيّ بالضم و أقفاء و أقفية، وهو على غير قياس، لأنه جمع الممدود كأكسية (مختار الصحاح) لكن في القاموس "قد يمدّ" فيجوز أن يكون جمعًا للممدود.

(٢٤٧) في الكشاف: عن آياتي التي يُنظر إليها فأُذكر بالتعظيم، أو عن القرآن و تأمل معانيه و تبصرها. اه.

و هذا يدلّ على أن في عبارةالمدارك خطأ في النسخ، و هو زيادة (أو عن القرآن) أولا، و زيادة هاء الضمير في فأذكره. و عبارة الكشاف واضحة، فإنه بين مناسبة غطاء العين بالذكر، فإن الذكر يُسمع و يقتضي أن يقال كانت أسماعهم مسدودة عن ذكري فأوضح أن المراد بالأعين إمّا العيون الحسّية، والمراد بالذكر الآيات المشاهدة التي تؤدّي إلى ذكر الله جلّ و علا، فأريد السبب بذكر المسبب، و إمّا البصائر القلبية والمراد بالذكر القرآن، والمعنى أن عيون قلوبهم كانت في غطاء عن القرآن و تأمل معانيه، (وانظر البيضاوي و حاشية الخفاجي)

قوله: كأنهم أصميت أسماعهم أي أبطلت و أزيلت قواهم السامعة، من قولهم "أصمَيْتُ الصيدَ" إذا رميتَه فقتلته وأنت تراه (إكليل) وعماهم و صممهم البالغ كناية عن شديد إعراضهم عن الحق، و نفورهم عن القبول و الالتفات إليه.

(٢٤٨) أظهر الإعراب أولًا أن ثاني مفعولي حسب محذوف، وهو (نافعَهم) و بئس ما ظنوا مستفاد من أنّ الهمزة للإنكار والذم، و عبادي، أولياء مفعولا أن يتخذوا، و أن يتخذوا أوّل مفعولي حسب، والإعراب الثاني هو أنّ أن المصدريّة بصلتها "يتخذوا" ناب مناب مفعولي حسب، والهمزة للإنكار.

أي لايتحقق لهم الاتّخاذ، و عبادي منزهون عن ولايتهم بالمرّة، ولا يكونون لهم أولياء. و هذا أوجه و أحسن من الأول لنفي تحقق الاتّخاذ، والأول ينفي نفع الاتخاذ. قوله للكافرين أي هيأناها للكافرين المعهودين ، عدل عن الإضمار ذمالهم ، و إشعارًا بأن ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل قوله "نزلًا" أي كطعام ضيافة يقدم للضيف، و فيه تهكم و تنبيه على أن لهم وراء ها من العذاب ما=

جمع والقياس أن يكون مفرداً لتنوع الأهواء وهم أهل الكتاب أو الرهبان ﴿الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ ضاع وبطل وهو في محل الرفع أي هم الذين ﴿فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعًا۝ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهٖ فَحَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا۝﴾ فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار[٢٤٩] ﴿ذٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هي عطف بيان لجزاؤهم ﴿بِمَا كَفَرُوْا وَاتَّخَذُوْٓا اٰيٰتِيْ وَرُسُلِيْ هُزُوًا۝﴾ أي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله. ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا۝﴾ حال ﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا لَا يَبْغُوْنَ عَنْهَا حِوَلًا۝﴾[٢٥٠] تحولاً إلى غيرها رضا بما أعطوا. يقال: حال من مكانه حولاً أي لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح مائل الطرف إلى أرفع منه،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= تُستحقر دونه قوله وهم أهل الكتاب أو الرهبان ـ الأول مروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أخرجه عبد الرزاق و البخاري والنسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه، والثاني مروي عن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. أخرجه ابن المنذر و ابن أبي حاتم (الدر المنثور)

(٢٤٩) قوله تعالى (أولئك الذين كفروا) كلام مستانف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الأخسرين، و تبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم، و تعيينهم، أي أولئك الموصوفون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المذكور (الذين كفروا بآيات ربّهم) أي بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلًا و نقلًا، (و لقائه) أي بالبعث و ما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه (فحبطت) لذلك (أعمالهم)المعهودة حبوطًا كليًّا (أبو السعود) قوله فلايكون لهم عندنا ـالخ ـ أي المراد نفي القدر والوزن رأسًا، لأن مداره الأعمال الصالحة، وقد حبطت بالمرّة ـــ و أخرج البخاري ومسلم و ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: إنّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: : اقرأوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيٰمة وزنا". قوله تعالى (إنّ الذين آمنوا) بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة إثر بيان مآلهم بطريق الوعيد ــ قوله (كانت لهم) فيما سبق من حكم الله تعالى و وعده. و فيه إيماء إلى أن أثر الرحمة يصل إليهم بمقتضى الرأفة الأزلية، بخلاف ما مرّ من جعل جهنم للكافرين نزلًا، فإنه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم (جنات الفردوس) أخرج البخاري و مسلم و ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنّة و أعلى الجنّة، و فوقه عرش الرحمٰن، و منه تفجر أنهار الجنّة.

(٢٥٠) قوله : حِوَلا ـ بكسر الحاء وفتح الواو ـ مصدر كالصغر ـ بمعنى التحوّل والانتقال. وصف الجنات بأنها نُزُل و ضيافة للمؤمنين الصالحين، و بأنها دار الخلود، لا كدار الضيافة في الدنيا، و بأنها جامعة لكل ما يتمنّون، ولا يكون منزل أعز و أرفع منها حتى يرغبوا في التحوّل إليه، فنفْي رغبةِ التحوّل عن الجنان إثبات لكونها جامعة لكل ما يشتهيه الإنسان و يتمنّاه، و بيان لأنها دار لا يتصوّر منزل أجمع لأغراضهم منها. وهذا البيان بطريق اللزوم و الكناية كما أوضح المصنف بقوله أي لا مزيد عليها حتى ـ الخ ـ أي إذا تصوّر الإنسان موضعًا أجمع لأغراضه و أمانيه من منزله نازعَتُه نفسه إلى التّحوّل من منزله والوصول إلى ذلك الأجمع، كما يوجد في الدنيا، فإنه في أي نعيم كان لكن بصره يطمح و يرتفع إلى أعلى منه، و طرفه يمتد، و قلبه يميل إلى أروح منه، و هذا النزاع النفسي والميل القلبي ينتفي في الجنة ولا يشتهي الإنسان أن ينتقل منها لعلمه بأن مكانًا ليس أجمع لأمانيّه ممّا هو فيه. فإن كل نعيم يتصوّره و يتمنّاه متهيّأ له في الجنّة، وليس في مَبلغ تصوره مكان أروح و أجمل منها.

أو المراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

﴿ قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾(٢٥١) أي ماء البحر ﴿ مِدَادًا لِّكَلِمٰتِ رَبِّيْ ﴾ قال أبو عبيدة: المداد: ما يكتب به أي لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّيْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهٖ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا﴾ لنفد أيضاً والكلمات غير نافدة. و (مدداً) تمييز نحو «لي مثله رجلاً» والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. (ينفد) حمزة وعلي، وقيل: قال حيي بن أخطب: في كتابكم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [البقرة: ٢٦٩] ثم تقرؤون (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [الإسراء: ٨٥] فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ﴿ قُلْ اِنَّمَآ اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحٰٓى اِلَيَّ اَنَّمَآ اِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْا لِقَآءَ رَبِّهٖ﴾(٢٥٢) فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء

قوله أو المراد نفي التحول و تأكيد الخلود ـ قيل في وجه التأكيد أن المؤمن يُعطى كلَّ ما يطلبه في الجنّة، فإن طلب الانتقال منها تحوّل عنها ولم يخلد فيها، لكنّه لا يشتهي التحوّل عنها فيخلد فيها، وفيه إيذان بأن الخلود لا يورثهم مللًا.

(٢٥١) قال الإمام في وجه المناسبة: اعلم أنّه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبيّنات، وشرح أقاصيص الأوّلين نبّه على كمال حال القرآن فقال (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربيّ) و تقرير الكلام أن البحار كيفما فرضت في الاتّساع والعظمة فهي متناهية، و معلومات الله غير متناهية، والمتناهي لا يفي البتّة بغير المتناهي.

قوله المدد مثل المداد ـ الخ ـ من مدّ الجيش زاده و قوّاه، و سمّى الحبر مدادًا لكونه زيادة في الدواة.

قوله قال حيي بن أخطب ـ الخ ـ قال السيوطي: أخرج الحاكم و غيره عن ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت (و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلّا قليلًا). وقال اليهود أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرًا فنزلت (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربّي) ـ الأية ـ (لباب النقول في أسباب النزول) و ما ذكره المصنف حكاه الزمخشري فيالكشاف، و ينقضه أن الآية (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا) من سورة البقرة، والبقرة من أوائل ما نزل بالمدينة ، و سورة الكهف مكيّة. فلا يمكن أن يكون ما نزل بالمدينة سببًا لما نزل قبله بمكة. وقال مقاتل : هي مكيّة إلّا أولها إلى (جرزًا) و قوله تعالى (إن الذين آمنوا) إلى آخرها فمدني وهذا القول خلاف ما هو المشهور والمختار ، أن السورة كلها مكيّة.

(٢٥٢) لما بيّن الله تعالى كمال كلامه أمر نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلم أن يسلك سبيل التواضع، وهو أن حاله مقصور على البشرية، إلّا أنّه امتاز بنعت الإيحاء إليه، و كفى به بونًا و مباينة (النيسابوري) وقال الشيخ إسمٰعيل الحقي في روح البيان: قل ما أنا إلّا آدمي مثلكم في الصورة، و مساويكم في بعض الصفات البشرية، ولكن الله منّ علي من بينكم بالنبوّة والرسالة.

ذكر المصنّف معنيين للقاء الرب (١) القدوم عليه، وهذا ممّا يجب الإيمان به، و لا محيد لأحد عن الحضور أمام أحكم الحاكمين، و كل مومن يستيقن به، والرجاء ليس من اليقين بل هو ظن المنافع و كذا الخوف هو ظن المضار، فاعتبر حذف المضاف وهو الحسن إذا كان الرجاء بمعنى الأمل، والسوء، إذا كان بمعنى الخوف فإن حسن القدوم، أو سوء الحضور ليس من اليقينيات (٢) اللقاء بمعنى الروية، و روية جمال الله ليس بمتيقّن لكل أحد، فالرجاء على حقيقة معناه، أي من كان يتوقّع روية ربّه فعليه الاستعداد له بخالص العمل الصالح.

رضاً وقبول، أو فمن كان يخاف سوء لقاء ربه والمراد باللقاء القدوم عليه. وقيل: رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ خالصاً لا يريد به إلا وجه ربه ولا يخلط به غيره. وعن يحيى بن معاذ: هو ما لا يستحي منه ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ هو نهي عن الشرك أو عن الرياء. قال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر قال: «الرياء».

قال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال، ومن قرأ (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ) إلى آخرها عند مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه، وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ».

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

حديث اتّقوا الشرك الأصغر: أخرجه ابن مردويه من طريق اسمٰعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بهذا. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي، و أبو قاسم الطلحي في الترغيب. و في الباب عن محمود بن لبيد. و رفعه (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا يا رسول الله و ما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء) أخرجه أحمد والدار قطني. في غرائب مالك، والبيهقي في الشعب من رواية عمرو ابن أبي عمرو بن قتادة عنه. و عن شداد بن أوس قال (كنّا نعدّ الرياء على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم الشرك الأصغر) أخرجه الطبراني، وابن مردويه و في إسناده ابن لهيعة (تخريج أحاديث الكشاف)

حديث من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام ـ الخ ـ أخرجه ابن مردويه، والضياء في المختارة عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعًا (الدر المنثور) حديث من قرأ اِنَّمَآ اَنَا بشرٌ مِّثْلُكُمْ عند مضجعه: رواه ابن مردويه من حديث أبي بن كعب (غير الوجه الذي رفعه موضوع) ـ تخريج أحاديث الكشاف ـ(سحر السادس عشر من رمضان عام ١٤٢٤ه المصادف ١٢/ نوفمبر ٢٠٠٣م ليلة الأربعآء ٤٥-٠٢ سحرًا)

سورة مريم مكية، و هي ثمان أو تسع و تسعون آية مدني و شامي

﴿ بِسۡمِ اللّٰهِ الرَّحۡمٰنِ الرَّحِيۡمِ ﴾

﴿ كٓهيٰعٓصٓ ﴾[1] قال السدي: هو اسم الله الأعظم، وقيل: هو اسم للسورة. قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء، ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب، وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، وحمزة بعكسه، وغيرهم بفتحهما ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ أي هذا ذكر ﴿عَبۡدَهٗ﴾ مفعول الرحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بالقصر: حمزة وعلي وحفص وهو بدل من (عبده) ﴿إِذۡ﴾ ظرف للرحمة ﴿نَادٰى رَبَّهٗ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

سورة مريم

(١) قد فصل المصنّف الأقوال في أوائل السور في أول سورة البقرة، و ذكر هناك أن الجمهور قالوا بأنّها أسماء السور، و ما ذكر هنا من قول السدى هو مروي عن ابن عباس أيضًا كما في الدر المنثور، ولا قطع بأحد من الأقوال، والأسلم ما روي عن الخلفاء الراشدين وغيرهم أنّها أسرار بين الله تعالى و رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلم.

قال في مفاتيح الغيب: إنّ حروف المعجم على نوعين ثنائي، و ثلاثي (فنحو با، تا، ثا ثنائي و دال، و ذال، كاف ثلاثية) و قد جرت عادة العرب بإمالة الثنائيات (فيقولون بے، تے، ثے) و بتفخيم الثلاثيات، و في الزاي اعتيد الأمران لأنّه قد يلحق آخره ياء، و قد لايلحق فيصير ثنائيًا. ولا ريب أن التفخيم أصل، و الإمالة فرع عليه، فمن قرأ بإمالة الهاء والياء معًا فعلى العادة، ومن قرأ بتفخيمهما جميعًا فعلى الأصل، ومن قرأ بإمالة إحداهما فلرعاية الجانبين ـ اه بتلخيص ـ

(القراء ات) (١) قرأ علي الكسائي و يحيى بن آدم الراوي عن شعبة عن عاصم بكسر الهاء و الياء أي بإمالتهما (٢) و نافع بين الفتح و الكسر وإلى الفتح أقرب، يعني أنه أمال الألف بجعلها بين مخرج الألف و مخرج الياء على السواء، لا بأن جعل إمالتها نحو الياء أكثر (شيخ زاده ، و إكليل) ـ لكن ذكر في غيث النفع وغيره من كتب القراء ة أن إمالةالهاء و الياء قراء ة شعبة و علي، و يظهر من عبارة المصنّف أن إمالتهما ليست قراء ة شعبة بل قراء ة أحد رواته يحيى. و تقليل الإمالة نسبه المصنّف إلى نافع و هذا يدلّ أنه قرائة راوييه ورش وقالون كليهما، لكن ذكره في غيث النفع لورش فقط، ثم قال: و ذِكر الشاطبي الإمالة لقالون فيهما، و للسوسي في الياء خروج منه عن طريقه، فلا يُقرأ به من طريقه، وقد نبه على ذلك المحقق وغيره، و في جامع البيان للدّاني ما يدلّ عليه ـ انتهى ـ (٣) و أبو عمرو بكسر الهاء أي بإمالة الهاء محضة، و فتح الياء أي تفخيمه (٤) و حمزة بعكسه أي بتفخيم الهاء و إمالة الياء محضة و هذه قراء ة ابن عامر الشامي أيضًا كما في غيث النفع (٥) الباقون (حفص، وقالون، وابن كثير المكّي) بفتحهما أي بتفخيم الهاء والياء ـــ والتفخيم قد يطلق بمقابلة الإمالة فيراد به الإشباع، و قد يطلق بمقابلة الترقيق كما في الراء، واللام فيراد به التغليظ، وقد يطلق على إمالة الألف نحو مخرج الواو كما يعرفه أهل الأداء، في نحو الصلاة والزكاة. (خفاجي)

(زكريا) بالقصر بلا همز قرأه حمزة و علي وحفص (زكرياء) بالمد والهمزة المفتوحة قرأه الباقون.

(الإعراب) هذا مبتدأ مقدر، ذكر رحمة ربك خبر عبده مفعول الرحمة زكريا بدل من عبده، وهو مبدل منه إذ ظرف للرحمة، والجملة بعده مضاف إليه، والمضاف مع المضاف إليه ظرف زمان للرحمة. قال تفسير للنداء، و الجمل بعده مقولات. **(التفسير)** أصل النداء رفع الصوت وظهوره، وقد يقال لمجرد الصوت، بل لكل ما يدل على شيء و إن لم يكن صوتًا كما حقّقه الراغب (خفاجي) ووصف=

الصفاء، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة ﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء وأصله «يا ربي» فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصاراً ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ ضعف. وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن، ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن[٢] ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ تمييز أي فشا في رأسي الشيب. واشتعلت النار إذا تفرقت في التهابها وصارت شعلاً، فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشارَه في الشعر وأخذَه منه كل مأخذ باشتعال النار.[٣] ولا ترى كلاماً أفصح من هذا، ألا ترى أن أصل الكلام يا رب قد شخت إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما، وأقوى منه «ضعف بدني» و«شاب رأسي» ففيه مزيد التقرير للتفصيل، وأقوى منه «وهنت عظام بدني» ، ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه، وأقوى منه «أنا وهنت عظام بدني»، وأقوى منه «إني وهنت عظام بدني» ، وأقوى منه ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= النداء بالخفاء يدل على أن النداء هنا بدون رفع الصوت. والحكمة في إخفاء الدعاء امتثال الأمر و موافقته وهو قوله تعالى: ادعوا ربّكم تضرعًا و خفية، و بعده عن الرياء، و قربه إلى الإخلاص أو لم يكن دعاء الولد جديرًا بالإعلان لوقوعه في زمان الكبر.

(٢) ذكر هنا سبب تخصيص العظم بوصف الوهن، وسبب إفراد العظم. فحاصل الأول أنه يدل على ضعف غيره بطريق الكناية، وهي أبلغ من التصريح. والدلالة عليه بوجهين: الأوّل كون العظم عماد البدن، فإذا ضعف العماد ضعف ما سواه، والثاني: كون العظم أشدّ ما في البدن، فإذا ضعف الأشد ضعف غيره البتة. أمّا سبب الإفراد فهو للدلالة على معنى الجنس، والفرق بين جنس الواحد، وجنس الجمع يتضح ممّا سيأتي ـ قوله عمود البدن، العمود ما يوضع عليه البناء والخباء (خفاجي) قوله تداعى أي آذن بالسقوط (إكليل)

(٣) فشا (ن) فَشْوا و فُشُوّا، انتشر و ذاع. شاب (ض) شيبًا: ابيضّ شعره، الشُّواظ والشِّواظ: لهَبٌ لا دخان فيه. ظاهر كلامه أن فيه استعارتين مبنيّتين على تشبيهين: أولاهما تصريحية تبعية في اشتعل بتشبيه انتشار الشيب باشتعال النار. والثانية مكنيّة بتشبيه الشيب في بياضه و إنارته باللهب. والكناية إليه بذكر الاشتعال.

قوله قد شخت ـ بكسر الشين من باب ضَرب ـ صرتُ شيخًا. في مختار الصحاح: قد شاخ الرجل يشيخ شيخُوخَة وشيَخا أيضًا بفتح الياء. وقوله ولاترى كلامًا أفصح من هذا ـ الخ ـ إيضاح ما وجد ههنا من أرفع مراتب البلاغة فالمقصود بيانُ بلوغه سنًّا ييأس فيها الإنسان من الولد، ويكفي لهذا المعنى قوله قد شخت.

(١) و أقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير والتفصيل. لاشتماله على الكناية التي هي أبلغ من التصريح لكونها كدعوى الشيء ببينته. فإنك إذا قلت: فلان قد ضعف بدنه، و شاب رأسه، و من ضعف بدنه و شاب رأسه فقد شاخ ثبت أن فلانًا قد شاخ. فهذا الكلام يفصّل حال الشيخوخة، و يقررها و يؤكّدها بطريق الدليل ـــ و بعد هذا الإجمال فصل بلاغة الجملتين و ارتقاء هما منفردتين فذكر ارتقاء "ضعف بدني" أولا، و هو كما يأتي:

(٢) وهنت عظام بدني ـــ "ضعُف بدني" صريح في نسبة الضعف إلى البدن، و "وهنت عظام بدني" صريح في نسبة الضعف إلى عظام البدن. و يفهم منه ضعف البدن بطريق الكناية فإنّ ضعف العظام يلزمه ضعف البدن. (٣) أنا وهنت عظام بدني، أقوى منه ـ لتكرار إسناد الوهن، ففي الجملة الصغرى أسند=

«إني وهنت العظام من بدني» ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه «إني وهنت العظام مني» ففيه ترك توسيط البدن، وأقوى منه «إني وهن العظم مني» لشمول الوهن العظام فردًا فردًا باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد، ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل «اشتعل شيب رأسي»، وأبلغ منه «اشتعل رأسي شيباً» لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان «اشتعل شيب رأسي» «واشتعل رأسي شيباً» ، وزان «اشتعل النار في بيتي» و «اشتعل بيتي ناراً» والفرق نير، ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز، وأبلغ منه «واشتعل الرأس مني شيباً» لما مر، وأبلغ منه ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= "وهنت" إلى عظام البدن ثم أسندت الجملة كلها إلى أنا ـ و تقديم المسند إليه لا يخلو عن تقوية الحكم. (٤) إنّي وهنت عظاَم بدني ـ يشتمل مع تكرار الإسناد و تقوية الحكم على تحقيق مضمون الجملة لزيادة "إن" ـ (٥) إني وهنت العظام ـــ يشتمل على التكرار، والتقوية، والتحقيق لكن فيه إجمال لعدم إظهار مَن له العظام، فيتشوق السامع إلى العلم به ـــ وقوله "من بدني" يفصّل المراد ، و يُشبع تشوّق السامع. وهذا أبلغ من الإظهار أولَ دفعة، لأن الكلام إذا ألقى إلى السامع بعد ترقب و اشتياق كان أوقع في النفس. (٦) إنّي وهنت العظام مني ـ يشتمل على جميع ما في الكلام الأوّل مع حذف لفظ البدن، و من المعلوم أن العظام لا تكون إلّا في البدن ففيه إيجاز (٧) إنّي وهن العظم منّي ـ هذا يمتاز من الأول باشتماله على العظم مفردا، و أوضح مزيته بأن "وهن العظم" يدلّ على شمول الضعف كل عظم. و "وهنت العظام" يدلّ على ضعف جماعةالعظام، وهذا يصح إذا كانت بعض العظام واهنة، و بعضها لم يُصبها الوهَن. فالعدول من الجمع إلى الإفراد دليل على أمر أقوى لا يحصل من ذكر الجمع.

ثم ذكر ارتقاء مراتب البلاغة في الجملة الثانية أي شاب رأسي. (١) فالصريح ـ مع الكناية عن الكبَر ــ شاب رأسي و ليس فيه مجاز ، لا في الطرفين، ولا في الإسناد (٢) واشتعل شيب رأسي ـــ يشتمل على المجاز، وهي استعارة الاشتعال لانتشار البياض بجامع التفرق والشمول. و تشبيه الشيب بلهب النار، والرمز إليه بذكر الاشتعال. وليس شيء منهما في "شاب رأسي" (٣) اشتعل رأسي شيبًا ـ يفوق الجملة الثانية بوجهين : الأول أوضحه بمثال. وهو اشتعل النار في بيتي، واشتعل بيتي نارًا فالأوّل يصحّ باشتعال النار في ناحية من البيت. والثاني لا يصحّ إلّا إذا اشتملت النار البيت كلَّه حتى يرى الناظر أن البيت هو يشتعل بسبب النار. فكذا اشتعل شيب رأسي يصح إذا كان الشيب انتشر فيجزء من الرأس و اشتعل رأسي شيبًا لا يصح إلّا إذا اشتمل الشيب جميع الرأس، و فشا في كل جزء منه. فهذا أبلغ منه جليًا. وقوله نيّر بمعنى جلي، واضح.

والوجه الثانيهو طريق الإجمال ثم التفصيل، الذي يوجد في كل تمييز. فإنك إذا قلت "فاق أخي" تشوّقَ السامع إلى العلم بوجه التفوّق، فإذا قلت "علمًا" سكن قلبه بإدراك تفصيل ما أجملتَ و أبهمتَه أولا. فكذا "اشتعل رأسي" مجمل مبهم لايعلم السامع منه وجه الاشتعال و"شيبًا" يرفع ذلك الإبهام، والبيان بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس كما عرفت فهذا أبلغ من الأوّل من هذه الجهة أيضًا. (٤) اشتعل الرأس مني شيبًا ـــ وهذا كما مرّ في "إنّي وهنت عظام بدني" و "إنّي وهنت العظام من بدني" ففي "اشتعل رأسي" بيان صاحب الرأس من أول الأمر و في "اشتعل الرأس" صاحب الرأس مبهم، و قوله "مني" يزيل ذلك الإبهام. فهنا أيضًا سلوك=

«واشتعل الرأس شيباً» ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا بقرينة العطف على (وهن العظم) ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول أي بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا④﴾ أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيداً به غير شقي فيه(٤). يقال: سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها. وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقت حاجته وقضى حاجته. ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً صالحاً من صلبه يقتدي به في إحياء الدين ﴿مِنْ وَّرَآءِيْ﴾ بعد موتي، وبالقصر وفتح الياء كـ «هداي»: مكي. وهذا الظرف لا يتعلق بـ «خفت» لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف، أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِيْ عَاقِرًا﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ﴾ اختراعا منك بلا سبب لأن امرأتي لا تصلح للولادة ﴿وَلِيًّا⑤﴾ ابنا يلي أمرك بعدي. ﴿يَّرِثُنِيْ وَيَرِثُ﴾ برفعهما صفة لـ «ولياً» أي هب لي ولداً وارثاً مني العلم ومن آل يعقوب النبوة،(٥) ومعنى وراثة النبوة أنه يصلح لأن يوحى إليه ولم يرد أن نفس النبوة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= طريقي الإجمال و التفصيل. (٥) واشتعل الرأس شيبًا ـــ ففيه إيجاز لحذف "منّي" والمحذوف معلوم بقرينة العطف على "وهن العظم منّي" ـــ عبارة المصنف من قوله ولا ترى كلامًا، إلى هنا ليست في الكشاف، و أخذها من مفتاح العلوم للسكّاكي. و فصّلت هذا المقام كثيرًا لطلب بعض التلاميذ مزيد التفصيل، ولعلي وفيت بمراده.

(٤) إشارة إلى أن الشقاوة هنا بمعنى الخيبة، كما أوضحه فيما بعد بالاستعمال. وهذا توسل منه عليه الصلاة والسلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة و يستجلب الرأفة من كبر السنّ و ضعف الحال، فإن الرب الكريم بعد ما عود عبده بالإجابة دهرًا طويلًا لا يكاد يخيبه أبدًا لا سيما عند اضطراره و شدة افتقاره. (أبو السعود)

قوله وعن بعضهم: هو معن بن زائدة بن عبد الله (كما ذكره الخفاجي) من أشهر أجواد العرب، و أحد الشجعان الفصحاء، أدرك العصرين الأموي والعبّاسي. وكان في الأول مكرمًا يتنقل في الولايات، و حدث منه في الثاني صنيعة حفظها له المنصور، و أكرمه ولّاه اليمن ثمّ سجستان و فيها اغتيل عام ١٥١هـ. (الأعلام للزركلي و وفيات الأعيان)

قوله بعد موتي، إشارة إلى أن وراء بمعنى "بعد" مجازًا، و أصل معناها خلف أو قدّام. قوله بالقصر أي من وراي، قرأه ابن كثير المكي وهذه رواية عنه والأخرى بالمد و فتح الياء (ورائيَ) قوله: خفت فعل الموالي، إيضاح للمتعلّق المحذوف و قوله: خفت الذين يلون الأمر، بيان لمعنى الولاية فيه، الذي تعلق به الظرف باعتباره، فإنه يكفي فيه وجود معنى الفعل في الجملة، بل رائحته، ولا يشترط فيه أن يكون دالًّا على الحدوث كاسم الفاعل والمفعول حتى يتكلف له (خفاجي)

(٥) اختلف المفسرون في معنى وراثته فروى ابن جرير عن أبي صالح في تفسيره: يرث مالي، و يرث من آل يعقوب النبوة، و روي عن مجاهد قال: و كان وراثته علمًا و روي عن الحسن قال: نبوّته و علمه، و رجّح الثاني القرطبي، و أيّده ابن كثير بوجوه (**الأوّل**) أنّ النبي أعظم منزلة و أجل قدرًا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده، (**الثاني**) أنه لم يذكر أنه كان ذا مال، بل في صحيح البخاري أنه كان نجارًا يأكل من عمل يده في النجارة. و مثل هذا لا يجمع مالًا، ولا سيّما الأنبياء فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا =

تورث. وبجزمهما:أبو عمرو وعلي على أنه جواب للدعاء يقال: ورثته وورثت منه ﴿مِنْ اٰلِ يَعْقُوْبَ﴾ يعقوب بن إسحاق ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا۝﴾ مرضياً ترضاه أو راضياً عنك وبحكمك فأجاب الله تعالى دعاءه وقال: ﴿يٰزَكَرِيَّآ اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمِ ٱسْمُهٗ يَحْيٰى﴾ تولى الله تسميته تشريفاً له. (نبشرك) بالتخفيف: حمزة ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَّهٗ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا۝﴾لم يسم أحد بيحيى قبله و هذا دليل على أن الاسم الغريب جدير بالأثرة. و قيل : مثلاً وشبيها ولم يكن له مثل في أنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وأنه ولد بين شيخ وعجوز وأنه كان حصوراً.

فلما بشرته الملائكة به ﴿قَالَ رَبِّ اَنّٰى﴾ كيف ﴿يَكُوْنُ لِيْ غُلٰمٌ﴾ وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأي طريق يكون أيوهب له وهو وامرأته بتلك الحال أم يحولان شابين ﴿وَّكَانَتِ امْرَاَتِيْ عَاقِرًا وَّقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا۝﴾(٦) أي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس من أجل الكبر والطعن في السن العالية «عتياً»و «صلياً» و «جثياً» و «بكياً»بكسر الأوائل: حمزة وعلي وحفص إلا في «بكيا».

﴿قَالَ كَذٰلِكَ﴾ الكاف رفع أي الأمر كذلك تصديق له ثم ابتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= (**الثالث**) أنه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: لا نورث، ما تركنا صدقة و في رواية عند الترمذي بإسناد صحيح "نحن معشر الأنبياء لا نورث".

قوله في قراء ة الجزم "على أنه جواب للدعاء" أي في جواب الأمر الذي قصد به الدعاء، و عبّر به تأدّبًا، أو لأنّه كذلك في الواقع، و إذا جزم مثله فهو على تقدير شرط أي "إن تهبُ لي وليًّا يرثُني" (خفاجي)

قوله مرضيًّا أو راضيا ـ رضيا فعيل وهو من المتعدي يحتمل المعنيين، و قد فسّر بهما كما في القرطبي. قوله تعالى اسمه يحيى. قال أبو السعود : والأظهر أنه اسم أعجمي، و إن كان عربيًّا فهو منقول عن الفعل كيعمر و يعيش. اه. قوله نبشرك بالتخفيف.أي بفتح النون و إسكان الباء و ضمّ الشين مخفّفة حمزة، والباقون بضم النون و فتح الباء و كسر الشين مشدّدة (إكليل) قوله جدير أي لائق بالأثرة بفتحتين أي بالاختيار والإيثار. قوله مثلًا و شبيهًا، روي هذا عن مجاهد ، وسعيد بن جبير و عطاء والأوّل عن ابن عباس ، و قتادة، و عكرمة كما في الدر المنثور قوله لم يهمّ بتشديد الميم، هم بالشيء أراده ، و بابه ردّ (مختار الصحاح) قوله حصورًا، هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه أي منعًا لها من الشهوات اه. النسفي في آل عمران. قوله فلما بشرته الملائكة ـ دليله ما في آل عمران (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهٗ قَالَ رَبِّ هَبْ لِيْ مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ ٥ ـــ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّيْ فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ وَ سَيِّدًا وَّ حَصُوْرًا وَّ نَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ ٥ (٣٨ ـ ٣٩) قوله: يحوّلان أي يُردّان.

(٦) قوله عتيًا من عتا يعتو، و أصله عتووٌ، كقعود، فاستثقل توالي الضمّتين والواوين، فكسرت التاء فانقلبت الأولى ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم قلبت الثانية أيضًا، لاجتماع الواو والياء و سبقِ إحداهما بالسكون، و كسرت العين إتباعًا لها لما بعدها. و قرئ بضمها (بيضاوي وأبوالسعود) قوله الجساوة، بالجيم والسين المهملة بمعنى اليبس، يقال جسا ، و عتا، و عسا بمعنى يبس يبسًا شديدًا، و ظاهر كلامه في الأساس أنه مخصوص بمفاصل الحيوان (خفاجي) قوله الطعن في السنّ : الدخول فيها قوله الكاف رفع، أو نصب بقال. (أي قال ، الثاني) فالتقدير على الأوّل الأمر كذلك، و على الثاني كذلك قال ربّك و المشار إليه مبهم فسّره ما بعده.

نصب بـ «قال» وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي خلق يحيى من كبيرين سهل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أو جدتك من قبل يحيى. (خلقناك) حمزة وعلي ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑨﴾ لأن المعدوم ليس بشيء ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ علامة أعرف بها حبل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑩﴾ حال من ضمير تكلم أي حال كونك سوى الأعضاء واللسان يعني علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سليم الجوارح ما بك خرس ولا بكم(٧). ودل ذكر الليالي هنا والأيام في «آل عمران» على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن، إذ ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي وكذا ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عرفاً ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ من موضع صلاته وكانوا ينتظرونه ولم يقدر أن يتكلم ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أشار بإصبعه ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ صلوا و«أن» هي المفسرة ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪﴾ صلاة الفجر والعصر ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ أي وهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته وأوان الخطاب يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ حال أي بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ الحكمة وهو فهم التوراة والفقه في الدين ﴿صَبِيًّا ⑫﴾ حال. قيل: دعاه الصبيان إلى اللعب وهو صبي فقال: ما للعب خلقنا ﴿وَحَنَانًا﴾ شفقة ورحمة لأبويه وغيرهما عطفاً على الحكم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ أي طهارة وصلاحاً فلم يعمد بذنب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ⑬﴾ مسلماً مطيعا. ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ وباراً بهما لا يعصيهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبراً

(٧) قوله خرس و بكم: كلاهما بفتحتين من سمع وهو انعقاد اللسان عن الكلام. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في الآية قال: حبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحدًا، وهو في ذلك يسبح و يقرأ التوراة، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم. و أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية. قال: اعتقل لسانه من غير مرض.
قوله من المحراب من المصلّى أو من الغرفة (بيضاوي) والمصلى : محلّ الصلاة، والغرفة: المحل المرتفع، والمحراب يطلق على كل منهما لغة. و أمّا المحراب المعروف الآن فهو محدث كما ذكره السيوطي. (خفاجي) و تفسير الإيحاء بالإشارة مروي عن مجاهد ، و محمد بن كعب ، و سعيد بن جبير (در منثور) و أخرج ابن أبي حاتم و الحاكم و صحّحه عن ابن عباس في تفسير سبّحوا، قال صلّوا. و أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: أمر هم بالصلاة بكرة و عشيًّا. وأخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن قتادة، قال: البكرة صلاة الفجر، و عشيًا صلاة العصر.
قوله واستظهار أي حفظ، يقال استظهر الكتاب إذا حفظه. و أخرج أبو نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عبّاس، عن النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلّم في قوله (و آتيناه الحكم صبيًّا) قال: أعطي الفهم و العبادة وهو ابن سبع سنين. قوله ما للعب خلقنا. أخرجه أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، و ابن جرير عن معمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيىٰ بن زكريا: اذهب بنا نلعب ـ الخ ـ و أخرجه عبد الرزّاق و عبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة. قوله من فتّاني القبر. مثنى فتّان مضاف إلى القبر فحذفت النون. و الفتنة البلاء والاختبار، و في التنزيل: و نبلو كم بالشر والخير فتنة (الأنبياء ـ ٣٥) والمراد الملكان منكر و نكير.
قوله ابن عيينة. أخرج عنه ابن جرير يقول : أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن. يوم يولد فيرى نفسه خارجًا ممّا كان فيه. ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم. ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم. قال=

﴿عَصِيًّا﴿١٤﴾﴾ عاصياً لربه ﴿وَسَلٰمٌ عَلَيْهِ﴾ أمان من الله له ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من أن يناله الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوْتُ﴾ من فتاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴿١٥﴾﴾ من الفزع الأكبر. قال ابن عيينة: إنها أوحش المواطن.

﴿وَاذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿فِي الْكِتٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي اقرأ عليهم في القرآن قصة مريم(٨) ليقفوا عليها ويعلموا ما جرى عليها ﴿اِذِ﴾ بدل من مريم بدل اشتمال إذ الأحيان مشتملة على ما فيها وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ اَهْلِهَا﴾ أي اعتزلت ﴿مَكَانًا﴾ ظرف ﴿شَرْقِيًّا﴿١٦﴾﴾ أي تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها معتزلة عن الناس. وقيل: قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُوْنِهِمْ حِجَابًا﴾ جعلت بينها وبين أهلها حجاباً يسترها لتغتسل وراءه ﴿فَاَرْسَلْنَآ اِلَيْهَا رُوْحَنَا﴾ جبريل عليه السلام والإضافة للتشريف، وإنما سمي روحاً لأن الدين يحيا به وبوحيه ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ أي فتمثل لها جبريل في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر ﴿سَوِيًّا﴿١٧﴾﴾ مستوى الخلق. وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولاتنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ﴿قَالَتْ اِنِّيْٓ اَعُوْذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴿١٨﴾﴾ أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله فإني عائذة به منك(٩).

﴿قَالَ﴾ جبريل عليه السلام ﴿اِنَّمَآ اَنَا رَسُوْلُ رَبِّكِ﴾ أمَّنها مما خافت وأخبر أنه ليس بآدمي بل هو رسول من استعاذت به ﴿لِاَهَبَ لَكِ﴾ بإذن الله تعالى، أو لأكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع (ليهب لك) أي الله: أبو عمرو ونافع. ﴿غُلٰمًا زَكِيًّا﴿١٩﴾﴾ طاهراً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصّه بالسلام عليه فقال: و سلام عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيًّا.

(٨) زاده ليندفع التوهم أن المراد بأمر الذكر أن يذكرها من تلقاء نفسه، بل المقصود هو الأمر بقرائة ذكرها النازل في الكتاب على الناس. قوله و فيه أن المقصود ـ الخ ـ لأنّ البدل يؤتى لأنه المقصود، والمبدل منه كأنه توطئة وتمهيد له. قوله مشرقة ـ مثلثة الراء: محلّ شروق الشمس والقعودِ فيه شتاء (خفاجي) قوله وضيء الوجه ـ الوضاء ة: الحسن والنظافة، وقد وضُؤ ـ ككرم ـ فهو وضيء (قاموس)

قوله جعد الشعر جعُدَ الشعرُ بضم العين و كسرها جُعودةً إذا كان فيه التواء و تقبض، فهو جَعُدٌ، و ذلك خلاف المسترسل اه. إكليل و تمثّل مشتق من المثال ـ أي تصوّر ـ و أصله تكلّف أن يكون مثالًا لشيء (خفاجي) و بشرًا حال من فاعل تمثّل، أو تمييز.

(٩) قدّر معنى الرجاء ، لأن متحقق التقوى ليس بمحلّ الاستعاذة، و أشار أن الجزاء محذوف دلّ عليه ما قبل الشرط. قوله أمّنها ـ من التفعيل ـ أي جعلها بقوله ذلك آمنة غير خائفة. قوله بالنفخ في الدرع أي جيب درعها كما يأتي والدرع: القميص. هنا قراءتان متواترتان ليهب أبو عمرو البصري، و نافع المدني لأهب غيرهما. و كلتاهما حجّة، والواهب حقيقة هو اللّٰه تعالى، و جبريل واسطة و تفسير المصنّف بإذن اللّٰه تعالى أو لأكون سببًا دليل على أن العبد يقدر على هبة الولد بإذنه تعالى، و على أن إسناد إعطاء الولد إلى العبد المأذون المختار من اللّٰه تعالى أو إلى السبب المتوسّط سائغ وارد في التنزيل العزيز، ولا مساغ لنسبة الإشراك للمؤمن القائل به فإنه يعتقد=

من الذنوب أو نامياً على الخير والبركة[١٠]. ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ابن ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ زوج بالنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرة تبغي الرجال أي تطلب الشهوة من أي رجل كان ولايكون الولد عادة إلا من أحد هذين، والبغي فعول عند المبرد «بغوي» فقلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت العين إتباعاً ولذا لم تلحق تاء التأنيث كما لم تلحق في «امرأة صبور وشكور» وعند غيره هي «فعيل» ولم تلحقها الهاء لأنها بمعنى «مفعولة» وإن كانت بمعنى فاعلة فهو قد يشبه به مثل (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ) [الأعراف:٥٦] ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿كَذَٰلِكِ﴾ أي الأمر كما قلت: لم يمسسك رجل نكاحاً أو سفاحاً ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي إعطاء الولد بلا أب عليَّ سهل ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ تعليل معلّله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك، أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية للناس[١١] أي عبرة وبرهاناً على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلق عيسى ﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ مقدراً مسطوراً في اللوح فلما اطمأنّت إلى قوله دنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها[١٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي الموهوب وكانت

= أن الواهب الحقيقي هو اللّٰه تعالى، والعبد يهب بإذنه و إقداره و توسيطه في الأمر. وليس هذا الاعتقاد من الإشراك في شيء بل يجب الإيمان به لوروده في القرآن العزيز.

(١٠) إشارة إلى أنه إمّا من الزكاة بمعنى الطهارة أو الزكاء بمعنى النماء. قوله فاجرة تبغي الرجال ـ الخ ـ إشارة إلى المعنى المراد، و إلى وجه الاشتقاق. قوله لأنّها بمعنى مفعولة. والفعيل إذا كان بمعنى المفعول يستوي فيه المذكر و المؤنث يقال: رجل جريح، و امرأة جريح. قوله قد يشبه به، أي لا تدخل فيه التاء تشبيهًا له بالفعيل بمعنى المفعول.

(١١) و مع ذلك يحتاج إلى معلّل محذوف أي نفعله لنبين به قدرتنا و لنجعله آية للناس. فإن خلق الإنسان يتصور له أربع صور الأولى بدون ذكر و أنثى، كما تحقق في سيدنا آدم عليه السلام والثانية خلقه من الذكر بدون الأنثى كما تحقّق في حوّاء و الثالثة خلقه من الذكر والأنثى كما هو معهود معتاد في سائر بني آدم. و بقيت صورة رابعة أن يكون من أنثى بدون أب. حققها اللّٰه تعالى في عيسى عليه السلام ، وجعلها آية للناس. (ابن كثير)

(١٢) رواه ابن جرير عن وهب بن منبه، و ابن جريج، والسدّي ـ والأقوال في سنّ مريم على ابنها و عليها السلام إذ ذاك حكاها الزمخشري والرازي ولم يذكرا قائليها. قوله والجار والمجرور في موضع الحال. والتقدير فانتبذت ملتبسةً به. ذكر الإمام الرازي في مدة الحمل أقوالًا : (**الأول**) قول ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما أنّها كانت تسعة أشهر بدليل أن اللّٰه تعالى ذكر مدائحها في هذا الموضع، فلو كانت عادتها في مدّة حملها بخلاف عادات النسآء لكان ذلك أولى بالذكر. (**والثاني**) ثمانية أشهر وهو قول عكرمة كما ذكر ابن كثير (**الثالث**) سبعة أشهر و هو قول عطاء و أبي العالية والضحاك كما ذكر الرازي (**الرابع**) ستة أشهر (**والخامس**) ثلاث ساعات ولم يذكر القائلين (**والسادس**) ما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال لم يكن إلّا أن حملت فوضعت قال ابن كثير : و هذا غريب. وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانًا قصيًّا. فأجائها المخاض إلى جذع النخلة) فالفاء وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلٰلَةٍ مِّنْ طِيْنٍ. ثُمَّ جَعَلْنٰهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَّكِيْنٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظٰمًا) [المؤمنون:١٢-١٤] فهذه الفاء =

سنها ثلاث عشرة سنة أو عشراً أو عشرين ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ اعتزلت وهو في بطنها، والجار والمجرور في موضع الحال، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته. وقيل: ستة أشهر. وقيل: سبعة. وقيل: ثمانية: ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى. وقيل: حملته في ساعة ووضعته في ساعة ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل وذلك لأنها لما أحست بالحمل هربت من قومها مخافة اللائمة(١٣).

﴿فَأَجَاءَهَا﴾ جاء بها. وقيل: ألجأها وهو منقول من جاء إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك لا تقول جئت المكان وأجاءنيه زيد ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أصلها. وكانت يابسة وكان الوقت شتاء وتعريفها مشعر بأنها كانت نخلة معروفة وجاز أن يكون التعريف للجنس أي جذع هذه الشجرة كأنه تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب لأنه خرسة النفساء أي طعامها. ثم ﴿قَالَتْ﴾ جزعاً مما أصابها ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم (مِتُّ) مدني وكوفي غير أبي بكر، وغيرهم: بالضم. يقال: مات يموت ومات يمات ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر. بفتح النون: حمزة وحفص، بالكسر: غيرهما ومعناهما واحد وهو الشيء الذي حقه أن يطرح وينسى لحقارته ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾ (مَن) أي الذي تحتها فـ «من» فاعل وهو جبريل عليه السلام لأنه كان بمكان منخفض عنها، أو عيسى عليه السلام لأنه خاطبها من تحت ذيلها. (من تحتها) مدني وكوفي سوى أبي بكر والفاعل مضمر وهو عيسى عليه السلام، أو جبريل والهاء في «تحتها» للنخلة(١٤). ولشدة ما لقيت سليت بقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾

= للتعقيب بحسبها. وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يومًا. فالمشهور الظاهر أنها حملت به كما تحمل النسآء بأولادهن. اه. و ذكر ابن كثير أن هذا هو المشهور عند الجمهور.

(١٣) قال ابن كثير : قال وهب بن منبه: ذهبت هاربة، فلمّا كانت بين الشام و بلاد مصر ضربها الطلق (أي وجع الولادة) و في رواية عن وهب كان ذلك على ثلاثة أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم (قلت) و في أحاديث الإسراء من رواية النسآي عن أنس رضي الله تعالى عنه، والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه (مرفوعًا) أن ذلك ببيت لحم، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولايشك فيه النصارى أنه بيت لحم ـ اه ـ قوله خرسة بضم الخاء و سكون الراء: طعام النفسآء. (قاموس)

(١٤) القراء ة مَن تحتها ـ بفتح الميم و نصب تحت ـ لابن كثير، و أبي عمرو، وابن عامر، و شعبة. (مِنْ تحتِها) بكسر الميم و جر تحت ـ قراء ة الباقين (نافع، حمزة، علي، حفص) عن ابن عباس هو جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها، وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك، و عمرو بن ميمون، والسدّي، و قتادة أنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي ـــ و قال مجاهد هو عيسى بن مريم، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال الحسن هو ابنها، وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير و اختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره (ابن كثير) و أيّده الإمام بوجوه. (مفاتيح الغيب)

لا تهتمي بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس و«أن» بمعنى أي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾ بقربك أو تحت أمرك إن أمرته أن يجري جرى وإن أمرته أن يقف وقف ﴿سَرِيًّا﴾ نهراً صغيراً عند الجمهور، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال: هو الجدول. وعن الحسن: سيداً كريماً يعني عيسى عليه السلام. وروي أن خالد بن صفوان قال له: إن العرب تسمي الجدول(١٥) سرياً فقال الحسن: صدقت ورجع إلى قوله. وقال: ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام بعقبه الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ﴾ حركي ﴿إِلَيْكِ﴾ إلى نفسك ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال أبو علي: الباء زائدة أي هزي جذع النخلة. ﴿تُسٰقِطْ عَلَيْكِ﴾ بإدغام التاء الأولى في الثانية: مكي ومدني وشامي وأبو عمرو وعلي وأبو بكر، والأصل تتساقط بإظهار التاءين (وتساقط) بفتح التاء والقاف وطرح التاء الثانية وتخفيف السين: حمزة. و (يساقط) بفتح الياء والقاف وتشديد السين: يعقوب وسهل وحماد ونصير. و (تساقط) حفص من المفاعلة. و(تُسقِطْ) و(يُسقِطْ) وتَسقُطْ ويَسقُطْ التاء للنخلة والياء للجذع فهذه تسع قراءات(١٦) ﴿رُطَبًا﴾ تمييز أو مفعول به على حسب ....

(١٥) أخرجه الطبراني في الصغير، و ابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحٰق عن البرآء عن النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلم في قوله تعالى (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال: السري النهر. قال الطبراني: لم يرفعه عن أبي إسحٰق إلّا أبو سنان، رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف. و أخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحٰق عن البرآء موقوفًا، وكذا ذكره البخاري تعليقًا عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحٰق، و رواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلك، و أخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحٰق موقوفًا. و في الباب عن ابن عمر رضي اللّه تعالى عنهما قال: إن السري الذي قال اللّه تعالى لمريم نهر أخرجه اللّه لتشرب منه. أخرجه الطبراني و أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر، و رواية عن أيوب بن نهيك، ضعفه أبو حاتم و أبوزرعة (تخريج أحاديث الكشاف) و كلام خالد بن صفوان مع الحسن أخرجه ابن عساكر (در منثور)

قوله أينعت: أدركت و نضِجت، والمجرد بمعناه، من ض و ف.

(١٦) ثلاثة من السبعة، و واحدة من العشرة، والخمس الباقية شواذّ ـ وهي (١) تتساقط بإظهار التائين على الأصل، والأربع الأخيرة (٢) تُسقِط و (٣) يُسقط، بضم حرف المضارعة من الإفعال و (٤) تَسقُط و (٥) يَسقُط، بفتح حرف المضارعة من نصر (٦) والمشهورة يَسَّاقط ـ ليعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري من العشرة، و سهل بن محمد و حماد بن زياد، يروي عن عاصم، ولنُصَير بن يوسف النحوي، يروي عن علي الكسائي. و الثلاثة المتواترة (١) تَسَّاقَط ـ ابن كثير، نافع ، ابن عامر، أبو عمرو، علي، شعبة، و قول المصنف: (بإدغام التاء الأولى في الثانية) فيه تسامح، و ينبغي أن يقال: بإدغام التاء الثانية في السين بعد الإبدال. (٢) تَسَاقَط ـ حمزة (٣) تُساقِط من المفاعلة ـ حفص. قوله التاء للنخلة والياء للجذع، يعني إذا كانت الصيغة مؤنثة وهي بالتاء فالضمير للنخلة و إذا كان الفعل مذكّرًا و هو باليآء فالضمير للجذع. و قوله (رطبا) تمييز إذا كان الفعل لازمًا ـ وهو إذا كان من التفاعل أو من المجرد (تسَّاقط، تَسَاقَطُ، يَسَّاقط، تتساقَط، تَسقُط، يَسقُط، في ست قراء ات) و إذا كان متعديًّا فهو مفعول به، وهو إذا كان من المفاعلة أو الإفعال (تُساقِط،=

القراءة ﴿جَنِيًّا﴾ طرياً وقالوا: التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت. وقيل: ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض من العسل[١٧]﴿فَكُلِي﴾ من الجني ﴿وَاشْرَبِي﴾ من السري ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد الرضي و (عينا) تمييز أي طِيْبِيْ نفساً بعيسى وارفضي عنك ما أحزنك ﴿فَإِمَّا﴾ أصله إن ما فضمت إن الشرطية إلى ما وأدغمت فيها ﴿تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي فإن رأيت آدمياً يسألك عن حالك فقولي إني نذرت للرحمن صمتاً وإمساكاً عن الكلام، وكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الأكل والشرب. وقيل: صياماً حقيقة وكان صيامهم فيه الصمت فكان التزامُه التزامَه[١٨]، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت فصار ذلك منسوخاً فينا. وإنما أمرت أن تنذر السكوت لأن عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرىء به ساحتها ولئلا تجادل السفهاء، وفيه دليل على أن السكوت عن السفيه واجب وما قُدعَ سفيه بمثل الإعراض ولا أطلق عنانه بمثل العراض. وإنما أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة وقد تسمى الإشارة كلاماً وقولاً ألا ترى قول الشاعر في وصف القبور: «وتكلمت عن أوجه تبلى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= تُسقِط، يُسقِط ـ في ثلاث قراءات)

(١٧) أخرجه سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر عن الربيع بن خَيْثَم. (در منثور)

(١٨) ذكر في معنى الصوم قولين : (الأول) الصمت والإمساك عن الكلام. روي ذلك عن ابن عباس والضحاك كما في جامع البيان للطبري (الثاني) الصيام الشرعي، والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب و كلام الناس رواه ابن جرير عن السُّدِّيّ و قتادة. فمن التزم الصوم لزم عليه الإمساك عن الكلام مع الإمساك عن الطعام و الشراب في شريعتهم. و توجّه على كلا القولين السوال فكيف أمرت بأن تقول إنّي نذرت ـ الخ ـ و أجيب بأن المراد بالقول الإشارة، وهذا ظاهر لما يأتي أنهم إذ تكلّموا مريم "أشارت إليه" ولذا مرّض الجوابين الأخيرين.

قوله فصار ذلك منسوخًا فينا. قال أحمد بن علي الرازي الحنفي م ٣٧٠ھ في أحكام القرآن: وهذا منسوخ بما روي عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم أنه نهى عن صَمتِ يوم إلى اللّيل ـ اه ـ قال ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق من حديث جابر بلفظ "لا صمت يوم إلى الليل" و فيه حزام بن عثمان ، وهو ضعيف ، و لأبيداؤد من حديث علي مثله (الكافي الشاف) قوله

يبرى به ساحتها: الساحة: الناحية و فضاء بين دُوَر الحي (قاموس) و تبرئة الساحة كناية عن تنزيه الذات، و رفع الاتهام المنسوب إلى جانب شخص.

قوله و ما قُدع ـ الخ ـ قدع (ف) فرسَه باللجام : كبحه ـ أي جذبه به ليقف ولا يجري. واستعمل بمعنى كفّ و منع. و مقابله هنا إطلاق العنان: أي مدّه و تسهيله ليشتدّ في الجري. والإعراض: الامتناع و صرف الوجه. و العراض ـ على زنة قتال ـ المعارضة والمقاومة يقال عارض الرجلَ: ناقَضَ كلامه بمثله. ـ أي لم يُكبَح لجامُ سفيه بشيء يماثل الإعراض، ولم يُطلَق عنانه بشيء يماثل المعارضة. هذا معناه اللفظي، والمراد إذا صُرف الوجه عن السفيه انكفّ ولم يجد مساغًا للمناقشة، و ليس شيء أمنع و أزجر له من الامتناع والابتعاد عنه رأسًا. و إذا اعترَض له أحدٌ بالمعارضة والمناقشة انطلق عنانُه و امتدّ في سفاهته و إرخاء لسانه، فالمعارضة أكبر شيء يُرخي عنانه، و يطيل لسانَه.

قوله و تكلمت عن أوجه تبلى ـ ضمير تكلمت للقبور، و تبلىٰ من سمع، بلي الثوب: خلُق و رثّ. يقول : دلّت القبور على وجوهٍ بالية. أي عتيقة متغيّرة عن جِدَّتها و جودتها. واستعمل الكلام هنا لدلالة الحال.

وقيل: كان وجوب الصمت بعد هذا الكلام أو سوغ لها هذا القدر بالنطق ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ آدميا. ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَوْمَهَا﴾ بعد ما طهرت من نفاسها[١٩] ﴿تَحْمِلُهُ﴾ حال منها أي أقبلت نحوهم حاملة إياه فلما رأوه معها ﴿قَالُوا يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ بديعاً عجيباً والفري القطع كأنه يقطع العادة ﴿يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وكان أخاها من أبيها ومن أفضل بني إسرائيل، أو هو أخو موسى عليه السلام وكانت من أعقابه وبينهما ألف سنة وهذا كما يقال يا أخا همدان أي يا واحداً منهم، أو رجل صالح أو طالح من زمانها شبهوها به في الصلاح أو شتموها به ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عمران ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ حنة ﴿بَغِيًّا﴾ زانية ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إلى عيسى أن يجيبهم وذلك أن عيسى عليه السلام قال لها: لا تحزني وأحيلي بالجواب علي. وقيل: أمرها جبريل بذلك. ولما أشارت إليه غضبوا وتعجبوا و ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ حدث ووجد[٢٠] ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ المعهود ﴿صَبِيًّا﴾ حال ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ولما أسكتت بأمر الله لسانها الناطق أنطق الله لها اللسان الساكت حتى اعترف بالعبودية وهو ابن أربعين ليلة أو ابن يوم، روي أنه أشار بسبابته وقال بصوت رفيع (اِني عبد الله) وفيه رد لقول النصارى ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٩) قوله بعد ما طهرت. أخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس في قوله (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) قال: بعد أربعين يومًا، بعد ما تعافت من نفاسها.
قوله يٰأُخْتَ هٰرُونَ. ذكر أربعة أقوال. يؤيّد الأوّل ما أخرجه ابن أبي شيبة، و أحمد ، و عبد بن حميد و ابن جرير و مسلم، و الترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن حبّان، والطبراني، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم إلى أهل نجران فقالوا: أ رأيت ما تقرأون؟ يا أخت هارون، و موسى قبل عيسى بكذا و كذا. قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم، فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم. و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن ابن سيرين قال: نبّئت أن كعبًا قال: إن قوله (يٰأُخْتَ هٰرُونَ) ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبتَ، فقال يا أم المؤمنين! إن كان النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قاله فهو أعلم و أخبر، و إلّا فإنّي أجد بينهما ستّ مأة سنة، فسكتت (در منثور) قال ابن كثير: و في هذا التاريخ نظر ـ اه ـ أي تحديد الفصل بست مأة سنة. والقول الثاني رواه ابن جرير، و ابن أبي حاتم عن السُّدّيّ، والقول الثالث مرويّ عن مجاهد و قتادة، والرابع عن سعيد بن جبير (ابن جرير، در منثور) قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم الذي ذكرناه، و أنها نسبت إلى رجل من قومها.
قوله غضبوا. أخرجه ابن جرير عن السدّي.
(٢٠) "كان" هنا ليس يراد بها الماضي، لأنّ كل واحد، قد كان في المهد صبيًا (قرطبي) "كان" زائدة أو تامّة أو و دائمة أو بمعنى صار (بيضاوي) "كان" ههنا بمعنى حصل و وُجد، و هذا هو الأقرب في تأويل هذا اللفظ و إن كان الناس قد ذكروا وجوهًا أخر (مفاتيح الغيب)
قوله: في المهد، وهو ما يُمهَد للصبي من مضجعه، سمي بالمصدر (النسفي، آل عمران) مَهَد الفراش (مَهْدا) بسطه، و وطّأه، و بابه قطع (مختار الصحاح) أخرج ابن جرير، و ابن المنذر من طريق ابن جريج قال بلغني عن ابن عباس قال: المهد مضجع الصبي في رضاعه (در منثور)
قوله روي أنه أشار بسبابته. قال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع إصبعه السبابة فوق منكبه وهو=

نَبِيًّا﴾ روي عن الحسن أنه كان في المهد نبياً وكلامه معجزته[٢١]. وقيل: معناه أن ذلك سبق في قضائه أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد.

﴿وَّجَعَلَنِيْ مُبٰرَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ نفاعاً حيث كنت أو معلماً للخير ﴿وَاَوْصٰنِيْ﴾ وأمرني ﴿بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ﴾ إن ملكت مالاً. وقيل: صدقة الفطر أو تطهير البدن، ويحتمل وأوصاني بأن آمركم بالصلاة والزكاة ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ نصب على الظرف أي مدة حياتي ﴿وَّبَرًّا بِوَالِدَتِيْ﴾ عطفاً على «مباركاً» أي باراً بها أكرمها وأعظمها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِيْ جَبَّارًا﴾ متكبراً ﴿شَقِيًّا﴾ عاقاً ﴿وَالسَّلٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ﴾ «يوم» ظرف والعامل فيه الخبر وهو «علي» ﴿وَيَوْمَ اَمُوْتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ إن كان حرف التعريف للعهد، وإن كان للجنس[٢٢] فالمعنى وجنس السلام علي، وفيه تعريض باللعنة

= يقول إنّي عبد الله ـ الآية ـ (ابن كثير)
قوله و فيه ردّ لقول النصارى. قال الإمام : إن الذي اشتدت إليه الحاجة في ذلك الوقت هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام، ثم إنّ عيسى عليه السلام لم ينصّ على ذلك، و إنّما نصّ على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم. فلهذا أول ما تكلّم إنّما تكلّم بها. والتكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى يفيد إزالة التهمة عن الأم لأن الله سبحانه لا يخصّ الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة و أمّا التكلم بإزالة التهمة عن الأم لايفيد إزالة التهمة عن الله تعالى، فكان الاشتغال بذلك أولى ـ (مفاتيح الغيب)

(٢١) نقل القرطبي: قيل آتاه في تلك الحالة الكتاب، و فهمه و علمه، و آتاه النبوة كما علم آدم الأسمآء كلها، وكان يصوم و يصلي ثم قال وهذا في غاية الضعف، روي أن عيسى عليه السلام إنّما تكلّم في طفولته بهذه الآية، ثم عاد إلى حالة الأطفال و لم يُنقل أنه دام نطقه، ولا أنه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر، ولو كان يدوم نطقه و تسبيحه و وعظه وصلاته في صغره من وقت الولادة لكان مثله ممّا لا ينكتم، وهذا كله ممّا يدل على فساد القول الأول. و في الدر المنثور: أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن عكرمة في

قوله (قال إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية قال: قضى فيما قضى أن أكون كذلك.
قوله و جعلني مباركًا أينما كنت ـ قال مجاهد، و عمرو بن قيس، و الثوري و جعلني معلّمًا للخير، و في رواية عن مجاهد نفاعًا، (ابن كثير) و نقل في الدر المنثور عن أبي هريرة مرفوعًا (جَعَلَنِيْ نفاعًا للناس أين اتّجهت) و عن ابن مسعود مرفوعًا قال: معلّمًا و مؤدّبًا و أخرج ابن جرير بسنده عن وهيب بن الورد مولى بني مخزوم ، قال: لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياء ه إلى عباده، و قد اجتمع الفقهاء على قول الله (وَجَعَلَنِيْ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ) وقيل ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان.
قال ابن جرير: و في الزكاة معنيان: أحدهما زكاة الأموال أن يؤديها، والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب ـ اهـ ـ و رجح الثاني بقوله: لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله و سلامه عليه أنه كان لا يدّخر شيئًا لغد، فتجبَ عليه زكاة المال، إلّا أن تكون الزكاة التي فرضت عليه الصدقَة بكلّ ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهًا صحيحًا.

(٢٢) قال البيضاوي: و التعريف للعهد، والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل=

على أعداء مريم وابنهالأنه إذا قال: وجنس السلام على، فقد عرض بأن ضده عليكم إذ المقام مقام مناكرة وعناد فكان مئنة لمثل هذا التعريض.

﴿ذٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿عِيسَى﴾ خبره ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ نعته أو خبر ثان أي ذلك الذي قال: إني كذا وكذا عيسى ابن مريم لا كما قالت النصارى: إنه إله أو ابن الله ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾(٢٣)كلمة الله فالقول الكلمة والحق الله، وقيل له: كلمة الله لأنه ولد بقوله:''كن'' بلا واسطة أب. وارتفاعه على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من عيسى. ونصبه شامي وعاصم على المدح أو على المصدر أي أقول قول الحق هو ابن مريم وليس بإله كما يدعونه ﴿الَّذِيْ فِيْهِ يَمْتَرُوْنَ﴾ يشكون من المرية الشك أو يختلفون من المراء، فقالت اليهود: ساحر كذاب، وقالت النصارى: ابن الله وثالث ثلاثة.

﴿مَا كَانَ لِلّٰهِ﴾ ما ينبغي له ﴿اَنْ يَّتَّخِذَ مِنْ وَّلَدٍ﴾ جيء بـ «من» لتأكيد النفي ﴿سُبْحٰنَهٗ﴾ نزه ذاته عن اتخاذ الولد ﴿ اِذَا قَضٰى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ بالنصب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= جنس السلام على نفسه عرّض بأنّ ضدّه عليهم كقوله تعالى (والسلام على من اتّبع الهدى) فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب و تولّى ـ اه ـ و جعل الأول غير الأظهر لأن هذا الكلام منقطع عن ذلك وجودًا، و سردًا فيكون معهودًا غير سابق لفظًا ومعنى، ولم يجعله غير صحيح لجواز أن يكتفى في العهد به بذكره في الحكاية. (خفاجي)
قوله مناكرة أي الإنكار على وجه المعارضة، قوله عناد هو مخالفة الحق مع عرفانه قوله مَئِنَّة ـ بفتح الميم و كسر الهمزة و تشديد النون. إنّه لمئنّة من كذا أي خليق، و أتاه على مئنّة ذلك، أي حينِه، وقال دُكين: "مَئِنَّةٍ من قَلْتِ النفوس" أي مكان من هلاك النفوس، و هذا المعنى على أنه بمنزلة مَظِنّة (بمعنى الموضع، أي محل يُظنّ وجوده فيه) والمَئِنَّة: العلامة، و في حديث ابن مسعود: إن طول الصلاة و قِصَرَ الخطبة مَئِنَّة من فقه الرجل، أي أن ذلك ممّا يُعرف به فقه الرجل. قال ابن الأثير : و حقيقتها أنّها مفعِلة من معنى "إنّ" التي للتحقيق والتأكيد، غير مشتقة من لفظها، لأن الحروف لا يشتق منها، و إنّما ضُمّنَتْ حروفَها دلالةً على أن معناها فيها. قال: ولو قيل إنّها اشتقّت من لفظها بعد ما جُعلت اسمًا لكان قولًا. قال الأصمعي: سألني شعبة عن هذا. فقلتُ مَئِنّة أي علامة لذلك و خليق لذلك (لسان العرب) فتحصّل لهذا اللفظ من مواضع استعماله و تفسير علمآء اللغة معانٍ (١) العلامة (٢) الوقت (٣) الخليق والجدير (٤) المظِنّة والمحلّ، وهنا يصح المعنيان الأخيران أي جدير لمثل هذا التعريض، أو محلّ لمثل هذا التعريض قال الإمام الرازي هنا ناقلًا لمعنى كلام الكشّاف: وكان المقام مقام اللجاج والعناد، و "يليق به" مثل هذا التعريض ـ اه ـ

(٢٣) قولَ الحقّ ـ بالنصب، ابن عامر و عاصم ـ قولُ الحقّ ـ بالرفع ـ الباقون ـ (والإعراب) على قراءة الرفع: (١) أنّه خبر ثان أو ثالث، أي ذلك عيسى كلمة الله (٢) أو خبر مبتدأ محذوف. أي هو كلمة الله، والضمير عائد إلى عيسى و يجوز أن يعود إلى الكلام السابق، والقول يكون مصدرًا، والحقّ بمعنى الصدق، أي هو قولُ الصدق. أي قولنا في عيسى أنه ابن مريم قولُ الصدق. و إضافة القول إلى الحق للبيان. (٣) أو بدل من عيسى. أي ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله. (والإعراب) على قراءة النصب ـ النصب على المدح. أي أمدح كلمة الله، أو أعني كلمة الله، أو النصب على أنه مصدر أي مفعول مطلق للمقدر، أي أقولُ قولَ الحق ـ و على هذا=

شامي[٢٤]أي كما قال لعيسى: كن فكان من غير أب ومن كان متصفاً بهذا كان منزها أن يشبه الحيوان الوالد ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بالكسر شامي وكوفي على الابتداء وهو من كلام عيسى يعني كما أنا عبده فأنتم عبيده، علي وعليكم أن نعبده. ومن فتح عطف على (بالصلاة) أي وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبأن الله ربي وربكم، أو علقه بما بعده أي لأن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴿هَٰذَا﴾ الذي ذكرت ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الحزب الفرقة المنفردة برأيها عن غيرها وهم ثلاث فرق: نسطورية ويعقوبية وملكانية ﴿مِن بَيْنِهِمْ﴾ من بين أصحابه أو من بين قومه أو من بين الناس، وذلك أن النصارى اختلفوا في عيسى حين رفع ثم اتفقوا على أن يرجعوا إلى قول ثلاثة كانوا عندهم أعلم أهل زمانهم وهم: يعقوب ونسطور وملكان. فقال يعقوب: هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء. وقال: نسطور كان ابن الله أظهره ما شاء ثم رفعه إليه. وقال الثالث: كذبوا كان عبدا مخلوقاً نبياً فتبع كل واحد منهم قوم[٢٥]﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الأحزاب إذ الواحد منهم على الحق ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة أو من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة، أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وجوارحهم بالكفر، أو من مكان الشهادة أو وقتها، أو المراد يوم اجتماعهم للتشاور فيه وجعله عظيماً لفظاعة ما شهدوا به في عيسى[٢٦]﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾

= أيضًا الإضافة بيانية، والحق بمعنى الصدق.

(٢٤) والباقون فيكونُ بالرفع. بالنصب على أنه جواب الأمر، حملًا على صورة اللفظ، وإن كان معناه الخبر، إذ ليس معناه تعليق مدلول مدخول الفاء بمدلول صيغة الأمر، الذي يقتضيه سببية ما قبل الفاء لما بعدها اللازمة لجواب الأمر بالفاء (كما في زُرُني فأُكرمَك، أي لتكن منك زيارة فإكرام مني، ما قبل الفاء هو الزيارة، و ما بعد الفاء هو الإكرام، والزيارة، سبب للإكرام. وهذه السببية لا توجد في "كن فيكون") إذ لا معنى لقولنا "ليكن منك كونٌ فكونٌ " (فالنصب هنا حملًا على صورة اللفظ) و من رفع اعتبر المعنى دون الصورة، فالرفع على الاستيناف، أي فهو يكونُ، أو على العطف على قوله "يقول" — حاشية مولانا عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير البيضاوي، سورة البقرة —

قوله من فتح ـ أي قرأ "أنّ" — وهم نافع ، وابن كثير، و أبو عمرو.

(٢٥) أخرج نحوه ابن جرير عن قتادة، و فيه زيادة "الإسرائيلية" التي قالت: هو ثالث ثلاثة، الله إله، وهو إله ، وأمه إله ـ

(٢٦) فسّر قوله تعالى "من مشهد يوم عظيم" بعدّة تفسيرات، نظرًا إلى ما يحتمله لفظ "مشهد" من المعاني، فهو إمّا مصدر ميمي أو اسم ظرف مأخوذ من شهد بمعنى حضر أو أدّى الشهادة. و المراد من اليوم العظيم إمّا يوم القيامة أو يوم حضورهم و اجتماعهم للمشاورة في أمر المسيح عليه السلام فالتفسيرات الأربع الأُول بالنظر إلى أنه يوم القيامة، والخامس بالنظر إلى يوم المشاورة والتفصيل كما يلي:

(١) هلاك و خسران لهم من حضور يوم القيامة. فمشهد مصدر بمعنى الحضور والمعنى من حضورهم في يوم القيامة و يجوز إرادة الظرف أي موضع حضورهم أو وقت حضورهم في ذلك اليوم. فهذا التفسير يتضمّن ثلاثة معانٍ. والمراد من حضورهم اليوم حضورهم ما فيه من هول الحساب والجزاء، و يجوز=

الجمهور على أن لفظه أمر ومعناه التعجب والله تعالى لا يوصف بالتعجب ولكن المراد أن إسماعهم وإبصارهم جدير بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعمياً في الدنيا. قال قتادة: إن عموا وصموا عن الحق في الدنيا فما أسمعهم وما أبصرهم بالهدى يوم لا ينفعهم و «بهم» مرفوع المحل على الفاعلية «كأكرم بزيد» فمعناه كرم زيد جداً ﴿لٰكِنِ الظّٰلِمُوْنَ الْيَوْمَ﴾ أقيم الظاهر مقام المضمر أي لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم حيث تركوا الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ووضعوا العبادة في غير موضعها﴿فِيْ ضَلٰلٍ﴾عن الحق ﴿مُّبِيْنٍ﴾ظاهر وهو اعتقادهم عيسى إلها معبوداً مع ظهور آثار الحدث فيه إشعاراً بأن لا ظلم أشد من ظلمهم.

﴿وَاَنْذِرْهُمْ﴾ خوفهم ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يوم القيامة لأنه يقع فيه الندم على مافات، وفي الحديث «إذا رأوا منازلهم في الجنة أن لو آمنوا»(٢٧) ﴿اِذْ﴾ بدل من «يوم الحسرة» أو ظرف للحسرة وهو مصدر ﴿قُضِيَ الْاَمْرُ﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أن يكون الشهود بمعنى المشاهدة كما في "أشهدوا خلقهم" على ما في المفردات، والمعنى من مشاهدتهم هول الحساب والجزاء في ذلك اليوم و على هذا يحتمل هذا التفسير معنيين لكلمة مشهد.

(٢) من شهادة ذلك اليوم - ناظر إلى معنى الشهادة، والمراد من شهادة اليوم شهادة الملائكة و الأنبياء، و أعضاء الكفار عليهم في ذلك اليوم، و إضافة المصدر إلى الوقت بطريق التجوّز كما في "مكر الليل والنهار".

(٣-٤) ناظران إلى معنى الشهادة، واللفظ ظرف مكان أو زمان، أي موضع الشهادة أو وقت الشهادة في ذلك اليوم - الشاهدون هم الملائكة والأنبياء والجوارح.

(٥) ناظر إلى معنى الحضور و إلى أن المراد باليوم يوم اجتماعهم كما أوضح المصنف. و فظُع الأمر فَظاعةً من كرم: اشتدّتْ شناعتُه و جاوزَ المقدارَ في ذلك. (قاموس)

قوله لا يوصف بالتعجب، لأن صدوره من الله محال، إذ هو كيفية نفسانية تنشأ عن استعظام ما لا يدرى سببه، ولذا قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب (خفاجي) قوله يُجدِي أي ينفع من الجدوىٰ بمعنى الفائدة. قوله أقيم الظاهر مقام المضمر، أي كان الأصل إيراد الضمير لتقدّم ذكرهم، لكن أقيم الظالمون مقام الضمير. إشعارًا بأنهم الكاملون في الظلم ولا ظلم أشدّ من ظلمهم، فإن الظلم إمّا هو الإضرار بشيء أو وضع شيء في غير محلّه وهولاء جمعوا المعنيين: أضروا بأنفسهم، ووضعوا العبادة في غير محلّها، و هذا شرك مبين، و لا ظلم أكبر من الإشراك. قوله إشعارًا بأن لا ظلم - الخ - علة لقوله أقيم الظاهر مقام المضمر.

(٢٧) أخرج ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما من نفس إلّا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، و بيت في النار وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا، فيقال لهم لو آمنتم و عملتم صالحًا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة، فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال: لولا أن منّ الله عليكم، و أخرج البخاري عن أبي هريرة قال، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: لا يدخل أحد الجنة إلّا أُري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكرًا، و لا يدخل النار أحد إلّا أُري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة (باب صفة أهل الجنة والنار) و أخرج سعيد بن منصور، و أحمد و عبد بن حميد، والبخاري، و مسلم، والترمذي، والنسائي، و أبو يعلى، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن حبان، و ابن مردويه (و ابن جرير) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل أهل الجنةِ الجنّةَ و أهل النار النارَ يُجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيُشرفون و ينظرون و=

والنار ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ﴾ هنا عن الاهتمام لذلك المقام ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لا يصدقون به «وهم» «وهم» حالان أي وأنذرهم على هذا الحال غافلين غير مؤمنين ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ الۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي نتفرد بالملك والبقاء عند تعميم الهلك والفناء وذكر من لتغليب العقلاء ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ بضم الياء وفتح الجيم. وفتح الياء: يعقوب أي يردون فيجازون جزاءً وفاقا.

﴿وَاذۡكُرۡ﴾ لقومك ﴿فِي الۡكِتٰبِ﴾ القرآن ﴿إِبۡرٰهِيمَ﴾ قصته مع أبيه ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ بغير همز[٢٨] وهمزهٔ نافع. قيل: الصادق المستقيم في الأفعال والصديق المستقيم في الأحوال، فالصديق من أبنية المبالغة ونظيره الضحيك والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله أي كان مصدقاً لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبياً في نفسه،[٢٩] وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين إبراهيم وبين ما هو بدل منه وهو:﴿إِذۡ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= يقولون: نعم! هذا الموت. وكلهم قد رآه. ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيُشرفون و ينظرون و يقولون: نعم هذا الموت. و كلهم قد رآه. فيؤمر به فيذبح ، فيقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، و يا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم (وَ أَنۡذِرۡهُمۡ يَوۡمَ الۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ الۡأَمۡرُ وَ هُمۡ فِيۡ غَفۡلَةٍ) و أشار بيده و قال "أهل الدنيا في غفلة" (در منثور) قال العلامة ابن حجر : و أخرجا عن ابن عمر نحوه، دون قراءة الآية، و في الباب عن أبي هريرة عند ابن حبان، و الحاكم، والنسائي، و أخرجه البخاري دون ذكر الذبح (كما نقلتُ عنه) و أخرجه أبو يعلى والبزار من حديث أنس، و في آخره "فيأمنُ هولاء، وينقطع رجاء هولآء" (الكافي الشاف)

قوله تصادر الفريقان: أي صدر كل من موقف الحساب إلى مقرّه، فإمّا إلى الجنة، و إمّا إلى النار (خفاجي) و في الأصل الصدور ضد الورود فالورود نزول العطشان على الماء والصدور رجوعه عنه.

قوله حالان، و ذوالحال ضمير المفعول في أنذرهم، قال البيضاوي: فيكون حالًا متضمّنة للتعليل ـ اهـ ـ أي أنذرهم لأنهم في حالة يحتاجون فيها للإنذار، وهي الغفلة، والكفر (خفاجي)

قوله نتفرد ـ الخ ـ إشارة إلى قوله تعالى: لِمَنِ الۡمُلۡكُ الۡيَوۡمَ، لِلّٰهِ الۡوَاحِدِ الۡقَهَّارِ، و ذكر وراثة الله الأرض و من عليها بطريق الاستعارة لا الحقيقة، أي كما يبقى الوارث و تصرفه بعد المورث كذا يبقى الله و تصرفه بعد هلاك الأرض و من عليها، و قوله "إنّا نحن" للتأكيد والتخصيص، فلا يُرى إذ ذاك التصرف لأحد لا حقيقة ولا صورة، والملك بالكسر: اختصاص عين المملوك بالمالك بحيث له التصرف فيه والاستقلال بمنافعه، والملك بالضم: التصرف في المملكة بالأمر والنهي (خفاجي) والهلك كالقفل الهلاك (إكليل)

قوله فتح الياء أي و كسر الجيم يَرجِعون يعقوب بن إسحٰق الحضرمي، وهو من العشرة، و سائر العشرة يُرجَعون على المبني للمفعول. والرجوع إليه كناية عن غايته وهو الجزاء حسب العمل كما أشار إليه المصنف.

(٢٨) قوله بغير همز: قال النحويّون أصله الهمز فتُرك همزُه، و قال بعض العلماء: هو من النَّبوَة أي الرفعة، و سُمي نبيًّا لرفعة محلّه عن سائر الناس (مفردات للإمام الراغب)

(٢٩) عبارة الكشاف بعد ذلك: أو كان بليغًا في الصدق، لأن ملاك أمر النبوة الصدق، و مصدّق الله بآياته و معجزاته حريّ أن يكون كذلك ـ اهـ ـ و في الكشف: المبالغة فيه تشمل المبالغة كما وكيفا ، فحمله أوّلًا على الأول بقوله "والمراد فرطُ صدقه، و كثرةُ ما صدّق به" والعطف تفسيريّ، لأن من صدّق كثيرًا يكون كثير الصدق في تصديقه، و حملهَ ثانيًا على الثاني بقوله "أو كان بليغًا في الصدق" (مثلًا بأن صدَق بقوله و اعتقاده، وحقق صدقه بفعله كما ذكر الراغب أحد الأقوال في معاني الصدّيق ـ ١٢) ولك=

قَالَ ﴾ وجاز أن يتعلق «إذ» بـ«كان» أو بـ«صديقاً نبياً» أي كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه بتلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم كقوله: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰهِيْمَ) [الشعراء: ٦٩] وإلا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله(٣٠) ﴿لِاَبِيْهِ يٰٓاَبَتِ﴾ بكسر التاء.وفتحها ابن عامر والتاء عوض من ياء الإضافة ولايقال يا أبتي لئلا يجمع بين العوض و المعوض منه ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ المفعول فيهما منسي غير منوي(٣١) ويجوز أن يقدر أي لايسمع شيئاً ولايبصر شيئاً ﴿وَلَا يُغْنِيْ عَنْكَ شَيْـًٔا﴾ يحتمل أن يكون شيئاً في موضع المصدر أي شيئاً من الإغناء وأن يكون مفعولاً به من قولك أغن عني وجهك أي بعد ﴿يٰٓاَبَتِ اِنِّيْ قَدْ جَآءَنِيْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي أو معرفة الرب ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ «ما» في (مَا لَا يَسْمَعُ) و (مَا لَمْ يَأْتِكَ) يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة ﴿ فَاتَّبِعْنِيْٓ اَهْدِكَ ﴾ أرشدك ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ مستقيماً ﴿يٰٓاَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطٰنَ﴾ لا تطعه فيما سوّل من عبادة الصنم ﴿ اِنَّ الشَّيْطٰنَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا ﴾ عاصياً. ﴿ يٰٓاَبَتِ اِنِّيْٓ اَخَافُ ﴾ قيل أعلم ﴿ اَنْ يَّمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أن تجعله جامعًا للقسمين لكونه مقام المدح والمبالغة. أمّا جعله في الأول راجعًا إلى المفعول كما في "قطّعت الحبال" على ما في بعض الحواشي فمن الأغلاط ـ اه ـ (خفاجى) ولما ثبت أن كل نبي يجب أن يكون صديقًا، ولا يجب في كل صديق أن يكون نبيًّا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقًا إلى ذكر كونه نبيًا (جمل)

(٣٠) قال الإمام : اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودًا سوى اللّٰه تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبودًا غير اللّٰه حيًّا عاقلًا فاهمًا، وهم النصارى. ومنهم من أثبت معبودًا غير اللّٰه جمادًا، ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم. وهم عبدة الأوثان. والفريقان و إن اشتركا في الضلال إلّا أن ضلال الفريق الثاني أعظم. فلمّا بيّن اللّٰه تعالى ضلال الفريق الأول تكلّم في ضلال الفريق الثاني فقال (واذكر في الكتاب) وهو عطف على قوله (ذكر رحمة ربّك عبده زكريا) (مفاتيح) و إنّما بدأ بقصة إبراهيم عليه السلام لأنه كان أبا العرب، وكانوا مقرّين بعلو شانه ، وكمال دينه، فكأنه قال لهم إن كنتم مقلّدين فقلدوه في ترك عبدة الأوثان و عبادتها، وإن كنتم مستدلّين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على أبيه. (نيسابوري)

(٣١) كما في قوله تعالى: هَلْ يَسْتَوِى الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ قوله لا يغني ـ في مختار الصحاح: ما يغني عنك هذا أي ما يجزئ عنك و ما ينفعك ـ اه ـ و أغنى عنه غَنَآء فلان: ناب عنه، وأجزأ عنه مُجْزَأه. و يشهد للمعنى الثاني قول عثمان رضي اللّٰه تعالى عنه في صحيفة لمن أتى بها: أغنها عنّا أي اصرِفْها و كُفَّها، و يقال : أغنِ عنّي شرَّك أي اصرفْه و كُفَّه، و منه قوله تعالى: لَن يُّغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا، وقوله تعالى: لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُّغْنِيْهِ. يقول : يكفيه شُغل نفسه عن شُغل غيره. (مجمع البحار و لسان العرب) قوله موصولة أو موصوفة الموصولة تكون معرفة بمعنى الذي، والموصوفة تكون نكرة بمعنى شيء قوله: سوَّلَ:التسويل: تحسين الشيء و تزيينه و تحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله (مجمع البحار) و عبارة الراغب: تزيين النفس لما تحرص عليه و تصوير القبيح منه بصورة الحسن ـ اه ـ وهذا يوضح أن التسويل محلّه الشر والقبيح، قوله "أخاف"=

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ قرينا في النار تليه ويليك فانظر في نصيحته كيف راعى المجاملة والرفق والخلق الحسن كما أمر ففي الحديث: «أوحي إلى إبراهيم أنك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار»(٣٢) فطلب منه أولاً العلة في خطئه طلب مُنَبِّـه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه، لأن من يعبد أشرف الخلق منزلة وهم الأنبياء كان محكوماً عليه بالغي المبين فكيف بمن يعبد حجراً أو شجراً لا يسمع ذكر عابده ولا يرى هيئات عبادته ولا يدفع عنه بلاء ولا يقضي له حاجة؟ ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال: إن معي شيئاً من العلم ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه، ثم ثلث بنهيه

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= قيل : أعلم ـ قاله الفرّاء، والأكثرون على أنه محمول على ظاهره لأن إبراهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت أبيه على الكفر وإلا لم يشتغل بنصحه (نيسابوري) قوله قرينًا في النار تليه و يليك. دفعٌ لإيراد، وهو أن الإنسان يكون وليًّا للشيطان أوّلا، ثم يمسّه العذاب ثانيًا، وهنا ذكر العذاب أولًا، ورتب عليه الولاية ثانيًا، فدفعه بأن المراد بكونه وليًّا له، مقارنته في العذاب، وهذا مترتب على مسّ العذاب، و قوله تليه و يليك إشارة إلى وجه الدلالة بأن "وليًّا" من الوَلي وهو القرب والاتصال، فإذا كان مقاربًا له في النار، كان قرينًا له فيها. قوله المجاملة أي المعاملة بالجميل (مختار الصحاح)

(٣٢) تمامه: فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أظله تحت عرشي، و أُسكنه حظيرة القدس، و أُدنيه من جواري. (الكشاف) رواه الطبراني في الأوسط، و ابن عدي ، والحكيم الترمذي، في النوادر من حديث أبي هريرة. و فيه مؤمل بن عبد الرحمٰن الثقفي عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، وهما ضعيفان (الكافي الشاف)

قوله منبّه اسم فاعل من التنبيه وهو الإعلام والإيقاظ، تمادَى في الأمر: بلغ فيه المَدَى، والمدى: الغاية والمنتهى. و موقظ اسم فاعل من الإيقاظ، والإفراط مجاوزة الحد، و تناهَى الشيءُ : بلغ نهايتَه. و طلب العلّة ظاهر بقوله: لِمَ أي لأي شيء ولأي سبب والتنبيه والإيقاظ على بلوغه النهاية و مجاوزة الحد في الغي يتضح بقوله تعبُد ما لايسمع ـ الخ ـ فإن ما كان عاريًا عن السمع والبصر والنفع والدفع لا يليق أن يميل إليه النفس، فكيف يليق بالعبادة، فإنّها لا تحقّ إلّا لمن له الاستغناء التام، والإنعام العام، وهو الخالق الرازق المحي المميت المعاقب المثيب قوله لا يسمع ذكر عابده ولا يرى ـ الخ ـ ناظر إلى قوله "ما لا يسمع و لا يبصر" و قوله ولا يدفع...... ولا يقضى ...... ناظر إلى قوله "ولا يغنى عنك شيئًا" دفع البلاء بالنظر إلى معنى الكفّ والمنع، وقضاء الحاجة بالنظر إلى معنى الكفاية والإجزاء.

قوله مترفقًا به متلطفًا: من الرِّفق واللطف أي اللين و حسن المعاملة. قوله فلم يَسِمُ، من الوسم وهو العلامة، والمراد لم يصفه، وهو مجاز مشهور بهذا المعنى، وإنّما لم يصفه ـ مع أنه كذلك ـ تأدّبا و رِفقًا. ولم يدّع العلم الفائق تواضعًا، ولأنّه أقرب إلى القَبول، وذلك بقوله "جاء ني من العلم" أي بعضه (خفاجى) قوله هب أمرمن وهب والمعنى احسب، وسَلِّم ولا يستعمل منه في هذا المعنى إلّا الأمر. قوله أنجِك، الكاف ضمير المفعول المخاطب والفعل مضارع مجزوم لكونه جوابًا للأمر، من الإنجاء أو التنجية قوله تتيه من تاه في الأرض يتِيه تَيْهًا و تَيُهانًا: ذهب متحيّرًا قوله ثم ثلّث بنهيه ـ الخ ـ دفع لما يختلج أن أباه لم يعبد الشيطان فكيف حكم عليه بعبادته و نهاه عنها،

عما كان عليه بأن الشيطان الذي عصى الرحمن الذي جميع النعم منه أوقعك في عبادة الصنم وزينها لك فأنت عابده في الحقيقة، ثم ربَّع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال مع مراعاة الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق به وأن العذاب لاصق به بل قال: أخاف أن يمسك عذاب بالتنكير المشعر بالتقليل كأنه قال: إني أخاف أن يصيبك نَفَيان من عذاب الرحمن وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب في نفسه وصدر كل نصيحة بقوله: (يا أبت) توسلاً إليه واستعطافاً وإشعاراً بوجوب احترام الأب وإن كان كافراً.

فثم ﴿قَالَ﴾ آزر توبيخاً: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ أي أترغب عن عبادتها فناداه باسمه ولم يقابل (يا أبت) بـ«يا بني» وقدم الخبر على المبتدأ لأنه كان أهم عنده ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن شتم الأصنام ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لأقتلنك بالرجام[٣٣]أو لأضربنك بها حتى تتباعد أو لأشتمنك﴿وَٱهْجُرْنِى﴾عطف على محذوف يدل عليه(لأرجمنك) تقديره فاحذرني واهجرني ﴿مَلِيًّا﴾ظرف أي زماناً طويلاً من الملاوة ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع ومتاركة أو تقريب وملاطفة ولذا وعده بالاستغفار بقوله:﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ سأسأل الله أن يجعلك من أهل المغفرة بأن يهديك للإسلام ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ ملطفاً بعموم النعم أو رحيماً أو مكرماً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله الذي جميع النعم منه، إشارة إلى معنى الرحمٰن. قوله أوقعك خبر "أن" في قوله أن الشيطان الذي، قوله بتخويفه سوء العاقبة و ما يَجُرُّه ما هو فيه من التبعة والوبال. "سوء العاقبة" مفعول التخويف، و "ما يجره" معطوف عليه، "ما هو فيه " فاعل يجر "من التبعة والوبال" بيان "ما" الأولى، و "ما هو فيه " مبهم أي من الكفر والإشراك. والتبعة بفتح التاء، وكسر الباء: ما يترتب على الفعل من الخير أو الشر، إلّا أن استعماله في الشر أكثر ، يقال "لهذا الفعل تبعة" أي لحوق شر و ضر فقوله والوبال كالتفسير للتبعة. والمعنى خوّفه رابعًا سوءَ العاقبة والوبالَ الذي يجره إليه الكفرُ الذي هو فيه. قوله نفَيان: ما يتطاير من الماء عن الرّشاء، قوله جعل ولاية الشيطان أكبر ـ يوخذ هذا من السياق و تفريعه على مسّ العذاب، مع ذكر الخوف، وهو توقع المكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما في المفردات.

(٣٣) قوله بالرجام أي الحجارة جمع الرَّجْمة والرُّجمة بفتح الراء و ضمها و سكون الجيم. وأصل الرجم هو الرمي بالرجام، و يستعار للرمي بالظن، والتوهم، وللشتم والطرد (مفردات) قوله لأشتمنك مروي عن ابن عباس، والسدّي، وابن جريج والضحاك و غيرهم (ابن كثير) قوله الملاوة، بتثليث الميم: البُرهة من الدهر (قاموس) قوله سأسال الله ـ الخ ـ قد ثبت بالقطع أن الله لا يغفر أن يشرك به، والنبي يعلم أن المشرك لا يستأهل المغفرة، فاستغفاره للكافر بمعنى أن يطلب المغفرة له مع كفره ـ لا يتصور منه، و معناه الصحيح هو سؤال أن يجعله أهلًا للمغفرة بأن يهديه للإسلام، و قد جاء في القرآن (وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرٰهِيْمَ لِأَبِيْهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ) (التوبة : ١١٤) قال المصنّف: و معنى استغفاره سوالُه المغفرةَ له بعد ما أسلم، أو سوالُه إعطاءَ الإسلام الذي به يُغفر له ـ اه ـ قوله حفيّا ـ في مختار الصحاح: حفي به ـ بالكسر ـ حَفاوة ـ بفتح الحاء ـ فهو حفي. أي بالغ في إكرامه، و إلطافه والعناية بأمره. و (الحفي) أيضًا المستقصي في السوال. ومن الأول قوله تعالى: إنه كان بي حفيًا. و من الثاني قوله تعالى: كأنّك حفيٌّ عنها ـ اه ـ =

والحفاوة الرأفة والرحمة والكرامة.

﴿وَاَعْتَزِلُكُمْ﴾ أراد بالاعتزال المهاجرة من أرض بابل إلى الشام ﴿وَمَاتَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ﴾ أي ما تعبدون من أصنامكم(٣٤) ﴿وَاَدْعُوْا﴾ وأعبد﴿رَبِّيْ﴾ ثم قال تواضعاً وهضماً للنفس ومعرضاً بشقاوتهم بدعاء آلهتهم ﴿عَسٰى اَلَّا اَكُوْنَ بِدُعَآءِ رَبِّيْ شَقِيًّا﴾ أي كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ﴾ فلما اعتزل الكفار و معبوديهم ﴿وَهَبْنَا لَهٗ اِسْحٰقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوْبَ﴾ نافلة ليستأنس بهما ﴿وَكُلًّا﴾ كل واحد منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي لما ترك الكفار الفجار لوجهه عوضه أولاداً مؤمنين أنبياء ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّنْ رَّحْمَتِنَا﴾ هي المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسناً وهو الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم في الصلوات، وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية﴿عَلِيًّا﴾رفيعاً مشهوراً.

﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتٰبِ مُوْسٰى(٣٥) اِنَّهٗ كَانَ مُخْلَصًا﴾ كوفي: غير المفضل، أي أخلصه الله واصطفاه، و «مخلِصا» بالكسر غيرهم أي أخلص هو العبادة لله تعالى فهو مخلص بما له من السعادة بأصل الفطرة، ومخلص فيما عليه من العبادة بصدق الهمة ﴿وَّكَانَ رَسُوْلًا نَّبِيًّا﴾ الرسول الذي معه كتاب من الأنبياء والنبي الذي ينبىء عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع(٣٦) ﴿وَنَادَيْنٰهُ﴾ دعوناه وكلمناه ليلة الجمعة ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّوْرِ﴾ هو

= قوله ملطفا اسم فاعل من الإفعال. ألطفه بكذا: بَرَّه به.

(٣٤) بين أن الدعاء هنا بمعنى العبادة، والدليل عليه ما بعده (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُوْنَ) قوله كما شقيتم ـ الخ ـ إشارة إلى أن فيه تعريضًا للكفار بخيبتهم و شقائهم بعبادة الأصنام، و قوله عسى أن لا أكون ـ تواضع منه.
قوله المال والولد، روي ذلك عن الكلبي، و عن الحسن هي النبوة، والأظهر أنها عامة في ذلك كل خير ديني و دنيوي (نيسابوري) قال ابن جرير: وإنّما وصف الله اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم ـ اه ـ قال العلماء ما خسر على الله أحد، فإن إبراهيم لما ترك أباه الكافر و قومه فرارًا بدينه عوّضه الله أولادًا مومنين أنبياء و سمّاه الله أبا المومنين (مِلَّةَ أَبِيْكُمْ إِبْرَاهِيْمَ) و تلّ ولده للجبين، ففداه الله بذبح عظيم، و أسلم نفسه لرب العلمين فجعل النار عليه بردًا و سلامًا، و أشفق على هذه الأمة فقال: وابعث فيهم رسولًا. فأشركه الله في الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس، و عادى كل الخلق حين قال : فإنهم عدو لي إلّا رب العلمين. فلا جرم اتخذه الله خليلا. (مفاتيح الغيب و غرائب القرآن)

(٣٥) قفّى قصة إبراهيم بقصة موسى عليهما السلام لأنه تِلوه في الشرف (نيسابوري) ـ (القراء ة) مخلَصًا ـ بفتح اللام على زنة اسم المفعول ـ قرأه عاصم، و حمزة، و علي غير المفضل بن محمد، يروي عن عاصم. مخلِصًا بكسر ها على زنة اسم الفاعل قرأه الباقون، و أوضح المصنف معناهما. و بيّـن أن المعنيين ثابتان له عليه السلام. وهو من أولي العزم الخمسة من الرسل نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و خاتم الأنبياء عليه و عليهم صلوات الله و سلامه.

(٣٦) قد يتوجّه هنا سؤال. وهو أن كل رسول نبي ، فأي حاجة إلى قوله "نبيًا" بعد قوله "رسولًا" و أجابوا عنه بوجوه.
ويظهر لي أنّ الرسول والنبي ليس بينهما العموم والخصوص مطلقًا بل بينهما عموم من وجه. لأن الرسل يكونون من الناس و من الملائكة. كما في القرآن (اللّٰه يَصْطَفِىْ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَّ مِنَ النَّاسِ ـ الحج ـ ٧٥) والنبي لايكون إلّا من الناس كما تقرّر =

جبل بين مصر ومدين ﴿الْأَيْمَنِ﴾ من اليمين أي من ناحية اليمين، والجمهور على أن المراد أيمن موسى عليه السلام لأن الجبل لا يمين له، والمعنى أنه حين أقبل من مدين يريد مصر نودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى عليه السلام ﴿وَقَرَّبْنٰهُ﴾ تقريب منزلة ومكانة لا منـزل ومكان(٣٧) ﴿نَجِيًّا﴾ حال أي مناجياً كنديم بمعنى منادم. ﴿وَوَهَبْنَا لَهٗ مِنْ رَّحْمَتِنَآ﴾ من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه ﴿اَخَاهُ﴾ مفعول ﴿هٰرُوْنَ﴾ بدل منه ﴿نَبِيًّا﴾ حال أي وهبنا له نبوة أخيه وإلا فهارون كان أكبر سناً منه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتٰبِ اِسْمٰعِيْلَ﴾هو ابن إبراهيم في الأصح(٣٨) ﴿اِنَّهٗ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾وافيه.وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يعود إليه فانتظره سنة في مكانه حتى عاد، وناهيك أنه وعد من نفسه

= في محله ـ فبعض الرسل ليس بنبي كجبريل، و بعض النبي ليس برسول كيوشع عليه السلام. و بعض النبي رسول. وهم الذين بعثوا إلى قوم بشريعة جديدة أو أنزل عليهم كتاب. وعلى هذا لايستلزم ذكر الرسول ذكر النبوة و ذكر وصف النبي بعد وصف الرسول يفيد أنه ليس من الملائكة بل من الناس. و ذكر الرسول بعد وصف النبي يفيد أنه جمع إلى مرتبة النبوة مرتبة الرسالة أيضًا. نعم! قد فرقوا بين الرسول والنبي على اصطلاحين متغايرين:أحدهما الرسول هو الذي جمع الكتاب إلى المعجزة، ثانيهما الرسول من كان صاحب شريعة جديدة، قيل ولو بالنسبة إلى المبعوث إليهم (خفاجي) والنبي من كان صاحب معجزة بدون كتاب أو مَن ليس صاحب شريعة جديدة. و داؤد عليه السلام كان على شريعة موسى عليه السلام، وكان صاحب الزبور. فهو رسول على المصطلح الأول، لا الثاني. و على هذا يجوز أن يكون أحد نبيًّا و رسولًا بالمعنى الأول، ولايكون رسولًا بالمعنى الثاني. و ذكر المصنف رحمه الله هذه المصطلحات في سورة الحج تحت قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُوْلٍ وَّ لَا نَبِيّ) و زاد الخفاجي أقوالًا أخر هناك.

(٣٧) روي هنا عن ابن عباس تقريبه المكاني حتى سمع صريف القلم يكتب في اللوح، و صححه الحاكم عن ابن عباس، لكن ليس بمرفوع و نحو ذلك روي عن أبي العالية، و سعيد بن جبير، و ميسرة. كل ذلك يأباه سياق ما جاء مفصّلًا مبسوطًا في سورة طه (فَلَمَّا اَتٰهَا نُوْدِيَ يٰمُوْسٰى إِنِّيْ اَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً) وقوله: (وَ مَا تِلْكَ بِيَمِيْنِكَ يٰمُوْسٰى قَالَ هِيَ عَصَايَ) (فَاَلْقٰهَا فَاِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعٰى) و ما بعد ذلك، كله دليل واضح أن المناجاة، و إعطاء معجزتين وقعا في الأرض و بذلك الوادي المقدس طوى، فالوجه أنهم أخذوا رواية رفعه فوق السموات و سماعه صريف الأقلام، و كتابة التوراة من أحبار أهل الكتاب، وعلينا أن نعرضها على القرآن والسنة المرفوعة فإن لم تصادم يجوز قبولها، وإلّا لا. و العجب من ابن كثير أنه لم يلمّ بمعنى تقريب التشريف شيئًا و سرد تلك الروايات بدون شيء من التنبيه عليها. قوله كان أكبر سنًا منه. رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما.

(٣٨) قوله في الأصح. بل هذا هو الصحيح، ولا يليق بالالتفات ما قيل: إنه إسمٰعيل بن حزقيل، بعثه اللّٰه إلى قومه، فسلخوا جلدة رأسه، فخيره اللّٰه تعالى فيما شآء من عذابهم، فاستعفاه و رضي بثوابه، و فوّض أمرهم إليه في عفوه و عقوبته كما حكى القرطبي. فإنه لو كان غير إسمٰعيل بن إبراهيم لميزه القرآن بوصف، ولوجد اسمه في كتاب يوثق به، من البين أنه ماخوذ من الإسرائيليين الذين يحاولون الغضّ من قدر إسمٰعيل بن إبراهيم عليهما السلام لكونه أبا العرب و أبا نبينا عليه الصلاة والسلام. قوله فانتظره سنة. أخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري في قصة، قال: بلغني. قوله ناهيك بمعنى يكفيك أصله من النهي، كأن الأمر الذي يذكر بعد هذا اللفظ ينهى عن طلب غيره لزيادة وضوحه.

الصبر على الذبح فوفى. وقيل لم يعد ربه موعداً إلا أنجزه، وإنما خصه بصدق الوعد وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء تشريفاً له ولأنه المشهور من خصاله ﴿وَكَانَ رَسُوْلًا﴾ إلى جرهم ﴿نَّبِيًّا﴾ مخبراً منذراً ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ اَهْلَهٗ﴾ أمته لأن النبي أبو أمته أو أهل بيته وفيه دليل على أنه لم يداهن غيره ﴿بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ﴾ يحتمل أنه إنما خصت هاتان العبادتان لأنهما أما العبادات البدنية والمالية ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهٖ مَرْضِيًّا﴾ قرئ (مرضوا) على الأصل.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتٰبِ اِدْرِيْسَ﴾ هو أخنوخ(٣٩) أول مرسل بعد آدم عليه السلام، وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم والحساب واتخذ الموازين والمكاييل والأسلحة فقاتل بني قابيل. وقولهم سمي به لكثرة دراسته كتب الله لا يصح لأنه لو كان «إفعيلاً» من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة ﴿اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيْقًا نَّبِيًّا﴾ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ﴿وَّرَفَعْنٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو شرف النبوة والزلفى عند الله. وقيل: معناه رفعته الملائكة إلى السماء

قوله تعالى (وَ كَانَ رَسُوْلًا نَبِيًّا) في هذا دلالة على شرف إسمٰعيل على أخيه إسحٰق، لأنه إنّما وصف بالنبوة فقط، و إسمعيل وصف بالنبوّة والرسالة، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: "إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى مِنْ ولدِ إِبْرَاهِيْمَ اِسْمٰعِيْلَ ـ الحديث ـ" فدلّ على صحّة ما قلناه (ابن كثير)و في روح البيان: أرسله الله تعالى إلى جرهم، و إلى العماليق، و إلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم عليه السلام. قال في القاموس "جرهم" ك "قنفذ" حي من اليمن تزوج فيهم إسماعيل (نبيًا) يخبر عن الله، و كان على شريعة أبيه إبراهيم، ولم يكن له كتاب أنزل إليه بإجماع العلماء، و كذا لوط، و إسحٰق، و يعقوب عليهم السلام ـ اه ـ وهذا مشكل جدًّا فإنّ القرآن سمّاه "رسولًا" و قالوا في تعريف الرسول من كان صاحب شريعة جديدة، أو من أنزل عليه كتاب. و أحد من المعنيين لا يوجد في إسماعيل عليه السلام لكن أجابوا ههنا بزيادة قول ثالث وهو أن الرسول من بعث إلى قوم بشريعة جديدة بالنسبة إليهم، و إن كانت الشريعة غير جديدة في نفسها و إسمٰعيل عليه السلام كذلك، لأنه بعث إلى جرهم بشريعة أبيه، ولم يبعث إبراهيم عليه الصلاة والسلام إليهم (عناية القاضي) و قال الخفاجي: في الفرق بين الرسول والنبي كلمات كثيرة، أكثرها مضطرب ـ اه ـ و يُرى من صنيع صاحب المدارك هنا أنه حمل الرسول على المعنى العام بمعنى المبعوث إليهم، و النبيَّ على المعنى المصطلح. والله تعالى أعلم.

قوله و أهل بيته كذا في ما وجدت من النسخ، لكن يظهر لي أنه "أو" كما ذكر صاحب الكشاف والبيضاوي و الرازي و قوله و فيه دليل الخ أيضًا يقتضي أن يكون هذامعنى آخر، فإن عدم المداهنة حين أمره جميع الأمة مع أهل البيت واضح لا يحتاج إلى الاستدلال، نعم إذا أريد أنه كان يأمر أهل بيته يتجه السوال بأنه كيف كان يعامل غير أهله، و يجاب بأن من لم يترك أهله من إلزام الأمر لا يترك غيره، ولا يداهنه، والمداهنة: المصانعة واللين، والمحاباة في غير حق، والمساهلة في الأمر والنهي (لسان العرب و مجمع البحار و غيرهما) قوله أمّا العبادات، أصله أمّان ، مثنى الأم، حذفت نون التثنية للإضافة. قوله مرضوًّا، قراء ة شاذة.

(٣٩) قوله أخنوخ ـ بضم الهمزة و فتحها (خفاجى)

قوله لا يصح، لأنه لو كان مشتقًّا كان عربيًا، وهو أعجمي، لمنع صرفه بالاتفاق، و جريان الاشتقاق في غير العربي ممّا لم يقل به أحد ـ اه خفاجى. قوله الزلفى. أي التقرب. ذكر المصنف هنا أقوالًا في تفسير قوله تعالى (وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَليًا) الأول: المراد به رفعة المرتبة والثاني رفعة المنزل والمكان و فيه=

الرابعة، وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فيها. وعن الحسن: إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وذلك أنه حبب لكثرة عبادته إلى الملائكة فقال: لملك الموت أذقني الموت يهن عليّ ففعل ذلك بإذن الله فحيى وقال: أدخلني النار أزدد رهبة ففعل، ثم قال: أدخلني الجنة أزدد رغبة، ثم قال: اخرج فقال: قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج من الجنة فقال الله عز وجل: بإذني فعل وبإذني دخل فدعه.

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾إشارة إلى المذكورين في السورة من زكرياء إلى إدريس ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ «من» للبيان لأن جميع الأنبياء منعم عليهم ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ «من» للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه ولد سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ أي ومن ذرية إسرائيل أي يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى لأن مريم من ذريته(٤٠) ﴿وَمِمَّنْ﴾ يحتمل العطف على «من» الأولى والثانية ﴿هَدَيْنَا﴾ لمحاسن الإسلام ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ من الأنام أو لشرح الشريعة

= ثلاثة أقوال: الأول رفعه إلى السماء الرابعة، وهذا مروي عن قتادة، و مجاهد، والربيع، وهو مؤيّد بأن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم رآه في السماء الرابعة كما في حديث الصحيحين في الإسراء والثاني: رفعه إلى السماء السادسة أخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثالث رفعه إلى الجنة وهو قول الحسن البصري. و أخرجه ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في الآية، قال: رفع إدريس كما رفع عيسى ولم يمت (الدر المنثور، والبداية والنهاية) و ما ذكر المصنف من ذوقه الموت، و وروده النار، و دخوله الجنة أخرج ما يقاربه و يدل عليه ابن أبي حاتم من طريق داود بن هند عن بعض أصحابه. (در منثور)

قوله هو جد أبي نوح. نسب نوح عليه السلام على ما نقل في البداية والنهاية عن علماء النسب: نوح بن لامك، بن متوشلخ بن أخنوخ ـ وهو إدريس ـ بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام ـاهـ

(٤٠) تقسيم الأنبياء المذكورين إلى أولاد سيدنا آدم، و إلى أولاد من حُمل مع سيدنا نوح، و إلى أولاد إبراهيم، و إلى أولاد إسرائيل عليهم السلام (و تفسيره كما ذكر المصنف مروي عن السدي أخرجه ابن أبي حاتم عنه) يدل على أن سيدنا إدريس أقدم من سيدنا نوح عليهما السلام كما قال ابن جرير بعد التفسير المذكور: ولذلك فرّق أنسابهم و إن كان يجمع جميعهم آدم. لأن فيهم مَن ليس مِن ولد مَن كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس فإنه جد نوح ـ اهـ ـ قال ابن كثير هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام، وقد قيل إنه من أنبياء بني إسرائيل (نقله القرطبي عن ابن العربي المالكي) أخذًا من حديث الإسراء حيث قال (سيدنا إدريس عليه السلام) في سلامه على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم "مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح". ولم يقل "بالولد الصالح" كما قال آدم و إبراهيم عليهما السلام ـ اهـ ـ قال فيالبداية والنهاية: وهذا لا يدل. لأنه قد يكون الراوي حفظه جيدًا، أو لعله قال على سبيل الهضم والتواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب آدم أبو البشر و إبراهيم الذي هو خليل الرحمٰن و أكبر أولي العزم بعد سيدنا محمد صلوات الله عليهم أجمعين ـ اهـ ـ

قول يحتمل العطف ـ الخ ـ فيكون للبيان على التقدير الأول، و للتبعيض على الثاني. قال البيضاوي: في تفسيره: و من جملة من هديناه إلى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة ـ اهـ ـ قال الخفاجي: إشارة إلى أن من تبعيضية، و أنه معطوف على قوله من ذرية آدم، و أمّا جعله معطوفًا على قوله من النبيين ـــ أي ممن جمعنا=

وكشف الحقيقة ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي إذا تليت عليهم كتب الله المنزلة وهو كلام مستأنف. إن جعلت (الذين) خبراً لـ (أولئك) وإن جعلته صفة له كان خبراً. (يتلى) بالياء: قتيبة لوجود الفاصل مع أن التأنيث غير حقيقي ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم رغبةً ﴿وَبُكِيًّا۩﴾ باكين رهبة جمع باكٍ كسجود وقعود في جمع ساجد وقاعد في الحديث: «اتلوا القرآن وابكوا وإن لم تبكوا فتباكوا». وعن صالح المري: قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح: هذه القراءة فأين البكاء؟ ويقول في سجود التلاوة سبحان ربي الأعلى ثلاثاً. [٤١]﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فجاء من بعد هؤلاء المفضلين ﴿خَلْفٌ﴾ أولاد سوء[٤٢]وبفتح اللام العقب الخير. عن ابن عباس: هم اليهود ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ﴾ ملاذ النفوس. وعن عليّ رضي الله عنه: من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور. وعن قتادة رضي الله عنه: هو في هذه الأمة ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ جزاء غي وكل شر عند العرب غي وكل خير رشاد. وعن ابن عباس وابن مسعود: هو واد في جهنم أعدّ للمصرين على الزنا وشارب الخمر وآكل الربا والعاق وشاهد الزور. ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ رجع عن كفره ﴿وَءَامَنَ﴾ بشرطه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد إيمانه ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء: مكي وبصري وأبو بكر ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم

= له بين النبوة، والهداية، والاجتباء ـــ لعدم التغاير، فخلاف الظاهر، و إن جوّزوه ـ اهـ ـ
قوله وهو كلام مستانف. إن جعلت الذين أنعم الله عليهم مع ما بعده خبرًا لأولئك تَمّ الكلام من المبتدأ والخبر، و هذا استيناف بياني لمن سأل عن حالهم عند تلاوة آي الرحمن يذكر خشيتهم من اللّٰه، و تواضعهم و خشوعهم له، مع ما لَهم من علو الطبقة في شرف النسب، و كمال النفس، والزلفى من اللّٰه تعالى، و حديث "اتلوا القرآن" أخرجه إسحٰق والبزار، و أبو يعلى والحارث والبيهقي في الشعب بلفظ "إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتبَاكَوُا" ـ الحديث ـ (تخريج أحاديث الكشاف) و صالح بن بشير المري (بضم الميم و تشديد الراء) يروى عن ثابت والحسن البصري و ابن سيرين. (إكليل)

(٤١) يقول في سجوده ما يقول في سجود التلاوة هوالصحيح (خانية وهندية) وقيل: يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها مثلًا يقول في سجدة هذه الآية: اللّٰهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهتدين الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك (كشاف)

(٤٢) قوله أولاد سوء أي خلف بسكون اللام بمعنى أولاد السوء و بفتح اللام العقب الخير، قال الخفاجي هو المشهور في اللغة و نُقل غير ذلك. قوله ملاذّ النفوس، ملاذ جمع ملذ بفتح الميم واللام و تشديد الذال موضع اللذة، قوله من بنى بالموصول والماضي. الشديد أي المحكم، والمنظور هو المركوب الحسن من فرس أو بغل لم يعدّ للجهاد، بل للتكبّر لأنه لحسنه ينظر الناس إليه، والمشهور من الثياب، الفاخر الزاهي لونه، و تسمى الثياب مشتهرة (خفاجي) قوله رجع عن كفره يشير إلى أن المراد من الخلف المذكورين هم الكفرة أو الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات استحلالًا.

ولايمنعونه بل يضاعف لهم أو لا يظلمون شيئاً من الظلم[٤٣] ﴿ جَنّٰتِ ﴾ بدل من «الجنة»لأن الجنة تشتمل على جنات عدن لأنها جنس أو نصب على المدح ﴿عَدْنٍ﴾ معرفة لأنها علم لمعنى العدن وهو الإقامة أو علم لأرض الجنة لكونها مقام إقامة ﴿الَّتِيْ وَعَدَ الرَّحْمٰنُ عِبَادَهٗ﴾ أي عباده التائبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات كما سبق ذكرهم ولأنه أضافهم إليه وهو للاختصاص وهؤلاء أهل الاختصاص[٤٤] ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها ﴿اِنَّهٗ﴾ ضمير الشأن أو ضمير الرحمن ﴿ كَانَ وَعْدُهٗ﴾ أي موعوده وهو الجنة ﴿مَأْتِيًّا﴾ أي هم يأتونها ﴿لَا يَسْمَعُوْنَ فِيْهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ فحشاً أو كذباً أو ما لا طائل تحته من الكلام وهو المطروح منه، وفيه تنبيه على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه داره التي لا تكليف فيها ﴿ اِلَّا سَلٰمًا﴾أي لكن يسمعون سلاماً من الملائكة أو من بعضهم على بعض، أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة فهو استثناء منقطع عند الجمهور. [٤٥] وقيل: معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ولما كان أهل دار السلام أغنياء عن الدعاء بالسلامة، كان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيْهَا بُكْرَةً وَّعَشِيًّا﴾ أي يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار من الدنيا إذ لا ليل ولا نهار ثم، لأنهم في النور أبداً وإنما يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بإرخائها. [٤٦] والرزق بالبكرة والعشي أفضل العيش عند العرب فوصف

(٤٣) يشير أن الظلم له معنيان، نقص الحظ، والإضرار و على الأول شيئًا مفعول به، و على الثاني مفعول مطلق بمعنى لايُظلمون ظلمًا، قوله معرفة. عدن بسكون الدال مصدر بمعنى الإقامة، وهو نكرة، فالمضاف إليه أيضًا يكون نكرة، و على تقدير تنكير "جنت عدن" لا يصح إبداله من "الجنة" على قول من قال لا يصح إبدال النكرة غير الموصوفة من المعرفة، ولا يصح كونه موصوفًا للموصول في قوله "التي وعد الرحمٰن" فاحتاجوا إلى اعتبار "جنت عدن" معرفة، وقالوا عدن معرفة لأنه علم جنس لمعنى العدن، كما أن "برة" بفتح الباء علم لمعنى البر والإحسان، أو هو علم لأرض الجنة. وعلى التقديرين تكون جنت عدن معرفة و يصح الإبدال والوصف بدون نزاع.

(٤٤) وعد الجنة ليس عامًا لجميع العباد كما يتوهم من ظاهر قوله "عباده" فأبان المصنف أن الإضافة في قوله عباده للعهد، والمعهود هم الذين تابوا و آمنوا و عملوا الصالحات، أو إضافة العباد إلى الرحمٰن للاختصاص، و أهل الاختصاص هولاء المذكورون. قوله وعدها وهي غائبة. بين فيه أن العائد إلى الموصول في قوله وعد الرحمٰن محذوف والأصل التي وعدها الرحمٰن، وقوله بالغيب إمّا حال عن هذا العائد المحذوف أو حال عن عباده أي وعدها ملتبسة بالغيب أو وعدها عباده ملتبسين بالغيب قوله أي موعوده، الوعد بمعنى المصدر قد سبق فلا يكون ماتيًا في المستقبل لذا فسّر الوعد بالموعود و ماتيا اسم مفعول من أتى على زِنة مرميّ.

(٤٥) فإن سلام الملائكة أو تحية بعضهم لبعض أو قولًا ذا سلامة ليس من باب اللغو قوله و قيل الخ فعلى هذا الوجه يكون الاستثناء متّصلًا.

(٤٦) أخرج ابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قوله "لَهُم رِزْقُهُم فِيهَا بُكْرَةً وَّ عَشِيًّا" قال: ليس في الجنة ليل ولا شمس ولا قمر، هم في نور أبدًا، ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب و=

الله جنته بذلك. وقيل أراد دوام الرزق كما تقول: «أنا عند فلان بكرة وعشياً» تريد الدوام.﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِيْ نُوْرِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي نجعلها ميراث أعمالهم يعني ثمرتها وعاقبتها.[٤٧] وقيل: يرثون المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا لأن الكفر موت حكماً ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ عن الشرك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزل[٤٨]:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ اِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الإطلاق والأول أليق هنا يعني أن نزولنا في الأحايين وقتاً غب وقت ليس إلا بأمر الله ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْنَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي له ما قدامنا وما خلفنا من الأماكن وما نحن فيها فلا نتمالك أن ننتقل من مكان إلى مكان إلا بأمر الملك ومشيئته، وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث من الأحوال لا تجوز عليه الغفلة والنسيان فأنى لنا أن نتقلب في ملكوته إلا إذا أذن لنا فيه ﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من (ربك) أو خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السماوات والأرض. ثم قال: لرسوله لما عرفت أنه متصف بهذه الصفات ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾ فاثبت على عبادته ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهٖ﴾أي اصبر على مكافأة الحسود، لعبادة المعبود، واصبر على المشاق، لأجل عبادة الخلاق، أي لتتمكن من الإتيان بها ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهٗ سَمِيًّا﴾ شبيها ومثلاً، أو هل يسمى أحد باسم الله غيره لأنه مخصوص بالمعبود بالحق أي إذا صح أن لامعبود توجه إليه العباد العبادة إلاهو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= إغلاق الأبواب، و يعرفون مقدار النهار برفع الحجب و فتح الأبواب (در منثور) و قال الحسن و قتادة و غيرهما: كانت العرب الأنعَم فيهم من يتغدّى و يتعشّىٰ فنزل القرآن على ما في أنفسهم من النعيم. (ابن كثير)

(٤٧) يشير إلى أن ذكر الإيراث ليس على الحقيقة بل هو على طريق الاستعارة والتشبيه ، فإن المتقي تنقضي أعماله و تبقي ثمرتها كما ينقضي الموروث و يبقى ما له للوارث قوله و قيل يرثون المساكن الخ. مرضه لأنه يدلّ على أن بعض الجنة موروث، والنظم يدل على أن الجنة كلها موروثة، ولأن الإيراث يبتني على ملك سابق متحقق، لا على ملك مفروض مع أنه لا داعي للفرض هنا. (خفاجي) قوله عن الشرك. أخرج ابن أبي حاتم عن داود بن هند في قوله: "مَنْ كَانَ تَقِيًّا" قال: موحدًا (در منثور)

(٤٨) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، و عبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، و ابن المندر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في الدلائل. (در منثور)

قوله على مَهَل بفتح الهاء وتسكن أي وقتًا بعد وقت، قوله وقتا غِبَّ وقت، غبّ بمعنى بَعد، ومنه قولهم غبّ السلام و غِبَّ ذا، ذكره في المصباح، و أهمله في القاموس. (خفاجي) قوله لما عرفت الخ بيان لوجه ترتب قوله "فاعبده" على ما قبله و كذا قوله أي إذا صحّ أن لا معبود الخ بيان لمناسبة الاستفهامية الإنكارية لما قبلها. قوله مكافأة الحسود كافأ فلانًا: دافعه عنه.

فتّ أبيَّ بن خلف عظماً وقال: أنبعث بعدما صرنا كذا؟ فنـزل: ﴿وَيَقُوْلُ الْإِنْسَانُ ءَاِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ والعامل في «إذا»ما دل عليه الكلام وهو أبعث أي إذا مامت أبعث وانتصابه بـ(أخرج) ممتنع لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها فلا تقول «اليوم لزيد قائم» ولام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال وتؤكد مضمون الجملة، فلما جامعت حرف الاستقبال خلصت للتوكيد واضمحل معنى الحال. و«ما» في «إذا ما» للتوكيد أيضاً فكأنه قال: «أحقًّا إنا سنخرج من القبور أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك» على وجه الاستنكار والاستبعاد. وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة، ومنه جاء إنكارهم ﴿اَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾(٥٠) خفيف شامي ونافع وعاصم من الذكر، والسائر بتشديد الذال والكاف وأصله يتذكر كقراءة أبيّ فأدغمت التاء في الذال أي أوَ لا يتدبر، والواو عطفت (لا يذكر) على (يقول) ووسطت همزة الإنكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى فإن تلك أدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والأعراض من العدم إلى الوجود. وأما الثانية فليس فيها إلا تأليف الأجزاء الموجودة وردها إلى ما كَانت عليه مجموعة بعد التفريق ﴿اَنَّا خَلَقْنٰهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه

(٤٩) فتّ يفُتّ فتًّا (ن) وفتّت الشيء كسره بالأصابع كِسَرًا صغيرة، و منه فتّ الخبز في المرق و نحوه. قال القرطبي: الإنسان هنا أبي بن خلف وجد عظاما بالية ففتتها بيده وقال: زعم محمد أنا نبعث بعد الموت، قاله الكلبي، ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري، وقال المهدوي: نزلت في الوليد بن المغيرة و أصحابه، وهو قول ابن عباس (الجامع لأحكام القرآن) و أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله "ويقول الإنسان" الآية قال: قالها العاصي بن وائل. (در منثور)

قوله والعامل في إذا ـ الخ ـ ذكر هنا مسائل: (١) إذا ظرف منصوب مضاف إلى ما بعدها، والناصب ليس قوله أُخرج ، لأنه وارد بعد لام الابتداء في "لسوف" و ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها، فالناصب ما دلّ عليه الكلام وهو "أُبعث". (٢) لام الابتداء...... خلصت ههنا للتوكيد (٣) ما في "إذا ما" للتاكيد. والاستفهام للإنكار والاستبعاد (٤) تقديم الظرف على ذكر البعث لأن ذلك محلّ الإنكار، فإن نفس الإحياء ليس بمنكر، ولكن الإحياء بعد الموت هو المنكر فقدم ما هو محلّ الإنكار ـ قوله و إيلاء ه أي إتباعه حرف الإنكار بدون فصل، ولِيَه: تبِعه من غير فصل و أولاه إياه أتبعه إياه بدون فصل، قوله من قبل، بكسر القاف و فتح الباء أي من جهة أن، الخ و أراد بحرف الإنكار همزة الاستفهام التي جاءت ههنا للإنكار، والظرف (إذا) وقع بعدها متّصلًا.

(٥٠) (لا يذكر) من نصر قراء ة ابن عامر، و نافع، و عاصم والسائر أي باقي القرّاء وهم الأربعة: ابن كثير و أبو عمرو، و حمزة، وعلي الكسائي يذّكّر بتشديد الذال والكاف، و أصله يتذكر وهو أيضًا قراء ة لأبي بن كعب، لا يذكُر من الذكر الذي يراد به التفكر، و إظهار الفاعل في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإشعار بأن الإنسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون التكوين المنحية بالقلع عن القول المذكور، وهو السر في إسناده إلى الجنس أو إلى الفرد بذلك العنوان (أبو السعود) همزة الاستفهام ههنا للردّ والإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه يقول، و أصل الكلام هكذا أ يقول ذلك ولا يذكر=

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ هو دليل على ما بينا وعلى أن المعدوم ليس بشيء خلافاً للمعتزلة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي الكفار المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ الواو للعطف وبمعنى «مع» أوقع أي يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة. وفي إقسام الله باسمه مضافاً إلى رسوله تفخيم لشأن رسوله ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ حال جمع جاث أي بارك على الركب ووزنه «فعول» لأن أصله «جثوو» كسجود وساجد أي يعتلون من المحشر إلى شاطىء جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ طائفة شاعت أي تبعت غاوياً من الغواة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ جرأة أو فجوراً أي لنخرجن من كل طائفة من طوائف الغي أعتاهم فأعتاهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم. وقيل: المراد بأشدهم عتياً الرؤساء لتضاعف جرمهم لكونهم ضلالاً ومضلين. [٥١] قال سيبويه: (ايهم) مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته وهو «هو» من «هو أشد» حتى لو جيء به لأعرب بالنصب، وقيل: أيهم هو أشد وهذا لأن الصلة توضح الموصول وتبينه كما أن المضاف إليه يوضح المضاف ويخصصه، فكما أن حذف المضاف إليه في «من قبلُ» يوجب بناء المضاف وجب أن يكون حذف الصلة أو شيء منها موجباً للبناء وموضعها نصب بـ«ننزع»، وقال الخليل: هي معربة وهو مبتدأ وأشد خبره وهو رفع على الحكاية تقديره: لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد على الرحمن عتياً. ويجوز أن يكون النزع واقعاً على (من كل شيعة) كقوله: (ووهبنا لهم من رحمتنا) أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلاً قال: من هم؟ فقيل: أيهم أشد عتياً، و«على» يتعلق بأفعل أي عتوهم أشد على الرحمن ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بالنار ﴿صِلِيًّا﴾ تمييز أي دخولاً [٥٢] والباء

= أنا أوجدناه من العدم، و في الإيجاد من العدم أعظم دليل على القدرة على الإحياء بعد الإفناء، قوله على ما بينّا أي الإخراج من العدم، و إيجاد ما كان معدومًا ـ قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار لما قدروا عليها، إذ لا شك أن الإعادة ثانيًا أهون من الإيجاد أولًا، و نظيره قوله (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) ـ مفاتيح الغيب.

قوله و بمَعنى مع أوقع أي أحسن موقعًا و أكثر وقعًا و تأثيرًا قوله يعتلون مجهول، من ض و ن عتله: جذبه و جرّه عنيفًا.

(٥١) ذكر المصنف في "أيهم أشد" ثلاثة وجوه من الإعراب، الأول قول سيبويه ، والثاني قول الخليل والثالث: و يجوز أن يكون النزع واقعًا ـالخـ على الأول هو مضموم لفظًا، منصوب محلًّا، أي لننزعن من كل طائفة تابعة لغاوٍ مَن هو أشد عتوًا عند الرحمٰن، و على الثاني هو مرفوع مبتدأ، و على الثالث أيهم أشد مبتدأ وخبر، جملة مستانفة استينافًا بيانيًا، والمفعول قوله "من كل شيعة" أي لننزعن بعض كل شيعة.

(٥٢) قال الراغب : أصل الصلْي لإيقاد النار، و يقال صلِيَ بالنار و بكذا أي بُليَ بها و اصطلى بها، و صلَيْتُ الشاةَ: شَوَيتُها وهي مصليّة، و قيل صلى النار:=

تتعلق بـ «أولى» ﴿وَإِن مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ داخلها والمراد النار والورود: الدخول(٥٣) عند علي وابن عباس رضي الله عنهم وعليه جمهور أهل السنة لقوله تعالى: (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) [هود: ٩٨] ولقوله تعالى: (لَوْ كَانَ هٰؤُلَآءِ اٰلِهَةً مَّا وَرَدُوْهَا) [الأنبياء: ٩٩] ولقوله: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِيْنَ اتَّقَوْا) إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول لقوله عليه السلام: «الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= دخل فيها، و أصلاها غيرَه (مفردات)

(٥٣) ذكر المصنّف أقوال المفسرين في معنى الورود **الأول** الدخول و يدخلها كل بر و فاجر و تكون بردًا و سلامًا على المؤمنين كما كانت على إبراهيم. **الثاني** الدخول لكنه يختص بالكفار **الثالث** الحضور حول جهنم **الرابع** المرور على الصراط الممدود على النار **الخامس** قول مجاهد، و مأخذه الحديث المذكور لكنه لا يدل على أن المؤمن المحموم في الدنيا لا يرد النار في الآخرة. و اختار المصنف الأول كما يظهر من قوله "فيه دليل على دخول الكل لأنه قال: "و نذر" ولم يقل "و ندخل".

ونذكر ههنا ما ذكر ابن جرير الطبري في جامع البيان من الأقوال، و ما اختاره قال: اختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم (١) الدخول ـ و أخرج هذا القول بأسانيده عن ابن عباس و خالد بن معدان، و كعب، و أبي ميسرة، و أبي خالد، و عبد الله بن رواحة، و عبد الله بن مسعود (٢) وقال آخرون بل هو المرُّ عليها ـ أخرجه عن قتادة و عبد الله بن مسعود (٣) و قال آخرون: بل الورود هو الدخول، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين، أخرجه عن ابن عباس و عكرمة (٤) وقال آخرون: بل الورود عام لكل مومن و كافر، غير أن ورود المؤمن المرور، و ورود الكافر الدخول. أخرجه عن ابن زيد (٥) وقال آخرون ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى و مرض. أخرجه عن مجاهد (٦) وقال آخرون: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. أخرجه عن عبد الله بن مسعود و جابر بن عبد الله والحسن البصري و بسر بن سعيد.

ثم قال ابن جرير: و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله، و يهوي فيها الكفار، (أمّا معنى الورود فقال:) هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم من "مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم" فناجٍ مسلّم و مكدّس فيها. ثم ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا المعنى. منها حديث حفصة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وهو في بيت حفصة: لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية فقالت حفصة يا رسول الله أ ليس الله يقول: و إن منكم إلّا واردها فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فمَهْ: ثم ينجي الله الذين اتقوا (رواه مسلم والإمام أحمد أيضًا، قال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب "لو كان الورود عبارة عن الدخول لكان سؤال حفصة لازمًا") و ذكر أحاديث أخر. أمّا قوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِي الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظّٰلِمِيْنَ فِيْهَا جِثِيًّا فقال فيه صاحب الكشاف و نقله الرازي و اختاره البيضاوي قائلًا: وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها، و أن المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم، و تبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيآتهم، و أوضحه الخفاجي و أجاب عمّا أورد عليه، وقال الراغب: يقال فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة اعتداده به ، والوذرة قطعة من اللحم، و تسميتها بذلك لقلة الاعتداد بها نحو قولهم فيما لا يُعتدّ به "هو لحم على و ضَم" (مفردات) وعلى هذا الاستعمال الذي ذكره الراغب لا يكون في قوله "نذر" دليل على الدخول. وكذا الإنجاء والتنجية أصله النجاء وهو الانفصال من الشيء كما في المفردات ، وقد يكون الانفصال ابتداءً كما في قوله تعالى: فأنجيناه و أهله إلّا امرأته. (٨٣– اعراف) و قوله: فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوْدًا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهٗ (٥٨ هود) فَلَمَّا جَآءَ

إبراهيم[٥٤]وتقول النار للمؤمن:جز يا مؤمن! فإن نورك أطفأ لهبي» [٥٥] وقيل: الورود بمعنى الدخول لكنه يختص بالكفار لقراءة ابن عباس (وَإِنْ مِّنْهُمْ) وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات. وعن عبد الله: الورود الحضور لقوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ)[القصص: ٢٣] وقوله: (أُولَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾) [الأنبياء:١٠١] وأجيب عنه بأن المراد عن عذابها. وعن الحسن وقتادة: الورود المرور على الصراط لأن الصراط ممدود عليها فيسلم أهل الجنة ويتقاذف أهل النار. وعن مجاهد: ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» [٥٦] وقال رجل من الصحابة لآخر: أيقنت بالورود؟ قال: نعم. قال: وأيقنت بالصدر؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك وفيم التثاقل؟ ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ أي كان ورودهم واجباً كائناً محتوماً والحتم مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمى به الموجب كقولهم: «ضرب الأمير».[٥٧]﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ وعلي بالتخفيف ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ عن الشرك وهم المؤمنون ﴿وَّنَذَرُ الظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ فيه دليل على دخول الكل لأنه قال: «ونذر» ولم يقل وندخل، والمذهب أن صاحب الكبيرة قد يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو لا محالة. وقالت المرجئة الخبيثة: لا يعاقب لأن المعصية لا تضر مع الإسلام عندهم. وقالت المعتزلة: يخلد.

= أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهٗ. (٦٦هود) و أَمَّا ثَمُوْدُ فَهَدَيْنٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمىٰ عَلَى الْهُدىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُوْنَ. وَنَجَّيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُوْنَ. (١٧، ١٨، فصلت)

(٥٤) رواه أحمد، و ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، قالوا حدثنا سليمان بن حرب، و أخرجه أبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي في الشعب في باب النار، والحكيم في النوادر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) هذا و إن سلم سنده عن المقال كما في المستدرك و ذيله والمجمع للهيتمي لكن الأحاديث الكثيرة التي تصرح بسلامة الصلحآء من الدخول مع عموم المرور ترجّح القول بأن المرور عام والدخول خاص. وقوله تعالى: أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُوْنَ. (مع قوله) لَايَسْمَعُوْنَ حَسِيْسَهَا الآية يؤيد معنى إبعادهم عن نفس جهنم، قال المصنّف في تفسيره: وهٰذِه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لايسمعوا صوتها و صوت من فيها -اه-

(٥٥) أخرجه الترمذي والطبراني وغيرهما من حديث يعلى بن أمية، لا دلالة فيه على خصوص المطلوب فإن هذا القول يمكن للمار على الصراط أيضًا.

(٥٦) رواه البزار عن عائشة بهٰذا (الكافي الشاف) قوله قال رجل من الصحابة ـ الخ ـ أخرج بمعناه ابن أبي شيبة و ابن المبارك عن الحسن البصري. (در منثور)

(٥٧) للدرهم المضروب، ضربَ الدرهم: سبكه و طبعه ـ و دار الضرب: الموضع الذي تُضرب فيه الدراهم قوله بالتخفيف ننجي من الإنجاء قرأه الكسائي و يعقوب والباقون ننجّي من التنجية. قوله قد يعاقب قد للتقليل لإمكان المغفرة بالشفاعة أو الرحمة بدون عذاب النار لمن شاء الله قوله لامحالة بفتح الميم بمعنى لا بد ، أصله من حال بمعنى تحول وانتقل، لا محالة منه أي ليس موضع تحول منه، فتحصل منه معنى القطع واللزوم. أي هو لازم ولا بد منه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات الإعجاز أو حججاً وبراهين[٥٨] حال مؤكدة كقوله:(﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾)[البقرة: ٩١] إذ آيات الله لا تكون إلا واضحة وحججاً ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾أي مشركو قريش وقد رجلوا شعورهم وتكلفوا في زيهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ للفقراء ورؤوسهم شعثة وثيابهم خشنة ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾نحن أم أنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والمسكن. وبالضم مكي وهو موضع الإقامة والمنزل ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ مجلسا يجتمع القوم فيه[٥٩] للمشاورة. ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: إذا أنزلنا آية فيها دلائل وبراهين أعرضوا عن التدبر فيها إلى الافتخار بالثروة والمال وحسن المنزل والحال فقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ فـ «كم» مفعول (أهلكنا) و (من) تبيين لإبهامها أي كثيراً من القرون أهلكنا وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ في محل النصب صفة لـ «كم» ألا ترى أنك لو تركت (هم) كان أحسن نصباً على الوصفية ﴿أَثَٰثًا﴾ هو متاع البيت أو ما جدّ من الفرش ﴿وَرِءْيًا﴾ منظراً وهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت و (رِيًّا) بغير همز مشدداً: نافع وابن عامر على قلب الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم الإدغام، أو من الري الذي هو النعمة ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ الكفر ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ جواب (من) لأنها شرطية وهذا الأمر بمعنى الخبر أي من

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥٨) لمّا ردّ على منكري البعث و قرّر كيفية الحشر قال (و إذا تتلى عليهم) الآية، والمراد أنهم عارضوا حجّة اللّه بكلام أعوج، فقالوا لو كنتم على الحق و كنّا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا، ولم يكن بالعكس ، لأن الحكيم لا يليق به أن يهين أولياء ه و يُعزَّ أعدائه، هذا حاصل شبهتهم في هذا الباب، ونظيره قوله تعالى (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ) مفاتيح الغيب و غرائب القرآن للنيسابوري. بينة أصلها من بان بيانًا بمعنى ظهر واتضح، والبينة بمعنى الحجة والدليل كما في الحديث "البيّنة للمدّعي واليمين على من أنكر" فالمعنى الأول (أي ظاهرات الإعجاز) نظرًا إلى الأصل، والثاني بالنظر إلى المجاز المتعارف قوله حال مؤكّدة ، و إن كانت قيدًا للآيات فهم منه أن آيات اللّه قد تكون غير بينات. قوله رجّلوا من التفعيل رجّل الشعر مشّطه أي سرّحه بالمشط والزِّيّ بكسر الزاي: الهيئة أو هيأة الملابس. شَعِثة أي مغبرة، خَشِنة أي غليظة غير لينة.

(٥٩) قوله يجتمع القوم أصله من ندا القوم جمعهم و منه النادي، المجلس كأنه الجامع للناس. قوله ماجدّ موصول وماض والفرش جمع فراش، أي الأثاث هو متاع البيت عامًا جديدًا أو عتيقًا أو ما كان جديدًا من الفراش. قوله نافع وابن عامر قال سيدي علي النوري الصفاقسي في غيث النفع في القراءات السبع: قرأ قالون، وابن ذكوان بياء مشدّدة من غير همز، والباقون بيآء مخففة قبلها همزة ساكنة ـ اه ـ تبيّن منه أن رِيّا بتشديد الياء قراء ة قالون عن نافع ، و قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر، أمّا ورش عن نافع و هشام عن ابن عامر فهما مع الباقين يقرآن رئيا بياء مخففة قبلها همزة ساكنة، قوله من الري بكسر الراء و تشديد الياء اسم من ارتوى الشجر و بمعنى حسن الحال والتنعّم، وقوله النعمة بفتح النون الترفه وحسن الحال.

وهذا رد من اللّه تعالى على قول الكفرة وحاصل شبهتهم أن كل من وجد الدنيا كان حبيب اللّه، ومن كان حبيب اللّه لا يوصل إليه غمًا فذكر اللّه تعالى أنه أهلك من كان أكثر مالًا و جمالًا منهم و ذلك دليل على فساد مقدّمتهم الأولى أو على فساد المقدّمة الأخرى، ثم بين أن مآل الضال إلى الخزي والنكال، و إن طالت مدته و كثرت عدته(مفاتيح وغرائب)

كفر مد له الرحمن يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغياناً وضلالاً كقوله تعالى: (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا ۚ) [آل عمران: ١٧٨] وإنما أخرج على لفظ الأمر إيذاناً بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع معاذير الضلال. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ هي متصلة بقوله (خير مقاماً وأحسن ندياً) وما بينهما اعتراض[٦٠] أي لا يزالون يقولون هذا القول إلى أن يشاهدوا الموعود رأي عين ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ في الدنيا وهو تعذيب المسلمين إياهم بالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ ط﴾ أي القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال. فهما بدلان مما يوعدون ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منزلاً ﴿وَّأَضْعَفُ جُندًا﴾ أعواناً وأنصاراً أي فحينئذ يعلمون أن الأمر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكاناً وأضعف جنداً لا خير مقاماً وأحسن ندياً، وأن المؤمنين على خلاف صفتهم.وجاز أن تتصل بما يليها، والمعنى أن الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم لا ينفكون عن ضلالتهم إلى أن يعاينوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة. وحتى هي التي يحكى بعدها الجمل ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها وهي قوله: (اذا رأوا ما يوعدون. فسيعلمون) ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ط﴾ معطوف على موضع (فليمدد) لوقوعه موضع الخبر تقديره: من كان في الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أي يزيد في ضلال الضال بخذلانه، ويزيد المهتدين أي المؤمنين هدى ثباتاً على الاهتداء أو يقينا وبصيرة بتوفيقه ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ أعمال الآخرة كلها أو الصلوات الخمس أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ مما يفتخر به الكفار ﴿وَّخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي مرجعاً وعاقبة تهكم بالكفار لأنهم قالوا للمؤمنين (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً).

﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ثم.وبضم الواو وسكون اللام في أربعة مواضع ههنا وفي الزخرف ونوح حمزة وعلي جمع ولد كأسد في أسد، أو بمعنى الولد كالعرب في العرب. ولما كانت رؤية الأشياء[٦١]طريقاً إلى العلم بها وصحة الخبر عنها

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله معاذير الضُلّال: معاذير جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة (مجمع البحار) الضُلّال جمع ضال، أي مد الله أعمارهم لينقطع عذرهم بأنا لو وجدنا المهلة لآمنّا.

(٦٠) ذكر ههنا وجهين في ارتباط (حتى إذا رأوا) بما قبله. الأول أنه مرتبط بقوله خير مقامًا ـ الخ ـ والثاني ما يأتي من قوله "و جاز أن تتصل بما يليها" أي ما يقربها وهو قوله من كان فيالضلالة. و تفصيل وجهي الارتباط واضح من بيان المصنّف قوله على عكس ما قدروه أي ما فكروه في نفوسهم و حسبوا.

قوله و حتى هي التي الخ فهي ابتدائية لا جارّة و لا عاطفة والابتدائية أيضًا تكون لبيان الغاية، وهنا لبيان غاية المدّ أو غاية قولهم أي الفريقين خير كما هو لائح من تفصيل المصنف. قوله: ثباتًا على الاهتداء أو يقينا، نفس الهداية والإيمان لا يزيد واليقين مما يقبل الشدّة والضعف. قوله : أعمال الآخرة كلها ـالخـ سبق الكلام عليه مفصّلًا في سورة الكهف.

(٦١) يعني أن رأى هنا بصرية لا علمية، كما ذهب إليه بعض النحاة، و تُجُوِّز بها عن المسبّب وهو الإخبار، فهو مجاز مرسل، والاستفهام مجاز عن الأمر به،=

استعملوا أرأيت في معنى أخبر والفاء أفادت التعقيب كأنه قال: أخبر أيضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك. وقوله (لأوتين) جواب قسم مضمر ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ من قولهم «اطلع الجبل» إذا ارتقى إلى أعلاه، الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة أي أنظر في اللوح المحفوظ فرأى منيته ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا﴾ موثقاً أن يؤتيه ذلك أو العهد كلمة الشهادة. وعن الحسن : نزلت في الوليد بن المغيرة، والمشهور أنها في العاص بن وائل، فقد رُوي أن خباب بن الأرت صاغ للعاص بن وائل حلياً فاقتضاه الأجر فقال: إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهباً وفضة فأنا أقضيك ثَم فإني أوتى مالاً وولداً حينئذ ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطىء فيما تصوره لنفسه فليرتدع عنه ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُوْلُ﴾(٦٢) أي قوله والمراد سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله لأنه كما قال كتب من غير تأخير قال الله تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ ﴿١٨﴾) [ق: ١٨] وهو كقوله: إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة... أي علم وتبين بالانتساب أني لست بابن لئيمة ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ نزيده من العذاب كما يزيد في الافتراء والاجتراء من المدد، يقال مده وأمده ﴿مَدًّا﴾ أكد بالمصدر لفرط غضبه تعالى.﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُوْلُ﴾أي نزوي عنه

= لأن المقصود من نحو قولك: ما فعلت؟ أخبرني، فهو إنشاء تجُوِّز به عن إنشاء آخر كما حققه النحاة (خفاجي) قوله مُنيته واحد المُنىٰ أي ما يتمناه. قوله صاغ حليًا صاغ (ن) الشيء: هيأه على مثال مستقيم، و بمعنى سبك حليًا بفتح الحاء و سكون اللام والجمع حُليّ و حِليّ، والحِليه بكسر الحاء و سكون اللام، والجمع حِلىً و أيضًا حُلىً على غير القياس: ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة الكريمة، والرواية أخرجها الإمام أحمد والبخاري و مسلم والترمذي والطبراني و ابن حبان وغيرهم عن خَبّاب بن الأرتّ قال: كنت رجلًا قَيْنًا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه منه، فقال: لا والله ، لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله، لا أكفر بمحمد صلّى الله تعالى عليه وسلم حتى تموت ثم تُبعث، قال: فإني إذا متّ ثم بعثت جئتني ولي ثَم مال و ولد فأعطيتك فأنزل الله (أَ فَرَيْتَ الَّذِىْ كَفَرَ بِاٰيٰتِنَا وَقَالَ لَأُوْتَيَنَّ مالًا وَّ وَلَدًا ـ إلى قوله ـ وَ يَاتِيْنَا فَرْدًا) و تفسير العهد بالموثق أيضًا مذكور في رواية للبخاري.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن ابن عباس: أن رجالًا من أصحاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين فأتوه يتقاضونه ، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا و فضة و حريرًا و من كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة. والله لأُوْتَيَنَّ مالًا و ولدًا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به. فقال الله (أ فرأيت الذي كفر بآياتنا) ـ الآية ـ (در منثور)

(٦٢) لما كانت كتابة الأعمال والأقوال لا تتأخر عن وجودها تأخرًا يقتضي أن يقرن بالسين أو سوف كما بينه أوّلَه بأنّ الفعل أطلق و أريد به ظهوره والعلم به اللازم له إمّا مجازًا أو كناية كما في البيت المذكور ، فإنّ "لم تلدني" جوابُ "إذا" وهو مستقبل، و عدم الولادة ماض، لوقوعه قبل انتسابه، أي إذا انتُسِبنا علمت يا فلانة و تبيّن أني لست بابن لئيمة، و تمام البيت المذكور: ولم تجدي من أن تُقرّي به بدًّا (أي ما كان لك مفر من الإقرار بأني لست بابن لئيمة) و إنّما ذكر الأم دون الأب لأنه يعلم بالطريق الأولى، لأنهم كانوا لا يزوّجون غير الأكفاء، أو خَصّه لمكان التعريض بأن أم المخاطبة لئيمة (خفاجي)

قوله نزوى عنه ما زعم، زوى يزوِيُ زُوِيًا و زَيّا الشيءَ: جمعه و زوى عنه حقه: منعه إيّاه. أي نقبض عنه و =

ما زعم أنه يناله في الآخرة والمعنى مسمى ما يقول وهو المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ حال أي بلا مال ولا ولد كقوله: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ) [الأنعام: ٩٤] فما يجدي عليه تمنِّيه وتألِّيه.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أي اتخذ هؤلاء المشركون أصناماً يعبدونها ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ أي ليعتزوا بآلهتهم ويكونوا لهم شفعاء وأنصاراً ينقذونهم من العذاب ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾(٦٣) الضمير للآلهة أي سيجحدون عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون، أو للمشركين أي ينكرون أن يكونوا قد عبدوها كقوله: (وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) [الأنعام: ٢٣] ﴿وَيَكُونُونَ﴾ أي المعبودون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المشركين ﴿ضِدًّا﴾ خصماً لأن الله تعالى ينطقهم فيقولون: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك. والضد يقع على الواحد والجمع أو هو في مقابلة (لهم عزاً) والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضداً لما قصدوه أي يكونون عليهم ذلاً لا لهم عزاً، وإن رجع الضمير في (سيكفرون) (ويكونون) إلى المشركين فالمعنى ويكونون عليهم أي أعداءهم ضداً أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها ثم عجب نبيه عليه السلام بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي خليناهم وإياهم من أرسلت البعير أطلقته أو سلطناهم عليهم بالإغواء(٦٤) ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ تغريهم على المعاصي إغراء والأز والهز أخوان ومعناهما التهييج وشدة الإزعاج. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ أي أعمالهم للجزاء وأنفاسهم للفناء، وقرأها ابن السماك عند المأمون فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد. ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ ركبانا على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين سوق الأنعام لأنهم كانوا أضل من الأنعام ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشاً لأن من يرد

= نمنعه ما يدعيه الآن، قوله ما يُجدي أي ما ينفع قوله تألِّيه: تألّى، وائتلى، و آلى: حلف.

(٦٣) تلخيص الكلام أن ضمير سيكفرون و يكونون إمّا للآلهة أو للمشركين، و ضدًا إمّا بمعنى الخصم والمخالف أو بمعنى ضد العز وهو الذل والهوان، أو بمعنى ضد الحال السابقة، و كذا عليهم إمّا صلة ضدًّا، أو بمعنى الخلاف والعداوة. والكفر هنا بمعناه اللغوي وهو الجحود والإنكار والتفاسير هكذا:

(١) سينكر الآلهة عبادة المشركين، و تكون الآلهة خصمًا على المشركين، أو يكونون على المشركين ضد العز أي يكونون ذُلًّا عليهم لا عزًّا لهم.

(٢) سينكر المشركون عبادة الأصنام و يكون المشركون عليهم أي أعداء عليهم و ضدًا خبر بعد خبر، أي يكون المشركون ضدًّا لحالهم السابقة، كفرة بالأصنام بعد ما كانوا عبَدة لهم.

(٦٤) فسره به على التجوز أو التضمين لتعديته بعلى (خفاجي) تؤزهم أزا ـ حال من الشياطين أو استيناف وقع جوابًا عمّا نشأ من صدر الكلام، كأنه قيل: ما ذا يفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم أي تغريهم و تهيجهم على المعاصي تهييجا شديدًا بأنواع الوساوس والتسويلات (أبو السعود)

قوله ابن السماك هو محمد بن السماك، نسبة إلى بيع السمك و صيده، توفي سنة ثلاث و ثمانين و مأة. قوله ما أسرع ما تنفد، ما أسرع فعل تعجب، و "ما"=

الماء لا يرده إلا لعطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء فيسمى به الواردون، فالوفد جمع وافد كركب وراكب والورد جمع وارد. ونصب «يوم» بمضمر أي: يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يوصف أو اذكر يوم نحشر. (٦٥) ذكر المتقون بأنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته كما يفد الوفود على الملوك تبجيلاً لهم، والكافرون بأنهم يساقون إلى النار كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء استخفافاً بهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ حال. والواو إن جعل ضميراً فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لأنهم على هذه القسمة، ويجوز أن يكون علامة للجمع كالتي في «أكلوني البراغيث» والفاعل «مَنِ اتَّخَذَ» لأنه في معنى الجمع ومحل (مَنِ اتَّخَذَ) رفع على البدل من واو (يملكون) أو على الفاعلية، أو نصب على تقدير حذف المضاف أي إلا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم(٦٦) ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بأن آمن. في الحديث: «من قال: لا إله إلا الله كان له عند الله عهد». وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم: أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا:وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساء اللّهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= في ما تنفد مصدرية أي ما أسرع نفادَها. قوله نوق جمع ناقة، نجائب جمع نجيبة كل حيوان فاضل في نوعه وهذا في بعض الآثار المروية عن علي رضي الله تعالى عنه. و عن غيره (در منثور)

(٦٥) ذكر في الكشاف وجهًا ثالثًا، قال: و يجوز أن ينتصب بلا يملكون ـ اه ـ أي يوم الحشر والسَّوق لا يملكون الشفاعة، و اختاره البيضاوي بدون ذكر الأولَين. قوله الذي غمرهم برحمته، ماخوذ من اسم الرحمٰن، تبجيلًا أي تكريمًا لهم، مفعول له لقوله ذُكر و كذا استخفافًا بهم أي إهانة لهم.

(٦٦) الشفاعة إمّا مصدر معروف أو مصدر مجهول، و اتّخاذ العهد إمّا كناية عن الإيمان، أو عن الإذن أو عن الاتصاف بصفات الشافعين، و من اتخذ إمّا بدل عن ضمير لا يملكون أو فاعل أو في محلّ النصب بتقدير الشفاعة. والتفاسير هكذا:

(١) لا يملكون أن يُّشفع لهم إلّا من آمن، فإنهم يُشفع لهم ـ "مَن " بدل أو فاعل. والشفاعة مصدر مجهول.

(٢) لا يملكون شفاعة أحد إلّا شفاعةَ من آمن ـ الشفاعة مصدر معروف. و من مفعول بتقدير المضاف.

(٣) لا يملكون أن يشفعوا لأحد إلّا الذين استاهلوا الشفاعة، واتصفوا بالإيمان والتقوى.

(٤) لا يملكون الشفاعة إلّا الذين اتخذوا الإذن، و أذن لهم الرحمٰن بالشفاعة.

الشفاعة في الأخيرين مصدر معروف، و "من" بدل أو فاعل والمراد باتخاذ العهد الاتصاف بأهلية الشافعين (وهذا المعنى ذكره البيضاوي) أو حصول الإذن من الرحمٰن، كما ذكر المصنف أخيرًا و البيضاوي أيضًا.

حديث "من قال لا إلٰه إلّا اللّٰه كان له عند اللّٰه عهد. أخرجه الطبراني و ابن مردويه و ابن عساكر عن ابن عمر رضي اللّٰه تعالى عنهما مرفوعًا. (الدر المنثور ج١، ص ١٦٢)

وحديث عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه تعالى عنه رواه الثعلبي بتمامه، و روى ابن مردويه في تفسير الأحزاب أقل منه، و رواه الحاكم من وجه آخر موقوفًا على عبد اللّٰه بن مسعود، و في الباب عن أبي بكر الصديق رضي اللّٰه تعالى عنه أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر. (الكافى الشاف لابن حجر)

من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كان لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» أو يكون من عهد الأمير إلى فلان بكذا إذاً أمره به أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا ﴾ أي النصارى واليهود ومن زعم أن الملائكة بنات الله[٦٧] ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ خاطبهم بهذا الكلام بعد الغيبة وهو التفات، أو أمر نبيه عليه السلام بأن يقول لهم ذلك؛ والإد العجب أو العظيم المنكر والإدة الشدة وأدّني الأمر أثقلني وعظم عليّ أدًّا ﴿تَكَادُ السَّمٰوٰتُ﴾ تقرب وبالياء نافع وعليّ ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ وبالنون بصري وشامي وحمزة وخلف وأبو بكر. الانفطار من فطره إذا شقه والتفطر من فطره إذا شققه ﴿مِنْهُ﴾ من عظم هذا القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْاَرْضُ﴾ تنخسف وتنفصل أجزاؤها ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾ تسقط ﴿هَدًّا ﴾ كسراً أو قطعاً أو هدماً، والهدة صوت الصاعقة من السماء وهو مصدر أي تهد هدّاً من سماع قولهم أو مفعول له أو حال أي مهدودة ﴿اَنْ دَعَوْا﴾ لأن سموا ومحله جر بدل من الهاء في (منه) أو نصب مفعول له، علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن، أو رفع فاعل (هداًّ) أي هدها دعاؤهم ﴿لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِيْ لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ «انبغى» مطاوع بغى إذا طلب أي ما يتأتي له اتخاذ الولد[٦٨] وما ينطلب لو طلب مثلاً لأنه محال غير داخل تحت الصحة، وهذا؛

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٦٧) لما رد الله تعالى على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدًا من اليهود والنصارى والعرب القائلين: الملائكة بنات الله، و منهم من خصها بهولاء العرب، لأن الرد على النصارى تقدم أول السورة (مفاتيح و غرائب)
يكاد قرأه نافع و علي تكاد قرأه الباقون ـ يتفطّرن من التفعل ـ قرأه نافع ، و ابن كثير، و حفص، والكسائي، و أبو جعفر يَنفَطِرُن ـ من الانفعالـ قرأه الباقون.
قوله وهو مصدر الخ ذكر في إعراب "هدا" وجوهًا (١) مفعول مطلق لفعل مضارع مجهول أي تُهدّ هدًّا (٢)مفعول له لقوله تخر أي تسقط الجبال بسبب الهدم، (٣) حال ـ و يكون المصدر بمعنى اسم المفعول، أي تخر الجبال مهدودة. معنى الهد كما ذكر الكسر أو القطع أو الهدم. (٤) مفعول مطلق لماض معروف فاعله أن دعوا ـ هذا ما ذكره فيما يأتي ـ هدها هدًا دعاؤهم الولد للرحمٰن.
قوله لأن سمّوا ـ ذكر ههنا أيضًا وجوهًا: (١) محلّه جر، وهو بدل من الهاء في منه، أي يتفطرن من دعاء الولد له تعالى. (٢) مفعول له، لقوله "هدًا" و هدًّا مفعول له لقوله "تخر" فالمعنى تخر الجبال هدما بسبب دعاء الولد له تعالى أي يقع سقوط الجبال لأجل الهدم، والهدم بسبب دعاء الولد (٣) محله رفع، وهو فاعل "هدًا"، وهذا تجوز أي فاعل فعله والتقدير هدها هدًا دعاؤهم الولد.
ودعوا ههنا من دعا بمعنى سمى، المتعدي إلى مفعولين، و إنّما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدًا، أو من دعا بمعنى نسب، الذي مطاوعه ادّعى إلى فلان إذا انتسب إليه. (بيضاوي)
(٦٨) قوله ما يتأتى له أي ما يصح له، ولا يليق به، قوله و ما ينطلب، انفعال من الطلب أي لا يحصل (خفاجي) قال الإمام الرازي: هو محال، أمّا الولادة المعروفة فلا مقال في امتناعها، و أمّا التبنّي فلأن الولد لا بد و أن يكون شبيهًا بالوالد، ولا مشبه للّٰه تعالى، و لأن اتخاذ الولد إنّما يكون لأغراض لا تصح في اللّٰه. من سروره به، واستعانته به، و ذكر جميل، و كل ذلك لا يليق به. (مفاتيح الغيب)

لأن اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما. وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات بيان أنه الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره،[٦٩] لأن أصول النعم وفروعها منه فلينكشف عن بصرك غطاؤه، فأنت وجميع ما عندك عطاؤه فمن أضاف إليه ولداً فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن.

﴿اِنْ كُلُّ مَنْ﴾ نكرة موصوفة صفتها ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ وخبر (كل) ﴿اِلَّآ اٰتِي الرَّحْمٰنِ﴾ ووحد (آتى) و (آتيه) حملاً على لفظ (كل) وهو اسم فاعل من أتى وهو مستقبل أي يأتيه ﴿عَبْدًا﴾ حال أي خاضعاً ذليلاً منقاداً، والمعنى ما كل من في السموات والأرض من الملائكة والناس إلا هو يأتي الله يوم القيامة مقراً بالعبودية، والعبودية والبنوة تتنافيان حتى لو ملك الأب ابنه يعتق عليه ونسبة الجميع إليه نسبة العبد إلى المولى فكيف يكون البعض ولداً والبعض عبداً. وقرأ ابن مسعود (آت الرحمن) على أصله قبل الإضافة ﴿لَقَدْ اَحْصٰىهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أي حصرهم بعلمه وأحاط بهم ﴿وَكُلُّهُمْ اٰتِيْهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا﴾ أي كل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً بلا مال ولا ولد أو بلا معين ولا ناصر. ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا﴾ مودة في قلوب العباد[٧٠] قال الربيع يحبهم ويحببهم إلى الناس وفي الحديث يعطى المؤمن مِقَةً في قلوب الأبرار ومهابة في قلوب الفجار. وعن قتادة وهرم: ما أقبل العبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه. وعن كعب: ما يستقر لعبد ثناء في الأرض حتى

(٦٩) الرحمٰن هو المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها (الذي يرحم لا لعوض ولا لغرض) و ذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه يطلب عوضًا بلطفه وإنعامه، يريد به جزيل ثواب ، أو جميل ثناء أو يريد غرضًا في ذلك مثلًا يزيل رقّة الجنسية أو حب المال عن القلب، و من عداه ليس منعمًا حقيقيًا بل هو كالواسطة في ذلك لأنّ ذات النعم و وجودَها، والقدرةَ على إيصالها، والداعيةَ الباعثة عليه، والتمكنَ من الانتفاع بها، والقُوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك، كلّها من خَلقه، لا يقدر عليها أحد غيره. (بيضاوي بتوضيح يسير)

قوله فقد جعله كبعض خلقه، لأن الولد لا بد أن يكون شبيهًا بالوالد، فمن ادّعى له ولدًا فقد ادّعى أنّه يجانس بعض الخلق. فلا يكون رحمانًا، لأن الرحمٰن لا يجانس أحدًا من الخلق.

(٧٠) أخرج عبد بن حميد، والبخاري، و مسلم، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إنّي قد أحببت فلانًا فأحبَّه، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله (إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا) وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل إنّي قد أبغضت فلانًا، فينادي في أهل السماء، ثم ينزل له البغضاء في أهل الأرض. (در منثور)

الربيع ابن خثيم ـ بضم المعجمة و فتح الثاء المثلثة ـ ابن عائذ بن عبد الله الثورى أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم لأحبّك، مات سنة إحدى وقيل ثلاث و ستين، هرم بن حيان العبدي ـ أخرج قوله ابن جرير عن قتادة، و روى عن قتادة أيضًا هذا القول ـ قال ابن عبد البر : هرم من=

يستقر له في السماء.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنٰهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك حال ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِيْنَ﴾ المؤمنين ﴿وَتُنْذِرَ بِهٖ قَوْمًا لُّدًّا﴾ شداداً في الخصومة بالباطل أي الذين يأخذون في كل لديد أي شق من المراء والجدال جمع ألدّ يراد به أهل مكة ﴿وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ تخويف لهم وإنذار ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ اَحَدٍ﴾ أي هل تجد أو ترى أو تعلم والإحساس الإدراك بالحاسة ﴿اَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتاً خفياً ومنه الركاز أي لما أتاهم عذابنا لم يبق شخص يرى ولا صوت يسمع يعني هلكوا كلهم فكذا هؤلاء إن أعرضوا عن تدبر ما أنزل عليك فعاقبتهم الهلاك فليهن عليك أمرهم، والله أعلم .

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= صغار الصحابة، وعده ابن أبي حاتم من كبار التابعين في الزهاد الثمانية، و قال ابن سعد: ثقة له فضل نقله في الإكليل عن الإصابة ـ

قوله و منه الركاز ـ أي المال المدفون ـ قوله فليهُنْ ـ صيغة الأمر باللام من هان يهون هونًا، خفّ و سهل، أي فليكن أمرهم عليك هيّنًا، خفيفًا، سهلًا. والله تعالى أعلم.

و إذا ثبت من الآية والأحاديث الكثيرة الصريحة عمومُ المرور على الصراط كلَّ بَرّ و فاجر، و بُعدُ المقربين والصالحين من النار... وجب تأويلُ الحديث المروي باللفظ المذكور، مثل أن يقال: كل أحد يمر على جسر ممدود على النار و أُطلق على ذلك المرور دخولُ النار مجازًا، كما إذا كان جسر ممدود مبنى فوق قريتك، و مررتَ على ذلك الجسر، و قابلتَ قريتك التي تحته تقول: دخلتُ قريتي، و إذا عبرتَ قريتك تقول : خرجتُ من قريتي. و هذا من المجازات السائغة السارية. فلا بأس باعتباره في الحديث المذكور، نظرًا للتوفيق بين الآيات و الأحاديث . هذا ما ظهر لي ، والله تعالى أعلم بالصواب.

(سحر الثاني عشر من رمضان عام ١٤٢٥هـ المصادف ٢٧/ أكتوبر ٢٠٠٤م ليلة الأربعاء ٣٠ـ١ سحرا)

سورة طه مكية و هي مائة و خمس و ثلاثون آية كوفي[1]

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ○﴾

﴿طٰهٰ ①﴾ فخم الطاء لاستعلائها[2] وأمال الهاءَ، أبو عمرو، وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، و فخمهما على الأصل غيرهم. وما رُوي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يا رجل فإن صح فظاهر[3] وإلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ﴿مَآ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ﴾ إن جعلت «طه» تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ، و (القراٰن) ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩ھ

سورة طــــه

(١) قال أبو عمرو الداني رحمه اللّٰه: هي مأة و ثلاثون و اثنان في البصري، و أربع مدني و مكي، و خمس كوفي، و أربعون شامي (عناية القاضي) و اختلاف العدد للاختلاف في كون بعض المواضع وقف الآية عند بعض القرّاء، و عدمه عند آخرين.

(٢) قوله فخم ـ التفخيم قد يطلق بمقابلة الإمالة فيراد به الإشباع، وهو المراد هنا، و قد يطلق بمقابلة الترقيق كما في الراء، واللام فيراد به التغليظ، و قد يطلق على إمالة الألف نحو مخرج الواو كما يعرفه أهل الأداء في نحو الصلاة والزكاة. (خفاجي)

(١) أمال الهاء وحده أبو عمرو، و ورش عن نافع و سقط ذكر ورش في الكتاب.

(٢) أمالهما حمزة، و علي، و خلف، و أبو بكر شعبة

(٣) فخمهما الباقون ـ قالون، و حفص، وابن كثير، وابن عامر، و يعقوب.

(٣) قوله فإن صحّ فظاهر. صحت روايته إلى ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: حدّثنا الحسين بن محمد بن شَنَبة الواسطي ، حدثنا أبو أحمد. يعني الزبيري. أنبانا إسرائيل عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: طه يا رجل. (ابن كثير)

الزبيري محمد بن عبد اللّٰه بن الزبير الأسدي ثقة من رجال الستة، و سالم بن عَجلان الأفطس ثقة من رجال البخاري و أبي داؤد و النسأي و ابن ماجة، و سعيد بن جبير الأسدي مولاهم، ثقة ثبت فقيه من رجال الستة و كبار التابعين. و شيخ ابن أبي حاتم، الحسين بن محمد بن شَنَبة الواسطي، صدوق. (محمد أحمد المصباحي)

وهكذا روي عن مجاهد، و عكرمة، و سعيد بن جبير، و عطاء ، و محمد بن كعب، وأبي مالك، و عطية العوفي، والحسن، و قتادة، والضحاك، والسدي، وابن أبزي أنهم قالوا: يا طه بمعنى يا رجل. (ابن كثير)

قوله وإلّا فالحقّ ما هو المذكور في سورة البقرة. قال هناك: (١) الجمهور على أنها أسماء السور. (٢) وقال ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما: أقسم اللّٰه بهذه الحروف (٣) و قال ابن مسعود رضي اللّٰه تعالى عنه: إنها اسم اللّٰه الأعظم. (٤) وقيل:إنّها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلّا اللّٰه. (٥) وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تُحُدِّي بالقرآن، و كالتحريك للنظر في أنٍ هذا المتلو عليهم و قد عجزوا عنه عن آخر هم كلامٌ منظوم من عينِ ما ينظِمون منه كلامهم، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه، ولم يظهر عجز هم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام إلّا لأنّه ليس من كلام البشر، و أنه كلام خالق القُوى والقُدر ـــــ و هذا القول من الخلاقة بالقبول بمنزل ـ اھ ـ فالمختار عند المصنف أنها مذكورة على نمط التعديد للإيقاظ والتحدي، وهو مختار صاحب الكشاف والبيضاوي. و آخرين، والأسلم أنها من المتشابه، وهي أسرار بين اللّٰه و رسوله كما هو مروي عن الخلفاء الراشدين و جمع من الصحابة والتابعين. رضي اللّٰه تعالى عنهم أجمعين.

وهي قسم[٤] ﴿ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ لتتعب[٥] لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا، أو بقيام الليل فإنه رُوي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل: أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ لمن يخاف الله أو لمن يئول أمره إلى الخشية. ﴿ تَنزِيلًا ﴾[٦] بدل من (تَذْكِرَةً) إذا جعل حالاً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤) هذه ثلاثة وجوه على ثلاثة أقوال. (١) إن كان طه تعديدًا لأسماء الحروف كما هو مختار المصنّف فقوله (ما أنزلنا) الآية ـ ابتداء كلام. (٢) إن كان طه اسمًا للسورة يحتمل تقدير "هذه طه" و تم الكلام، ثم ما أنزلنا جملةٌ أخرى، و يحتمل أن يكون التقدير طه ما أنزلنا ها عليك لتشقى، و يكون طه مبتدًا، وهذا خبرًا، و جآء اسم القرآن موضع ضمير طه على طريق وضع الظاهر موضع المضمر، وإطلاق القرآن كما يكون على الكل يكون على البعض أيضًا. (٣) إن كان طه مقسمًا به كما هو رواية عن ابن عباس فجملة ما أنزلنا جواب القسم والتقدير هكذا : أقسم بطاها ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.

(٥) قال الراغب: الشقاوة خلاف السعادة، والسعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية و سعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، و بدنية، وخارجية كذلك الشقاوة على هذه الأضراب. و في الشقاوة الأخروية قال (فلا يضل ولا يشقى) و في الدنيوية (فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى) قال بعضهم: قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيتُ في كذا، وكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعم من الشقاء. اهـ.

وفي مجمع البحار في شرح درك الشقاء: الشقاء الشدة، وابن منظور ذكر في معناه الشدةَ والعسرةَ أيضًا منه شاقيته أي صابرته، و شاقيت ذلك الأمر بمعنى عانيته (لسان العرب) فالشقاء: العَناء وهو التعب والمشقة. قال الزمخشري: والشقاء يجيء في معنى التعب، ومنه المثل: أشقى من رائض مُهر. (كشاف) قوله و تحسرك على أن يومنوا، كذا في الكشاف، والتحسر هو التلهف أي الحزن والآسي، و ينبغي تضمين معنى الطمع والحرص أي لفرط حسرتك حرصًا على إيمانهم، أو تقدير المضاف أي لتتعب لفرط حزنك على "فوت إيمانهم". قوله ابق على نفسك. صيغة أمر من الإبقاء. وهو مع على يأتي بمعنى الرحم. في لسان العرب: يقال أبقيتُ عليه أبقي إبقاء إذا رحمته و أشفقت عليه، نهك نهكًا (ف س) المبالغة في كل شيء، و نهكته الحمى: أضعفته، و جهدته.

أخرج ابن المنذر، و ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم أول مَا أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدور قدميه إذا صلّى فأنزل الله (طٰهٰ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ) و أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّل قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلًا و يضع رجلًا فهبط عليه جبريل فقال: (طه) يعني الأرض بقدميك يا محمد (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) و أنزل (فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) و أخرج البزار بسند حسن عن علي رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) – الدر المنثور في التفسير بالماثور

(٦) ذكر في إعراب (تنزيلًا) وجوهًا (١) هو بدل من تذكرة إذا جعل حالًا، فالمعنى ما أنزلناه إلّا مذكّرا منزّلًا، ولا يكون بدلًا منه إذا كان مستثنى منقطعًا لفساد المعنى، فإن التقدير يكون هكذا : لكن أنزلناه تنزيلًا ممن خلق، وهو لا يفيد. (٢) أن يكون منصوبًا بنزل مضمرًا، أي نُزّل تنزيلًا ممن خلق. (٣) أن يكون منصوبًا على المدح، أعني تنزيلًا، أو أمدح تنزيلًا. (٤) أن يكون منصوبًا بقوله يخشى، لكونه مفعوله، والتقدير مع التوضيح كما ذكر المصنف.

ويجوز أن ينتصب بـ«نزل» مضمراً أو على المدح أو بـ«يخشى» مفعولاً أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوٰتِ﴾ «مِنْ» يتعلق بـ(تَنْزِيلاً) صلة له ﴿الْعُلٰى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى ووصف السماوات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها ﴿اَلرَّحْمٰنُ﴾ رفع على المدح أي هو الرحمن ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿اسْتَوٰى﴾ استولى، عن الزجاج. ونبه بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره. وقيل: لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير ألبتة وهذا كقولك: «يد فلان مبسوطة» أي جواد وإن لم يكن له يد رأساً، والمذهب قول علي رضي الله عنه: الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان.

﴿لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ خبر ومبتدأ ومعطوف ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي ذلك كله ملكه ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرٰى﴾ ما تحت سبع الأراضين أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة ﴿وَاِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ ترفع صوتك ﴿فَاِنَّهٗ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما أسررته إلى غيرك ﴿وَاَخْفٰى﴾ منه وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك وما ستسره فيها[٧] ﴿اَللّٰهُ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ لَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى﴾ أي هو واحد

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله صلة له، أي ظرف لغو له، قوله رفع على المدح و يجوز أن يكون مبتدأ، واللام للعهد والإشارة إلى الموصول، والخبر قوله: (على العرش استوى) و على الأول "على العرش استوى" خبر مبتدأ محذوف أي هو. تشبثت المجسمة المشبهة بهذه الآية، وقالوا: هو جالس على العرش. وهذا باطل عقلًا و نقلًا، لأنه منزه عن مشابهة الخلق، وهو قديم ، والعرش حادث ، وليس هو محلًّا ولا حالًّا للحوادث كما تقرر في محلّه، وأهل الحق سلكوا هنا مسلكين، الأول الإيمان بالاستواء مع نفي التشبيه و مع تفويض العلم بمعناه و كيفيته إلى الله و رسوله ، فإنه من المتشابه الذي لا يعلم القوم ما أراد الله به ، والثاني تأويله وفقًا للآيات المحكمات إفحامًا للمبطلة، و إفهامًا للعقول السافلة، والتأويل هنا أن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما قال الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العراقِ
من غير سيف و دمٍ مهراق

و يتجه السوال هنا بسبب تخصيص العرش بالذكر مع أن الله مالك الملك كلّه، و حاكم الخلق بأسره فأجاب أن العرش أعظم المخلوقات، فذكر الولاية عليه ينبّه على الولاية على غيره بالطريق الأولى، والجواب الثاني أن العرش اسم لسرير الملك، والاستواء عليه كناية عن ولاية المملكة كلها، و فيه جواب آخر عن أصل المسألة وهو أن الكناية يراد بها لازم معناها، ولا تجب إرادة أصل معناها، بل لا يلزم تحققه و ثبوته أيضًا، فالاستواء على السرير لما صار كناية عن الملك يطلق استوى فلان على سرير الملك و يراد به أن فلانًا صار ملكًا وسلطانًا، و إن لم يجلس على السرير، بل و إن لم يكن السرير أصلًا. فباستواء ه تعالى على العرش كني عن كونه سلطان العالم، و ما أريد حقيقة الاستواء. فإن حقيقته تختصّ بالأجسام، وهو منزه عن الجسم ولوازمه.
قوله يردف الملك، أي يتبع السلطة والاقتدار، ردَف ردفًا (ن) تبع.
(٧) الثاني أبلغ من الأول ، فإن الإنسان لا يعلم الآن ما سيخفيه في نفسه و ما يخطره بباله بعد ذلك الآن إلى آخر حياته، والله يعلم كل ذلك بدون ريب ولَبس.

بذاته وإن افترقت عبارات صفاته. رد لقولهم إنك تدعو آلهة حين سمعوا أسماءه تعالى والحسنى تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ﴾ أي وقد ﴿أَتٰىكَ حَدِيْثُ مُوْسٰىٓ﴾ خبره[٨] قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة بالصبر على المكاره ولينال الدرجة العليا كما نالها موسى. ﴿إِذْ رَاٰ﴾ ظرف لمضمر أي حين رأى ﴿نَارًا﴾ كان كيت وكيت أو مفعول به لاذكر. رُوي أن موسى عليه السلام استأذن شعيباً في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فولد له ابن في الطريق في ليلة مظلمة مثلجة، وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى عند ذلك ناراً في زعمه وكان نورًا ﴿فَقَالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوْٓا﴾ أقيموا في مكانكم ﴿اِنِّيْٓ اٰنَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا﴾ والإيناس رؤية شيء يؤنس به ﴿لَّعَلِّيْٓ اٰتِيْكُمْ مِّنْهَا﴾ بنى الأمر على الرجاء لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به ﴿بِقَبَسٍ﴾ نار مقتبسة في رأس عود أو فتيلة ﴿اَوْ اَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ذوي هدى أو قوماً يهدونني الطريق. ومعنى الاستعلاء في (عَلَى النار) أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها. ﴿فَلَمَّآ اَتٰىهَا﴾ أي النار وجد ناراً بيضاء تتوقد في شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها، وكانت شجرة العناب أو العوسج ولم يجد عندها أحداً. ورُوي أنه كلما طلبها بعدت عنه فإذا تركها قربت منه فثم ﴿نُوْدِيَ﴾ موسى ﴿يٰمُوْسٰىؕ اِنِّيْٓ﴾[٩] بكسر الهمزة أي نودي فقيل: (يٰمُوْسىٰ اِنِّي) أو لأن النداء ضرب من القول فعومل معاملته، وبالفتح: مكي

(٨) قال الإمام: اعلم أنه تعالى لما عظّم حال القرآن و حال الرسول فيما كلّفه أتبع ذلك بما يقوّي قلب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم من ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام تقويةً لقلبه في الإبلاغ، كقوله (وكلًّا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) و بدأ بموسى عليه السلام لأن المحنة والفتنة الحاصلة له كانت أعظم، ليسلّي قلب الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم بذلك، و يصبّره على تحمل المكاره (مفاتيح الغيب)

قوله قفاه أي أتبعه، ليتأسّى به : ليقتدى به، أعباء جمع عبء كحمل وزنا و معنى، قوله استأذن شعيبًا، قصة ذهاب موسى عليه السلام بعد قتل القبطي إلى مدين و لقاء ه شعيبا عليه السلام و تزوجه بنته و مكثه هناك ثم رجوعه إلى مصر مذكورة في سورة القصص، قوله في ليلة مظلمة مثلجة أي ذات ظلام و ثلج، قوله قدح (ف) حاول إخراج النار من الزّند، فصلد (ض) صوّت ولم يخرج نارًا والزند العود الذي يخرج منه النار، قوله بنى الأمر، أي لم يعِدْ جزمًا أنه يأتي بقبس، لأن الإتيان به لم يكن مقطوعًا فقرن بكلامه لفظ "لعلّ" الدال على الرجاء، لئلّا يكون واعدًا لما لا يتيقن بوفائه. قوله ذوى هدى أشار أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، قوله معنى الاستعلاء الخ وجدت على النار هاديًا، أو رأيت على النهر بستانًا، لا يراد هنا حقيقة استعلاء الهادي على النار أو علو البستان على النهر، بل يراد به أن الهادي في مكان عالٍ على النار، و ذلك المكان يقربها، و كذلك البستان في مكان قريب يعلو النهر، و هذا مجاز متعارف كثير الاستعمال حتى صار حقيقةً عرفية. قوله العوسج: بفتح العين شجرة ذات شوكة، تكون في البوادي، ثمرها بقدر الحمص مع طول ـ اه ـ كما لين و إكليل.

(٩) إنّي بكسر الهمزة، قرأه غير ابن كثير و أبي عمرو، و الإعراب ههنا بتقدير قيل أو بإجراء النداء مجرى القول في عدم عمله في الجملة، و التقدير على قراء ة أني بفتح الهمزة نودي بأني، بحذف الجار وهو مطرد مع أن و أنّ، و نادى يتعدى بالباء.

وأبوعمرو أي نودي بأني ﴿ اَنَا رَبُّكَ ﴾ «اَنَا» مبتدأ أو تأكيد أو فصل وكرر الضمير لتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة. رُوي أنه لما نودي يا موسى قال: مَن المتكلم؟ فقال اللّٰه عز وجل: (أَنَاْ رَبُّكَ). فعرف أنه كلام اللّٰه عز وجل بأنه سمعه من جميع جهاته الست وسمعه بجميع أعضائه.(١٠) ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ انزعهما لتصيب قدميك بركة الوادي المقدس،(١١) أو لأنها كانت من جلد حمار ميت غير مدبوغ،(١٢) أو لأن الحفوة تواضع للّٰه ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين،(١٣) والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها(١٤) فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي ﴿ اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ المطهر أو المبارك ﴿ طُوًى ﴾ حيث كان منوّن: شامي وكوفي لأنه اسم علم للوادي وهو بدل منه، وغيرهم بغير تنوين بتأويل البقعة.(١٥) وقرأ أبو زيد بكسر الطاء بلا تنوين.

﴿ وَاَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ اصطفيتك للنبوة،(وَأَنَّا اخترناك) حمزة ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوْحٰى ﴾ إليك للذي يوحى أو للوحي،(١٦) واللام يتعلق بـ (استمع) أو بـ(اخترتك) ﴿ اِنَّنِيْۤ اَنَا اللّٰهُ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّاۤ اَنَا فَاعْبُدْنِيْ ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٠) قال البيضاوي: وهو إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام تلقّى من ربه كلامَه تلقّيًا روحانيًا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه، و انتقل إلى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة. اه. قال الخفاجي: كما تتلقى الملائكة كلام اللّٰه، لا من جارحة، ثم أفاضته الروح بواسطة قوة العقل على القوى النفسية، ورسمته في الحس المشترك بصور ألفاظ مخصوصة، فصار لقوة تصوره كأنه يسمعه من خارج. الخ.

(١١) رواه عبد بن حميد و ابن أبي حاتم عن عكرمة رضي اللّٰه تعالى عنه وابن جرير عن الحسن و مجاهد و ابن أبي نجيح رضي اللّٰه تعالى عنهم.

(١٢) روي ذلك عن علي، والحسن البصري و كعب والزهري رضي اللّٰه تعالى عنهم (در منثور)

(١٣) قاله الأصم رحمه اللّٰه، الحفوة بكسر الحاء و جُوّز ضمها هي المشي بدون نعل (خفاجي) و بابه سمع.

(١٤) قال ابن جرير بعد ذكر القولين الأوّلين: و أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمر اللّٰه تعالى بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي ، إذ كان واديًا مقدّسًا، و إنّما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب، لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار، ولا لنجاستهما، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة، وإن في قوله إنّك بالوادي المقدس بعقبه دليلًا واضحًا على أنه إنّما أمره بخلعهما لما ذكرنا ـ اه ـ و فيما روي عن ابن مسعود مرفوعًا "كان عليه نعلان من جلد حمار غير مذكى" في سنده كلام. (ابن جرير مختصرًا)

(١٥) فيجتمع سببان: العلمية والتأنيث، و يكون غير منصرف قوله أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري البصري اللغوي صاحب التصانيف يروي عن المفضل بن محمد عن عاصم رحمهم اللّٰه تعالى. (إكليل).

قوله حمزة أنّا بفتح الهمزة و تشديد النون، على تقدير ولأنّا اخترناك فاستمع، وقيل: بتقدير واعلم أنا اخترناك. (خفاجي)

(١٦) يعني ما موصولة أو مصدرية. قوله واللام ـ الخ ـ والتقدير : و اخترتك لما يوحى، أو استمع لما يوحى.

قوله تعالى اِنَّنِىۡ اَنَا اللّٰه. قال البيضاوي: بدل مما يوحى، دالّ على أنه (أن الوحي) مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم، والأمرِ بالعبادة التي هي كمال العمل.

وحدني وأطعني ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾[١٧] لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لأن أذكرك بالمدح والثناء، أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لتكون لي ذاكراً غير ناس، أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله: (إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾) [النساء:١٠٣] وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي، وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ لا محالة ﴿أَكَادُ﴾ أريد عن الأخفش[١٨] وقيل صلة ﴿أُخْفِيهَا﴾ قيل: هو من الأضداد أي أظهرها أو أسترها عن العباد فلا أقول هي آتية لإرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من الحكمة و هو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل وقت لما أخبرت به ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلق بـ (ءَاتِيَةٌ) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ بسعيها من خير أو شر

(١٧) أورد المصنف ههنا ستة معان لقوله "لذكرى" والسابع ذكره بطريق الحكاية والتضعيف لأنه يحوج إلى إضمار لفظ "الصلاة"- واللام في السادس وقتية، و في البواقي سببية. والذكر في الخامس بمعنى التذكر والحفظ بالقلب و في الباقي بمعنى إظهار الكمالات والمحاسن قولًا. و توضيح المعاني كما يلي:
١- لتذكرني فيها - بناء على أن الذكر مصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، وهو المخاطب.
٢- لأني ذكرتها في الكتب، بناء على أن الذكر مضاف إلى الفاعل، والمفعول محذوف ، وهي الصلاة. والأمر بها مستفاد ممّا ذكر في الكتب الإلٰهية.
(٣) لأن أذكرك بالمدح - الذكر مضاف إلى المتكلم، والمفعول المحذوف هو المخاطب.
(٤) لذكري خاصّة، بناء على أن الإضافة للتخصيص، واللام أيضًا تفيد الاختصاص. لا تشوبُه أي لا تخلطه من شاب يشوب.
(٥) لتكون لي ذاكرًا غير ناس. بناء على أن الذكر بمعنى التذكر والحفظ بالقلب، والذكر مضاف إلى المفعول، والفاعل المخاطب محذوف.
(٦) لأوقات ذكري. اللام وقتية. والذكر مضاف إلى المفعول، والفاعل عام أو مطروح. قوله وهذا دليل الخ لمجيء أمر الصلاة بعد ذكر التوحيد بدون فصل. قوله لا محالة أي قطعًا، وهذا مستفاد من تأكيد إن، والجملة الاسمية. (خفاجي)
(١٨) أخبر الله سبحانه أن الساعة اتية، ثم قال أكاد أخفيها، والإخبار بإتيانها قطعًا ينافي الإخفاء لذا أوّلوا قوله أكاد أخفيها فقيل الإخفاء بمعنى إزالة الخفاء، أي بمعنى الإظهار وهو من الأضداد وقيل: المراد إخفاء وقتها المعين لأنها من المغيبات، وكونها من المغيبات يقتضي أن يقال: أخفيها بدون أكاد فقالوا أكاد هنا بمعنى أريد، وهو أحد معانيها كما نقله ابن جنّي في المحتسب عن الأخفش رحمه الله تعالى، و استدلّوا عليه بقوله:
كادَتْ و كدتّ و تلك خير إرادة
لو عاد من لهو الصبابة ما مضى
يعني أرادت و أردت لقوله و تلك خير إرادة، وقيل: أكاد صلة أي زائدة هنا (عناية القاضي) قوله: أو استرها عن العباد فلا أقول الخ أي أقرب أسترها عنهم فلا أخبر إجمالًا بإتيانها لكني ذكرت للفائدة، فإنهم إذا علموا إتيانها قطعًا وجهلوا وقتها كانوا خائفين عنها كل وقت ، و لو لا هذه الحكمة لما أخبرت بها. قوله: تعمية وقتها أي إخفاء وقتها، أصله من العمى وهو ذهاب البصر ، قوله على وجل بفتح الجيم: الخوف بابه سمع. قوله من الحكمة بيان "ما" في قوله "ما في الإخبار" و قوله لما أخبرت به جواب لولا. وقوله وهو أنهم إلى قوله في كل وقت بيان الحكمة. قوله لتجزى متعلق بآتية، و ما قبله اعتراض، ولا يصح تعلقه بالإخفاء بمعنى الكتم والستر، و يصح إذا كان بمعنى الإظهار.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة[١٩] فالخطاب لموسى والمراد به أمته ﴿مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ لا يصدق بها ﴿وَاتَّبَعَ هَوٰىهُ﴾ في مخالفة أمره ﴿فَتَرْدٰى﴾ فتهلك ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِيْنِكَ يٰمُوْسٰى﴾[٢٠] «ما» مبتدأ و «تِلْكَ» خبره وهي بمعنى هذه و «بِيَمِينِكَ» حال عمل فيها معنى الإشارة أي قارة أو مأخوذة بيمينك. أو ﴿تِلْكَ﴾ موصول صلته «بِيَمِينِكَ» والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت، أو للتوطين لئلا يهوله انقلابها حية، أو للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة. ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلٰى غَنَمِيْ﴾ أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل ﴿وَلِيَ فِيْهَا مَاٰرِبُ أُخْرٰى﴾ «وَلِيَ» حفص[٢١] ﴿مَاٰرِبُ﴾جمع مأربة بالحركات الثلاث، وهي الحاجة ﴿أُخْرٰى﴾ والقياس أخَر. وإنما قال ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله فلا يصدنك عنها ـ صده عن كذا: منعه و صرفه عنه، و لا يمكن للكافر صرف أحد عن الساعة لأنها آتية لا محالة. فقالوا: المراد الصرف عن العمل لها، أو الإيمان بها أو عن إقامة الصلاة فالضمير راجع إلى الصلاة، وهذا أيضًا لا يتصور للأنبياء، فإن الكفار لا يتمكنون من صرفهم عن الإيمان والعمل لقوتهم في الإيمان والعمل و عصمتهم من اللّٰه عز وجل، فقال: الخطاب لموسى، والمراد أمته. اه. أو الخطاب عام لكل سامع.

قوله فتردى إمّا مرفوع بتقدير فأنت تردى أو منصوب في جواب النهي. (خفاجي)

(٢٠) لما أوحى اللّٰه إلى موسى عليه السلام بالتوحيد و إقامة الصلاة و تصديق الساعة أعطاه آيتين باهرتين: قلب العصاحية و خروج اليد بعد ضمها إلى الجنب مشرقة كالشمس، ثم أمره بالتبليغ و دعوة فرعون إلى الإيمان.

قوله وهي (أي تلك) بمعنى هذه، لأن المخاطب قريب، و عصاه أيضًا قريبة، لكن وضع البعيد موضع القريب لأنه كان مقبلًا إلى كلام ربه، بعيدًا عن الالتفات إلى عصاه. قوله حال عمل فيها معنى الإشارة كما قالوا في "هذا زيد قائمًا" عامله معنى الإشارة في ذا أي أشير و في التنزيل (هذا بعلي شيخًا) ولا بد للجار متعلقًا فأظهره بقوله قارّةً (من قَرّ بمعنى ثبت) أو ماخوذةً أي ما تلك قارّةً بيمينك أو ماخوذة بيمينك قوله أو تلك موصول الخ. هذا على مذهب الكوفيين الذين يقولون: إن كل اسم إشارة يجوز أن يكون اسمًا موصولًا، والبصريون لايقولون به إلّا في "ذا" في ما ذا. (خفاجي)

وفائدة السوال مع أنه تعالى أعلم بكل شيء (١) التنبيه على أن ما بيمينه ليس إلّا عصاه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أي التأكد والفحص أنها عصا، (٢) التوطين ـ أي التمهيد و تهيئة قلبه لرويتها حية لئلًا يهوله أي يُفزعه انقلابها حية. (٣) الإيناس أي إحداث الأنس في قلبه ليذهب خوفه و يستعد لمكالمة ربّه. أعياني الأمر: أتعبني وأعجزني و أعييت منه: تعبت، والقطيع: طائفة من الغنم والنعم و نحوه والطفرة بفتح الطاء من ض: الوثوب أو الوثبة مع ارتفاع كوثوب الحائط. والأحسن ههنا المعنى الأعم. أخبط من ض: أي أضرب بها الشجر فيتساقط منه الورق على غنمي اه. و تفسير الخبط بما ذكر مروي عن عكرمة عند ابن أبي شيبة، وابن المنذر ، و ابن أبي حاتم (در منثور)

(٢١) لي بفتح الياء قرأه حفص، والباقون بسكونها. قوله بالحركات الثلاث أي في الراء.

قوله والقياس أخر، لأن المآرب جمع فالقياس أن تكون صفتها جمعًا، ووضع المونث الواحدة موضع الجمع بتأويل الجماعة مطّرد كثير في كلام العرب.

قوله و كذا الكبرى فيما يأتي من قوله (من آياتنا الكبرى) قوله تماشيه أي تمشي معه، رشاء بكسر الراء والجمع أرشية: الحبل عمومًا أو حبل الدلو. =

«أخرى» رداً إلى الجماعة أو لنسق الآي وكذا «الكبرى» ولما ذكر بعضها شكراً أجمل الباقي حياء من التطويل، أو ليسأل عنها الملك العلام فيزيد في الإكرام.والمآرب الأخر أنها كانت تماشيه وتحدثه وتحارب العدو والسباع وتصير رشاء فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلواً وتكونان شمعتين بالليل وتحمل زاده ويركزها فتثمر ثمرة يشتهيها ويركزها فينبع الماء فإذا رفعها نضب، وكانت تقيه الهوام. والزيادة على الجواب لتعداد النعم شكراً، أولأنها جواب سؤال آخر لأنه لما قال(هِيَ عَصَايَ)قيل له:ما تصنع بها فأخذ يعدد منافعها.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩﴾اطرح عصاك لتفزع مما تتكيء عليه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ فطرحها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ٢٠﴾ تمشي سريعاً قيل: انقلبت ثعباناً يبتلع الصخر والشجر، فلما رآها تبتلع كل شيء خاف.[٢٢] وإنما وصفت بالحية هنا وبالثعبان وهو العظيم من الحيات وبالجان وهو الدقيق في غيرها لأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وجاز أن تنقلب حية صفراء دقيقة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعباناً فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها، أو لأنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان. وقيل:كان بين لحييها أربعون ذراعاً. ولما ﴿قَالَ﴾ له ربه ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ سنردها ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ٢١﴾ تأنيث الأول، والسيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة وهي في الأصل فعلة من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة

= يركزها ركز الرمح و نحوه: غرزه في الأرض (ن) نضب : غار و غاب (ن)

قال ابن كثير: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أُبهمت فقيل كانت تضيء له بالليل و تحرس له الغنم إذا نام ، و يغرسها فتصير شجرة تُظِلّه وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانًا، فما كان يفرّ منها هاربًا، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، و كذا قول بعضهم: إنها كانت لآدم عليه الصلاة والسلام، و قول الآخر إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة. اه.

(٢٢) روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يقاربه معنى.

قوله إنّما وصفت الخ. قصة انقلابها حيّة أول مرّة مذكورة هنا أي في سورة طه بقوله "فإذا هي حية تسعى" و في الأعراف والشعراء بقوله "فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين" و في النمل والقصص بقوله "فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانّ" والقصة واحدة فتوجّه السوال عن اختلاف البيان و أجيب عنه كما ذكر المصنّف.

أقول: و يظهر بالتأمّل في النظم أن السوال غير متّجه، فإنّ القرآن لم يقل: فإذا هي جانّ، أو صارت جانًّا بل شبّه بها في الاهتزاز، فلم يبق إلّا الحية والثعبان، ولا منافاة بينهما، لأن الحية اسم جنس يعم كل نوع و صنف منه، فيصدق على الثعبان أيضًا ، نعم يصح قوله أخيرًا: إنّها كانت في عظم الثعبان و سرعة الجانّ.

قوله بين لحييها: اللحي بفتح اللام وسكون الحاء، والجمع ألحٍ و لُحِيّ: عَظْم الحنَك الذي عليه الأسنان، و منبت اللحية وهما لَحيان. واللحيه بكسر اللام و سكون الحاء و الجمع لِحىً و لُحىً: شعر الخدين والذقن (قاموس) قوله غريزية نسبة إلى الغريزة: وهي الطبيعة (قاموس)

والطريقة. وانتصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا. والمعنى نردها عصاً كما كانت، وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون.

ثم نبه على آية أخرى فقال. ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ إلى جنبك تحت العضد وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾ لنبوتك، بيضاء وآية حالان معاً ومن غير سوء صلة بيضاء كقولك: «ابيضت من غير سوء» وجاز أن ينتصب «آيَةً» بفعل محذوف يتعلق به الأمر. ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[٢٣] أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى العظمى،أو نريك بهما الكبرى من آياتنا أو المعنى فعلنا ذلك لنريك من آياتنا الكبرى.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية، ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج إلى صدر فسيح ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسعه ليحتمل الوحي والمشاق ورديء الأخلاق من فرعون وجنده ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون. واشرح لي صدري آكد من اشرح صدري لأنه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل لأنه بقول «اشرح لي ويسر لي» علم أن ثمة مشروحاً وميسراً ثم رفع الإبهام بذكر الصدر والأمر﴿وَاحْلُلْ﴾ افتح ﴿عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾وكان في لسانه رتة[٢٤] للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه، وذلك أن

قوله: العضد: ما بين المرفق إلى الكتف و فيه خمس لغات على أوزان كنز وقُفل وكتِف ونَدُس و عُنُق –لسان العرب– وذكر المجد كسر العين أيضًا مع سكون الضاد. ولم أجده عند غيره.

(٢٣) قوله جاز أن ينتصب آية بفعل محذوف الخ وهو كما ذكر فيما بعد. أي خذ آية أخرى، قوله خذ.... لنريك، فالإراء ة علة الأمر بالأخذ و التقدير الآخر فعلنا ذلك لنريك فالإراء ة علة الفعل. وأشار بقوله بعض آياتنا إلى أن "مِنْ" للتبعيض، وبقوله الكبرى من آياتنا إلى أن "من" للبيان.

قوله جاوز حد العبودية، و أصل الطغيان تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنٰـكُمْ فِى الْجَارِيَةِ. (الحاقّة ـ ١١) كذا في البيضاوي.

(٢٤) قوله رُتّة، بضم الراء المهملة، و تشديد المثناة الفوقية: حُبسة و لكنة في اللسان. (خفاجي)

قوله في صباه، بالكسر والقصر كما قال في لسان العرب: إذا فتحتَ الصاد مددتَ ، و إذا كسرت قصرت. الصِّبا والصَّباء: الصِّغر، قيل الصبي من حين يولد إلى أن يفطم، و يقال على الغلام أيضًا.

قوله آسية: امرأة فرعون، قوله طَشُت، في القاموس: الطَّسُت: الطَسُّ، و حُكي بالشين المعجمة ـ اهـ ـ والجمع طِساس و طُسوس، قال الجوهري : الطّست الطسّ بلغة طيّء، أبدل من إحدى السينين تاء، للاستثقال، فإذا جمعتَ أو صغّرتَ رددتَ السين. (لسان العرب)

موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فأراد قتله فقالت آسية: أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار لكنة منها. [٢٥] وروي أن يده احترقت واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال: إلى أي رب تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها. و (من لِّسَانِي) صفة لعقدة كأنه قيل: عقدة من عقد لساني، وهذا يشعر بأنه لم تزل العقدة بكمالها وأكثرهم على ذهاب جميعها ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ عند تبليغ الرسالة. ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا﴾ ظهيراً اعتمد عليه من الوزر الثقل لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنته، أو من الوزر الملجأ لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجىء إليه في أموره، أو معيناً من الموازرة وهي المعاونة فـ «وَزِيراً» مفعول أول لـ «اجْعَل» والثاني

(٢٥) أخرجه ابن جرير عن السدّي.

قوله و أكثرهم على ذهاب جميعها، وهو الحق، و بسط الكلام في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود و عناية القاضي حاشية تفسير البيضاوي للشهاب الخفاجي.

قوله من الوزر بكسر فسكون، بمعنى الحمل الثقيل ينقل به ، فوزير صفة منه بمعنى صاحب وزر أي حامل، لا بمعنى ثقيل قوله أو من الوَزَر، بفتحتين، أصل معناه الجبل يتحصن به، ثم استعمل بمعنى الملجا مطلقًا، و أخذت منه الموازرة بمعنى المعاونة، لأن المعين يُلجأ إليه. (خفاجي) في الكشاف: الوزير من الوِزْر. أو من الوَزَر. أو من الموازرة. وفي البيضاوي: اشتقاق الوزير إمّا من الوِزر. أو من الوزَر، ومنه الموازرة.اه. فجعل الثالث ماخوذا من الثاني، و في المدارك أو معينًا من الموازرة.اه. يظهر منه أنه ردّد بين ظهيرًا أعتمد عليه و بين معينًا، وجعل الأول ماخوذًا من الوِزر أو الوزَر، والثاني ماخوذًا من الموازرة، و فرّق بين الظهير المعتمد عليه وبين المعين.

فإنّ المعين عام يصدق معناه بقليل العون و كثيره معًا. والأوّل ينبئ عن كونه ظهرًا و عمادًا، يتوجّه إليه الأثقال والمؤن و يكون ملجأ و مرجعًا في الأمور، و هذا المعنى يناسب الوِزْر والوزَر، والمعين يناسب الموازرة بمعنى المعاونة العامّة. فالمسئول بالدعاء أن يجعل له ظهيرًا معتمدًا يتحمّل أثقاله و يكون عمادًا و ملجأ في الأمور كلها أو أن يجعل له مُعينًا في أمر الدعوة و إقامة الخير و نحوها.

(**الإعراب**) ذكر هنا وجوهًا في الإعراب (١) وزيرًا أول مفعولَيْ اجعل، و من أهلي مفعوله الثاني ـ و أورد عليه أن شرط المفعولين في باب النواسخ صحّة انعقاد الجملة الاسمية منهما، ولو جعلت وزيرًا مبتدًا، و من أهلي خبرًا له لم يصحّ إذ لا مسوّغ للابتداء بالنكرة، و أجيب أن الجملة دعائية، و النكرة يبتدأ بها فيها كما صرّح به النحاة فكذا بعد دخول الناسخ. وقوله "لي" صلة اجعل، تبيين. (٢) لي وزيرًا مفعولاه. لي مفعوله الثاني، وزيرًا مفعوله الأول، لأن الجملة قبل دخول الناسخ "لي وزير" لي خبر، و وزير مبتدأ، والمبتدأ هو المفعول الأول، والخبر هو المفعول الثاني كما في علمت زيدًا فاضلًا، أو علمت فاضلًا زيدًا و من أهلي صفة وزيرًا. وعلى الإعرابين هارون عطف بيان لوزيرًا. (٣) مفعولاه وزيرًا و هارون. وإذا عقدنا الجملة الاسمية قلنا: هارون وزير ليكون المبتدأ معرفة، ولأن الوزارة هو اللائق بالإخبار به، والعلَم بالإخبار عنه. فالمبتدأ أي هارون هو المفعول الأول، والخبر أي وزير هو المفعول الثاني، ولا بد هنا من نكتة لتقديم الثاني على الأول فذكرها بقوله: وقدم ثانيهما على أولهما عناية (أي اهتمامًا) بأمر الوزارة. و "لي" على هذا الإعراب صلة اجعل، أو حال و من أهلي صفة وزيرًا، أو متعلق باجعل. وقوله أخي على الوجوه الثلاثة بدل من هارون أو عطف بيان. و تلخيص القول باعتبار المفعولين هكذا (١) اجعل وزيرًا، من أهلي (٢) اجعل لي، وزيرًا (٣) اجعل وزيرًا، هرون.

﴿مِّنْ اَهْلِيْ ٢٩﴾ أو «لِي» «وَزِيراً» مفعولاه وقوله: ﴿هٰرُوْنَ﴾ عطف بيان لـ «وَزِيرًا» وقوله ﴿اَخِي ٣٠﴾ بدل أو عطف بيان آخر أو «وَزِيراً» و «هارون» مفعولاه وقدم ثانيهما على أولهما عناية بأمر الوزارة ﴿اشْدُدْ بِهٖ اَزْرِيْ ٣١﴾ قوِّ به(٢٦) ظهري وقيل الأزر القوة ﴿وَاَشْرِكْهُ فِيْ اَمْرِيْ ٣٢﴾ اجعله شريكي في النبوة والرسالة. «اشدد» و «أشركه» على حكاية النفس شامي على الجواب، والباقون على الدعاء والسؤال ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ نصلي لك وننزهک تسبيحاً ﴿كَثِيْرًا ٣٣ وَّنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا ٣٤﴾ في الصلوات وخارجها ﴿اِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا ٣٥﴾ عالماً بأحوالنا فأجابه الله تعالى حيث ﴿قَالَ قَدْ اُوْتِيْتَ سُؤْلَكَ يٰمُوْسٰى ٣٦﴾ أعطيت مسؤولك فالسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز. «سولك» بلا همز: أبو عمرو.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً﴾ كرة ﴿اُخْرٰٓى ٣٧﴾ قبل هذه ثم فسرها فقال ﴿اِذْ اَوْحَيْنَآ اِلٰٓى اُمِّكَ مَا يُوْحٰٓى ٣٨﴾ إلهاماً أو مناماً حين ولدت وكان فرعون يقتل أمثالك.(٢٧) و «إِذْ» ظرف لـ «مَنَنَّا» ثم فسر ما يوحى بقوله ﴿اَنِ اقْذِفِيْهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوْتِ﴾ و «أن» مفسرة لأن الوحي بمعنى القول ﴿فَاقْذِفِيْهِ فِي الْيَمِّ﴾ النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ الجانب وسمي ساحلاً لأن الماء يسحله أي يقشره، والصيغة أمر ليناسب ما تقدم ومعناه الإخبار أي يلقيه اليم بالساحل ﴿يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّيْ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٦) قوله قَوِّ أمر من التقوية قوله شامي اَشُدُدُ مضارع مجزوم لكونه جواب الدعاء، صيغة المتكلم الواحد من نصر و أُشْرِكُه من الإفعال أيضًا مضارع مجزوم صيغة المتكلم الواحد قرأه ابن عامر والباقون اُشْدُدُ و اَشرِكُ بلفظ فعل الأمر الذي هو للدعاء والسؤال.
قوله فالسؤل الطلبة، بفتح الطاء و كسر اللام : ما طلبته من شيء، و بكسر الطاء و سكون اللام أيضًا بمعناه أي المطلوب. (قاموس ولسان العرب)

(٢٧) رأى فرعون رويًا هالَتُه أن نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلّا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، و يقال تحدث عنده سُمارُه بأن بني إسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دولة و رفعة، و يكون هلاك مصر على يديه فعند ذلك أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بني إسرائيل، وأن تترك البنات و لما أكثر من قتل ذكورهم خافت القبط أن يفنى بنو إسرائيل فلا يجدوا من يقوم بأعمالهم فأمر بقتل الولدان عامًا و تركهم عامًا، فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان، و ولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان، و خافت عليه أمه خوفًا شديدًا فألهمت في سرّها كما قال تعالى (وَ أَوْحَيْنَا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِىْ وَلَا تَحْزَنِىْ إِنَّا رَادُّوْهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ) وذلك أن دارها كانت على حافة النيل، فاتخذت تابوتًا و مهّدت فيه مهدًا، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعته في ذلك التابوت، وسيرته في البحر، و ربطته بحبل عندها، فذهبت مرّة لتربط الحبل فانفلت منها و ذهب به البحر فحصل لها من الهم والغم ما ذكره اللّه عنها في قوله (وَ اَصْبَحَ فُؤَادُ اُمِّ مُوسىٰ فَارِغًا، اِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى به لَوْلَا اَنْ رَّبَطْنَا عَلىٰ قَلْبِهَا) وحكم اللّٰه تعالى أن لا يربّى إلّا على فراش فرعون، و يغذى بطعامه و شرابه، و مع محبته و محبة زوجته له (فَالْتَقَطَهٗ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا وَّ حَزَنًا) ابن كثير في البقرة و طه والقصص، ملخصًا.
قوله لأن الوحي بمعنى القول. أن المفسرة مختصّة بما هو في معنى القول، فلا تقع بعد صريح القول، ولا بعد ما ليس في معنى القول، والمفسر هنا قوله "ما يوحى" مفعول أوحينا.

وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني فرعون والضمائر كلها راجعة إلى موسى عليه السلام، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت يفضي إلى تناثر النظم. والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان هو التابوت لكن موسى في جوف التابوت.

رُوي أنها جعلت في التابوت قطناً[٢٨] محلوجاً فوضعته فيه وقيرته ثم ألقته في اليم، وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية إذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فإذا بصبي أصبح الناس وجهاً فأحبه فرعون حباً شديداً فذلك قوله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ يتعلق «مِنِّي» بـ «أَلقيت» يعني إني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب فما رآه أحد إلا أحبه. قال قتادة: كان في عيني موسى ملاحة ما رآه أحد إلا أحبه ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾[٢٩] معطوف على محذوف تقديره وألقيت عليك محبة لتحب ولتصنع ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ أي لتربى بمرأى مني وأصله من صنع الفرس أي أحسن القيام عليه يعني أنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به «وَلْتُصْنَعَ» بسكون اللام والجزم: يزيد على أنه أمر منه.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ﴾ بدل من (إِذْ أَوْحَيْنَا) لأن مشي أخته كان منة عليه ﴿أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ رُوي أن أخته مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت: هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيربيه وأرادت بذلك

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يقشره (ض، ن) قشر: أزال قِشره، و كشَط جلده. قوله والضمائر كلها الخ. بالنظر إلى الحقيقة و تعلقِ الفعل بالذات يكون قذف موسى في التابوت، و قذف التابوت في اليم، والقاء التابوت إلى الساحل، وأخذ التابوت أو أخذ موسى، والعداوة لموسى. فالضمير الأول والآخر يرجع إلى موسى والثالث والرابع إلى التابوت، والخامس محتمل لهما. وهذا انتشار في رجوع الضمائر، والأولى أن ترجع كلها إلى موسى لكن يرد أن القذف فياليم للتابوت بالذات، وكذا الإلقاء إلى الساحل له بالذات، فأجاب أنهما و إن كانا للتابوت ذاتًا لكنهما لموسى أيضًا تبعًا و عرضًا، لأنه كان في جوف التابوت. والفعل كما يسند إلى ما هو بالذات، كذا يسند إلى ما هو بالتبع وبالعرض.

(٢٨) قوله روي الخ، هذا فيما رواه النسائي في تفسيره وابن جرير و غيرهما في حديث الفتون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ونقلت طرفًا منه أوّلًا، قوله محلوجًا أي مندوفًا مستخرجَ الحَبّ والفعل حلج حَلْجًا (ض ن) القطن: نَدَفه (ض) قَيَّرَته أي طَلَته بالقار- وهو الزِّفت، لئلّا يدخل فيه الماء فيهلك، يشرع أي يدخل بِرْكة بكسر الموحدة و سكون الراء المهملة: مُستَنْقَع الماء من غير بناء، والحوض ما بُني منه في الأكثر قوله فأمر به أي بإخراجه ففيه مضاف مقدّر، و أصبح من الصباحة (ك) بالموحدة، وهي الجمال. قوله قتادة أخرجه عنه ابن عساكر (در منثور)

(٢٩) قوله لتربى بمرأى مني، لما استحال معنى العين (وهي من الجوارح) للّه تعالى، قالوا: هذا الكلام على طريق الاستعارة والتمثيل، و أوّلوه، قوله: وَلْتُصْنَعْ، بسكون لام الأمر، و جزم الآخر، قرأه أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وهو من العشرة. قوله بدل من إذ أوحينا، و يحتاج هذا إلى أن يقع فيه فعل منَنًّا، لأن ما للمبدل يكون للبدل، بل يكون البدل هو المقصود، فقال مَشْيُ أخته كان منةً عليه لتسببه لقاءهم في حال طلبهم الظئر، ثم الدلالة عليها ، ثم الرجوع إلى الأم كما وعد الله تعالى (إنَّا رَادُّوه اِلَيكِ) وقال البيضاوي: ظرف لألقيتُ أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا. قوله متعرّفة أي طالبةً معرفة حاله، تعرّف الشيء : تطلّبه حتى عرفه.

المرضعة الأم. وتذكير الفعل للفظ«مَنْ»،فقالوا :نعم فجاء بالأم فقبل ثديها وذلك قوله: ﴿فَرَجَعْنٰكَ﴾ فرددناك ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ كما وعدناها بقولنا:(إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ) [القصص:٧] ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقك. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قبطياً كافراً (٣٠)﴿فَنَجَّيْنٰكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ من القود. قيل الغم: القتل بلغة قريش وقيل: اغتم بسبب القتل خوفاً من عقاب الله تعالى ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره (قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى) [القصص: ١٦] ونجاه من فرعون بأن ذهب به من مصر إلى مدين ﴿وَفَتَنّٰكَ فُتُونًا﴾ ابتليناك ابتلاء بإيقاعك في المحن وتخليصك منها،والفتون مصدر كالقعود أو جمع فتنة أي فتناك ضروباً من الفتن، والفتنة المحنة وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة. (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)[الأنبياء: ٣٥] ﴿فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ هي بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر. قال وهب: لبث عند شعيب ثمانياً وعشرين سنة، عشر منها مهر لصفوراء، وأقام عنده ثمان عشرة سنة بعدها(٣١)حتى ولد له أولاد.﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يّٰمُوسَىٰ ۝٤٠﴾أي موعد ومقدار للرسالة وهو أربعون سنة﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾(٣٢)اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على

(٣٠) قصته في سورة القصص، قال تعالى: (وَ دَخَلَ الْمَدِيْنَةَ عَلىٰ حِيْنِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيْهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلٰنِ هٰذَا مِنْ شِيْعَتِه وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّه فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِىْ مِنْ شِيْعَتِه عَلَى الَّذِىْ مِنْ عَدُوِّه فَوَكَزَهٗ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطٰنِ إِنَّهٗ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُّبِيْنٌ قَالَ رَبِّ إِنِّىْ ظَلَمْتُ نَفْسِىْ فَاغْفِرْ لِىْ فَغَفَرَ لَهٗ إِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُوْنَ ظَهِيْرًا لِلْمُجْرِمِيْنَ)
و أخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: إنّما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له: و قتلت نفسًا فنجّينٰك من الغمّ و فتنّٰك فتونًا.
قوله القود بفتحتين: القصاص (قاموس) قوله نبلوكم قال المصنف في سورة الأنبياء: و نبلوكم و نختبركم، سمي ابتلاء ، و إن كان عالمًا بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم، لأنه في صورة الاختبار، بالشر بالفقر والضر والخير الغني والنفع فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه ـ اه ـ قوله مراحل ، في المصباح: المرحلة المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم، والجمع المراحل (إكليل) قوله وهب بن مُنبِّه، من التابعين، كانت له معرفة بأخبار الأوائل و قيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم، و سيرِ الملوك توفي بصنعاء اليمن سنة عشر و مأة، وقيل أربع عشرة و قيل: ست عشرة، و عمره تسعون سنة، رضي الله تعالى عنه. (إكليل)
قوله صفورا بنت شعيب عليه السلام أنكحها أبوها عليه السلام على أن يكون موسى عليه السلام أجيرًا لشعيب عليه السلام ثماني أو عشر سنوات، و قضى موسى عليه السلام أوفَى الأجلين، و أمر التزويج مذكور في سورة القصص و يجوز في شرعنا أيضًا أن يكون مهر المرأة أن يخدم الزوج حُرًّا آخر غير الزوجة، كما في كتب الفروع.

(٣١) فكان قتله القبطي و خروجه إلى مدين و هو ابن ثنتي عشرة سنة لاتفاق المفسرين أن بعثته كانت إذبلغ أربعين سنة، وهو العمر الذي بُعث فيه الأنبياء. و ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى (وقتلت نفسًا) قال كعب: و كان إذا ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ـ اه ـ

(٣٢) مثّله فيما خوّله (أعطاه) من الكرامة بمن قرّبه الملك، و استخلصه لنفسه (بيضاوي) الاصطناع=

إرادتي ومحبتي. قال الزجاج: اخترتك لأمري وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كأني أقمت عليهم الحجة وخاطبتهم.

﴿اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوكَ بِاٰيٰتِيْ﴾ بمعجزاتي ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا من الونى وهو الفتور والتقصير ﴿فِيْ ذِكْرِيْ﴾ أي اتخذا ذكري جناحاً تطيران به[٣٣] أو أريد بالذكر تبليغ الرسالة فالذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من أعظمها ﴿اِذْهَبَآ اِلٰى فِرْعَوْنَ﴾ كرر لأن الأول مطلق والثاني مقيد ﴿اِنَّهٗ طَغٰى﴾ جاوز الحد بادعائه الربوبية ﴿فَقُوْلَا لَهٗ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ الطفا له في القول[٣٤] لما له من حق تربية موسى، أو كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث: أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة. أو عداه شباباً لا يهرم بعده وملكاً لاينزع عنه إلا بالموت، أو هو قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَّكَ اِلٰٓى اَنْ تَزَكّٰى ۝ وَاَهْدِيَكَ اِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى﴾[النازعات:١٨، ١٩] فظاهره الاستفهام والمشورة. ﴿لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ﴾ أي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= افتعال من الصُّنع بمعنى الصنيعة أي جعلَه محلًّا لإكرامه باختياره و تقريبه منه، بجعله من خواصّ نفسه و ندمائه، فاستعير استعارة تمثيلية من ذلك المعنى المشبه به إلى المشبه وهو جعله نبيًّا مكرمًا كليما منعمًا عليه بجلائل النعم. (خفاجي)

قوله من الونى وَنًى كفَتًى، و الفعل ونَى يَنِي وَنْيًا و وُنيًّا و وَنًى، قال الجوهري: الونَى الضعف والفتور والكلال والإعياء. (لسان العرب)

(٣٣) قال في الكشاف: أي لا تنسياني، ولا أزال منكما على ذكر حيث تقلّبتما، واتخذا ذكري جناحًا تطيران به مستمدَّين بذلك العون والتائيد مني، معتقدَين أن أمرًا من الأمور لا يتمشّى لأحد إلّا بذكري ـ اه ـ قال الطبري: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما و نهيتكما، فإن ذكر كما إيّاي يقوّي عزائمكما و يثبّت أقدامكما ـ اه ـ

قوله: أو أريد الخ، فالمعنى ولا تقصّرا و لاتفترا في تبليغ الرسالة قوله مطلق أي عن غاية الذهاب، والثاني مقيد بها، فإن الأول لم يذكر معه إلى من يذهب، و في الثاني ذكر "إلى فرعون".

(٣٤) قوله: الطفا له في القول. لطف به وله ، يلطف لُطفًا (ن) رَفِق به. (لسان العرب)

قوله: الكنى قال ابن منظور: الكُنيَة على ثلاثة أوجه: أحدها أن يُكنىٰ عن الشيء الذي يُستفحش ذكره، والثاني أن يُكنى الرجل باسم توقيرًا و تعظيمًا والثالث أن تقوم الكُنيَة مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه، كأبي لهب اسمه عبد العُزّى عرف بكنيته فسمّاه الله بها ـ اه ـ و في القاموس: كنى زيدًا أبا عمرو، و به كُنية بالكسر والضم سمّاه به كـ أكناه و كنّاه اه. والجمع كُنى، و كِنىٰ.

قوله عداه: أمر للمخاطبَين من الوعد، لايهرَم (س) هرَمًا وهو أقصى الكبر، تفسير القول اللين بالتكنية مروي عن علي ، وابن عباس، و سفيان الثوري (در منثور) و تفسيره بالوعد بالشباب ذكره القرطبي والبيضاوي و صاحب الكشاف وغيره بدون النسبة إلي أحد، و الثالث حكاه القرطبي عن ابن مسعود:

قوله هَلْ لَكَ اِلىٰٓ اَنْ تَزَكّىٰ. قال المصنف: في سورة النازعات أي هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان، بالطاعة والإيمان، و بتشديد الزاي حجازي (وَ أَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبّك) و أرشدك إلى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فَتَخْشىٰ) لأن الخشية لا تكون إلّا بالمعرفة بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض، كما يقول الرجل لضيفه: هل لك أن تنزل بنا. و أرْدَفَه الكلامَ الرقيق ليستدعيه باللطف في القول، و يستنزله بالمداراة عن عُتوّه كما أمر بذلك في قوله تعالى: فقولا له قولًا ليّنًا. اه مدارك التنزيل. سورة النازعات.

قوله المشورة، بفتح الميم و ضم الشين و سكون الواو ـ كمَثُوْبة ـ وهو الأفصح، و يجوز سكون الشين مع=

يتعظ ويتأمل فيذعن للحق﴿ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾أي يخاف أن يكون الأمر كما تصفان فيجره إنكاره إلى الهلكة.وإنما قال:(لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) مع علمه أنه لايتذكر لأن الترجي لهما، أي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا الأمر مباشرة من يطمع أن يثمر عمله.

وجدوى إرسالهما إليه مع العلم بأنه لن يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة. وقيل: معناه لعله يتذكر متذكر أو يخشى خاش وقد كان ذلك من كثير من الناس. وقيل: «لَعَلَّ» من الله تعالى واجب وقد تذكر ولكن حين لم ينفعه التذكر. وقيل: تذكر فرعون وخشي وأراد اتباع موسى فمنعه هامان وكان لا يقطع أمراً دونه. وتليت عند يحيى بن معاذ فبكى وقال: هذا رفقك بمن يقول أنا إله فكيف بمن قال أنت الإله؟ وهذا رفقك بمن قال أنا ربكم الأعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الأعلى. ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ ﴾(٣٥) يعجل علينا بالعقوبة ومنه الفارط يقال فرط عليه أي عجل ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا(٣٦) ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾ أي حافظكما وناصركما ﴿ أَسْمَعُ ﴾ أقوالكما ﴿ وَأَرَىٰ ﴾ أفعالكما. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾ أي فرعون ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ إليك ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي أطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق ﴿ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ بتكليف المشاق ﴿ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ بحجة على صدق ما ادعيناه، وهذه الجملة جارية من الجملة الأولى وهي (إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ) مجرى البيان والتفسير والتفصيل لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا ببينتها وهي المجيء بالآي

= فتح الواو، و معناها المشاورة (خفاجي) قوله فيذعن، أذعن له: خضع و ذلّ، و أقرّ، و أسرع في الطاعة، و انقاد كذَعِنَ كفرِح (قاموس) قوله الهلكة بفتحتين، الهلاك. قوله جَدْوىٰ أي الفائدة قوله يحيى بن معاذ الرازي الواعظ نسيج وحده في وقته، له لسان في الرجاء خصوصًا، و كلام في المعرفة، خرج إلى بلخ و أقام بها مدة، و رجع إلى نيسابور، و مات بها سنة ثمان و خمسين و مأتين. (إكليل)

(٣٥) قال الراغب: فَرط إذا تقدّم تقدّمًا بالقصد يفرُط، و منه الفارط إلى الماء أي المتقدّم لإصلاح الدلو، يقال فارطٌ و فَرَط و منه قوله عليه السلام "أنا فرَطكم على الحوض" و قيل في الولد الصغير إذا مات: اللّهم اجعله لنا فَرَطًا. (مفردات)

(٣٦) و في الكشاف: بالتخطّي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك و قسوة قلبه، و في المجيء به هكذا على الإطلاق، و على سبيل الرمز (أي بدون التقييد و التصريح بقولهما "عليك") بابٌ من حسن الأدب، و تحاشٍ عن التفوّه بالعظيمة ـ اهـ ـ و نحوه في تفسير البيضاوي. وفيما فسّره به المصنّف نوع تكرار، لأن التعجيل بالعقوبة، و تجاوزَ الحد في الإساء ة كشيء واحد، و إن أمكن التفريق بأن المراد بالأول عقوبة خفيفة و بالثاني عقوبة شديدة.

قوله حافظكما و ناصركما ـ أي المعية منه تعالى معيّة الحفظ والنصرة، لا المعية في المكان، فإنه منزه عن المكان.

قوله هذه الجملة جارية ـ الخ ـ الجملة الأولى "انَّا رَسُولَا رَبِّكَ" كدعوى مجملة، والثانية "قَدْ جِئْنٰكَ بِاٰيَةٍ مِّن رَّبِّكَ" أي قد أتينا ببرهان و معجزة من ربك كدليل و بينة على تلك الدعوى، و كبيان و تفسير لذلك الإجمال، فالثانية بالنسبة إلى الأولى جارية مجرى البيان، والتفسير، والتفصيل.

فقال فرعون: وما هي؟ فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس ﴿وَالسَّلٰمُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى﴾ أي سلم من العذاب من أسلم وليس بتحية. وقيل: وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين. ﴿اِنَّا قَدْ اُوْحِيَ اِلَيْنَاۤ اَنَّ الْعَذَابَ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿عَلٰى مَنْ كَذَّبَ﴾ بالرسل ﴿وَتَوَلّٰى﴾ أعرض عن الإيمان.وهي أرجى آي القرآن(٣٧)لأنه جعل جنس السلام للمؤمن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء الجنس شيء. فأتياه وأديا الرسالة وقالا له ما أمرا به.

﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يٰمُوْسٰى﴾ خاطبهما ثم نادى أحدهما لأن موسى هو الأصل في النبوة وهارون تابعه ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْۤ اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهٗ﴾ «خَلْقَهُ» أول مفعولي «أعطى» أي أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، أو ثانيهما أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع، وكذا الأنف والرجل واليد كل واحد منها مطابق للمنفعة المنوطة بها، وقرأ نصير «خَلَقَهُ»صفة للمضاف أو للمضاف إليه أي أعطى كل شيء مخلوق عطاء ﴿ثُمَّ هَدٰى﴾ عرف كيف يرتفق بما أعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة في العقبى.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُوْنِ الْاُوْلٰى﴾ فما حال الأمم الخالية(٣٨)والرمم البالية، سأله عن حال من تقدم من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيْ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فِيْ كِتٰبٍ﴾ أي اللوح خبر ثان أي هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّيْ﴾ أي لايخطىء شيئاً يقال:

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٧) قوله هي أرجى آي القرآن، رُوي هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (قرطبي) أي أكثرها رجاءً باعتبار اشتمالها على معنى الرجاء للمومنين. قوله فأتياه ـ الخ ـ حُذف هذا من الكلام لدلالة الباقي عليه، فأظهره إيضاحًا، و بيانًا للارتباط.

قوله أوّل مفعولي أعطى، والمعطى له هو المفعول الأول، والمعطى مفعول ثان، والخَلق في الأصل مصدر، يكون بمعنى الإبداع بدون مثال سبق، و بمعنى التقدير، و يطلق بمعنى المخلوق ، كاللفظ بمعنى الملفوظ، والخلق بمعنى المخلوق يراد به الذوات المخلوقة، أو الأشكال والصور المخلوقة، والخُلق بضم فسكون، و بضمتين يخصّ بالطبائع والسجايا المخلوقة، والمراد بالخلق المذكور ههنا إمّا الخليقة أي المخلوقات أو الصورة والشكل، على الأول هو المفعول الأول، و على المعنى الثاني هو المفعول الثاني كما فسّر و أوضح المصنّف.

قوله يرتفقون به، أي ينتفعون به، والارتفاق هو الانتفاع، والمرافق: المنافع قوله المنوطة على زنة مقولة أي المتعلقة و ناطه نَوطًا : علَّقه.

قوله و قرأ نُصَير (على زنة طفيل) بن يوسف النحوي، يروى عن علي الكسائي رحمه الله خلقه بفتح اللام، فعلًا ماضيًا. (إكليل)

(٣٨) قوله الخالية أي الماضية، من خلا الزمان: مضى. الرِّمم العظام البالية. رَمَّ يرُمّ رِمًّا و مرمة (ن) إصلاح الشيء البالي، و رمّ العظم يرِمُّ رِمَّة (ض) بكسر الراء فيهما: بلي فهو رميم. والرِمَّة: العظم البالي والجمع رِمم و رِمام، و بلِي الثوبُ بِلىً ـ بالكسر والقصر ـ و بلآء ـ بالفتح والمدّ: خلُق. (مفردات، و لسان العرب و مختار الصحاح) قوله استاثر ـ في القاموس: استاثر بالشيء، استبدّ به، و خصَّ به نفسَه.

ضللت الشيء إذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له أي لا يخطىء في سعادة الناس وشقاوتهم ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ثوابهم وعقابهم. وقيل: لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن ليعلم الملائكة أن معمول الخلق يوافق معلومه. ﴿الَّذِىْ﴾ مرفوع صفة لـ «رَبّي» أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا﴾[٣٩] كوفي وغيرهم (مهادا) وهما لغتان لما يبسط ويفرش ﴿وَّسَلَكَ﴾ أي جعل ﴿لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَّاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ أي مطراً ﴿فَاَخْرَجْنَا بِهٖۤ﴾ بالماء. نقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للافتنان.[٤٠] وقيل:تم كلام موسى ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: (فَاَخْرَجْنَا بِهٖ) وقيل: هذا كلام موسى أي فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس ﴿اَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِّنْ نَّبَاتٍ﴾ هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد والجمع ﴿شَتّٰى﴾ صفة للأزواج أو للنبات[٤١] جمع شتيت كمريض ومرضى أي إنها مختلفة النفع واللون والرائحة والشكل بعضها للناس وبعضها للبهائم، ومن نعمة الله تعالى أن أرزاقنا تحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجاتنا مما لانقدر على أكله.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٩) قوله كوفي أي قرأ عاصم و حمزة والكسائي ـ وكذا خلف ـ مَهْدًا والباقون مِهَادًا ـ قوله هما لغتان كفَرش و فِراش. قال الراغب: المهد ما تهيِّئ للصبي، والمهد والمهاد: المكانُ الممهَّد الموَطَّأ.

(٤٠) ذكر المصنّف هنا ثلاثة وجوه ، **الوجه الأول:** "الذي جعل لكم" ـــ ابتداء كلام الله عز و جل، وهو خبر مبتدأ محذوف "هو" وتم كلام موسى عند قوله (ولا ينسى) فلا يكون (الذي جعل) صفة لربى أو مدحًا منصوبًا، وإلّا لزم كونه من كلام موسى عليه السلام، و في قوله تعالى فأخرجنا به افتنان، و التفات بنقل الكلام من الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع للإيذان بأنه سبحانه و تعالى مطاع، تنقاد الأشياء المختلفة لأمره. و مثله قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِىْٓ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهٖ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) الأنعام: ٩٩، (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهٖ ثَمَرٰتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) فاطر:٢٧ (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهٖ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ) نمل: ٦٠.

الوجه الثاني: الذي جعل ـ إلى قوله ـ ماءً من كلام موسى عليه السلام ثمّ أخبر اللّٰه تعالى عن نفسه بقوله فأخرجنا به.

الوجه الثالث: " فأخرجنا به" أيضًا من كلام موسى عليه السلام، والمراد فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس ازواجًا من نبات شتى.

قال الإمام: واعلم أنه يجب الجزم بكونه خبرًا لمبتدأ محذوف (أي "الذي جعل" خبر لمبتدأ محذوف "هو" قطعًا) إذ لو حملناه على الوجهين الباقيين لزم كونه من كلام موسى عليه السلام، ولو كان كذلك لفسد النظم بسبب قوله (فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى) لأن قوله بعد ذلك (كلوا وارعوا أنعامكم، إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى. منها خلقناكم و فيها نعيدكم) لا يليق بموسى عليه السلام. ولا يجوز أن يقال كلام الله ابتدائه من قوله:(فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى) لأن الفاء (في قوله فأخرجنا) يتعلق بما قبله، فلا يجوز جعلُ هذا كلامَ اللّٰه تعالى و جعلُ ما قبله كلامَ موسى عليه السلام. فلم يبق إلّا أن يقالَ إن كلام موسى عليه السلام تم عند قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) ثم ابتدأ كلام اللّٰه تعالى من قوله (الذي جعل لكم الأرض مهدًا) و يكون التقدير هو الذي جعل لكم الأرض مهدًا. اهـ. فيكون "الذي" خبر مبتدأ محذوف، ويكون الانتقال من الغيبة إلى التكلم التفاتًا. اهـ. (مفاتيح الغيب بتلخيص كثير)

(٤١) قوله أو للنبات، فإنه يصدق على الجمع أيضًا كما ذكر، و يصح وصفه بالجمع.

قائلين ﴿كُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ﴾ حال من الضمير في «فَاَخْرَجْنَا» والمعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها ﴿اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ﴾ في الذي ذكرت ﴿لَاٰيٰتٍ﴾ لدلالات ﴿لِّاُولِي النُّهٰى﴾ لذوي العقول واحدها نهية لأنها تنهى عن المحظور أو ينتهى إليها في الأمور﴿مِنْهَا﴾ من الأرض﴿خَلَقْنٰكُمْ﴾ أي أباكم آدم عليه السلام. وقيل: يعجن كل نطفة بشيء من تراب مدفنه فيخلق من التراب والنطفة معاً أو لأن النطفة من الأغذية وهي من الأرض ﴿وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ﴾ إذا متم فدفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً اُخْرٰى﴾ مرة أخرى والمراد بإخراجهم أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم إلى المحشر. عدد الله عليهم ما علق بالأرض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها، وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم، وهي أصلهم الذي منه تفرعوا، وأمهم التي منها ولدوا، وهي كفاتهم إذا ماتوا.

﴿وَلَقَدْ اَرَيْنٰهُ﴾ أي فرعون ﴿اٰيٰتِنَا كُلَّهَا﴾(٤٢) وهي تسع آيات: العصا واليد وفلق البحر

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله "قائلين" قدّره ليتضح أن كلوا و ارعوا مقولة القول المقدر، و يكون قائلين مع مقوله حالًا من ضمير المتكلم في "فأخرجنا" قوله آذنين، مبيحين إيذان بأن الأمر في كلوا و ارعوا للإباحة لا للإيجاب. قوله في الذي ذكرت بيان للمشار إليه، و قدّره ليعمّ كل ما ذكر الله تعالى من آيات قدرته و إنعامه، وهو جعلُ الأرض كالمهد الوثير لسكنهم، و إخراجُ السبل فيها لتنقّلاتهم و تقلّباتهم في معايشهم، و إنزالُ الغيث، و إخراجُ صنوف النبات به تغذيةً لهم ولأنعامهم قوله نُهيَة بضم النون كمُنية و مُنى و غُرفة و غُرَف قوله كِفاتهم أي جامعتهم و ضامَّتهم ، قال الراغب: الكفت (ض) القبض والجمع، قال تعالى: ألم نجعل الأرض كِفاتًا أحياءً و أمواتًا. ـ مرسلات ـ ٢٤، ٢٥ـ أي تجمع الناس أحياء هم و أمواتهم، و قيل معناه تضُم الأحياء التي هي الإنسان و الحيوانات والنباتُ، والأمواتَ التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك. (مفردات)

و في الحديث الذي في السنن أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم حضر جنازة فلمّا دفن الميت أخذ قبضة من التراب فألقاها في القبر و قال (منها خلقناكم) ثم أخذ أخرى وقال (و فيها نعيدكم) ثم أخرى وقال (و منها نخرجكم تارة أخرى) ـ ابن كثير ـ

(٤٢) هنا سوال وجواب ذكرهما الإمام الرازي : فإن قيل: قوله "كلها" يفيد العموم، والله تعالى ما أراه جميع الآيات، لأن من جملة الآيات ما أظهرها على الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى عليه السلام والذين كانوا بعده ؟ قلنا: لفظ الكل و إن كان للعموم لكن قد يستعمل في الخصوص عند القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل شيء ـ اه ـ والله تعالى قد ذكر في غير هذا المقام أنه أرى فرعون تسع آيات بينات، فلم يومن ، و أصر على العتو والاستكبار. ففي سورة الإسراء (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينٰت. فسئل بني إسرائيل إذ جاء هم فقال له فرعون إنّي لأظنك يٰموسى مسحورًا ـ ١٠١) و في سورة النمل، قال تعالى: (وَاَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَاٰهَا تَهْتَزُّ كَاَنَّهَا جَانٌّ وَّلّٰى مُدْبِرًا وَّ لَمْ يُعَقِّبْ يٰمُوْسٰى لَاتَخَفْ اِنِّي لَايَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُوْنَ ١٠ اِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوْءٍ فَاِنِّي غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ١١ وَاَدْخِلْ يَدَكَ فِيْ جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ فِيْ تِسْعِ اٰيٰتٍ اِلٰى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهٖ اِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فٰسِقِيْنَ ١٢ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ اٰيٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ١٣ وَجَحَدُوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا اَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَّعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ=

والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَبٰى﴾ قبول الحق ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿اَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ اَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يٰمُوْسٰى﴾ فيه دليل على أنه خاف منه خوفا شديدا وقوله:«بسحرك» تعلل والا فأي ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه ﴿فَلَنَاْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهٖ﴾ فلنعارضك بسحر مثل سحرك ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف أي مكان موعد، الضمير في ﴿لَّا نُخْلِفُهٗ﴾ للموعد. قرأ يزيد بالجزم على جواب الأمر وغيره بالرفع على الوصف للموعد ﴿نَحْنُ وَلَآ اَنْتَ مَكَانًا﴾ هو بدل من المكان المحذوف ويجوز أن لا يقدر مضاف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه وانتصب مكانا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر ﴿سُوًى﴾ بالكسر حجازي وأبوعمرو وعلي وغيرهم بالضم وهو نعت لـ «مكانا» أي منصفا بيننا وبينك وهو من الاستواء لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّيْنَةِ﴾ مبتدأ وخبر وهو يوم عيد كان لهم أو يوم النيروز أو يوم عاشوراء(٤٣) وإنما استقام الجواب بالزمان وان كان السؤال

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ) و هنا دليل أن العصا و اليد معدودتان في الآيات التسع. أمّا السبع الباقية فقد ذكرها في سورة الأعراف (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين و نقص من الثمرٰت لعلهم يذكرون ـ ١٣٠) الأخذ بالسنين أي القحط والجدب، ونقص الثمرات بالعاهات اٰيتان، والخمس الباقية ما ذكرها في الآية الآتية: (فأرسلنا عليهم الطوفان و الجراد والقمل والضفادع والدم اٰيتٍ مفصّلٰت فاستكبروا و كانوا قومًا مجرمين. ١٣٢) فما ذكر اللّٰه تعالى من الآيات التسع في السور المذكورة قرينة أن المراد إراء ته كل هذه الآيات التي خُصّت لإيقاظهم و إلزام الحجة عليهم.

ولايصح عد فلق البحر و الحجر و نتق الجبل من هذه التسع فإن الأول و إن رآه فرعون لكنّ الأخيرين كانا بعد هلاكه، لبني إسرائيل، وقد كان لهم إنزال المن والسلوى، و تظليل الغمام وغير ذلك مما شاهدوه بعد خروجهم من مصر و بعد غرق فرعون، و أي حاجة إلى عدّ غير ما صرّح القرآن به أن اللّٰه أراها فرعون و قومه فلم يومنوا فأغرقوا في اليم؟

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما في قوله:(وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسىٰ تِسْعَ اٰيٰتٍ بَيِّنٰتٍ) قال: اليد، والعصاء، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، و نقص من الثمرات. (الدر المنثور ـ سورة الإسراء)

قوله تعلل أي تكلف علة و حجة لا أصل لها تمويهًا و تلبيسًا على غيره (خفاجي)

قوله: هو مصدر (أي مصدر ميمي) بمعنى الوعد، اعتبر مصدرًا، لا اسم مكان أو زمان، لأن قوله "لانخلفه" صفة "لموعدا" والإخلاف إنّما يتعلق بالوعد، لا بالزمان أو المكان، يقال أخلف وعده لا زمانه و مكانه، وقدّر المضاف (أي مكان موعد) ليصح إبدال "مكانًا سوى" منه و جوّز أن لا يقدر مضاف، و ينتصب "مكانًا بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر أي "عِدُ مكانًا سوى".

قوله يزيد، هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، أحد العشرة. قوله حجازي، إذا اجتمع قراء مكة والمدينة قيل: "حجازي".

(٤٣) قال ابن عباس: و كان يوم الزينة يوم عاشوراء، وقال السدى و قتادة وابن زيد: كان يوم عيدهم، وقال سعيد بن جبير: كان يوم سوقهم. ولا منافاة، و في مثله أهلك اللّٰه فرعون و جنوده كما ثبت في الصحيح. (ابن كثير) قوله النيروز، فيعول بفتح أوله، والنوروز لغة فيه، وهو معرّب، اسم لوقت نزول الشمس في أول الحمل، والياء أشهر لفقد 'فوعول"=

عن المكان على التأويل الأول لأن اجتماعهم يوم الزينة يكون في مكان لا محالة فبذكر الزمان علم المكان وعلى الثاني تقديره وعدكم وعد يوم الزينة ﴿وَأَنْ يُّحْشَرَ النَّاسُ﴾ أي تجمع. في موضع رفع أو جر عطفا على يوم أو الزينة ﴿ضُحًى﴾ أي وقت الضحوة لتكون أبعد عن الريبة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع اهل الوبر والمدر ﴿فَتَوَلّٰى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر عن موسى معرضا ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهٗ﴾ مكره وسحرته وكانوا اثنين وسبعين او اربعمائة أو سبعين ألفا ﴿ثُمَّ اَتٰى﴾ للموعد ﴿قَالَ لَهُمْ مُّوْسٰى﴾ أي للسحرة ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوْا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا﴾ لاتدعوا آياته ومعجزاته سحرا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ كوفي غير أبي بكر يهلككم. وبفتح الياء والحاء غيرهم والسحت والإسحات بمعنى الإعدام وانتصب على جواب النهي ﴿بِعَذَابٍ﴾ عظيم ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرٰى فَتَنَازَعُوْٓا﴾ اختلفوا أي السحرة فقال بعضهم : هو ساحر مثلنا وقال بعضهم : ليس هذا بكلام السحرة أي لا تفتروا على الله كذبا –الآية– ﴿اَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوٰى﴾ أي تشاوروا في السر وقالوا : إن كان ساحرا فسنغلبه و إن كان من السماء فله أمر. والنجوى يكون مصدرا واسما ثم لفقوا هذا الكلام يعني ﴿قَالُوْٓا اِنْ هٰذٰنِ لَسٰحِرٰنِ﴾ يعني موسى وهارون. قرأ أبوعمرو(٤٤) (اِنَّ هذين لساحران) وهو ظاهر ولكنه مخالف للإمام، وابن كثير وحفص والخليل وهو أعرف بالنحو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= في كلام العرب (خفاجي)
قوله على التاويل الأول، وهو أن يكون "موعدًا" مصدرا ميميًا، و يقدّرَ مضاف أي مكانَ موعد و على الثاني وهو أن لا يقدّر مضاف: فالمسئول هو الوعد.
قوله أهل الوبر والمدر، أهل الوبر : سكان البوادي، و أهل المدر: سكان القرى و الأمصار، والوبر بفتحتين، صوف الإبل والأرانب و نحوها، والمدر بفتحتين: قِطَع الطين اليابس ، و قيل : الطين العِلك (المتماسك) الذي لارمل فيه، واحدته مدَرة، و قول عامر للنبي صلّى الله تعالى عليه وسلم: لنا الوبر، ولكم المدر إنّما عنى بالمدر المدنَ أو الحضر لأن مبانيها بالمدر، و عنى بالوبر الأخبية لأن أبنية البادية بالوبَر، و في الحديث: أحبّ إليّ من أن يكون لي أهلُ الوبر والمدَرِ أي أهل البوادي، والمُدُن والقُرى. (لسان العرب)
قوله وكانوا اثنين و سبعين الخ ـ رُوي في عددهم عن ابن عباس سبعون رجلًا و عن ابن جريج: ثلاث مأة من قرم، و ثلاث مأة من العريش، و يشكون في ثلث مأة من الإسكندرية و عن كعب اثنا عشر الفا، و عن السدّي: بضعة و ثلثون ألفًا. وعن القاسم بن أبي بزّة: كانوا سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف حبل و سبعين ألف عصا، و عن محمد بن كعب ثمانين ألفًا (الدر المنثور ـ أعراف) ولعلّ هذا الاختلاف المتباعد للأخبار الإسرائيلية المختلفة، فأقلّ ما رُوي سبعون، و أكثره ثمانون ألف، بينهما بون بعيد. و لعلّ الأعداد المروية سوى ما ذُكر هنا أيضًا.
قوله والنجوى يكون مصدرًا و اسمًا ـ أي بمعنى المسارّة و بمعنى ما أُسِرّ من الكلام، والفعل نَجا ينجو نجوًا، و نجوى. قوله لَفّقوا، التلفيق في الأصل للثوب بأن يضم إحدى شِقَّتَيه إلى الأخرى و يخيطهما، ثم استعمل لضم بعض الكلام إلى بعض تمويها و تلبيسًا، لفّق الحديث : زَخرفه و موّهه بالباطل فهو ملفّق.
(٤٤) قوله قرأ أبو عمرو البصري ـ القراءات هنا أربعة.
(١) إنّ هذَيْنِ لساحران — جاء فيه اسم الإشارة للمثنى كما هو طريقه نصبًا أي بالياء المفتوح ما قبلها والنون المكسورة بعدها. لكن استشكلت بأنها مخالفة للإمام، والإمام هو المصحف الذي كتب بأمر سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه، و كانت عدة مصاحف، أرسلت إلى بلاد الإسلام الكبيرة إذ ذاك،=

واللغة (انْ هذان لساحران) بتخفيف «ان» مثل قولك «إنْ زيد لمنطلق» واللام هي الفارقة بين «إن» النافية والمخففة من الثقيلة. وقيل: هي بمعنى «ما» واللام بمعنى "إلا" أي ما هذان إلا ساحران دليله قراءة أبيّ (انْ ذان إلا ساحران) وغيرهم (اِنَّ هٰذان لساحران) قيل هي لغة بلحارث بن كعب وخثعم ومراد وكنانة فالتثنية في لغتهم بالألف أبداً فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى قال:

إن أبـاهـا و أبـا أبـاهـا ... قد بلغا فى المجد غايتاها

وقال الزجاج:إن بمعنى نعم، قال الشاعر:

و يـقـلـن شـيـبٌ قـد عـلا...........كَ و قَدْ كَـبِـرتَ فـقـلـتُ إنّهٌ

أي نعم والهاء للوقف. و (هذان) مبتدأ و (ساحران) خبر مبتدأ محذوف واللام داخلة على المبتدأ المحذوف تقديره: هذان لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= و بقي واحد في المدينة، الرسم في الإمام كما قال في الدر المصون بدون ياء أو ألف 'هذن" اهـ. بل بدون النقطة أيضًا على الذال أو النون، فإن النقاط على الحروف لم تكن في ذلك العصر، و وضعت فيما بعد كما ذكرته في كتابي تدوين القرآن، لكن من المسلّم عند الأئمة والعلماء أن الرسم قد يخالف القياس، والمعتمد حينئذ ما ثبت النطق به تواترًا، وقد ثبت النطق تواترًا في قراءة بالياء "هذين" و في قراءة بالألف "هذان" فلزمت الحجة بالتواتر، و وجبت القراءة بهما.

(٢) إنْ هذانِ لساحران، بتخفيف إنْ ، وهذان بالألف و النون المكسورة، قرأه حفص.

(٣) إنْ هذانّ لساحران، قرأه ابن كثير. وهذه مثل الثانية لكن فيها تشديد نون "هذان" على خلاف القياس، فرقًا بين الأسماء المتمكنة وغيرها.

(٤) إنّ هذانِ لساحران ـ قرأه أبو بكر، و نافع، وحمزة، وعليّ، و ابن عامر، واستشكلت بإثبات الألف في هذان نصبا، مع أن الإعراب الذي جرت به الألسنة و تقررت به القواعد أن يكون "هذين" نصبًا، و دُفع هذا الاشكال بأن ورود هذه القراءة على لغة القبائل التي تثبت الألف في المثنى رفعًا ونصبًا و جرًّا، و شواهد ذلك كثيرة في كلام تلك القبائل، و شهيرة عنها، منها ما نقل المصنف. و إعراب البيت على

اللغة الرائجة هكذا:

إن أبـاهـا و أبـا أبـيـهـا
قـد بـلـغـا في الـمـجـد غـايتيها

عزا صاحب الصحاح هذا البيت لأبي النجم وقال ابن جرير الطبري في تفسيره ناقلًا عن بعض نحاة الكوفة: وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث بن كعب.

فأطرقِ إطراق الشُجاعِ ولو يرى
مساغًا لناباه الشجاعُ لصمما

(الشجاع ضرب من الحيات لطيف دقيق، وهو أجرأها كما زعموا ـ لسان العرب) وهذا أجود الأجوبة عن الإشكال، سالم من المقال.

قوله بلحارث أصله بني الحارث، قيل إنها لغة كنانة، خففوا بحذف النون بعد حذف نون الجمع، للإضافة، وحرفِ العلة لالتقاء الساكنين، وكذلك يفعلون بكل قبيلة يظهر فيها لام التعريف نحو "بَلعَنبر" فإذا لم تظهر، لم يكن ذلك. (خفاجي)

قوله خثعم اسم قبيلة، وهو خثعم بن أنمار من اليمن.

قوله مُراد، أبو قبيلة من اليمن، وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ و كنانة قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضَر. (لسان العرب)

قوله و يقلن شيخ الخ ـ عزاه القرطبي لعبد اللّٰه بن قيس و قبله:

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبَا....ح يَلُمْنَنِي و أَلُومُهُنَّه=

الموضوع لها وهو الابتداء، وقد يدخل اللام في الخبر كما يدخل في المبتدأ قال: خالي لأَنْتَ ومَنْ جريرٌ خالُه...قال: فعرضته على المبرد فرضيه وقد زيفه أبو عليّ. ﴿يُرِيْدٰنِ اَنْ يُّخْرِجٰكُمْ مِّنْ اَرْضِكُمْ﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيْقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿الْمُثْلٰى۝﴾ الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل﴿فَاَجْمِعُوْا﴾فأحكموا أي اجعلوه مجمعاً عليه حتى لاتختلفوا. (فَاجْمَعُوْا) أبو عمرو ويعضده(٤٥) (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) ﴿كَيْدَكُمْ﴾ هو ما يكاد به ﴿ثُمَّ ائْتُوْا صَفًّا﴾ مصطفين حال أمروا بأن يأتوا صفاً لأنه أهيب في صدور الرائين ﴿وَقَدْ اَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلٰى۝﴾ وقد فاز من غلب وهو اعتراض. ﴿قَالُوْا﴾ أي السحرة ﴿يٰمُوْسٰى اِمَّآ اَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَاِمَّآ اَنْ نَّكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقٰى۝﴾ ما معنا. وموضع «أن» مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر، أو رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف معناه اختر أحد الأمرين، أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا. وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وكأنه تعالى ألهمهم ذلك وقد وصلت إليهم بركته وعلم موسى اختيار إلقائهم أولاً، حتى ﴿قَالَ بَلْ اَلْقُوْا﴾ أنتم أولاً ليبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويظهر الله سلطانه ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويسلط المعجزة على السحر فتمحقه فيصير آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فألقوا(٤٦)﴿فَاِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ يقال في (اذَا) هذه إذا المفاجأة والتحقيق أنها

= واعترض على هذا الوجه بوقوع لام التاكيد في الخبر بدون حرف التاكيد في المبتدأ، وبأنه يقتضي كلامًا جاء جوابه بالإيجاب، وتقدير كلام هنا تكلف.
قوله خالي لأنت الخ و تمامه : يَنَلِ العلاءَ و يُكرِمِ الأخوالا
قوله المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر.
قوله زيّف، أي ردّه و أظهر ضعفه، و أصله من زيّف النقود: أظهر زَيفَها و غِشّها.
قوله أبو علي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي.
(٤٥) قوله فاجمعوا، من "جمع" المجرد (ف) بهمزة الوصل التي تسقط في درج الكلام، والباقون فأجمعوا من الإفعال، بهمزة القطع وكسر الميم. قوله يعضُده أي يؤيّده.
قوله ما يكاد به، أي المصدر ههنا بمعنى الاسم، قوله أهيب من هاب (ض) أي أشدّ هيبة و إخافة.
قوله و موضع أن الخ أن المصدرية مع ما بعدها تكون بمعنى المصدر، فالمعنى هنا: إمّا إلقاء ك أوّلًا، أو كوننا أولَ المُلقين، و هذا مفرد لا تتم به الجملة فلزم التقدير، فإن قدرتَ الفعل وهو "اختر" كانت "أن" مفعولا منصوبًا محلًّا، و إن قدرت المبتدأ وهو "الأمر" كانت "أن" خبرا مرفوعًا محلًّا.
قوله فيدمَغه (ف) أصله أصاب دماغَه فقتله ، والمراد هنا يغلِبه و يُبطله (لسان العرب) قوله فتمحقه (ف) أي تمحوه.
(٤٦) قوله فالقوا، إشارة إلى أن الفاء عاطفة على مقدر عُلم ممّا تقدم، و إذا الفجائية تدُلّ على وقوع ما بعدها بغتةً ، لأنها تنوب في الدلالة فعلَ المفاجأة المقدر. فجأه الأمر (س، ف) فَجأ و فُجَاء ةً بالضم والمد، و فأجأه مفاجأةً و فِجَاءً: هجم عليه من غير أن يشعُر به، و قيل: إذا جائه بغتةً من غير تقدُّم سببٍ ـــــ إذا تضاف إلى الجملة و تكون منصوبة للظرفية لناصب كما تقول آتيك إذا طلعت الشمس أي آتيك وقتَ طلوع الشمس، وخرجت فإذا السبع واقف، أي خرجت ففاجأتُ وقتَ وقوفِ السبع، هنا إذا الفجائية و ناصبها فعل المفاجَأة، والجملة بعدها ابتدائية أي اسمية مركبة من مبتدأ و خبر، وقال أبو حيان قد تليها الجملة الفعلية المصحوبة بقد كما في قولك: خرجت فإذا قد ضرب رجل أخاك. و تقدير الكلام=

إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف إليها، وخصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لاغير والتقدير: ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيِّلة إليه السعي ﴿يُخَيَّلُ﴾وبالتاء:ابن ذكوان﴿ إِلَيْهِ ﴾ إلى موسى ﴿ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعٰى۝ ﴾رفع بدل اشتمال من الضمير في (يُخَيَّلُ)أي يخيل الملقى.

رُوي أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك. ﴿فَأَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهٖ خِيْفَةً مُّوْسٰى۝﴾ أضمر في نفسه خوفاً ظنًّا منه أنها تقصده للجبلة البشرية أو خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلٰى۝﴾ الغالب القاهر. وفي ذكر «إن» و «أنت» وحرف التعريف ولفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة مبالغة بينة.[٤٧] ﴿وَأَلْقِ مَا فِيْ يَمِيْنِكَ تَلْقَفْ﴾ بسكون اللام والفاء وتخفيف القاف: حفص و «تَلَقَّفُ»: ابن ذكوان، الباقون

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= قد يقتضي أن يوخذ مضمون الجملة بأن يُّوخذ مصدر الخبر و يضاف إلى المبتدأ، كما مرّ في الأمثلة، و أنّ مع اسمها و خبرها تكون بمعنى المصدر، نحو بلغني أنّك قادم معناه بلغني قدومك.

بعد تمهيد هذه القواعد نرجع إلى التفسير. قوله تعالى: فإذا حبالهم و عصيهم ، إذا للمفاجأة بمعنى الوقت، منصوبة بفعل مقدر وهو فاجأ ـ أي فاجأ موسى وقتَ كذا. حبالهم و عصيهم مبتدأ والخبر "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" والرابط الضمير المنصوب في (أنّها) الراجع إلى المبتدأ، و يخيل فعل مبني للمفعول من التخييل و نائب فاعله "أنّها تسعى" أن مع اسمها و خبرها تكون بمعنى المصدر أي يخيَّل إليه سعيُها. وعلى قراء ة ابن ذكوان الراوي عن ابن عامر الشامي تُخيّل على صيغة المؤنث، والرابط ضميره العائد إلى المبتدأ وهو نائب فاعله، و أنها تسعى بمعني سعيها بدل اشتمال من ضميره أي تُخيَّل الحبالُ والعِصيُّ سعيُها، أي يخيَّل سعيها كما في أعجبني زيد علمه أي أعجبني علمه.

وتقدير الجملة كلها هكذا: ألقوا حبالهم و عصيهم ففاجأ موسى وقتَ تخييل سعيها أي سعيِ الحبالِ والعصيّ كما ذكر المصنّف. و إيقاعُ المفاجأة على الوقت توسّعٍ و مجاز لأن المفاجَأَ إنّما هو الحبال والعصيّ مخيِّلةً أنها تسعى. والمعنى أن موسى فاجأ حبالهم و عصَيهم مخيِّلةً إليه السعي.

قوله "بدل" اشتمال من الضمير في يخيَّل أي يخيل"الملقى" ـــ يظهر منه أن المصنّف جعل "أنها تسعى" بدل اشتمال من ضمير الفعل على القرائتين، مع أن قراء ة يُخَيَّل (بصيغة المذكر) أسند فيها الفعل إلى "أنها تسعى" وهو نائب فاعله بلا تكلف، ولا حاجة إلى أن يقدّر المسند إليه "الملقى" ثم يجعلَ "أنها تسعى" بدل اشتمال منه. ولذا جعل في الكشاف و البيضاوي "أنها تسعى" بدل اشتمال على قراء ة ابن ذكوان فقط لا على القراء تين.

قوله لطخوها من فتح والتفعيل، لطخه بكذا لوّثه به يقال لطخ ثوبه بالمداد ونحوه، قوله الزئبق بكسر الزاء، و سكون الهمزة، و فتح الباء، الزاووق، (پاره) فارسی معرّب، و منهم من يقوله زِئبِق بكسر الباء، فيُلحقه بالزئبِر والضِئبِل. (لسان العرب)

قوله يخالج الخ. أَي يعرض لهم و يختلج في خواطرهم شك و شبهة في معجزة العصا. (خفاجي) وهذا أوفق بمنصب النبوة. والجواب بالإخبار المؤكد عدة تاكيدات عن غلبته و علوه يؤيد هذا البيان.

(٤٧) قوله مبالغة بينة ـ مبتدأ مؤخر لقوله في ذكر إن الخ. و في البيضاوي: إنك أنت الأعلى، تعليل للنهي، و تقرير لغلبته مؤكّدًا بالاستيناف، وحرف التحقيق، وتكرير الضمير، و تعريف الخبر، و لفظ العلوّ الدال على الغلبة الظاهرة، و صيغة التفضيل ـ اه ـ فذكر ستة أمور مؤكِّدة، والاستيناف بياني كأنه قال: لم لا=

«تَلَقَّفُ» ﴿مَا صَنَعُوْا﴾ زوراً وافتعلوا أي اطرح عصاك تبتلع عصيهم وحبالهم. ولم يقل عصاك تعظيماً لها أي لا تحتفل بما صنعوا فإن ما في يمينك أعظم منها، أو تحقيراً أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الذي في يمينك فإنه بقدرتنا يتلقفها على وحدته وكثرتها ﴿اِنَّمَا صَنَعُوْا كَيْدُ سٰحِرٍ﴾ كوفي غير عاصم سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في السحر كأنهم السحر، و «كَيْدُ»بالرفع على القراءتين و «ما» موصولة أو مصدرية. وإنما وحد «ساحر» ولم يجمع لأن القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد، فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السّٰحِرُ﴾ أي هذا الجنس ﴿حَيْثُ اَتٰى ﴿٦٩﴾﴾ أينما كان فألقى موسى عصاه فتلقفت ما صنعوا فلعظم ما رأوا من الآية وقعوا إلى السجود فذلك قوله ﴿فَاُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ قال الأخفش: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا فما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين. رُوي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في السجود فرفعوا رؤوسهم ثم ﴿قَالُوْٓا اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُوْنَ وَمُوْسٰى ﴿٧٠﴾﴾ وإنما قدم «هارون» هنا وأخر في الشعراء محافظة للفاصلة ولأن الواو لا توجب ترتيباً ﴿قَالَ اٰمَنْتُمْ﴾(٤٨) بغير مد: حفص، وبهمزة ممدودة: بصري وشامي وحجازي، وبهمزتين: غيرهم ﴿لَهٗ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ﴾ أي لموسى. يقال: آمن له وآمن به ﴿اِنَّهٗ لَكَبِيْرُكُمُ الَّذِيْ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ لعظيمكم أو لمعلمكم، تقول

= أخاف فأجيب بذكر علّة النهي بالتأكيدات.
قوله تعالى تلقفُ، فيه أربع قراء ات ١ـ تَلْقَفُ. حفص ٢ـ تَلَقَّفُ. ابن ذكوان عن الشامي، ٣ـ يمينكَ تَّلَقَّفُ وصلًا بتشديد التاء. البزي عن ابن كثير. ٤ـ تَلَقَّفُ الباقون (نافع، علي ، حمزة، شعبة عن عاصم، هشام عن ابن عامر، قنبل عن ابن كثير) ذكرها في غيث النفع بالضبط، والبسط، و التفصيل.
قوله زورًا، أي كذبًا وباطلًا، افتعلوا أي اختلقوا و زَوّرُوا
قوله تبتلع، يشير إلى أن التلقّف بالفم، فإن التلقف التناول باليد أو بالفم، والمراد هنا الثاني.(خفاجي)
قوله لا تحتفل، ما حفَله و ما حفل به حفلًا (ض) وما احتفل به : ما بالىٰ به (لسان العرب) قوله العُويد: تصغير العود وهو الخشب. قوله كوفي غير عاصم. أي قرأ حمزة والكسائي و خلف (سِحْرٍ) بكسر السين و إسكان الحاء بلا ألف. والباقون (ساحرٍ) بفتح السين وبالألف وكسر الحاء، فاعل من سحر (إكليل)
قوله ما موصولة أو مصدرية والمعنى إن الذي صنعوا كيدُ سحر و ساحر أو إن صنعَهم كيدُ سحر و ساحر، اسم إن "ما صنعوا" وخبرها كيد. قوله أينما كان. يعني حيث ظرف مكان أريد به التعميم لا التعيين. قوله لعِظَم ما رأوا. ظرف لغو مقدم لقوله "وقعوا" أي لعظمة الآية التي شاهدوها اندفعوا إلى السجود بسرعة كأن دافعًا دفعهم إليه، و مُلقيًا ألقاهم فيه كما قال الأخفش.
قوله فما أعجب أمرهم و قوله فما أعظم الفرقَ، الفعل فيهما للتعجب. قوله روي الخ. أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير و عن الأوزاعي. (در منثور)
(٤٨) قوله آمنتم ، بغير مد، أي بهمزة واحدة بعدها ألف: على الخبر حفص، و بهمزة ممدودة أي بهمزتين، الأولى محققة والثانية مسهّلة، ثم ألف بصري أي أبو عمرو البصري و شامي أي ابن عامر الشامي و حجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، و كذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة (بل هو أحد العشرة) وابن كثير المكي و بهمزتين محققّتين غيرهم ـ اه ـ إكليل. قال في غيث النفع: قرأ قنبل (راوي ابن كثير) و حفص (عن عاصم) بهمزة واحدة بعدها ألف على الخبر،=

أهل مكة للمعلم : أمرني كبيري ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ القطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين يخالف الآخر بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال، و «من» لابتداء الغاية لأن القطع مبتدأ وناشيء من مخالفة العضو، ومحل الجار والمجرور النصب على الحال يعني لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضاً فقد اتصفت بالاختلاف. شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف فلهذا قال ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ وخص النخل لطول جذوعها ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنا على ترك إيمانكم بي أو رب موسى على ترك الإيمان به. وقيل: يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله وسلامه عليه بدليل قوله: (آمنتم له) واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله كقوله: (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: ٦١] ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أدوم.

﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ القاطعة الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ عطف على (مَا جَاءنَا) أي لن نختارك على الذي جاءنا ولا على الذي خلقنا، أو قسم وجوابه (لَن نُّؤْثِرَكَ) مقدم على القسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ فاصنع ما أنت صانع من القتل والصلب قال: ❖وعليهما مسرودتان قضاهما❖ أي صنعهما أو احكم ما أنت حاكم ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي في هذه الحياة الدنيا فانتصب على الظرف أي إنما تحكم فينا مدة حياتنا.﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ ﴾«ما»موصولة منصوبة بالعطف على (خطايانا)﴿مِنَ السِّحْرِ﴾حال من «ما».روي أنهم قالوا لفرعون: أرنا موسى نائماً ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا:ما هذا بسحر. الساحر إذا نام بطل سحره فكرهوا معارضته خوف الفضيحة فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر وضر فرعون جهله به ونفعهم علمهم بالسحر فكيف بعلم الشرع ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ ثواباً لمن أطاعه ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ عقاباً لمن عصاه وهو رد لقول

= فتكون على وزن "باركتم" والباقون بهمزتين على الاستفهام، و حقّق الثانية الأخوان (حمزة وعلي) و شعبة (عن عاصم) و الباقون بالتسهيل. ـ الخ ـ

قوله النصب على الحال. والمناسب لقوله: القطع مبتدأ وناشيء الخ أن يكون صفة مصدر أي تقطيعًا كائنًا من خلاف ، كذا قيل، وفيما اختاره تقليل التقدير.

قوله شبه تمكن المصلوب ـ يعني أنه استعارة تبعية (لجريانها فيالحرف) بتشبيه شدة حاله بدخول المظروف في ظرفه، لشدّة تمكّنه فيه. (خفاجي)

قوله مسرودتان، أي دِرعان مسرودتان، درع مسرودة و مسرَّدة بالتشديد، فقيل سردها نسُجها وهو تداخُل الحَلَقِ بعضها في بعض، و قيل: السرد الثَّقُب، والمسرودة المثقوبة، و بابه نصر (مختار الصحاح) و سمي سَرُدًا لأنه يُسْرَد فيُثْقَب طرفا كل حلقة بالمسمار فذلك الحَلَق (لسان العرب) والبيت لأبي ذُؤيب، تمامه: داودُ ، أو صَنَعُ السوابِغِ تُبّعٌ. (لسان العرب)

فرعون (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وأبقى). ﴿إِنَّهُ﴾هو ضمير الشأن ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافراً[٤٩] ﴿فَإِنَّ لَهُ﴾ للمجرم ﴿جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح بالموت ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة ينتفع بها ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ مات على الإيمان ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعد الإيمان ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ جمع العليا ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من (الدرجات) ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بقول لا إله إلا الله. قيل: هذه الآيات الثلاث حكاية قولهم. وقيل: خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية وهو أظهر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾[٥٠]لما أراد الله تعالى إهلاك فرعون وقومه أمر موسى أن يخرج بهم من مصر ليلاً ويأخذ بهم طريق البحر ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾ اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهماً ﴿يَبَسًا﴾ أي يابساً وهو مصدر وصف به يقال: يبس يَبسا ويُبسا ﴿لَّا تَخَافُ﴾حال من الضمير في(فاضرب) أي اضرب لهم طريقاً غير خائف. (لاَ تَخَفْ) حمزة على الجواب ﴿دَرَكًا﴾ هو اسم من الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الغرق وعلى قراءة حمزة (ولاَ تخشى) استئناف أي وأنت لا تخشى أو يكون الألف للإطلاق كما في (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) [الأحزاب: ١٠] فخرج بهم موسى من أول

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤٩) قوله كافرًا، فسّره به لما ثبت بالآيات والحديث أن العقاب الدائم خاص بمن مات كافرًا، قوله مات على الإيمان، فسره به لأن حال الموت إيمانًا و كفرًا هو المعتبر به لجزاء الآخرة، والإيمان بعد الموت بمشاهدة الآيات و ارتفاع الحجب لا يُجدِي الكافر شيئًا. قوله بعد الإيمان لأن صالح العمل بدون الإيمان لا ثواب له في الآخرة، والموت على الإيمان مع عمل الصالحات شرط لنيل الدرجات، والإيمان مطلقًا شرط للنجاة و لو بعد عقاب قوله جمع العليا مؤنث الأعلى. قوله دائمين، لأن نفس الخلود عام للمكث الدائم وغير الدائم و خصوص معنى الدوام لمن دخل الجنة ثابت بالقطعيات ، وجدت نصوص كثيرة في خروج بعض المعاقبين من النار، ولم يأت نص في خروج أحد المنعمين من الجنة للعقاب، فإنّ ثوابها غير منقطع.

(٥٠) قوله تعالى: أَسْرِ بعبادي. أَسْرِ أمر للمخاطب من الإسراء وهو السير ليلًا، والتسيير ليلًا، لازم و متعدّ، و تعديته بنفسه و بالباء أسراه و أسرى به كما يقال أخذ الخطامَ و أخذ بالخطام والمجرّد سَرى يسري سُرىً... : سار ليلًا. و منه قرأ أهل الحجاز (نافع و ابن كثير و أبو جعفر المدني أحد العشرة) بهمزة وصل ، و بكسر النون من أن وصلًا، للساكنين، (والباقون بقطع الهمزة مفتوحة، و إسكان النون) غيث النفع. قوله في ماله سهمًا أي نصيبًا قوله يبس من سمع و من حسب شاذ، يَبَسا بفتحتين و يُبسا بضم فسكون كذا في الكشاف وقال : و نحوهما العَدَم و العُدُم ـ اه ـ و في لسان العرب: يقال: لكل شيء كانت النُّدُوَّة والرطوبة فيه خِلقةً فهو يَيْبَسَ فيه يُبسا وما كان فيه عَرَضا قلتَ: جفّ، و طريق يَبَسٌ: لا نُدوَّة فيه ولا بلَل. اه.

قوله لا تَخَفْ بحذف الألف و إسكان الفاء حَمْزة على الجواب (جواب الأمر) والباقون بإثبات الألف بعد الخاء، و رفع الفاء -اهـ- إكليل و غيث النفع.

قوله تعالى: دَرَكا، الدرْك والدرَك اللَّحاق والوصول إلى الشيء (لسان العرب)

قوله للإطلاق (أي للإشباع) أي على التقدير الثاني هذه الألف ليست لام الكلمة، و إنّما هي ألف إشباع ، أتى بها موافقة للفواصل و رؤس الآي، فهي كالألف في قوله: الرسولا، والسبيلا ، والظنونا ـ اهـ ـ جمل.

الليل وكانوا سبعين ألفاً وقد استعاروا حليهم فركب فرعون في ستمائة ألف من القبط فقص أثرهم فذلك قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُوْدِهٖ﴾ هو حال أي خرج خلفهم ومعه جنوده ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ﴾ أصابهم من البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ هو من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لايعلم كنهه إلا الله عزوجل﴿وَاَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهٗ﴾عن سبيل الرشاد﴿وَمَا هَدٰى ﴿٧٩﴾﴾وما أرشدهم إلى الحق والسداد وهذا رد لقوله:(وَمَآ اَهْدِيْكُمْ اِلَّا سَبِيْلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾) [غافر: ٢٩]. ثم ذكر منته على بني إسرائيل بعد ما أنجاهم من البحر وأهلك فرعون وقومه بقوله: ﴿يٰبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ﴾ أي أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي وقلنا يا بني إسرائيل ﴿قَدْ اَنْجَيْنٰكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ أي فرعون ﴿وَوٰعَدْنٰكُمْ﴾ بإيتاء الكتاب ﴿جَانِبَ الطُّوْرِ الْاَيْمَنَ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد موسى أن يأتي هذا المكان ويختار سبعين رجلاً يحضرون معه لنزول التوراة. وإنما نسب إليهم المواعدة لأنها كانت لنبيهم ونقبائهم وإليهم رجعت منافعها التي قام بها شرعهم ودينهم.و(الأيمن) نصب لأنه صفة (جَانِب) وقرىء بالجر على الجواز ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى ﴿٨٠﴾﴾في التيه وقلنا لكم.﴿كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنٰكُمْ﴾ (أنجيتكم) و (واعدتكم) و (رزقتكم) كوفي غير عاصم(٥١)﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيْهِ﴾ ولاتتعدوا حدود الله فيه بأن تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي أو لايظلم بعضكم بعضاً ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ﴾ عقوبتي ﴿وَمَنْ يَّحْلِلْ عَلَيْهِ

قوله حُلِيّهم. بضم الحاء، وكسر اللام، و تشديد الياء جمع حَلْيٍ، مثل ثَدْيٍ و ثُدِيٍّ، وهو فُعول، و قد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عِصِيّ، والحَلْيُ: ما تُزُيّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. (لسان العرب) وقصّ أثره (ن) تتبَّعَه. (مختار الصحاح)
قوله تستقلّ بالمعاني الكثيرة، أي تحمِل معانيَ كثيرة. في القاموس: استقلّه: حمله و رفعه، كَقَلَّه و أَقَلَّه، الخ ـ قوله: كنهه، الكُنه: نهاية الشيء و حقيقته (لسان العرب) السَّداد بفتح السين: الصواب (قاموس)
وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة، وذلك أن موسى عليه السلام لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر، لا داعٍ ولا مجيب، فغضب فرعون غضبًا شديدًا، و أرسلَ في المدائن حاشرين، أي من يجمعون له الجند من بُلدانه و رَساتيقه يقول (إنّ هولاء لشِرذِمة قليلون و إنهم لنا لغائظون) ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه ساق في طلبهم ، فأتبعوهم مُشرقين، أي عند طلوع الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعٰنِ) أي نظر كل من الفريقين إلى الآخر (قَالَ اَصْحٰبُ مُوْسٰىٓ اِنَّا لَمُدْرَكُوْنَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۚ اِنَّ مَعِيَ رَبِّيْ سَيَهْدِيْنِ) ووقف موسى ببني إسرائيل. البحر أمامهم و فرعون وراء هم فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه. (أن اضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا) فضرب البحر بعصاه، وقال: انفلقْ عليَّ بإذن الله، فانفلق، فكان كل فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم أي الجبل العظيم ، فأرسل اللّٰه الرِّيح على أرض البحر فلفَحتْه حتى صار يابسًا كوجه الأرض، فلهذا قال (فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسا لا تخاف درَكا) أي من فرعون (ولا تخشى) يعني من البحر أن يغرق قومك (ابن كثير) فجاوز بنو إسرائيل البحر، و أتبعهم فرعون بجنوده، فغشيهم من اليمّ ما غشيهم.
(٥١) قوله كوفي غير عاصم أي قرأ حمزة والكسائي و خلف، بتاء المتكلم من غير ألف في الثلاثة، و الباقون بنون العظَمة مفتوحة وألف بعدها فيهن، و قرأ و عدناكم بغير ألف أبو عمرو البصري، و أبو جعفر، و يعقوب (هذان من العشرة) ــ إكليل.

غَضَبِيْ فَقَدْ هَوٰى﴿٨١﴾ هلك أو سقط سقوطاً لا نهوض بعده، وأصله أن يسقط من جبل فيهلك وتحقيقه سقط من شرف الإيمان إلى حفرة من حفر النيران. قرأ عليّ (فَيَحُلَّ) (ويحلل) والباقون بكسرهما. فالمكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل إذا وجب أداؤه، والمضموم في معنى النزول ﴿وَإِنِّيْ لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ عن الشرك ﴿وَاٰمَنَ﴾ وحد الله تعالى وصدقه فيما أنزل ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿ثُمَّ اهْتَدٰى﴿٨٢﴾﴾ ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح.﴿ وَمَآ اَعْجَلَكَ ﴾[٥٢]أي وأي شيء عجل بك ﴿ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوْسٰى﴿٨٣﴾﴾ أي عن السبعين الذين اختارهم وذلك أنه مضى معهم إلى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقاً إلى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى (وَمَا أَعْجَلَكَ) أي وأي شيء أوجب عجلتك استفهام إنكار و«مَا»مبتدأ و «أَعْجَلَكَ» الخبر﴿قَالَ هُمْ اُولَآءِ عَلٰٓى اَثَرِيْ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله هلك أو سقط الخ. الأول بالنظر إلى المراد ، والثاني بالنظر إلى أصل معناه، في لسان العرب: هَوَى بالفتح يهوِي هَوِيًّا و هُوِيًّا وهَوَيَانًا، وانهوىٰ سقط من فوق إلى أسفل ـ اه ـ بين المصنف أن معنى السقوط هنا على طريق الاستعارة، ثبات المرء على الإيمان كاستقراره في مكان عال، و دخوله في الكفر كسقوطه في أسفل مكان. فإن المومن له الجنة، والكافر له النار، والجنة في علو، والنار في سفل. فالإيمان يلزمه العلوّ، والكفر يلزمه السفل. قوله من شرف الإيمان، الشَرَف محركة، العلو، والمكان العالي، والمجد (قاموس) والحُفْرَة: ما يُحفَر في الأرض، واحدةُ الحُفَر. (لسان العرب)

قوله قرأ علي الكسائي فيحُلّ بضم الحاء، و يحلُلُ بضم اللام الأولى، والباقون بكسر هما (إكليل)

(٥٢) قوله تعالى (وما أعجلك) عجل (س) عَجَلا و عَجَلة (بفتحتين فيهما) أسرع. و عَجِلَ فلانًا والأمرَ : سبقه. و أعجَلَ فلانًا: استحثّه على السرعة، و بمعنى سبقه. و كذا عجّلَ (لسان العرب)

"ما" الاستفهامية في الأصل للسوال عن الشيء، و قد تكون للسؤال عن وجهه وسببه، والثاني هو المراد هنا، والسؤال يقع من الله تعالى لكنه ليس لاستدعاء المعرفة من علام الغيوب، بل إمّا لتعريف غيره، أو لتبكيته أو تنبيهه كما صرّح به الراغب في مفرداته. والاستفهام هنا للإنكار، والإنكار هناليس على العجلة فقط بل على تقدمه عن القوم و تخليفهم لأن الكلام إذا تقيّد بقيد، فالقيدهو الذي يكون محلّ النفي أو محطّ الإنكار، في أمثال هذا، وليس الكلام هنا "ما أعجلك" فقط، بل "ما أعجلك عن قومك" فلا يقال: جوابه "هم أولاء على أثري" لا يطابق السؤال. قال أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم":

أي و قلنا له أيّ شيء أعجلك منفردًا عن قومك؟ وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء، مسُوق لإنكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم و عدمِ الاعتداد بهم مع كونه مأمورًا باستصحابهم، و إحضارهم معه، لا لإنكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام....، ولذلك أجاب عليه الصلاة والسلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب حيث (قال هم أولاء على أثرى) يعني أنهم معي، و إنما سبقتهم بخُطًا يسيرة، ظننت أنها لا تُخِلّ بالمعيّة، ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة أصلًا. و بعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام أن تقدّمه ليس لأمر منكر ذكر أنه لأمر مرضيّ حيث قال (و عجلت إليك ربّ لترضى) عنّي بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك، واعتنائي بالوفاء بعهدك. و زيادة "رَبِّ" لمزيد الضراعة والابتهال رغبةً في قبول العذر ـ اه ـ

أي هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلا مسافة يسيرة.ثم ذكر موجب العجلة فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ﴾ أي إلى الموعد الذي وعدت ﴿لِتَرْضَىٰ﴿٨٤﴾﴾ لتزداد عني رضاً وهذا دليل على جواز الاجتهاد.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ ألقيناهم في فتنة ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ من بعد خروجك من بينهم والمراد بالقوم الذين خلفهم مع هارون ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴿٨٥﴾﴾ بدعائه إياهم إلى عبادة العجل وإجابتهم له وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة. وقيل: كان علجاً من كرمان فاتخذ عجلاً واسمه موسى بن ظفر وكان منافقاً ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مناجاة ربه(٥٣) ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ شديد الغضب أو حزيناً ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ وعدهم الله أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور وكانت ألف سورة كل سوره ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملاً ولا وعد أحسن من ذلك ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي مدة مفارقتي إياكم، والعهد الزمان، يقال: طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب به عليكم الغضب من ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴿٨٦﴾﴾ وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الآيات فأخلفوا موعده باتخاذ العجل. ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ بفتح الميم: مدني وعاصم، وبضمها: حمزة وعلي، وبكسرها: غيرهم، أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا لما أخلفنا موعدك ولكنا غلبنا من جهة السامري وكيده ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ بالضم والتشديد: حجازي وشامي وحفص، وبفتح الحاء والميم مع التخفيف: غيرهم ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أثقالاً من حلي القبط، أو

قوله عِلُجًا. العلج بوزن العجل: الواحد من كفار العجم والجمع علوج، و أعلاج، و عِلَجة بوزن عِنَبَة اه. مختار الصحاح. قوله ظفر بفتحتين عَلَم. اه. إكليل و خفاجي.

(٥٣) قوله من مناجاة ربه. بعد ما استوفى الأربعين و أخذ التوراة (بيضاوي) قوله شديد الغضب أو حزينا، قال الراغب: الأسف الغضب والحزن معًا، وقد يقال لكل منهما على الانفراد لتقاربهما كما قال: و حُزنُ كل أخي حُزنٍ أخوالغضب (خفاجي) أخرج ابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو الشيخ من طرق عن ابن عباس قوله أسفًا قال: حزينًا. و أخرج أبو الشيخ عن أبي الدرداء قال: الأسف منزلة وراء الغضب، أشد من ذلك، و أخرج عبد بن حميد عن محمد بن كعب قال: الأسف الغضب الشديد (در منثور ـ الأعراف) أسِف (س) أسَفًا فهو أسِف، و أسفانُ، و آسِف، و أسُوف، و أسيف والجمع أسفاء ، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب (لسان العرب)

قوله كانت ألف سورة الخ ذكره في الكشاف بقوله: "حكي" لنا أنها كانت ألف سورة ـ الخ ـ

قوله مدة مفارقتي إياكم. أشار به أن اللام فيه عوض عن المضاف إليه ، والأصل "عهدي" أي عهد مفارقتي إيّاكم، فهذا المضاف (مفارقة) مقدر.

قوله أي أردتم ـ الخ ـ من الظاهر أنهم ما أرادوا نفس الغضب، لكنهم أرادوا فعلًا يوجب الغضب، فنسب إليهم إرادة حلول الغضب، لأن مباشرة ما يقتضيه بمنزلة إرادته. وهو من بديع الكلام قوله وعدوه الخ. أوضح به أن في "موعدي" إضافة المصدر إلى المفعول، أي أخلفتم ما وعدتموني قوله خُلّينا ورأينا، الواو بمعنى مع قال الخفاجي: ملك الأمر عبارة عن تخليتهم و أنفسهم من غير أمر و رأي آخر، و فسره الطيبي بالقدرة.

أرادوا بالأوزار[٥٤] أنها آثام وتبعات لأنهم قد استعاروها ليلة الخروج من مصر بعلة أن لنا غداً عيداً، فقال السامري: إنما حبس موسى لشؤم حرمتها لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فأحرقوها فخبأ في حفرة النار قالب عجل فانصاغت عجلاً مجوفاً فخار بدخول الريح في مجار منه أشباه العروق. وقيل: نفخ فيه تراباً من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حياة فحيي فخار ومالت طباعهم إلى الذهب فعبدوه ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ في نار السامري التي أوقدها في الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي في النار أو ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام. ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السامري من الحفرة ﴿عِجْلًا﴾ خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار ابتلاء ﴿جَسَدًا﴾ مجسداً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت وكان يخور كما تخور العجاجيل ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾فأجاب عامتهم إلا اثني عشر ألفاً ﴿فَنَسِىَ﴾[٥٥] أي فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور، أو هو ابتداء كلام من الله تعالى أي نسي السامري ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر،أو نسي السامري الاستدلال على أن العجل لا يكون إلهاً بدليل قوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ أي أنه لا يرجع فـ «أن» مخففة من الثقيلة ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يجيبهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع فكيف تتخذونه إلهاً وقيل: إنه ما خار إلا مرة ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ لمن عبدوا العجل ﴿هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجل ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ كونوا على ديني الذي هو الحق ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ في ترك عبادة العجل ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي لن نزال مقيمين على العجل وعبادته ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظره هل يعبده كما عبدناه وهل صدق السامري أم لا.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥٤) قوله أو أرادوا بالأوازار الوزر في الأصل بمعنى الثقل، ثم استعمل بمعنى الاثم، و ما يتبع الفعل من الوبال ، فالتفسير الأول بالنظر إلى المعنى الأول، والثاني بالنظر إلى الثاني.

قوله فانصاغ، مطاوع صاغ. في القاموس: صاغ الشيء: هيأه على مثال مستقيم فانصاغ. اهـ.

قوله مجوَّفا أي ذا تجويف، و فراغ في الباطن. في القاموس: المجوف كمخُوف: العظيم الجوف، و كمعظَّم ما فيه تجويف. قوله خار (من نصر) صاح ، خُواراً ، و هو صوت البقر ، و الغنم ، و الظبي ، و السهم (قاموس و لسان). قوله مجارٍ، جمع مجرى موضع الجَرَيَان، أشباه أمثال.

قوله العجاجيل جمع عِجُّول، وهو ولد البقرة (قاموس)

(٥٥) نسي فاعله و مفعوله مبهمان لعدم الذكر الصريح، والمصنّف ذكر هنا ثلاثة أقوال، الأول مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في حديث الفتون، و به قال مجاهد، والثاني رواه محمد بن إسحٰق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، والثالث ذكره الإمام الرازي في تفسيره، و أرى أنه أخذ و استنباط منه.

فلما رجع موسى ﴿قَالَ يٰهٰرُوْنُ مَا مَنَعَكَ اِذْ رَاَيْتَهُمْ ضَلُّوْٓا﴾ بعبادة العجل. ﴿اَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بالياء في الوصل والوقف: مكي، وافقه أبو عمرو ونافع في الوصل، وغيرهم بلا ياء. أي ما دعاك إلى ألا تتبعني لوجود التعلق بين الصارف عن فعل الشي وبين الداعي إلى تركه. وقيل:« لا» مزيدة والمعنى أي شيء منعك أن تتبعني حين لم يقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني؟ أو ما منعك أن تتبعني في الغضب لله، وهلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لم تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت شاهداً؟ ﴿اَفَعَصَيْتَ اَمْرِيْ﴾ أي الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم. ثم أخذ بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضباً وإنكاراً عليه لأن الغيرة في الله ملكته ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ وبخفض الميم: شامي وكوفي غير حفص، وكان لأبيه وأمه عند الجمهور و لكنه ذكر الأم استعطافاً وترقيقاً ﴿لَا تَاْخُذْ بِلِحْيَتِيْ وَلَا بِرَاْسِيْ﴾ ثم ذكر عذره فقال ﴿اِنِّيْ خَشِيْتُ اَنْ تَقُوْلَ﴾ إن قاتلت بعضهم ببعض ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ﴾ أو خفت أن تقول إن فارقتهم واتبعتك ولحق بي فريق وتبع السامري فريق: (فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرٰءِيلَ) ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ ولم تحفظ ﴿قَوْلِيْ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بالياء أي ألّا تتبعني قرأه ابن كثير المكي و صلا و وقفًا، و أبوعمرو ونافع وصلًا فقط، و الباقون بلا ياء وصلا و وقفًا.

قوله أي ما دعاك الخ. إن تجعل المضارع بمعنى المصدر فقوله أن لا تتبعني بمعنى عدم الاتباع، أي ما منعك عن عدم اتباعي، وهذا خلاف المقصود، ولذا قالوا لا زائدة كما قالوا في قوله تعالى: (ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك) و قيل لا غير مزيدة بل ما منعك بمعنى "ما دعاك وما حملك" بحمل النقيض على النقيض لوجود التعلق بين المانع عن فعل الشيء و بين الداعي إلى ترك الفعل كما في المفتاح و شروحه. (خفاجي) واختار ابن جرير (في سورة الأعراف) أن منعك مضمّن معنى فعل آخر تقديره: ما أحرجك و ألزمك واضطرك أن لا تسجد و نحو هذا.

ذكر المصنف في الأمر الذي عذله عليه موسى، و كذا في المراد من تفريق بني إسرائيل معنيين، المعنى الأول (لمَ لم تاتني ولم تخبرني؟ والتفريق بأن يتبع فريق هارون عليه السلام و فريق آخر السامري) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، و المعنى الثاني أخرجه عن ابن جريج. و أخرج عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معنى (لم ترقب قولي) قال: لم تحفظ قولي ـ اه ـ أي ما راعيته. قال ابن جرير هو من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه. اه.

قوله تعالى (يبنؤمّ) قرأ ابن عامر، والأخوان حمزة و علي و أبو بكر هنا و في الأعراف بكسر الميم و الباقون بفتحها. أمّا قرائة الفتح ففيها مذهبان : مذهب البصريين أنهما بُنيا على الفتح لتركبهما كتركّب خمسة عشر، فعلى هذا ليس "ابن " مضافًا لأم، بل هو مركب معها، فحركتها حركة بناء، والثاني مذهب الكوفيين وهو أن "ابن" مضاف لأم، و "أم" مضافة لياء المتكلم، و قد قُلبت ألفا كما تُقلَب في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم نحو "يا غلاما" ثم حُذفت الألف واجتُزئ عنها بالفتحة كمايُجتزَأ عن الياء بالكسرة، و حينئذ فحركة "ابن " حركة إعراب، وهو مضاف لأم ، فهي في محلّ خَفْض بالإضافة.

وأمّا قراء ة الكسر فعلى رأي البصريين هو كسر بناءٍ، لأجل ياء المتكلم، بمعنى أنّا أضفنا هذا الاسم المركب كله لياء المتكلم فكُسِر آخره، ثم اجتُزِئ عن الياء بالكسرة. وعلى رأي الكوفيين يكون الكسر كسرَ إعراب، وحُذفت الياء مُجتَزَأً عنها بالكسرة كما اجُتزِئ عنها بالفتحة. اه. سمين (الفتوحات الإلٰهية. سورة الأعراف)

قوله استعطافًا أي طلبًا للعطف أي الرحم و ترقيقًا أي جعله رقيق القلب من رقّ له (ض) رحمه و رقق قلبه: لطّفه و ليّنه. ولم أجِد الرِّفُقَ بالفاء من باب التفعيل.

اخلفني في قومي وأصلح. وفيه دليل على جواز الاجتهاد.(٥٦) ثم أقبل موسى على السامري منكراً عليه حيث ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ ما أمرك الذي تخاطب عليه؟(٥٧) ﴿يَٰسَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وبالتاء: حمزة وعلي، وقال الزجاج: بصر علم وأبصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو اسرائيل. قال موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس الحياة فألقي في نفسي أن أقبض من أثره فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ القبضة المرة من القبض وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كـ«ضرب الأمير». وقريء (فقبصت قبصة) فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع ﴿مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي من أثر فرس الرسول وقريء بها ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فطرحتها في جوف العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ أن أفعله ففعلته اتباعاً لهواي وهو اعتراف بالخطأ واعتذار.

﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَاذْهَبْ﴾ من بيننا طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما عشت ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي لا يمسني أحد ولا أمسه فمنع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته، وإذا اتفق أن يماس أحداً حم الماس والممسوس. وكان يهيم في البرية يصيح لا مساس ويقال: إن ذلك موجود في أولاده إلى الآن. وقيل: أراد موسى عليه السلام أن يقتله فمنعه الله تعالى منه لسخائه ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ﴾ أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الأرض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذاك في الدنيا (لَّن تُخْلِفَهُ) ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥٦) في سورة الأعراف (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسِفًا قال بئسما خلفتموني من بعدي، أعجِلتم أمر ربكم و ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمِّ إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني فلا تُشمِتُ بي الأعداءَ ولا تجعلني مع القوم الظلمين. قال رب اغفر لي و لأخي و أدخِلنا في رحمتك و أنت أرحم الرّٰحمين O
وفي قوله "كادوا يقتلونني" دليل على إفراط القوم في حبّ العجل و مخالفة هارون عليه السلام، و على عدم تفريطه عليه السلام في منعهم و دعوتهم إلى الحق، فلمّا تحقق موسى عليه السلام براء ة ساحة هارون عليه السلام دعا له و لنفسه بالمغفرة والرحمة.
وأخرج الإمام أحمد ، و عبد بن حميد، والبزار، وابن أبي حاتم ، و ابن حبان والطبراني، و أبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما قال قال النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم: يرحم اللّٰه موسى، ليس المعاين كالمخبر، أخبره ربّه تبارك و تعالى أن قومه فُتِنوا بعده، فلم يُلقِ الألواح، فلمّا رآهم و عاينهم ألقى الألواح فتكسّر منها ما تكسّر (الدر المنثور ـ أعراف)

(٥٧) قوله ما أمرك ـ الخ ـ فيه بيان معنى الخطب مع الإشارة إلى مأخذه.
قوله على فرس الحياة ـ حين جاء لهلاك فرعون. هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم (ابن كثير)
قوله و قرئ ـ الخ ـ في الشواذّ. رواه في الدر المنثور عن الحسن و أبي رجاء.
قوله و قرئ بها. حكاه في الكشاف عن ابن مسعود رضي اللّٰه تعالى عنه.
قوله حُمّ، بضم الحاء: أصابتُه الحُمّىٰ يهيم: يذهب على وجهه متحيرًا. البَرِّيَّة، بتشديد الراء و الياء : الصحراء، نُسبت إلى البَرِّ. (لسان العرب)

مكي وأبو عمرو. هذا من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفاً ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰٓ إِلٰهِكَ الَّذِيْ ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ وأصله ظللت فحذف اللام الأولى تخفيفاً ﴿عَاكِفًا﴾ مقيماً ﴿لَنُحَرِّقَنَّهٗ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهٗ﴾ لنذرينه ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حباً له فظهرت على شفاههم صفرة الذهب. ﴿إِنَّمَآ إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِيْ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز أي وسع علمه كل شيء. ومحل الكاف في ﴿كَذٰلِكَ﴾ نصب(٥٨) أي مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من أخبار الأمم الماضية تكثيراً لبيناتك وزيادة في معجزاتك ﴿وَقَدْ اٰتَيْنٰكَ﴾ أي أعطيناك ﴿مِنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآناً فهو ذكر عظيم وقرآن كريم فيه النجاة لمن أقبل عليه، وهو مشتمل على الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن هذا الذكر وهو القرآن ولم يؤمن به ﴿فَإِنَّهٗ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا﴾ عقوبة ثقيلة سماها وزراً(٥٩) تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الثقيل الذي ينقض ظهره ويلقى عليه بهره، أو لأنها جزاء الوزر وهو الإثم ﴿خٰلِدِيْنَ﴾ حال من الضمير في «يَحْمِلُ»وإنما جمع على المعنى ووحد في «فَإِنَّهٗ» حملاً على لفظ من ﴿فِيْهِ﴾ في الوزر أي في جزاء الوزر وهو العذاب ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا﴾ ساء في حكم بئس وفيه ضمير مبهم يفسره «حِمْلاً» وهو تمييز واللام في «لَهُمْ»للبيان كما في (هَيْتَ لَكَ) [يوسف:٢٣] والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء الحمل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله مكي و أبو عمرو، قراء تهما بالبناء للفاعل و قراء ة الباقين بالبناء للمفعول. قوله خُلُفا، بضم الخاء وسكون اللام، الاسم من الإخلاف، و هو نقيض الوفاء بالوعد، وجدته خُلُفا أي غير مَوُفيٍّ. قوله لَنَذْرِينَّه من ذرَتِ الريح الترابَ تذرُوه، و تذرِيُه ذروًا، و ذريًا: طيَّرتَه و منه ذَرُيُ الحَبّ.

(٥٨) قوله نصب الخ. صفة مصدر محذوف أي نقُصّ قصصًا مثل ما قَصَصُنا عليك.

قوله الحقيقة، صفة مشبهة من حقّ أي الجديرة بأن يتدبرها الإنسان، و يتّعِظ بها.

(٥٩) قوله سماها وزرًا، ذكر في تسمية العقوبة وزرًا وجهين. على الأول هي استعارة مصرّحة، المشبه العقوبة الثقيلة، والمشبه به الوِزر أي الحِمل الثقيل، فحذف المشبه و وُضع المشبه به موضعه، و على الثاني مجاز مرسل لأن الوِزر أي الإثم سبب العقاب. فسُمي المسبب باسم السبب، قال الخفاجي: ولا يخفى أن الأول هو المناسب لقوله (و ساء لهم يوم القيٰمة حِملًا) لأنه ترشيح له. اه.

قوله الذي يُنقِض ظهره و يلقِي عليه بُهُرَه أي الذي يُثقِلُ ظهرَه و يُوقِع عليه تتابُعَ نَفَسه لشدةِ الثقل. في لسان العرب: أنقض الحِمُل ظهرَه: أثقله و جعله يُنقِض من ثِقَله أي يُصوِّت. والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحِمُل سُمع له نقيض أي صوت خفي — والبُهُر بالضم تتابع النفَس من الإعياء، و بالفتح المصدر، بَهَره الحِمُلُ يَبُهَره بَهُرًا أي أوقع عليه البُهر، فانبَهَر أي تتابع نفَسُه، و في الحديث: وقع عليه البُهُر، وهو بالضم، ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد و العَدُو من النهيج و تتابُع النفَس. اه. (والنهيج هو تواتُر النفَس من شدة الحركة)

قوله هَيُتَ لك. "هيت" فيه عدة لغات، جَاءَتُ أربع منها في القراء ات المتواترة (١) هِيُتَ بكسر الهاء وسكون الياء و فتح التاء. نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر، و أبو جعفر (٢) هِئُتَ بكسر الهاء، والهمزة الساكنة بعدها، و فتح التاء. هشام عن ابن عامر.=

حملاً وزرهم. ﴿يَّوۡمَ يُنۡفَخُ﴾ بدل من (يَوْمَ القيامة)، (ننفخ) أبو عمرو[٦٠]﴿فِى الصُّوۡرِ﴾ القرن أو هو جمع صورة أي ننفخ الأرواح فيها دليله قراءة قتادة الصور بفتح الواو جمع صورة ﴿وَنَحۡشُرُ الۡمُجۡرِمِيۡنَ يَوۡمَئِذٍ زُرۡقًا ۚ﴾ حال أي عمياً كما قال:(وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ الۡقِيٰمَةِ عَلٰى وُجُوۡهِهِمۡ عُمۡيًا) [الإسراء:٩٧] وهذا لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق ﴿يَّتَخَافَتُوۡنَ﴾ يتسارون ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ أي يقول بعضهم لبعض سراً لهول ذلك اليوم ﴿اِنۡ لَّبِثۡتُمۡ﴾ ما لبثتم في الدنيا ﴿اِلَّا عَشۡرًا﴾ أي عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم في القبور أو في الدنيا لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم أيام النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر، لأن أيام السرور قصار، أولأنها ذهبت عنهم والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء، أو لاستطالتهم الآخرة لأنها أبداً يستقصر إليها عمر الدنيا ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة، وقد رجح الله قول من يكون أشد تقالاً منهم بقوله: ﴿نَحۡنُ اَعۡلَمُ بِمَا يَقُوۡلُوۡنَ اِذۡ يَقُوۡلُ اَمۡثَلُهُمۡ طَرِيۡقَةً﴾ أعدلهم قولاً ﴿اِنۡ لَّبِثۡتُمۡ اِلَّا يَوۡمًا ؏﴾ وهوكقوله:(قٰلُوۡا لَبِثۡنَا يَوۡمًا اَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ فَسۡـَٔلِ الۡعَآدِّيۡنَ) [المؤمنون: ١١٣]. ﴿وَيَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الۡجِبَالِ﴾ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟[٦١] وقيل: لم يسئل وتقديره إن سألوك ﴿فَقُلۡ﴾ ولذا قرن بالفاء بخلاف سائر السؤالات مثل قوله: (وَيَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الۡمَحِيۡضِ ؕ قُلۡ هُوَ اَذًى) [البقرة:٢٢٢] وقوله:(وَيَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الۡيَتٰمٰى ؕ قُلۡ اِصۡلَاحٌ لَّهُمۡ خَيۡرٌ) [البقرة: ٢٢٠] (يَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الۡخَمۡرِ وَالۡمَيۡسِرِ ؕ قُلۡ فِيۡهِمَاۤ اِثۡمٌ كَبِيۡرٌ) [البقرة: ٢١٩] (يَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرۡسٰٮهَا ؕ قُلۡ اِنَّمَا عِلۡمُهَا عِنۡدَ رَبِّىۡ) [الأعراف: ١٨٧] (وَيَسۡـَٔلُوۡنَكَ عَنِ الرُّوۡحِ ؕ قُلِ الرُّوۡحُ مِنۡ اَمۡرِ

= (٣) هَيُتُ بفتح الهاء و سكون الياء و ضم التاء بناءً على الضم، ابن كثير (٤) هَيُتَ بفتح الهاء و سكون الياء و فتح التاء،بناء على الفتح. الباقون. قال المصنّف في سورة يوسف : هو اسم لتعالِ و أقبِلْ، واللام للبيان، كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول : هَلُمَّ لك. اه.

(٦٠) قوله نَنفُخ، بنون العظمة مفتوحة مبنيًا للفاعل، مسندًا إلى الآمر به ، والنافخ إسرافيل والباقون بالياء من تحت، مضمومة و فتح الفاء بالبناء للمفعول، و نائب الفاعل الجار والمجرور بعده قوله بفتح الواو أي صُوَر، كغرفة و غُرَف. قوله حدقه بفتحتين، في المصباح : حَدَقَةُ العين سَوادها، والجمع حَدَق و حَدَقات مثل قَصَبة و قصَب و قصَبات، و ربما قيل: حِداق مثل رقَبة و رِقاب - اه - (إكليل). قوله تزرَق من سمع، زرِق يزرَق زَرَقاء، والزُّرْقة خضرة في سواد العين، و قيل: هو أن يتغشّى سوادَها بياضٌ. (لسان العرب)

قوله تعالى: يتخافتون، استيناف ببيان ما يأتون و ما يذَرون حينئذ، أو حال أخرى من المجرمين. قوله يتسارّون، بالراء المشددة من السِّرّ قوله: يستقصرون، أي يَعُدّونها قصيرة قليلة. قوله يُتقالّ بتشديد اللام مبنيًّا للمفعول، أي يُعدّ قليلًا، تفاعل بمعنى الاستفعال. قوله العادّين أي الحسّاب أو الملائكة الذين يعدّون أعمار العباد و أعمالهم. اه. مدارك، سورة المؤمنون - ١١٣

(٦١) أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربّك بهذه الجبال يوم القيامة فنزلت (و يسئلونك عن الجبال) الآية (لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)

قوله أيّان مرساها (أعراف - ١٨٧) أيّان: متى، واشتقاقه من "أيّ" فعلان منه ، لأن معناه أي وقت، "مرساها" أي إرساء ها، مصدر مثل المُدْخَل بمعنى الإدخال، أو (ظرف زمان) وقت إرسائها أي إثباتها=

رَبِّيٓ)[الإسراء: ٨٥](وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا) [الكهف: ٨٣]؛لأنها سؤالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء.

﴿ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴾ أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يُذْرى الطعام. وقال الخليل: يقلعها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فيذر مقارها[٦٢] أو يجعل الضمير للأرض للعلم بها كقوله: (مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا) [فاطر: ٤٥] ﴿ قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴾ مستوية ملساء ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا ﴾ انخفاضاً ﴿ وَلَآ أَمۡتٗا ﴾ ارتفاعاً والعوج بالكسر وإن كان في المعاني كما أن المفتوح في الأعيان والأرض عين، ولكن لما استوت الأرض استواء لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وإن دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أضاف اليوم إلى وقت نسف الجبال أي يوم إذ نسفت وجاز أن يكون بدلاً بعد بدل من يوم القيامة ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ إلى المحشر أي صوت الداعي وهو إسرافيل حين ينادي على صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلمي إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه[٦٣] لايعدلون عنه ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥۖ﴾ أي لا يعوج له مدعو بل يستوون إليه من غير انحراف متبعين لصوته ﴿وَخَشَعَتِ﴾ وسكنت﴿ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾هيبة وإجلالاً﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ صوتاً خفيفاً لتحريك الشفاه. وقيل: هو من همس الإبل وهو صوت أخفافها إذا مشت أي لا تسمع إلا خفق الأقدام ونقلها إلى المحشر.﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ محل من رفع على البدل من «الشفاعة» بتقدير حذف المضاف أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من

= والمعنى متى يرسيها الله ـ اه ـ مدارك.

قوله يجعلها كالرمل. قال الراغب: نَسَفتِ الريح الشيء إذا قلعتُه و أزالته و أنسفته، و أصل معناه تطرحه طرح النُسافة، وهي ما يثور من غبار الأرض. اه. فما ذكره المصنّف رحمه الله في تفسيره هنا معناه الحقيقي، و جعله رملًا أو غبارًا داخل في معناه. (خفاجي)

قوله كما يذرى الطعام، ذرا، يذرو، ذروًا، و ذرى يذري ذريًا. و ذرّى تذريةً الحبَّ: نقّاه في الريح و خلّصَه من تِبُنه.

(٦٢) قوله فيذر مقارَّها: فيترك مواضع قرار الجبال. فالضمير للجبال، و في الكلام مضاف مقدّر، قوله مستوية ملساء. عن ابن عباس القاع: الأملس، والصفصف المستوي أخرجه الطستي عنه و أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة أنه سئل عن قوله (قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا و لا أمتًا) قال: كان ابن عباس يقول: هي الأرض الملسآء التي ليس فيها رابية مرتفعة ولا انخفاض. (الدر المنثور)

قوله: والعوج و إن كان الخ. إشارة إلى الفرق بين العِوَج والعَوَج المنقول عن أهل اللغة ـ كما في الجمهرة ـ بأنه بالكسر في عدم الاستقامة المعنوية، وهو ما لا يدرك بالعين بل بالبصيرة كعِوَج الدِّيُن، و بفتح العين فيما يدرك بها كعوج الحائط والعود. ولما كانت الأرض محسوسة، واستقامتها و اعوجاجها يدرك بالبصر فكان ينبغي فتح عينه بحسب الظاهر وجّهَه بأنه لما أريد به ما خفي منه حتى احتاج إثباته إلى المساحة الهندسية المدركة بالعقل أُلحق بما هو عقلي صِرُف فأُطلق عليه ذلك لذلك. الخ. (خفاجي)

(٦٣) قوله: من كل أوب إلى صوبه، الأوب الجانب، والصوب الناحية. (خفاجي)

قوله: إلّا خَفُق الأقدام. الخفق، بفتح فسكون: صوت النعل و ما أشبهها من الأصوات. (لسان العرب) قوله: و نقلها معطوف على الأقدام. قوله: محل من رفع على البدل...أو نصب الخ. ذكر الاحتمالين في الكشاف،=

أذن له الرحمن أي أذن للشافع في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ أي رضي قولاً لأجله بأن يكون المشفوع له مسلماً أو نصب على أنه مفعول (تَنفَعُ) ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي يعلم ما تقدمهم من الأحوال وما يستقبلونه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ أي بما أحاط به علم الله فيرجع الضمير إلى «ما» أو يرجع الضمير إلى الله لأنه تعالى ليس بمحاط به ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت ومنه قيل للأسير: عانٍ ﴿ٱلۡوُجُوهُ﴾ أي أصحابها ﴿لِلۡحَيِّ﴾ الذي لا يموت وكل حياة يتعقبها الموت فهي كأن لم تكن ﴿ٱلۡقَيُّومِ﴾ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت أو القائم بتدبير الخلق ﴿وَقَدۡ خَابَ﴾ يئس من رحمة الله ﴿مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ من حمل إلى موقف القيامة شركاً[٦٤] لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولا ظلم أشد من جعل المخلوق شريك من خلقه ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الصالحات الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ مصدق بما جاء به محمد عليه السلام، وفيه دليل أنه يستحق اسم الإيمان بدون الأعمال الصالحة وأن الإيمان شرط قبولها ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي فهو لا يخاف (فَلاَ يخف) على النهي:مكي ﴿ظُلۡمٗا﴾ أن يزداد في سيئاته ﴿وَلَا هَضۡمٗا﴾ ولا ينقص من حسناته وأصل الهضم النقص والكسر.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ بلسان العرب ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ يجتنبون الشرك ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ﴾ الوعيد أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= و تبعه البيضاوي والمصنّف و نقله الرازي مع ترجيح الثاني بوجوه، منها أن الأول يحتاج إلى الإضمار، و تغيير الإعراب، بخلاف الثاني. وقال أبو السعود: غير الماذون يقال في حقه: إنه لايملك الشفاعة دون أن يقال فيه: لا تنفع شفاعته لإيهامه صدور الشفاعة منه، و قال الإمام: من المعروف أن الشفاعة درجة عظيمة لاتحصل إلّا لمن أذن له الرحمٰن، فذكره من قبيل إيضاح الواضح بخلاف الثاني.

قوله: رضي قولًا لأجله الخ. هذا ناظر إلى المعنى الثاني، وهو أن المراد بمن أذن له هو المشفوع له. أي رضي قولَ الشافع لأجله و في حقه، و بالنظر إلى المعنى الأول يرجع ضمير "له" إلى الشافع، و يكون المعنى و رضي له أي لمكانته عند الله تعالى قوله.

قوله: فيرجع الضمير إلى ما. والحاصل أن علمه محيط بما بين أيديهم وما خلفهم ولم يُحِطْ به علمهم. و مرجع الضمير "ما" المعطوف عليه و "ما" المعطوف على سبيل البدلية أو الاجتماع مرادًا به المذكور. قوله: قيل للأسير عانٍ، من عنا يعنو عُنُوًّا و عنِي يعنىٰ عَناءً: الحبس في شدة و ذل. قال ابن سِيدَه: كل خاضع لحقّ أو غيره عانٍ. (لسان العرب)

(٦٤) تفسير الظلم بالشرك هنا مروي عن قتادة و عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم أخرجه ابن جرير و عبد الرزاق و عبد بن حميد. (جامع البيان والدر المنثور) و تفسير الظلم بالزيادة في السيئات و تفسير الهضم بالنقص من الحسنات في قوله تعالى (فلا يخاف ظلمًا و لا هضمًا) مروي عن ابن عباس و قتادة و مجاهد. رواه ابن جرير و غيره. أخرج عبد الرزاق و عبد بن حميد عن قتادة قال (ظلمًا) أن يزاد في سيئاته (ولا هضمًا) قال: لا ينقص من حسناته. (الدر المنثور) و أصل الظلم وضع الشيء في غير محله، والميل عن القصد، و منع الحق كذا يوخذ ممّا فصّل في (لسان العرب) وقال الماوردي: الظلم منع جميع الحق و الهضم منع بعضه. اه. وهذا الثاني (منع بعض الحق) يرادف النقص، وهو أصل الهضم كما ذكر المصنف.

القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ عظة أو شرفاً بإيمانهم به[٦٥] وقيل «أو» بمعنى الواو. ﴿فَتَعٰلَى اللّٰهُ﴾ ارتفع عن فنون الظنون وأوهام الأفهام، و تنزه عن مضاهاة الأنام ومشابهة الأجسام ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي يحتاج إليه الملوك ﴿الْحَقُّ﴾ المحق في الألوهية.

ولما ذكر القرآن وإنزاله قال استطراداً: وإذا لقنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنَّ عليك رَيثَما يسمعك ويفهمك ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْاٰنِ﴾ بقراءته ﴿مِنْ قَبْلِ اَنْ يُّقْضٰۤى اِلَيْكَ وَحْيُهٗ﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلاغ ﴿وَقُلْ رَّبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا﴾ بالقرآن ومعانيه. وقيل: ما أمر اللّٰه رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَاۤ اِلٰۤى اٰدَمَ﴾ أي أوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة. يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوصى إليه وعزم عليه وعهد إليه،[٦٦] فعطف قصة آدم على (وَصَرَّفْنَا فِيْهِ مِنَ الْوَعِيْدِ) [طه:١١٣] والمعنى وأقسم قسماً لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب الشجرة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل وجودهم فخالف إلى ما نهي عنه كما أنهم يخالفون يعني أن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد أي النهي والأنبياء عليهم السلام يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفوا لحفظوه ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهٗ عَزْمًا﴾ قصداً إلى الخلاف لأمره أولم يكن آدم من أولي العزم. والوجود بمعنى العلم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٦٥) ذكرهما الطبري في تفسيره. قوله قيل أو بمعنى الواو. مرّضه لأنه عدول عن أصل معناه بدون صارف. قوله مضاهاة، أي المشابهة قوله استطرادا، هو ذكر الكلام على سبيل التبعية ـ اهـ ـ إكليل. قوله تأنّ أمر للمخاطب من التأنّي وهو من الأناة والأنىٰ، بمعنى الحلم والوقار و بمعنى التُّؤَدة. أنِي (س) تأنّى واستانى: تثبت، و تأنّى في الأمر: ترفّق و تنظّر أي ألزم الوقار والانتظار على نفسك، رَيْثَما أي قدرَما، والفعل راث يرِيُث ريثا: أبطأ. و أخرج ابن أبي حاتم عن السُّدّي رحمه اللّٰه تعالى قال: كان النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه فأنزل اللّٰه (ولا تعجل بالقرآن)الآية. (لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي)

(٦٦) إذا أمره. قوله و أقسم قسمًا، القسم المقدر يدل عليه "لقد". قوله عِرقهم أي أصلهم. قال ابن عطية: و هذا التأويل ضعيف، و ذلك كون آدم مثالًا للكفار الجاحدين باللّٰه، ليس بشيء و آدم إنّما عصى بتأويل، ففي هذا غضاضة عليه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. و إنّما الظاهر في الآية إمّا أن يكون ابتداء قصص لا تعلق له بما قبله، و إمّا أن يجعل تعلقه أنه لما عهد إلى محمد صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم ألا يعجل بالقرآن مثّل له بنبي قبله عهد إليه فنسي فعوتب، ليكون أشد في التحذير، و أبلغ في العهد إلى محمد صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم (تفسير القرطبي) و ذكر الإمام الرازي في المناسبة هذا الوجه، و الوجه المذكور في الكتاب، و وجوهًا أُخر. قوله لم يكن آدم من أولي العزم، أخرجه ابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير. و أخرج ابن جرير و ابن منده عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، قال : حفظا ، و أخرج سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر، وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّٰه تعالى عنه قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذُ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فوضعت في كِفَّة، و حلم آدم في كفة لرجح حلمه بأحلامهم ثم قال اللّٰه تعالى: (وَلَمْ نَجِدْ لَهٗ عَزْمًا) قال: حفظًا. و أخرج ابن أبي شيبة و عبد بن حميد، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عطية=

ومفعولاه (لَهُ عَزْماً) أو بمعنى نقيض العدم أي و عَدِمْنا له عزما و «لَهُ»متعلق بـ «نَجِدْ» ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ﴾ قيل: هو السجود اللغوي الذي هو الخضوع والتذلل أو كان آدم كالقبلة لضرب تعظيم له فيه(٦٧) ﴿فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إبليس كان ملكاً من جنس المستثنى منهم. وقال الحسن: الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وإبليس من نار السموم. وإنما صح استثناؤه منهم لأنه كان يصحبهم ويعبد الله معهم ﴿اَبٰى ﴿١١٦﴾﴾جملة مستأنفة كأنه جواب لمن قال لم لم يسجد، والوجه أن لايقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله:(فَسَجَدُواْ) وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف.﴿فَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حيث لم يسجد لك ولم ير فضلك ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ فلا يكونن سبباً(٦٨) لإخراجكما ﴿فَتَشْقٰى ﴿١١٧﴾﴾ فتتعب في طلب القوت ولم يقل «فتشقيا» مراعاة لرؤوس الآي، أو دخلت تبعاً، أو لأن الرجل هو الكافل لنفقة المرأة. وروي أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ﴿اِنَّ لَكَ اَلَّا تَجُوْعَ فِيْهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرٰى ﴿١١٨﴾﴾ عن الملابس لأنها معدة أبداً فيها ﴿وَاَنَّكَ﴾ بالكسر: نافع وأبو بكر عطفاً على «إن» الأولى، وغيرهما بالفتح عطفاً على (أَلاَّ تَجُوعَ) ومحله نصب بـ"إن" وجاز للفصل كما تقول «إن في علمي أنك جالس» ﴿لَا تَظْمَؤُا فِيْهَا﴾ لا تعطش لوجود الأشربة فيها ﴿وَلَا تَضْحٰى ﴿١١٩﴾﴾ لا يصيبك حر الشمس إذ ليس فيها شمس فأهلها في ظل ممدود.

﴿فَوَسْوَسَ اِلَيْهِ الشَّيْطٰنُ﴾ أي أنهى إليه الوسوسة كأسر إليه ﴿قَالَ يٰٓاٰدَمُ هَلْ اَدُلُّكَ عَلٰى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾

= العوفي: قال حفظًا لما أمر به (الدر المنثور) أي لم يتحفظ ممّا نهيته حتى نسي و ذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال، قال النحاس: يقال لفلان عزم أي صبر و ثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها، و منه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الأحقاف ـ ٣٥ (قرطبي)

(٦٧) والصحيح المعتمد عند الجمهور ما قدّمه في سورة البقرة أن المأمور به كان سجود تحية لآدم عليه السلام، وكان مشروعًا في شريعة مَن قبلنا. و تقدم الكلام في سورة الكهف في أمر إبليس أنه كان جنيًّا أو ملكًا. قوله والوجه أي الحسن من وجَه (ض) فلانًا : صار أوجه منه، و وجُه الرجل: صار ذا جاه و قدر، وهذا ممّا كثر استعماله عند الفقهاء و غيرهم الوجه كذا، والأوجه كذا. يريدون الوجه الحسن والأولى كذا. ولعلّ وجه ترك تقدير المفعول، أنه إذا قدرنا أبى السجود أي امتنع عنه فهذا قد علم من قوله (فسجدوا إلّا إبليس) فإن الاستثناء يدل على أنه لم يسجد، فليس فيه زيادة فائدة جديدة، وعلى اعتبار الاستيناف و عدم التقدير تحصل فائدة، وهي بيان سبب تركه السجود أي كان تركه إباء أي أنَفَةً و استكبارًا.

(٦٨) أي إسناد الإخراج إليه مجاز لكونه سببًا. قوله فتتعب، وقد يكون الشقاء بمعنى التعب كما مرّ بيانه في قوله تعالى (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقىٰ) قوله معَدّة من الإعداد أي مهيّأة.

قوله بالكسر نافع و أبو بكر أي إنّك بكسر الهمزة، وغيرهما بفتحها أنك، قوله جاز للفصل الخ أي لو قيل: "إنّ أنّك جالس في علمي" لم يجز، و يجوز بفصل "في علمي" بين إنّ و أنّ. كذا لو قيل: إنّ لك أنّك لا تَظمَؤ بفصل "لك" جاز.

أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه ولايموت ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ لا يفنى ﴿ فَأَكَلَا ﴾ أي آدم وحواء ﴿ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ عوراتُهما ﴿ وَطَفِقَا ﴾ طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كـ«كاد» في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً إلا أنه للشروع في أول الأمر وكاد للدنو منه ﴿ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ أي يلزقان الورق بسوٰاتهما للتستر وهو ورق التين ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ ضل عن الرأي. وعن ابن عيسى(٦٩) خاب، والحاصل أن العصيان وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمداً فيكون ذنباً وقد لا يكون عمداً فيكون زلة. ولما وصف فعله بالعصيان خرج فعله من أن يكون رشداً فكان غياً، لأن الغي خلاف الرشد. وفي التصريح بقوله: (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ) والعدول عن قوله و«زل آدم» مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين كأنه قيل لهم: انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله زلته بهذه الغلظة فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من الصغائر فضلاً عن الكبائر.

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ قربه إليه واصطفاه. وقريء به وأصل الكلمة الجمع يقال جبى إلى كذا

قوله يُلزقان أي يُلصقان من الإفعال، والمجرد من سمع.

(٦٩) قوله ابن عيسى أي القاسم بن عيسى، كان عالمًا بالنحو و اللغة، حُمِل عنه، و مات في ذي الحجة سنة سبعين و مأتين. اهـ. إكليل.

قوله والحاصل. الخ. قد ثبت بالدلائل من العقل والنقل أن الأنبياء معصومون عن الذنب، وقد جآء في القرآن نسبة العصيان والغيّ إلى سيدنا آدم عليه السلام فلا بدله من توجيه. وهو أن اجتراح المنهي عنه عمدا ينافي العصمة، وقد ثبت أنه عليه السلام (نَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) فثبت أنه لم يذهب إلى ما نُهي عنه عمدًا، بل وقع فيه نسيانًا فلم يصدر منه ما ينافي العصمة. أمّا إسناد العصيان إليه في القرآن فالعصيان يعم العمد و النسيان، وقد وقع منه خلاف النهي نسيانًا، فأسند إليه العصيان كذا الغيّ أي العدول عن الصواب قد يكون عمدًا كمن يختار طريقًا بعيدًا أو مهلكًا متعمّدًا، و أكثره يكون جهلًا أو سهوًا كما يقع الإنسان في طريق بعيد أو مهلك لعدم معرفته أو لنسيانه و يقول ضللتُ أو غويت و ذكر المصنّف أن ما صدر من الفاعل عمدًا يكون ذنبًا، و ما صدر منه سهوا يكون زلّة لكن القرآن لم يقل "زلّ" بل قال "عصى" فأي فائدة فيه؟ أجاب عنه أن ذلك لتنبيه بني آدم و حضّهم على النظر والاعتبار.

قوله "في التصريح" خبر مقدم و قوله مزجرة بليغة مبتدأ مؤخّر. مَزْجَرة على زنة مَفعَلة: ما يدعو إلى الزجر، وهو المنع والنهي والانتهار، بابه نصر قوله كافة أي مانعة، من كفّ فلانًا عن كذا (ن) منعه عنه. قوله نعيت (ف) أظهرتُ و شهَّرتُ، يقال هو ينعى على فلان ذنوبَه: يُظهِرها و يُشَهّرها. زلّته مفعول لنَعيتُ. الغلظة: الشدة. تهاون به: استخف به، و حسبه هيّنًا سهلًا أو حقيرًا.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبد الله المغربي قال: تفكّر إبراهيم عليه السلام في شان آدم قال: يا ربّ، خلقته بيدك ، و نفخت فيه من روحك ، و أسجدت له ملائكتك ، ثم بذنب واحد ملأتَ أفواه الناس حتى يقولوا (و عصى آدم ربّه فغوى) فأوحى الله إليه: يا إبراهيم، أما علمت أنّ مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة. (الدر المنثور)

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: لا يجوز لأحد منّا اليوم أن يخبر بذلك عن آدم، إلّا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى عنه، أو قول نبيه ، فأمّا أن يبتدئ بذلك من قِبَل نفسه فليس بجائز لنا في آبائنا الأدنَينَ إلينا، المماثلينَ لنا، فكيف في أبينا الأقدم الأعظم الأكرم النبي المقدّم، الذي عذَره الله سبحانه و تعالى و تاب عليه و غفر له. (قرطبي)

و بسط الكلام في عصمة الأنبياء عليهم السلام في الشفاء ، و شروحه، و مختصر جميل منه في مفاتيح الغيب للإمام الرازي في سورة البقرة في قوله تعالى (و أزلهما الشيطان عنها) الآية.

فاجتبيته ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ وهداه إلى الاعتذار والاستغفار.[٧٠] ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني آدم وحواء ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يا ذرية آدم ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ كتاب وشريعة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في العقبى. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لايضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[٧١] يعني أن الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ عن القرآن ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٧٢]ضيقاً وهو مصدر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث.

عن ابن جبير: يسلبه القناعة حتى لا يشبع فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل فتكون حياته طيبة، ومع الإعراض الحرص والشح فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة:لايعرض أحدكم عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن الحجة. عن ابن عباس: أعمى البصر وهو كقوله: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا) [الإسراء: ٩٧] وهو الوجه ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك فعلت أنت. ثم فسر فقال: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي أتتك آياتنا واضحة فلم تنظر إليها بعين المعتبر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على

(٧٠) وقال البيضاوي: إلى الثَبات على التوبة، و التشبثِ بأسباب العصمة.

(٧١) أخرج الفِريابي، و سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و محمد بن نصر ، وابن المنذر، و ابن أبي حاتم ، والحاكم ـ و صححه ـ والبيهقي في شعب الإيمان من طرق، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أجارَ الله تابِع القرآن من أن يضلّ في الدنيا أو يشقى في الآخرة ، ثم قرأ (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة. (الدر المنثور) و في رواية عند ابن جرير: إنّ الله قد ضمن لمن قرأ القرآن و اتبع ما فيه. الخ.

(٧٢) ذكر ابن جرير في تعيين موضع المعيشة الضنك أقوالًا عن المفسّرين، وهي كما يلي : (١) ذلك في جهنم. الحسن، عبد الرحمٰن ابن زيد، قتادة.
(٢) في الدنيا، بالرزق الحرام و الكسب الخبيث. عكرمة، قيس بن أبي حازم، الضحاك.
(٣) في البرزخ. وهو عذاب القبر، أبو سعيد الخدري، أبو هريرة، أبو صالح، السدّي واختار ابن جرير القول الثالث لرجحانه بحديث مرفوع. وفي سنده مقال. لكن له شاهد جيد عند البزار. قال حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا أبو الوليد حدّثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم (فإن له معيشة ضنكًا) قال: عذاب القبر. و أخرجه الحاكم عن أبي سعيد مرفوعًا وقال صحيح على شرط مسلم و وافقه الذهبي.

قوله ابن جبير أي سعيد بن جبير الأسدي التابعي، ثقة ثبت فقيه، قتل صبرًا بين يدي الحجاج سنة خمس و تسعين. اه. إكليل. قوله الشحّ هو البخل مع حرصٍ ، (س ن ض) اه. مختار الصحاح.

قوله وهو الوجه لموافقته ما بعده (وقد كنت بصيرًا) فإنه لم يكن في الدنيا بصيرًا بالحجة، بل كان بصير العين فقط.

قوله تركتها. يعني المراد بالنسيان هو الترك.

عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك. ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِيْ مَنْ اَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْۢ بِاٰيٰتِ رَبِّهٖ ؕ وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَشَدُّ وَاَبْقٰى﴿١٢٧﴾﴾ لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين: المعيشة الضنك في الدنيا وحشره أعمى في العقبى ختم آيات الوعيد بقوله: (وَلَعَذَابُ الْاٰخِرَةِ اَشَدُّ وَاَبْقٰى) أي للحشر على العمى الذي لايزول أبداً أشد من ضيق العيش المنقضي.

﴿اَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي الله بدليل قراءة زيد عن يعقوب بالنون[٧٣] ﴿كَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُوْنِ يَمْشُوْنَ﴾ حال من الضمير المجرور في «لهم» ﴿فِيْ مَسٰكِنِهِمْ ؕ﴾ يريد أن قريشاً يمشون في مساكن عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم ﴿اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِي النُّهٰى﴿١٢٨﴾﴾ لذوي العقول إذا تفكروا علموا أن استئصالهم لكفرهم فلا يفعلون مثل ما فعلوا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ﴾ أي الحكم بتأخير العذاب عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لازماً فاللزام مصدر لزم فوصف به ﴿وَّاَجَلٌ مُّسَمًّى﴿١٢٩﴾﴾ القيامة وهو معطوف على «كلمة»، والمعنى ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة. ﴿فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُوْلُوْنَ﴾ فيك ﴿وَسَبِّحْ﴾ وصل[٧٤] ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله لما توعّد (أي أنذر و خوّف) شرط، والجزاء ختم آيات الوعيد. قوله للحشر على العمى الذي لا يزول، الأولى أن يكون عذاب الآخرة أعمّ من هذا الوجه الخاص، فإن له شدائد و آلامًا سوى العمى، و يظهر من نصوص كثيرة أن المعذبين يرون النار و من فيها، و ما فيها من آلات موذية. والقرآن خصّ الحشر على العمى بيوم القيامة. فيمكن أن تُردّ إليهم أبصارهم بعد ذلك ليَشتدّ ألمهم بروية الفاجعات.

(٧٣) قوله زيد بن أحمد بن إسحاق عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري بالنون "أفلم نَهْدِ" يعقوب من العشرة، و راوياه رَوح بن عبد المؤمن البصري، و رُويس. محمد بن المتوكل البصري ، و رواية زيد ليست من العشرة ـــ والهمزة في "أفلم" للإنكار التوبيخي، و الفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، و معنى "لم يَهْد" لم يبيّن كما أخرجه ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

والمعنى: أغَفلوا فلم يهدِ لهم الله كثرةَ القرون المهلكة. جملة "كم أهلكنا" تكون مفعولَ "لم يهد" معنىً ، و في اللفظ "لم يهد" معلَّقٌ عن المفعول، جارٍ مجرى عَلِم، كما في البيضاوي و عناية القاضي. و أبي السعود.

(٧٤) جاء في الكتب تفسير التسبيح والحمد هنا بتنزيه الله تعالى عن النقائص، و بثنائه على الكمالات، و أكثر المفسّرين على أن المراد بهما أداء الصلوات، ثم بعضهم أرادوا بالتسبيح قبل الطلوع و قبل الغروب صلاتي الفجر والعصر، و أرادوا بالتسبيح في آناء الليل و أطراف النهار التطوعَ و النوافل في ساعات الليل والنهار، و أكثر هم على أن المراد المكتوبات، لأن الأمر أصله للوجوب و في إرادة التطوع صرفٌ للأمر عن الظاهر. و يؤيّد إرادةَ المكتوبات تقييدُ التسبيح بهذه الأوقات ، أما التنزيه والثناء عقدًا وفعلًا، قلبا ولسانًا فلا يختص بوقت دون وقت، و يؤيدها أيضًا خبر مرفوع في الصحيحين وغيرهما كما سنذكره.

وتسمية الصلاة بالتسبيح والحمد لاشتمالها عليهما، وللتنبيه على أن الصلاة ليست مجرد تحريك الجوارح واللسان، بل مقصودها تسبيح الله عن كل نقص و عيب، وحمده على كل كمال و إنعام ليتوجّه العبد بقلبه و قالبه إلي ما هو المقصود منها، و يشغل سرّه بالإقبال على الله.

والذين فسروا بالصلوات الخمس قالوا: التسبيح قبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر ، و قبلَ الغروب الظهر والعصر ، لأنهما في النصف الأخير قبل الغروب، و في آناء الليل المغرب والعشاء و تمت الصلوات =

وأعانك عليه ﴿قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْسِ﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوْبِهَا﴾ يعني الظهر والعصر لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ﴿وَمِنْ اٰنَآئِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَاَطْرَافَ النَّهَارِ﴾أي وتعهد أناء الليل أي ساعاته وأطراف النهار مختصاً لها بصلاتك. وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة العتمة،(٧٥)وفي أطراف النهار صلاة المغرب، وصلاة الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصت في قوله:(وَالصَّلٰوةِ الْوُسْطٰى)[البقرة:٢٣٨] عند البعض. وإنما جمع وأطراف النهار وهما طرفان لأمن الإلباس وهو عطف على قبل ﴿لَعَلَّكَ تَرْضٰى﴾ لعل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= الخمس هنا، فقالوا المراد بالتسبيح في أطراف النهار الفجر والمغرب، وقال النيسابوري: الفجر والعصر لا المغرب. اهـ. و ذكرهما (الفجروالمغرب، أو الفجر والعصر) على التكرار عناية بشانهما، و بعضهم فسر قبل الغروب بالعصر خاصّة، و فسّر أطراف النهار بالظهر خاصّة لوقوعها في آخر النصف الأول، و أول النصف الآخر، و استُبعِد لعدم صدق الأطراف على وقتها الخاص، و إن التقى عند ذلك الطرفان لكنها تقع بعد انقضاء الطرف الأول، و بداية الطرف الثاني فهي في طرف واحد ، لا في الأطراف والمصنّف خصّ العتمة أي العشاء بالتسبيح في آناء الليل، و أدخل المغرب في التسبيح أطراف النهار، و جعل التكرار لصلاة الفجر فقط تبعًا للكشاف.

وأخرج الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، و أبوداؤد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن خزيمة، و ابن حِبّان، وابن مردويه عن جرير بن عبد اللّٰه البجلي رضي اللّٰه تعالى عنه قال: كنا جلوسًا عند رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم سترون ربّكم كما ترون هذا القمر "لا تضامون" في رويته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا" ثم قرأ (و سبح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) (ابن كثير، در منثور)

قوله عليه السلام "لا تضامون" قُرئ على ثلاث صيغ (١) لاتَضَامّونَ، بتشديد الميم مبنيًّا للفاعل، (٢) لاتُضامّون، بتشديد الميم، مبنيًّا للمفعول (٣) لا تُضامون، بتخفيف الميم مبنيًا للمفعول، من الضَّيم. قال ابن الأثير يُروى هذا الحديث بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض ، و تَزدحمون وقت النظر إليه، قال: و يجوز ضم التاء و فتحها على تُفاعَلون و تَفاعَلون ، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيمٌ في رويته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم: الظلم. (لسان العرب) قوله تعالى: آناء واحدها إِنْيٌ بكسر الهمزة وسكون النون، و إنىً كمِعًى و أَنًى كجَنىً بفتح الأول، وقال الأخفش واحدها إِنُو كقِنُو يقال: مضى إنيانِ من الليل و إِنْوَان. (لسان العرب)

(٧٥) قوله صلاةَ العَتَمة، بفتحات، صلاة العشاء.

قوله عند البعض، يتعلق بصلاة الفجر فإنها الصلاة الوسطى عند الإمام الشافعي، في قوله تعالى (حَافِظُوْا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلوٰةِ الْوُسطٰى وَ قُوْمُوْا لِلّٰهِ قَانِتِيْنَ) محتجًّا بقوله تعالى "و قوموا للّٰه قانتين" والقنوت عنده في صلاة الصبح، و قد روي عن بعض الصحابة والتابعين، لكن ثبت بالأحاديث الصحاح المرفوعة أنها صلاة العصر، وهي نصوص لا تحتمل غير ذلك، و قد أكدها أحاديث أُخر جاءت في المحافظة على العصر والوعيد بحبط العمل، والتشبيه بمن هلك أهله و ماله لمن ترك العصر، فاختارها الأئمة أبو حنيفة و صاحباه، و أحمد بن حنبل، وابن حبيب المالكي. و جعله القاضي الماوردري الشافعي مذهب الإمام الشافعي لقوله رضي اللّٰه تعالى عنه "إذا صحّ الحديث فهو مذهبي" كما ذكره ابن كثير و بسط الأقوال والأحاديث في تفسيره.

قوله تعالى: لعلك ترضى، قال الشيخ أحمد الصاوي المالكي في حاشيته على تفسير الجلالين: وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المُشعر بأنه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم حبيب ربّ العالمين، و أفضل الخلق أجمعين، حيث قال له ربه "لعلك ترضى" ولم يقل:=

للمخاطب أي اذكر الله في هذه الأوقات رجاء أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك.و(تُرضٰى) علي وأبو بكر أي يرضيك ربك. ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي نظر عينيك(٧٦)ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به، وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف. ولقد شدد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن: لا تنظروا إلى دقدقة هماليج الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب. وهذا لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفرة ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير والفعل واقع على (منهم) كأنه قال إلى الذي متعنا به وهو أصناف بعضهم وناساً منهم ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها وانتصب على الذم أو على إبداله من محل به أو على إبداله من (أزواجا) على تقدير ذوي زهرة ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ ثوابه وهو الجنة أو الحلال الكافي ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ١٣١﴾ مما رزقوا ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أمتك أو أهل بيتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾ أنت داوم ﴿عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي لانسألك أن ترزق نفسك ولاأهلك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم فلا تهتم

= "لعلّي أرضى عنك" ونحو ذلك، و من هنا قوله عليه الصلاة والسلام: و جعلت قرة عيني في الصلاة، وقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: ما أرى ربّك إلّا يسارِع في هواك. فصلاته صلّى الله تعالى عليه وسلم مامور بها ليرضى هو، لا ليكفّر الله عنه سيئاته، ولا ليرضى عليه، و حينئذ فلا كلفة عليه فيها، لأن فيها شهوده لربّه الذي هو قرة عينه، و للعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام ـ اه ـ قال تعالى: و إنها لكبيرة إلّا على الخاشعين ـ الآية ـ عدم ثقلها على العارفين لأنهم في مشاهدة ربّهم و مناجاته، و أنّى الثقل مع هذه اللذّة الحبيبة المطلوبة.

(٧٦) أي نظر عينيك. إشارة إلى تقدير مضاف، أو تجوّز في النسبة، فإن العين لا تُمدّ، بل نظرها يطول أو يقصر. قوله وفيه الخ. فإن النهي عن تطويل النظر يشير إلى أن النظر مبادهة و فَجَأة ليس بمنهي، فإن العبد لم يقصده ، ولم يكن هذا استحسانًا و إعجابًا بالمنظور إليه. قوله عُدد، جمع عُدّة بالضم: ما أعددتّه لحوادث الدهر من المال والسلاح، والاستعداد أيضًا (مختار الصحاح) والمراد هنا الأول قوله دَقْدَقةُ هماليج. الدقدقه حكاية أصوات حوافر الدوابّ في سرعة تردّدها مثل الطَّقْطَقه، والهماليج واحدها هِملاج وهو من البراذين، والبِرذَون: ما كان من غير نِتاج العِراب (لسان العرب) قوله النظّارة مشدّدًا: القوم ينظرون إلى شيء ـ اه ـ مختار الصحاح، والزنة، للمبالغة قوله مُغرٍ من الإغراء أغرى الإنسان وغيره بالشيء:حرّضه عليه. قال المتنبي: ازورهم وسواد الليل يشفع لي: و أنثني و بياض الصبح يُغري بي. وأغرِي به مبنيًا للمفعول:أولع به. و في التنزيل: (لَنُغرِينّك بهم) أحزاب. ٦٠

قوله أصنافًا من الكفرة، فسر أزواجًا على وجهين: أزواجًا مفعول متعنا، "منهم" صفته، و من للبيان. أزواجًا حال من الضمير في "به" و مِن في "منهم" للتبعيض فمعناه بعضهم، وهو مفعولُ متّعنا. أي لا تطيلنّ النظر إلى الذي متعنا به حال كونه أزواجًا و أصنافًا بعضَهم. و "ناسًا منهم" عطف تفسير. قوله وهو أصناف تصوير للحالية. قوله والفعل واقع على "منهم" أي منهم بتقدير بعضهم مفعول متّعنا. قوله أو على إبداله من محل "به" ـ منصوب محلّا لكونه معمول الفعل. قوله أو على إبداله من أزواجا ـ هذا بتقدير أن يكون المراد بالأزواج أصناف الكفرة.

لأمر الرزق وفرغ بالك لأمر الآخرة لأن من كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ: (ولا تمدن عينيك).الآية، ثم ينادي الصلاة، الصلاة رحمكم الله. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمر الله ورسوله. وعن مالك بن دينار مثله. وفي بعض المسانيد أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوٰى﴾ أي وحسن العاقبة لأهل التقوى بحذف المضافين.[٧٧]

﴿وَقَالُوْا﴾ أي الكافرون ﴿لَوْلَا يَأْتِيْنَا بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّهٖ﴾ هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته ﴿اَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ (أو لم تأتهم) مدني وحفص وبصري[٧٨] ﴿بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْاُوْلٰى﴾ أي الكتب المتقدمة يعني أنهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم: أو لم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزّلة ودليل صحته لأنه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها ﴿وَلَوْ اَنَّآ اَهْلَكْنٰهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهٖ﴾ من قبل الرسول أو القرآن ﴿لَقَالُوْا رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلا ﴿اَرْسَلْتَ اِلَيْنَا رَسُوْلًا فَنَتَّبِعَ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام بالفاء ﴿اٰيٰتِكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَّذِلَّ﴾ بنزول العذاب ﴿وَنَخْزٰى﴾ في العقبى ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي كل واحد منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر للعاقبة وبما يؤول إليه أمرنا وأمركم ﴿فَتَرَبَّصُوْا﴾ أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُوْنَ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ اَصْحٰبُ﴾ مبتدأ وخبر ومحلهما نصب[٧٩] ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَدٰى﴾ إلى النعيم المقيم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يقرأ أهل الجنة[٨٠] إلا سورة طه ويس» والله أعلم بالصواب.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله خصاصة أي شدة الحاجة والفقر. قوله في بعض المسانيد. رواه البيهقي والطبري. (خفاجي) أثر عروة أخرجه عنه ابن جرير في تفسيره.

(٧٧) قوله بحذف المضافين. فإن نفس العاقبة يواجهها كل إنسان، و يصح بدون المضاف الثاني لكن قدره لموافقة قوله في آية أخرى: العاقبة للمتقين ـ أعراف ١٢٨ ـ هود ٤٩.

(٧٨) والباقون: أو لم يأتِهم، بالياء.

(٧٩) قوله محلهما نصب، لكونهما مفعولَي "ستعلمون" معنىً، و إن عُلِّق عن العمل لفظًا.

(٨٠) قوله: لايقرأ أهل الجنة. أخرج ابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: كل قرآن يوضع على أهل الجنة فلا يقرأون منه شيئًا إلا طه و يٰس، فإنهم يقرأون بهما في الجنة (در منثور) و لفظ المصنف، أخرجه الثعلبي من رواية زياد عن الحسن مرسلًا، (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للعلامة ابن حجر العسقلاني)

(تمّ سحرَ التاسع والعشرين من رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ المصادف ١٣/ نوفمبر ٢٠٠٤م ليلة الأربعاء ، الساعة الثالثة و نصف سحرًا)

سورة الأنبياء مكية[١] و هي مائة و اثنتا عشرة آية كوفي و إحدى عشرة آية مدني و بصري[٢]

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ۝ ﴾

﴿اِقْتَرَبَ﴾ دنا ﴿لِلنَّاسِ﴾ اللام صلة لاقترب[٣]. عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما أن المراد بالناس المشركون لأن ما يتلوه من صفات المشركين ﴿حِسَابُهُمْ﴾ وقت محاسبة اللّٰه إياهم ومجازاته على أعمالهم يعني يوم القيامة، وإنما وصفه بالاقتراب لقلة ما بقي بالإضافة إلى ما مضى ولأن كل آتٍ قريب ﴿وَهُمْ فِيْ غَفْلَةٍ﴾ عن حسابهم وعما يفعل بهم ثم ﴿مُّعْرِضُوْنَ ۝﴾ عن التأهب لذلك اليومٍ فالاقتراب عام والغفلة والإعراض يتفاوتان بتفاوت المكلفين، فرب

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

سورة الأنبياء

(١) قوله مكية استثنى منها في الإتقان (أ فلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها). الآية.

(٢) منشأ هذا الاختلاف اختلاف الكوفيين و غيرهم في قوله (قال أفتعبدون من دون اللّٰه ـ إلى قوله ـ تعقلون) فالكوفيون يعدونه آيتين، الأولى إلى قوله "ولا يضركم" والثانية أولها "أف لكم ـ إلى ـ تعقلون ـ اهـ. جمل.

(٣) قوله صلة لاقترب أي متعلق به، ظرف لغو له قوله وقت محاسبة اللّٰه إياهم و مجازاته ـ الخ ـ قدّر الوقت لأن القرب والبعد لا يعقل إلّا في الزمان والمكان ، والقرب المكاني ههنا ممتنع، فتعين القرب الزماني (مفاتيح الغيب) هذا باعتبار الأصل، و إسنادُ القرب و البعد إلى غيرهما يكون تبعًا باعتبار وقوعه فيهما، و أشار بقوله "محاسبة اللّٰه إياهم" إلى أن الحساب مصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، و عطف عليه "المجازاة" لأنها المرادة من الحساب، وبها التخويف والإنذار.

قوله و إنمّا وصفه بالاقتراب. لَما كان دون وقوعها زمان طويل جدًّا أشاروا إلى تأويله بأنه قرب نِسبيّ بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، فإن الباقي منها قليل، و إذا كان لأمر أجلٌ مقدر و مضى أكثره قيل: اقترب الأجل، ولايقال هذا إذا انقضى الأقل و بقي الأكثر. و قال النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "بعثت أنا والساعة كهاتين" مشيرًا إلى إصبعين من يده الكريمة. و حاصل التأويل الثاني أن ما هو متحقق الوقوع ولو بعد حين، بمنزلة المترقب القريب، فإنه يُدرَك لا محالة، والبعيد ما انقرض ومضى ، لفوت إدراكه وحصوله، ولذا قال الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غد
ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

قوله تعالى وهم في غفلة، التنوين للتعظيم، أي في غفلة تامّة. "في غفلة" و "معرضون" خبران للضمير، و حيث كانت الغفلة أمرًا جِبِلِّيًا لهم، جعل الخبر الأول ظرفًا مُنبئًا عن الاستقرار، بخلاف الإعراض، والجملة حال من الناس، وقد جُوّز كون الظرف حالًا من المستكنّ في "معرضون" أي "وهم ثابتين في غفلة عظيمة معرضون" مع تكرير التنبيه والإيقاظ، و صار الإعراض كالصفة الثابتة لهم، فأخبر عنه بالجملة الاسمية الدالّة على الثبوت.

قوله التأهب ، هو الاستعداد ، والأهبة : العُدّة.

قوله فالاقتراب عام. هذا التفسير بناء على أن المراد من "الناس" كلهم، و ما روي عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما بناء على أنّ إسناد الفعل إلى الجنس قد يكون باعتبار بعض أفراده. و دليل تخصيص الناس بالكفار ما ذكره بقوله "لأن ما يتلوه من صفات المشركين". و على إرادة الناس كلهم يحتاج ما بعده أيضًا إلى التأويل بنحو أن يقال: أريد بلفظ الناس الجميعُ و بضمائره في "ما يأتيهم" و في ما بعده بعضُ أفراد الناس بطريق الاستخدام، أو يقال : تم الكلام إلى قوله معرضون، ثم ابتدأ من قوله "ما يأتيهم" بيان حال الكفار، و وُضع الضمير بدون سبق ذكرهم للاستغناء عنه بما يلي من صفاتهم التي لا يذهب الذهن معها إلى غيرهم.

غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه وإعراضه عن مولاه، ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه وإعراضه عن دنياه فهو لا يفيق إلا برؤية المولى، والأول إنما يفيق في عسكر الموتى فالواجب عليك أن تحاسب نفسك قبل أن تحاسب وتتنبه للعرض قبل أن تنبه، وتعرض عن الغافلين وتشتغل بذكر خالق الخلق أجمعين لتفوز بلقاء رب العالمين ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ﴾ شيء من القرآن ﴿مِّنْ رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ﴾[٤] في التنزيل إتيانه، مبتدأة تلاوته، قريب عهده باستماعهم، والمراد به الحروف المنظومة. و لا خلاف في حدوثها ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوْهُ﴾ من النبي عليه السلام أو غيره ممن يتلوه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ﴾ يستهزئون به. ﴿لَاهِيَةً﴾ حال من ضمير يلعبون أو (و هم يلعبون) و«لاهية» حالان من الضمير في استمعوه.[٥] ومن قرأ «لَاهِيَةٌ» بالرفع يكون خبراً بعد خبر لقوله: «وهم» وارتفعت ﴿قُلُوْبُهُمْ﴾ بـ«لاهية» وهي من لها عنه إذا ذهل وغفل، والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها، ومنها. قال أبو بكر الورّاق: القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الآخرة وأهوالها ﴿وَأَسَرُّوا﴾ وبالغوا في إخفاء ﴿النَّجْوَى﴾ وهي اسم من التناجي. ثم أبدل ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤) استدلت المعتزلة بهذه الآية و بما في سورة الشعراء (و ما يأتيهم من ذكر من الرحمٰن محدَث إلّا كانوا عنه معرضين.) على حدوث القرآن. و أجيب بوجهين: الأول أن المراد "محدَثٍ تنزيلُه" و لا يلزم من حدوث التنزيل، والتلاوة، والاستماع حدوث المنزّل والمتلوّ والمسموع فإنه قديم و هذه متعلّقاته و عوارضه، و حدوث العوارض لا يستلزم حدوث المعروض. أو التنزيل صفة اللفظ والحروفِ المنظومة، ولا خلاف في حدوثها بل الخلاف في معناها القائم بذاته تعالى الذي هو كلامه النفسي القديم، ولا يدلّ حدوث الإتيان والتنزيل، والتلاوة، والسمع على حدوث ذلك المعنى القائم بذاته والوجه الثاني ما ذكره الإمام: أن قولهم (القرآن ذكر، والذكر محدث، فالقرآن محدث) أخذوا كبراه من قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث مع أن قوله تعالى لا يدل على حدوث كل ما كان ذِكرا، بل على ذكر مّا محدَث، كما أن قول القائل: لا يدخل هذه البلدة رجل فاضل إلّا يبغضونه ، فإنه لا يدل على أن كل رجل يجب أن يكون فاضلًا، بل على أن في الرجال مَن هو فاضل، و إذا كان كذلك فالآية لا تدل إلّا على أن بعض الذكر محدث، فيصير نظم الكلام هكذا (القرآن ذكر، و بعض الذكر محدث) وهذا لا ينتج شيئًا (لفوات شرط للإنتاج وهو كلية الكبرى) فظهر أن الذي ظنوه قاطعًا لا يفيد ظنًّا ضعيفًا فضلًا عن القطع. (مفاتيح الغيب)

حاصل هذا الجواب أن الذكر إطلاقه لا يختصّ بالقرآن والوحي المتلوّ، بل يطلق على كل كلام فيه عظة و نصح بل و على ما فيه تسبيح و تحميد، فتخصيصه بالقرآن، والقول بحدوثه ليس بصائب. والدليل عليه ليس بقائم.

(٥) حاصله أنهما حالان متداخلتان أو مترادفتان. فالأوّل بأن يكون "وهم يلعبون" حالًا من ضمير الفاعل في استمعوه، و يكون "لاهيةً" حالًا من ضمير "يلعبون" والثاني بأن يكونا حالين من ضمير استمعوا.

قوله من قرأ لاهية بالرفع، هو ابن أبي عبلة، والقراء ة شاذّة. قوله من لها عنه لهوا و لَهِيَ لُهِيّا و لِهُيَانًا كدعا ورضي قوله عمّا يراد بها من المجازاة و عمّا يراد منها من الإيمان والطاعة قوله أبو بكر محمد بن عمر الحكيم، الوراق نسبة إلى بيع الورق، أصله من ترمذ، و أقام ببلخ، لقي أحمد بن خضرويه، و صحب محمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب و المعاملات. (إكليل)

قوله وبالغوا في إخفاء النجوى، جواب عمّا يقال من أن النجوى اسم من التناجي، فلا تكون إلّا خفية، فما=

﴿الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا﴾[٦] من واو «واسروا» إيذاناً بأنهم الموسومون بالظلم فيما أسروا به، أو جاء على لغة من قال:«أكلوني البراغيث»، أو هو مجرور المحل لكونه صفة أو بدلاً من الناس، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره «أسروا النجوى» فقدم عليه أي والذين ظلموا أسروا النجوى ﴿هَلْ هٰذَآ اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۚ اَفَتَاْتُوْنَ السِّحْرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَ۝﴾هذا الكلام كله في محل النصب بدل من النجوى أي وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بـ«قالوا» مضمراً والمعنى أنهم اعتقدوا أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون أنه سحر﴿قٰلَ رَبِّيْ﴾حمزة وعلي وحفص أي قال محمد. وغيرهم«قل ربي» أي قل يا محمد للذين أسروا النجوى ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ ۫﴾أي يعلم قول كل قائل[٧]هو في السماء أو الأرض سراً كان أو جهراً﴿وَهُوَ السَّمِيْعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيْمُ۝﴾بما في ضمائرهم. ﴿بَلْ قَالُوْٓا اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ بَلِ افْتَرٰىهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ۚ﴾أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام رآها في نومه فتوهمها وحياً من الله إليه، ثم إلى أنه كلام مفترى من عنده، ثم إلى أنه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج، والمبطل رجاع غير ثابت على قول واحد، ثم قالوا إن كان صادقاً في

= معنى قوله تعالى (و أسروا النجوى) أجاب عنه بأن معناه: بالغوا في إخفائها. (إكليل)

(٦) "الذين ظلموا" في الظاهر فاعل أسروا، والفاعل إذا كان مظهرًا فالفعل يكون واحدًا لكن الفعل ههنا للجمع فاحتاجوا إلى توجيه إعراب هذا الكلام بوجوه. (١)الفاعل واو "اسروا" والذين بدل منه إيذاناً بأنهم الخ (٢) الذين ظلموا هو الفاعل ، والواو في أسروا علامة الجمع أي حرف دال على الجمعية كواو قائمون، وتاء قامت، وهذه لغة لبعض العرب، وليست شاذّة ولا مستهجنة. (٣) الواو فاعل أسروا، والذين ظلموا صفة أو بدل من "الناس" في قوله اقترب للناس، فهو مجرور محلًا (٤) هو منصوب المحلّ على الذم بفعل مقدر، نحو أذمّ أو أعني. (٥) هو مبتدأ مؤخر و أسروا خبر مقدم، ولا ضير فيه، ولا لبس يمنع من تأخيره كما في "زيد قام" و أصله هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلًا على فعلهم بأنه ظلم (بيضاوي و خفاجي)

(٧) أشار به إلى أن اللام في "القول" للاستغراق، و ظرفية السماء والأرض للقول بتقدير القائل، فإن القول عرض يقوم بموضوعه وهو القائل، لا السماء والأرض. والقائل يوجد في السماء والأرض. وباعتباره يكون القول في السماء والأرض.

قوله أضغاث أحلام أي تخاليطها و أباطيلها، و أصل الأضغاث ما جُمع من أخلاط النبات وحُزم من أنواع الحشيش، الواحد ضِغْث (و في التنزيل : و خذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنَث ـ ٤٤ ص) فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من، أي أضغاث من أحلام (مدارك ـ سورة يوسف) المستعار منه حُزم النبات والمستعار له أجزاء الرويا، و الجامع التناثر والتفرق. و إنّما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة (كشاف، بيضاوي، مدارك) وهنا أي في سورة الأنبياء تصح الجمعية على الحقيقة أيضًا بادعائهم أن هذا الكلام من الملفَّقات التي رآها في منامات عديدة، قوله لجلج، اللجلجة والتلجلج: التردّد في الكلام. يقال الحق أبلَج، والباطل لجلج. الأبلج: المضئ المستقيم، واللجلج: المختلط الذي ليس بمستقيم (لسان العرب) قال المبرد : أي يتردّد فيه صاحبه، و لا يصيب منه=

دعواه وليس الأمر كما يظن﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾ بمعجزة ﴿كَمَآ أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ۝﴾ كما أرسل من قبله باليد البيضاء والعصا وإبراء الأكمه وإحياء الموتى. وصحة التشبيه في قوله «كما أرسل الأولون» من حيث إنه في معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك «أرسل محمد» و بين قولك «أتى بالمعجزة» فرد الله عليهم قولهم بقوله: ﴿مَآ آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾[٨] من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنٰهَا﴾ صفة لـ«قرية» عند مجيء الآيات المقترحة لأنهم طلبوها تعنتاً ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُوْنَ۝﴾ أي أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم أفيؤمن هؤلاء المقترحون لو أتيناهم بما اقترحوا مع أنهم أعتى منهم، والمعنى أن أهل القرى اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا هؤلاء ما يقترحون لنكثوا أيضاً. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا جواب قولهم هل هذا إلا بشر مثلكم ﴿نُّوْحِيْٓ إِلَيْهِمْ﴾ «نُوحِي» حفص ﴿فَسْـَٔلُوْٓا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالكتابين فإنهم يعرفون أن الرسل الموحى إليهم كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكة وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ۝﴾ ذلك. ثم بين أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله ﴿وَمَا جَعَلْنٰهُمْ جَسَدًا﴾ وحد الجسد لإرادة الجنس ﴿لَّا يَأْكُلُوْنَ الطَّعَامَ﴾ صفة لـ«جسداً» يعني وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ﴿وَمَا كَانُوْا خٰلِدِيْنَ۝﴾ كأنهم قالوا هلا كان ملكاً لا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= مخرجًا. اه. أمثال ميداني.(إكليل)
قوله الأكمه: الذي يولد أعمى.
قوله و صحّة التشبيه. الخ. جواب عمّا يختلج في الصدر من أن المشبه والمشبه به ليس بينهما وجه جامع فإن الإتيان بالآية وإرسال الأولين لامشابهة بينهما، و حاصل الجواب أن التشبيه باعتبار لازم الإرسال و تابعه، فإنه لا يخلو من الإتيان بالآية. قوله لا فرق ـ الخ ـ أورد عليه أن الفرق بينهما واضح، فإن إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بَعْثُه للخلق للتبليغ، و الإتيان بالمعجزة أمر آخر. و أجيب عنه بأنه لازم له في الواقع، فالمراد أنه كناية عنه (أي إرسال الرسول كناية عن الإتيان بالمعجزة) وهي أبلغ. (خفاجي)

(٨) قوله تعالى ما آمنت قبلهم الآية. كلام مستانف مسوق لتكذيبهم فيما تنبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد بالإيمان (أي قولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون يتضمّن وعدهم بأنه إن أتى بآية كالأولين آمنّا به) و بيانِ أنهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه، و أن في ترك الإجابة إليه إبقاءً عليهم، كيف لا، ولو أعطوا ما اقترحوا مع عدم إيمانهم قطعًا لوجب استئصالهم، لجريان سنة الله عز وجل في الأمم السالفة على أن المقترحين إذا أعطوا ما اقترحوه ثمّ لم يومنوا نزل بهم عذاب الاستئصال لا محالة، و قد سبقت كلمة الحق منه تعالى أن هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال. (أبو السعود)
قوله أعتى منهم هو أفعل من العُتُوّ وهو النُّبُوُّ عن الطاعة و بابه نصر (مفردات) و في اللسان: عتا يعتو عُتُوًّا و عِتِيًّا: استكبر و جاوز الحد. والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة.
قوله نكثوا، نكث العهدَ والحبلَ : نقضه و بابه نصر. اه. مختار الصحاح.
قوله نوحي بنون العظمة، بالبناء للفاعل حفص، والباقون بالياء مبنيًّا للمفعول.
قوله يعتمدون على قولهم فيجوز إلزام الحجة عليهم بقول معتمديهم.

يطعم ويخلد ، إما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين بقاءهم الممتد و حياتهم المتطاولة خلودا ﴿ثُمَّ صَدَقْنٰهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم والأصل في الوعد[9] مثل «وَاخْتَارَ مُوْسٰى قَوْمَهٗ» [الأعراف: ١٥٥] أي من قومه ﴿فَاَنْجَيْنٰهُمْ﴾ مما حل بقومهم ﴿وَمَنْ نَّشَآءُ﴾ هم المؤمنون ﴿وَاَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِيْنَ۝﴾ المجاوزين الحد بالكفر ودل الإخبار بإهلاك المسرفين على أن من نشاء غيرهم.

﴿لَقَدْ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكُمْ﴾[10] يا معشر قريش ﴿كِتٰبًا فِيْهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شرفكم إن عملتم به أو لأنه بلسانكم أو فيه موعظتكم أو فيه ذكر دينكم ودنياكم والجملة أي «فيه ذكركم» صفة لـ«كتاباً» ﴿اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ۝﴾ ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنوا ﴿وَكَمْ﴾[11] نصب بقوله: ﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي أهلها بدليل قوله: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرة وهي واردة عن غضب شديد وسخط عظيم لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم فإنه كسر بلا إبانة ﴿وَّاَنْشَاْنَا﴾ خلقنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا اٰخَرِيْنَ۝﴾ فسكنوا مساكنهم. ﴿فَلَمَّآ اَحَسُّوْا﴾ أي المهلكون ﴿بَأْسَنَآ﴾ عذابنا أي علموا علم حس ومشاهدة ﴿اِذَا هُمْ مِّنْهَا﴾ من القرية و «إذا» للمفاجأة و «هم» مبتدأ، والخبر ﴿يَرْكُضُوْنَ۝﴾ يهربون مسرعين، والركض ضرب الدابة

(٩) أي "الوعد" منصوب بنزع الخافض، و قيل إنه قد يتعدّى لمفعولين (خفاجي)

(١٠) قوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم) كلام مستانف مَسُوق لتحقيقِ حقيّة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراضَ الناس عمّا يأتيهم من آياته، واستهزائَهم به، وتسميتهم تارة سحرًا، و تارة أضغاث أحلام، و أخرى مفترىً و شعرا. و بيانِ علو رتبته إثر تحقيق رسالته صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم ببيانِ أنه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، قد صدّر بالتوكيد القَسَمي إظهارًا لمزيد الاعتناء بمضمونه ، و إيذانًا بكون المخاطبين في أقصى مراتب النكير. أي واللّٰه لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش (كتابًا) عظيم الشان نير البرهان. (أبو السعود) قوله تعالى (فيه ذكركم) جاء في تفسيره كلمات (١) عن ابن عباس : فيه شرفكم، رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. (٢) عن مجاهد: فيه حديثكم، رواه ابن أبي شيبة و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٣) عن الحسن البصري: فيه دينكم، رواه ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٤) عن السدّي: فيه ذكر ما تُعنَونَ به، و أمر آخرتكم و دنياكم. رواه ابن أبي حاتم. (در منثور) و للذكر معانٍ عند أهل اللغة. منها جَريُ الشيء على لسانك ، والصِّيت والثناء، والتذكير، والشرف والفخر، والمصنّف فسّر الشرف بشرط العمل وهو الشرف الديني، و العزّ الأخروي، و قوله "أو لأنه بلسانكم" ناظر إلى شرف الدنيا والصِّيت فيها، وقوله "موعظتكم" راجع إلى كون الذكر بمعنى التذكير، و قوله الآخر راجع إلى كون الذكر بمعنى الحديث و الإخبار عن شيء.

(١١) ذكر اللّٰه تعالى ما يرغّبهم إلى القرآن والتصديق به ثم أتبعه حال المكذّبين الذين أهلكوا، ليعتبروا و يتّعظوا بها فينزجروا عن التعنُّت والتكذيب.

قوله واردة عن غضب الخ ـ أي دالّة عليه، للتعبير فيها بالقَصُم، وهو كسر يُفرّق الأجزاء و يُذهب التئامها (أي يزيل تركّبها و تأليفها) ولذا أتى فيه بالقاف الشديدة، بخلاف الفصم بالفاء الرخوة فإنه لما لا إبانة فيه، فأتى بتركيب اللفظ على وفق المعنى. (خفاجي) قوله افظع الكسر أي أشنعه و أشدّه من فظع (ك) فظاعة، اشتدّ و شنُع وجاوز المقدار. والتلاؤم: الاجتماع والاتصال.

بالرجل فيجوز أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، أو شبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوْا﴾ والقائل بعض الملائكة ﴿وَارْجِعُوْٓا اِلٰى مَآ اُتْرِفْتُمْ فِيْهِ﴾ نعمتم فيه[١٢] من الدنيا ولين العيش. قال الخليل: المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه ﴿وَمَسٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُوْنَ﴾ أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غداً عما جرى عليكم ونزل بأموالكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعّمين المخدمين، أو يسألكم الناس في أنديتكم المعاون في نوازل الخطوب، أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحاب أكفكم، أو قال بعضهم لبعض: لا تركضوا وارجعوا إلى منازلكم وأموالكم لعلكم تسألون مالاً وخراجاً فلا تقتلون، فنودي من السماء يا لثارات الأنبياء وأخذتهم السيوف فثم ﴿قَالُوْا يٰوَيْلَنَآ اِنَّا كُنَّا ظٰلِمِيْنَ﴾ اعترافهم بذلك حين لا ينفعهم الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَتْ تِّلْكَ﴾ هي إشارة إلى يا ويلنا ﴿دَعْوٰىهُمْ﴾ دعاءهم و «تلك» مرفوع على أنه اسم «زالت» و «دعواهم» الخبر ويجوز العكس ﴿حَتّٰى جَعَلْنٰهُمْ حَصِيْدًا﴾ مثل الحصيد أي الزرع المحصود و لم يجمع كما لم يجمع المقدر ﴿خٰمِدِيْنَ﴾ ميتين خمود النار و

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٢) قوله نُعِّمْتُم. ماض مبني للمفعول، من التنعيم بمعنى الترفيه.

قوله تعالى: لعلكم تُسئلون. سأل إذا تعدى إلى المفعول الثاني بواسطة عن أو الباء يكون بمعنى الاستفسار، والاستخبار، و إذا تعدّى إليه بنفسه يكون بمعنى الطلب والاستعطاء. ففسّره المصنّف هنا بخمسة معانٍ. الأولان بالنظر إلى أنه متعد بعن والصلة محذوفة، و ما بعدهما بالنظر إلى أنه متعد بنفسه والمفعول الثاني محذوف.

قوله "و من ينفذ فيه"عطف على "عبيدكم" قوله المنعمين المخدمين. يقال : فلان منعَّم أي كثير المال حسَن الحال. والمخَدَّم من التخديم: الثّريّ الكثير الخَدَم. الأندية جمع النادى: مجلس القوم و موضع تحدّثهم فيما بينهم. المعاوِن جمع مَعُوْنة، وهي العون، يقال: ما أخلاني فلان من مَعاونه نوازل جمع النازلة، وهي الشديدة تنزل بالقوم الخطوب جمع خطب، وهو الشأن والأمر صغر أوعظم الوافدون وفد (ض) وفْدًا، وُفودًا، وِفادة على القوم و إليهم بمعنى قدِم و بمعنى ورد رسولًا. الطّمّاع جمع طامع (س) الراغب و الحريص. قوله يستمطرون سحاب أكفّكم. أكف جمع كفّ شبهها بالسحاب في النفع والإفادة، والإضافة في سحاب الأكف كما في لُجَين الماء، و ذكر الاستمطار ترشيح للتشبيه. قوله يا لثارات الأنبياء. اللام مفتوحة فيه للاستغاثة، والثأر أخذ الجاني والانتقام منه، و نداؤه مجاز، وقيل المراد به التعجب، وقيل : إنه على تقدير مضاف، أي يا أهل ثأراتهم والطالبين لدمهم ! احضروا لتُغيثونا. (خفاجي)

قوله مثلَ الحصيد، يشير إلى أنه تشبيه بليغ، أ ما "خامدين" فاستعارة، و جاز أن يجعلا من الاستعارة التصريحية التبعية في الصفة بأن يشبّه هلاك القوم بحصاد النبت و خمود النار في القطع والاستئصال كما في شرح المفتاح للسيد السند.

قوله ولم يجمع كما لم يجمع المقدر أي لفظ "مثل" فإنه يطلق على الواحد و غيره، لأنه مصدر في الأصل، أمّا لفظ "حصيدًا" فليس خبرا في الحقيقة (مفعولا جعل في الأصل جملة اسمية، فأصلهما مبتدأ و خبر) حتى يلزم مطابقته، والذي هو خبر في=

«حصيدا خامدين» مفعول ثان لـ«جعل» أي جعلناهم جامعين لمماثلة الحصد والخمود كقولك:«جعلته حلواً حامضاً» أي جعلته جامعاً للطعمين.﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لٰعِبِيْنَ﴾ اللعب[١٣] فعل يروق أوله ولاثبات له، ولاعبين حال من فاعل «خلقنا» والمعنى وما سوينا هذا السقف المرفوع و هذا المهاد الموضوع و ما بينهما من أصناف الخلق للّهو واللعب، و إنما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا. ثم نزه ذاته عن سمات الحدوث بقوله: ﴿لَوْ اَرَدْنَآ اَنْ نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي ولداً أو امرأة كأنه رد على من قال: عيسى ابنه ومريم صاحبته ﴿لَّاتَّخَذْنٰهُ مِنْ لَّدُنَّآ﴾ من الولدان أو الحور ﴿اِنْ كُنَّا فٰعِلِيْنَ﴾ أي إن كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقنا. وقيل: هو نفي كقوله: (وَاِنْ اَدْرِيْٓ) [الأنبياء: ١٠٩] أي ما كنا فاعلين ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ «بل» إضراب عن اتخاذ اللّهو وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا أن نتخذ اللّهو بل من سنتنا أن نقذف أي نرمي ونسلط ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ الشيطان أو بالإسلام على الشرك أو بالجد على اللعب

= الحقيقة (أي لفظ "مثل") يستوي فيه المفرد والجمع، كذا قيل ولا وجه له، فإن التشبيه البليغ مبني على الادّعاء،تقول "زيد أسد" مدعيًا أنه نفس الأسد، تريد أنّه بلغ في الشجاعة حدًّا لم يُبق فرقًا بينه و بين الأسد. فكأنه أسد بنفسه، لا شيء مماثل له. فالمشبه به في التشبيه البليغ هو المحمول والخبر ادّعاءً، و يلزم مطابقته فتقول: الرجل أسد، والرجال أسود، بل سبب عدم جمع الحصيد أن فعيلًا إذا كان بمعنى المفعول، يستوي فيه الواحد المذكر وغيره، فلا حاجة لتأويله بالجنس و نحوه. (خفاجي)

قوله "حصيدًا خامدين" مفعول ثان الخ، دفع لما يتوهم أن "جعل" نصب هنا ثلاثة مفاعيل وهو مما ينصب مفعولين فقط والدفع بأنهما بمنزلة شيء واحد كحلو حامض بمعنى مُزٍّ فحصيدًا خامدين بمعنى جامعين لمماثلة الحصيد والخمود في أنهم مستأصَلون، والخمود معطوف على مماثلة لا على الحصيد، لأنه استعارة كمامر. (خفاجي)

عن ابن عباس أن الآية نزلت في حَضور و سَحول قريتين باليمن تنسب إليهما الثياب، و في الحديث كفن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم في ثوبين سحوليين، وروي حضوريين. بعث اللّٰه إليهم نبيًّا فقتلوه، فسلّط اللّٰه عليهم بخت نصر كما سلّطه على أهل بيت المقدّس، فاستأصلهم، كأن القوم حصدوا بالسيف. و روي أنه لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء "يا لثارات الأنبياء". (تفسير النيسابوري)

(١٣) في ارتباط الآية بما قبلها قال أهل النظم لما بيّن إهلاك كثير من القرى لأجل ظلمهم و تكذيبهم. منها اللتان رواهما ابن عباس. أتبعه ما يدلّ على أنه فعل ذلك عدلًا و مجازاة. لا عبثًا و مجازفة. (مفاتيح الغيب والنيسابوري)

يروق (ن) يُعجب و يَسُرّ، السقف المرفوع: السماء كما جاء في التنزيل والسقف المرفوع (٥ ـ الطور) و جعلنا السماء سقفًا محفوظًا (٣٢ ـ الأنبياء) والمهاد الموضوع: الأرض، والوضع إثبات شيء مكانه، و ضد الرفع أيضًا. والمهد والمهاد: ما يمهّد و يُوَطّأ، و في القرآن: والأرض فرشناها فنعم الماهدون (١٨ ـ الذاريات) أ لم نجعل الأرض مهادًا (٦–النبا) الذي جعل لكم الأرض مهدًا. (٥٣ طه ـ ١٠ زخرف)

سمات جمع سِمة بمعنى العلامة، والفعل وَسَم (ض)

اللهو جاء تفسير اللهو هنا بالولد عن عكرمة والسدّي، و بالمرأة عن الحسن و قتادة و إبراهيم النخعي و عن إبراهيم في تفسير "من لدنا" من الحور العين (الدر المنثور) لكن الظاهر أن المراد باللهو كل ما يتلهى به، ليرتبط بما قبله ولأن نفي الولد سيجيء مصرحًا في قوله (و قالوا اتخذ الرحمٰن ولدًا سبحٰنه)

﴿فَيَدْمَغُهُ﴾فيكسره ويدحض الحق الباطل، وهذه استعارة لطيفة لأن أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي فكأنه قيل: بل نورد الحق الشبيه بالجسم القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله إبطال الجسم القوي الضعيف﴿فَإِذَا هُوَ﴾ أي الباطل﴿زَاهِقٌ﴾هالك ذاهب﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ⑱﴾الله به من الولد ونحوه.﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾خلقاً وملكاً فأنى يكون شيء منه ولداً له وبينهما تناف.ويوقف على«الأرض» لأن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾منزلة ومكانة لامنزلاً ولامكاناً يعني الملائكة مبتدأ خبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لايتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ⑲﴾ولا يعيون ﴿يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ⑳﴾حال من فاعل«يسبحون» أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا تتخلّله فترة بفراغ أو بشغل آخر فتسبيحهم جارٍ مجرى التنفس منا. ثم أضرب عن المشركين منكراً عليهم وموبخاً فجاء بـ«أم» التي بمعنى «بل»والهمزة فقال:﴿أَمِ اتَّخَذُوٓا اٰلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ㉑﴾يحيون الموتى(١٤)و«من الأرض» صفة لـ«الهة» لأن اٰلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالذهب والفضة والحجر أو تعبد في الأرض فنسبت إليها كقولك:«فلان من المدينة» أي مدني، أو متعلق بـ«اتخذوا» ويكون فيه بيان غاية الاتخاذ، وفي قوله: «هم ينشرون» زيادة توبيخ وإن لم يدعوا أن أصنامهم تحيي الموتى، وكيف يدعون ومن أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض الموات لأنه يلزم من دعوى الألوهية لها دعوى الإنشار، لأن العاجز عنه لا يصح أن يكون إلٰهاً إذ لا يستحق هذا الاسم إلا القادر على كل مقدور والإنشار من جملة المقدورات. وقرأ الحسن «ينشرون» بفتح الياء وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها أي أحياها. ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ اٰلِهَةٌ

قوله يُدْحضِ الحق الباطل، من الإفعال، دحضت حجته دحوضًا (ف) بطلت و أدحض حجّته: أبطلها (لسان العرب) والدمغ (ف) كسر الصاقورة عن الدماغ، والصاقورة: باطن القِحف المشرف على الدماغ.

قوله لا يُعيون من الإعياء وهو التعب، و حسر من (ن) و (ض) واستحسر: تعب و أعيا. قوله فترة أي انقطاع.

(١٤) قوله يحيون الموتى، الإحياء بيان معنى الإنشار، والموتى بيان لمفعوله المحذوف. و ذكر في "من الأرض" إعرابين. الأول أن يكون صفة لآلهة بمعنى آلهة كائنة من الأرض أي آلهة متخذة من جواهر الأرض، أو بمعنى آلهة أرضية، و نسبتها إلى الأرض لكونها لا تعبد إلّا في الأرض. والثاني أن يتعلق باتخذوا و من لابتداء الغاية، فالمعنى مبدأ اتخاذهم من الأرض.

ولما ورد ههنا أنهم لم يدّعوا صفة إحياء الموتى لآلهتهم أجاب عن ذلك بأن قوله "هم ينشرون" لزيادة التوبيخ و تأكيد جهلهم بأن إثبات الإلٰهية لأحد يتطلّب أن يكون ذلك قادرًا على جميع الممكنات و من جملة ذلك إحياء الموتى، ولما لم يقدروا على شيء من الإحياء فاتخاذهم آلهة من سفاهتهم الواضحة.

﴿إِلَّا اللهُ﴾(١٥) أي غير الله وصفت اٰلهة بـ«إلا» كما وصفت بـ«غير» لو قيل اٰلهة غير الله، ولا يجوز رفعه على البدل لأن «لو» بمنزلة «إن» في أن الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ إلا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ [هود:٨١] ولا يجوز نصبه استثناء لأن الجمع إذا كان منكراً لا يجوز أن يستثنى منه عند المحققين لأنه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء، والمعنى لو كان يدبر أمر السماوات والأرض آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لخربتا لوجود التمانع وقد قررناه في أصول الكلام.ثم نزه ذاته فقال: ﴿فَسُبْحٰنَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُوْنَ﴾ من الولد والشريك.﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه المالك على الحقيقة، ولو اعترض على السلطان بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطأ عليه وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفهاً، فمن هو مالك الملوك ورب الأرباب وفعله صواب كله أولى بأن لا يعترض ....

(١٥) قوله إِلَّا اللّٰه ذكر هنا أن إلّا بمعنى غير، صفة لآلهة، و أبطل سوى ذلك من احتمالين، الأول أن يكون اسم الجلالة مرفوعًا لكونه بدلًا عن المستثنى منه، فقال ذلك لا يجوز، لأن البدل يكون في الكلام غير الموجب ، وهو ما يشتمل على نفي أو نهي أو استفهام، و هنا ليس شيء منها، لأن الكلام مع "لو" موجب، لأنه بمنزلة إنّ. والثاني أن يكون منصوبًا لكونه مستثنى، فقال ذلك أيضًا لا يجوز، لأن الاستثناء يأتي حيث يدخل المستثنى في المستثنى منه لو لم يكن الاستثناء، والجمع المنكّر ليس بهذه المثابة. فإن الطلبة إذا نجحوا سوى بكر، وقلتَ "نجح الطلبة" فهم منه نجاحهم جميعًا فاحتجتَ أن تقول: إلّا بكرًا، أو إلّا واحدًا و إذا قلت "نجح طَلَبَةٌ" ـ بالجمع المنكر ـ فهم منه نجاح جمعٍ منهم، لا نجاح الجميع، فلا تحتاج إلى شيء من الاستثناء، لأن عدم نجاح البعض مفهوم من أصل كلامك. و "آلهةٌ" جمع منكر فلا يكون ما بعده مستثنىً، ولا منصوبًا بسبب الاستثناء. فتقرر أن قوله "إِلّا اللّٰه" بمعنى "غير اللّٰه" وهو صفة لآلهة.

قوله: "اِلَّا امرأتك" بالرفع ابن كثير و أبو عمرو، و الباقون بالفتح. الرفع على البدلية، و النصب على الاستثناء. والاستشهاد هنا على قراءة الرفع.

قوله لوجود التمانع، التمانع من التفاعل وهو أن يمنع أحدهما الآخر. تقريره أنه لو أمكن إلٰهان لأمكن بينهما تمانع، بأن يريد أحدهما حركة زيد والآخر سكونه، إذ كل منهما أمر ممكن، و كذا تعلق الإرادة بكل منهما، إذ لا تضادّ بين الإرادتين، بل بين المرادين. و حينئذ إمّا أن يحصل الأمران فيجتمع الضدّان، أو لا، فيلزم عجز أحدهما، وهو أمارة الحدوث والإمكان، لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحال، فيكون محالًا.

هذا الدليل أخذه المتكلمون من الآية إشارة، والدليل الثاني أخذوه من منطوق الآية صراحة، وهو أن تعدد الآلهة موجب لوجود التمانع والتغالب كما هو معهود عند تعدد الحاكم، و ذلك يؤدي إلى فساد النظام. وهذا من العلوم العادية، وهي داخلة في العلم القطعي، فإن ما تقرر بحكم العادة و التجربة من أقسام البرهان، و إن أمكن فرض نقيضه، بل قد يقع صدق نقيضه، كالعلم بأن شرب الماء الصافي البارد يقمع العطش ، و إن وقع خلاف ذلك لمريض الاستسقاء لكنه لا يخلّ بما لدينا من العلم القطعي في إزالة الماء العطش. كذا نستيقن أن الجبل الذي رأيناه حجرًا هو الآن حجر، و دارنا التي عهدنا مكانها في القرية الفلانية، هي الآن مكانها ، و إن أمكن غيرها بخرق العادة لكرامة ولي و نحو ذلك. فإن هذا الإمكان لا يقدح فيما عندنا من اليقين.

والعادة المستمرة التي لم يعهد قط اختلالها في ملِكين مقتدرين في مدينة واحدة عدم الإقامة على موافقة كل للآخر في كل جليل و حقير، بل تأبى نفس كل، و تطلب الانفراد بالمملكة والقهر،=

عليه[١٦] ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُوْنَ﴾ لأنهم مملوكون خطاؤون فما أخلقهم بأن يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه. وقيل: وهم يسئلون يرجع إلى المسيح والملائكة أي هم مسئولون فكيف يكونون آلهة والألوهية تنافي الجنسية والمسئولية ﴿أَمِ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهٖٓ اٰلِهَةً﴾ الإعادة لزيادة الإفادة[١٧] فالأول للإنكار من حيث العقل، والثاني من حيث النقل أي وصفتم الله تعالى بأن يكون له شريك فقيل لمحمد ﷺ ﴿قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجّتكم على ذلك وذا عقلي وهو يأباه كما مر، أو نقلي وهو الوحي وهو أيضاً يأباه فإنكم لا تجدون كتاباً من الكتب السماوية إلا وفيه توحيده وتنزيهه عن الأنداد ﴿هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ﴾ يعني أمته ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِيْ﴾ يعني أمم الأنبياء من قبلي وهو وارد في توحيد الله ونفي الشركاء عنه . «مَعِيَ» حفص . فلما لم يمتنعوا عن كفرهم أضرب عنهم فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ الْحَقَّ﴾ أي القرآن وهو نصب بـ«يعلمون» وقرىء «الحق» أي هو الحق ﴿فَهُمْ﴾ لأجل ذلك ﴿مُّعْرِضُوْنَ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا نُوْحِيْٓ اِلَيْهِ﴾ «إِلاَّ نُوحِي» كوفي غير أبي بكر وحماد ﴿أَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاعْبُدُوْنِ﴾ وحدوني فهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فكيف بإلٰهين؟ والإلٰه يوصف بأقصى غايات التكبر ـ كيف لا يطلب لنفسه الانفراد بالملك والعلو على الآخر؟ كما أخبر سبحانه بقوله: و لعلا بعضهم على بعض، هذا لاتكاد النفس تُخطر نقيضه، و إنّما غلط من قال غير هذا من قِبَل أنه إذا أخطر النقيض ـ أعني دوام اتفاقهما ـ لم يجده مستحيلًا في العقل، و نَسِي أنه لم يوخذ في مفهوم العلم القطعي استحالة النقيض، بل الماخوذ مجرّد الجزم عن موجب بأن الآخر هو الواقع، و إن كان نقيضه لم يستحِل وقوعه، و بهذا ظهر أن الآية حجّة برهانية تحقيقية لا إقناعية. (المعتقد المنتقد بتلخيص و توضيح)

(١٦) قوله لو اعترض شرط و قوله لا ستُقبح جزاء، و عُدّ سَفَها معطوف على الجزاء. وفاعلُ اعترض ، بعض عبيده، و جوازِ الخطأ و عدم الملك معطوفان على وجود التجانس و قوله فمن مع الصلة مبتدأ، خبره أولى.

أي العبد والسلطان متجانسان فإنهما من الإنس، والسلطان ليس بمعصوم عن الخطأ، ولا يملك السلطانُ عبده ملكًا حقيقيًّا مع ذلك اعتراض العبد على السلطان يُحسب قبيحًا و يُعدّ سفاهة. والله مالك حقيقة، وهو مالك الملوك، ولا يجوز عليه الخطأ، و فعله كلّه صواب فالاعتراض عليه أقبح القبائح. و غاية السفه، وهو أحقّ و أولى بأن يتنزّه جنابه عن الاعتراض عليه. قوله فما أخلقهم فعل التعجب، ما أخلقه، وأخلِقْ به بمعنى ما أجدره، و أجْدِربه، وهو خليق لكذا أي جدير به. أي من كان مملوكًا، مطبوعًا على الخطأ جدير به أن يعترض عليه، و يُسأل عن كل ما فعل.

(١٧) سبق قبلَ آيتين قوله "أم اتخذوا آلهة" فذكر فائدة التكرار. قوله الأنداد جمع نِدٍّ بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضادّه في أموره، أي يخالفه، و يريد بها ماكانوا يتخذونه آلهة من دون الله، تعالى الله. (لسان العرب) قوله معي بفتح الياء قرأه حفص وحده، والباقون بالإسكان. قوله قرئ أي شاذًا الحق بالرفع ، قارئه الحسن وابن مُحَيصِن ، والجمهور بالنصب قوله الانوحي بالنون مبنيًّا للفاعل كوفي غير أبيبكر شعبة عن عاصم و حماد بن زياد عن عاصم أي (نوحي) قرأه حفص و حمزة والكسائي و خلف، والباقون (يُوحىٰ) بضم الياء من تحت، و فتح الحاء مبنيًّا للمفعول (إكليل) وهذا تعميم بعد تخصيص، أقام الحجّة عليهم بأن القرآن و ما قبله من الكتب الثلثة وارد في التوحيد و نفي الشرك ، ثمّ عمّم ذلك بأن كل رسول أوحى إليه الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

﴿سُبْحٰنَهٗ﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله فنزه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُوْنَ﴾ أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة ﴿لَا يَسْبِقُوْنَهٗ بِالْقَوْلِ﴾ أي بقولهم فأنيبت اللام مناب الإضافة، والمعنى أنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُوْنَ﴾ أي كما أن قولهم تابع لقوله فعملهم أيضاً مبني على أمره لا يعملون عملاً لم يؤمروا به [١٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم ﴿وَلَا يَشْفَعُوْنَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضٰى﴾ أي لمن رضي الله عنه وقال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهٖ مُشْفِقُوْنَ﴾ خائفون. ﴿وَمَنْ يَّقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ﴿اِنِّيْٓ اِلٰهٌ مِّنْ دُوْنِهٖ﴾ من دون الله «إِنِّيَ» مدني وأبو عمرو ﴿فَذٰلِكَ﴾ مبتدأ أي فذلك القائل. خبره ﴿نَجْزِيْهِ جَهَنَّمَ﴾ وهو جواب الشرط ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰلِمِيْنَ﴾ الكافرين الذين وضعوا الإلهية في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادةوالضحاك: قدتحقق الوعيد في إبليس فإنه ادعى الإلهية لنفسه ودعا إلى طاعة نفسه وعبادته.

﴿اَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا﴾ «ألم ير» مكي[١٩] ﴿اَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ كَانَتَا﴾ أي جماعة السماوات وجماعة الأرض فلذا لم يقل كن ﴿رَتْقًا﴾ بمعنى المفعول أي كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله نزلت في خزاعة. وهي قبيلة معروفة، والآية شاملة لكلّ من نسب له ذلك كالنصارى (خفاجي) و نقل الواحدي أن قريشًا و بعض أجناس العرب جهينة، و بني سلمة، و خزاعة، وبني مُلَيح يقولون ذلك (أبو السعود) و أضافوا إلى ذلك أنه تعالى صاهر الجن، على ما حكى الله تعالى عنهم فقال: (و جعلوا بينه وبين الجنّة نسبًا). مفاتيح الغيب.

(١٨) كأنه قيل: هم بأمره يقولون، و بأمره يعملون، لا بغير أمره أصلًا. فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره، لا إلى أمر غيره و قوله (يعلم ما بين أيديهم) الآية استيناف وقع تعليلًا لما قبله، و تمهيدًا لما بعده ، فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا و أخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم، فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى ... وهم مع ذلك من خشيته عز و جل مشفقون، مرتعدون. و أصل الخشية: الخوف مع التعظيم، ولذلك خص بها العلماء، و الإشفاق : الخوف مع الاعتناء. (أبو السعود)

قوله إني بفتح الياء مدني أي نافع من السبعة و أبو جعفر من العشرة، و أبو عمرو البصري ، والباقون بالإسكان.

(١٩) قوله ألم ير بحذف الواو بعد همزة الاستفهام التوبيخي قرأه ابن كثير المكي، والباقون بإثبات الواو عطفًا على السابق (إكليل).

اعلم أنه سبحانه و تعالى شرع الآن في الدلائل الدالّة على وجود الصانع. و ذكر هنا ستة أنواع من الدلائل. و هذه الدلائل أيضًا دالّة على كونه منزهًا عن الشريك. لأنها دالة على حصول الترتيب العجيب في العالم، و وجود الإلٰهين يقتضي وقوع الفساد. و فيها أيضًا رد على عبدة الأوثان من حيث أن الإلٰه القادر على مثل هذه المخلوقات الشريفة كيف يجوز في العقل أن يُعدل عن عبادته إلى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع. فهذا وجه تعلق الآية بما قبلها.

قوله فلذا لم يقل كنّ سوال و جواب أي كلمة السموات مع عطف الأرض عليها تقتضي أن يقال" كنّ فإن حكم جمع الإناث أن يقال في قليله كنّ و في كثيره كانت (ابن جرير) والجواب أن المراد هذان الصنفان. جماعة السموات صنف، و جماعة الأرض صنف آخر ، و باعتبارهما ورد ضمير المثنى للإناث.

صلح أن يقع موقع مرتوقتين ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ فشققناهما، والفتق الفصل بين الشيئين والرتق ضد الفتق. فإن قيل: متى رأوهما رتقاً حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلنا: إنه وارد في القرآن الذي هو معجزة فقام مقام المرئي المشاهد، ولأن الرؤية بمعنى العلم وتلاصق الأرض والسماء وتباينهما جائزان في العقل، فالاختصاص بالتباين دون التلاصق لا بد له من مخصص وهو القديم جل جلاله. ثم قيل: إن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي فصلنا بينهما بالهواء. وقيل: كانت السماوات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى وجعلها سبع سماوات، وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع أرضين. وقيل: كانت السماء رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله: (وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ) [النور: ٤٥] أو كأنما خلقناه من الماء لفرط احتياجه إليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله: (خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ)[الأنبياء:٣٧] ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ٣٠﴾ يصدقون بما يشاهدون. ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾[٢٠] جبالاً ثوابت من رسا إذا ثبت ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ لئلا تضطرب بهم فحذف «لا» و اللام، وإنما جاز حذف «لا» لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في (لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ) [الحديد:٢٩] ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا﴾ أي طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع ونصب على الحال من ﴿سُبُلٗا﴾ متقدمة، فإن قلت: أي فرق بين قوله تعالى: (لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا) [نوح:٢٠] وبين هذه؟ قلت: الأول للإعلام بأنه جعل فيها طرقاً واسعة، والثاني لبيان أنه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم ثم ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ٣١﴾ ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة. ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ في موضعه عن السقوط كما قال: (وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله حتى جاء تقريرهم. الاستفهام في قوله "أو لم ير الذين كفروا" للتقرير والتوبيخ. أي إنهم قد رأوا ذلك، فكان عليهم أن يعرفوا الخالق المنعم، و يعتقدوا وحدته و نزاهته عن الشرك.

قوله ثم قيل الخ القول الأول مروي عن الحسن و قتادة، والثاني عن مجاهد و أبي صالح والسدي. والثالث عن عكرمة، و عطية، و ابن زيد، وابن عباس رضي الله تعالى عنهم و اختاره ابن جرير، و رجّحه الجمهور.

روي ابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن رجلًا أتاه فسأله عن (السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما) قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعالَ فأخبرني ما قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله قال: نعم كانت السماء رتقآء لاتمطر و كانت الأرض رتقاء لاتنبت، فلمّا خلق الله للأرض أهلًا فتق هذه بالمطر و فتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر : الآن علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علمًا. صدق ابن عباس هكذا كانت. (و في رواية) قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علمًا. (ابن كثير، در منثور)

(٢٠) قوله رواسي جمع راسية، و وصفُ جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء ممّا لا ريب في صحته، كقوله تعالى: أشهر معلومات. و أياما معدودات (أبو السعود) قوله أن تميد ماد الشيء يميد ميدًا: مال و تحرك. قال الراغب: هو اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض.

عَلَى الْاَرْضِ اِلَّا بِاِذْنِهٖ) [الحج: ٦٥] أو محفوظاً بالشهب عن الشياطين كما قال: (وَحَفِظْنٰهَا مِنْ كُلِّ شَيْطٰنٍ رَّجِيْمٍ) [الحجر: ١٧] ﴿وَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿عَنْ اٰيٰتِهَا﴾ عن الأدلة التي فيها كالشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُوْنَ﴾ غير متفكرين فيها فيؤمنون. ﴿وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ الَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتتصرفوا فيه ﴿وَالشَّمْسَ﴾ لتكون سراج النهار ﴿وَالْقَمَرَ﴾ ليكون سراج الليل ﴿كُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه أي كلهم والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع، وجمع جمع العقلاء للوصف[٢١] بفعلهم وهو السباحة ﴿فِيْ فَلَكٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: الفلك السماء. والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم و «كل» مبتدأ خبره ﴿يَّسْبَحُوْنَ﴾ يسيرون أي يدورون والجملة في محل النصب على الحال من الشمس والقمر ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾[٢٢] البقاء الدائم ﴿اَفَاۡئِنْ مِّتَّ﴾ بكسر الميم مدني وكوفي غير أبي بكر ﴿فَهُمُ الْخٰلِدُوْنَ﴾ والفاء الأول لعطف جملة على جملة والثاني لجزاء الشرط، كانوا يقدرون أنه سيموت فنفى الله عنه الشماتة بهذا أي قضي الله أن لا يخلد في الدنيا بشر أفإن مت أنت أيبقى هؤلاء. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوْكُمْ﴾ ونختبركم سمي ابتلاء وإن كان عالماً بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لأنه في صورة الاختبار ﴿بِالشَّرِّ﴾ بالفقر والضر ﴿وَالْخَيْرِ﴾ الغنى والنفع ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكد لـ«نبلوكم» من غير لفظه ﴿وَاِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَ﴾ فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر. وعن ابن ذكوان «ترجعون».

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢١) قوله وجمع جمع العقلاء ضمير جمع المذكر و كذا صيغته يختصان بالعقلاء، والطوالع ليست من العقلاء، أجاب عنه بأنها نُزّلت منزلة العقلاء لاتصافها بالسباحة الخاصّة بالعقلاء. قوله في فلك قال الإمام: الفلك في كلام العرب كل شيء دائر، و جمعه أفلاك (مفاتيح) قال القرطبي: و أصل الكلمة من الدوران، و منه فَلكة المِغزل لاستدارتها. قوله والجمهور ـ الخ ـ و على قول الجمهور جميع النجوم تحت السماء، في هذا الفضاء الواسع الذي لاندرك كُنه طوله و عرضه و أبعاده.

(٢٢) قوله و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. لما أقام أنواع الدلائل الستة و بين منافعها نبّه على أن هذه الآثار لا تدوم، و لا تخلق للبقاء، و إنّما خلقت للابتلاء و الامتحان، و لكي يتوصّل بها المكلفون إلى السعادات المدخرة لهم في الآخرة وهي دار الخلود. و بوجه آخر: لما فرغ من دلائل الآفاق شرع في دلائل الأنفس فقال: و ما جعلنا ـ الآية ـ (مفاتيح الغيب والنيسابوري)

قوله مِتّ بكسر الميم قرأه نافع، و حفص ، و حمزة، والكسائي، و خلف. والباقون بالضم.

قوله والثانية لجزاء الشرط. والهمزة للإنكار، أي إنكار مضمون الجملة الشرطية، وهي في الحقيقة لإنكار الجزاء وهو الخلود، أي إن مت أفهم الخالدون. قوله الشماتة من سمع: الفرح ببلية العدوّ قوله لأنه في صورة الاختبار. جواب عمّا يرد أن الاختبار يكون حيث لا يُدرى باطن الحال، والله عليم بكلّ شيء في الأزل.

قوله وعن ابن ذكوان، هو يروى عن عبد الله بن عامر الشامي، ولم أجد هذا في كتب القراء ة. بل قراء ة تَرجعون مبنيًّا للفاعل ليعقوب الحضرمي من العشرة. و لعلها رواية عن ابن ذكوان أيضًا.

﴿وَإِذَا رَاٰكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِنْ يَّتَّخِذُوْنَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿اِلَّا هُزُوًاؕ﴾ مفعول ثان لـ«يتخذونك» نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[٢٣] ﴿اَهٰذَا الَّذِىْ يَذْكُرُ﴾ يعيب ﴿اٰلِهَتَكُمْۚ﴾ والذكر يكون بخير وبخلافه فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فذم ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي بذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية ﴿هُمْ كٰفِرُوْنَ۝﴾ لا يصدقون به أصلاً فهم أحق أن يتخذوا هزواً منك فإنك محق وهم مبطلون. وقيل: بذكر الرحمن أي بما أنزل عليك من القرآن هم كافرون جاحدون، والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزواً وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله تعالى، وكرر «هُمْ» للتأكيد، أو لأن الصلة حالت بينه وبين الخبر فأعيد المبتدأ ﴿خُلِقَ الْاِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍؕ﴾ فسر بالجنس. و قيل : نزلت حين كان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب. والعجل والعجلة مصدران، وهو تقديم الشيء على وقته، والظاهر أن المراد الجنس وأنه ركب فيه العجلة فكأنه خلق من العجل ولأنه يكثر منه، والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم: «خلق من الكرم». فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ثم منعه وزجره كأنه قال: ليس ببدع منه أن يستعجل فإنه مجبول على ذلك وهو طبعه وسجيته فقد ركب فيه. وقيل: العجل الطين بلغة حِمْيَر قال شاعرهم:[٢٤] والنخل ينبت بين الماء والعجل❖ وإنما منع عن الاستعجال وهو مطبوع عليه كما أمره بقمع الشهوة وقد ركبها فيه، لأنه أعطاه القوة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة و «من عجل» حال أي عجلاً ﴿سَاُورِيْكُمْ اٰيٰتِىْ﴾ نقماتي ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوْنِ۝﴾ بالإتيان بها وهو بالياء عند يعقوب وافقه

(٢٣) أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي رحمه اللّه قال: مر النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلم على أبي سفيان و أبي جهل، وهما يتحدّثانِ فلمّا رآه أبو جهل ضحك و قال لأبي سفيان: هذا نَبي بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي، فسمعها النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلم فرجع إلى أبي جهل فوقع به و خوّفه و قال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب عمّك. وقال لأبي سفيان: أما إنّك لم تقل ما قلت إلّا حميّة. فنزلت هذه الآية. (در منثور و لباب النقول)

قوله والعجل والعجلة بفتحتين فيهما من سمع. بيّن معنيين لكون الإنسان مخلوقًا من عجل (١) تركيب العجل في طبعه (٢) كثرة صدوره منه.

قوله: مطبوع عليها: أي جُعلت العجلة طبعًا و غريزة له، والمطبوع عليه بمعنى المخلوق عليه. قوله ثم منعه و زجره كما يأتي قوله: فلا تستعجلون. قوله ليس ببدْع منه أي غريب منه، مجبول أي مخلوق سَجِيَّة: الطبع والخُلُق. حِمير بكسر الحاء و سكون الميم و ياء مفتوحة ثم رآء. قبيلة معروفة.

(٢٤) استشهد به أبو عبيدة. و أوّله: النَّبُعُ في الصخرة الصمّاءِ مَنبتُه. (خفاجي)

قوله نَقِماتي جمع نَقِمة بمعنى الانتقام، و فسّره به لأنه المناسب للمقام، وهي آية، لكونها تصديقًا لما وعد به. وقوله بالإتيان بها أي لا تطلبوا تعجيل الإتيان بها قوله وهو بالياء -أي تستعجلوني- في الحالين أي وصلًا و وفقًا عند يعقوب بن إسحاق البصري (من العشرة) وافقه سهل بن محمد السجستاني، و عياش بن الفضل عن أبي عمرو البصري في الوصل. (إكليل)

سهل وعياش في الوصل. ﴿وَيَقُوْلُوْنَ مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ﴾ إتيان العذاب أو القيامة ﴿اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ قيل: هو أحد وجهي استعجالهم ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا حِيْنَ لَا يَكُفُّوْنَ عَنْ وُّجُوْهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُوْرِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ﴾ جواب «لو» محذوف و «حين» مفعول به لـ«يعلم» أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه بقولهم:«متى هذا الوعد»وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصراً ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ﴿بَلْ تَأْتِيْهِمْ﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾فتحيرهم أي لا يكفونها بل تفجأهم فتغلبهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ رَدَّهَا﴾ فلا يقدرون على دفعها ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُوْنَ﴾ يمهلون ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾فحل ونزل ﴿بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ﴾ جزاء ﴿مَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِءُوْنَ﴾[٢٥] سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له في الأنبياء أسوة وأن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا.

﴿قُلْ مَنْ يَّكْلَؤُكُمْ﴾[٢٦] يحفظكم ﴿بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِ﴾ أي من عذابه إن أتاكم ليلاً أو نهاراً ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُوْنَ﴾ أي بل هم معرضون عن ذكره ولا يخطرونه ببالهم فضلاً أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكاليء فصلحوا للسؤال عنه، والمعنى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله لو يعلم الذين كفروا شرط، والجزاء المحذوف أظهره المصنّف بقوله لَمَا كانوا بتلك الصفة. و "الذين كفروا" فاعل يعلم، وُضع موضع الضمير للتنبيه على أن سبب الاستعجال هو كفرهم، أو على أن علّة إحاطة النار بجوانبهم هو كفرهم. فإن الوصف يشعر بالعلّية. و قوله حين مع ما أضيف إليه من الجملتين مفعول "يعلم". والعلم هنا بمعنى المعرفة فلايطلب مفعولا ثانيًا. و قوله لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، يدلُّ على أنّ النار تحيط بهم من كل جانب، و تخصيص الوجوه و الظهور بالذكر ـ بمعنى القدام والخلف ـ لكونهما أشهر الجوانب، و لأن الإحاطة بهما تستلزم الإحاطةَ بالكل. و يدُل على أنهم لا يقدرون على دفعها من أي جانب بأنفسهم و قوله ولاينصرون يدلّ على حرمانهم النصرة في دفعها من جهة الغير، فالحاصل أنّ النار في ذلك الحين تحيط بهم، ولا تُدفع عنهم بقوة أنفسهم ولا بقوة غيرهم، بل لايكون لهم ناصر أصلا و لايجدون من النصرة شيئًا والمعنى لو يعلمون ذلك الحين لما كانوا مستمرّين على الكفر والاستهزاء والاستعجال.

وعبارة المصنّف : وهو وقت تحيط بهم فيه النار من وراءُ و قدّامُ (مبنيين على الضم، لأن الضمير المضاف إليه منويّ) فلا يقدرون ـ الخ ـإيضاح لما يُفهم من كلامه عزّ و جلّ.

قوله هوّنه أي جعله هيّنًا ، سهلًا وحقيرًا.

(٢٥) قوله جزاءُ (ما كانوا به يستهزؤن) فاعلُ "حاق" ولم ينزل بالساخرين عينُ ما سخِروا به، بل نزل بهم عقابه و جزاؤه، لكنّه حُذف من الكلام إيجازًا فأظهره المصنّف.

(٢٦) قل من يكلؤكم ـ كَلأ يكْلَأ كَلْأً و كِلاءً و كِلاءةً: اللّٰه فلانًا : حَرَسَه و حفِظَه، و بابه فتح. والكالئ الحافظ.

اعلم أنّه تعالى لما بين أن الكفار في الآخرة لايكفون عن وجوههم النار بسائر ما وصفهم به أتبعه بأنهم في الدنيا أيضًا لم يَبقَوا في السلامة لولا أن اللّٰه تعالى يحرسهم و يحفظهم، فقال لرسوله صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم: قل لهولاء الكفّار الذين يستهزؤن و يغترّون بما هم عليه من السلامة (من يكلؤكم بالليل والنهار) ـ مفاتيح الغيب.

أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالىء، ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر من يكلؤهم. ثم أضرب عن ذلك بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا﴾ لما في «أم» من معنى «بل» فقال: ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا. ثم استأنف بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره . ثم قال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي ما هم فيه من الحفظ و الكلاءة إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعاً لهم بالحياة الدنيا وإمهالاً كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وظنوا أنهم دائمون على ذلك وهو أمل كاذب﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ أي ننقص أرض الكفر(٢٧) ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها و ردّها دار إسلام، وذكر«نَأْتِي»يشير بأن الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾أفكفار مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أطراف أرضهم أي ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنصرنا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ أخوفكم من العذاب بالقرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ بفتح الياء والميم ورفع الصم، «ولا تسمع الصم» شامي على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ يخوفون. واللام في «الصم» للعهد وهو إشارة إلى هؤلاء المنذرين، والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا ما أنذروا.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تتجاوز منعنا و حفظنا، هو معنى قوله "من دوننا" فإن (دون) يُستعمل بعد الاتساع في كل تجاوز حدّ إلى حدّ و تخَطّي أمر إلى آخر، فهو صفة بعد صفة، أو حال من فاعل تمنعهم. (خفاجي)

(٢٧) قوله أرض الكفر فاللام في قوله تعالى "الأرض" للعهد. قوله وذكرنا تي يشير الخ. أي لم يقل إنّا ننقص الأرض من أطرافها و زاد قوله "ناتي الأرض" لتصوير كيفية نقصها، فإنه بإتيان الجيوش و دخولها. فأصله "تأتي جيوش المؤمنين" لكنه أسنده لنفسه تعظيمًا لهم، و إشارةً إلى أنه بقدرته و رضاه ، وفيه تعظيم للجهاد و المجاهدين. وهذه الآية مدنية نازلة بعد فرض الجهاد كما في الإتقان، فلا يرد أن السورة مكيّة والجهاد فُرض بعدها، حتى يقال: إنّها إخبار عن المستقبل. (خفاجي)

قوله أخوفكم الخ التخويف بيان معنى الإنذار، ومن العذاب بيان المنذر منه: و بالقرآن إشارة إلى أن اللام في 'الوحي" للعهد. قوله بفتح الياء والميم و رفع الصم قرأه غير ابن عامر، ولا تسمع بضم التاء من فوق ، وكسر الميم، و نصب الصم والدعاء على أنهما مفعولان قرأه ابن عامر الشامي.

قوله للدلالة على تصامّهم، التصامّ : إظهار الصمم بالتكلف، وهو من دلالة الحال لا من اللفظ (خفاجي) وجه الدلالة أن تعريف الصُّم للعهد، والمعهود هولاء المنذرون، وهم ليسوا بصم حقيقة، فلمّا سُمّوا صما دل على أنهم شبهوا بالصم لتصامهم و عدم انتفاعهم بما يسمعون. (شيخ زاده)

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ دفعة يسيرة ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ صفة لـ«نفحة» ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أي ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به[٢٨] أدنى شيء لذلوا ودعوا بالويل على أنفسهم وأقروا أنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا، وقد بولغ حيث ذكر المس والنفحة لأن النفح يدل على القلة يقال نفحه بعطية: رضخه بها مع أن بناءها للمرة. وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال: نفحته الدابة وهو رمح لين، ونفحه بعطية رضخه والبناء للمرة. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ جمع ميزان وهو ما يوزن به الشيء فتعرف كميته. وعن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان. [٢٩]وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها كما في قوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] والوزن لصحائف الأعمال في قول: ﴿الْقِسْطَ﴾ وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في نفسها قسط، أو على حذف

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٨) قوله من هذا الذي ينذرون به، ذكره للدلالة على شدة ارتباطه بما قبله. قوله أدنى شيء بيان معنى "نفحة" قوله رضخه بها، رضخ من(ف)أعطاه قليلًا من العطاء، قوله ثلاث مبالغات إحداها في ذكر المسّ، والثانية في لفظ النفح الدال على القلّة، والثالثة في بناء المرّة، و زاد السكاكي رابعة، وهي التنكير في "نفحة" قوله رمح بفتح الراء و سكون الميم و بابه فتح، رمح الفرس والبغل والحمار و كلُّ ذي حافر: ضرب برجله، و في لسان العرب: نفحت الدابة (ف) رمحت برجلها و رَمتُ بحدّ حافرها و دفعتُ. اه. ففي لفظ النفح أيضًا معنى القلة ، وهو الدفع الليّن اليسير.

(٢٩) الكِفّة بالكسر: كل شيء مستدير، كدارة الوشم، و عُود الدُّف، و حِبالة الصائد، والجمع: كِفَف و كِفاف. و كفّة الميزان الكسر فيها أشهر، و قد حكي فيها الفتح و أباها بعضهم ـ و لسانُ الميزان: عَذَبتُه. أنشد ثعلب: و لقد رأيتُ لسانَ أعدلِ حاكمٍ، يُقضى الصوابُ به، ولا يتكلم،. يعني بأعدلِ حاكم الميزانَ. (لسان العرب)

قوله والوزن لصحائف الأعمال في قول. قال الخفاجي والبيضاوي لما كانت الأعمال أعراضًا ولاتوزن وقد ورد ذكر وزنها في القرآن والأحاديث. اختلفوا فيه. فمنهم من أوّل الوزن بأنه بمعنى القضاء والحكم العدلِ أو مقابلتها بجزائها من قوله وازنه إذا عادله. والمشهور من مذهب أهل السنة أنه حقيقة بمعناه المعروف، ثم قيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان و كفتان وقيل أصحابها لما روي أنه عليه الصلاة و السلام قال: ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. أخرجه البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. و قيل إن الأعمال تجسم و توزن ـ اه ـ تفسير البيضاوي و عناية القاضي ـ سورة الأعراف: ٨

قال القرطبي: و عن مجاهد و الضحاك والأعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل و القضاء، و ذكر الوزن ضربُ مثَلٍ، كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا، و في وِزانه، أي يعادله و يساويه و إن لم يكن هناك و زن. قال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان و الأولى أن يتبع ما جآء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان. قال القشيري: وقد أحسن فيما قال: إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، و الجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، و الشياطينُ والجنّ على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل. وإذ أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر، و صارت هذه الظواهر نصوصًا. قال ابن فُورك: وقد أنكرت المعتزلة الميزانَ، بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لاتقوم بأنفسها. و من المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجسامًا فيزنها يوم القيامة. وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخفّ، وقد روي في الخبر ما يحقّق ذلك. (الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف)

أخرج أحمد، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان،=

المضاف أي ذوات القسط ﴿لِيَوۡمِ الۡقِيٰمَةِ﴾ لأهل يوم القيامة أي لأجلهم ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـًٔا﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والحاكم و صحّحه وابن مردويه، واللالكائي، والبيهقي في البعث عن عبد اللّٰه بن عَمرو قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم : يُصاح برجل من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة و تسعون سِجلًّا، كل سِجلّ منها مد البصر، فيقول : أ تنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كَتَبَتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا ربّ! فيقول: أ فلك عذر أو حسنة؟ فيهابُ الرجل فيقول: لا، يا ربّ ! فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، و إنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقَةً فيها "أشهد أن لا إله إلّا اللّٰه و أشهد أن محمدًا عبده و رسوله" فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنّك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات و ثقلت البطاقة، و لا يثقل مع اسم اللّٰه شيء.

وأخرج أحمد بسند حسن عن عبد اللّٰه بن عمرو قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم : توضع الموازين يوم القيامة، فيوتى بالرجل فيوضع في كفة و يوضع ما أحصي عليه فتمايل به الميزان، فيبعث إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمٰن لا تعجلوا، لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيوتى ببطاقة فيها "لا إله إلّا اللّٰه" فتوضع مع الرجل في كفة، حتى تميل به الميزان.

وأخرج ابن أبي الدنيا، والنّميري في كتاب الأعلام عن عبد اللّٰه بن عمرو قال: إن لآدم عليه السلام من اللّٰه عز و جل موقفًا في فُسَح من العرش، عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سَحوق، ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة، و ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى النار، فبينا آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم يُنطلق به إلى النار، فينادي آدم: يا أحمد، يا أحمد، فيقول: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك يُنطلق به إلى النار، فأَشُدُّ المئزر و أُسرِع في أثر الملائكة و أقول: يا رسل ربي قفوا ، فيقولون: نحن الغِلاظ الشِّداد الذين لانعصي اللّٰه ما أمرنا، ونفعل ما نومر ، فإذا أيس النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم قبض على لحيته بيده اليسرى، واستقبل العرش بوجهه، فيقول يا رب قد وعدتني أن لا تُخزِيَني في أمتي، فيأتي النداء من عند العرش: أطيعوا محمدًا، و رُدّوا هذا العبد إلى المقام، فأُخرج من حُجزتي بطاقةً بيضاء كالأنملة، فألقيها في كفة الميزان اليمنى و أنا أقول بسم اللّٰه، فترجح الحسنات على السيآت، فينادىٰ سعِد و سعِد جدّه، و ثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنّة، فيقول: يا رسل ربي! قفوا ، حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربّه، فيقول بأبي أنت و أمي، و ما أحسنَ وجهَك و أحسنَ خلقك من أنت؟ فقد أَقَلتَني عَثَرتي، فيقول : أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك التي كنت تصلي عليّ، وافَتْك أحوجَ ما تكون إليها. (الدر المنثور، سورة الأعراف)

قال القرطبي: فقد عُلم أن ذلك يرجع إلى وزن ما كتب فيه الأعمال لا نفس الأعمال، و أن اللّٰه سبحانه ، يخفف الميزان إذا أراد، و يثقّله إدا أراد بما يُوضع في كفتيه من الصحف التي فيها الأعمال، و في صحيح مسلم عن صفوان بن مُحرز قال، قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم يقول في النجوى؟ قال سمعته يقول: يُدنى المومن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنَفه فيُقَرِّره بذنوبه، فيقول: هل تعرف فيقول: أي رب أعرف، قال فإنّي قد سترتها عليك في الدنيا، و إنّي أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، و أمّا الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق، هولاء الذين كذبوا على اللّٰه. ٥و أخرجه البخاري أيضًا في مواضع من صحيحه، و أحمد، و ابن ماجة، وابن حبان من حديث ابن عمر. فقوله "فيعطى صحيفة حسناته" دليل على أن الأعمال تكتب في الصحف و توزن. (الجامع لأحكام القرآن، سورة الأعراف)

قال العلامة ابن حجر في آخر فتح الباري بعد ما نقل قول القرطبي: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبوداؤد، والترمذي، و صححه و ابن حبان عن أبي الدرداء رضي اللّٰه تعالى عنه عن النبي صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال:ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن. و في حديث جابر=

من الظلم ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وإن كان الشيء مثقال حبة «مثقال» بالرفع: مدني وكذا في «لقمان» على «كان» التامة ﴿مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لـ«حبة» ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أحضرناها. وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى الحبة كقولهم: «ذهبت بعض أصابعه» ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ عالمين حافظين، عن ابن عباس رضي الله عنهما: لأن من حفظ شيئاً حسبه وعلمه. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ(٣٠) الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا﴾ قيل: هذه الثلاثة هي التوراة فهي فرقان بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به ويتوصل به إلى سبيل النجاة، وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه أو ذكر ما يحتاج الناس إليه في مصالح دينهم . ودخلت الواو على الصفات كما في قوله : (وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا)[آل عمران:٣٩]وتقول: «مررت بزيد الكريم والعالم والصالح».ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ومحل ﴿الَّذِينَ﴾ جر على الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال أي يخافونه في الخلاء ﴿وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ﴾ القيامة وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ كثير الخير غزير النفع ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ على محمد﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ أي جاحدون أنه منزل من عند الله.(٣١)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هداه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل موسى وهرون أو من قبل محمد عليه

= رضي الله تعالى عنه، رفعه: توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، و من رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار. قيل: فمن استوت حسناته و سيئاته؟ قال: أولٰئك أصحاب الأعراف. أخرجه خيثمة في فوائده. و عند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه نحوه موقوفًا. (فتح الباري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى و نضع الموازين القسط ليوم القيامة)

قوله أي لأجلهم ، فاللام للتعليل، و يجوز أن يكون لام التوقيت بمعنى "في" كما في قولك جئتك لخمس مضين من هذا الشهر، قوله من الظلم إشارة إلى أن "شيئًا" مفعول مطلق منصوب على معنى المصدرية. قوله مثقال بالرفع مدني، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني من العشرة، والباقون بالنصب على أنها ناقصة، واسمها مضمر. (إكليل)

(٣٠) اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام تسليةً للرسول عليه السلام فيما يناله من قومه، و تقويةً لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض دونها، و تذكيرًا لأمته، و وجه الاتصال أنه تعالى لما أمر رسول صلّى الله تعالى عليه وسلم أن يقول (إنّما أنذركم بالوحي) أتبعه بأن هذه عادة الله تعالى في الأنبياء قبله فقال: و لقد آتينا موسى و هٰرون الفرقان. الآية.

قوله يستضاء به، أي يهتدى به، شبه الهداية بالضوء فهو استعارة تصريحية متضمنة لتشبيه الحيرة والجهل بالظلمة. قوله كما في قوله تعالى في وصف يحيى على نبيّنا و عليه السلام: سيدًا هو الذي يسُود قومه، أي يفوقهم في الشرف، و كان يحيى عليه السلام فائقًا على قومه؛ لأنه لم يركب سيئة قط، و يالها من سيادة. وقال الجنيد رحمه الله : هو الذي جادَ بالكونين عوضًا عن المكوِّن و حصورًا هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه أي منعًا لها من الشهوات (مدارك التنزيل. سورة آل عمران) قوله نصب على المدح أي أعني الذين أو أمدح الذين أو رفع عليه أي هم الذين.

(٣١) كأنه قيل أ بَعدَ أن علمتم أن شانه كشان التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون لكونه منزلًا من عندنا؟ فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة ممّا لا مساغ له=

السلام ﴿وَكُنَّا بِهٖ﴾ بابراهيم أو برشده ﴿عٰلِمِيْنَ۝﴾ أي علمنا أنه أهل لما آتيناه ﴿اِذْ﴾ إما أن تتعلق بـ«اتيناه» أو بـ«رشده» ﴿قَالَ لِاَبِيْهِ وَقَوْمِهٖ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيْلُ﴾ أي الأصنام المصورة على صورة السباع والطيور والإنسان، وفيه تجاهل لهم ليحقر آلهتهم مع علمه بتعظيمهم لها ﴿الَّتِيْٓ اَنْتُمْ لَهَا عٰكِفُوْنَ۝﴾ أي لأجل عبادتها مقيمون. فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك. ﴿قَالُوْا وَجَدْنَآ اٰبَآءَنَا لَهَا عٰبِدِيْنَ۝﴾ فقلدناهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ۝﴾ أراد أن المقلدين والمقلدين منخرطون في سلك ضلال ظاهر لا يخفى على عاقل، وأكد بـ«أنتم» ليصح العطف لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ﴿قَالُوْٓا اَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ بالجد ﴿اَمْ اَنْتَ مِنَ اللّٰعِبِيْنَ۝﴾ أي أجاد أنت فيما تقول أم لاعب استعظاماً منهم إنكاره عليهم واستبعاداً لأن يكون ما هم عليه ضلالاً، فثم أضرب عنهم مخبراً بأنه جاد فيما قال غير لاعب مثبتاً لربوبية الملك العلام وحدوث الأصنام بقوله:

﴿قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الَّذِيْ فَطَرَهُنَّ﴾ أي التماثيل فأنى يعبد المخلوق ويترك الخالق ﴿وَاَنَا عَلٰى ذٰلِكُمْ﴾المذكور في التوحيد شاهد ﴿مِّنَ الشّٰهِدِيْنَ۝وَتَاللّٰهِ﴾ أصله «والله» وفي التاء معنى التعجب من تسهيل الكيد على يده مع صعوبته وتعذره لقوة سلطة نمرود. ﴿لَاَكِيْدَنَّ اَصْنَامَكُمْ﴾ لأكسرنها ﴿بَعْدَ اَنْ تُوَلُّوْا مُدْبِرِيْنَ۝﴾ بعد ذهابكم عنها إلى عيدكم، قال ذلك سراً من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله: (اِنِّيْ سَقِيْمٌ ۝) [الصافات:٨٩] أي سأسقم ليتخلف. فرجع إلى بيت الأصنام ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذٰذًا﴾ قطعاً من الجذ وهو القطع[٣٢] جمع جذاذة كزجاجة وزجاج جذاذاً بالكسر: علي، جمع جذيذ أي مجذوذ كخفيف وخفاف ﴿اِلَّا كَبِيْرًا لَّهُمْ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أصلًا (أبو السعود) قوله منخرطون أي منسلكون. قوله في سلك ضلال، من قبيل "لجين الماء" أي إضافة المشبه به إلى المشبه، و فيه إشارة إلى تمكنهم في الضلال، و قوله "لا يخفى على عاقل" إيضاح لقوله "مبين" قوله أجادٌّ أنت الخ كانوا مستقرين على عبادة الأصنام أبًا عن جد، لايرونها إلّاحقًا، و قرر الخليل عليه السلام بالتوكيد القسمي أنهم و آبائهم في ضلال مبين فعدّوا هذا الإنكار عظيمًا، وحسبوا استقرارهم على الضلال بعيدًا ، و جوّزوا أن يكون هذا الإنكار ملاعبة و ممازحة، فأرادوا تحقيق إنكاره عليه السلام قائلين، أ بجِدّ تنكر علينا أم بلعب و مزاح؟ فأجاب بما هو عين الجد و كالبرهان الساطع على غوايتهم.

قوله المذكور من التوحيد، بيان للمشار إليه. قوله تاللّٰه، التاء في القسم بدل من الواو، والواو بدل من الباء، لأنها أصل حروف القسم، و ذهب كثير من النحاة إلى أن كلّا من هذه الحروف أصل برأسه، لكن التاء القسمية تستعمل في مقام التعجب من المقسم عليه، وهذا مفهوم من الاستعمال، و ليس بلازم لها كما يلزم التعجب لام القسم (خفاجيو غيره) قوله نمروذ بضم النون والذال المعجمة في أمالي ثعلب نمروذ بالذال المعجمة و أهل البصرة يقولون نُمرود بالدال المهملة وعلى هذا عوّل كثير فجوزوا الوجهين. اسم ملك من الجبابرة معروف (إكليل) قوله لأكسرنها إشارة إلى أن الكيد استعير هنا للكسر، فإنّ أصل الكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به، والأصنام جمادات لا شعور لها.

(٣٢) قوله قِطَعًا جمع قِطعة. من الجذ و بابه نصر. جذاذًا بالكسر قرأه علي الكسائي، والباقون بالضم،

للأصنام أو للكفار أي فكسرها كلها بفأس في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ﴾ إلى الكبير ﴿يَرْجِعُوْنَ﴾ فيسألونه عن كاسرها فيتبين لهم عجزه، أو إلى إبراهيم ليحتج عليهم، أو إلى الله لما رأوا عجز آلهتهم ﴿قَالُوْا﴾ أي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك ﴿ مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِاٰلِهَتِنَآ اِنَّهٗ لَمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ﴾ أي إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجراءته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والتعظيم ﴿قَالُوْا سَمِعْنَا فَتًى يَّذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهٗٓ اِبْرٰهِيْمُ ﴾ الجملتان صفتان لـ«فتى» إلا أن الأول وهو «يذكرهم» أي يعيبهم لا بد منه للسمع لأنك لاتقول:«سمعت زيداً»وتسكت حتى تذكر شيئاً مما يسمع بخلاف الثاني.[٣٣] وارتفاع «إبراهيم» بأنه فاعل «يقال» فالمراد الاسم لا المسمى أي الذي يقال له هذا الاسم ﴿قَالُوْا﴾ أي نمروذ وأشراف قومه ﴿فَأْتُوْا بِهٖ﴾ أحضروا إبراهيم ﴿عَلٰٓى اَعْيُنِ النَّاسِ﴾ في محل الحال بمعنى معايناً مشاهداً أي بمرأى منهم ومنظر ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُوْنَ﴾ عليه بما سمع منه أو بما فعله كأنهم كرهوا عقابه بلا بينة أو يحضرون عقوبتنا له.

فلما أحضروه ﴿ قَالُوْٓا ءَاَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِاٰلِهَتِنَا يٰٓاِبْرٰهِيْمُ ﴾ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ بَلْ فَعَلَهٗ ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله لشديد الظلم معنى الشدة مستفاد من قولهم "من الظالمين" لما تقرّر أن "فلانًا من الأشراف" أوكد من "فلانٌ شريف" قوله الحقيقة أي اللائقة، الجديرة.

(٣٣) قال الشهاب: هذا له تفصيل في كتابنا "طراز المجالس". و حاصله أن "سمع" حقه أن يتعدّى إلى مفعول واحد، كما في سائر أفعال الحواس، كما فصّله الإمام السهيلي، وهو يتعدى إلى واحد بنفسه، و قد يتعدى بإلى، أو اللام، أو الباء، و أمّا تعدّيه إلى مفعولين فاختلف فيه، فذهب الأخفش و أبو علي في الإيضاح ، وابن مالك وغيرهم إلى أنه إن وَلِيَه ما يُسمع تعدى إلى واحد كسمعت الحديث، و إن وَلِيَه ما لا يُسمع تعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة متضمنة لمسموع مصححة لتعلق الفعل به ، كسمعت زيدًا يقول كذا: ولذا لم يُجز بعض النحاة سمعت زيدًا قائلًا كذا، لأن قائلًا دالّ على ذات لا تسمع. الخ. و ما ذكر المصنف من كون "يذكرهم" صفةً هو قول ثالث في المسألة، وهو أن يجعل صفة لو وقع بعد نكرة كما هو ههنا، و أن يجعل حالًا لو وقع بعد معرفة كسمعت زيدًا يقول ـ الخ. (عناية القاضي)

قوله: بمرأى منهم و منظر. مرأى اسم مكان من الروية، والباء للملابسة أي بموضع يرونه، و ينظرون إليه، يقال: فلان بمرأى مني و مسمع أي بحيث أراه و أسمع قوله. كذا في الصحاح. (مختصر المعاني)

قوله أو يحضرون، المعنى الأول بالنظر إلى أن "يشهدون" من الشهادة، والثاني بالنظر إلى أنّه من الشهود بمعنى الحضور.

قوله فلمّا أحضروه إظهار للمحذوف من القصّة، أي أمر أعيان القوم بإحضاره ، فامتثلوا و أحضروه، ولما حضر قالوا له أ أنت فعلت........

قال بل فعله كبيرهم هذا، فسئلوهم إن كانوا ينطقون. الظاهر الذي عليه الأكثر وتأيد بالحديث الصحيح الآتي فيما بعد. أنّ "كبيرهم" فاعلُ "فعلَه" و فيه إسناد الكسر إلى الصنم الكبير مع أنه لم يكسر ولا يقدر عليه فتوجّه السؤال أن النبي المعصوم كيف أخبر بما هو خلاف الواقع مع أن أهل السنة يعتقدون أن كذب المعصوم مستحيل شرعًا؟ و أجيب عنه بوجوه: أوضحها عندي أنه لم يكذب بل أراد الاحتجاج عليهم بأنْ حَمَلَهم على التفكر في آلهتهم أنهم عاجزون لا يصلحون للإلٰهية.

فإن الجواب بقوله (بل فعله كبيرهم هذا، =

عن الكسائي: أنه يقف عليه أي فعله من فعله، وفيه حذف الفاعل وإنه لا يجوز،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فسئلوهم إن كانوا ينطقون) يُلزمهم التأملَ في الكبير بأنه عاجز لا يطيق شيئًا من التحرك، فكيف يقدر على كسر الصغار، و كذا يحمِلُهم على التأمل في الصغار بأنهم عجزة عن السمع و الفهم والنطق فكيف يجيبون. وهذان الفكران يؤدّيانهم إلى الاعتراف بأن من كان بهذه الغاية من العجز والقصور لايصلح أن يكون إلهًا، و من اعتقده إلهًا و عكف على عبادته سفيهٌ مبطل ظالم بأن وضع الإلٰهية التي تقتضي القدرةَ الشاملة المحيطةَ، في جمادات تافهة عاجزة. وقد بلغ الخليل عليه السلام غرضه من الجواب، كما نطق به القرآن في صراحة و وضوح (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنّكم أنتم الظّلمون)

قال القرطبي: و يجوز عند الأمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه، فإنه أقرب في الحجّة، و أقطع للشبهة ـ اه ـ ولو قال نعم قد كسرتها، و سألوا: لمَ كسرتَ؟ و أجاب: لأنها باطلة، و سألوا: لمَ جعلتَها باطلة؟ و أجاب : لأنها عاجزة لطال الخصام، ولم يحصل المرام ، كما حصل بذلك الكلام مع الإعلام به ضمنًا أن الكاسر هو، لا كبير الأصنام.

أمّا الأجوبة التي ذكرها المصنّف فبعضها يرجع إلى ما ذكرت، و بعضها محلّ نظر و تأمّل، والقصد بكل ذلك دفع صدور الكذب من المعصوم.

أمّا ما روي البخاري ومسلم ، و أبو داؤد ، والترمذي و ابن حبّان عن أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم: لم يكذب إبراهيم النبي في شيء قط إلّا في ثلاث، قوله "إنّي سقيم" وقوله لسارة "أختي" و قوله "بل فعله كبيرهم" ــــ فالبيضاوي رحمه اللّٰه أجاب عنه ـ وكذا غيره ــ أنه "تسمية للمعاريض كذبًا، لما شابهت صورتها صورته" أي لم يصدر عنه ما يشابه الكذب إلّا في ثلاث. ولكن إبراهيم عليه السلام لعلوّ درجته يشفق منه، و لا يجترأ على التقدم في الشفاعة إذا التجأ إليه الناس في المحشر كما ورد عنه في حديث الشفاعة.

والمعاريض جمع معراض، وهو ما لا يكون المقصود به ظاهره، ويُذكر توريةً و إيهامًا.

قوله عن الكسائي ـ الخ ـ هذا لم يذكره صاحب الكشاف، والأجوبة الباقية ملخصة من الكشاف بعبارته، كما هو داب المصنّف في عامة تفسيره "المدارك" والبيضاوي لم يصرح بنسبة الوقف إلى الكسائي. و ذكره الثعلبي (م٤٢٧ﻫ) و من بعده كالرازي وغيره بصيغة التمريض "يُروى أو رُوي عن الكسائي" ـ و ابن جرير الطبري (م ٣١٠ ﻫ) لم يلم بهذا القول شيئًا.

و أرى أن هذا العزْو إلى الإمام الكسائي مبني على خطأ في النقل، وهو أن أحدًا من المجيبين قال: و يجوز على ما ذهب إليه الكسائي من جواز حذف الفاعل أن يوقف على قوله "بل فعله" ثم يُستانف من قوله "كبيرهم هذا" فالناقل منه فهم أن الكسائي وقف هنا، واعتبر الفاعل محذوفًا، و جعل "كبيرهم هذا" مستانفًا، و نسب إليه هذا القول، و تتابع النقل. مع أن الكسائي رحمه اللّٰه لم يقل بشيء من ذلك، ولا يحتاج إلى هذا التفكيك في نظم القرآن، و تضعيف ارتباط "كبيرهم هذا" بما قبله و بما بعده. بل استخرج هذا الجواب مستخرجٌ على مذهبه، و أخطأ في الاستخراج، فإن القول بجواز حذف الفاعل ليس عامًا عنده في كل موضع، بل في نحو "قام و قعد أخوك" حين تنازعَ الفعلان على "أخوك" فإن مثل هذا التركيب إذا أعملنا فيه الفعل الثاني بقي الأول بلا فاعل، فقال البصريون باعتبار الضمير في الأول ، ويلزم عليه الإضمار قبل الذكر لفظًا و رتبة، و إن أعملنا الفعلين معًا كما هو عند الفراء لزم توارد مؤثرين مستقلين على أثر واحد. فهذا المقام فيه ثلاث محذورات: إمّا بقاء الفعل بلا فاعل، أو الإضمار قبل الذكر لفظًا و رتبةً، أو إعمال عاملين عملًا واحدًا في معمول واحد. اختار الأولَ الإمام الكسائي، و الثانيَ عامة البصريين ، والثالثَ الفراء. اضطروا إلى ارتكاب أحد من المحذورات لمسيس الحاجة إليه مع التعيّن والظهور عند كل سامع أن فاعل القيام هو فاعل القعود. فلا يصح من تجويز حذف الفاعل في أمثال التنازع استخراجُ أن الإمام الكسائي قائل بجواز حذف الفاعل مطلقًا بدون حاجة، و بغير ظهورِ ما يُعيّن الفاعل عند السامع.

وجاز أن يكون الفاعل مسنداً إلى الفتى المذكور في قوله: «سمعنا فتى يذكرهم» أو إلى «إبراهيم» في قوله: «يا إبراهيم» ثم قال: ﴿كَبِيْرُهُمْ هٰذَا﴾ وهو مبتدأ وخبر. والأكثر أنه لا وقف، والفاعل «كبيرهم»وهذا وصف أو بدل، ونسب الفعل إلى كبيرهم وقصده تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي تبكيتاً لهم وإلزاماً للحجة عليهم لأنهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم وأنه لا يصلح إلهاً، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخط رشيق أنيق: أأنت كتبت هذا وصاحبك أمي فقلت له «بل كتبته أنت» كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك وإثباته للأمي، لأن إثباته للعاجز منكما والأمر كائن بينكما استهزاء به وإثبات للقادر،[٣٤] ويمكن أن يقال: غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظ كبيرها أشد لِما رأى من زيادة تعظيمهم له، فأسند الفعل إليه لأن الفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه،[٣٥] ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويزه مذهبهم كأنه قال لهم: ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإن من حق من يعبد ويدعى إلهاً أن يقدر على هذا. [٣٦] ويحكى أنه قال: غضب أن تعبد هذه الصغار معه وهو أكبر منها فكسرهن، أو هو متعلق بشرط لا يكون وهو نطق الأصنام فيكون نفياً للمخبر عنه أي بل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله جاز.... إلى الفتى.....ولا يخفى بعده لأنه مذكور في كلام لم يصدر بمحضر من إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى يعود إليه الضمير. قوله أو إلى إبراهيم في قوله "يٰإبراهيم" فأي حاجة إلى قوله "بل" والمناسب في الجواب "نعم فعله" بل "نعم فعلتُ" ولا مقتضى للعدول عن الظاهر هنا كما قيل. (خفاجي)

(٣٤) تعقب أبو السعود على هذا الجواب، واعتبره بمعزل عن التحقيق، و ناقش في المثال، و قرر المثال على وجه لم يقرر عليه صاحب الكشاف، وعندي أن ذلك المثال أيضًا لا يخلو من حمل المخاطب على التفكر في عجز نفسه عن الخط الرشيق، والتفكر في العجز، والاعتراف به هو المقصود من الإلزام والتبكيت. وهو حاصل بلا ريب مع الاستهزاء والتجهيل.

(٣٥) هذا الجواب قدّمه البيضاوي رحمه اللّٰه تعالى قائلًا: أسند الفعل إليه تجوّزًا، لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبّب لمباشرته إيّاه ـ اه ـ لكن لا يلائمه قوله (فسئلوهم إن كانوا ينطقون) فإنه يُظهر أنه عليه السلام أسند الفعل إلى الكبير حقيقةً، وادعى أنه الكاسر ، فاسألوا المكسورين، فإن من أصابه الكسر أعرف بمن كسره.

واختار أبوالسعود رحمه اللّٰه جواب البيضاوي رحمه اللّٰه بإضافة تمهيد إليه. يقول : سلك عليه السلام مسلكًا تعريضيًّا يؤديه إلى مقصده الذي هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه و أحسنه ، بحملهم على التأمل في شان الهتهم مع ما فيه من التوقّي من الكذب، حيث أبرز الكبير قولًا في مَعُرِض المباشر للفعل بإسناده إليه كما أبرزه في ذلك المَعرِض فعلًا بحمل الفاس في عنقه، وقد قصد إسناده إليه بطريق التسبيب. الخ.

حاصله أنه عليه السلام اختار طريق الإلزام ليحمِلَهم على التفكر في عجز الأصنام، و اختار للتوقّي عن الكذب طريق الإيهام بأن ذكر لفظًا أراد به الإسناد المجازي، و فهم السامعون الإسنادَ الحقيقي، و ضَمّ معه قوله (فسئلوهم إن كانوا ينطقون) على حسب فهمهم، فاضطروا إلى التفكر في أن الصنم عاجز عن الكسر، و عاجز عن الفهم والنطق، والعاجز لا يصلح للألوهية.

(٣٦) هذا الجواب يقارب الجواب الأول، أو هوعينه. والفرق بينهما بأن الجواب الأول مبني على اعتبار الادّعاء من قِبل نفسه، والجواب الثاني مبني على اعتبار ما يلزمهم من اعتقادهم في الأصنام، وقوله و يحكى حكاه ابن إسحٰق، ذكره الثعلبي في تفسيره، و ارتضاه.

فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون، وقوله: «فَسْئَلُوْهُمْ» اعتراض.(٣٧) وقيل: عرض بالكبير لنفسه وإنما أضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور(٣٨) ﴿فَسْئَلُوْهُمْ﴾ عن حالهم ﴿اِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَ﴾ وأنتم تعلمون عجزهم عنه. ﴿فَرَجَعُوْٓا اِلٰٓى اَنْفُسِهِمْ﴾ فرجعوا إلى عقولهم وتفكروا بقلوبهم لما أخذ بمخانقهم(٣٩) ﴿فَقَالُوْٓا اِنَّكُمْ اَنْتُمُ الظّٰلِمُوْنَ﴾ على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين قلتم «من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين» فإن من لا يدفع عن رأسه الفاس، كيف يدفع عن عابديه البأس؟

﴿ثُمَّ نُكِسُوْا عَلٰى رُءُوْسِهِمْ﴾ قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى الحق على لسانهم في القول الأول، ثم أدركتهم الشقاوة أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم، يقال: نكسته قلبته فجعلت أسفله أعلاه أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انقلبوا عن تلك الحالة فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰٓؤُلَآءِ يَنْطِقُوْنَ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها؟ والجملة سدت مسد مفعولي «علمت» والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق فكيف نسألهم؟ ﴿قَالَ﴾ محتجاً عليهم ﴿اَفَتَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ هو في موضع المصدر أي نفعاً ﴿وَّلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن لم تعبدوه ﴿اُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ﴾ «أف» صوت إذا صوت به علم أن صاحبه متضجر. ضجر مما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق فتأفف بهم واللام لبيان المتأفف به أي لكم ولآلهتكم هذا التأفف «أُفٍّ» مدني وحفص، «أُفَّ» مكي وشامي «أفِّ» غيرهم(٤٠) ﴿اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾ أن من هذا وصفه لا يجوز أن يكون إلهًا.

فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿قَالُوْا حَرِّقُوْهُ﴾ بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظع ﴿وَانْصُرُوْٓا اٰلِهَتَكُمْ﴾ بالانتقام منه ﴿اِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِيْنَ﴾ أي إن كنتم ناصرين آلهتكم نصراً

(٣٧) لم يذكر هذا الجواب صاحب الكشاف، و ذكره البيضاوي بصيغة التمريض، و زيّفه ابن جرير بالنظر إلى الحديث الصحيح المذكور.
(٣٨) ضُعف هذا الجواب غنى عن البيان، و يأباه قوله "هذا".
(٣٩) قوله أخذ بمخانقهم. خَنَق (ن) خَنْقًا و خنِقًا: شدّ على حلقه حتى يموت. مَخْنَق: موضع الخنق، أي الحلقوم. والجمع مخانق. والأخذ بالمخانق كناية عن إلزام حجّة لا محيدَ عنها.
قوله لا من ظلَمتموه، بالتشديد أي نسبتموه للظلم، و فيه إشارة إلى أن "أنتم الظالمون" يفيد الحصر الإضافي (خفاجي) قوله استقاموا تبيين للتشبيه المضمر في النكس. قال البيضاوي شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعليًا على أعلاه.
قوله في المجادلة بالباطل والمكابرة قال الراغب: الجِدالُ ، المفاوضَة على سبيل المنازَعة والمغالَبة، اهـ. و في الإصطلاح: المجادلة هي المنازعة لإلزام الخصم، لا لإظهار الصواب، والمكابرة: المنازعة لا لإظهار الصواب ولا لإلزام الخصم، أي المنازعة المحضة، والمعاندة والمغالبة كما في اللغة.
(٤٠) في الكلمة ثلاث قراء ات (١) أفٍّ بكسر الفاء منونة. نافع المدني، وحفص، و أبو جعفر المدنيمن العشرة (٢) أفَّ بفتح الفاء من غير تنوين. ابن كثير المكي، و ابن عامر الشامي، و يعقوب من العشرة. (٣) أفِّ بكسر الفاء بلا تنوين، الباقون (شعبة،=

مؤزراً فاختاروا له أهول المعاقبات وهو الإحراق بالنار وإلا فرطتم في نصرتها، والذي أشار بإحراقه نمروذ أو رجل من أكراد فارس. وقيل: إنهم حين هموا بإحراقه حبسوه ثم بنوا بيتاً بكوثى وجمعوا شهراً أصناف الخشب ثم أشعلوا ناراً عظيمة كادت الطير تحترق في الجو من وهجها، ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وقال له جبريل: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وما أحرقت النار إلا وثاقه. وعن ابن عباس: إنما نجا بقوله: «حسبي الله ونعم الوكيل».

﴿قُلْنَا يٰنَارُ كُوْنِيْ بَرْدًا وَّسَلٰمًا﴾ أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها برد وسلام ﴿عَلٰٓى إِبْرٰهِيْمَ ﴿٦٩﴾﴾ أراد ابردي فيسلم منك إبراهيم.وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها. والمعنى أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر و الإحراق و أبقاها على الإضاءة والإشراق كما كانت وهو على كل شيء قدير ﴿وَأَرَادُوْا بِهٖ كَيْدًا﴾ إحراقاً ﴿فَجَعَلْنٰهُمُ الْأَخْسَرِيْنَ ﴿٧٠﴾﴾ فأرسل على نمروذ وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت بعوضة في دماغ نمروذ فأهلكته ﴿وَنَجَّيْنٰهُ﴾ أي إبراهيم ﴿وَلُوْطًا﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِيْ بٰرَكْنَا فِيْهَا لِلْعٰلَمِيْنَ ﴿٧١﴾﴾ أي أرض الشام[٤١] وبركتها أن أكثر الأنبياء منها فانتشرت في

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أبو عمرو، علي، حمزة)

قوله مؤزّرًا، اسم مفعول من التفعيل، الأزر: القوة، و أزّر فلانًا: قوّاه. قوله فرطتم من التفعيل: قصّرتم. قوله أكراد جمع كرد بالضم. جيل من الناس معروف (لسان العرب) قوله كوثي بضم الكاف، والثاء المثلثة، بالقصر. قرية بالعراق. الوهَج، والوهْج: حرارة الشمس والنار من بعيد. والوهْج بالتسكين: مصدر و هجت النار تهِج وهْجًا و وَهَجانًا، إذا اتقدت (لسان العرب) المنجَنِيق، بفتح الميم و كسرها ، القذّاف، التي ترمى بها الحجارة. قوله حسبي من سوالي ـ الخ ـ أي يكفيني و يُغنيني عن السوال علمه بحالي، فمِن بيانية مقدّمة. والوثاق، بكسر الواو، اسم مفرد: ما يُشدّ به، كالحِزام (خفاجي) مكالمته عليه السلام جبريلَ عليه السلام إلى قوله: "أما إليك فلا " أخرجه ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، و عدم إحراق النار إلّا وثاقه الذي رُبِط به مرويٌّ عن كعب الأحبار عند عبد الرزاق ، و عبد بن حميد، و ابن جرير و ابن أبي شيبة و ابن المنذر و عن ابن جريج عند ابن المنذر، و قوله حين الإلقاء في النار "حسبي الله و نعم الوكيل" مرويٌّ عن سليمان بن صُرَد ـ وكان قد أدرك النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم ـ عند عبد بن حميد، و أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف، وابن المنذر عن ابن عمرو، قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقي في النار، حسبنا الله و نعم الوكيل. و أخرج أبو يعلى، و أبو نعيم ، وابن مردويه ، والخطيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : لما أُلقي إبراهيم في النار قال: اللّهم إنّك في السماء واحد، و أنا في الأرض واحد أعبدك " (الدر المنثور) قوله ابردي أمر من كرم و نصر. قوله لو لم يقل ذلك الخ أخرجه عنه الفريابي و ابن أبي حاتم و كذا عن علي رضي الله تعالى عنه أخرجه الفريابي ، وابن أبي شيبة، و أحمد في الزهد، و عبد بن حميد ، وابن المنذر (الدر المنثور) قوله أرض خِصْب بالإضافة أو بالتوصيف، الخصب نقيض الجَدْب، وهو كثرة العُشب و رَفَاغَةُ العيش، و نقل ابن منظور أرضٌ خِصْبٌ أيضًا (لسان العرب)

(٤١) قوله أي أرض الشام أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك ، وابن جرير عن أبي بن كعب، والحسن، و =

العالمين آثارهم الدينية وهي أرض خصب يطيب فيها عيش الغني والفقير. وقيل: ما من ماء عذب في الأرض إلا وينبع أصله من صخرة بيت المقدس. روي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة. وقال عليه السلام «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس إلى مهاجر إبراهيم» ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ ۖ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ﴾ قيل: هو مصدر كالعافية من غير لفظ الفعل السابق أي و هبنا له هبة: و قيل: هي و لد الولد و قد سأل ولداً فأعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة و فضلاً من غير سؤال وهي حال من «يعقوب» ﴿وَكُلًّا﴾ أي إبراهيم وإسحق ويعقوب وهو المفعول الأول لقوله:﴿جَعَلْنَا﴾والثاني ﴿صٰلِحِيْنَ﴾ في الدين والنبوة.

﴿وَجَعَلْنٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم في الدين ﴿يَّهْدُوْنَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ بوحينا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرٰتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة وأصله أن تفعل الخيرات(٤٢) ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات. وكذلك قوله ﴿وَإِقَامَ الصَّلٰوةِ وَإِيْتَآءَ الزَّكٰوةِ ۚ﴾ والأصل وإقامة الصلاة إلا أن المضاف إليه جعل بدلاً من الهاء ﴿وَكَانُوْا لَنَا عٰبِدِيْنَ﴾ لا للأصنام فأنتم يا معشر العرب أولاد إبراهيم فاتبعوه في ذلك. ﴿وَلُوْطًا﴾ انتصب بفعل يفسره ﴿اٰتَيْنٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة وهي ما يجب فعله من

= قتادة، وابن جريج، و أبي العالية، و ابن زيد. قوله ما من ماء عذب رواه ابن جرير عن الربيع عن أبي العالية. (الدر المنثور)

قوله فِلَسطين، بكسر الفاء و فتح اللام: الكورة المعروفة فيما بينَ الأردُن و ديار مصر، و أم بلادها بيت المقدس. (لسان العرب)

قوله عليه السلام "إنّها ستكون هجرة بعد هجرة" أخرجه الإمام أحمد في المسند عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما و أبو داود ، والحاكم في المستدرك، و أبو نعيم في الحلية والإمام أحمد في المسند عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما ـ كنز العمال رقم الحديث: ٣٨٨٨٨ واللفظ فيه: ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجَر إبراهيم. قوله مهاجَر بفتح الجيم اسم ظرف من المهاجرة، و موضع مهاجرته عليه السلام هو الشام، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد ما خرج من كوثي بالعراق هاجر إلى الشام و أقام بها. قوله نافلة على تقدير كونه مصدرًا هو مفعول مطلق يعم إسحٰق و يعقوب، و على المعنيين الأخيرين يختصّ بيعقوب و يكون حالًا منه ، والمعنى الثاني (ولد الولد) ماخوذ و منشعب من معنى الزيادة والفضل.

(٤٢) قوله أصله أن تفعل الخيرات. و إنّما كان كذلك لأن كل مصدر ذكر له معمول فهو بتأويلِ "أن والفعل" و إذا أوّل عليه عمل عمله، فينوّنُ و يُذكر معموله، ثم يخفّف بحذف التنوين و يضاف لمعموله. و "أن تفعل" بالبناء للمجهول، و رفع "الخيرات" فالمصدر مصدر المجهول، و "الخيرات" في قوله "فعلا الخيرات" مرفوعة أيضًا، على القيام مقام فاعله. والذي ذكره المصنّف كما في الكشاف. بيان لأمر مقرر في النحو، والداعي لذكره هنا أن فعل الخيرات بالمعنى المصدري ليس موحًى، إنّما الموحىٰ أن تفعل ، و مصدر المبني للمجهول والحاصلُ بالمصدر كالمترادفَين. وأيضًا الموحىٰ عام للأنبياء عليهم السلام و أممهم فلذا بني للمجهول. (خفاجي)

قوله والأصلُ إقامة الصلاة قال النحاة مصدر الإفعال و الاستفعال من المعتلّ العين نحو أقام و استقام إقامة و استقامة، أصلهما إقوام و استقوام، فأعلّ بقلب واوه ألفا بعد نقل حركتها لما قبلها، وحذف أحد ألفيه لالتقاء الساكنين، و عُوّض عنها التاء. و مذهب الفرّاء جواز ترك التعويض بشرط الإضافة، ليكون المضاف إليه سادّا مسدّها، و مذهب سيبويه الجواز مطلقًا، والسماع يشهد له، لوروده بدون الإضافة، والذي حسّنه هنا مشاكلة قوله "و إيتاء الزكاة" (خفاجي)

قوله لا للأصنام إشارة إلى الحصر المستفاد من تقديم الصلة.

العمل أو فصلاً بين الخصوم أو نبوة ﴿وَّعِلْمًا﴾ فقهاً ﴿وَّنَجَّيْنٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ من أهلها وهي سدوم ﴿الَّتِيْ كَانَتْ تَّعْمَلُ الْخَبٰٓئِثَ﴾ اللواطة والضراط وحذف المارة بالحصى وغيرها ﴿اِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمَ سَوْءٍ فٰسِقِيْنَ﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿وَاَدْخَلْنٰهُ فِيْ رَحْمَتِنَا﴾ في أهل رحمتنا أو في الجنة ﴿اِنَّهٗ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ أي جزاء له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقاباً على فسادهم ﴿وَنُوْحًا﴾ أي واذكر نوحاً ﴿اِذْ نَادٰى﴾ أي دعا على قومه بالهلاك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهٗ﴾ أي دعاءه ﴿فَنَجَّيْنٰهُ وَاَهْلَهٗ﴾ أي المؤمنين من ولده وقومه ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ﴾ من الطوفان وتكذيب أهل الطغيان. (٤٣) ﴿وَنَصَرْنٰهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَا﴾ منعناه منهم أي من أذاهم ﴿اِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمَ سَوْءٍ فَاَغْرَقْنٰهُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم.

﴿وَدَاوٗدَ وَسُلَيْمٰنَ﴾ أي واذكرهما ﴿اِذْ﴾ بدل منهما ﴿يَحْكُمٰنِ فِي الْحَرْثِ﴾ في الزرع أو الكرم ﴿اِذْ﴾ ظرف لـ«يحكمان» ﴿نَفَشَتْ﴾ دخلت ﴿فِيْهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ ليلاً فأكلته وأفسدته والنفش انتشار الغنم ليلاً بلا راع ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ أرادهما والمتحاكمين إليهما(٤٤) ﴿شٰهِدِيْنَ﴾ أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا. ﴿فَفَهَّمْنٰهَا﴾ أي الحكومة أو الفتوى ﴿سُلَيْمٰنَ﴾ وفيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه. وقصته أن الغنم رعت الحرث وأفسدته بلا راع ليلاً فتحاكما إلى داود فحكم بالغنم لأهل الحرث وقد استوت قيمتاهما أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة: غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه لَيَحْكُمَنَّ فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى رب الغنم حتى يصلح الحرث ويعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان. فقال: القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك، وكان ذلك باجتهاد منهما وهذا كان

قوله سدوم هي قرية لوط عليه الصلاة و السلام ، وقيل قراهم كانت سبعًا، فعبر عنها ببعضها لأنها أشهرها، و المشهور عند أهل اللغة أنه بالدال المهملة، و قد روي بالذال المعجمة (خفاجي)

قوله الضراط بضم الضاد المعجمة من ضرط (ض) أخرج الريح من دبره بصوت، و كان ذلك عادة لهم في المجالس و الحذف بمعنى الضرب والرمي، والمارة بمعنى الجماعة المارة أي المارين.

قوله خارجين الخ إشارة إلى أن الفسق هنا بمعناه اللغوي، والاصطلاحي يختصّ بالمومن العاصي، و ما كانوا مؤمنين.

(٤٣) قوله من الطوفان و تكذيب الخ. ذكر الإمام الرازي في تفسير الكرب ثلاثة وجوه (١) الغرق وهو قول أكثر المفسّرين (٢) تكذيب القوم و أذاهم (٣) مجموع الأمرين وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو الأقرب ـ اه ـ و لذا اختاره المصنّف.

قوله منعناه منهم ضُمّن النصر معنى المنع فعُدّي بمن، و لذا قال في تفسيره منعناه (جمل)

(٤٤) توجيه لضمير الجمع في قوله "لحكمهم" و صاحب الحرث و إن لم يسبق له ذكر لكنه مفهوم من ذكر الحرث، و المتحاكمين مثنى أو جمع لقوله "غنم القوم" (خفاجي) قوله فعزم عليه ليحكُمنّ أي أقسم عليه، و أكّدَ أن يُبدي حكمه.

في شريعتهم، فأما في شريعتنا فلا ضمان عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد، وعند الشافعي رحمه الله يجب الضمان بالليل. و قال الجصاص : إنما ضمنوا لأنهم أرسلوها. و نسخ الضمان بقوله عليه السلام «العجماء جبار» وقال مجاهد: كان هذا صلحاً وما فعله داود كان حكماً والصلح خير ﴿وَكُلًّا﴾ من داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ معرفة بموجب الحكم ﴿وَسَخَّرْنَا﴾ وذللنا ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ وهو حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلاً قال: كيف سخرهن؟ فقال: يسبحن ﴿وَالطَّيْرَ﴾ معطوف على الجبال أو مفعول معه، وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز لأنها جماد. روي أنه كان يمر بالجبال مسبحاً وهي تتجاوبه: وقيل: كانت تسير معه حيث سار ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ۝﴾ بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجباً عندكم.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي عمل اللبوس والدروع واللبوس اللباس والمراد الدرع

قوله الجصاص هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي تلميذ الشيخ أبي الحسن الكرخي، صاحب أحكام القرآن. تولّد سنة ٣٠٥هـ و توفي ببغداد سنة ٣٧٠ هـ ـ محصل ما قاله هنا في أحكام القرآن أن أصحابنا لا يرون الضمان مطلقًا إذا لم يكن صاحب الغنم هو الذي أرسلها، و من الناس من ذهب إلى أنها إذا أفسدت زرع رجلٍ ليلًا ضمن، و إن أفسدته نهارًا لم يضمن، واحتجّوا بهذه القصة لإيجابهما الضمان، و بما روي عنه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم من أن ناقة البراء بن عازب دخلت حائط رجل فأفسدته، فقضى على أهل الأموال أي البساتين بحفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي بحفظها بالليل. رواه أبو داود. وهو حديث مضطرب المتن والسند، و يجوز في هذه القصة أن يكون أهل الغنم أرسلوها ، و كذا يجوز في قصة البراء رضي اللّه تعالى عنه أن يكون أرسلها، و إذا كان ذلك محتملًا لم تثبت فيه دلالة على موضع الخلاف، و على تقدير أن لم يرسلوها ثبت نسخ الضمان بقوله عليه السلام "العجماء جبار" و في بعض الألفاظ "جرح العجماء جبار" وهذا حديث تلقاه الناس بالقبول، واستعملوه، ولا خلاف بين الفقهاء في استعمال هذا الخبر في البهيمة المنفلتة إذا أصابت إنسانًا أو مالًا أنه لا ضمان على صاحبها إذا لم يرسلها هو عليه ، فلمّا كان هذا الخبر مستعملًا عند الجميع، وكان عمومه ينفي ضمان ما تصيبه ليلًا أو نهارًا ثبت بذلك نسخ ما ذكر في قصة داود و سليمان عليهما السلام، و نسخ ما ذكر في قصة البراء أن فيها إيجاب الضمان ليلًا. و أيضًا سائر الأسباب الموجبة للضمان لا يختلف فيها الحكم بالنهار والليل في إيجاب الضمان أو نفيه، فلمّا اتفق الجميع على نفي ضمان ما أصابت الماشية نهارًا وجب أن يكون ذلك حكمها ليلًا. اه.

قوله العجماء أي البهيمة جبار بضم الجيم و خفّة الباء الموحّدة أي هدر، أي إذا جرحت البهيمة أحدًا أو أتلفت شيئًا فهو ساقط ولا ضمان على صاحبها إن لم يكن منه تعدٍّ بأن أرسل البهيمة عليه.

قوله تتجاوبه المجاوَبة والتجاوب: التحاوُر، و تجاوب القوم: جاوَبَ بعضهم بعضًا، والمراد هنا الموافقة في التسبيح. قوله اللبوس بفتح اللام صفة بمعنى الملبوس، كركوب بمعنى مركوب، قال ابن جرير: واللبوس عند العرب السلاح كلّه درعًا كان أو جوشنا أو سيفًا أو رمحًا ، أمّا في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا عني الدروع، و روي عن قتادة أن الدروع قبل داود كانت صفائح فأول من سردها و حلّقها (أي نسجها على تشبيك بعض الحَلَق في بعض) داود عليه السلام.

﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾[٤٥] شامي وحفص أي الصنعة، وبالنون: أبو بكر وحماد أي الله عز وجل، وبالياء: غيرهم أي اللبوس أو الله عز وجل﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ من حرب عدوكم ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شٰكِرُوْنَ﴾ استفهام بمعنى الأمر أي فاشكروا الله على ذلك﴿ وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيْحَ﴾ أي وسخرنا له الريح ﴿عَاصِفَةً﴾ حال أي شديدة الهبوب ووصفت في موضع آخر بالرخاء لأنها تجري باختياره، وكانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة لهبوبها على حكم إرادته ﴿تَجْرِىْ بِأَمْرِهٖٓ﴾ بأمر سليمان ﴿ إِلَى الْاَرْضِ الَّتِىْ بٰرَكْنَا فِيْهَا﴾ بكثرة الأنهار والأشجار والثمار والمراد الشام، وكان منزله بها وتحمله الريح من نواحي الأرض إليها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عٰلِمِيْنَ﴾ وقد أحاط علمنا بكل شيء فتجري الأشياء كلها على ما يقتضيه علمنا ﴿وَمِنَ الشَّيٰطِيْنِ﴾ أي وسخرنا منهم ﴿مَنْ يَّغُوْصُوْنَ لَهٗ﴾ في البحار بأمره لاستخراج الدر وما يكون فيها ﴿وَيَعْمَلُوْنَ عَمَلًا دُوْنَ ذٰلِكَ﴾ أي دون الغوص وهو بناء المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حٰفِظِيْنَ﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه.

﴿وَاَيُّوْبَ﴾أي واذكر أيوب﴿اِذْ نَادٰى رَبَّهٗٓ اَنِّىْ﴾ أي دعا بأني﴿مَسَّنِىَ الضُّرُّ﴾ الضر بالفتح الضرر في كل شيء و بالضم الضرر في النفس من مرض أو هزال[٤٦]﴿وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِيْنَ﴾ ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب فكأنه قال:أنت أهل أن ترحم و أيوب أهل أن يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي مسه. عن أنس رضي الله عنه: أخبر عن ضعفه حين لم يقدر على النهوض إلى الصلاة ولم يشتك وكيف يشكو من قيل له:(اِنَّا وَجَدْنٰهُ صَابِرًا ؕ نِعْمَ الْعَبْدُ) [ص:٤٤]وقيل: إنما شكا إليه تلذذاً بالنجوى لا منه تضرراً بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب كما أن الشكاية منه غاية البعد

(٤٥) قوله لتحصنكم بالتاء على التانيث قرأه ابن عامر الشامي و حفص، والضمير عائد إلى "صنعة" و بالنون لنُحصنكم قرأه أبو بكر شعبة عن عاصم ، و حماد بن أحمد عن حمزة، وبالياء ليُحصنكم غيرهم.
قوله رُخاء بالضم: الريح الليّنة السريعة، لا تُزَعْزِع شيئًا.
قوله المحاريب أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج و التماثيل جمع تِمثال: اسم للشيء المصنوع مشبَّها بخلق من خلق الله، أي صور من نحاس و زجاج و رخام ، ولم يكن اتخاذ الصور حرامًا في شريعته و الجفان جمع جفنة، كالقَصعة: القدح الكبير، قوله أن يزيغوا الزيغ: العوج والانحراف عن الاستواء.
(٤٦) قوله هُزال، بضم الهاء ضدّ السِمَن يقال هُزِلت الدابّة. مبنيًّا للمفعول ـ هُزالا، و هَزَلها صاحبها من باب ضرب فهي مهزولة. (إكليل)
قوله ولم يشتك أي لم يأت بالشكاية عن ألمه، جواب عمّا يقال: كيف شكا مع علوّ مقامه في الصبر قوله و قيل إنّما شكا إليه جواب ثان، حاصل الأول أنه لم يشكُ، بل ذكر حاله، و وصف ربّه بغاية الرحمة، و أضمر المسئول. و حاصل الثاني أنه شكا إليه ضعفه و عدم إطاقته في القيام لطاعته لشدة ألمه ، ولم يشك منه أنه أوقعه في الألم والوجع، والشكاية إلى الرب غاية القرب كما قال سيدنا يعقوب عليه السلام: إنّما أشكو بثّي و حزني إلى الله، و الشكاية من الرب غاية البعد قوله تضررا بالشكوى أي=

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أجبنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ فكشفنا ضره إنعاماً عليه ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي أن أيوب عليه السلام كان رومياً من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وله سبعة بنين وسبع بنات وثلاثة آلاف بعير وسبعة آلاف شاة وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ونخيل، فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده وماله وبمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوت الله عز وجل. فقال: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة. فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي. فلما كشف الله عنه أحيا ولده بأعيانهم ورزقه مثلهم معهم ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ هو مفعول له ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ يعني رحمة لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَإِدْرِيسَ﴾ بن شيث بن آدم ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ أي اذكرهم وهو الياس أو زكريا أو يوشع بن نون،(٤٧) وسمي به لأنه ذو الحظ من الله والكفل الحظ ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي هؤلاء المذكورون كلهم موصوفون بالصبر. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ نبوتنا أو النعمة في الآخرة ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي ممن لا يشوب صلاحهم كدر الفساد.

﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي اذكر صاحب الحوت والنون الحوت فأضيف إليه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ حال أي مراغماً لقومه.(٤٨) ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها. روي أنه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يتعظوا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً لله وبغضاً للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ﴾ نضيق ﴿عَلَيْهِ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل يوماً على معاوية فقال: لقد ضربتني

= لإصابة الضرر بالمرض، الشكوى هنا بمعنى المرض. قوله روي أن أيوب عليه السلام: رواه أحمد في الزهد، و ابن عساكر. (الدر المنثور)
قوله فدان، بتخفيف الدال: الذي يجمع أداة الثورين في القِران للحرث، والجمع أفدِنة و فُدُن والفدّان بالتشديد كالفدان. (لسان العرب)
قوله الرخاء بفتح الراء، سعة العيش من (ن و ف و س و ك).

(٤٧) قوله وهو إلياس أو زكريا أو يوشع كذلك حكاه في الكشاف، ولم يذكر القائلين و كونه زكريا عليه السلام يخدشه أنه مذكور فيما بعد عطفًا، فالظاهر أنه غير زكريا عليه السلام، و روى عن مجاهد وغيره أنه رجل صالح غير نبي، لكن الظاهر من السياق ـ كما قال ابن كثير ـ أنه ما قُرن مع الأنبياء إلّا وهو نبي.
قوله لا يشوب شاب الشيءَ: خلطه (ن) كدر بفتح الكاف والدال ضدّ الصفو (ن، س، ك)

(٤٨) قوله مراغمًا لقومه فسّر في لسان العرب المراغمة بالمغاضبة ثم قال: راغم قومَه: نبذهم و خرج عنهم و عاداهم. قوله و معنى مغاضبته ـ إبانة لمعنى المشاركة في الغضب بأنه غضب علي القوم لإصرارهم علي الكفر، و غضبوا بمفارقته خوفًا من العقاب. قوله برِم من سمع: سئم و ضجر قوله فراغمهم أي نابذهم و خرج عنهم، قوله البارحة برِح الشيء يبرَح براحًا: زال من مكانه، و بابه سمع، و منه قيل لليلة الماضية "البارحة" والعرب تقول قبل الزوال: فعلنا الليلة كذا،=

أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك. قال: وما هي يا معاوية؟ فقرأ الآية. فقال: أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة ﴿فَنَادٰى فِى الظُّلُمٰتِ ﴾أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله: «ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِىْ ظُلُمٰتٍ» [البقرة:١٧]أو ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت﴿اَنْ﴾ أي بأنه ﴿لَّآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنْتَ﴾ أو بمعنى أي ﴿سُبْحٰنَكَ اِنِّىْ كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِيْنَ﴾ لنفسي في خروجي من قومي قبل أن تأذن لي. في الحديث: ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له. وعن الحسن: ما نجاه والله إلا إقراره على نفسه بالظلم. ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهٗ وَنَجَّيْنٰهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ غم الزلة والوحشة والوحدة ﴿وَكَذٰلِكَ نُـْجِى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ إذا دعونا واستغاثوا بنا.«نجى»شامي وأبو بكر بإدغام النون في الجيم عند البعض لأن النون لا تدغم في الجيم. و قيل: تقديره نجى النجاء المؤمنين فسكن الياء تخفيفاً و أسند الفعل إلى المصدر ونصب المؤمنين بالنجاء لكن فيه إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول وهذا لايجوز، وفيه تسكين الياء وبابه الضرورات. وقيل: أصله «ننجى» من التنجية فحذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التاءين في(تَنَزَّلُ الْمَلٰٓئِكَةُ)[٤٩] [القدر:٤].

= لقربها من وقت الكلام، و تقول بعد الزوال : فعلنا البارحة ـ اهـ ـ (إكليل)

قوله من القَدَر قَدَر على عياله قَدْرًا ضيّق عليهم في النفَقة، و قدرت عليه الشيءَ ضيّقتُه، قال تعالى (و من قُدِر عليه رزقُه) أي ضُيّق عليه، و قال: (يبسط الرزق لمن يشاء و يقدِر) المفردات في غريب القرآن.

قوله في الظلمة الشديدة المتكاثفة: توجيه لمعنى الجمع كأن الظلمة لتراكمها ظلمات.

قوله في الحديث أخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، والحكيم في نوادر الأصول، والحاكم و صححه، و ابن جرير وابن أبي حاتم، والبزار، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال "دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت (لا إله إلّا أنت، سبحٰنك ، إنّي كنت من الظلمين) لم يدعُ بها مسلم ربّه في شيء قط إلّا استجاب له" (الدر المنثور)

(٤٩) واختارها جماعة من الأئمة. قال سيدي علي النوري الصفاقسي في "غيث النفع في القراء ات السبع" قرأ الشامي و شعبة بنون واحدة مضمومة و تشديد الجيم (نُجِّي) والباقون بضم النون الأولى و إسكان الثانية و تخفيف الجيم (نُنجِي) من أنجى مسندًا إلى الله عزّ و جلّ بنون العظمة ، ونصب المومنين به وهي قرائة ظاهرة واضحة. واختار القراء ة الأولى أبو عبيد لموافقتها المصاحف، لأنها في الإمام و مصاحف الأمصار بنون واحدة، و جعلها بعض النحويين لحنًا، وليس الأمر كما ذكر، فإنها قراء ة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين. و وجهها كما قال جماعة من الأئمة و أشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه أن الأصل نُنَجّي بفتح النون الثانية مضارع نَجىٰ، فحذفت النون الثانية تخفيفًا، أو نُنجي بسكونها مضارع، أنجى، و أدغمت النون في الجيم لاشتراكهما في الجهر، والاستفال، والانفتاح، والتوسط بين القوة والضعف، كما أدغمت في إجّاصة و إجّانة بتشديد الجيم فيهما، والأصل إنجاصة و إنجانة، فأدغمت النون فيهما ـ الخ ـ

و قال البيضاوي: قرأ ابن عامر و أبو بكر بتشديد الجيم على أن أصله نُنَجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في "تظاهرون" وهي و إن كانت فاء فحذفها أوقع من حروف المضارعة التي لمعنى، ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين، فإنّ الداعي إلى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الإدغام. و امتناع الحذف في "تتجافى" لخوف اللبس. اهـ.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادٰى رَبَّهٗ رَبِّ لَا تَذَرْنِىْ فَرْدًا﴾ سأل ربه أن يرزقه ولداً يرثه ولا يدعه وحيداً بلا وارث، ثم رد أمره إلى الله مستسلماً فقال: ﴿وَّاَنْتَ خَيْرُ الْوٰرِثِيْنَ ﴿٨٩﴾﴾ أي فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فإنك خير وارث أي باق ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهٗ وَوَهَبْنَا لَهٗ يَحْيٰى﴾ ولداً ﴿وَاَصْلَحْنَا لَهٗ زَوْجَهٗ﴾ جعلناها صالحة للولادة بعد العقار أي بعد عقرها أو حسنة وكانت سيئة الخلق ﴿اِنَّهُمْ﴾ أي الأنبياء المذكورين ﴿كَانُوْا يُسٰرِعُوْنَ فِى الْخَيْرٰتِ﴾ أي إنهم إنما استحقوا الإجابة إلى طلباتهم لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ﴿وَيَدْعُوْنَنَا رَغَبًا وَّرَهَبًا﴾ أي طمعاً وخوفاً كقوله: «يَّحْذَرُ الْاٰخِرَةَ وَيَرْجُوْا رَحْمَةَ رَبِّهٖ» [الزمر: ٩] وهما مصدران في موضع الحال أو المفعول له أي للرغبة فينا و الرهبة منا ﴿وَكَانُوْا لَنَا خٰشِعِيْنَ ﴿٩٠﴾﴾ متواضعين خائفين. ﴿وَالَّتِىْٓ﴾ أي واذكر التي ﴿اَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من الحلال والحرام ﴿فَنَفَخْنَا فِيْهَا مِنْ رُّوْحِنَا﴾ أجرينا فيها روح المسيح أو أمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها، وإضافة الروح إليه تعالى لتشريف عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلْنٰهَا وَابْنَهَآ اٰيَةً﴾ مفعول ثان ﴿لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿٩١﴾﴾ وإنما لم يقل آيتين كما قال: «وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ اٰيَتَيْنِ» [الإسراء: ١٢] لأن حالهما بمجموعهما آية واحدة وهي ولادتها إياه من غير فحل، أو التقدير وجعلناها آية وابنها كذلك فـ«آية» مفعول المعطوف عليه ويدل عليه قراءة من قرأ «آيتين». ﴿اِنَّ هٰذِهٖٓ اُمَّتُكُمْ اُمَّةً وَّاحِدَةً﴾[٥٠] الأمة الملة وهذه إشارة إلى ملة الإسلام وهي ملة جميع الأنبياء. و«أُمَّةً وَاحِدَةً» حال أي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل عليه اسم الإشارة أي إن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار إليها ملة واحدة غير مختلفة ﴿وَّاَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْنِ ﴿٩٢﴾﴾ أي ربيتكم اختياراً فاعبدوني شكراً وافتخاراً والخطاب للناس كافة.

﴿وَتَقَطَّعُوْٓا اَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أصل الكلام وتقطعتم إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على

قوله مستسلمًا أي منقادًا قوله أي باق إشارة إلى المعنى المراد في حقه تعالى، واللفظ له تعالى إمّا على طريق التمثيل أو للمشاكلة قوله بعد العَقار في لسان العرب: العَقْر والعُقْر: العُقْم، و هو استعقام الرحم، وهو أن لا تحمل. و قد عقُرت المرأة عَقارة و عِقارة،(ك) و عقَرت تعقِر عَقْرًا و عُقُرا (ض) و عقِرت عقارًا (س) وهي عاقر ـ اهـ.

قوله طلباتهم ـ الطَّلِبَة، بفتح الطاء و كسر اللام: ما طلبتَه من شيء، و بمعنى الحاجة أيضًا (لسان العرب)

قوله أي إنهم ـ الخ ـ بيان لأن الجملة مستانفة، تعليل لما فصّل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم و استقرارهم في أصل الخير، وهو السّرّ في إيثار كلمة "في" على "إلى". (أبو السعود)

(٥٠) قوله تعالى إن هذه أمتكم. بعد إقامة الدلائل على التوحيد ذَكر الأنبياء عليهم السلام، و قيامهم على إخلاص العبادة للّٰه تعالى، والمبادرةَ إلى الخيرات، و إفاضةَ النعم عليهم ثم نبّه أنهم كانوا على ملة واحدة وهي الإيمان بالمبدأ والمعاد، والعمل بما أمر اللّٰه به من الصالحات، وهي ملّتكم جميعًا، ويجب أن تدينوا بها، ولا تحيدوا عنها بالإشراك باللّٰه، أو ادّعاء الولد له أو بالتفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم فتستوجبوا العقاب، و تُحرموا الثواب.

طريقة الالتفات، و المعنى وجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وصاروا فرقاً وأحزاباً . ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ فنجازيهم على أعمالهم ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ﴾ شيئاً ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بما يجب الإيمان به ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي فإن سعيه مشكور مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في إعطائه وقد نفى نفي الجنس ليكون أبلغ ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ للسعي أي الحفظة بأمرنا ﴿كٰتِبُوْنَ﴾ في صحيفة عمله فنثيبه به ﴿وَحَرٰمٌ﴾ «وحرم» كوفي غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزناً وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده(٥١) ﴿عَلٰى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُوْنَ﴾ والمعنى ممتنع على مهلك غير ممكن أن لا يرجع إلى الله بالبعث، أو حرام على قرية أهلكناها أي قدرنا إهلاكهم أو حكمنا بإهلاكهم ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور أنهم لا يرجعون من الكفر إلى الإسلام.﴿ حَتّٰى ﴾ هي التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني﴿إِذَا﴾ وما في حيزها ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوْجُ وَمَأْجُوْجُ﴾ أي فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف إلى قرية «فتّحت»: شامي وهما قبيلتان من جنس الإنس. يقال: الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج ﴿وَهُمْ﴾ راجع

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله والكفران مثل ـ الخ ـ قال البيضاوي استعير (الكفران) لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه. قال الشهاب: الظاهر أنه استعارة تصريحية، و يجوز كونها تمثيلية، و استعارة الشكر في قولهم "شكر الله سعيه" وهي مشهورة، و منه قيل لله "شكور" قال الطيبي: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بما أعطاه، وهو في حق الله تعالى محال فشبه معاملته مع من أطاعه و عمل صالحًا بثناء من أحسن إليه غيرُه. ثم استعمل للمشبه ما استعمل للمشبه به، و قوله وقد نفى نفي الجنس أي قيل "لا كفران" دون لا نكفر لأن نفي الجنس مستلزم له، و أبلغُ لعمومه (عناية القاضي)

قوله و حرم بكسر الحاء و سكون الراء بلا ألف كوفي غير حفص و خلف، أي أبو بكر و حمزة والكسائي والباقون حرام بفتح الحاء والراء و بألف بعدها. (إكليل)

(٥١) استعير الحرام للممتنع وجوده، بجامع أن كل واحد منهما غيرمرجوّ الحصول، وقال الراغب: الحرام الممتنع إمّا بتسخير إلهيّ، و إمّا بمنع قسرى، و إمّا بمنع من جهة العقل أو من جهة الشرع. (خفاجي)

قوله والمعنى حاصله أن "حرام" خبر مقدم والمبتدأ المؤخر "أنهم لا يرجعون" والمراد بالإهلاك الإهلاك المتحقق، أي عدم الرجوع إلى الله بالبعث ممتنع على القرية المهلكة بل كلٌّ إلينا راجعون ـ أو ـ حرام خبر، و المبتدأ محذوف ـ وهو ذلك ـ والمشار إليه ما ذكر في الآية المتقدمة، والمراد بالإهلاك تقدير الإهلاك أو الحكم بالإهلاك. أي العمل الصالح والسعي المشكور حرام على القرية المقدر إهلاكها أو المحكوم عليها بالإهلاك. و قوله "أنهم لا يرجعون" في موضع التعليل لامتناع العمل الصالح منهم والسعي المشكور لهم و لام التعليل محذوفة. والمراد بعدم الرجوع، عدمُ الرجوع من الكفر إلى الإسلام، أي ذلك ممتنع لهم، لأنهم لا يرجعون عن كفرهم.

قوله (حتى) متعلّق بحرام، أو بمحذوف دلّ الكلام عليه، أو بلا يرجعون ـــ والمراد التعلق المعنوي لأنها ابتدائية لا جارة ــ أي يستمرّ الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرجوع إلى قيام الساعة و ظهور أماراتها، وهو فتح سدّ يأجوج و ماجوج. (بيضاوي وخفاجي)

قوله فتحت أي بتشديد التاء الأولى قرأه ابن عامر الشامي، وأبو جعفر و يعقوب من العشرة، و الباقون بالتخفيف.

إلى الناس المسوقين إلى المحشر. وقيل: هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد[٥٢] ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ نشز من الأرض أي ارتفاع ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي القيامة وجواب «إذا» ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ وهي «إذا» المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله:﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم:٣٦] فإذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد، ولو قيل فهي شاخصة أو إذا هي شاخصة كان سديداً و«هي» ضمير مبهم يوضحه الأبصار ويفسره ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم فيه ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا و «يقولون» حال من «الذين كفروا» ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها. ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام وإبليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ﴿حَصَبُ﴾ حطب وقرىء «حطب» ﴿جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ فيها داخلون ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ ما دخلوا النار ﴿وَكُلٌّ﴾ أي العابد والمعبود ﴿فِيهَا﴾ في النار ﴿خَالِدُونَ لَهُمْ﴾ للكفار ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أنين وبكاء وعويل. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً ما لأنهم صاروا صماً وفي السماع نوع أنس فلم يعطوه.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥٢) أخرج القول الأول ابن جرير عن مجاهد، و الثاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، و رجّح الثاني بحديثين مرفوعين رواهما عن أبي سعيد الخدري و عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهما. و في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يقول يفتح ياجوج و ماجوج يخرجون على الناس كما قال الله "من كل حدب ينسلون" فيغشون الأرض، وابن كثير لم يذكر القول الأول ، و أورد حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه بطوله عن مسند الإمام أحمد، ثم ذكر الحديث الثاني عن النواس بن سمعان الكلابي مرفوعًا وقال انفرد بإخراجه مسلم دون البخاري ، و رواه مع بقية أهل السنن من طرق، و قال الترمذي، حسن صحيح. والحديث الثالث بتخريج الإمام أحمد عن ابن حرملة عن خالته مرفوعًا، والحديث الرابع برواية الإمام أحمد و ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعًا، ثم قال: والأحاديث في هذا كثيرة جدًا، والآثار عن السلف كذلك والإمام السيوطي أيضًا أورد في الدر المنثور تلك الأحاديث بزيادة المخرّجين. فهذه الأحاديث المرفوعة تُعيّن أن المراد بالضمير (هم) يأجوج و مأجوج.

قوله سادة مسدّ الفاء أي في الربط، وليست عوضًا عنها حتى يلزم الجمع بين العوض والمعوض إذا ذكرتا (شهاب) قوله فيتأكد أي يتقوّى الوصل بلا محذور قوله وهي مبهم قال البيضاوي : والضمير للقصة، أو مبهم يفسّره الأبصار، قوله الأجفان جفن العين: غطاؤها من أعلى و أسفل، والجمع: أجفُن و أجفان و جُفون. قوله تطرِف من ضرب، والطرف بفتح الطاء و سكون الراء: تحريك الجفون في النظر، يقال شخص بصرُه فما يطرِف. (لسان العرب) و شخوص أبصارهم يكون في القيامة. والتعقيب عرفي أريد به المبالغة هنا. (خفاجي).

(قوله) وقرئ حطب أي في الشّواذ قوله أنين من ضرب أن يئنّ أنينًا: صوّت لألم و تأوّه، و الأُنان بالضم مثل الأنين قوله عويل أعول و عوّل: رفع صوته بالبكاء و الصياح، والاسم العول و العويل و العولة(لسان العرب)

﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنٰٓى ﴾ الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن وهي السعادة أو البشرى بالثواب أو التوفيق للطاعة. نزلت[٥٣] جواباً لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ) إلى قوله:(خٰلِدُوْنَ) أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة على أن قوله: «وَمَا تَعْبُدُوْنَ» لا يتناولهم لأن «ما» لمن لايعقل إلا أنهم أهل عناد فزيد في البيان﴿أُولٰٓئِكَ﴾يعني عزيراً والمسيح والملائكة ﴿عَنْهَا﴾ عن جهنم ﴿مُبْعَدُوْنَ﴾ لأنهم لم يرضوا بعبادتهم. وقيل: المراد بقوله: (إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنٰى) جميع المؤمنين لما روي أن عليًّا رضي اللّٰه عنه قرأ هذه الآية ثم قال:«أنا منهم وأبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف»[٥٤]وقال الجنيد رحمه اللّٰه:سبقت لهم منا العناية في البداية فظهرت لهم الولاية في النهاية.

﴿لَا يَسْمَعُوْنَ حَسِيْسَهَا﴾صوتها الذي يحس وحركة تلهبها وهذه مبالغة في الإبعاد عنها أي لا يقربونها حتى لايسمعوا صوتها وصوت من فيها ﴿ وَهُمْ فِيْمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ من النعيم ﴿خٰلِدُوْنَ﴾ مقيمون والشهوة طلب النفس اللذة ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٥٣) أخرج أبو داؤد في ناسخه، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما قال: لما نزلت (إنّكم و ماتعبدون من دون اللّٰه حصب جهنم أنتم لها واردون) شق ذلك على أهل مكّة، و قالوا شتم الآلهة. فقال ابن الزِبَعْرَى: أنا خصم لكم محمدًا، ادعوه لي فدعي، فقال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عُبد من دون اللّٰه؟ قال: بل لكلّ من عبد من دون اللّٰه، فقال ابن الزبعري خَصَمتُ و ربِّ هذه البِنية، يعني الكعبة، ألست تزعم يا محمد أن عيسى عبد صالح، و أن عزيرًا عبد صالح، و أن الملائكة صالحون؟ قال: بلى. قال: فهذه النصارى تعبد عيسى، و هذه اليهود تعبد عزيرًا، وهذه بنو مُليح تعبد الملائكة، فضجّ أهل مكة و فرحوا ، فنزلت (إنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسنىٰ) عزير و عيسى والملائكة (أولئك عنها مبعدون) و نزلت (وَ لَمّا ضُرب ابن مريم مثلًا إذا قومُك منه يَصِدُّون) [الزخرف:٥٧] قال: وهو الصحيح. (الدر المنثور)

والزِبَعْرَى، بكسر الزاي المعجمة و فتح الباء الموحدة و سكون العين المهملة و فتح الرآء المهملة والقصر، معناه: السيء الخلق الغليظ، وهو لقب والد عبد اللّٰه القرشي المذكور، وهو شاعر، وقد أسلم بعد هذه القصة، وصار من كبار الصحابة رضي اللّٰه تعالى عنهم. وقوله خصمتك أي غلبتك في المخاصمة والمحاجّة، و بنو مليح بالتصغير قوم من خزاعة. (خفاجي)

قوله صناديد قريش أي أشرافهم و عظماء هم ، الواحد صنديد (بكسر الصاد و الدال و سكون النون بينهما) ـ لسان العرب ـ قال العلامة ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: اشتهر في ألسنة كثير من علماء العجم و في كتبهم أن النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال في هذه القصة لابن الزبعري "ما أجهلك بلغة قومك، فإنّي قلت: و ما تعبدون ، وهي لما لا يعقل، ولم أقل: ومن تعبدون. اه. وهو شيء لا أصل له، ولا يوجد لا مسندًا ولا غير مسند. انتهى.

نعم في بعض طرق هذه القصة أن النبي عليه السلام قال له: إن كل من أحبّ أن يعبد من دون اللّٰه فهو مع من عبده، إنهم إنّما يعبدون الشياطين" ذكرها ابن إسحق في المغازي و ابن جرير الطبري من طريقه.

(٥٤) أخرجه عنه ابن أبي حاتم، و ابن عدي، وابن مردويه (الدرالمنثور) قوله تعالى لا يسمعون قال ابن جرير : فإن قال قائل: كيف لا يسمعون حسيسها وقد علمت ما روي "أن جهنم يوتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا جثا على ركبتيه خوفًا منها" قيل: إنّ الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها غير تلك الحال، بل هي الحال التي "نزلوا منزلهم من الجنة" كما روي عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما. انتهى ملخصًا.

النفخة الأخيرة ﴿وَتَتَلَقّٰهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ أي تستقبلهم الملائكة مهنئين على أبواب الجنة يقولون: ﴿هٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِيْ كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ﴾ أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم في الدنيا. العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَآءَ﴾ «لا يحزنهم» أو «تتلقاهم» «تطوى السماء» يزيد، وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها أو هو ضد النشر نجمعها ونطويها ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ أي الصحيفة ﴿لِلْكُتُبِ﴾ حمزة وعلي وحفص أي للمكتوبات أي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة: وغيرهم للكتاب أي كما يطوى الطومار للكتابة، أو لما يكتب فيه لأن الكتاب أصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب. وقيل: السجل: ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه. وقيل: كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها والطي مضاف إلى الفاعل و على الأول إلى المفعول[٥٥] ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيْدُهٗ﴾ انتصب الكاف بفعل مضمر يفسره «نعيده» و «ما» موصولة أي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده، و «أول خلق»

قوله النفخة الأخيرة: اختاره ابن جرير و رجّحه على غيره من الأقوال، و روي هذا القول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

قوله تطوى السماء بضم التاء من فوق، على التانيث، و فتح الواو مبنيًّا للمفعول، و السماء بالرفع نائب الفاعل، قرأه أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، من العشرة، والباقون بنون العظمة ، والسماء بالنصب مفعول به. (إكليل)

قوله تكوير نجومها قال المصنّف في تفسير قوله تعالى (إذا الشمس كُوّرتْ): ذُهب بضوئها، من كوّرتُ العمامةَ إذا لففْتَها،أي يُلفّ ضوئها لفًّا، فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق ـ اهـ فتكوير النجوم معناه: إذهاب ضوئها.

قوله للكتب بضم الكاف والتاء بلا ألف على الجمع قرأه حمزة و علي و حفص، و خلف، وغيرهم للكتاب بكسر الكاف وفتح التاء، على الإفراد، والرسم يحتملهما. (إكليل)

(٥٥) ذكر المصنّف هنا في السجل ثلاثة أقوال (١) معناه الصحيفة وهو المعروف لغة (٢) اسم ملك يطوي كتب بني آدم (٣) اسم كاتب لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم. والكتاب إمّا مصدر بمعنى الكتابة، أو اسم بمعنى المكتوب، والكتب جمعًا بمعنى المكتوبات، والطيّ مصدر مضاف إلى المفعول على تقدير السجل بمعنى الصحيفة، واللام في "للكتب" للتعليل أي كما تُطوى الصحيفةُ لأجل الكتابة أو بسبب المكتوبات. والطيّ على تقدير المعنيين الآخرين في السجل، مصدر مضاف إلى الفاعل، واللام في " للكتب " صلة ، وهو مفعول به معنىً، أي كما يَطوي الملكُ أو الكاتبُ الصحيفةَ أو الصحائفَ. وكانوا يأخذون القرطاس فيكتبون عليه، ثم يضيفون إليه قرطاسًا آخر و يلصقونه بالأول، و يطوون الأول ثم يكتبون على الثاني وهكذا الثالث والرابع، فطيّ الطومار (أي الصحيفة المكتوبة) كان واقعًا لأن يُكتب على ما بعده، و أيضًا إذا تمّت الكتابة طُوي القرطاس المكتوبُ، فشُبّه طيّ السماء بطيّ الصحائف لأجل الكتابة، أو بسبب المكتوبات. وهذا التشبيه واضح، أمّا طيّ السماء بمعنى إذهاب أضواء نجومها و محو رسومها فهو يحتاج إلى اعتبار وجه جامع بينهما، وهو الإخفاء أي كما يقع إخفاء المكتوبات بطيّ الصحف كذا يقع إخفاء نجوم السموات بإذهاب ضوئها.

قال ابن جرير بعد ذكر الأقوال الثلاثة في "السجل": و أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع "الصحيفة"، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبيّنا صلّى الله تعالى عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه. اهـ

والسجل بمعنى الملك رواه ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، و رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن علي بن الحسين أيضا، و ابنُ جرير عن السُّدِي أيضًا، والسجل بمعنى كاتب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند ابن جرير، وابن أبي حاتم و =

ظرف لـ «بدأنا» أي أول ما خلق، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى. وأول الخلق إيجاده أي فكما أوجده أوّلا يعيده ثانياً تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء. والتنكير في «خلق» مثله في قولك: «هو أول رجل جاءني» تريد أول الرجال ولكنك وحدته ونكرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً فكذلك معنى «أول خلق» أول الخلق بمعنى أول الخلائق لأن الخلق مصدر لايجمع ﴿ وَعْدًا ﴾مصدر مؤكد لأن قوله: «نعيده» عدة للإعادة ﴿عَلَيْنَا ؕ﴾ أي وعدا كائناً لامحالة ﴿اِنَّا كُنَّا فٰعِلِيْنَ﴾ ذلك أي محققين هذا الوعد فاستعدوا له وقدموا صالح الأعمال للخلاص من هذه الأهوال.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُوْرِ﴾(٥٦) كتاب داود عليه السلام ﴿مِنْۢ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ التوراة ﴿اَنَّ الْاَرْضَ﴾ أي

= أبي داؤد والنسائي، وابن عدي و رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما. قال ابن كثير : وهذا منكر جدًّا من حديث نافع عن ابن عمر ، لا يصح أصلًا ، و كذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داؤد، وغيره لا يصح أصلًا. وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه و إن كان في سنن أبي داود. منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزّي، وقد أفردتُّ لهذا الحديث جزءً على حدته، ولله الحمد، وقد تصدّى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث، و ردّه أتم ردّ، وقال: لايُعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، و كتّاب النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم معروفون ، وليس فيهم أحد اسمه "السجل" و صدق رحمه الله في ذلك. وهو من أقوى الأدلّة على نكارة هذا الحديث. و أمّا من ذكره في أسماء الصحابة فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره، و الله أعلم.

قوله (كما بدأنا) من المفسّرين من قال: إنه ابتداء كلام، و منهم من قال: إنّه وَصَف قولَه "هذا يومكم الذي كنتم توعدون" بقوله "يوم نطوى" ثم عقبه بوصف آخر فقال "كما بدأنا أول خلق" (نيسابوري) أي ذلك اليوم موصوف بوقوع طيّ السماوات فيه، و موصوف بوقوع الإعادة فيه. والأظهر أنه ابتداء كلام جرى بعد الكلام في التوحيد والنبوة، في ذكر البعث، وبيان لأن الإعادة تقع كما وقع الإبداء. فلما لم يكن الإبداء محل إنكاركم لا ينبغي أن تكون الإعادة محلّ الإنكار، فإن الإعادة ليست بأصعب من الإبداء عند العقل و في الواقع، بل هي أسهل و أهون منه، و إن لم يكن شيء صعبًا على الله. وهذا المعنى مصرّح به في آيات و نصوص كثيرة لبيان وقوع البعث و صحّة الحشر. والمعنى الثاني للآية أن الناس يحشرون حفاة عراةغرلا كما خلقوا أوّل مرة، و هذا المعنى أيّده هنا بعض الأحاديث المرفوعة، ولذا اختاره ابن جرير.

قوله أول خلق ظرف ـ الخ ـ والخلق على تقدير كونه ظرفًا مصدر، و على تقدير كونه حالًا بمعنى المخلوق، و توجيه التنكير يرتبط به على هذا المعنى، لكن الكلام حينئذ ينحصر في أول المخلوقات أي مثل الذي بدأناه حال كونه أوّل المخلوقات نعيده، والأظهر عندي أن أولَ خلق ظرف، و ما مصدريّة، و مفعول بدأنا محذوف ليعم كل شيء، والمعنى مثل إبداء نا كلَّ شيء أوّلَ زمان الخلق والإيجاد نعيده، أي نعيد كل شيء كما أوجدناه أول مرّة. قوله مصدر مؤكد كقولك: لك عليّ ألف درهم اعترافًا.

(٥٦) قوله في الزبور زبَر الكتاب زَبرًا (ن ض) كتبه، والزِّبر، بالكسر: الكتاب والجمع زُبور، مثل قِدر و قدور، و منه قرأ بعضهم (و آتينا داؤد زُبورًا) والزَّبور، بالفتح: الكتاب المزبور، والجمع زُبُر، كما قالوا رسول و رسل، وإنّما مثّلته به لأن زَبورًا و رَسُولًا في معنى مفعول، وقد غلب الزَّبور على صحف داؤد على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وكل كتاب زَبور. (لسان العرب)

تفسير الزبور هنا بكتاب داود عليه السلام، والذكر بالتوراة مروي عن ابن عباس، والشعبي، والحسن، و قتادة و غير واحد، وقال مجاهد : الزبور الكتب بعد الذكر، والذكر أم الكتاب عند الله، واختار ذلك ابن جرير رحمه الله، و كذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، و قال الثوري: هو اللوح المحفوظ. والمراد بالأرض هنا أرض الجنة، قاله ابن عباس، و أبو العالية، و مجاهد، و سعيد بن جبير، والشعبي، و قتادة، والسدي، و أبو صالح، والربيع=

الشام ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ﴾ ساكنة الياء: حمزة. غيره بفتح الياء ﴿الصّٰلِحُوْنَ﴾ أي أمة محمد عليه السلام،(٥٧) أو الزبور بمعنى المزبور أي المكتوب يعني ما أنزل على الأنبياء من الكتب. والذكر أم الكتاب يعني اللوح لأن الكل أخذوا منه. دليله قراءة حمزة وخلف بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور والأرض أرض الجنة. ﴿اِنَّ فِيْ هٰذَا﴾ أي القرآن أو في المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ ﴿لَبَلٰغًا﴾ لكفاية وأصله ما تبلغ به البغية ﴿لِّقَوْمٍ عٰبِدِيْنَ﴾ موحدين وهم أمة محمد عليه السلام ﴿وَمَآ اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً﴾ قال عليه السلام «إنما أنا رحمة مهداة»(٥٨) ﴿لِّلْعٰلَمِيْنَ﴾ لأنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ومن لم يتبع فإنما أتى من نفسه حيث ضيع نصيبه منها. وقيل: هو رحمة للمؤمنين في الدارين وللكافرين في الدنيا بتأخير العقوبة فيها. وقيل: هو رحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ والخسف. و «رحمة» مفعول له أو حال أي ذا رحمة.

﴿قُلْ اِنَّمَا﴾ إنما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو «إنما زيد

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= بن أنس ، والثوري (ابن كثير) والقول الثاني أرض الدنيا. هو قول الكلبي و ابن عباس في بعض الروايات، و ذكر الإمام الرازي في دليله قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصلحٰت ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) والقول الثالث الأرض المقدّسة، ذكره الزمخشري ولم ينسبه إلى أحد، وذكر الإمام في دليله قوله تعالى (و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشٰرق الأرض و مغٰربها التي بٰركنا فيها و تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) [الأعراف: ١٣٧]

لكن هذا صريح في بني إسرائيل، قال الإمام : ثم يورثها أمة محمد صلّى اللّه تعالى عليه وسلم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام، لكن روي تفسيرها بالشام عن الحسن و قتادة و زيد بن أسلم وغيرهم قال الخفاجي: وليست داخلة في الأرض المقدسة كما علم، و مشارق و مغارب مفعول أورثنا. أمّا تفسير العلامة النسفي بالشام فيوافق ما هناك و لعله غير لفظ الزمخشري "الأرض المقدّسة" بقوله "الشام" لموافقة تفسير الأرض المروي في سورة الأعراف. لكن ما كان محلّه هنا. وأخرج البخاري. في تاريخه، وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم : (إن الأرض يرثها عبادي الصلحون) فنحن الصالحون. (الدر المنثور)

(٥٧) رواه ابن جرير عن كعب الأحبار، و روي عن ابن جريج ـ قوله (إنّ في هذا لبلاغا لقوم عابدين) قال: يقولون في هذه السورة، و يقول آخرون: في القرآن تنزيل الفرائض الصلوات الخمس من أداها كان بلاغًا لقوم عابدين، قال: عاملين.

(٥٨) أخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه قال قال رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم "إنّما أنا رحمة مهداة" و أخرج ابن جرير، و ابن أبي حاتم ، و ابن مردُويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما في قوله (و ما أرسلنٰك إلّا رحمة للعٰلمين) قال: من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، و من لم يومن عُوفي ممّا كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب، من المسخ والخسف والقذف.

قوله أتي من عند نفسه، مبنيًّا للمفعول أي هلك.

قوله إنّما لقصر الحكم ـ الخ ـ إنّما يقصر مدخوله على الجزء الأخير في الجملة، فإن كان الأخير حكمًا نحو إنّما زيد قائم كان لقصر الشيء على الحكم، و إن كان الأخير ذاتًا كان لقصر الحكم على الشيء نحو إنّما يقوم زيد ـ وكذا أنّما ـ قال في الكشاف: وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن (إنّما يوحى إليّ) مع فاعله بمنزلة إنّما يقوم زيد، و (أنّما إلٰهكم إله=

قائم وإنما يقوم زيد». وفاعل ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ والتقدير يوحي إليَّ وحدانية إلهي، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي يوحي إليّ فتكون «ما» موصولة ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ استفهام بمعنى الأمر أي أسلموا ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإسلام ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ﴾ أعلمتكم ما أمرت به ﴿عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ حال أي مستوين في الإعلام به ولم أخصص بعضكم، وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ أي لا أدري متى يكون يوم القيامة لأن الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة، أو لا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ إنه عالم بكل شيء يعلم ما تجاهرونني به من الطعن في الإسلام وما تكتمونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم في الدنيا امتحان لكم لينظر كيف تعملون ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ وتمتيع لكم إلى الموت ليكون ذلك حجة عليكم ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل، أو بما يحق عليهم من العذاب ولا تحابهم وشدد عليهم كما قال «واشدد وطأتك على مضر». «قال رب» حفص على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «رب احكم» يزيد «ربي أحكم» زيد عن يعقوب ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ العاطف على خلقه ﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ وعن ابن ذكوان بالياء، كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون أن تكون الشوكة لهم والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وخذلهم أي الكفار وهو المستعان على ما يصفون.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= واحد) بمنزلة إنّما زيد قائم. و فائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم مقصور على استئثار اللّٰه بالوحدانية. اه. والقصر إضافي.

قوله فتكون ما موصولة أي في الموضع الأول قوله الأحقاد، جمع حقد بكسر الحاء و سكون القاف، وهو الضِّغْن، و إمساك العداوة في القلب، والتربّص لفرصتها (لسان العرب)

قوله لاتحابهم صيغة نهي من المحاباة، حابى الرجل حبآء: نصره واختصّه و مال إليه (لسان العرب) و في المصباح حاباه محاباة: سامحه ـ اه ـ أي ساهله. قوله واشدد وطأتك ـ الخ ـ متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه تعالى عنه في قصة القنوت في صلاة الصبح (الكافي الشاف) اُشدد من نصر، صيغة أمر، الوطأة الأخذة الشديدة، أي خذهم أخذًا شديدًا (لسان العرب)

قال رب بصيغة الماضي حفص، والباقون "قل" بصيغة الأمر قوله ربُّ احكمُ بضم الباء على إحدى اللغات الجائزة في المضاف لياء المتكلم نحو يا غلامُ. تبنيه على الضم، و تنوي الإضافة و ليس منادى مفردًا، لأنه ليس من نداء النكرة المقبَل عليها يزيد هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني من العشرة، والباقون "ربِّ" بكسر الباء، اجتزاءً بالكسرة عن ياء الإضافة، وهي الفصحى ربّي أحكم بياء ثابتة، و فتح الألف والكاف و رفع الميم بصيغة التفضيل ـ مبتدأ و خبر ـ زيد عن يعقوب بن إسحاق.

وعن ابن ذكوان الراوي عن عبد اللّٰه بن عامر الشامي "يصفون" بالياء من تحت، وهي رواية الأخفش عن ابن ذكوان ، شاذّة، والمتواترة بالتاء من فوق على الخطاب. (إكليل)

(تمت في الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٤٢٦ھ على الساعة الثانية عشرة من الليل، على تمام السابع والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٥م ليلة الجمعة المباركة)

سورة الحج مكية[١] و هي ثمان و سبعون آية

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾

﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوْا رَبَّكُمْ﴾ أمر بني آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها[٢] عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ۝﴾ لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الأفزاع. والزلزلة: شدة التحريك والإزعاج، وإضافة الزلزلة إلى الساعة إضافة المصدر إلى فاعله كأنها هي التي تزلزل الأرض، على المجاز الحكمي، أو إلى الظرف لأنها تكون فيها كقوله:(بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [سبأ:٣٣] ووقتها يكون يوم القيامة أو عند طلوع الشمس من مغربها،[٣] ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئاً فإن هذا اسم لها حال وجودها. وانتصب﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾أي الزلزلة أو الساعة بقوله﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل. والذهول: الغفلة﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. وقيل «مرضعة» ليدل على أن ذلك الهول إذا حدث وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة إذ المرضعة هي التي في حال

سورة الحج

(١) قوله مكية، اختلف فيها فقيل إنّها مكية، و قيل إنها مدنية، وقيل مختلطة بعضها مكي، و بعضها مدني، وهو الأصح. واختلف في تعيينه على أقوال. (خفاجي)

(٢) قوله علل وجوبها التعليل يستفاد من الجملة المصدرة بإنّ المستانفة استينافًا بيانيًا، على ما قرّر أهل المعاني في نحو "إذ ذاك النجاح في التبكير" قوله يبقوا على أنفسهم ، من الإبقاء أبقيتُه، : جعلته أو تركته باقيًا، و أبقيت عليه: رحمتُه و أشفقتُ عليه، والاسم البُقيا بضم الباء و سكون القاف، والبقية على زنة عطية. قوله التردّي لبس الرداء، و ههنا بمعنى اللبس مطلقًا. يؤمنهم أي يجعلهم في أمن و حفظ.قوله على المجاز الحكمي أي المجاز في الإسناد لأن المحرّك حقيقةً هو اللّٰه، لا الساعة.

(٣) قوله عند طلوع الشمس من مغربها، كذا حكاه الزمخشري عن علقمة والشعبي، و روى ابن جرير وابن المنذر عن الشعبي أنه قرأ (يأيّها الناس اتقوا ربكم) إلى قوله (ولكن عذاب اللّٰه شديد) وقال : هذا في الدنيا من آيات الساعة، و كذا روى غير واحد عن علقمة قال: الزلزلة قبل الساعة، و بمعناه جاء عن عبيد بن عمير، وابن جريج كما في الدر المنثور، قال القرطبي كالدليل عليه: والرضاع والحمل في الدنيا. وقال ابن جرير: هذا قول لو لا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم بخلافه ، و رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم أعلم بمعاني وحي اللّٰه و تنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صحّ به الخبر عنه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. والحديث المرفوع في ذلك مروي عن عمران بن الحصين، و أبي سعيد الخدري، و عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهم بطرق كثيرة عند الأئمة حتى البخاري و مسلم و في بعض طرقه "أ تدرون أي يوم ذاك" ثم قال: ذلك يوم يقول اللّٰه لآدم: ابعث بعث النار، و في بعض طرق أبي سعيد عند البخاري وغيره قال النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "يقول اللّٰه تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربّنا و سعديك، فينادىٰ بصوت إن اللّٰه يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ـ الحديث ـ

فهذه الأحاديث تعيّن أنّ ذاك يقع عند النفخة الثانية حين يحشر الناس.

الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي حبلى﴿ حَمْلَهَا ﴾ولدها قبل تمامه. عن الحسن: (٤)تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام﴿ وَتَرَى النَّاسَ ﴾ أيها الناظر﴿سُكٰرٰى﴾على التشبيه لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال كل نبي: نفسي نفسي﴿وَمَاهُمْ بِسُكٰرٰى﴾على التحقيق﴿وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللّٰهِ شَدِيْدٌ۝﴾فخوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم و ردّهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله و تمييزه. وعن الحسن: وترى الناس سكارى من الخوف و ما هم بسكارى من الشراب. «سكرى» فيهما بالإمالة: حمزة و علي وهو كعطشى في عطشان. رُوي أنه نزلت الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق فقرأهما النبي عليه السلام فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة. (٥)

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله و إن لم تباشر الإرضاع، في لسان العرب: باشَر الأمرَ: ولِيَه بنفسه، و مُباشرةُ الأمر: أن تحضُرَه بنفسك و تَلِيَه بنفسك ـ اهـ ـ والكلام يحتمل وجوهًا لأنّه إن كان قبل قيام الساعة فهي مرضعة و ملقمة حقيقةً ، و إن كان بعدها و قلنا إن كلَّ أحد يُحشر على حاله التي فارق فيها الدنيا فتُحشر المرضعة مرضعة، والحاملة حاملة ، كما ورد في بعض الأحاديث فكذلك، و إن لم نقل به فهو على طريق الفرض والتمثيل لبيان شدّة الأمر و تفاقمه (خفاجي)

(٤) قوله عن الحسن أخرجه ابن جرير، و كذا ما يأتي عن الحسن في تفسير سكارى. قوله لغير فطام، في المصباح: فطمت المرضع الرضيع فَطُمًا من باب ضرب: فصَلتُه عن الرضاع، فهي فاطمة، والصغير فطيم، والجمع فطم بضمّتين، مثل بريد و برد، وأفطم الصبيُّ: دخل في وقت الفطام مثل أحصد الزرعُ إذا حان حصاده. (إكليل) واللام في "لغير فطام" و "لغير تمام" وقتية.

قوله الجَبَروت، بفتحتين هو فَعَلوتٌ من الجبر والقهر

قوله سرادق، في المصباح: السرادق ما يُدار حول الخيمة من شُقَق (أي ثياب) بلا سقف، و أيضًا ما يُمدّ على صحن البيت (إكليل)

قوله سكرى بفتح السين و إسكان الكاف مع حذف الألف فيهما بالإمالة حمزة وعلي الكسائي، والباقون بضم السين و فتح الكاف مع الألف على وزن كُسالى، جمع سكران و أمال الألف بعد الراء أبو عمرو، و ورش بين بين، والباقون بالفتح (إكليل) و سكرى أيضًا جمع سكران كقتلى و موتى و حمقى.

قوله في غزوة بني المصطلق، التصريح بهذه الغزوة فيما رواه ابن مردويه و ابن إسحٰق من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، و في غيره من الطرق ليس هذا التصريح بل ورد "وهو في مسير" أو "في سير" ونحوه، و في أحد طرق عمران بن الحصين عند ابن جرير "وهو في بعض مغازيه". والتصريح بالمغازي نص على أن الآيتين مدنيتان. و غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع وقعت في السنة الخامسة من الهجرة في الثالث من شعبان.

(٥) قوله فلم ير أكثر باكيًا ـ الخ ـ و في الكشاف بعد ذلك: فلمّا أصبحوا لم يحطّوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام وقت النزول، ولم يطبخوا قدرًا، وكانوا من بين حزين و باك و مفكر. قال العلّامة ابن حجر في التخريج: هكذا ذكره الثعلبي والبغوي، قالا:روي عن عمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، و غيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ـ إلى آخره ـ قلت: وهو ملفّق من حديثيه المذكورين و ثالثهما ابن عباس فيما رواه ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس=

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ فِي اللهِ﴾ في دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال. نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن: أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلي، أو هي عامة في كل من يخاصم في الدين بالهوى ﴿وَّيَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلَّ شَيْطٰنٍ مَّرِيْدٍ﴾ عات مستمر في الشر. ولا وقف على «مريد» لأن ما بعده صفته ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ تبعه أي تبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُ﴾ فأن الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾ عن سواء السبيل ﴿وَيَهْدِيْهِ إِلٰى عَذَابِ السَّعِيْرِ﴾ النار. قال الزجاج: الفاء في فأنه للعطف و«أن» مكررة للتأكيد. ورد عليه أبو علي وقال: إن «من» إن كان للشرط فالفاء دخل لجزاء الشرط، وإن كان بمعنى الذي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= قال: بينما رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ نزل عليه (يأيّها الناس اتقوا ربّكم ـ إلى ـ شديد) فوقف على ناقته، و رفع صوته ـ الحديث ـ و رواه الترمذي، والنسائي، والحاكم من طريق الحسن عن عمران بن حصين "أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وهو في بعض أسفاره، وقد تقارب من أصحابه السير و رفع بهاتين صوته. (يا أيها الناس اتقوا ربكم ـ إلى ـ ولكن عذاب الله شديد) فلمّا سمع أصحابه بذلك حَثّوا المطي، و عرفوا أنه عنده قول يقوله، فلمّا التفّوا حوله قال: أ تدرون أي يوم ذلك؟ يوم ينادى آدم ـ الحديث ـ وفيه: فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة ـ فلمّا رأى ذلك قال: اعملوا و أبشروا ـ الحديث ـ و أمّا آخره فلم أره ـ اه.

و تمام الحديث بطريق الحسن عند الإمام أحمد: ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام، فيناديه ربّه عز وجل، فيقول ياآدم ابعث بعثك إلى النار، فيقول: يا ربّ!و ما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسع مأة و تسعة و تسعون في النار، و واحد في الجنة، قال : فأبلس أصحابه حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلمّا رأى ذلك قال: أبشروا و اعملوا، فوالذي نفس محمد بيده، إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلّا كثَرتاه، يأجوج ومأجوج و من هلك من بني آدم و بني إبليس، قال فسُرِّي عنهم ، ثم قال: اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلّا كالشامة في جنب البعير أو الرقمة في ذراع الدابة.

قوله تعالى (و من الناس) قال أبو السعود: كلام مبتدأ، جيء به إثر بيان عِظَم شأن الساعة المنبئة عن البعث، بيانًا لحال بعض المنكرين لها. اه.

قوله في دين الله قدره ليعمّ كل ما قال النضر، وكلَّ من جادل في أصل من أصول الدين بهوى نفسه قوله حال بتقدير "ملتبسًا بغير علم" و نحوه.

قوله في النضر بن الحارث، أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله (و من الناس من يجادل في الله بغير علم) قال: نزلت في النضر بن الحارث، و روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج مثله. (الدر المنثور)

قوله وكان جدلًا، كفرِحٍ، أي شديد الجدال و الخصومة. و قتل النضر يوم بدر، قوله بلي ، في المصباح: بلي الثوب يبلى ـ من باب تعب ـ بِلىً، بالكسر والقصر، و بَلاء، بالفتح والمد:خلُق، فهو بالٍ، وبلي الميت : أفنته الأرض. اه. إكليل.

قوله أو هي عامة، في الكشاف: وهي عامة في كل من تعاطى الجدال ـالخ ـ وقال البيضاوي: وهي تعمه و أضرابه ـاه ـ قال الخفاجي: يعني أن خصوص السبب لا يخرجها من العموم. اه.

قوله عات مستمر في الشر، العتو من نصر: الاستكبار و مجاوزة الحد، و في لسان العرب: مَرُد على الأمر بالضم يمرُد مُرودًا، و مَرَادة فهو مارد و مَرِيد، و تمرَّد: أقبل و عَتَا، و تأويل المرود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف. اه. فالعتو و الخروج عن الحدّ داخل في معنى المرود والاستمرار في الشر لعله أخذ عن صيغة الصفة الدالة على الثبوت.

قوله الزجاج هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. قوله أبو علي هو الفارسي النحوي الحسن بن أحمد بن غفار.

فالفاء دخل على خبر المبتدأ والتقدير: فالأمر أنه يضله. قال: والعطف والتأكيد يكون بعد تمام الأول، والمعنى كتب على الشيطان إضلال من تولاه وهدايته إلى النار.

ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال: [٦] ﴿يَآأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ يعني إن ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا في بدء خلقكم وقد كنتم في الابتداء تراباً وماء، وليس سبب إنكاركم البعث إلا هذا، وهو صيرورة الخلق تراباً وماء﴿فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ﴾ أي أباكم ﴿مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقتم ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي قطعة دم جامدة ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾أي لحمة صغيرة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَّغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب[٧] كأن الله عز وجل يخلق المضغة متفاوتة، منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوتُ الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم.

وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ط﴾بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا، وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً ولا مناسبة بين التراب والماء وقدر أن يجعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاماً قادر على إعادة ما بدأه ﴿وَنُقِرُّ﴾ بالرفع عند غير المفضل[٨] مستأنف بعد وقف. أي نحن نثبت ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾

(٦) إثر ما حكي أحوال المجادلين بغير علم، و أشير إلى ما يؤل إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالّة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث. (أبو السعود)
قوله إن ارتبتم فمزيل ريبكم، إشارة إلى أن قوله "فإنّا خلقناكم" دليل الجزآء، و أصل الجزاء فمزيل ريبكم أن تنظروا، فإن الشرط يكون سببًا، والجزاء مسببًا مترتبًا عليه، والخلق ليس مسببًا للارتياب.
قوله تعالى (فإنّا خلقنٰكم من تراب) فيه وجهان: أحدهما ما ذكره المصنف، والثاني-كما في المفاتيح - أن خلقة الإنسان من المني و دم الطمث، وهما إنّما يتولّدان من الأغذية، والأغذية إمّا حيوان أو نبات، و غذاء الحيوان ينتهي قطعًا للتسلسل إلى النبات، والنبات إنّما يتولد من الأرض والماء، فصحّ قوله (إنّا خلقناكم من تراب)

(٧) تفسير "مخلقة وغير مخلقة" بتامّة و غير تامة مروي عن قتادة عند عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير كما في الدر المنثور، و عزاه الإمام في المفاتيح إلى الضحاك أيضًا ببسط يسير، وهنا أحاديث في تفصيل أطوار النطفة ذكرها في الدر المنثور بتخريج الأئمة عن عبد الله بن مسعود، وابن عباس، و أنس ، و حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله تعالى عنهم مرفوعًا، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفًا أيضًا.
قوله نقلناكم بيان لما يتعلق به "لنبيّنَ" قوله كمال قدرتنا و حكمتنا القدرة ثابتة بأصل الخلق، و الحكمةُ بالتدريج قوله و أن من قدر الخ - "أن" معطوف على "كمال" من موصولة قدر على خلق. صلتها، و قدر على أن يجعل ، معطوف على "قدر" الأول والموصول مع الصلة اسم "أنّ" "قادرٌ على" خبر أنّ.
قوله تعالى (ونقر في الأرحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم. لما بين كيفية خلق الإنسان بالتدريج إلى أن تتكامل أعضاؤه بيّن بعد ذلك أن من الأبدان ما تَمُجُّه الأرحام و منها ما تنطوي هي عليه إلى كمال النضج والتربية، فأسقط القسم الأول اكتفاء بالثاني، واستانف قائلًا: ونقر..... (أبو السعود و نيسابوري)

(٨) قوله بالرفع عند غير المفضّل بن محمد عن عاصم. نقرّ ثم نخرجكم بالنصب فيهما المفضل (نيسابوري) قوله ثبوته، إظهار لمفعول نشاء،

ثبوته ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾أي وقت الولادة وما لم نشأ ثبوته أسقطته الأرحام ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ من الرحم ﴿طِفۡلًا﴾ حال وأريد به الجنس فلذا لم يجمع، أو أريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾ ثم نربيكم لتبلغوا ﴿أَشُدَّكُمۡۖ﴾ كمال عقلكم وقوتكم وهو من ألفاظ الجموع التي لا يستعمل لها واحد ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ عند بلوغ الأشد أو قبله أو بعده ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أخسه يعني الهرم والخرف ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾أي لكيلا يعلم شيئاً من بعد ما كان يعلمه أو لكيلا يستفيد علماً وينسى ما كان عالماً به.

ثم ذكر دليلاً آخر على البعث فقال:﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾(٩) ميتة يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتۡ﴾ وانتفخت. «وربأت» حيث كان: يزيد. ارتفعت ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٖ ۝٥﴾ حسن سارّ للناظرين إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾(١٠) مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم حاصل بهذا، وهو أن الله هو الحق أي الثابت الوجود ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ كما أحيا الأرض ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦﴾ قادر ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧﴾ أي

قوله وما لم نشأ، بيان للقسم الأوّل الذي طُوي ذكره لدلالة القسم الثاني عليه، قوله و أريد به الجنس، صاحب الحال ضمير المخاطبين "كم" جمع، والحال "طفلًا" واحد، وليس بينهما المطابقة، فبين أن "طفلًا" أريد به الجنس المتناول للقليل والكثير، أو أريد بضمير المخاطبين كلُّ واحد منهم فيتطابقان قوله ثم نربيكم لتبلغوا ، إظهار لما يتعلّق به لتبلغوا، قوله وهو أي أشدُّ قوله أخسّه، بشدّة السين،هو أفعل من الخِسّة والخساسة، والفعل من س و ض، والخسيس: الدنيء والهَرَم بفتحتين من سمع: هو أقصى الكِبَر، والخرف، بفتحتين : فساد العقل من الكِبَر ، والفعل من سمع قوله لكيلا يعلم... في الكشاف و تفسير البيضاوي: ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل، و قلة الفهم فينسى ما علمه، و ينكر ما عرفه. والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة، فإن من قدر على ذلك قدر على نظائره. اه.

(٩) همد يهمد هُمودًا من نصر: مات، و همدت النار: صارت رمادًا، و قال ابن جرير: و أصل الهمود الدروس والدثور.اه.

قوله تحركت بالنبات ، أي تحركت في رأي العين بسبب حركة النبات، ولو قال تحرك نباتها كان أظهر، لأنه إسناد مجازي. (خفاجي) أي إسناد الحركة إلى الأرض مجازي.

قوله ربت، من رَبا الشيء يربو رُبُوًا و رِباء: زاد و نماء، قوله ربأت بهمزة مفتوحة بعد الموحدة، حيث كان أي هنا و حم السجدة يزيد وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، من العشرة أي ارتفعت و زادت من جهة العلو، والباقون بحذف الهمزة فيهما. أي زادت من أي جهة كانت. (إكليل)

(١٠) ذلك بأن الله هو الحق ـ الآية ـ كلام مستانف جيء به إثر تحقيق حقّيّة البعث و إقامة البرهان عليه من العالَمين الإنساني والنباتي لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى، و أحكام شئونه الذاتية، والوصفية، والفعلية. و أن ما ينكرون وجوده بل إمكانَه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس و الآفاق، و مبادي صدورها عنه تعالى فإنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقيق المسبب ممّا يقضى ببطلانه بديهة العقول. (أبو السعود)

أنه حكيم لا يخلف الميعاد وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾(١١) في صفاته فيصفه بغير ما هو له. نزلت في أبي جهل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ضروري ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي استدلال لأنه يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ أي وحي والعلم للإنسان من أحد هذه الوجوه الثلاثة ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ حال أي لاوياً عنقه عن طاعة الله كبراً وخيلاء. وعن الحسن: «ثاني عطفه» بفتح العين أي مانع تعطفه إلى غيره ﴿لِيُضِلَّ﴾ تعليل للمجادلة. «ليضل» مكي وأبو عمرو ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي القتل يوم بدر ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي نجمع له عذاب الدارين ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي السبب في عذاب الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب، وكنى عنها باليد لأن اليد آلة الكسب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فلا يأخذ أحداً بغير ذنب ولا بذنب غيره وهو عطف على «بما» أي وبأن الله. وذكر الظلام بلفظ المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد، ولأن قليل الظلم منه مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ على طرف(١٢) من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة وهو حال أي مضطرباً ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صحة في جسمه وسعة في معيشته ﴿اطْمَأَنَّ﴾ سكن واستقر ﴿بِهِ﴾ بالخير الذي أصابه أو بالدين فعبد الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ شر وبلاء في جسده وضيق في معيشته ﴿انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ جهته أي ارتد ورجع إلى الكفر كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١١) وليست هذه الآية مكرّرة مع قوله (يجادل في اللّٰه بغير علم و يتبع كل شيطٰن مريد) لأن الأولى واردة في المقلدين ـ بكسر اللام ـ لتقليدهم و اتباعهم للشيطان والشيطان شيطان الإنس، و هذه واردة في المقلدين ـ بفتح اللام ـ لقوله ليضل ـ الخ ـ قال في الكشف: وهو أظهر و أوفق بالمقام (شهاب و جمل)
قوله ثانِيَ عطفه ثنى الشيء ثنيًا: ردّ بعضه على بعض، ثنى وجهه: صرفه والعِطف: المنكب ، و الإبط، والجانب. عِطفا كل شيء : جانباه و عطفا الرجل: جانباه عن يمين و شمال، و شِقّاه من لَدُنُ رأسه إلى وَرِكه، وثنى عطفَه: اعرض ، لَوَى رأسَه و لوى برأسه: أماله من جانب إلى جانب، و أعرض، و خُيَلاء، بضم الخاء و كسرها بفتح الياء فيهما: العجب والكبر، و لَيُّ العنق كناية عن التكبر، قال الأزهري: وهذا يوصف به المتكبر، فالمعنى: يجادل متكبرًا. (لسان العرب)
قوله بفتح العين، فهو مصدر، تعطّف عليه: و صَلَه و بَرَّه.
قوله ليضل بفتح الياء، مكي و أبو عمرو و كذا رُوَيس عن يعقوب ، من العشرة. والباقون بضمها والمفعول محذوف أي ليضل غيره. قوله أي القتل يوم بدر، هذا على ما قيل إنّ الآية نزلت في أبي جهل أو في النضر بن الحارث كما روي عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما و من قال إنها لم تنزل في واحد بعينه حمل خزي الدنيا على ذم المومنين و لعنهم و قهرهم إيَّاهم، فإن الخزي وهو الهوان والفضيحة لا يلزم أن يكون بالقتل ـ اهـ ـ شيخ زاده.

(١٢) شروع في بيان حال المذبذبين، إثر بيان حال المجاهرين. (أبو السعود)
قوله طُمأنينة، اطمأنّ الرجل اطمئنانًا و طُمانينة أي سكن، وهو مطمئنّ إلى كذا، وذلك مُطمَأَنّ (لسان العرب) قوله كالذي يكون على طرف من العسكر،=

وغنيمة قر واطمأن وإلا فر وطار على وجهه. قالوا: نزلت في أعاريب قدموا المدينة مهاجرين وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراً سوياً وولدت امرأته غلاماً سوياً وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شراً وانقلب عن دينه ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةَ﴾ حال «وقد» مقدرة دليله قراءة روح وزيد «خاسر الدنيا والآخرة» والخسران في الدنيا بالقتل فيها وفي الآخرة بالخلود في

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= توضيح للتمثيل، قوله قرّ أي ثبت. قوله أعاريب جمع أعراب، و في مختار الصحاح: العَرَب جيل (أي صنف) من الناس، والنسبة إليهم عربي، وهم أهل الأمصار. والأعراب منهم سكّان البادية خاصّة، والنسبة إليهم "الأعرابي" وليس الأعراب جمعًا لعرب بل هو اسم جنس. اه. إكليل قوله نتجت مجهول بمعنى ولدت قوله مهرًا، بضم الميم و سكون الهاء ، ولد الفرس، سويا أي كريمًا نفيسًا غلامًا سويّا بمعنى تامّ الخلقة. (إكليل)

أخرج ابن أبي حاتم و ابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما قال: كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فيُسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث و عام خصب و عام وِلاد حسن قالوا: إن ديننا هذا صالح فتمسكوا به ، و إن وجدوا عام جدب و عام وِلاد سوء و عام قحط قالوا: ما في ديننا هذا خير، فأنزلَ اللّٰه (و من الناس من يعبد اللّٰه على حرف) و أخرج البخاري عنه بألفاظ متقاربة، و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن مردويه عنه رضي اللّٰه تعالى عنه نحو ما ذكر المصنّف. (الدر المنثور)

قوله و قد مقدرة، فإن الماضي لا يكون حالًا إلّا بلفظ قد أو تقديرها، قوله روح بفتح الراء ابن عبد المومن عن يعقوب، من العشرة و زيد بن أحمد بن إسحٰق عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة، على وزن اسم فاعل منصوب على الحال، والآخرة بالجر عطفًا على الدنيا المجرورة بالإضافة، والجمهور بحذف الألف فعلًا ماضيًا، و نصبِ الآخرة عطفًا على الدنيا المنصوبة على المفعولية (إكليل)

قوله سفّه الكافر، في المصباح: سفِه سفَهًا من باب تعب، و سفُه بالضم سفَاهة، فهو سفيه والأنثى سفيهة، والجمع سفهاء، والسفَه: نقص في العقل، و أصله الخفّة، و سفِهَ الحق: جهله. و سفّهته تسفيهًا : نسبتُه إلى السفَه أو قلت له إنه سفيه. اه. إكليل.

والنظر هنا من وجهين: الأول من جهة المعنى، وهو الإشكال بوقوع التناقض كما ذكر المصنف، والثاني من جهة الإعراب لقوله (يدعو لمن ضرّه ـالخ ـ) وقد ذُكر في توجيه الإعراب أكثر من عشرة أوجه. والقاضي البيضاوي دفع التناقض بثلاثة أوجه. الأول أن نفي الضرر والنفع عن الصنم باعتبار ما في نفس الأمر، و إثبات الضرر له باعتبار التسبّب، و إثبات النفع له باعتبار زعم الكافر، و اختلاف الجهة و كذا اختلاف القائل يدفعان التناقض. والمعنى أن الكافر يعبد جمادًا لا يضر بنفسه ولا ينفع. و يعبد من ضَره المتحقق بكونه معبودًا أقرب من نفعه المزعوم. والضرر المتحقق هو كونه سببًا للقتل في الدنيا و للعذاب في الآخرة، والنفع المزعوم هو ما توقع الكافر بعبادته أنه يشفع له، و يتوسّل بعبادتها إلى اللّٰه تعالى. و عبّر بما إذ نفى الضر و النفع لأن الصنم لا يعقل، و عبر عنه بمن إذ أثبت له الضر لأن من شانه أن يصدر عن العقلاء.

و إعراب "لمن ضره أقرب من نفعه" أن من موصولة والجملة صلتها، والموصول مع الصلة مفعول يدعو من حيث المعنى، و يدعو متضمن لمعنى الزعم فصار ملحقًا بأفعال القلوب، واللام معلّقة ليدعو. والتعليق عند النحاة إلغاء العمل لفظًا، و إبقاء ه معنى. والتعليق من خصائص أفعال القلوب، وقوله: (لبئس المولى و لبئس العشير) جملة منفصلة عن ما قبلها وهي جواب قسم مقدر و صدرت من اللّٰه تعالى ذمًّا للمعبود الذي ضره الثابت أقرب من نفعه المزعوم. الوجه الثاني: يدعو بمعنى يقول، أي يقول الكافر ذلك بدعاء و صراخ حين يرى استضراره به. فالنافي للضرر والنفع هو اللّٰه تعالى. والمثبت لهما هو العابد، فاندفع التناقض لاختلاف النافي والمثبت. و إيراد "يدعو" موضعَ يقول للإشارة إلى أن الكافر يقول ذلك بدعاء و صراخ.

النار ﴿ذٰلِكَ﴾ أي خسران الدارين ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُ﴾ الظاهر الذي لا يخفى على أحد. ﴿يَدْعُوْا مِنْ دُوْنِ اللهِ﴾ يعني الصنم فإنه بعد الردة يفعل كذلك ﴿مَا لَا يَضُرُّهٗ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهٗ﴾ إن عبده ﴿ذٰلِكَ هُوَ الضَّلٰلُ الْبَعِيْدُ﴾ عن الصواب.

﴿يَدْعُوْا لَمَنْ ضَرُّهٗٓ اَقْرَبُ مِنْ نَّفْعِهٖ﴾ والإشكال أنه تعالى نفى الضر والنفع عن الأصنام قبل هذه الآية وأثبتهما لها هنا. والجواب أن المعنى إذا فهم ذهب هذا الوهم، وذلك أن اللّٰه تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جماداً لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه أنه ينفعه ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالأصنام ولا يرى لها أثر الشفاعة: لمن ضره أقرب من نفعه ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلٰى﴾ أي الناصر الصاحب ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيْرُ﴾ المصاحب. أو كرر يدعو كأنه قال: يدعو يدعو من دون اللّٰه ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال: لمن ضره بكونه معبوداً أقرب من نفعه بكونه شفيعاً.

﴿اِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ اِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُ﴾[١٣] هذا وعد لمن عبد اللّٰه بكل حال لا لمن عبد اللّٰه على حرف ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ اَنْ لَّنْ يَّنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

الوجه الثالث: لمن ضرّه جملة مستانفة، و يدعو تكرير و تأكيد للأول، والمعنى يدعو يدعو من دون اللّٰه ما لايضره و ما لاينفعه، لمن ضره الثابت بكونه معبودًا أقرب من نفعه المزعوم بكونه شفيعًا لبئس المولى و لبئس العشير. و دفع التناقض هنا كما في الوجه الأول. أي نفي النفع والضر بالنظر إلى الواقع، و إثبات الضرر باعتبار التسبّب، و إثبات النفع باعتبار زعم الكافر، و اختلاف الجهة ينفي التناقض.

والإعراب على هذين الوجهين أن من موصولة، و ضرّه أقرب من نفعه صلة، والموصول مع الصلة مبتدأ. و "لبئس المولى ولبئس العشير" خبر، و في الأصل لبئس جواب قسم مقدر، لكن قرّر النحاة أن الخبر معنىً هو جواب القسم لا المجموع، أي القسم والجواب معًا.

والجملة المركّبة من المبتدأ والخبر مقولة "يدعو" على الوجه الثاني، و جملة مستقلّة على الوجه الثالث. و لمن ضره أقرب ـ الخ ـ من كلام اللّٰه تعالى على الوجه الأول و هو كونه مفعول يدعو معنىً، و حكاية قول الكافر على الوجه الثاني، و كلام مستأنف من اللّٰه تعالى على الوجه الثالث.

والعلامة النسفي وفق الكشاف ذكر الوجه الثاني والثالث ولم يذكر الوجه الأول. و ذكر الشارحون ضعفًا في الوجه الثالث، أمّا أولًا فلأنه يلزم الفصل بين المؤكد والمؤكّد،وأمّا ثانيًا فلأن الخبر جملة قسمية، وهي جملة إنشائية، و فيوقوعها خبرًا كلام، و لا يقع إلّا مؤولًا. ولو سُلم كون جواب القسم خبرًا معنى كما قالوا فلا ريب في كونه خلاف الظاهر.

(١٣) استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى، و أن اللّٰه عز و جلّ يتفضّل عليهم بما لا غاية ورائه من أجلّ المنافع و الخيرات، إثرَ بيان غاية سوء حال الكفرة و مآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين، و أن معبودهم لا يُجديهم شيئًا من النفع بل يضرّهم مضرة عظيمة، و أنهم يعترفون بسوء ولايته و عشرته و يذمّونه مذمّة تامة. ولما كان هذا الفضل والثواب من آثار نصرته تعالى له صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم عقّب بقوله عز و علا (من كان يظن ـ الخ ـ) تحقيقًا لها و تقريرًا لثبوتها على أبلغ وجه و آكده. و فيه إيجاز و اختصار. والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة، فمن كان يغيظه ذلك و يظن أن لن يفعله اللّٰه تعالى فليبالغ في دفعه، فقصارى أمره و غاية مكره أن يختنق خنقًا مما يرى من ضلال مساعيه. (أبو السعود)

﴿وَالْاٰخِرَةِ﴾ المعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن ظن من أعاديه غير ذلك ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿اِلَى السَّمَآءِ﴾ إلى سماء بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم ليختنق به، وسمي الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. وبكسر اللام بصري وشامي ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهٗ مَا يَغِيْظُ﴿١٥﴾﴾ أي الذي يغيظه أو «ما» مصدرية أي غيظه، والمعنى فليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه. وسمي فعله كيداً على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ ﴿وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنٰهُ﴾ و مثل ذلك الإنزال أنزل القرآن كله ﴿اٰيٰتٍۭ بَيِّنٰتٍ﴾ واضحات ﴿وَّاَنَّ اللّٰهَ يَهْدِيْ مَنْ يُّرِيْدُ﴿١٦﴾﴾(١٤) أي ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبيّناً. ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصّٰبِئِيْنَ وَالنَّصٰرٰى وَالْمَجُوْسَ وَالَّذِيْنَ اَشْرَكُوْٓا﴾ قيل: الأديان

قوله أعاديه، الأعادي جمع أعداء، و الأعداء جمع عدوّ. قوله ليختنق به ، خنقه (ن) شدّ على حلقه حتى يموت، واختنق، مطاوع خنق.

قوله نفسه بفتحتين، قوله بكسر اللام، على الأصل في لام الأمر، قرأه أبو عمرو البصري، و ابن عامر الشامي، وكذا ورش عن نافع ، و رويس عن يعقوب أحد العشرة، والباقون بإسكان اللام للتخفيف.

والتفسير المذكور مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخرجه عنه الفريابي، و عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم، والحاكم و صحّحه، وابن مردويه قال: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا صلّى الله تعالى عليه وسلم (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) قال: فليربط حبلًا (إلى السماء) قال: إلى سماء بيته، السقف (ثم ليقطع) قال : ثم يختنق به حتى يموت ـ اهـ ـ وكذا روي عن الضحاك و قتادة. (الدر المنثور)

(١٤) قوله و أن الله يهدي من يريد، إمّا معطوف على هاء أنزلناه فمحلّه النصب، والمعنى: و كذلك أنزلنا أن الله يهدي من يريد، أو هو خبر لمبتدأ مقدر أي والأمر أن الله يهدي من يريد فمحلّه الرفع، أو هو مجرور على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أي ولأن الله يهدي من يريد أنزله مبيّنًا. و هذا الأخير اختاره المصنّف.

قال الإمام في مفاتيح الغيب: احتجّ به أصحابنا فقالوا: المراد من الهداية إمّا وضع الأدلّة، أو خلق المعرفة ، والأول غير جائز لأنه تعالى فعل ذلك في حقّ كل المكلفين، ولأن قوله (يهدى من يريد) دليل على أن الهداية غير واجبة عليه، بل هي معلقة بمشيئته سبحانه ، و وضع الأدلّة عند الخصم واجب ، فبقي أن المراد منه خلق المعرفة.

أجاب القاضي عبد الجبار المعتزلي بأنه أراد تكليف من يريد، لأن التكليف لا يخلو من وصف ما كلّفه به و من بيانه، أو أراد يهدي إلى الجنة، و يثيب من يريد ممن آمن و عمل صالحًا، أو يهدي به الذين يعلم منهم الإيمان، أو يثبّتُ الذين آمنوا و يزيدهم هدي.

والجواب عن الأول أن الله تعالى ذكر ذلك بعد بيان الأدلّة، والجواب عن الشبهات فلا يجوز حمله على محض التكليف، والتكليف عام لكلّ من يستأهله، فلا يلائم هذا قوله "من يريد" و أمّا الوجوه الأخر فخلاف الظاهر مع أن ما ذكرتم واجب عندكم على الله، و قوله "من يريد" ينافي الوجوب. (اهـ بتلخيص)

قوله ولأن الله يهدي به الذين يعلم أنهم يومنون ـ الخ ـ ذكره في الكشاف تأويلًا و رعاية لمذهبه، و نقله المصنّف بدون التنبيه، و ليتَه نبّه عليه أو لم يذكره، والمعنى الواضح عندنا أن الله يهدي من يشاء و يضلّ من يشاء. (لايُسئل عمّا يفعل وهم يُسئلون)

خمسة:(١٥) أربعة للشيطان وواحد للرحمن، والصابئون نوع من النصارى فلا تكون ستة ﴿إِنَّ

(١٥) قوله قيل: الأديان خمسة ـ الخ ـ كذا حكاه في الكشاف وغيره بدون نسبة إلى قائله، و أخرج عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و ابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي اللّٰه تعالى عنه قال: الأديان ستة، خمسة للشيطان، و واحد للرحمن (ابن جرير والدر المنثور) وعلى هذا لا حاجة إلى صَرف الستة إلى الخمسة. أمّا الصابئون فقد اختلف فيهم، و جاء ت عن السلف فيهم أقوال:

(١) قال مجاهد : الصابئون قوم بين المجوس، واليهود ، والنصارى ليس لهم دين، و روي عن عطاء، و سعيد بن جبير نحو ذلك.

(٢) وعن الحسن والحكم بن عتبة أنهم كالمجوس، و روى ابن جرير عن الحسن قال: أُخبر زياد أن الصابئين يصلون إلى القبلة، و يصلون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال: فخُبِّر بعدُ أنهم يعبدون الملائكة.

وحكى القرطبي عن مجاهد، والحسن، وابن أبي نجيح: أنهم قوم تركّب دينهم بين اليهود و المجوس، ولا توكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم.

(٣) و سئل وهب بن منبّه عن الصابئين فقال: الذي يعرف اللّٰه وحده، وليست له شريعة يعمل بها، ولم يحدث كفرًا، وقال عبد الرحمٰن بن زيد: الصابئون أهل دين من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل، يقولون "لا إله إلّا اللّٰه" و ليس لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي، إلّا قول لا إله إلّا اللّٰه. قال : و لم يؤمنوا برسول.

(٤) قال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلّا أن قبلتهم نحو مهبّ الجَنوب. يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

(٥) وروى ابن أبي حاتم عن أبي الزناد قال: الصابئون قوم ممّا يلي العراق، وهم بكُوثىٰ ، وهم يومنون بالنبيين كلهم، و يصومون كلّ سنة ثلاثين يومًا، و يصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات. وقال أبو جعفر الرازي: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، و يقرؤن الزبور، و يصلون للقبلة، و كذا قال سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة.

وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والسُّدي، و أبوالشعثاء جابر بن زيد، والضحاك، و إسحٰق بن راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤن الزبور. (ملخصًا من تفسير ابن كثير ـ سورة البقرة)

(٦) واختار الإمام الفخر الرازي أنهم قوم يعبدون الكواكب، ثمّ لهم قولان: **الأول** أن خالق العالم هو اللّٰه سبحانه إلّا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب، و اتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. **والثاني** أنّ اللّٰه سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثمّ إنّ الكواكب هي المدبّرةُ لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبّرة لهذا العالم، ثمّ إنها تعبد اللّٰه سبحانه، و هذا المذهب هو القول المنسوب إلى الكلدانيين الذين جاء إبراهيم عليه السلام رادًّا عليهم، و مبطلًا لقولهم. (مفاتيح الغيب، سورة البقرة)

قال القرطبي: والذي تحصّل من مذهبهم ـ فيما ذكره بعض العلماء ـ أنهم موحّدون و يعتقدون تأثير النجوم، و أنها فاعلة.

قال ابن كثير: و أظهر الأقوال ـ واللّٰه أعلم ـ قول مجاهد و متابعيه، و وهب بن منبّه أنه قوم ليسوا على دين اليهود، ولا النصارى، ولا المجوس، ولا المشركين، و إنمّا هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه و يقتفونه. اھ.

قال الإمام المرغيناني في الهداية: و يجوز تزويج الصابئات إن كانوا يومنون بدين نبي و يُقرون بكتاب؛ لأنهم من أهل الكتاب. و إن كانوا يعبدون الكواكب، ولا كتاب لهم لم تجُز مناكحتهم ـ لأنهم مشركون ـ والخلاف المنقول فيه محمول على اشتباه مذهبهم، فكلٌّ أجاب على ما وقع عنده، و على هذا حِلّ ذبيحتهم. اھ.

و في الكفاية شرح الهداية (قوله والخلاف المنقول فيه) يعني بين أبي حنيفة و صاحبيه أن أنكحتهم صحيحة عنده، خلافًا لهما (محمول ـ الخ) وقع عند أبي حنيفة أنهم من أهل الكتاب يقرؤن الزبور، و لا يعبدون الكواكب، لكنهم يعظمونها كتعظيمنا القبلة في الاستقبال إليها، و وقع عندهما أنهم يعبدون الكواكب، ولا كتاب لهم فصاروا كعبدة الأوثان، فإذًا لا خلاف بينهم في الحقيقة ـ اھ ـ قال ابن الهمام: فلو اتفق على تفسيرهم اتفق على الحكم فيهم. (فتح القدير)

﴿اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ط﴾ في الأحوال والأماكن فلا يجازيهم جزاء واحداً ولايجمعهم في موطن واحد. وخبر «إن الذين آمنوا» «إن الله يفصل بينهم»كما تقول: «إن زيداً إن أباه قائم»[١٦] ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ﴾ عالم به حافظ له فلينظر كل امرىء معتقده وقوله وفعله وهو أبلغ وعيد.

﴿اَلَمْ تَرَ﴾[١٧] ألم تعلم يا محمد علماً يقوم مقام العيان ﴿اَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُوْمُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ﴾ قيل:إن الكل يسجد له ولكننا لا نقف عليه كما لا نقف على تسبيحها قال الله تعالى: «وَاِنْ مِّنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ» [الإسراء: ٤٤] وقيل: سمي مطاوعة غير المكلف له فيما يحدث فيه من أفعاله وتسخيره له سجودًا له تشبيهًا لمطاوعته بسجود المكلف الذي كل خضوع دونه ﴿وَكَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ ط﴾ أي

(١٦) و أدخلت "إن " على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد كقول جرير:

إنّ الخليفَة إنّ الله سَرْبَلَه
سِرُبالَ مُلْكٍ به تُرجَى الخواتيم

وقوله "فلا يجازيهم جزاء واحدًا" تفريع على الفصل في الأحوال و قوله "ولا يجمعهم في موطن واحد" تفريع على الفصل في الأماكن.

قوله (إن الله على كل شيء شهيد) تعليل لما قبله من الفصل، أي عالم بكل شيء من الأشياء ، و مراقب لأحواله. و من قضيته الإحاطةُ بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة، و إجراءُ جزائه اللائق به عليه. (أبو السعود)

(١٧) قوله تعالى (الم تر أنّ الله يسجد ـ الخ ـ) بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفِرَق المذكورة، مع الإشارة إلى كيفيته، و كونه بطريق التعذيب والإثابة، والإكرام والإهانة، إثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدًا على جميع الأشياء التي من جملتها أحوالهم و أفعالهم.

والمراد بالروية العلم. عبر عنه بها إشعارًا بظهور المعلوم. والخطاب لكلّ أحد ممن يتأتّى منه الروية، بناءً على أنه من الجلاء بحيث لايخفى على أحد. (أبو السعود)

قوله إن الكل يسجد له ـالخ ـ وصف الله سبحانه هنا بالسجود العقلاءَ و غيرهم. و استشكلوا وصف غير العقلاء بالسجود، فأوّلوه إلى معنى الانقياد لإرادة الله و تدبيره كانقياد الساجد العاقل. و أولوا إلى احتياج الممكن حال حدوثه و بقائه إلى الواجب. قالوا: و هذا أدَلّ على الخضوع من وضع الجبهة. فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى، خاضعة له، معترفة بالافتقار إليه و إلى تخليقه و تكوينه.

و يرِد على التاويلين المذكورين أن كل إنسان أيضا منقاد لإرادة الله و تدبيره ، و كذا مفتقر إليه في حدوثه و بقائه. فماوجه تخصيص البعض بقوله "و كثير من الناس"؟ فأجيب بأن "كثير من الناس" ليس معطوفًا على ما قبله، وليس مرفوعًا بقوله "يسجد" بل يقدّر ههنا "يسجد" آخر، وهو بمعنى سجود العبادة أي وضع الجبهة باختيار، وهذا خاص ببعض الناس دون بعض. و قدّروا فعلًا آخر لئلّا يلزم استعمال المشترك في معنييه معًا أو استعمال الحقيقة والمجاز معًا. والجواب الثاني أن "كثير من الناس" مبتدأ محذوف الخبر. والخبر "مثاب" دلّ عليه ما بعده. و قيل غير ذلك.

و مَن جوّز استعمال المشترك في معنييه معًا كبعض الشافعية لم يقدّر فعلًا آخر، وقال: المراد بالسجود المنسوب إلى الإنسان خاصّة هو سجود عبادة، والمراد بالسجود المذكور أولًا هو الانقياد لتدبير الواجب أو الاحتياج إليه.

وقال آخرون: لا مانع من أن يراد بالسجود المذكور أولا سجود عبادة، فإن السجود في الأصل هو التطامن و التذلّل، و كل شيء يعرف اللهَ، و يعبده و يسجد له و إن كانت كيفية السجود مختلفة بأن كانت في البعض بوضع الجبهة، و في البعض الآخر بفعل=

ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة أو هو مرفوع على الابتداء «ومن الناس» صفة له والخبر محذوف وهو مثاب ويدل عليه قوله:﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود ﴿وَمَنْ يُّهِنِ اللّٰهُ﴾ بالشقاوة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾ بالسعادة ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإكرام والإهانة وغير ذلك، وظاهر هذه الآية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون شاء أشياء ولم يفعل وهو يقول «يفعل ما يشاء».

﴿هٰذٰنِ خَصْمٰنِ﴾ أي فريقان مختصمان؛ فالخصم صفة وصف بها الفريق وقوله ﴿اخْتَصَمُوْا﴾ للمعنى و «هذان» للفظ والمراد المؤمنون والكافرون. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رجع إلى أهل الأديان المذكورة: فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم﴿فِيْ رَبِّهِمْ﴾ في دينه وصفاته، ثم بين جزاء كل خصم بقوله: ﴿فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ وهو فصل الخصومة المعني[١٨] بقوله: «ان الله يفصل بينهم يوم القيامة» ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ كأن الله يقدر لهم نيراناً على مقادير جثتهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة، واختير لفظ الماضي لأنه كائن لا محالة فهو كالثابت المتحقق ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوْسِهِمُ﴾ بكسر الهاء والميم، بصري،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= يقوم مقامه، و يناسب حاله و ذِكر "كثير من الناس" هنا لرفع ما أوُهَم أول الكلام أن الناس كلهم يسجدون.

و بعض الآثار يؤيّد هذا القول كالحديث المروي في معجم الطبراني وغيره عن يَعلى بن مُرة: ما من شيء إلّا يعلم أني "رسول الله" إلّا مردة الجن والإنس. اه. و في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ قلت: الله و رسوله أعلم، قال : فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستامر، فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت. اه.

والمصنّف هنا ذكر أولا القول بسجود العبادة من الكل، و ثانيًا القول بالانقياد الاضطراري.

قوله أي و يسجد له كثير الخ۔ إشارة إلى أن "كثير" مرفوع بمقدر، وهو يسجد. والاحتياج إلى هذا التقدير على القول الثاني كما مرّ.

قوله هذان خصمان اختصموا في ربّهم ۔ فيمن نزلت هذه الآية؟

(١) ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه كان يقسم أن هذه الآية نزلت في الثلاثة ، والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر، وهم : حمزة بن عبد المطلب، و عبيدة بن الحارث، و علي بن أبي طالب، و عتبة و شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، والبخاري، و مسلم، والترمذي، و ابن ماجة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) و عن ابن عباس و قتادة أنها نزلت في المسلمين و أهل الكتاب، أخرجه ابن جرير و ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و عبد بن حميد و ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرج ابن جرير عن مجاهد، و عطاء بن أبي رباح والحسن قال: هم الكافرون ، والمومنون اختصموا في ربهم: و رجح ابن جرير هذا القول. و أجاب عمّا روي عن أبي ذر أن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب، وهذه من تلك. اه. (ابن جرير، ابن كثير، الدر المنثور)

(١٨) قوله فصل الخصومة المعنيّ ۔ المعنيّ اسم مفعول، صفة فصل. قوله على مقادير جثّتهم، بالإفراد، وهي البدن، أو هو جمع جثة بثاء ين مثلثتين، وهو أظهر، وهذا بيان لحقيقته، لأن الثياب الجُدد تقطّع و تفصّل على مقدار بدن من يلبسها، واللباس محيط به. والتقطيع مجاز بذكر المسبب، و هو التقطيع. و إرادة السبب، وهو التقدير والتخمين. والظاهر أنه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تهكمية. شبّه إعداد النار المحيطة بهم بتفصيل ثياب لهم. (خفاجي)

وبضمهما: حمزة وعلي وخلف، وبكسر الهاء وضم الميم: غيرهم ﴿الْحَمِيْمُ﴾ الماء الحار. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها.﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهٖ﴾ بالحميم ﴿مَا فِيْ بُطُوْنِهِمْ وَالْجُلُوْدُ﴾ أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن ﴿وَلَهُمْ مَّقَامِعُ﴾[١٩] سياط مختصة بهم ﴿مِنْ حَدِيْدٍ﴾ يضربون بها ﴿كُلَّمَآ اَرَادُوْٓا اَنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا﴾ من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل الاشتمال من «منها» بإعادة الجار، أو الأولى لابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل يعني كلما أرادوا الخروج من النار من أجْل غم يلحقهم فخرجوا[٢٠] ﴿اُعِيْدُوْا فِيْهَا﴾ بالمقامع، ومعنى الخروج عند الحسن أن النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلى أعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً، والمراد إعادتهم إلى مُعْظَم النار لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها ﴿وَذُوْقُوْا﴾ أي وقيل لهم ذوقوا ﴿عَذَابَ الْحَرِيْقِ﴾ هو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

ثم ذكر جزاء الخصم الآخر فقال: ﴿اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ اَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة جمع سوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَّلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب: مدني وعاصم؛ علىٰ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يصهر، الصهر من ف : إذابة الشحم و نحوه. قوله أمعاء، جمع مَعًى و مِعًى: مُصران البطن، و مُصُران، جمع مصير، و جج مَصارين: ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة. قوله:أحشاء جمع حَشيً، والحَشى: ما دون الحجاب ممّا في البطن كلُّه من الكَبِد، والطِّحال، و الكرِش و ما تبِع ذلك (لسان العرب) والجلود عطف على "ما" و تأخيره عنه للإشعار بغاية شدة الحرارة بإيهام أن تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظاهر مع أن ملابستها على العكس، والجملة حال من الحميم (أبو السعود)

و عن أبي هريرة أنه تلا هذه الآية فقال: سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم يقول: إن الحميم ليُصبّ على رؤوسهم فينفذ الجمجمة، حتى يخلص إلى جوفه فيَسْلِتُ ما في جوفه حتى يمرق من قدمه، وهو الصهر، ثمّ يعاد كما كان. أخرجه عنه عبد بن حميد، والترمذي و صححه ، و عبد اللّٰه بن أحمد في زوائد الزهد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم و صحّحه، و أبو نعيم في الحلية، وابن مردويه (الد رالمنثور)

(١٩) قوله مقامع المِقْمع والمِقمَعة، كلاهما ما قُمِع به. قال ابن الأثير : المِقمعة واحدة المقامع، وهي سِياطٌ تعمل من حديد رؤسها مُعْوَجَّة. (لسان العرب)

قوله مختصة بهم. الاختصاص مستفاد من اللام، و تقديم "لهم" و أخرج أحمد، و أبو يعلى، و ابن أبي حاتم ، وابن مردويه، والحاكم و صحّحه، والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه تعالى عنه عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه تعالى عليه وسلم قال: لو أن مقمعًا من حديد وُضع في الأرض فاجتمع الثقلان، ما أقلّوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتّت ثم عاد كما كان (الدر المنثور)

(٢٠) قوله فخرجوا، قدره نظرًا إلى الإعادة، فإن الإعادة لاتترتب على الإرادة، بل على الخروج، لكن الخروج حقيقةً لا يكون لهم. لقوله تعالى: و ما هم بخارجين منها، بل معنى الخروج ما روي عن الحسن. قوله فهَوَوا، هَوَى هَوِيّا و هُويا: سقط من علو إلى أسفل. (ض) قوله سبعين خَرِيفًا أي مسافة سبعين سنة. والخَرِيف أحد فصول السنة، ولا يكون فيالسنة إلّا مرة واحدة، فإذا انقضى سبعون خريفًا انقضى سبعون سنة كذا=

«ويوتَون لؤلوًا» وبالجر:غيرهم عطفاً على «من ذهب» وبترك الهمزة الأولى في كل القرآن: أبو بكر وحماد ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ﴾ إبريسم. ﴿وَهُدُوْٓا اِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَهُدُوْٓا اِلٰى صِرَاطِ الْحَمِيْدِ﴾ أي أرشد هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد و «إلى صراط الحميد» أي الإسلام أو هداهم اللّٰه في الآخرة وألهمهم أن يقولوا: الحمد للّٰه الذي صدقنا وعده وهداهم إلى طريق الجنة. والحميد اللّٰه المحمود بكل لسان.

﴿اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَيَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾(٢١) أي يمنعون عن الدخول في الإسلام ويصدون، حال من فاعل «كفروا» أي وهم يصدون أي الصدود منهم مستمر دائم كما يقال: «فلان يحسن إلى الفقراء» فإنه يراد به استمرار وجود الإحسان منه في الحال والاستقبال ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه ﴿الَّذِيْ جَعَلْنٰهُ لِلنَّاسِ﴾ مطلقاً من غير فرق بين حاضر وبادٍ، فإن أريد بالمسجد الحرام مكة ففيه دليل على أنه لاتُباع دور مكة و إن

= في لسان العرب عن ابن الأثير.

قوله: و لؤلؤا، والكلمة بهمزتين عند بعض، و بإبدال الأولى بالواو عند بعض، والإعراب بالنصب عند بعض، و بالجر عند آخرين. قال في غيث النفع : قرأ السوسي وشعبة بإبدال الهمزة الأولى واوًا، والباقون بالهمز، إلّا أن حمزة يبدلها في الوقف، و قرأ نافع و عاصم بالنصب بيوتون مقدّرًا أو نسقًا على موضع أساور، والباقون بالجر عطفًا على من أساور من ذهب، لأن لؤلؤ الجنة -لاحرمنا اللّٰه و محبّينا منه - يتخذ منه الأساور، لا كلولؤ الدنيا. الخ.

(٢١) (إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل اللّٰه والمسجد الحرام الذي جعلنٰه للناس سواء العاكف فيه والباد و من يُّرِدُ فيه بإلحاد بظلم نُذِقْه من عذاب أليم). الكلام هنا في أمور الأول الإعراب الثاني المراد من المسجد الحرام والعاكف والباد، الثالث معنى الاستواء في المسجد الحرام.

فالأول إعراب يصدون ، و سواء، و خبر إنّ. قالوا: يصدون معطوف على "كفروا" و المضارع هنا لبيان الاستمرار والدوام في صدودهم، واختار المصنّف أن "يصدون" حال عن ضمير كفروا، بتقدير "هم" و سواءً بالنصب على قراءة حفص مفعول ثان لقوله "جعلنا" والعاكف فاعل سواء، لأنه بمعنى مستوٍ. و سواءٌ بالرفع على قراء ة الباقين خبر مقدم والعاكف مع معطوفه مبتدأ مؤخر، والجملة مفعول ثان لجعلنا، و خبر إن محذوف، يدلّ عليه جواب الشرط، أي نذيقهم من عذاب أليم.

الثاني المراد من المسجد الحرام: مكة، والمراد من العاكف والبادِ: المقيم والآفاقي. و الثالث معنى الاستواء أن كل أحد يستحقّ النزول والإقامة في بيوت مكّة، وكذا قوله (و من يرد فيه_الخ-) فإن المتوعد عليه الظلم في الحرم كله، و مكة منه. و هذا عند الحنفية، ولهم أحاديث تؤيّد مذهبهم. و قالوا بعدم جواز بيع دور مكة و إجارتها، و قد ورد في الأحاديث الصحيحة التصريح به، كقوله صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم : مكّة حرمها اللّٰه، لا يحلّ بيع رباعها، ولا إجارة بيوتها، روي من طرق عديدة، وقد نهى عمر رضي اللّٰه تعالى عنه أهل مكة أن يغلقوا أبواب دورهم دون الحاج. و قال ابن عمر رضي اللّٰه تعالى عنهما: من أكل كراء بيوت مكة فإنما أكل نارًا في بطنه، لأن الناس فيالانتفاع بها سواء، و هذا في الأرض دون البناء. قال في الهداية: لا بأس ببيع بناء مكة و يكره بيع أرضها، و هذا عند أبي حنيفة، وقالا : لا بأس ببيع أرضها، وهو رواية عنه أيضا، وهو مذهب الشافعي رضي اللّٰه تعالى عنه، و عليه الفتوى. وإلى كلٍّ ذهب طائفة من الصحابة. (خفاجي) و مذهب مالك في عدم جواز البيع يوافق الحنفية، والإمام أحمد قال: تُملك و تورث، ولا توجر. (قرطبي وابن كثير)

والإمام الشافعي و من وافقه فسروا المسجد الحرام بالمطاف، والعاكف بالمعتكف للعبادة فيه، المعدود من أهله لملازمته له، والمساواة في إقامة الشعائر، وهو أظهر. (خفاجي)

أريد به البيت فالمعنى أنه قبلة لجميع الناس ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب: حفص مفعول ثان لـ«جعلناه» أي جعلناه مستوياً ﴿ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ وغير المقيم. بالياء: مكي وافقه أبو عمرو في الوصل[٢١] وغيره بالرفع على أنه خبر والمبتدأ مؤخر أي العاكف فيه والباد سواء، والجملة مفعول ثان «للناس» حال ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ﴾ في المسجد الحرام ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مترادفان ومفعول «يرد» متروك ليتناول كل متناول كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً، فالإلحاد العدول عن القصد ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ في الآخرة وخبر «إن» محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم. وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك.[٢٣] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ واذكر يا محمد حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة أي مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة وقد رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء، فأعلم الله إبراهيم مكانه بريح أرسلها فكنست مكان البيت فبناه على أسه القديم[٢٤] ﴿أَن﴾ هي المفسرة للقول المقدر أي قائلين له ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأصنام والأقذار: وبفتح الياء: مدني وحفص ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ لمن يطوف به ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ والمقيمين بمكة ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝﴾ المصلين جمع راكع وساجد.

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ ناد فيهم، والحج هو القصد البليغ إلى مقصد منيع. ورُوي أنه صعد أبا قبيس فقال : يا أيها الناس حجوا بيت ربكم. فأجاب من قدر له أن يحج من

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٢) قوله (والباد) قرأ ورش، والبصري في الوصل بإثبات ياء بعد الدال، والمكي بإثباتها وصلا و وقفًا، والباقون بحذفها كذلك. (أي وصلًا ووقفًا). غيث النفع.
قوله وغيره بالرفع، أي قرأ غير حفص "سواءٌ" بالرفع.

(٢٣) أخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن راهويه ، و أحمد ، و عبد بن حميد ، والبزار، و أبو يعلى، وابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم و صحّحه، وابن مردويه عن ابن مسعود ـ رفعه ـ في قوله (و من يرد فيه بإلحاد بظلم) قال: لو أن رجلًا همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين، لأذاقه الله تعالى عذابًا أليمًا.

وأخرج سعيد بن منصور، والطبراني عن ابن مسعود في قوله (ومن يرد فيه. الآية). قال: من هَمَّ بخطيئة فلم يعملها في سوى البيت لم تكتب عليه حتى يعملها، ومن همّ بخطيئة في البيت لم يمته الله من الدنيا حتى يذيقه من عذاب أليم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في الآية قال: شتم الخادم في الحرم ظلم فما فوقه. و أخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد، و ابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. (الدر المنثور)

(٢٤) روى نحوه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل عن السدي (الدر المنثور) والأُسُّ والأَسَسُ والأَساس: كلُّ مبتدأ شيء ، والأُسّ والأَساس: أصل البناء. (لسان العرب)
قوله بفتح الياء نافع، و حفص، و هشام عن ابن عامر، و أبو جعفر من العشرة والباقون بيتي بإسكان الياء.
قوله منيع: القويّ، العزيز، و في المفردات: أصل الحج القصد للزيارة، خصّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامةً للنُّسُك، فقيل: الحَجُّ والحِجّ، فالحَجّ مصدر، والحِجّ اسم. اهـ.
قوله رُوي. رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، و نحوه عنه عند ابن جرير، وابن المنذر ، والحاكم، و البيهقي. (الدر المنثور)

الأصلاب والأرحام بلبيك اللّهم لبيك. وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع. والأول أظهر. وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوفة على رجال كأنه قال: رجالاً وركباناً. والضامر البعير المهزول، وقدم الرجال على الركبان إظهاراً لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث[٢٥]﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ «كل ضامر» لأنه في معنى الجمع. وقرأ عبد الله «يأتون» صفة للرجال والركبان ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾طريق ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد. قال محمد بن ياسين: قال لي شيخ في الطواف:من أين أنت؟فقلت:من خراسان.قال:كم بينكم وبين البيت؟ قلت: مسيرة شهرين أو ثلاثة. قال: فأنتم جيران البيت؟ فقلت: أنت من أين جئت؟ قال: من مسيرة خمس سنوات وخرجت وأنا شاب فاكتهلت. قلت: والله هذه الطاعة الجميلة والمحبة الصادقة فقال:

زر من هويت وإن شطت بك الدار ... وحال من دونه حجب و أستار
لا يمنعنك بعدٌ عن زيارته ... إن المحب لمن يهواه زوّار

واللام في ﴿لِّيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا متعلق بـ «أذن» أو بـ«يأتوك» ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ نكرها لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية[٢٦] لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأن العبادة

قوله حجة الوداع. بفتح واو، و جاز كسرها ودّع فيه الناس، علم أنه لا يتفق له بعد هذا وقفة أخرى ، ولا اجتماع آخر مثله. (مجمع بحار الأنوار)

(٢٥) أخرج ابن خزيمة، والحاكم و صحّحه، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يقول: من حجّ من مكة ماشيًا حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبع مأة حسنة من حسنات الحرم. قيل: و ما حسنات الحرم؟ قال بكل حسنة مأة ألف حسنة ـــ وأخرج ابن سعد، وابن مردويه، و الضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: سمعت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يقول: إن للحاج الراكب بكلّ خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، وللماشي بكل قدم سبع مأة حسنة من حسنات الحرم قيل: يا رسول الله و ما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة مأة ألف حسنة ـــ و أخرج البيهقي و ضعّفه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : إن الملائكة لتصافح ركاب الحجاج، و تعتنق المشاة. (الدر المنثور)

اكتهل: صاركهلًا. الكهُل من الرجال: الذي جاوز الثلاثين، و وخَطَه الشيب (مختار الصحاح، إكليل)

قوله زرمَن هويت الخ. هويه (س) أحبّه واشتهاه، شطّ (ن، ض) بعد. أي زر والقَ مَنْ تحبّه، وإن كانت دارُه بعيدة، وحالتُ دونَ لقائه حجابات و أستار ، لا يمنعنّك عن زيارته بعدٌ أيّ بعد كان فإن المحبّ يكثر الزيارات لمن يحبّه.

(٢٦) قوله دينية و دنيوية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (ليشهدوا منافع لهم) قال: منافع في الدنيا، و منافع في الآخرة. فأمّا منافع الآخرة فرضوان الله عزّ و جلّ، و أمّا منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم و الذبائح والتجارات. (الدر المنثور)

ذكر المصنّف هنا منافع الحج و خصائصه بوجوه: الأوّل اشتمال الحجّ على الابتلاء بالنفس و بالمال.=

شرعت للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الأثقال(٢٧) وركوب الأهوال وخلع الأسباب وقطيعة الأصحاب وهجر البلاد والأوطان وفرقة الأولاد والخلان، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء. فالحاج إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطىء الحياة وركب بحر الوفاة لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده، وغسل من يحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط ملفقاً في كفن غير مخيط. ثم المحرم يكون أشعث حيران فكذا يوم الحشر يخرج من القبر لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رغباً ورهباً سائلين خوفاً وطمعاً و هم من بين مقبول ومخذول كموقف العرصات «لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾»[هود:١٠٥]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= الثاني اشتماله على الأخطار، و ترك الخُلّان والأوطان. الثالث مشابهة أحواله و أفعاله أحوالَ الانتقال من الدنيا و مواجهة الآخرة. و أوضح هذا الوجه بعدة أمور: (١) الحاج إذا سافر إلى مكة يقطع المنازل والمهالك، لا ينفعه إلّا ما أخذ من الزاد والمتاع كالذي يرتحل من الدنيا لا ينفعه إلّا ما اتخذه زادًا ومتاعًا للآخرة من أعماله الصالحة (٢) الحاج إذا أراد الإحرام اغتسل و لبس غير المخيط و تطيّب ، كالراحل من دار الفناء يُغسل و يُلبس كفنا غير مخيط مطيّبًا بالحنوط (٣) إذا تم إحرامه لا يمس طيبًا، ولا يأخذ من شعره شيئًا، ويكون أشعث حيران كما سيخرج يوم الحشر من قبره لهفانَ. (٤) في اليوم التاسع من ذي الحجة يقف الحاج بعرفات مجتهدًا في الدعاء راغبًا راهبًا كما سيقف بعرصات المحشر. (٥) بعد غروب الشمس يندفع من عرفات إلى المزدلفة كما سيُدفع يوم الحشر لفصل القضاء. (٦) يأتي الحاج في اليوم العاشر إلى منى، و يرمي الجمرة، و يحلق الرأس، و يتنظّف كما سيخرج في المحشر من سيئاته بالتخفيف والرحمة من ربّه (٧) ثم يتوجه إلى مكة و يدخل البيت الحرام لطواف الإفاضة المفروض، و من دخله كان آمنًا كالذي يدخل دار السلام يكون آمنًا. (٨) الوصول إلى الجنة لا يتحقق إلّا بأداء ما تكرهه النفس الظالمة، كذا الوصول إلى الكعبة لا يتحقق إلّا بما يشق على النفس من احتمال المتاعب و مجاوزة المهالك ـــ فالحجّ جامع لأنواع العبادات، و منافع تامات، و مِرْاة لما سَيرِدُ على المرء من أحوال هامّات.

(٢٧) قوله مع ما فيه من تحمل الأثقال، و ركوب الأهوال. الأثقال جمع ثِقل، والاهوال جمع هَوْل ، في الأصل مصدر ثم يطلق على ما يُخاف منه، والمراد أن الحجّ يشتمل على تحمل ما يكون ثقيلًا على المرء، و على الوقوع في الأخطار، والخلع، والقطيعة، والهجر، والفُرقة كلمات متقاربة المعاني أي الترك والافتراق، والخلّان جمع خليل: الصَّدِيق. العَتاد: الأهبة والعُدّة، الأوراد جمع وِرد بالكسر. والوِرد: النصيب من القرآن ، يقال : قرأتُ وِردى. أي ما قدّرتُ قراء ته كل يوم، ويقال : لفلان كلَّ ليلة وِرد من القرآن يقرأه أي مقدار معلوم. و يقاربه في الاستعمال لفظ "الوظيفة" و إن كان أصل الوظيفة أعم منه فإن الوظيفة من كل شيء: ما يُقَدّر له في كل يوم من رزق، أو طعام ، أو علَف، أو شَراب. (لسان العرب) التأهّب: الاستعداد و التهيّأ مِرْاة ، أصله مِرْأَيَة، أبدلت الياء ألفًا لانفتاح ما قبلها، آلة الروية. التجهيز: الإعدادُ و التهُيِئَة. الحنوط والحناط مثل رسول و كتاب: طيب يُخلط للميت خاصة، و كل ما يطيَّب به الميت من مسك ، و ذريرة، و صندل، و عنبر، و كافور، و غير ذلك ممّا يذرّ عليه تطييبًا و تجفيفًا لرطوبته فهو حنوط. (إكليل) أشعث: مغبرّ الرأس لهفان المتحسّر. الحجيج جمع الحاج.

والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل القضاء، ومنى هو موقف المنى للمذنبين إلى شفاعة الشافعين، وحلق الرأس والتنظيف كالخروج من السيئات بالرحمة والتخفيف، والبيت الحرام الذي من دخله كان آمناً من الإيذاء والقتال أنموذج لدار السلام التي هي من نزلها بقي سالماً من الفناء والزوال غير أن الجنة حفت بمكاره النفس العادية كما أن الكعبة حفت بمتالف البادية، فمرحباً بمن جاوز مهالك البوادي شوقاً إلى اللقاء يوم التنادي. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عند الذبح(٢٨) ﴿فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند أبي حنيفة رحمه الله وآخرها يوم النحر وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، وأكثر المفسرين رحمهم الله وعند صاحبيه هي أيام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ الْأَنْعَٰمِ﴾ أي على ذبحه وهو يؤيد قولهما والبهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فبينت بالأنعام وهي الإبل والبقر والضأن والمعز. (٢٩) ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ من لحومها، والأمر للإباحة، ويجوز الأكل من هدي التطوع والمتعة والقران لأنه دم نسك فأشبه الأضحية، ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَآئِسَ﴾ الذي أصابه بؤس أي شدة ﴿الْفَقِيرَ ٢٨﴾ الذي أضعفه الإعسار.

المزدلفة موضع بقرب مكة. مِنًى بكسر الميم مقصورًا، موضع بقرب مكة، وهو مذكر، منصرف. المنى بضم الميم جمع مُنْيَة: ما يتمنى الرجل أنموذج بضم الهمزة: ما يدلّ على صفة الشيء، وهو معرّب ، و في لغةٍ نموذج بفتح النون والذال معجمة مفتوحة مطلقًا. حُفّت بالمكاره أي أحيطت بها، لا يتوصل المرء إليها إلّا باحتمال ما تكرهه النفس. العادية اسم فاعل من العدوان وهو الظلم الصُّراح. (مختار الصحاح)

(٢٨) قوله عند الذبح، هذا التفسير بالنظر إلى قول الصاحبين في (أيام معلومات) و معناه بالنظر إلى قول أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه إكثار ذكر الله في هذه الأيام و قوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني لما رزقهم من بهيمة الأنعام كما في قوله تعالى (لتكبروا الله على ما هداكم) أي لما هداكم، و كما تقول: اشكر الله على نعمه أي لنعمه (أحكام القرآن للجصاص)

قوله وأكثر المفسّرين، و هو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل رحمهما الله ، و في الحديث " ما من أيام أعظم عند الله ، و لا أحبّ إليه العمل فيهنّ من هذه الأيّام العشر، فأكثروا فيهنّ من التهليل والتكبير والتحميد" رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا، و نحوه عند البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا و بالجملة فهذا العشر قد قيل: إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث، و فضّله كثير من العلماء على عشر رمضان الأخير، لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة و صيام و صدقة وغيره، و يمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه، و قيل: ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. و توسّط آخرون فقالوا: أيام هذا أفضل، و ليالي ذاك أفضل، و بهذا يجتمع شمل الأدلّة، والله تعالى أعلم. (ابن كثير)

(٢٩) قوله الضأن والمعز، الضأن ذو الصوف من الغنم، والمعز ذو الشعر من الغنم، واللفظان بإسكان العين و فتحها أيضًا. الضّأن جمع الضائن، والمعز جمع الماعز (لسان العرب)

قوله و يجوز الأكل ـ الخ ـ هذا عند الحنفية ، وقال الشافعي رحمه الله : لا يجوز الأكل من الهدي الواجب كدم التمتع والقران، و إفساد الحج و فواته، وجزاء الصيد و ما أوجبه على نفسه بنذر، وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل من غيره ، وبه قال أحمد رحمه الله ، وقال مالك رحمه الله : يأكل من دم التمتع وكل هدي وجب عليه، إلّا=

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوْا تَفَثَهُمْ﴾ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم كذا قاله نفطويه. قيل:قضاء التفث قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ والمراد قضاء إزالة التفث. وقال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما: قضاء التفث مناسك الحج كلها[٣٠]﴿ وَلْيُوْفُوْا نُذُوْرَهُمْ﴾ مواجب حجهم والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه: وفىٰ بنذره وإن لم ينذر، أو ما ينذرونه من أعمال البر في حجهم، «وليوفوا» بسكون اللام والتشديد: أبو بكر ﴿وَلْيَطَّوَّفُوْا﴾ طواف الزيارة الذي هو ركن الحج ويقع به تمام التحلل. اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش وأبي عمرو[٣١] ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيْقِ﴿٢٩﴾﴾ القديم لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ثم جدده إبراهيم، أو الكريم ومنه عتاق الخيل لكرائمها، وعتاق الرقيق لخروجه من ذل العبودية إلى كرم الحرية، أو لأنه أعتق من الغرق لأنه رفع زمن الطوفان، أو من أيدي الجبابرة؛ كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله، أو من أيدي الملاك فلم يملك قط وهو مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء، فإن الطالب إذا هاجته ميعة الطرب[٣٢]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فدية أذى و جزاء صيد و منذور. (خفاجي)
قوله ادرانهم، الدرَن، الوسَخ. (مختارالصحاح)
نفطويه، بكسر النون و فتحها، والكسر أفصح، و الفاء ساكنة. أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، النحوي الواسطي، له تصانيف حسان في الآداب ولد سنة أربع و أربعين و مأتين، و قيل سنة خمسين و مأتين بواسط. و سكن بغداد، و توفي سنة ثلاث وعشرين وثلث مأة، و دفن بباب الكوفة. (إكليل)
قوله الاستحداد هو حلق العانة بالحديد.

(٣٠) أخرجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ابن أبي شيبة، و عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر و عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هولاء و ابن أبي حاتم. (الدر المنثور)

(٣١) قوله (اللامات الثلاث ساكنة عند غير ابن عياش و أبي عمرو) كذا فيما رأيت من نسخ المدارك، وقال في غيث النفع: (ثم ليقضوا) قرأ ورش، و قنبل، والبصري، والشامي بكسر اللام، والباقون بالإسكان. (أي قالون عن نافع ، والبزي عن ابن كثير، والكوفيون عاصم، و حمزة، وعلي) (وليوفوا وليطوفوا) قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما، والباقون بالإسكان و قرأ شعبة (وهو أبو بكر بن عياش) بفتح الواو و تشديد الفاء من "وليوفّوا" والباقون بسكون الواو و تخفيف الفاء ـ اه ـ فلعلّ الصواب في نسخة المدارك "عند غير ابن ذكوان و أبي عمرو" ـ والبيان مع ذلك ناقص، فإنِ الكسر في اللام الأولى عند ورش و قنبل وهشام أيضًا، والإسكان في الأخيرين عند البصري أيضًا.
قوله العتيق، بين له ثلاثة معاني: القديم، الكريم، المُعتَق. وعلّل الأول بأنه أول بيت -الخ- و هذا القول مروي عن الحسن رضي الله تعالى عنه. والثاني لا يحتاج إلى التعليل، فإن كرمه و شرفه معلوم و مشهود، و علّل الثالث بثلاثة أمور ، عتقه من الغرق ـ وهو مروي عن سعيد بن جبير ـ أو عتقه من الجبارين ـ و قد روي هذا مرفوعًا بسند جيد ـ أو عتقه من أيدي المالكين، قوله الغبراء ـ أي الأرض.
قوله فإن الطالب ـ الخ ـ توجيه لمشروعية الطواف. والحاصل أن الطواف من أحوال العشاق، والأحكام قد تُشرع بالنظر إلى أحوال بعض الأفراد الكاملين، و تجب على غيرهم بطريق التشبّه والاتباع.

(٣٢) قوله هاجَته مَيُعة الطرب. هاج: ثار، و هاجه غيره أثاره، لازم و متعدٍّ. و بابه باع لا غير (مختار الصحاح) ماع يميع بابه باع: ذاب وسال، والمَيُعَة: سَيَلانُ الشيء المصبوب، و مَيُعةُ الحُضُر، والشباب والسُّكُر والنهار و جرُيِ الفَرس: أوّلُه و أنشَطُه. (لسان العرب) والطرب (س) الفرح والحزن،=

وجذبته جواذب الطلب جعل يقطع مناكب الأرض مراحل ويتخذ مسالك المهالك منازل، فإذا عاين البيت لم يزده التسلي به إلا اشتياقاً ولم يفده التشفي باستلام الحجر إلا احتراقاً، فيرده الأسف لهفان ويردده اللّهف حوله في الدوران، وطواف الزيارة آخر فرائض الحج الثلاث، وأولها الإحرام وهو عقد الالتزام يشبه الاعتصام بعروة الإسلام حتى لا يرتفض(٣٣) بارتكاب ما هو محظور فيه ويبقى عقده مع ما يفسده وينافيه، كما أن عقد الإسلام لا ينحل بازدحام الآثام وترتفع ألف حوبة بتوبة. وثانيها الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال وصدق الاعتزال عن دفع الاتكال على مراتب الأعمال وشواهد الأحوال.

﴿ ذٰلِكَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك أو تقديره ليفعلوا ذلك﴿ وَمَنْ يُّعَظِّمْ حُرُمٰتِ اللهِ ﴾ الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه اللّٰه عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه،(٣٤) ويحتمل أن يكون خاصاً بما يتعلق بالحج. وقيل: حرمات اللّٰه البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام و المسجد الحرام(٣٥) ﴿ فَهُوَ ﴾أي التعظيم﴿ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهٖ ﴾ومعنى التعظيم العلم بأنها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْاَنْعَامُ ﴾ أي كلها ﴿ اِلَّا مَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ ﴾ آية تحريمه وذلك قوله: «حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» [المائدة: ٣] الآية. (٣٦) و المعنى أن اللّٰه تعالى أحل لكم الأنعام كلها إلا ما بيّن في كتابه ، فحافظوا على حدوده ولاتحرموا شيئاً مما أحل كتحريم

= و قيل: خِفّة تَعْتَرِي عند شدة الفرح أو الحزن والهمّ. والطرب: الشوق أيضًا. مناكب الأرض: أطرافها و جوانبها. استلم الحجر: قبّله أو اعتنقه. وقال الجوهري: لمسه إمّا بالقُبلة أو باليد. فيردُّه أي يجعله، و ردّ قد يكون بمعنى صير نحو فردّ شعورهنّ السودَ بيضًا. وارتد بمعنى صار نحو فارتد بصيرًا أي صار. ولَهِفَ (س) حَزِن و تحسّر واللهفان: المتحسّر. و ردّد بمعنى صرّف، والأسف أشدّ الحزن.

(٣٣) قوله لا يرتفض، رفَضه (ن ض) تركه، ارتفض مطاوعه، لا يرتفض أي لا يزول. قوله يبقى عقده۔ الخ ۔ الجماع قبل الوقوف بعرفة يفسد الحج، و عليه شاة، و قضاء الحج في السنة القابلة، لكنه يمضى في الحج، والأصل فيه ما روي أن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم سئل عمّن واقع امرأته، وهما محرمان بالحج، قال يُرِيقان دمًا، و يمضيان في حجتهما، وعليهما الحج من قابل (هداية).

قوله حوبة ، بفتح الحاء: الإثم سِمَة الابتهال علامة التضرع، الاهتبال الاغتنام أي يقف بعرفات متضرّعًا إلى اللّٰه، مغتنمًا هذا المقام ، وهذه الفرصة، معتزلًا عن إلقاء و ثوقه على عمله الرفيع، و شواهد أحواله الطيبة، أي لا يتكل على عمله، وحسن حاله بل يكون بين الخوف والرجاء.

(٣٤) أخرج ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله (ذلك و من يعظم حرمٰت اللّٰه) قال: الحرمة الحج والعمرة، و ما نهى اللّٰه عنه من معاصيه كلها ، و أخرج عبد بن حميد عن عطاء و عكرمة، قالا: المعاصي.

(٣٥) أخرجه ابن جرير عن ابن زيد رحمه اللّٰه: والمشعر الحرام ، هو جبل قُزَح بالمزدلفة.

(٣٦)(حرمت عليكم الميتة) أي البهيمة التي تموت حتف أنفها (والدم) أي المسفوح، وهو السائل (و لحم الخنزير) وكله نجس ، وإنّما خصّ اللحم لأنه معظم المقصود (و ما اهل لغير اللّٰه به) أي رفع الصوت به لغير اللّٰه، وهو قولهم باسم اللات والعزّى=

البعض البحيرة ونحوها،(٣٧) ولا تحلوا مما حرم كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغيرهما. ولما حث(٣٨) على تعظيم حرماته أتبعه الأمر باجتناب الأوثان وقول الزور بقوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ لأن ذلك من أعظم الحرمات وأسبقها حظراً. و «من الأوثان» بيان للرجس لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. وسمى الأوثان رجساً على طريقة التشبيه يعني أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس فعليكم أن تنفروا عنها. وجمع بين الشرك وقول الزور أي الكذب والبهتان أو شهادة الزور وهو من الزور وهو الانحراف، لأن الشرك من باب الزور إذ المشرك زاعم أن الوثن

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنقت بالشبكة أو غيرها (والموقوذة) التي أثخنوها ضربًا بعصا أو حجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردّت من جبل أو في بير فماتت (والنطيحة) المنطوحة، وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (و ما أكل السبع) بعضَه ومات بجَرحه (إلّا ما ذكيتم) إلّا ما أدركتم ذكاته، وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخنقة وما بعدها ، فإنه إذا أدركها و بها حياة فذبحها و سمى عليها حلّت. (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها، يعظمونها بذلك، و يتقرّبون إليها، تسمى الأنصاب، واحدها نَصْب و نُصُب أو هو جمع والواحد نصاب (و أن تستقسموا بالأزلام) في موضع الرفع بالعطف على الميتة، أي حرمت عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام. وهي القداحُ المعلَمة، واحدها زَلَم و زُلَم. كان أحدهم إذا أراد سفرًا، أو غزوًا، أو تجارة، أو نكاحًا، أو غير ذلك يعمد إلى قداح ثلاثة، على واحد منهما مكتوب "أمرني ربي" و على الآخر "نهاني" والثالث غُفلٌ. فإن خرج الآمر مضى لحاجته ، وإن خرج الناهي أمسك، و إن خرج الغفل أعاده. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قُسم له ممّا لم يُقسم له بالأزلام. (ذلكم فسق) الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود إلى كل محرم في الآية. اه. مدارك التنزيل، سورة المائدة.

(٣٧) جاء في التنزيل العزيز في سورة المائدة (ما جعل اللّه من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام و لكن الذين كفروا يفترون على اللّه الكذب) في نسبتهم هذا التحريم إليه. كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أُذنَها، أي شقّوها، وامتنعوا من ركوبها و ذبحها، ولا تُطرد عن ماء ولا مرعى. واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري ، أو برِأتُ من مرضي فناقتي سائبة و جعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها..... و كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرًا أكله الرجال، و إن كان أنثى أرسلت في الغنم، و كذا إن كان ذكرًا و أنثى. و قالوا : وصلت أخاها. فالوصيلة بمعنى الواصلة. و إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حَمى ظهرَه، فلا يُركب ، ولا يُحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى، ومعنى " ما جعل " ما شرع ذلك ولا أمر به، اه. تفسير العلامة النسفي.

(٣٨) قوله ولما حثّ ـ الخ ـ ذكر المصنف مناسبة ما يأتي لما سبق، والمناسبة بين النهي عن الشرك والنهي عن قول الزّور قوله حظرًا بتقديم الحاء المهملة على الظاء المعجمة: المنع قوله وهو الزّوَر بفتحتين، و الزُّوْر بضم فسكون: الكذب.

أخرج أحمد، و الترمذي، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن مردويه عن أيمن بن خُريم قال: قام رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم خطيبًا فقال: يأيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكًا باللّه ـ ثلاثًا ـ ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور.)

أخرج أحمد ، والبخاري، و مسلم، والترمذي عن أبي بكرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم : ألا أنبّأكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول اللّه، قال: الإشراك باللّه، و عقوق الوالدين ـ و كان متكئًا فجلس. فقال : ألا و قول الزور، ألا و شهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. (الدر المنثور)

يحق له العبادة.﴿حُنَفَآءَ لِلّٰهِ﴾ مسلمين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِيْنَ بِهٖ﴾ حال كحنفاء ﴿وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَاَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَآءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أي تسلبه بسرعة «فتخطّفه»[٣٩] أي تتخطفه مدني ﴿اَوْ تَهْوِيْ بِهِ الرِّيْحُ﴾ أي تسقطه والهوي السقوط ﴿فِيْ مَكَانٍ سَحِيْقٍ﴾ بعيد. يجوز أن يكون هذا تشبيهاً مركباً، ويجوز أن يكون مفرقاً. فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة . و إن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، و الذي أشرك بالله بالساقط من

(٣٩) قوله فتخطّفه بفتح الخاء، والطاء مشدّدة، مضارع تخطّفَه قوله أي تتخطّفه أي والأصل فتتخطّفه حذفت إحدى التائين. مدني أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (من العشرة) والباقون بسكون الخاء و فتح الطاء مخففة، مضارع خطِف. (إكليل)

قوله والهوى: السقوط. هَوى بالفتح يهوِى هَوِيّا و هُوِيا و هَوَيانًا، وانهوى : سقط. اه. لسان العرب.

قوله تشبيهًا مركبًا، وهو أن تُشَبَّهَ كيفية منتزعة من مجموع تضامّت أجزاء ه و تلاصقت حتى صارت شيئًا واحدًا بأخرى مثلها. اه. بيضاوي ـ أي المشبه به أيضًا كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاء ه و تلاصقت حتى صارت شيئًا واحدًا، و لهذا صرحّ صاحب المفتاح في تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة. اه. إكليل.

قوله مفرقًا: وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها. اه. بيضاوي.

قوله ليس بعده ـ في الكشاف: ليس بعده نهاية، و في مفاتيح الغيب: ليس وراء ه هلاك. فلعل هنا سقطًا أو اسم ليس مقدر، و توضيح التشبيه أن الساقط من السماء إلى الأرض لا يبقى حيًّا، بل يصير جثة باردة و هذا هلاكه، مع ذاك جثته مجتمعة لكن إذا أخذت منها الطير شيئًا فشيئًا تفرقت أجزاء ه في حواصل طيور مختلفة، حتى لا يتصور اجتماعها فكيف عود الحياة إليها. و كذا إن رفعت ريحٌ عاصفة تلك الجثةَ الباردة و ألقَتها بشدة في مكان بعيد تشتّتَتُ أجزائها و تقطّعت قِطَعًا لا يتصوّر اجتماعها و عود الحياة إليها. فزيادة خطف الطير أو إلقاء الريح في مكان بعيد لتصوير هلاكه هلاكًا ليس بعده نهاية، أمّا نفس الهلاك فيتمّ تصويره بذكر السقوط من السماء.

قوله فتفرق قِطَعًا في حواصلها. قِطعًا جمع قِطعة. وهو حال من ضمير تفرق ، و في حواصلها إمّا صلة "تَفرق" أو صفةُ "قِطعًا" قوله الأهواء المردية. الأهواء جمع هوى، والمردية اسم فاعل من الارداء بمعنى الإهلاك، و ردي ردًى من سمع بمعنى هلك.

قوله المهاوي المتلفة، المهاوي: جمع مهوى بمعنى موضع السقوط، والمتلفة اسم فاعل من الإتلاف.

(٤٠) قوله تعظيم الشعائر مبتدأ، خبره أن يختارها، قوله: وهي الهدايا تعيين لما أريد بالشعائر، و قوله لأنها من معالم الحج بيان لوجه إطلاق الشعائر على الهدايا، فإن الشعيرة بمعنى العلامة، و شعائر الله كل ما يكون فيه أمر لله تعالى يشعر به و يُعلم، لكن تفسير الشعائر بالهدايا روي هنا عن جماعة من المفسّرين، والقرينة عليه قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق).

وأخرج ابن أبي شيبة، و ابن جرير ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (ذلك و من يعظم شعائر الله) قال: الاستسمان، والاستحسان، والاستعظام. (الدر المنثور)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم رأى رجلًا يسوق بدنة قال: اركبها، قال: إنها بدنة قال اركبها ويحك، في الثانية أو الثالثة، و في رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليه.

السماء. و الأهواء المردية بالطير المتخطفة و الشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة.

﴿ذٰلِكَ﴾ أي الأمر ذلك ﴿وَمَنْ يُّعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللّٰهِ﴾ تعظيم الشعائر[٤٠] وهي الهدايا لأنها من معالم الحج، أن يختارها عظام الأجرام حساناً سماناً غالية الأثمان ﴿فَاِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوْبِ﴾ أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات. وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى ﴿لَكُمْ فِيْهَا مَنَافِعُ﴾ من الركوب عند الحاجة وشرب ألبانها عند الضرورة ﴿اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي وقت وجوب نحرها[٤١] منتهية ﴿اِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيْقِ﴾ والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت إذ الحرم حريم البيت ومثله في الاتساع: قولك «بلغت البلد» وإنما اتصل مسيرك بحدوده. وقيل: الشعائر المناسك كلها وتعظيمها إتمامها ومحلها إلى البيت العتيق يأباه ﴿وَلِكُلِّ اُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع: علي وحمزة أي موضع قربان. وغيرهما: بالفتح على المصدر أي إراقة الدماء وذبح القرابين ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ﴾ دون غيره ﴿عَلٰى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيْمَةِ الْاَنْعَامِ﴾ أي عند نحرها وذبحها ﴿فَاِلٰهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ﴾ أي اذكروا على الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد، وفيه دليل على أن ذكر اسم الله شرط الذبح يعني أن الله تعالى شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا له على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على النسائك. وقوله: ﴿فَلَهٗٓ اَسْلِمُوْا﴾ أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه له سالماً أي خالصاً لا تشوبوه بإشراك ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِيْنَ﴾ المطمئنين بذكر الله أو المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا.[٤٢] وقيل: تفسيره ما بعده أي ﴿الَّذِيْنَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ﴾ خافت منه هيبة ﴿وَالصّٰبِرِيْنَ عَلٰى مَآ اَصَابَهُمْ﴾ من المحن والمصائب ﴿وَالْمُقِيْمِي الصَّلٰوةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ﴾ يتصدقون. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة سميت لعظم بدنها

(٤١) قوله وقت وجوب نحرها إشارة إلى أن "محلّ" اسم زمان، و يجوز أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى الوجوب من حلّ الدين إذا وجب كما في الكشاف. وقوله منتهية إشارة إلى متعلق إلى، و يصح تقديره "مقربة" (خفاجي)
قوله حيث كان ـ أي هنا و آخر السورة بكسر السين بمعنى الموضع علي الكسائي و حمزة ـ إكليل ـ
قوله القرابين، جمع قربان بالضم، قوله النسائك، جمع نسيكة أي الذبيحة. والفعل من نصر.
قوله لا تشوبوا، الشَّوب: الخلط، و بابه قال. قوله الخبت، بفتح فسكون.

(٤٢) أخرج سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن أبي شيبة، و ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب عن عمرو بن أوس قال: المخبتون الذين لا يظلمون الناس، و إذا ظلموا لم ينتصروا. (الدر المنثور)

وفي الشريعة يتناول الإبل والبقر، وقرئ: برفعها وهو كقوله: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنٰهُ)[يس: ٣٩] ﴿جَعَلْنٰهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَآئِرِ اللّٰهِ﴾ أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه تعظيم لها و«من شعائر الله» ثاني مفعولي «جعلنا» ﴿لَكُمْ فِيْهَا خَيْرٌ﴾ النفع في الدنيا والأجر في العقبى ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَآفَّ﴾ حال من الهاء أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوْبُهَا﴾ وجوب الجنوب وقوعها على الأرض من وجب الحائط وجبة إذا سقط أي إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها ﴿فَكُلُوْا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ السائل من قنعت إليه إذا خضعت له وسألته قنوعاً ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل. وقيل: القانع الراضي بما عنده و بما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعاً وقناعة، والمعتر المتعرض للسؤال ﴿كَذٰلِكَ سَخَّرْنٰهَا لَكُمْ﴾ أي كما أمرناكم بنحرها سخرناها لكم، أو هو كقوله : « ذلك و من يعظم» ثم استأنف فقال: «سخرنٰها لكم » أي ذللناها لكم مع قوتها و عظم أجرامها لتتمكنوا من نحرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾ لكي تشكروا إنعام الله عليكم.

﴿لَنْ يَّنَالَ اللّٰهَ لُحُوْمُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلٰكِنْ يَّنَالُهُ التَّقْوٰى مِنْكُمْ﴾ أي لن يتقبل الله اللحوم والدماء ولكن يتقبل التقوى، أو لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المراقة بالنحر والمراد أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى لن يُرضي الْمُضحّون والمقرِّبون ربّهم إلا بمراعاة النية والإخلاص ورعاية شروط التقوى. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا نحروا الإبل نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت(٤٣) ﴿كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾أي البدن ﴿لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ﴾ لتسموا الله عند الذبح أو لتعظموا الله ﴿عَلٰى مَا هَدٰىكُمْ﴾ على ما أرشدكم إليه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِيْنَ﴾الممتثلين أوامره بالثواب﴿إِنَّ اللّٰهَ يُدٰفِعُ﴾ «يدفع» مكي وبصري

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بَدَنة بفتحتين. قوله و قرئ برفعها أي في الشواذ على أنه مبتدأ وما بعده خبر والنصب بفعل مقدّر يفسره (جعلنٰها لكم). قوله وهو كقوله (والقمر قدرنٰه) أي على قراءة الرفع، وهي قراءة ابن كثير، و نافع، و أبي عمرو على الابتداء. والخبر قدرناه. والنصب للباقين وهو بفعل يفسره قدرناه. (سورة يٰس)

قوله من قنعت إليه ـ بفتح النون، و بابه خضع و قوله من قنعت قنَعًا و قناعة بكسر النون، و بابه تعب. والتفسيران مرويان عن السلف كما في الدر المنثور.

(٤٣) أخرجه ابن المنذر، و ابن مردويه عن ابن عباس ، وابن أبي حاتم عن ابن جريج. (الدر المنثور)

قوله (كذلك سخرها لكم) كرّره تذكيرًا للنعمة و تعليلًا بقوله (لتكبروا الله) أي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدرعليه غيره، فتوحّدوه بالكبرياء، و قيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح. اه. بيضاوي.

قوله يدفع، بفتح الياء والفاء و إسكان الدال بلا ألف ، ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري و يعقوب (من العشرة) و الباقون يدافع بضم الياء و فتح الدال و ألف بعدها مع كسر الفاء. والمفاعلة قد تفيد المبالغة في الفعل ، وهذا منه.

وغيرهما يدافع أي يبالغ في الدفع عنهم ﴿عَنِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ أي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ونحوه (اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا) [غافر: ٥١] ثم علل ذلك بقوله: ﴿اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانة الله ﴿كَفُوْرٍ﴾ لنعمة الله أي لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها. ﴿أُذِنَ﴾ مدني وبصري وعاصم ﴿لِلَّذِيْنَ يُقٰتَلُوْنَ﴾ بفتح التاء مدني وشامي وحفص، والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه ﴿بِاَنَّهُمْ ظُلِمُوْا﴾ بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان مشركو مكة يؤذونهم أذىً شديداً وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية،(٤٤) وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية﴿وَاِنَّ اللّٰهَ عَلٰى نَصْرِهِمْ﴾ على نصر المؤمنين ﴿لَقَدِيْرٌ﴾ قادر

قوله غائلة غاله، من باب قال، أهلكه و أخذه من حيث لا يدرى، فالغائلة بمعنى المهلكة لكن اللفظ عمّ في كل داهية و شر و فساد، والمراد هنا ضرر المشركين و شرهم. قوله يغمطونها، من ض و س ـ غمط النعمة: لم يشكرها، و غمط الحق: جحده، و غمط فلانًا: احتقره و ازدرى به.

قوله أُذِنَ، بضم الهمزة مبنيًّا للمفعول، و إسناده إلى الجار والمجرور، نافع ، و أبو عمرو، و عاصم و كذا أبو جعفر و يعقوب من العشرة، والباقون بفتح الهمزة مبنيًّا للفاعل، مسندًا لضمير اسم الله سبحانه و تعالى. اه. إكليل.

قوله يقاتَلون، بفتح التاء مبنيًّا للمفعول، لأن المشركين قاتلوهم. نافع ، وابن عامر، و حفص، و كذا أبو جعفر من العشرة، والباقون بكسر التاء مبنيًّا للفاعل ، أي يقاتلون المشركين. اه. إكليل.

(٤٤) قال العلّامة ابن حجر: لم أجده هكذا ، وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين. قلت: هو منتزع من أحاديث، أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) و ذلك أن مشركي أهل مكة كانوا يوذون المسلمين بمكة، فاستأذنوا النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم في قتالهم بمكة، فنهاهم النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك. فلمّا خرج النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة أنزل الله عليه "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا". و ذكر الطبري أنّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم استأذنوا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم في قتال الكفار إذا آذوهم واشتدّوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة و سرا، فأنزل الله في ذلك (إنّ الله لا يحب كلّ خوّان كفور) فلمّا هاجر رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم و أصحابه إلى المدينة أطلق لهم قتلهم و قتالهم فقال (أذن للذين يقاتلون ـ الآية) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف. وتفسير ابن جرير.

وأخرج عبد الرزاق، و أحمد، و عبد بن حميد، والترمذي و حسنه ، والنسائي ، وابن ماجة، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن حبان، والطبراني، والحاكم و صحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما خرج النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنّا لله و إنا إليه راجعون ، ليهلكن القوم، فنزلت (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ـ الآية) قال أبو بكر : فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: و هي أول آية نزلت في القتال. (الدر المنثور)

قوله مشجوج، شجّه يشجّه بضم الشين و كسرها شجًّا فهو مشجوج و شجيج أي مجروح. قوله يتظلَّمُوْنَ أي يشتكون الظلم قوله نيف، بوزن الهيّن، الزيادة ، يخفّف و يشدّد، يقال: عشرة و نيف ، و مأة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني. (مختار الصحاح)

وهو بشارة للمؤمنين بالنصرة وهو مثل قوله: «إن الله يدافع عن الذين آمنوا» ﴿ اِلَّذِيْنَ ﴾ في محل جر بدل من «للذين» أو نصب بـ«أعني» أو رفع بإضمارهم ﴿أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بمكة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ اِلَّآ اَنْ يَّقُوْلُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ط﴾ أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب التمكين لاموجب الإخراج ومثله ﴿قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ هَلْ تَنْقِمُوْنَ مِنَّآ اِلَّآ اَنْ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ﴾[المائدة:٥٩] و محل أن يقولوا جر بدل من «حق» والمعنى ما أخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ﴾ «دفاع» مدني ويعقوب ﴿النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾ وبالتخفيف حجازي ﴿صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَّصَلَوٰتٌ وَّمَسٰجِدُ﴾(٤٥) أي لولا إظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعاً ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات أي كنائس. وسميت الكنيسة صلاة لأنها يصلى فيها ولا للمسلمين مساجد، أو لغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين، وقدم غير المساجد عليها لتقدمها وجوداً أو لقربها من التهديم ﴿ يُذْكَرُ فِيْهَا اسْمُ اللّٰهِ كَثِيْرًا ط ﴾ في المساجد أو في جميع ما تقدم ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ يَّنْصُرُهٗ ط﴾ أي ينصر دينه وأولياءه ﴿اِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصر أوليائه ﴿عَزِيْزٌ﴾ على انتقام أعدائه. ﴿اَلَّذِيْنَ﴾ محله نصب بدل من «من ينصره» أو جر تابع لـ«الذين أخرجوا» ﴿اِنْ مَّكَّنّٰهُمْ فِي الْاَرْضِ اَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ وَاَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ط﴾ هو إخبار من الله عما ستكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بأمر الدين، وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله عزّوجلّ أعطاهم التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة. وعن الحسن: هم أمة محمد صلى الله عليه

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله دفاع، بكسر الدال، و فتح الفاء، و ألف بعدها نافع، و أبو جعفر، و يعقوب (هذان من العشرة) والباقون "دفع" بفتح الدال و إسكان الفاء بلا ألف قوله بالتخفيف أي بتخفيف الدال حجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي ابن كثير المكي، ونافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني من العشرة ، والباقون بالتشديد للتكثير. (إكليل وغيره).

(٤٥) هنا في تعيين المعابد المذكورة أقوال، فاختار المصنّف أن الصوامع هي المعابد الصغار للرهبان من النصارى وهو قول ابن عباس و مجاهد و أبي العالية و عكرمة والضحاك وغيرهم والبيع هي معابد النصارى أو سع من الصوامع وهو قول أبي العالية و قتادة والضحاك ابن صخر و مقاتل بن حيان و خصيف وغيرهم، والصلوات هي كنائس اليهود ، قال العوفي عن ابن عباس الصلوات: الكنائس، و كذا قال عكرمة والضحاك و قتادة أنها كنائس اليهود، وهم يسمونها صلوات. أمّا المساجد فهي للمسلمين. أمّا وجه الجمع بين معابد الكفار و مساجد المسلمين فذكر المصنّف أن المراد معابد أهل الأديان المذكورة في أزمنتها قبل النسخ. أو المراد معابد هولاء الكفار الذين هم في ذمة المسلمين حين غلبة أهل الإسلام، و على الأوّل قوله يذكر فيها اسم اللّٰه كثيرًا. صفة للكل، و ضمير فيها عائد إلى الجميع، و على الثاني ينبغي أن يكون صفة المساجد.

قوله أي ينصر دينه، إمّا بيان للمعنى أو لتقدير مضاف فيه

وسلم ﴿وَلِلّٰهِ عَاقِبَةُ الْأُمُوْرِ﴾ أي مرجعها إلى حكمه وتقديره، وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمته.

﴿وَإِنْ يُّكَذِّبُوْكَ﴾ هذه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من تكذيب أهل مكة إياه أي لست بأوحدي في التكذيب﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾قبل قومك ﴿ قَوْمُ نُوْحٍ ﴾نوحاً ﴿ وَّعَادٌ ﴾ هوداً﴿ وَّثَمُوْدُ ﴾صالحاً﴿وَقَوْمُ إِبْرٰهِيْمَ﴾إبراهيم﴿وَقَوْمُ لُوْطٍ﴾ لوطاً ﴿وَّأَصْحٰبُ مَدْيَنَ﴾ شعيباً ﴿وَكُذِّبَ مُوْسٰى﴾ كذبه فرعون والقبط ولم يقل وقوم موسى لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه، أو كأنه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضاً مع وضوح آياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره!﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكٰفِرِيْنَ ﴾أمهلتهم وأخرت عقوبتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ عاقبتهم على كفرهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرِ﴾ إنكاري وتغييري حيث أبدلتهم بالنعم نقماً وبالحياة هلاكاً وبالعمارة خراباً. «نكيري» بالياء في الوصل والوقف: يعقوب ﴿فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنٰهَا﴾ «أهلكتها»بصري﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ حال أي وأهلها مشركون ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ساقطة من خوى النجم إذا سقط ﴿عَلٰى عُرُوْشِهَا﴾ يتعلق بـ«خاوية» والمعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف، ولا محل لـ«فهي خاوية» من الإعراب لأنها معطوفة على «أهلكناها» وهذا الفعل ليس له محل،[٤٦] وهذا إذا جعلنا «كأين» منصوب المحل على تقدير كثيراً من القرى أهلكناها﴿وَ بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾أي متروكة لفقد دلوها ورشائها وفقد تفقدها، أوهي عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها﴿وَّقَصْرٍ مَّشِيْدٍ﴾ مجصص من الشيد الجص أو مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه ، و المعنى كم قرية أهلكناها و كم بئر عطلناها عن سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه أي أهلكنا البادية والحاضرة جميعاً فخلت القصور عن أربابها والآبار عن واردها. والأظهر أن البئر والقصر على العموم.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بأوحديّ بمعنى منفرد، و ياء النسبة للمبالغة (خفاجي) قوله القِبط بوزن السِّبُط، أهل مصر، وهم بُنكها أي أصلها. اه. مختار الصحاح.

قوله إنكاري، إشارة إلى أن النكير مصدر كالنذير بمعنى الإنذار، وأن ياء الضمير المضاف إليها محذوفة في الفاصلة.

قوله نِقماً، جمع نِقْمة ، مثل نِعَم جمع نِعْمَة قوله نكيري بالياء في الوصل والوقف يعقوب من العشرة ، و كذا ورش عن نافع وصلًا، والباقون بحذفها وصلًا و وقفًا، قوله أهلكتها أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري من العشرة والباقون "اهلكنٰها" قوله خوى النجم من باب رمى.

(٤٦) قوله وهذا الفعل ليس له محل، لأنها جملة مفسرة، ولا محل لها كما في المغني (خفاجي) قوله هذا إذا جعلنا كأين منصوب المحل ـ الخ ـ أمّا إذا جعلناه مرفوع المحل على الابتداء فمحلها الرفع لعطفها على الخبر ، وهو اهلكنٰها.

قوله والأظهر ـ الخ ـ وقيل: المراد ببير بيرٌ في سفح=

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ هذا حث على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ونحوه ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الضمير في «فإنها» ضمير القصة أو ضمير مبهم يفسره «الأبصار» أي فما عميت أبصارهم عن الإبصار بل قلوبهم عن الاعتبار. ولكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه وعينان في قلبه، فإذا أبصر ما في القلب وعمي ما في الرأس لم يضره، وإن أبصر ما في الرأس وعمي ما في القلب لم ينفعه، وذكر الصدور لبيان أن محل العلم القلب ولئلا يقال: إن القلب يعني به غير هذا العضو كما يقال: «القلب لب كل شيء».

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾الآجل استهزاء﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ كأنه قال: ولم يستعجلونك به كأنهم يجوزون الفوت وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ «يعدون» مكي وكوفي غير عاصم أي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم لأن أيام الشدائد طوال.﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾أي وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾بالعذاب﴿ وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾أي المرجع إلي فلا يفوتني شيء.وإنما كانت الأولى أي «فكأين» معطوفة بالفاء وهذه أي«وكأين»بالواو لأن الأولى وقعت بدلاً عن «فكيف كان نكير» وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو وهما (وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) (وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾وإنما لم يقل بشير ونذير لذكر الفريقين بعده لأن الحديث مسوق إلى المشركين و«يا أيها الناس»نداء لهم وهم الذين قيل فيهم «أفلم يسيروا» ووصفوا بالاستعجال. وإنما أقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا، أو تقديره نذير مبين وبشير

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= جبل بحضرموت، و بقصر قصرٌ مشرف على قُلّته ، كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح عليه السلام، فلمّا قتلوا حنظلة أهلكهم الله تعالى و عطلهما. اهـ. بيضاوي. و ذكر الزمخشري أن حنظلة بن صفوان نبي. (خفاجي)

قوله هذا حثّ على السفر، يعني أن الاستفهام ليس على حقيقته، بل المقصود به الحث على أن يسافروا للنظر والاعتبار، و سفرهم بدون النظر والاتّعاظ كلا سفر، قوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام أو النفي، قوله يعقلون ما يجب... ويسمعون ما يجب... فيهما إظهار للمفعول المحذوف اختصارًا.

قوله من التوحيد، و من الوحي بيان "لما" في الموضعين. قوله الضمير في "فإنها" ضمير القصة. يعني أنه ضمير شان مفسّر بالجملة بعده، و أنث باعتبار القصة، فإنه يجوز تذكيره و تأنيثه بدليل أنه قرئ "فإنه" في الشواذ قوله أو هو ضمير مبهم يفسّره الأبصار، و كان أصله فإنها الأبصار لا تعمى، على أنه خبر بعد خبر، فلمّا ترك الخبر الأول أقيم الظاهر مقام الضمير ، لعدم ما يرجع إليه ظاهرًا، فصار فاعلًا مفسّرًا للضمير. (خفاجي)

قوله يعدّون، بالياء من تحت لقوله و يستعجلونك ابن كثير المكي ، و حمزة و الكسائي و خلف، والباقون=

فبشر أولاً فقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي حسن.ثم أنذر فقال: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ سعى في أمر فلان إذا أفسده بسعيه﴿فِي آيَاتِنَا﴾ أي القرآن ﴿مُعَاجِزِينَ﴾حال«معجزين»حيث كان:مكي وأبو عمرو.وعاجزه سابقه كأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به فإذا سبقه قيل أعجزه وعجزه.والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرًا وشعرًا وأساطير مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾أي النار الموقدة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾«من»لابتداء الغاية ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ «من» زائدة لتأكيد النفي ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ هذا دليل بين على ثبوت التغاير بين الرسول و النبي بخلاف ما يقول البعض إنهما واحد . و سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن الأنبياء فقال:«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً،فقيل: فكم الرسل منهم؟ فقال :«ثلاث مأة وثلاثة عشر» .[٤٧]والفرق بينهما أن الرسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله. وقيل: الرسول واضع شرع والنبي حافظ شرع غيره ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ قرأ، قال:

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= بالتاء من فوق على الخطاب لعموم المسلمين وغيرهم. (إكليل)

قوله معجزين ، بالقصر و تشديد الجيم، اسم فاعل من عجّزه، معدّى عجز، أي قاصدين التعجيز بالإبطال حيث كان أي هنا و موضعَيْنِ في سبأ: ابن كثير المكي، و أبو عمرو البصري، والباقون بالمد و التخفيف في المواضع الثلاثة، اسم فاعل من عاجزه فأعجزه و عجزه ، إذا سابقه فسبقه، لأن كلّا من الفريقين يطلب عجز خصمه. اه. (إكليل)

قوله النار الموقدة، بيان لمعنى الجحيم ، ففي القاموس جحمها ـ كمنعها ـ أوقدها، فجحُمت ـ ككرمت ـ جحومًا، و جحم ـ كفرح ـ جَحَمًا وجَحُمًا وجُحومًا: اضطرمت، وفي المفردات: الجَحْمة: شدة تأجّج النار، و في مجمع البحار: الجحيم من أسماء جهنم، و أصله ما اشتدّ لهبه من النيران. اه.

(٤٧) رواه أحمد، و إسحق من رواية معاذ بن رفاعة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة "أن أبا ذرّ سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كم الأنبياء ؟ فقال مثله ـ و علي ضعيف. وورواه ابن حبان من طريق إبراهيم بن هشام الغسّاني حدثنا أبي عن حذيفة ـ يعني يحيى الغساني عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر ـ فذكره في حديث طويل جدًّا، و أفرط ابن الجوزي فذكره في الموضوعات. و اتهم به إبراهيم بن هشام المذكور، ولم يصب في ذلك فإن له طريقًا آخر أخرجها الحاكم وغيره من رواية يحيى بن سعيد السعدي عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر، بطوله ـ و يحيى السعيدي ضعيف. ولكن لا يأتي الحكم بالوضع مع هذه المتابعة ـاه ـ (تخريج أحاديث الكشاف) قال البيضاوي: الرسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو الناس إليها، والنبي يعمّه و مَن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى و عيسى عليهم السلام ـاه ـ وزاد الخفاجي: وقيل الرسول من بعث إلى قوم بشريعة جديدة بالنسبة إليهم ، و إن كانت الشريعة غير جديدة في نفسها، كإسمٰعيل عليه الصلاة والسلام إذ بعث لجُرهم أوّلا ـاه ـ قال:و في هذا المقام كلمات كثيرة أكثرها مضطرب.اه. والعلّامة النسفي رحمه الله ذكر منها ما هو راجح و معتمد عند كثيرين، أي الفرق بينهما بنزول الكتاب و عدمه أو بكونه صاحب شريعة جديدة و حافظ شريعة سابقة.

تمنى كتاب الله أول ليلة ❖ تمنى داود الزبور على رسل

﴿أَلْقَى الشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ تلاوته. قالوا: إنه عليه السلام كان في نادي قومه يقرأ «والنجم» فلما بلغ قوله: «وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» [النجم:٢٠] جرى على لسانه «تلك الغرانيق العلى (٤٨) و إن شفاعتهن لترتجى» و لم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه. وقيل: نبهه جبريل عليه السلام فأخبرهم أن ذلك كان من الشيطان. وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو إما أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمداً وإنه لا يجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعناً للأصنام لا مادحاً لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ) [الإسراء: ٦٥] ففي حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهواً وغفلة وهو مردود أيضاً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تمنّيَ داود، مفعول مطلق لبيان النوع، و قوله على رسل، بكسر الراء و سكون السين ، التؤدة والوقار، والرسل والترسل في القراءة: الترتيل والقراءة بتُؤَدة و سكينة من غير سرعة، والبيت لحسان بن ثابت في رثاء عثمان رضي الله تعالى عنهما.

(٤٨) قوله تلك الغرانيق ـ جمع غرنوق ، كزُنبور أو فِردوس، طائر مائيّ معروف أبيض ، و قيل أسود كالكركي. و قيل : إنه الكركي، و يتجوز به عن الشابّ الناعم، والمراد بها هنا الأصنام ، لأنها لزعمهم أنها تقرّب إلى الله و تشفع ـ شُبّهت بالطيور التي تعلو في السماء و ترتفع ـ اه ـ خفاجي

قوله لم يبق إلّا وجه واحد، لا حاجة إلى ذكر هذا الوجه فإن القصة موضوعة باطلة من أصلها، و بسط العلامة السيوطي طرقها، و كلها تذكر أن تلك الكلمة جرت على لسان النبي عليه السلام سوى طريق واحد مبهم. و على كل حال اقتدار الشيطان على مثل هذا التلبيس و إن كان بالنسبة إلى البعض، أثناء تلاوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز ، لقوله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت:٤٢) ولو وقع مثل هذا لردّ عليه الرسول، و لو ردّ لكان أهم بالذكر، لكن أحدًا من الرواة لم يذكره.

قال الإمام الرازي في تفسيره: أمّا أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن و السنّة والمعقول.

أمّا القرآن فوجوه: أحدها قوله تعالى (ولو تقَوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)(الحاقة:٤٤) و ثانيها قوله (قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلّا ما يوحى إلى) [يونس:١٥] و ثالثها قوله تعالى (و ماينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى) [النّجم:٣] فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية "تلك الغرانيق العلى" لكان ظهر كذب الله تعالى في الحال، و ذلك لا يقوله مسلم.

وأمّا السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحٰق بن خزيمة (صاحب الصحيح) أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، و صنف فيه كتابًا، و قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم. و أيضًا فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام قرأ سورة النجم، و سجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق، وروي هذا الحديث من طرق كثيرة، و ليس فيها البتة حديث الغرانيق.

أمّا المعقول فمن وجوه: أحدها أن من جوّز على الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان. ثانيها لو كان الإلقاء على الرسول من الشيطان ثم الإزالة من الله، و إحكام آياته لكانت عصمته من أول الأمر أولى. ثالثها وهو أقوى الوجوه=

لأنه لايجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله، ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه: «لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ »[فصلت:٤٢] وقال: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ » [الحجر:٩] فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق إلا وجه واحد وهو أنه عليه السلام سكت عند قوله:(وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ⑳)[النجم:٢٠] فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلاً بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فوقع عند بعضهم أنه عليه السلام هو الذي تكلم بها، فيكون هذا إلقاء في قراءة النبي عليه السلام وكان الشيطان يتكلم في زمن النبي عليه السلام ويسمع كلامه، فقد رُوي «أنه نادى يوم أحد ألا إن محمداً قد قتل» وقال يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾أي يذهب به ويبطله ويخبر أنه من الشيطان﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ﴾ أي يثبتها ويحفظها من لحوق الزيادة من الشيطان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما أوحى إلى نبيه وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ۝٥٢ ۙ﴾ لايدعه حتى يكشفه ويزيله. ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله تعالى به قوماً بقوله:﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة وابتلاء ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَّالْقَاسِيَةِ

= أنا لو جوّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه. (و ذكر وجوهًا غيرها ثم قال:) فبهذه الوجوه عرفنا أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما في الباب أن جمعًا من المفسرين ذكروها ، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، و خبر الواحد لا يعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة ـ اه. (مفاتيح الغيب). نقل الخطيب كلام الرازي ملخصًا ثم قال: و هذا هو الذي يطمئن إليه القلب، و إن أطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها ـ اه ـ حاصل كلام ابن حجر أنه ذكر طرق القصة ثم قال: كثرة الطرق تدلّ على أن لها أصلًا. اه. لكن القصة كما جاء ت في الطرق المذكورة تهدم الشرع ، فإن صحتها تقضي أن القرآن غير مامون من الإلقاء الشيطاني، و أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من تسلط الشيطان عليه، و أن حالة التبليغ يجوز فيها السهو والغفلة والخطأ. وكل ذلك تأباه القواعد و أصول الدين. فلو صحّت طرق القصة لرُدّت ردًّا ، فإن خلاف العقيدة القطعية لايثبت بالأخبار الصحيحة، فكيف والطرق كلها مرسلة، و ما عُدّ منها متصلًا صرّح الراوي فيه بالشك بقوله "أحسب أنه من ابن عباس ، ونحوه" ولا حاجة لنا إلى الإطالة في توهين الطرق وإبانة ضعفها بعد ما ثبت كذبها واختلاقها لمصادمتها أصول الدين.

قال العلّامة أحمد الصاوي : و يكون معنى الآية على هذا التحقيق "ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته شبهًا و تخيلات في قلوب الأمم، بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر و كهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى، و يحكم الله آياته في قلوبهم، والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم، حكيم في تسليطه عليهم، ليميز المفسد من المصلح. اه.

هذا المعنى على تقدير أن الأمنية بمعنى القراء ة، و كذا إذا كانت الأمنية بمعنى الودّ والحرص يكون المعنى كل نبي و رسول ودّ أن يسلم قومه و سعى في سبيله لكن الشيطان ألقى في ودّه و حرصه شرورًا و مفاسد، بإضلال القوم، و تسفيه عقولهم، و إلقاء الأوهام والأباطيل إليهم. لكن الله ينسخ و يزيل إلقاء الشيطان لمن أراد هداه. الخ.

وهذا المعنى يناسب سابق الكلام و يناسب تسلية النبي عليه السلام بعد شغب القوم و سعيهم في آيات الله بالفساد معاجزين مسابقين. والتسلية بأن كل رسول و نبي واجه مثل هذه الأحوال بإلقاء الشيطان شرورًا و مفاسد، و أوهامًا و أباطيل، لكن الله يتم نوره ولو كره الكافرون.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون المكذبون فيزدادوا به شكاً وظلمة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي المنافقين والمشركين وأصله و«إنهم» فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله وبدينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿فَتُخْبِتَ﴾ فتطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيتأولون ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبون لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول المحكمة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾شك «مِنْهُ» من القرآن أو من الصراط المستقيم ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[٤٩] يعني يوم بدر فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرج أو راحة كالريح العقيم لا تأتي بخير. أو شديد لا رحمة فيه أو لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه. وعن الضحاك أنه يوم القيامة وأن المراد بالساعة مقدماته.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة والتنوين عوض عن الجملة أي يوم يؤمنون أو يوم تزول مريتهم ﴿لِّلَّهِ﴾ فلا منازع له فيه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يقضي. ثم بين حكمه فيهم بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ثم خص قوماً من الفريق الأول بفضيلة فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ خرجوا من أوطانهم مجاهدين ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد قُتِّلوا شامي ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ حتف أنفهم[٥٠] ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ قيل: الرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لأنه المخترع للخلق بلا مثال، المتكفل للرزق بلا ملال ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ بفتح الميم مدني والمراد الجنة ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال من ....

قوله فجأة–فجاءة: بالضم والمد، و في لغة وزان "تمرة" ـ اهـ ـ إكليل.

(٤٩) قوله يوم عقيم ـ العقم في الأصل عدم الولادة، فشبّه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم، و طُوي ذكر المشبه به، و رُمز له بشيء من لوازمه ، وهو العقم، فإثباته تخييل، والجامع عدم الثمرة في كل. والاستعارة مكنية تبعية والمصنّف ذكر وجه تسميته بالعقيم لعدم اشتماله على الراحة والفرج أو لاشتماله على الشدة والخلو عن الرحمة. والفرق بينهما أن المشبه في الأول هو يوم بدر، وفي الثاني اليوم الشديد. وقوله ثالثًا "أو لا مثل له" فيه أيضًا استعارة ، جعل اليوم لتفرده عن سائر الأيام كالعقيم، كأنّ كل يوم يلد مثله، فما لا مثل له عقيم، وعلى هذا يصح أن يراد به يوم بدر، و تفرده بقتال الملائكة عليهم الصلاة والسلام فيه.

قوله وعن الضحاك، وهو رواية عن عكرمة و مجاهد وهو قول الحسن البصري ، قال ابن كثير: وهذا القول هو الصحيح. اهـ. والأول قول أبي بن كعب و سعيد بن جبير و قتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير، والسبب و إن كان خاصًّا لكن اللفظ يكون عامًّا، فينبغي أن يراد به معنًى يعم جميع المنكرين والشاكّين.

(٥٠) قوله حتف أنفهم. في الحديث: من مات حتف أنفه في سبيل الله فهو شهيد. الحتف هو الهلاك. وهو أن يموت على فراشه، قال ابن الجوزي: لأن نفسه تخرج من فيه و أنفه فغلّب أحد الاسمين. اهـ. مجمع بحار الأنوار.

قضى نحبه مجاهداً، وآمال من مات وهو ينتظر معاهداً﴿حَلِيْمٌ۝﴾ بإمهال من قاتلهم معانداً. رُوي أن طوائف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبي الله! هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

﴿ذٰلِكَ﴾أي الأمر ذلك وما بعده مستأنف ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهٖ﴾ سمي الابتداء بالجزاء عقوبة لملابسته له من حيث أنه سبب وذلك مسبب عنه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ﴾ أي من جازى بمثل ما فعل به من الظلم ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله أن ينصره ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ﴾ يمحو آثار الذنوب ﴿غَفُوْرٌ۝﴾ يستر أنواع العيوب. وتقريب الوصفين بسياق الآية أن المعاقب مبعوث من عند الله على العفو وترك العقوبة بقوله: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهٗ عَلَى اللّٰهِ إِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الظّٰلِمِيْنَ ۝» [الشورى: ٤٠] «وَأَنْ تَعْفُوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى» [البقرة: ٢٣٧] فحيث لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للأفضل وهو ضامن لنصره في الكرة الثانية إذا ترك العفو وانتقم من الباغي، وعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو بذكر هاتين الصفتين، أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده كما قيل: «العفو عند القدرة». ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ يُوْلِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ۝﴾ أي ذلك النصر للمظلوم بسبب أنه قادر على ما يشاء، ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يزيد من هذا في ذلك ومن ذلك في هذا، أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله قضى نَحْبَه هو النذر كأنه ألزم نفسه أن يصدق أعداء الله في الحرب فوفى به. وقيل: هو الموت، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت. اهـ. مجمع البحار، برمز النهاية لابن الأثير.

قوله سمّي الابتداء بالجزاء عقوبة، بالجزاء متعلق بقوله سمّي، و عقوبة تمييز أو حال من الجزاء، والعقوبة ما يعقب الجناية، فالابتداء بالظلم ليس عقابًا، لكنه سمي بالعقاب في قوله "عوقب به" إمّا بطريق المشاكلة و إمّا بطريق المجاز المرسل، فإن الظلم سبب للعقاب، والعقاب مسبّب، فسمي السبب بالمسبب.

قوله و عرّض مع ذلك. يعني أنه كناية تعريضية، لأن الله إذا عفا مع أنه منتقم قدير كان اللائق بعباده ذلك و التعريض خلاف التصريح. قوله ذلك النصر ـ الخ ـ يعني أن الإشارة إلى المصدر الدال عليه قوله "لينصرنّه" والباء في قوله "بأن الله" سببية، و أنّ السبب ما دلّ عليه

قوله يولج الليل ـ الخ ـ بطريق اللزوم من القدرة العامّة، و ما ذكر في التعليل الثاني "أو بسبب أنه خالق الليل والنهار" هو أيضًا ناظر إلى لزوم القدرة، والفرق بين الأول والثاني، أن المدعى في الأول قدرته العامة، والدليل ذكر بعض علاماتها، والمدعى في الثاني قدرته على الانتقام، والدليل خلقه الليل والنهار و تصريفهما، والعلم بكل ما يجري فيهما من البغي والإنصاف، وأقيم الدليل مقام الدعوى، و أصل الكلام أن الله لينصرنّ المظلوم لأنه قادر عليه.

قوله و إن ما يدعون بالياء من تحت على الغيب عراقي غير أبي بكر إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل "عراقي" أي قرأه أبو عمرو البصري، و يعقوب البصري (من العشرة) و حفص، و حمزة، والكسائي، و خلف، وقرأ الباقون بالتاء من فوق، على الخطاب للمشركين الحاضرين. اهـ. إكليل.

والإنصاف، وأنه سميع لما يقولون ولا يشغله سمع عن سمع وإن اختلفت في النهار الأصوات بفنون اللغات، بصير بما يفعلون ولا يستتر عنه شيء بشيء في الليالي وإن توالت الظلمات. ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُوْنَ﴾ عراقي غير أبي بكر ﴿مِنْ دُوْنِهٖ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ۝﴾ أي ذلك الوصف بخلقه الليل والنهار وإحاطته بما يجري فيهما وإدراكه قولهم وفعلهم بسبب أن اللّٰه الحق الثابت إلٰهيته وأن كل ما يدعى إلهاً دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

﴿أَلَمْ تَرَ (٥١) أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة وإنما صرف إلى لفظ المضارع ولم يقل فأصبحت ليفيد بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان كما تقول:«أنعم عليّ فلان فأروح وأغدوا شاكراً له»ولو قلت«فرحت وغدوت»لم يقع ذلك الموقع.وإنما رفع«فتصبح» ولم ينصب جواباً للاستفهام لأنه لو نصب لبطل الغرض، وهذا لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار كما تقول لصاحبك «ألم تراني أنعمت عليك فتشكر»، إن نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه، و إن رفعته أثبتَّ شكره. ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَطِيْفٌ﴾(٥٢)واصل علمه أو فضله إلى كل شيء ﴿خَبِيْرٌ۝﴾ بمصالح الخلق ومنافعهم أو اللطيف، المختص بدقيق التدبير. والخبير: المحيط بكل قليل وكثير. ﴿لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكاً وملكاً ﴿وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله لا شيء أعلى منه شأنًا. إشارة إلى أن العلو ليس مكانيًا ، والكبر ليس جسمانيًا.

(٥١) قال الإمام الرازي: اعلم أنه لما دلّ على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار، و نبّه به على نعمه أتبعه بأنواع أخر من الدلائل على قدرته و نعمته، وهي ستة. اه. (١)انزال المطر و إنبات النبات لانتفاع الحيوانات (٢) ملكه السموات والأرض و ما فيها. (٣) تسخيره للإنسان ما في الأرض من صنوف الأشياء والحيوانات (٤)تسخيره السفن في البحر (٥) إمساكه السماء من الوقوع على الأرض. (٦) الإنشاء ثم الإفناء ثم الإحياء.

(٥٢) في النهاية لابن الأثير : اللطيف ، هو الذي اجتمع له الرفقُ في الفعل، والعلم بدقائق المصالح، و إيصالُها إلى مَن قدرها له ـ لطَف به وله ـ بالفتح ـ إذا رفق به، فأمّا لطُف ـ بالضم ـ فبمعنى صغر و دقّ ـ اه ـ مجمع البحار. و في المفردات للراغب: يُعبَّر باللطافة واللطف عن الحركة الخفيفة، و عن تعاطي الأمور الدقيقة، و قد يُعبّر باللطائف عمّا لا تدركه الحاسّة، و يصحّ أن يكون وصف اللّٰه تعالى به على هذا الوجه (أي لا تدركه و لاتحيط به الحواس) و أن يكون لمعرفته بدقائق الأمور. و أن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم. اه. فقول المصنف واصل علمه إلى كل شيء ، ناظر إلى المعرفة بدقائق الأمور ، وقوله واصل فضله إلى كل شيء ناظر إلى معنى الرفق بالعباد و إيصال المصالح لمن قُدِّرت له، و قوله المختصّ بدقيق التدبير ناظر إلى تعاطي الأمور الدقيقة. و حاصل المعاني هكذا (١) إن اللّٰه لطيف أي عليم بدقائق كل شيء، خبير بمصالح خلقه. (٢) إن اللّٰه ذو فضل و لطف بكل شيء ، خبير بمصالحه (٣) إنّ اللّٰه لطيف، مختص بدقيق التدبير، خبير ، عالم محيط بكل قليل و كثير.

السماوات وما في الأرض ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود بنعمته قبل ثناء من في السماوات ومن في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم مذللة للركوب في البر ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ أي ومن المراكب جارية في البحر، ونصب «الفلك» عطفاً على «ما» و «تجري» حال لها أي وسخر لكم الفلك في حال جريها ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أي يحفظها من أن تقع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بأمره أو بمشيئته ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ بتسخير ما في الأرض ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإمساك السماء لئلا تقع على الأرض،عدد آلاءه مقرونة بأسمائه ليشكروه على آلائه ويذكروه بأسمائه. وعن أبي حنيفة رحمه الله أن اسم الله الأعظم في الآيات الثمانية يستجاب لقرائها ألبتة.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لإيصال جزائكم ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ودفع عنه من صنوف النقم، أو لايعرف نعمة الإنشاء المبدئ للوجود ولا الإفناء المقرب إلى الموعود ولا الإحياء الموصل إلى المقصود ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أهل دين(٥٣) ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ مرّ بيانه. وهو رد لقول من يقول إن الذبح ليس بشريعة الله إذ هو شريعة كل أمة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ فلا يجادلنك والمعنى فلا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أمر الذبائح أو الدين. نزلت حين قال المشركون للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعني الميتة(٥٤) ﴿وَادْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عبادة ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق قويم. ولم يذكر الواو في «لِكُلِّ أُمَّةٍ» بخلاف ما تقدم لأن تلك وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك فعطفت على أخواتها، وهذه وقعت مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفا. ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ مراء وتعنتاً كما يفعله السفهاء بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي فلا تجادلهم وادفعهم بهذا القول، والمعنى أن الله أعلم بأعمالكم وما تستحقون عليهامن الجزاء فهو مجازيكم به، وهذا وعيد وإنذار ولكن برفق ولين وتأديب يجاب به كل متعنت ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

قوله لجحود، إشارة إلى أنه من الكفران، لأنه المناسب للسياق.

(٥٣) قوله أهل دين، تخصيص للأمة بمن لهم ملة و شرع و إن نُسخ ، دون المشركين، لقوله جعلنا، و إنّما ذكر هذا و إن مرّ توطئةً لما بعده.

قوله مرّ بيانه، قال فيما سبق: منسكًا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع علي وحمزة، أي موضع قربان. و غيرهما بالفتح، على المصدر، أي إراقة الدماء و ذبح القرابين. اهـ.

و أخرج أحمد ، والحاكم و صحّحه، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي بن الحسين (لكل أمة جعلنا منسكًا هم ناسكوه) قال: ذبحًا هم ذابحوه ـــ و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله "هم ناسكوه" يعني هم ذابحوه (فلا ينازعنك في الأمر) يعني في أمر الذبائح. (الدر المنثور)

(٥٤) أخرج نحوه ابن المنذر عن مجاهد (الدر المنثور) قوله النسائك جمع نسيكة أي الذبيحة قوله معطفا أي محلا للعطف.

﴿تَخْتَلِفُوْنَ﴾ هذا خطاب من الله للمؤمنين والكافرين أي يفصل بينكم بالثواب والعقاب، ومسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم.﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾[٥٥]أي كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السماوات والأرض ﴿إِنَّ ذٰلِكَ﴾ الموجود فيهما ﴿فِيْ كِتٰبٍ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيْرٌ﴾ أي علمه بجميع ذلك عليه يسير. ثم أشار إلى جهالة الكفار لعبادتهم غير المستحق لها بقوله ﴿وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ﴾ «ينْزل» مكي وبصري ﴿سُلْطٰنًا﴾ حجة وبرهاناً ﴿وَّمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهٖ عِلْمٌ﴾ أي لم يتمسكوا في عبادتهم لها ببرهان سماوي من جهة الوحي ولا حملهم عليها دليل عقلي ﴿وَمَا لِلظّٰلِمِيْنَ مِنْ نَّصِيْرٍ﴾ و ما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم ﴿وَإِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا بَيِّنٰتٍ﴾ يعني القرآن ﴿تَعْرِفُ فِيْ وُجُوْهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الإنكار بالعبوس والكراهة والمنكر مصدر ﴿يَكَادُوْنَ يَسْطُوْنَ﴾ يبطشون.والسطو:الوثب والبطش ﴿بِالَّذِيْنَ يَتْلُوْنَ عَلَيْهِمْ اٰيٰتِنَا﴾ هم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذٰلِكُمْ﴾ من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم ﴿اَلنَّارُ﴾ خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال: ما هو؟ فقيل: النار أي هو النار ﴿وَعَدَهَا اللهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ استئناف كلام ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ﴾ النار.

و لما كانت دعواهم[٥٦] بأن لله تعالى شريكاً جارية في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله مَسْلَاة مَفْعَلَة من سلا يسلو: ما يبعث على السُّلْوان.

(٥٥) قوله ألم تعلم، خطاب لكل سامع ، والارتباط بالآية السابقة بأن الفصل بين الناس يتطلّب علم ما وُجد بينهم ، فأثبت ذلك بطريق العموم، أنه يعلم جميع ما يوجد في السموات والأرض، فكيف لا يعلم ما يحدث بين الناس، و أنه قد علم كل ذلك قبل الحدوث، وأثبته في اللوح المحفوظ، ليعلم الناظرون في اللوح أن معمول الخلق يوافق معلوم الرب.

قوله الموجود فيهما. أي الإشارة بذلك إلى " ما في السماء والأرض".

قوله ينزل، مكي و بصري، من الإفعال ، والباقون من التنزيل.

قوله وما للظّلمين، فيه وضع المظهر موضع المضمر، تسجيلًا عليهم بالظلم في عبادتهم غير الله،و في نفي النصير وجهان أي ليس لهم ناصر يدفع عنهم العذاب في الآخرة، أو ليس لهم ناصر يؤيّد مذهبهم بالحجة.

قوله: الإنكار بالعبوس والكراهة. أي الإنكار أمر مضمر، و عرفانه يكون بأمر يدل عليه، وهو الكراهة و تغير الوجه.

قوله من غيظكم ـ الخ ـ أي المشار إليه ما يستفاد من قوله "يكادون يسطون" وهو مصدره السطو، والحامل على السطو، هو الغيظ ، أو المشار إليه ما يستفاد من قوله "المنكر" وهو الكراهة والضجر كما تقدم.

قوله و بئس المصير، النار، إظهار للمخصوص بالذم.

(٥٦) قوله و لما كانت دعواهم ، قال تعالى (ضرب مثل)، وهنا لم يضرب مثل، فكيف قال ضرب مثل؟ والجواب أن المثَل في الأصل بمعنى المِثل والنظير، ثمّ خصّ بكلام سائرٍ، شُبّه بمورِده لغرابته، فصار حقيقة فيه، ثم استعير لكل حال غريبة، و صفة بديعة أو قصة نادرة ، أو جملة من الكلام فصيحة غريبة، لمشابهتها له في ذلك، وهو المراد هنا، أي بُين لكم=

المسيرة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ بين ﴿مَثَلٌ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ لضرب هذا المثل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ «يَدْعُونَ» سهل ويعقوب ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة باطلة ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا﴾ «لن» تأكيد نفي المستقبل وتأكيده هنا للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل كأنه قال: محال أن يخلقوا. وتخصيص الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره، وسمي ذباباً لأنه كلما ذب لاستقذاره آب لاستكباره ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ لخلق الذباب ومحله النصب على الحال كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل قريش حيث وصفوا بالإلٰهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله ولو اجتمعوا لذلك ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ «شَيْئاً» ثاني مفعولي «يَسْلُبْهُمُ» ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ أي هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا. (٥٧)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل فإذا سلبه الذباب عجز الأصنام عن أخذه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ أي الصنم بطلب ما سلب منه ﴿وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ الذباب بما سلب وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت

= حال مستغربة، و دعوى عجيبة.

قوله يدعون، بصيغة الغائبين يعقوب من العشرة، و سهل بن محمد يروي عن عاصم والباقون تدعون بصيغة المخاطبين.

قوله لمهانته أي حقارته ، مهُن مَهانة من كرم، قوله ذُبّ (ن): دُفع.

قوله و محلّه النصب على الحال، للنحاة في مثل هذا التركيب المشتمل على الواو الداخلة على لو و إن الوصليتين ثلاثة أقوال، (١) الواو عاطفة، والتقدير هكذا: لن يخلقوا ذبابًا لو لم يجتمعوا ولو اجتمعوا، فالحاصل لن يخلقوا بكل حال. واختاره أبو حيان، كما صرّح في تفسيره "البحر المحيط". (٢) الواو حالية وجواب حرف الشرط مقدر، والتقدير لن يخلقوا ذبابًا والحال أنهم لو اجتمعوا فلن يخلقوا (فكيف إذا انفردوا؟) واختاره البيضاوي هنا. (٣) الواو حالية، وحرف الشرط هنا لا يحتاج إلى تقدير أصلًا، لأنه انسلخ عن معنى الشرطية، و تمحّض للدلالة على الفرض و التقدير، والمعنى مفروضًا اجتماعهم. واختار المصنف هذا، كما يظهر من كلامه.

يقول:"كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب، مشروطًا عليهم اجتماعهم جميعًا لخلقه، و تعاونُهم عليه. " قوله "مستحيل منهم أن يخلقوا " تصوير لما في لن من معنى التاكيد كما قَدَّم بيانَه، "مشروطًا عليهم اجتماعهم" تصوير لما في لو من معنى الشرط والتقدير ، و نصبه لبيان الحالية، "لخلقه" إظهار لمرجع الضمير في قوله تعالى (له) "و تعاونهم عليه" مستفاد من معنى الاجتماع للخلق.

قوله صورًا و تماثيل، مفعول وصفوا، و جملة يستحيل منها الخ. صفة صور و تماثيل.

(٥٧) والحاصل أنهم عاجزون عن خلق ذباب واحد، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئًا من الذي عليها، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، والذباب من أضعف مخلوقات اللّٰه و أحقرها ولهذا قال: (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس: الطالب الصنم، والمطلوب الذباب، واختاره ابن جرير، وهو ظاهر السياق، وقال السُّدي وغيره: الطالب، العابد، والمطلوب، الصنم. (ابن كثير)

وجدت الطالب أضعف وأضعف فإن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب ﴿مَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖ﴾ ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكاً له ﴿اِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾ أي إن الله قادر وغالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيهاً به، أو لقوي ينصر أولياءه عزيز ينتقم من أعدائه.﴿اَللّٰهُ يَصْطَفِيْ﴾يختار ﴿مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم ﴿وَّمِنَ النَّاسِ﴾رسلاً كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام. وهذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين ملك وبشر. و قيل : نزلت حين قالوا : «ءَاُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْۢ بَيْنِنَا» [القمر:٢٥] ﴿اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ﴾ لقولهم ﴿بَصِيْرٌ﴾ بمن يختاره لرسالته، أو سميع لأقوال الرسل فيما تقبله العقول بصير بأحوال الأمم في الرد والقبول ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ﴾ ما مضى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما لم يأت أو ما عملوه وما سيعملونه أو أمر الدنيا وأمر الآخرة﴿وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ﴾أي إليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات لايسئل عما يفعل وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدبيره واختيار رسله «ترجع »شامي وحمزة وعلي.

﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا﴾ في صلاتكم، وكان أول ما أسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود،(٥٨) وفيه دليل على أن الأعمال ليست من الإيمان وأن هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة ﴿وَاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ﴾واقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله لا الصنم﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾قيل:لما كان للذكر مزية على غيره من الطاعات دعا المؤمنين أولاً إلى الصلاة التي هي ذكر خالص لقوله تعالى:«وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِيْ» [طه: ١٤] ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج وغيرهما، ثم عم بالحث على سائر الخيرات. وقيل: أريد به صلة الأرحام ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾ أي كي تفوزوا أو افعلوا هذا كله وأنتم راجون للفلاح غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم.

﴿وَجَاهِدُوْا﴾ أمر بالغزو أو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر أو هو كلمة حق

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله ترجع، بفتح التاء و كسر الجيم، ببنائه للفاعل، ابن عامر الشامي، و حمزة وعلي الكسائي، وكذا يعقوب و خلف، والباقون بضم التاء، و فتح الجيم، اه. إكليل.

(٥٨) كان صلاتهم أول الإسلام بلا ركوع و سجود ذكره في البحر أيضًا، ولم نره في أثر يعتمد عليه، و توقف فيه صاحب المواهب، و ذكره الفراء رحمه الله بلا سند.(خفاجي)

قوله و فيه دليل، لأن الأمر بالأعمال جاء لمن سمّاهم مومنين و خاطبهم بقوله: (يأيّها الذين آمنوا) و هذا يدل على أن الإيمان تحقق بالتصديق، و بقيت الأعمال فأمِروا بها، والدلالة على كون السجدة للصلاة لاقتران ذكر السجود بالركوع، والمعهود في مثله سجدة الصلاة. كما في قوله تعالى: (واسجدي واركعي) و عند الإمام الشافعي هنا سجود التلاوة.

قوله و أنتم راجون للفلاح. إشارة إلى أن "لعل" لترجّي المخاطبين، والجملة حالية.

قوله وهو الجهاد الأكبر، أخرج البيهقي وغيره عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: قدم على رسول الله=

عند أمير جائر ﴿فِي اللّٰهِ﴾ أي في ذات الله ومن أجله ﴿حَقَّ جِهَادِهٖ﴾وهو أن لايخاف في الله لومة لائم. يقال: هوحق عالم وجد عالم أي عالم حقاً وجداً ومنه «حق جهاده» وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه لكن الإضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله من حيث إنه مفعول لوجهه ومن أجله صحت إضافته إليه. ويجوز أن يتسع في الظرف كقوله: ويوم شهدناه سُليماً وعامراً... ﴿هُوَ اجْتَبٰىكُمْ﴾ اختاركم لدينه ونصرته ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ضيق بل رخص لكم في جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج بالتيمم وبالإيماء وبالقصر والإفطار لعذر السفر والمرض وعدم الزاد والراحلة. ﴿مِلَّةَ اَبِيْكُمْ اِبْرٰهِيْمَ﴾ أي اتبعوا ملة أبيكم، أو نصب على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم. وسماه أباً وإن لم يكن أباً للأمة كلها، لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أباً لأمته لأن أمة الرسول في حكم أولاده قال عليه السلام. «إنما أنا لكم مثل الوالد » ﴿هُوَ سَمّٰىكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ﴾ أي الله بدليل قراءة أبيّ: «الله سماكم المسلمين» ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الكتب المتقدمة ﴿وَفِيْ هٰذَا﴾ أي في القرآن أي فضلكم على سائر الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم ﴿لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بلغكم رسالة ربكم ﴿وَتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بتبليغ الرسل رسالات الله إليهم وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة ﴿فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ﴾ بواجباتها ﴿وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ﴾ بشرائطها ﴿وَاعْتَصِمُوْا بِاللّٰهِ﴾و ثقوا بالله وتوكلوا عليه لا بالصلاة والزكاة ﴿هُوَ مَوْلٰىكُمْ﴾ أي مالككم وناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلٰى﴾ حيث لم يمنعكم رزقكم بعصيانكم ﴿وَنِعْمَ النَّصِيْرُ﴾أي الناصر هو، حيث أعانكم على طاعتكم، وقد أفلح من هو مولاه وناصره.والله الموفق للصواب.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= صلى الله تعالى عليه وسلم قوم غزاة، فقال: قَدِمتُم خيرَ مَقْدَمٍ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل: و ما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه. و في سنده ضعف مُغتفَر فيمثله (ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف و الخفاجي في عناية القاضي) و أخرج ابن مردويه عن فضالة بن عبيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم: المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، و عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه قال: إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده و ما ضرب بسيف. (الدر المنثور)

قوله كلمة حق عند أمير جائر. و في الحديث: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. رواه الإمام أحمد، و أبو داؤد، و ابن ماجة، و البيهقي في الشعب وغيرهم.

قوله: بل رخص لكم الخ، ذكر التكليفات و الرخص بطريق اللف والنشر المرتب.

قوله: ”و إذ خصكم... والأثرة“ الأثرة بضم فسكون، و بفتحتين: المكرمة، والانفراد بالشيء. (لسان العرب)

[تم ليلة الجمعة ١٩/٩/١٤٢٧ه/١٣/١٠/٢٠٠٦م]

۞ ۞ ۞

سورة المؤمنون مكية[١] وهي مائة وثمان عشرة آية

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴾

﴿قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُوْنَ①﴾ «قد» نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه،[٢] وكان المؤمنون يتوقعون مثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والفلاح: الظفر بالمطلوب والنجاة من المرهوب أي فازوا بما طلبوا ونجوا مما هربوا، والإيمان في اللغة التصديق، والمؤمن المصدق لغة. وفي الشرع كل من نطق بالشهادتين مواطئاً قلبه لسانه فهو مؤمن. قال عليه السلام: «خلق اللّٰه الجنة، فقال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون ثلاثاً أنا حرام على كل بخيل مراء»[٣]، لأنه بالرياء أبطل العبادات البدنية و ليس له عبادة مالية﴿اَلَّذِيْنَ هُمْ فِيْ صَلَاتِهِمْ خٰشِعُوْنَ②﴾خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح. وقيل:الخشوع في الصلاة جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وأن لايجاوز بصره مصلاه وأن لايلتفت ولايعبث ولايسدل ولايفرقع أصابعه ولايقلب الحصى ونحو ذلك. وعن أبي الدرداء: هو إخلاص المقال وإعظام المقام واليقين التام وجمع الاهتمام.[٤] وأضيفت الصلاة إلى المصلين لا إلى المصلى له لانتفاع المصلي بها وحده وهي عدته

سورة المؤمنون

(١) قوله مكية. بالاتفاق، واستثنى في الإتقان قوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب ـ إلى قوله ـ مبلسون) أمّا ذكر الزكاة فيها، وهي إنّما فرضت بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة فسيأتي الكلام عليها (خفاجي)

(٢) مثلًا أخبرك أخوك أنه يأتيك يوم الجمعة صباحًا. فأنت ترجو إتيانه في موعده. فإن لم يأت تقول: لما يأتِ، و إن أتاك تقول: قد أتى، "فلما" تنفي المتوقع، و "قد" تثبته. وهذا قد صرح به الثقات من أهل النحو، واللغة، ولو لم يكونوا فهموه من كلام العرب لم يذكروه، و إنكاره مكابرة ومنع للنقل، ومثله لايُسمع. (خفاجي)

قوله و كان المومنون يتوقعون مثل هذه البشارة ـ الخ ـ يرد عليه أن المتوقع هو الفلاح لا البشارة به، فإن مدخول "قد" هو الفلاح، وهو المتوقع الذي أخبر بوقوعه. والجواب عن هذا الإيراد يحوج إلى تكلفات. و يظهر لي أن هذا المقام ليس ممّا جاء فيه قد للإخبار عن وقوع أمر متوقع، لأن الفلاح الحقيقي من أمور الآخرة، وهو الفوز برضا المولى سبحانه و ثوابه في الآخرة، ولا يتصور حصوله في الدنيا، لكنه أمر يحصل قطعًا للمومنين الموصوفين بالصفات الستّ، فنُزّل منزلة الحاصل، وقيل (قد أفلح المومنون الذين.....) فقد أفلح هنا لإفادة تحقق أمر مستقبل كتحقق أمر ماض. و كذا قوله (قد أفلح من تزكى ـ ١٤، الأعلى) وقوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّها. ٩، ١٠، الشمس)

(٣) رواه الثعلبي بسنده في كتابه "الكشف والبيان في تفسير القرآن" عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا. و لجزء ه الأول (قالت: قد أفلح المومنون) شواهد و متابعات ذكرها ابن كثير في تفسيره عن أبي سعيد الخدري، عند البزار، وعن أنس عند أبي بكر بن أبي الدنيا، و عن ابن عباس عند الطبراني بطريق بقية عن ابن جريج، و بطريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعًا. و فيه و في رواية أنس في آخره : فقال اللّٰه: و عزتي و جلالي لا يجاورني فيك بخيل، و في رواية أنس بعد ذلك: ثم تلا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم (و من يوق شحّ نفسه فأولٰئك هم المفلحون)

(٤) كذا حكاه غير واحد عنه رضي اللّٰه تعالى عنه، و رواه الثعلبي في الكشف عن ابن أبي الورد، والمعنى الجامع هو ما ذكره أولًا:الخوف بالقلب والسكون في =

وذخيرته،وأما المصلى له فغني عنها.

﴿ وَالَّذِيْنَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُوْنَ۝ ﴾ اللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى كالكذب والشتم والهزل يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف.﴿ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِلزَّكٰوةِ فٰعِلُوْنَ۝ ﴾مؤدون(٥)ولفظ «فاعلون» يدل على المداومة بخلاف «مؤدون». وقيل: الزكاة اسم مشترك يطلق على العين وهو القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير، وعلى المعنى وهو فعل المزكي الذي هو التزكية وهو المراد هنا، فجعل المزكين فاعلين له لأن لفظ الفعل يعم جميع الأفعال كالضرب والقتل ونحوهما. تقول للضارب والقاتل والمزكي فعل الضرب والقتل والتزكية، ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء، ودخل اللام لتقدم المفعول وضعف اسم

= الجوارح. و أخرج ابن المبارك ، وابن أبي شيبة، و أحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له : و ما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعًا و القلب ليس بخاشع. و أخرج الحكيم الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : تعوّذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا يا رسول الله و ما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن و نفاق القلب. (الدر المنثور)

قوله قاعدتا بناء التكليف. القاعدة: الأساس.

(٥) قوله مؤدون. قال الصاوي رحمه الله: اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين، والعشر و نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، و على المصدر الذي هو فعل الفاعل، فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون، لأن القدر المخرج لا معنى لفعله، و على الثاني ففاعلون على بابه. انتهى.

قال أمية بن أبي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الأز....مة، والفاعلون للزكوات. (كشاف، والقرطبي)

قوله يدل على المداومة. لأنه يقال: هذا فعله أي شأنه، و دأبه المداومة عليه (خفاجي) والإيتاء أو الأداء يدلّ على وقوعه مرّة.

قال ابن كثير: الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكيّة، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنّما هي ذات النُصُب والمقادير الخاصة، وإلّا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة، قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية (وآتوا حقه يوم حصاده). اهـ.

وقال في تفسير قوله تعالى: وويل للمشركين. الذين لا يوتون الزكاة وهم بالآخرة هم كٰفرون. (فصّلت) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة. وقال السدّي: أي لا يَدِيُنون الزكاة، و قال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم. و هذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، و اختاره ابن جرير. و فيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنّما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية، اللّهم إلّا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان ماموراً به في ابتداء البعثة. كقوله تبارك و تعالى (و آتوا حقه يوم حصاده) فأمّا الزكاة ذات النُّصُب والمقادير فإنّما بين أمرها بالمدينة. و يكون هذا جمعًا بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس و قبل غروبها في ابتداء البعثة، فلمّا كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة و نصف فرض الله تعالى على رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلم الصلوات الخمس، و فصل شروطها و أركانها، و ما يتعلق بها بعد ذلك شيئًا فشيئًا. و الله أعلم. اهـ.

الفاعل في العمل فإنك تقول «هذا ضارب لزيد» ولا تقول «ضرب لزيد» ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ لِفُرُوْجِهِمْ حٰفِظُوْنَ﴾ الفرج يشمل سوءة الرجل والمرأة ﴿اِلَّا عَلٰٓى اَزْوَاجِهِمْ﴾ في موضع الحال أي إلا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك «كان زياد على البصرة» أي والياً عليها. والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلا في حال تزوجهم أو تسريهم،[٦] أو تعلق «على» بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم أي يلامون على كل مباشرة إلا على ما أطلق لهم فإنهم غير ملومين عليه. وقال الفراء: إلا من أزواجهم أي زوجاتهم[٧] ﴿اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ﴾ أي إمائهم ولم يقل «من» لأن المملوك جرى مجرى غير العقلاء ولهذا يباع كما تباع البهائم ﴿فَاِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ﴾ أي لا لوم عليهم إن لم يحفظوا فروجهم عن نسائهم وإمائهم ﴿فَمَنِ ابْتَغٰى وَرَآءَ ذٰلِكَ﴾ طلب قضاء شهوة من غير هذين ﴿فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْعٰدُوْنَ﴾ الكاملون في العدوان وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة[٨] ﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ لِاَمٰنٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ «لأمانتهم» مكي وسهل. سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهداً ومنه قوله تعالى: « اِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمٰنٰتِ اِلٰٓى اَهْلِهَا » [النساء: ٥٨] وإنما تؤدى العيون لا المعاني والمراد به العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق ﴿رٰعُوْنَ﴾[٩] حافظون والراعي القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم.

﴿وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلٰى صَلَوٰتِهِمْ﴾ «صَلاتِهِمْ» كوفي غير أبي بكر ﴿يُحَافِظُوْنَ﴾ يداومون في

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٦) قوله تَسَرّيهم: تَسَرّى: اتخذ سُرّيّة، والسُّرّية: الجارية المتخذة للملك والجماع، والنسبة إلى السِّر، وضُمّت السين خلاف القياس، أو إلى السُّرور، و أصلُ تَسَرَّيْتُ تَسَرَّرْتُ، لكن لما توالت ثلاث راء ات أبدلوا إحداهن ياء، كما قالوا: تظنّيت من الظن، وقصّيت أظفاري، والأصل قَصّصت. (لسان العرب)
قوله ما أطلق لهم: أي ما أبيح و أجيزَ لهم.

(٧) قال أبو حيان في البحر المحيط: حفظ لا يتعدى بعلى فقيل على بمعنى من ، كما استعملت من بمعنى على في قوله (ونصرناه من القوم) أي على القوم، قاله الفراء و تبعه ابن مالك و غيره. والأولى أن يكون من باب التضمين، ثم ذكر تضمين الحفظ معنى الإمساك أو معنى القصر أي لفروجهم حافظون ممسكين أو قاصرين على أزواجهم و سراريهم و نحوه حفظت على الصبي ماله أي ضبطتُّه قاصرًا عليه، و ماذكر الزمخشري من تضمين معنى الولاية أو القوامية أو تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين عَدّه أبو حيّان تكلفًا عجميًا.
قوله الكاملون في العدوان، أظهر به ما في قوله (هم العادون) من معنى الحصر و مثله لا فتى إلّا علی، ولا سيف إلّا ذو الفقار أي الفتى الكامل، والسيف الكامل.

(٨) لأن القرآن جعل طلب قضاء الشهوة من غير هذين عدوانًا أي تعدّيًا من الحلال إلى الحرام.
قوله لأمانتهم، بغير ألف على الإفراد ابن كثير المكي و سهل بن محمد و ليس من السبعة، و الباقون بالألف على الجمع.

(٩) والمعنى أنهم يحفظون كل ما ائتُمنوا عليه، و كل ما عاهدوا عليه الخلق أو الحق، وأمانات اللّٰه شرائعه و تكاليفه، و عهود اللّٰه ما ألزمهم من الإيمان و الثبات عليه والقيام بحقوقه، و ما التزموه بالدخول في الإسلام.
قوله كوفي غير أبي بكر، كذا في النسخ، والصواب غير عاصم، قرأ حمزة والكسائي و خلف ”صلاتهم“ بالإفراد، والباقون ”صلواتهم“ بلفظ الجمع.

أوقاتها. وإعادة ذكر الصلاة لأنها أهم، ولأن الخشوع فيها غير المحافظة عليها، أو لأنها وحدت أولاً ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أية صلاة كانت، وجمعت آخرًا ليفاد المحافظة على أنواعها من الفرائض والواجبات والسنن والنوافل ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الجامعون لهذه الأوصاف ﴿هُمُ الْوٰرِثُوْنَ﴾ الأحقاء بأن يسموا ورّاثاً دون من عداهم. ثم ترجم الوارثون بقوله: ﴿الَّذِيْنَ يَرِثُوْنَ﴾ من الكفار . في الحديث : «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات ودخل الجنة ورث أهل النار منزله،[١٠] وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله»﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر. وقال قطرب:هو أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ﴾أنث الفردوس بتأويل الجنة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا[١١] الْإِنْسَانَ﴾ أي آدم ﴿مِنْ سُلٰلَةٍ﴾ «من» للابتداء والسلالة الخلاصة؛ لأنها

قوله و جمعت آخرًا ـ أي على قراء ة الأكثر ـ ذكر لتكرار ذكر الصلاة، ثلاثة وجوه. (١) التكرار لأهميتها (٢) ليس تكرارًا فإن المذكور أوّلا صفة الخشوع فيها والمذكور آخرًا صفة المحافظة عليها، و هما صفتان متفارقتان (٣) المذكور أو لا بالإفراد مع صفة الخشوع لإفادة خشوعهم في جنس الصلاة أية صلاة كانت، والمذكور آخرا بصيغة الجمع مع صفة المحافظة لإفادة مواظبتهم على أنواعها. و أحب الأعمال ما واظب عليه صاحبه.

قوله ترجم "الوارثون". فسّرهم و بيّنهم.

(١٠) أخرج سعيد بن منصور، وابن ماجة، و ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم " ما منكم من أحد إلّا و له منزلان، منزل في الجنة، و منزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله (أولئك هم الوارثون) ـ الدر المنثور

قوله قطرب، هو بضم القاف، و سكون الطاء المهملة، و ضم الراء، و بعدها باء موحدة، اسم دُوَيبّة لا تزال تدبّ ولا تفتر. صار لقبًا لأحد تلامذة سيبويه، كان حريصًا على الاشتغال والتعلم ، يبكّر إلى سيبويه قبل سائر التلامذة، فقال له سيبويه يوما ما أنت إلّا قطرب ليل، فبقى عليه هذا اللقب، وهو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، صاحب تصانيف حسان، توفي سنة ست و مأتين ـ إكليل.

قوله أعلى الجنان أخرج البخاري ومسلم وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم: إذا سألتم اللّٰه فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، و أعلى الجنة، و فوقه عرش الرحمٰن، و منه تفجر أنهار الجنة، و في الباب عن عبادة بن الصامت، و أبي أمامة، و معاذ بن جبل ، و سمرة بن الجندب، و أنس، و أبي موسى الأشعري، و أبي عبيدة بن الجراح رضي اللّٰه تعالى عنهم (الدر المنثور ، سورة الكهف ، الآية ١٠٧)

(١١) قال الإمام في مفاتيح الغيب: اعلم أنه سبحانه لمّا أمر بالعبادات في الآيات المتقدّمة، والاشتغال بعبادة اللّٰه لا يصحّ إلّا بعد معرفة الإلٰه الخالق، لا جرم عقّبها بذكر ما يدل على وجوده و اتصافه بصفات الجلال و الوحدانية، فذكر من الدلائل أنواعًا، النوع الأول الاستدلال بتقلّب الإنسان في أدوار الخلقة و أكوان الفطرة وهي تسعة مراتب (١) سلالة من طين (٢) نطفة في قرار مكين (٣) علقة (٤) مضغة (٥) عظام (٦) كسوة العظام اللحم (٧) خلقًا آخر (٨) الموت (٩) البعث.

النوع الثاني الاستدلال بخلقة السموات، النوع الثالث الاستدلال بنزول الأمطار و كيفية تأثيراتها في النبات، النوع الرابع الاستدلال بأحوال الحيوانات.

قوله من سلالة، هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه، وهو خلاصته (جلالين) قوله كدَر بفتح الدال، ضدّ الصَّفْو و بابه طرب و سهل والصفة كدر و كدر بكسر الدال و سكونها. (مختار الصحاح)

تسل من بين الكدر. وقيل: إنما سمى التراب الذي خلق آدم منه سلالة ؛ لأنه سل من كل تربة[١٢] ﴿مِّن طِينٍ﴾ «من» للبيان كقوله: «مِنَ الْأَوْثَانِ» [الحج: ٣٠] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَهُ﴾ أي نسله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأن آدم عليه السلام لم يصر نطفة وهو كقوله: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞» [السجدة: ٨] وقيل: الإنسان بنو آدم والسلالة النطفة والعرب تسمي النطفة سلالة أي ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام ﴿نُطْفَةً﴾ ماء قليلاً ﴿فِي قَرَارٍ﴾ مستقر يعني الرحم ﴿مَّكِينٍ﴾ حصين ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ أي صيرناها بدلالة تعديه إلى مفعولين والخلق يتعدى إلى مفعول واحد ﴿عَلَقَةً﴾ قطعة دم والمعنى أحلنا النطفة[١٣] البيضاء علقة حمراء ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحماً قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ فصيرناها عظاماً ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ فأنبتنا عليها اللحم فصار لها كاللباس «عظماً» «العظم» [١٤] شامي وأبو بكر «عظماً» «العظام» زيد عن يعقوب «عظاما» «العظم» عن أبي زيد، وضع الواحد موضع الجمع لعدم اللبس إذ الإنسان ذو عظام كثيرة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَهُ﴾ الضمير يعود إلى الإنسان أو إلى المذكور ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ أي خلقاً مبايناً للخلق الأول حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وسميعاً وبصيراً وكان بضد هذه الصفات، ولهذا قلنا إذا غصب بيضة فأفرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لأنه خلق آخر سوى البيضة ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فتعالى أمره في قدرته وعلمه ﴿أَحْسَنُ﴾ بدل أو خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة لأنه نكرة وإن أضيف لأن المضاف إليه عوض من «من» ﴿الْخَالِقِينَ﴾ المقدرين أي أحسن المقدرين تقديراً فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه. وقيل: إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي عليه السلام فنطق بذلك قبل إملائه فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اكتب هكذا نزلت» فقال عبد

(١٢) قوله سُل من كل تربة ، أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: إنّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جآء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، و بين ذلك، والخبيث، والطيب، و بين ذلك. و قد رواه أبو داود و الترمذي من طرق عن عوف الأعرابي نحوه و قال الترمذي: حسن صحيح. (ابن كثير)

(١٣) قوله أحلنا النطفة، حال: انتقل من حالة إلى حالة أو من مكان إلى مكان، أحال و حوّل: نقل من حالة إلى حالة أو من مكان إلى مكان، والمراد صيّرنا النطفة......

(١٤) قوله عظمًا، العظم بفتح العين، و إسكان الظاء، بلا ألف فيهما، على التوحيد إرادة للجنس ، على حدّ "وهن العظم مني" شامي أي ابن عامر الشامي، و أبو بكر شعبة عن عاصم ، عظمًا، العظام زيد بن أحمد بن إسحق عن يعقوب بن إسحق و ليس من السبعة. عظامًا، العظم عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري عن المفضل بن محمد عن عاصم رحمهم الله و الباقون بالجمع فيهما على الأصل، على حد "وانظر إلى العظام" اه. إكليل.

قوله أحسن المقدرين تقديرًا، فسر به لأن الخلق بمعنى الإيجاد من العدم بغير مادة ليس إلّا للّٰه، هل من خالق غير الله.

الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلي فارتد ولحق بمكة(١٥) ثم أسلم يوم الفتح. وقيل: هذه الحكاية غير صحيحة لأن ارتداده كان بالمدينة وهذه السورة مكية. وقيل: القائل عمر أو معاذ رضي الله عنهما. (١٦) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ بعد ما ذكرنا من أمركم ﴿لَمَيِّتُوْنَ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ تُبْعَثُوْنَ﴾ تحيون للجزاء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ جمع طريقة وهي السماوات لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غٰفِلِيْنَ﴾ أراد بالخلق السماوات كأنه قال خلقناها فوقكم وما كنا غافلين عن حفظها، أو أراد به الناس وأنه إنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها وما كان غافلاً عنهم وعما يصلحهم ﴿وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً﴾ مطراً ﴿بِقَدَرٍ﴾ بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ﴿فَاَسْكَنّٰهُ فِي الْاَرْضِ﴾ كقوله: «فَسَلَكَهٗ يَنَابِيْعَ فِي الْاَرْضِ» [الزمر: ٢١] وقيل: جعلناه ثابتاً في الأرض فماء الأرض كله من السماء. ثم استأدى شكرهم بقوله: ﴿وَاِنَّا عَلٰى ذَهَابٍ بِهٖ لَقٰدِرُوْنَ﴾ أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على إذهابه فقيدوا هذه النعمة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٥) قوله لحق بمكة، ذكره الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا سند، و عزاه الواحدي إلى الكلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. (تخريج أحاديث الكشاف)

قوله أسلم يوم الفتح ، و حسن إسلامه ، وولّاه عثمان مصر سنة خمس و عشرين ففتح الله على يديه إفريقيه وكان فتحًا عظيمًا، توفي بعسقلان سنة ست و ثلاثين ، وقيل غير ذلك ـ إكليل عن أسد الغابة في معرفة الصحابة.

(١٦) أخرج الطيالسي، و ابن أبي حاتم ، وابن مردويه، وابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال عمر وافقت ربي في أربع، قلت : يا رسول الله لو صليت خلف المقام، فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى) [البقرة:١٢٥] وقلت : يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابًا فإنه يدخل عليك البر و الفاجر، فأنزل الله (و إذا سألتموهن متاعًا فاسألوهنّ من وراء حجاب) [الأحزاب: ٥٣] وقلت لأزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : لتنتهن أو ليبدلنه الله أزواجًا خيرًا منكن. فأنزلت (عسى ربه إن طلقكن) [التحريم:٥] و نزلت (و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (ثم أنشأناه خلقًا آخر) فقلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وأخرج ابن راهويه ، و ابن المنذر ، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: أملى عليّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (خلقًا آخر) فقال معاذ بن جبل: فتبارك الله أحسن الخالقين، فضحك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فقال له معاذ: ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : إنها ختمت (فتبارك الله أحسن الخالقين)

و أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) قال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين. فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) الدر المنثور.

ويمكن الجمع بينهما بأن قول عمر كان قبل نزول آخر الجزء من الآية، و قول معاذ كان بعد النزول حين الإملاء على زيد رضي الله تعالى عنهم.

قوله متقلّباتهم، اسم ظرف أي مواضع تقلّبهم و تحوّلهم.

قوله استادىٰ شكرهم، طلب منهم أداء الشكر.

بالشكر[١٧] ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنّٰتٍ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّأَعْنَابٍ ۘ لَكُمْ فِيْهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيْرَةٌ﴾ سوى النخيل والأعناب ﴿وَّمِنْهَا تَأْكُلُوْنَ ﴿١٩﴾﴾ أي من الجنات أي من ثمارها، ويجوز أن هذا من قولهم: «فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة يغتلها» أي أنها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كأنه قال: وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون. ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على «جنات» وهي شجرة الزيتون[١٨] ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُوْرِ سَيْنَآءَ﴾ «طُور سَيْنَاء» و «طور سينين» لايخلو إما أن يضاف الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامريء القيس وهو جبل فلسطين. وسيناء غير منصرف بكل حال مكسور السين كقراءة الحجازي وأبي عمرو للتعريف والعجمة، أو مفتوحها كقراءة غيرهم لأن الألف للتأنيث كصحراء ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ قال الزجاج: الباء للحال أي تنبت ومعها الدهن «تُنبت» مكي و أبو عمرو. إما لأن أنبت بمعنى نبت كقوله:«حتى إذا أنبت البقل»[١٩]، أو لأن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْاٰكِلِيْنَ ﴿٢٠﴾﴾ أي إدام لهم. قال مقاتل:جعل اللّٰه تعالى في هذه إداماً ودهناً، فالإدام الزيتون والدهن الزيت.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٧) فإن شكر النعمة سبب لبقائها و زيادتها، قال تعالى: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ

قوله يغتلها أي يأخذ غلتها، و الغلّة : الدخل من كراء دار، وفائدة أرض و نحو ذلك.

(١٨) قوله وهي شجرة الزيتون. قال مقاتل: و خصّ الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت منها. (قرطبي)

قال الرازي: و إنما أضافها اللّٰه تعالى إلى هذا الجبل لأن منها تشعّبت في البلاد و انتشرت ، ولأن معظمها هناك.اهـ.

قوله فلسطين، بكسر الفاء و فتح اللام بلدة بالشام قوله كقراءة الحجازي إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي، أي نافع المدني، و كذا أبو جعفر المدني (من العشرة) و ابن كثير المكي، و أبو عمرو البصري، و الباقون بفتح السين. (إكليل)

قوله للتعريف والعجمة، لا لألف التأنيث الممدودة، إذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر الفاء والمد و آخره ألف تأنيث، هذا قول البصريين. أمّا الكوفيون فلا يسلمونه، و يقولون ألفه للتأنيث، وكسر السين لغة كنانة. (خفاجي)

قوله تنبت، بضم التاء، و كسر الموحدة، مضارع أنبت ابن كثير المكي، و أبو عمرو البصري، و كذا رُويس عن يعقوب، والباقون بفتح التاء، و ضم الباء مضارع نبت، لازم، وبالدهن حال الفاعل، أي تنبت ملتبسة بالدهن. اهـ. إكليل.

(١٩) قال ابن جرير: والقول عندي في ذلك أنهما لغتان، نبت و أنبت ، و من أنبت قول زهير:

رأيتَ ذوي الحاجات حول بيوتهم
قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل ــــ اهـ.

القطين بمعنى السكّان و المقيمين إمّا جمع قاطن كالقطّان، أو هو كالخليط لفظ الواحد والجمع فيه سواء (لسان العرب) و رأيتَ بفتح التاء، والمعنى رأيت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لقضاء أوطارهم، لأنها مَعاهد الكرم و مَوارِد النعم، حتى إذا ظهر الخِصب انفضّوا من حولها للانتجاع والتعيّش. (خفاجي)

قوله و صبغ للآكلين. أصل الصبغ ما يلوّن به الثوب، و شبّه الإدام به لأن الخبز يلوّن بالصبغ إذا غُمِس فيه. و كل إدام يوتدم به فهو صبغ (قرطبي) و في المصباح: الإدام ما يوتدم به مائعًا كان أو جامدًا، و جمعه أُدُم، مثل كتاب و كتب. و قد يسكن للتخفيف (و يقال: أُدْم) فيعامل معامَلة المفرد، و يجمع على آدام. مثل قفُل و أقفال. اهـ. إكليل.

وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان. وخص هذه الأنواع الثلاثة لأنها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع.﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ﴾ وبفتح النون: شامي ونافع وأبو بكر وسقى وأسقى لغتان ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي نخرج لكم من بطونها لبناً سائغاً ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ سوى الألبان وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار(٢٠) ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي لحومها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ في أسفاركم، وهذا يشير إلى أن المراد بالأنعام الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة فلذا قرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفائن البر قال ذو الرمة:سفينة بر تحت خدي زمامها(٢١)... يريد ناقته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا(٢٢) نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ معبود ﴿غَيْرُهُ ۖ﴾ بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ، والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أفلا تخافون عقوبة الله الذي هو ربكم وخالقكم إذا عبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ أي أشرافهم(٢٣) لعوامهم ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يأكل ويشرب ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ أي يطلب الفضل عليكم ويترأس ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ إرسال رسول ﴿لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ۚ﴾ لأرسل ملائكة ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ أي بإرسال بشر رسولاً أو بما يأمرنا به من التوحيد وسب آلهتنا والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر

(٢٠) قال المفسّرون و أهل اللغة: الأصواف للضأن، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز. اه. خطيب في تفسير سورة النحل، إكليل.
قوله ذو الرُّمّة هو أبو الحارث غَيلانُ بن عَقُبة، أحد فحول الشعراء، مات سنة سبع عشرة و مأة. إكليل.

(٢١) من قصيدة مشهورة له ، وقبله:
أَلَا خيّلتُ مَيٌّ و قد نام صحبتي ❖فما نفّر التهويمَ إلّا سلامها
طروقًا و جُلُب الرحل مشدودة به ❖سفينة بر تحت خدي زمامها
خيّلت: أرسلت خيالها، أو ادركني خيالها. التهويم: أولِ النوم. الطروق: الإتيان ليلًا أي خيلت طارقة: آتيةً ليلًا. (أو أتى سلامها طارقة) جُلب الرحل بضم الجيم و كسرها: عِيدانُه. (خفاجي و إكليل) سفينة بر نائب فاعل مشدودة.

(٢٢) لمّا بيّن الله سبحانه دلائل التوحيد أردفها بالقصص، كما هو العادة في سائر السور. (رازي)
قوله بالرفع على المحل، وبالجر على اللفظ. قرأ الكسائي و أبو جعفر غيرِه بالجر، والباقون غيرُه بالرفع. على أن "غيره" صفة "إله" و "إله" مجرور لفظًا بدخول من، مرفوع محلًّا على الابتداء، و من زائدة لتأكيد النفي، و "ما" لا يعمل لتقدم الخبر، وهو "لكم".
قوله والجملة استيناف الخ ـ أي استيناف بياني ، بتقدير سوال سائل لَمَ نعبد الله؟ فجآء الجواب "ما لكم من إله غيره" أي لا يستحق العبادة إلّا من هو إله، و ليس الإله في الكون إلّا هو ، فلا تعبدوا إلّا إيّاه.

(٢٣) قوله أي أشرافهم. فسّر الملأ بالأشراف لأن معناه كما قال الراغب: جماعة مجتمعون على رأي فيملؤن العيون رُواء، والقلوبَ جلالة و بهاء، فيختص بأشراف القوم، وإن استعمل بمعنى الجماعة مطلقًا. (خفاجي)
قوله الذين كفروا، الظاهر أن الوصف للذم، و يجوز أن يكون للتخصيص، إن ثبت أن بعض الأشراف آمنوا.
قوله يترأّس، أي يتكلّف الرئاسة و أن يكون سيّد القوم.

﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ﴾ جنون ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٢٥﴾ فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦﴾ فلما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم، والمعنى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي إذ في نصرته إهلاكهم، أو «انصرني» بدل «ما كذبون» كقولك «هذا بذاك» أي بدل ذاك والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ أي أجبنا دعاءه فأوحينا إليه ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[٢٤] أي تصنعه وأنت واثق بحفظ الله لك ورؤيته إياك، أو بحفظنا و كلاءتنا كأن معك من الله حفاظاً يكلئونك بعيونهم لئلا يتعرض لك و لا يفسد عليك مفسد عملك ومنه قولهم «عليه من الله عين كالئة». ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها. رُوي أنه أوحي إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي عذابنا بأمرنا ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي فار الماء من تنور الخبز أي أخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والاعتبار. روي أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وكان تنور آدم فصار إلى نوح وكان من حجارة. واختلف في مكانه فقيل: في مسجد الكوفة. وقيل: بالشام. وقيل: بالهند. ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ فأدخل في السفينة ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ﴾ مِنْ كُلِّ أُمَّتَيْ زَوْجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك[٢٥] ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة. روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض «من كلٍّ» حفص والمفضل ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله والمعنى أهلكهم الخ. أشار به أن الباء للسببية، و ما مصدرية، و قوله "بدل ما كذبون" أشار به أن الباء للمقابلة. قوله سلوة النصرة. السُّلُوة والسَّلُوة بضم السين و فتحها: السُّلوان. وهو ذهاب الهم، و الذهول عن ذكره.

(٢٤) قوله بأعيننا، ذكر المصنّف هنا وجهين و توضيحهما أن قوله بأعيننا في موضع الحال أي اصنعه ملتبسًا بأعيننا، والعين إمّا كناية عن الروية أو الحفظ. على الأول معناه اصنعه بمرأى منّا، و روية الحبيب يصحبها الحفظ والنصر، فأظهر المصنّف هذا المعنى بقوله و أنت واثق بحفظنا و رويتنا ، و على الثاني يكون معنى ملتبسًا بأعيننا "كائنًا في حفظنا و كِلاء تنا". والكلاء ة بالكسر والمد بمعنى الحفظ من باب فتح. وجمع العين للمبالغة، و قوله كأن معك حفاظًا، الخ ـ تصوير لهذا المعنى المستفاد من الجمع. قوله جؤجؤ ، عِظام صدر الطائر، أو صدره. والجمع: جآجِئ(لسان العرب) والرواية عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، ذكره المصنّف في تفسير سورة هود و ذكر السيوطي رحمه الله تعالى تخريجه عن ابن أبي حاتم في الدر المنثور.

(٢٥) قوله كالجِمال ـ الخ ـ الجمال جمع الجمل: الذكر من الإبل، النُّوق جمع الناقة: الأنثى من الإبل. الحصن جمع حِصان مثل كتاب وكُتُب: الذكر من الخيل. الرِماك جمع رَمَكة مثل رقَبة و رِقاب: الأنثى من البراذين. إكليل.
قوله واحدين مزدَوجين، إشارة إلى أن المراد فردان لا صنفان. (خفاجي)

أي من كل أمّةٍ زوجين اثنين و «اثنين» تأكيد وزيادة بيان ﴿وَأَهْلَكَ﴾ ونساءك وأولادك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من الله بإهلاكه وهو ابنه وإحدى زوجتيه فجيء بـ«على» مع سبق الضار كما جيء باللام مع سبق النافع في قوله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾» [الصافات: ١٧١] ونحوها «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتسبت» [البقرة:٢٨٦] ﴿مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴿٢٧﴾﴾ولاتسألني نجاة الذين كفروا فإني أغرقهم.[٢٦] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ فإذا تمكنتم عليها راكبين ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٢٨﴾﴾ أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم. ولم يقل فقولوا وإن كان «فاذا استويت أنت ومن معك» في معنى إذا استويتم لأنه نبيهم وإمامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة.

﴿وَقُلْ﴾ حين ركبت على السفينة أو حين خرجت منها ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ أي إنزالاً أو موضع إنزال «منزلاً»[٢٧] أبوبكر أي مكاناً ﴿مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴿٢٩﴾﴾ والبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها كثرة النسل وتتابع الخيرات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ومواعظ ﴿وَإِنْ﴾ هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وإن الشأن والقصة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴿٣٠﴾﴾مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴿١٥﴾» [القمر: ١٥].[٢٨]﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴿٣١﴾﴾ هم عاد قوم هود ويشهد له قول هود «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» [الأعراف: ٦٩] ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في «الأعراف» و «هود» و «الشعراء» ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ الإرسال يعدى بـ«إلى» ولم يعد بـ«في» هنا وفي قوله: «كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ»[الرعد: ٣٠] (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ)[الأعراف:٩٤] ولكن الأمة والقرية جعلت موضعا للإرسال كقول رؤبة:[٢٩]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله من كلٍّ ، بالتنوين حفص عن عاصم ، و المفضل بن محمد عن عاصم، والباقون بغير تنوين.

قوله واثنين تأكيد و زيادة بيان، أي على قراء ة من كلٍّ بالتنوين، و على قراء ة العامّة هو مفعول "اسلك".

(٢٦) قوله فإني أغرقهم، إشارة إلى أن قوله "إنهم مغرقون" استيناف في معرض التعليل.

(٢٧) قوله منزلًا، بفتح الميم و كسر الزاي أبو بكر شعبة عن عاصم أي مكان نزول ، والباقون بضم الميم و فتح الزاي، فيجوز أن يكون مصدرًا ميميًّا أو اسم مكان. إكليل.

قوله مصيبين ـ الخ ـ إشارة إلى أن الابتلاء إمّا من البلية بمعنى المصيبة أو بمعنى الاختبار. (خفاجي)

(٢٨) قوله تعالى (ولقد تركناها) أي السفينة أو الفعلة [أي الإغراق و الإنجاء] أي جعلناها (آية) يعتبر بها، و عن قتادة: أبقاها الله بأرض الجزيرة، و قيل على الجودي دهرًا طويلًا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدّكر) مُتّعظ يتّعظ و يعتبر. و أصله مذتكر، بالذال والتاء، ولكن التاء أبدلت منها الدال، والدال والذال من موضع، فأدغمت الذال في الدال ـ اه ـ تفسير النسفي ، سورة القمر: ١٤.

(٢٩) قوله رُؤبَة، بضم الراء، و سكون الهمزة، و فتح الباء الموحدة، و بعدها هاء ساكنة، القِطعة من الخشب يُشعب بها الإناء، و يُسدّ بها ثُلمة الجَفنة، والجمع =

أرسلت فيها مصعباً ذا إقحام... ﴿رَسُوْلًا﴾ هو هود ﴿مِّنْهُمْ﴾ من قومهم ﴿اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ ؕ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ ﴿۳۲﴾﴾ «أن» مفسرة لـ «أرسلنا» أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله. ﴿وَقَالَ الْمَلَاُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ ذكر مقالة قوم هود في جوابه في «الأعراف» وهود بغير واو لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقيل له: قالوا كيت وكيت، وههنا مع الواو لأنه عطف لما قالوه على ما قاله الرسول، ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وليس بجواب للنبي صلى الله عليه وسلم متصل بكلامه ولم يكن بالفاء، وجيء بالفاء في قصة نوح لأنه جواب لقوله واقع عقيبه ﴿الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ صفة للملأ أو لقومه ﴿وَكَذَّبُوْا بِلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ﴾ أي بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ﴿وَاَتْرَفْنٰهُمْ﴾ ونعمناهم ﴿فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۙ﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿مَا هٰذَآ﴾ أي النبي ﴿اِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۙ يَاْكُلُ مِمَّا تَاْكُلُوْنَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُوْنَ ﴿۳۳﴾﴾ أي منه فحذف لدلالة ما قبله عليه أي من أين يدعي رسالة الله من بينكم وهو مثلكم ﴿وَلَئِنْ اَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿اِنَّكُمْ اِذًا﴾[٣٠] واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ﴿لَّخٰسِرُوْنَ ﴿۳۴﴾﴾ بالانقياد لمثلكم، ومن حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم.

﴿اَيَعِدُكُمْ اَنَّكُمْ اِذَا مِتُّمْ﴾ بالكسر: نافع وحمزة وعلي وحفص، وغيرهم بالضم ﴿وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَّعِظَامًا اَنَّكُمْ مُّخْرَجُوْنَ ﴿۳۵﴾﴾ مبعوثون للسؤال والحساب والثواب والعقاب وثنى «أنكم» للتأكيد، وحسن ذلك للفصل بين الأول والثاني بالظرف و «مخرجون» خبر عن الأول والتقدير:

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= رئاب (والفعل رأب يرأب من فتح) سمي به رُؤبة ابن العجاج. هو و أبو ه راجزان مشهوران، توفي سنة خمس و أربعين و مأة. (لسان العرب وإكليل)

قوله أرسلت فيها ـ الخ ـ و تمامه: طبًا فقيهًا بذوات الإيلام. المصعب في الأصل الجمل الذي لا يركب لصعوبته سمي به السيد المكرم، ذا إقحام أي كثير الاقتحام والتدخّل في القضايا المهمة والأمور الصعبة، طبًا أي حاذقًا في المعالجة، بذوات الإيلام أي بجراحات ذوات الإيلام، أي الجراحات المستترة، كجراحة الرحم ، يصعب مداواتها، كنى به عن حذقه في الأمور، و بصيرته في عيوب الناس، و ضمير "فيها" للقضية. والحاصل أن القوم والأمة إذا اعتبرت موضع الإرسال، يعدى إليها الإرسالُ بفي، وإلّا فالأصل في تعديته هو "إلى".

قوله أن مفسرة، و شرطها تقدّم ما فيه معنى القول، لا صريح القول، و إرسال الرسل لما كان للتبليغ تضمّن معنى القول، و إليه أشار بقوله: أي قلنا لهم. و يجوز أن تكون مصدرية و قبلها جار مقدر أي بأن ـ الخ ـ (خفاجي)

(٣٠) قوله إذًا، واقع في جزاء الشرط و جواب ـ الخ ـ كذا في الكشاف، و ردّه أبو حيان في البحر بأنه ليس واقعًا في الجزاء بل بين إن و خبرها، و جملتُها جواب القسم على القاعدة المشهورة، و لو كانت الجملة جواب الشرط صدّرت بالفاء عند من أجازه ـ اه ـ و غاية ما يعتذر له أنه تسامح في العبارة لظهور المراد، فأراد أنه سادّ مسدّ جواب الشرط كما تسامح في جعل "إذا" جوابًا، و إنّما الجواب جملة "إنكم". (خفاجي)

قوله بالكسر، أي بكسر الميم في متم للنصف من القراء السبعة و بالضم للنصف الآخر منهم.

قوله ثنى أنكم...وحسُن ذلك...الخ بينوا عدة إعراب في قوله "أنكم مخرجون" اختار منها المصنّف أن "أنكم" مكرر لتأكيد الأول و تكراره حسن لما وقع من=

أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ وبكسر التاء: يزيد(٣١)، ورُوي عنه بالكسر والتنوين فيهما، والكسائي يقف بالهاء وغيره بالتاء وهو اسم للفعل واقع موقع بعُد فاعلها مضمر أي بعد التصديق أو الوقوع ﴿لِمَا تُوعَدُونَ ۝﴾ من العذاب، أو فاعلها «ما توعدون» واللام زائدة أي بعد ما توعدون من البعث ﴿إِنْ هِيَ﴾ هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله إن الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ثم وضع «هي» موضع الحياة لأن الخبر يدل عليها ويبينها، والمعنى لاحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ودنت منا، وهذا لأن «إن» النافية دخلت على «هي» التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت «لا» التي لنفي الجنس ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن فيأتي قرن آخر، أو فيه تقديم وتأخير أي نحيا ونموت وهو قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝﴾ بعد الموت ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه وفيما يعدنا من البعث ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾ بمصدقين. ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝﴾فأجاب الله دعاء الرسول بقوله:﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾(٣٢)«قليل» صفة للزمان كقديم وحديث في قولك: «ما رأيته قديماً ولا حديثاً» وفي معناه عن قريب و «ما» زائدة أو بمعنى شيء أو زمن وقليل بدل منها وجواب القسم المحذوف﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۝﴾إذا عاينوا ما يحل بهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل من الله يقال فلان يقضي بالحق أي بالعدل﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل

= الفصل، و مخرجون خبر عن الأول، و الظرف متعلق به كما يظهر من كلامه في التقدير. و أنكم الأول متعلق بـ"يعدكم" بتقدير الباء أي يعد كم بأنكم مخرجون حين ما أتاكم الموت وصِرتم ترابًا و عظامًا. و يجوز أن لا يقدر فيه حرف كوعدتُّه خيرًا. قاله الخفاجي.

(٣١) قوله يزيد، هو أبو جعفر من العشرة، قرأ فيهما بكسر التاء بلا تنوين، والكسر مع التنوين فيهما رواية عنه. و لا فرق عند السبعة فيهما وصلًا. عندهم بالفتح فيهما، أمّا الوقف فهو عند الكسائي والبزّي عن ابن كثير بالهاء، والباقون بالتاء، كذا في غيث النفع.

قوله يتلوه أي يأتي بعده. تلاه يتلو تُلوًّا: تبِعه و تلاه تلاوةً: قرأه.

قوله التي نحن فيها و دَنَتْ منا، إيضاح لمعنى الإضافة في "حياتنا" و لمعنى الدُّنيا. فإنّها على زنة فُعلى، والمذكر أدنى من الدنُوّ بمعنى القرب.

قوله وهذا لأن، تعليل لقوله "إن هي" بمعنى "لا حياةَ" بأنّ "إن" النافية و إن لم تكن لنفي الجنس لكن لما دخلت على ما يدل على الجنس نفتِ الجنسَ و صارت موازنة للا التي تنفي الجنس.

قوله نموت و نحيا، ليس مرادهم أنا نموت جميعًا ثم نحيى ثانيًا، لأنهم منكرون للحياة الثانية، كما قالوا: و ما نحن بمبعوثين. فبين المصنّف ما هو المراد من كلامهم.

(٣٢) قوله عمّاقليل، عن للمجاوزة بمعنى "بَعْدَ" هنا. أي بعد زمن قليل، قوله زائدة، لتوكيد معنى القلة، أو تامة بمعنى شيء أو زمن ، و قليل بدل منها أو صفة لها. (خفاجي)

(قوله) دمارهم، بفتح الدال كالهَلاك لفظًا و معنى (خفاجي) قوله حميل السيل أي محموله وهو ما يأتي به من الأوراق والأعواد البالية،

مما بلي واسودّ من الورق والعيدان ﴿فَبُعۡدٗا﴾ فهلاكاً يقال بعد بعداً أو بعداً أي هلك وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لايستعمل إظهارها ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو«هَيۡتَ لَكَ» [يوسف:٢٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ﴾«من» صلة أي ما تسبق أمة ﴿أَجَلَهَا﴾ المكتوب لها والوقت الذي حدد لهلاكها وكتب ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ لا يتأخرون عنه.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ فعلى والألف للتأنيث كسكرى لأن الرسل جماعة ولذا لا ينون لأنه غير منصرف «تَتۡرًا» بالتنوين: مكي وأبو عمرو ويزيد على أن الألف للإلحاق كأرطى، وهو نصب على الحال في القراءتين أي متتابعين واحداً بعد واحد، وتاؤها فيهما بدل من الواو والأصل «وترى» من الوتر وهو الفرد فقلبت الواوتاء كتراث ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ الرسول يلابس المرسل والمرسل إليه والإضافة تكون بالملابسة فتصح إضافته إليهما(٣٣) ﴿فَأَتۡبَعۡنَا﴾ الأمم والقرون ﴿بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ أخباراً يسمع بها ويتعجب منها، والأحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث النبي عليه الصلاة

عيدان جمع عود بمعنى الخشب، و أبدلت الواو في الجمع ياء لانكسار ما قبلها.

قوله بعِد بَعَدًا و بُعْدًا، من سمع بمعنى هلك و المصدر بفتحتين، و بضم فسكون، و بعد من كرم ضدّ القرب، قوله لا يستعمل إظهارها أي إذا كان الكلام دُعائيًا كما صرّح به في الدر المصون، والناصب المقدر هنا: بَعِدوا، واللام في قوله للظّلمين لبيان من دعي عليه بالهلاك. فهي متعلقة بمحذوف أي أقول ذلك للقوم الظالمين. (خفاجي و إكليل)

قوله من صلة أي زائدة لتأكيد معنى النفي، والزائد بمعنى الحشو المهمل لا يقع في كلامه تعالى، إذ الزائد فيه لايخلو عن فائدة، كالتأكيد و تحسين اللفظ ، ولذا تنزّهوا من إطلاق الزائد عليه إجلالًا لكلامه تعالى عنه، و إن كان زائدًا بالنسبة لأصل المعنى المراد. (خفاجي)

قوله لأن الرسل جماعة، تعليل لكون المؤنث حالًا عن الرسل، قوله كأرطى. قال الجوهري: الأرطى شجر من شجر الرمُل، وهو فَعلىٰ، لأنك تقول : أديمٌ مأرُوطٌ إذا دُبغ بذلك. و ألفه للإلحاق، أو بني الاسم عليها، وليست للتأنيث، لأن الواحدة أرطاة (لسان العرب)

قوله كتراث، أصله وراث فأبدلت الواو المضمومة تاءً. (إكليل)

(٣٣) قال البيضاوي: أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسِل (أي في قوله أرسلنا رسلَنا) و مع المجيء إلى المرسل إليهم (أي الأمة) لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر، منه (من المرسِل) والمجيء الذي هو منتهاه ، إليهم. اه.

قوله اسم جمع للحديث، هذا لفظ الكشاف، ورد عليه أبو حيان في البحر بأن أفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، وإنّما ذكره أصحابنا فيما شذّ من الجموع كقطيع وأقاطيع، فالصحيح أنه جمع تكسير لا اسم جمع، و قال : هو جمع شاذّ، و أحاديث جمع أحدوثة جمع قياسي ـ اه ـ لكن خفي عليه اصطلاح الزمخشري ، أنه يطلق اسم الجمع على الجمع الذي ليس بقياسي، كاسم المصدر للمصدر غير القياسي، و هذا الاصطلاح غير ما اصطلح عليه النحاة من أن اسم الجمع: "ما دلّ على الجمعية ولم يكن على شيء من أوزانها، و ليس اسم جنس جمعي" فالردّ عليه مبنيٌ على الغفلة عن اصطلاحه، و إجراءِ كلامه على مصطلح القوم. (خفاجي)

والسلام، وتكون جمعاً للأحدوثة وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً وهو المراد هنا ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ بدل من «أخاه» ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۝﴾ وحجة ظاهرة.﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ امتنعوا عن قبول الإيمان ترفعاً وتكبراً ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۝﴾[٣٤] متكبرين مترفعين﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ البشر يكون واحداً وجمعاً ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث﴿وَقَوْمُهُمَا﴾أي بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ ۝﴾ خاضعون مطيعون وكل من دان لملك فهو عابد له عند العرب ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۝﴾ بالغرق.﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى﴾ أي قوم موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝﴾ يعملون بشرائعها ومواعظها.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ تدل على قدرتنا على ما نشاء لأنه خلق من غير نطفة. وحّد لأن الأعجوبة فيهما واحدة، أو المراد وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها[٣٥] ﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ جعلنا مأواهما أي منزلهما ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ شامي وعاصم. «رُبوة» غيرهما أي أرض مرتفعة وهي بيت المقدس أو ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله وهو المراد هنا، اختاره لأنه أنسب و أقيس، و إن صحّ إرادة الأولّ أيضًا أي جعلنا هم أقوالًا وحكايات محضة، قوله (بآياتنا) التسع. فصّلتُ القول في سورة طه تحت قوله (ولقد أريناه آياتنا كلها) أنّ المراد بالآيات التسع: العصا، واليد، والسنون، و نقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، و الدم، هي مذكورة في سورة الأعراف، و رواها المحدثون من طرق عديدة عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما.

قوله و حجة ظاهرة، يجوز أن يراد بها العصا، لأنها أول معجزاته و أشرفها، و تعلق بها معجزات شتى فيكون من باب عطف الخاص على العام، و يجوز أن يراد بها استيلاء موسى عليه السلام عليهم في الاستدلال على وجود الصانع و إثبات النبوة. (رازي)

قوله امتنعوا تكبرًا، فذكر الباعث والسبب ليُعلم به ما هو النتيجة والمسبّب.

(٣٤) فالمراد العلوّ المعنوي. و استمرارهم عليه أي كان الاستكبار عادتهم و دأبهم.

قوله البشر يكون واحدًا و جمعًا، في المفردات: واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع، و ثُنّي فقال تعالى (أ نؤمن لبشرين) ـ اه ـ و نقل في لسان العرب عن ابن سِيُدَه، أنه لا يثنى ولا يجمع ـ اه ـ لكن القرآن حجّة عليه في ورود التثنية. قال البيضاوي: ولم يثَنَّ المثل لأنه في حكم المصدر ـ اه ـ والمثل يثنى و يجمع، والمرجّح هنا في عدم تثنيته الاختصار مع ظهور المراد، و موافقة الأصل.

قوله دَانَ لملك، دان له: خضع و انقاد له، دِنتُه و دِنتُ له: أطعته.

قوله أي قوم موسى. أشار به إلى أن في الكلام مضافًا مقدّرًا، وهو مرجع الضمير في "لعلّهم". و لا يجوز إعادة الضمير إلى فرعون و ملئه لأن نزول التوراة كان بعد إغراقهم (كشاف و خفاجي)

(٣٥) كان المتبادر آيتين، فجعلهما آية واحدة، لأن الخارق للعادة أمر واحد مشترك بينهما ، وهو ولادتها من غير زوجٍ هو أب له، فأفرده لأنه مفرد في الواقع، متعدد باعتبار أنه أمر نِسَبِيّ يتعدد باعتبار طرفيه. أو المراد جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد و ظهر منه معجزات أخر، و أمّه آية بأن ولدت من غير مسيس، فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها، اه. بيضاوي و خفاجي.

قوله ربوة، بفتح الراء ابن عامر الشامي و عاصم و رُبوة بضم الراء غيرهما، قوله وهي بيت المقدس ـ الخ ـ الأول مروي عن قتادة، والثاني عن ابن عباس بسند صحيح، و عبد اللّٰه بن سلام، و يزيد بن سَخبرة الصحابي، و بسند ضعيف عن أبي أمامة مرفوعًا، والثالث عن مرة البهزي مرفوعًا، و عن أبي هريرة،=

دمشق أو الرملة أو مصر ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستقر من أرض مستوية منبسطة أو ذات ثمار وماء. يعني أنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ﴿وَّمَعِيْنٍ۝﴾ وماء ظاهر جار على وجه الأرض وهو مفعول أي مدرك بالعين بظهوره من عانه إذا أدركه بعينه، أو فعيل لأنّه نفاع بظهوره وجريه. من الماعون وهي المنفعة.

﴿يٰٓاَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوْا مِنَ الطَّيِّبٰتِ﴾ هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما لأنهم أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة(٣٦)، وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمراً نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه، أو هو خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقام الكل في زمانه وكان يأكل من الغنائم، أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآية بذكره وكان يأكل من غزل أمه وهو أطيب الطيبات، والمراد بالطيبات ما حل والأمر للتكليف أو ما يستطاب ويستلذ والأمر للترفيه والإباحة ﴿وَاعْمَلُوْا صَالِحًا﴾موافقاً للشريعة ﴿اِنِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ عَلِيْمٌ۝﴾فأجازيكم على أعمالكم.

﴿وَاِنَّ هٰذِهٖٓ﴾كوفي(٣٧)على الاستئناف. «وأن» حجازي وبصري بمعنى ولأن أي فاتقون لأن هذه، أو معطوف على ما قبله أي بما تعملون عليم وبأن هذه. أو تقديره واعلموا أن هذه ﴿اُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها ﴿اُمَّةً وَّاحِدَةً﴾ ملة واحدة وهي شريعة الاسلام.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= و في رواية عنه مرفوعا، والرابع عن وهب بن منبه، و عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم. (الدر المنثور)

قوله دِمَشق مثل حِضَجر، و قد تكسر ميمه، قاعدة الشام، قال أبو عبيدة هو علم لولد لنمرود سميت به المدينة الرمْلة: مدينة بفلسطين ـ إكليل و خفاجي.

قوله و ماء ظاهر جار على وجه الأرض ، إشارة إلى أنه صفة موصوف مقدر، و قوله ظاهر جار تفسير له، و ذكر البيضاوي ثلثة وجوه في أصله (١) الميم أصلية و وزنه فعيل من مَعَن بمعنى جرى، و يلزمه الظهور لأن الماء الجاري يكون في الأغلب ظاهرًا، (٢) هو مأخوذ من الماعون، و مشتق منه بالاشتقاق الكبير، وهو المنفعة، فإطلاقه على الماء الجاري لنفعه. (٣) وزنه في الأصل مفعول من عانه بمعنى أبصره بعينه، أعلّ إعلالَ مَعِيُب و مَبيع و نحوهما، فالميم زائدة، والياء أصلية. (بيضاوي و خفاجي)

(٣٦) قوله في أزمنة مختلفة، فلا يكون نداء هم حين نزول القرآن مجتمعين مخاطبين بكلمة واحدة.

قوله والمراد بالطيبات، إذا أريد بالطيب الحلال فالأمر تكليفي لأن كسب الحلال و ترك الحرام ممّا يجب على العباد، و إذا أريد به اللذيذ فالأمر لإظهار النعمة والإباحة.

قوله:للترفيه، بالهاء الأصلية من الرَّفاهة، وهو لين العيش وطيبه. رفّه الرجلَ: صيّره رافهًا، و رُفّه عنه: أزيل عنه الضيق والتعب.

قوله فأجازيكم ، لأن علم الله يذكر و يراد به جزاء ه. (خفاجي) و فيه وعد و وعيد.

(٣٧) قوله كوفي أي عاصم، و حمزة، والكسائي.

قوله على الاستيناف، لأنه معطوف على جملة "إنّي" المستانفة، والمعطوف على المستانف مستأنف. ولا يريد أن الواو ليست بعاطفة، كما قيل.

قوله وأن بفتح الهمزة حجازي أي مدني نافع و أبو جعفر وابن كثير المكي و بصري أبو عمرو و يعقوب، والتقدير لأن، والمعلل به فاتقون، أو التقدير واعلموا أن، والجملة معطوفة على جملة اعملوا، أو التقدير بأن هذه، وهو معطوف على ما قبله ، والمعنى إنّي عليم بما تعملون و بأن هذه أمتكم أمة واحدة، وهذا الوجه ضعيف لعدم جزالة المعنى. و قرأ ابن عامر الشامي وحده أنْ هذه، بفتح الهمزة وسكون النون مخففة من أنّ الثقيلة.

وانتصاب «أمة» على الحال والمعنى وإن الدين دين واحد وهو الاسلام ومثله «﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾» [آل عمران: ١٩] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ وحدي «فاتقون»فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾[٣٨] تقطع بمعنى قطع أي قطعوا أمر دينهم﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور أي كتباً مختلفة يعني جعلوا دينهم أدياناً . وقيل : تفرقوا في دينهم فرقاً كل فرقة تنتحل كتاباً . وعن الحسن: قطعوا كتاب الله قطعاً وحرفوه. وقريء «زُبَرًا» جمع زبرة أي قطعاً ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾من الكتاب والدين أو من الهوى والرأي﴿ فَرِحُونَ﴾ مسرورون معتقدون أنهم على الحق ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ جهالتهم وغفلتهم﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا.﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ «ما» بمعنى الذي وخبر «أن» ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾والعائد من خبر«أن» إلى اسمها محذوف أي نسارع لهم به، والمعنى أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم إلى المعاصي وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ومعاجلة بالثواب جزاء على حسن صنيعهم. وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح لأنهم يقولون إن الله لا يفعل بأحد من الخلق إلا ما هو أصلح له في الدين، وقد أخبر أن ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصلح ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بل استدراك لقوله أيحسبون أي أنهم أشباه البهائم لا شعور لهم حتى يتأملوا في ذلك أنه استدراج أو مسارعة في الخير.

ثم بين ذكر أوليائه فقال:﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ أي خائفون[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بكتب الله كلها لا يفرقون بين كتبه كالذين تقطعوا أمرهم بينهم وهم أهل الكتاب ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ كمشركي العرب ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات. وقريء «يأتون ما أتوا» بالقصر أي يفعلون ما فعلوا ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٨) قوله فتقطعوا ـ الخ ـ تقطع إمّا متعد بمعنى قطّع أو لازم بمعنى صار قِطَعًا، و الزُّبُر جمع زَبور بمعنى المزبور، فعول بمعنى مفعول نحو رسول بمعنى مرسل، والمزبور هو الكتاب مِن زبَرتُ بمعنى كتبت أو بمعنى الفرقة والطائفة أو بمعنى القِطعة، والمعاني كما يلي:
(١) قَطّعوا أمر دينهم كتبا مختلفة، و جعلوا دينهم أديانا ـ و زُبُرًا مفعول ثان لقوله "تقطّعوا" فإنه متضمن معنى جعل. (٢) تقطّعوا و تفرقوا في أمرهم و دينهم فرقًا مختلفة ـ و "أمرهم" منصوب بنزع الخافض، وهو "في" ـ و زُبُرا حال. (٣) قطعوا أمرهم أي كتاب ربّهم قِطَعًا، و حرّفوه، هذا مروي عن الحسن البصري.

قوله تنتحل : الانتحال هو الانتساب إلى نِحلة و مذهب، و بمعنى ادّعاء شيء على وجه الغلط.
قوله قرئ زُبَرًا، بضم الزاي و فتح الباء جمع زُبُرة بضم الزاي و سكون الباء، كما في قوله تعالى. (آتوني زُبَر الحديد) أي قِطَع الحديد.
(٣٩) قوله خائفون. الإشفاق بمعنى الخوف، و روى ابن جرير عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان يقول: إن المومن جمع إحسانًا و شفقة، وإن المنافق جمع إساء ة و أمنًا ثم تلا: إنّ الذين هم من خشية ربّهم. إلى قوله. راجعون. (جامع البيان)

خائفة أن لاتقبل منهم لتقصيرهم﴿ اَنَّهُمْ اِلٰى رَبِّهِمْ رٰجِعُوْنَ ﴾ الجمهور على أن التقدير لأنهم وخبر «إن الذين» ﴿اُولٰٓئِكَ يُسٰرِعُوْنَ فِي الْخَيْرٰتِ﴾ يرغبون في الطاعات فيبادرونها ﴿وَهُمْ لَهَا سٰبِقُوْنَ﴾ أي لأجل الخيرات سابقون إلى الجنات أو لأجلها سبقوا الناس.﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي طاقتها يعني أن الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة، وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق[٤٠] ﴿وَلَدَيْنَا كِتٰبٌ﴾ أي اللوح أو صحيفة الأعمال﴿ يَّنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ﴾ لايقرؤون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان، ولايظلم منهم أحد بزيادة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف ما لا وسع له به﴿ بَلْ قُلُوْبُهُمْ فِيْ غَمْرَةٍ مِّنْ هٰذَا ﴾بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمْ اَعْمَالٌ مِّنْ دُوْنِ ذٰلِكَ ﴾أي ولهم أعمال خبيثة متجاوزة متخطية لذلك أي لما

قوله الجمهور على أن التقدير لأنهم. وقدّر ابن جرير في تفسيره "من" أنهم. و أخرج الفريابي، و أحمد، و عبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجة، وابن أبي الدنيا في نعت الخائفين، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و الحاكم وصحّحه، و ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة رضي الله تعالى عنها. قالت: قلت: يا رسول الله ، قول الله (والذين يوتون ما آتوا و قلوبهم وجلة.) أ هو الرجل يسرق و يزني و يشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله؟ قال: لا و لكن الرجل يصوم ، و يتصدق ، و يصلي، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبّل منه. (الدر المنثور)

قوله يرغبون في الطاعات، إشارة إلى أنه ضمن معنى الرغبة، أو هو كناية عنها فلذا عُدّي بفي دون إلى. والمبادرة العجلة وهي تتعدى بإلى و بنفسها كما في القاموس. (خفاجي)

قوله أي لأجل الخيرات، بيان لمرجع الضمير، وأن اللام سببية، و متعلق السبق ليس بمذكور فيجوز أن يقدّر إلى الجنات أو سبقوا الناس.

(٤٠) قوله ردّ على من جوّز تكليف ما لايطاق. "ما لا يطاق" إمّا ممتنع مطلقًا كجمع النقيضين أو ممتنع بالنسبة إلى قدرة العبد كخلق الأجسام أو ممتنع عادةً. جوّز الأشعرية التكليف بالقسمين الأولين عقلًا، والماتريدية لا يجوزون، والفريقان متفقان على عدم وقوع التكليف بهما، و على جواز التكليف بما يمتنع عادةً، و ذهب المعتزلة إلى عدم جواز التكليف بالأقسام الثلاثة. (المستند المعتمد للإمام أحمد رضا البريلوي) وقوله تعالى: "لا نكلّف" و قوله "لا يكلّف الله" يدلّ على عدم الوقوع بالفعل لا على الامتناع عقلًا.

قوله لايقرؤون منه الخ. ينطبق على القولين في "كتاب" و يجوز أن يخصّ الصدق بالنسبة إلى اللوح، أي كما كتب في اللوح و جدوا أعمالهم موافقة له بدون تفاوت فطابق الواقع خبر اللوح، و يخصّ العدل بالنسبة إلى كتاب الأعمال. أي يجدون كتاب الأعمال كما عملوا، فإن الكتبة رقموا فيه بالعدل موافقًا لما وجد من أعمالهم بدون زيادة ولا نقصان.

قوله في غفلة غامرة، إشارة إلى ما قال الراغب: الغَمرة مُعظَم الماءِ الساتِرةُ لمقَرّها، و جُعل مثلًا للجهالة التي تغمر صاحبها، و إلى نحوه أشار بقوله (فذرهم في غمرتهم) و نحو ذلك من الألفاظ. اهـ. وقال البيضاوي: شبهها بالماء الذي يغمر القامة ـ اهـ ـ أي يسترها فالمعنى أن قلوبهم مغمورة مستورة بتلك الغفلة.

قوله متجاوزة متخطّية. ماخوذة من كلمة "دون". لأن معناها في الأصل أدنى مكان من الشيء، أي أخفض مكان منه، يقال: هذا دون ذاك، إذا كان أحَطَّ منه قليلًا، ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل: زيد دون عمرو، أي في الشرف، ثم اتسع فيه فاستعمل في كلّ تجاوز حدّ إلى حدّ و تخطّي أمر إلى أمر آخر، ولو بدون تفاوت و انحطاط =

وصف به المؤمنون ﴿هُمْ لَهَا عٰمِلُوْنَ﴾ وعليها مقيمون لا يفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب﴿حَتّٰٓى اِذَآ اَخَذْنَا مُتْرَفِيْهِمْ﴾ متنعميهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾[٤١] عذاب الدنيا وهو القحط سبع سنين حين دعا عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، أو قتلهم يوم بدر. و «حتى» هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية ﴿اِذَا هُمْ يَجْئَرُوْنَ﴾ يصرخون استغاثة والجؤار الصراخ باستغاثة فيقال لهم ﴿لَا تَجْئَرُوا الْيَوْمَ﴾فإن الجؤار غير نافع لكم ﴿اِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنْصَرُوْنَ﴾ أي من جهتنا لا يلحقكم نصر أو معونة.

﴿قَدْ كَانَتْ اٰيٰتِيْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿فَكُنْتُمْ عَلٰٓى اَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُوْنَ﴾ ترجعون القهقرى والنكوص أن يرجع القهقرى وهو أقبح مشية لأنه لا يرى ما وراءه ﴿مُسْتَكْبِرِيْنَ﴾[٤٢] متكبرين على المسلمين حال من «تنكصون» ﴿بِهٖ﴾ بالبيت أو بالحرم لأنهم يقولون لا يظهر علينا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= وهو بهذا المعنى قريب من أن يكون بمعنى غير، كأنه أداة استثناء (بيضاوي، خفاجي، كشاف، شريفية، مختصر المعاني، دسوقي) في قوله تعالى (ولهم أعمال من دون ذلك) إشارة إلى ما سبق من أعمال طيبة للمؤمنين المخلصين الخائفين. أي لهم أعمال غير ما هو للمؤمنين،أي أعمالهم متجاوزة من الأعمال الطيبة المذكورة، متخطّية من حدّ الحسن والصلاح إلى حدِ الخبث والسُّوء كما قال المصنّف: أي ولهم أعمال خبيثة، متجاوزة متخطية لذلك. الخ.

قوله عليها مقيمون، إشارة إلى ما تدلّ عليه الجملة الاسمية من الثبات والدوام، و يصحّ أخذ القصر من تقديم "لها" أيضا، أي لا يلتفتون إلى غيرها و لعل قوله "لا يُفطَمون عنها" لهذا البيان ، والفطم أصله فصل الولد عن الرضاع، استعاره هنا لانفصالهم عن أعمالهم السيئة المحبوبة عندهم كلبن الأم للرضيع.

قوله حتى يأخذهم الله بالعذاب، مستفاد ممّا يأتي من قوله تعالى: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب. الآية)

(٤١) قوله بالعذاب، قال الرازي: في هذا العذاب وجهان: أحدهما أراد بالعذاب ما نزل بهم يوم بدر والثاني أنه عذاب الآخرة و إرادة عذاب يوم بدر هنا رواها ابن جرير عن مجاهد، و ابن جريج، والضحاك، و أخرجه النسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. و عبد بن حميد عن سعيد بن جبير. و حكى الثعلبي ثم البغوي ثم الزمخشري عن الضحاك أنه قال: يعني الجوع، و ذلك حين دعا عليهم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فقال: "اللّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف" فابتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب، والعظام المحرقة، والقِدّ، والأولاد انتهى بلفظ الثعلبي. دعاء النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم مروي في الصحيحين، و ما بعد ذلك مروي نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عند النسائي والحاكم والطبراني كما في تخريج أحاديث الكشاف، لكن نزول الآية في هذا الجوع و القحط هو محكي عن الضحاك.

قوله تعالى: يجــرون أي يضِجّون و يستغيثون، وأصل الجُؤار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور،قال الجوهري: الجؤار مثل الخوار، يقال جأر الثور يجأر أي صاح (قرطبي) قال الخفاجي: والجؤار: الصراخ و خصّه بالاستغاثة بقرينة المقام ـ اهـ

قوله أي من جهتنا، مِن للابتداء، قوله نصر أو معونة. النصر يختصّ بدفع الضرر، والعون عام، قوله القهقرى: هو المشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه، والقهقرى في قولك رجعت القهقرى مفعول مطلق، لأنها نوع من الرجوع.

(٤٢) مستكبرين به، سامرًا، تهجرون. الثلاثة أحوال من ضمير تنكصون، مترادفة أو متداخلة. و اختلفوا في مرجع الضمير من قوله "به" و روي تفسيره بالبيت =

أحد لأنا أهل الحرم، والذي سوغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت. أو بـ«آياتي» لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكباراً. ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته أو يتعلق الباء بقوله ﴿سٰمِرًا﴾ تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعراً وسحراً. والسامر نحو الحاضر في الإطلاق على الجمع وقرىء «سمّارا». أو بقوله: ﴿تَهْجُرُوْنَ﴾ وهو من الهجر الهذيان «تهجرون»: نافع من أهجر في منطقه إذا أفحش. ﴿اَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أفلم يتدبروا القرآن ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ﴿اَمْ جَآءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ اٰبَآءَهُمُ الْاَوَّلِيْنَ﴾ بل أجاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروه واستبدعوه ﴿اَمْ لَمْ يَعْرِفُوْا رَسُوْلَهُمْ﴾ محمداً ﷺ بالصدق والأمانة ووفور العقل وصحة النسب وحسن الأخلاق أي عرفوه بهذه الصفات ﴿فَهُمْ لَهٗ مُنْكِرُوْنَ﴾ بغياً وحسداً. ﴿اَمْ يَقُوْلُوْنَ بِهٖ جِنَّةٌ﴾ جنون وليس كذلك لأنهم يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأثقبهم ذهناً ﴿بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ الأبلج والصراط المستقيم وبما خالف شهواتهم وأهواءهم وهو التوحيد والإسلام ولم يجدوا له مرداً ولا مدفعاً فلذلك نسبوه إلى الجنون. ﴿وَاَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كٰرِهُوْنَ﴾ وفيه دليل على أن أقلهم ما كان كارهاً للحق بل كان تاركاً للإيمان به أنفة واستنكافاً من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه كأبي طالب.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي الله ﴿اَهْوَآءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ﴾ كما قال: «لَوْ كَانَ فِيْهِمَآ اٰلِهَةٌ اِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا» [الأنبياء: ٢٢] ﴿وَمَنْ فِيْهِنَّ﴾ خص العقلاء بالذكر لأن

= الحرام عن قتادة، وبالحرم عن ابن عباس، والحسن، و سعيد بن جبير وغيرهم و بالقرآن عن أبي صالح، والحرم أو البيت لم يُذكر فيما سبق فقالوا ساغ هذا الإضمار لشهرة استكبارهم بالبيت. و جوّز الإمام الرازي أن يكون مرجعه المصدر المفهوم من تنكصون. و هذا أقرب و أسهل أي كنتم تعرضون عن استماع الآيات و قبولها مستكبرين بهذا الإعراض متحدثين ليلًا، هاذِين. والأقوال في تعلقه كما ذكر المصنّف هكذا (١) مستكبرين به أي بالبيت (٢) بالحرم و هما متقاربان.

(٣) بالقرآن بتضمين معنى التكذيب أي تعرضون عنه مستكبرين مكذبين به، و هذا يحتاج إلى تأويل الآيات بالقرآن، و القرآن كما يطلق على الكل يطلق على الجزء أيضًا.

(٤) يتعلق بقوله سامرًا، و مرجع الضمير هو القرآن

(٥) يتعلق بقوله تهجرون، والمرجع هو القرآن. والسمر من نصر: التحدث ليلًا، مأخوذ من السمر وهو ظل القمر، و كانوا يجتمعون في ظلّ القمر يتحدثون فسمي التحدث به. و قرأ أبو رجاء سُمّارا بلفظ الجمع (قرطبي) و هجر يهجر هَجُرًا بفتح الهاء و سكون الجيم من نصر ترك، و هجر المريض في كلامه: هذىٰ، و أهجر : أتى بالهجر بضم الهاء و سكون الجيم بمعنى الفحش (لسان العرب)

قوله بل أجاء هم. إشارة إلى أن أم منقطعة، متضمنة معنى بل والهمزة.

قوله استبدعوه أي عدّوه بديعًا، جديدًا غير مسبوق.

قوله الأبلج: المضيء المشرِق قوله أَنَفة و استنكافًا الأنفة: عزة النفس أي الترفع والتنزه عمّا يكره. الاستنكاف : الامتناع أنفةً و حمية و استكبارًا قوله صبأ: خرج من دين إلى دين و بابه خضع ـ

غيرهم تبع ﴿بَلْ أَتَيْنٰهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أو شرفهم لأن الرسول منهم والقرآن بلغتهم، أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه و يقولون «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِيْنَ ﴿١٦٨﴾» [الصافات: ١٦٨] الآية. ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُوْنَ﴾ بسوء اختيارهم ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾[43] حجازي وبصري وعاصم، «خرجا فخرج» شامي، «خراجا فخراج» علي وحمزة، وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك وإلى كل عامل من أجرته وجعله، والخرج أخص من الخراج تقول «خراج القرية وخرج الكوفة» فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذا حسنت القراءة الأولى يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من الخالق خير ﴿وَّهُوَ خَيْرُ الرّٰزِقِيْنَ﴾ أفضل المعطين ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوْهُمْ إِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ وهو دين الإسلام فحقيق أن يستجيبوا لك.

﴿وَإِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنٰكِبُوْنَ﴾ لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو الصراط المستقيم ﴿وَلَوْ رَحِمْنٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ﴾ لما أخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أنشدك الله والرحم ألست تزعم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله لو أنّ عندنا ذكرًا من الأولين، لكنّا عباد اللّٰه المخلَصين. فكفروا به فسوف يعلمون. (الصافات ١٦٨-١٧٠)

(٤٣) قوله تعالى خرجا فخراج، بعض اللغويين لم يفرقوا بينهما، و قالوا: الخرج والخراج واحد، وهو شيء يُخرجه القوم في السَنة من مالهم بقَدَر معلوم، و بعضهم فرقوا (١) ابن الأعرابي: الخَرج على الرؤس، والخراج على الأرضين (٢) الزجاج : الخرج الضريبة والجزية، والخراج الفَيء (لسان العرب) (٣) أبو عمرو بن العلاء : الخرج ما تبرَّعُت به من غير وجوب، و الخراج ما لزِمك، و وجب عليك أداؤه (الثعلبي في التفسير) (٤) الراغب: الخرج أعم من الخراج، و جُعل الخَرج بإزاء الدخُل، و الخراج مختصّ في الغالب بالضريبة على الأرض. (٥) وقيل: العبد يؤدي خَرجه ـ أي غلَّته ـ والرَّعية تؤدي إلى الأمير الخَراج (مفردات) قال في الكشاف: والوجه أن الخرجِ أخص (أي أقلّ قدرًا) من الخراج ، كقولك خراج القرية، و خَرجُ الكُردَة، زيادة اللفظ لزيادة المعنى، اهـ. والكُردَة بمعنى بقعة من الأرض تُزرع (قاموس) فهي صغيرة بالنسبة إلى القرية، و الكَرد بفتح الكاف و بدون الهاء بمعنى العنق. و أظن أنّ لفظ المدارك "خرج الكوفة" تصحيف الكُردة، فإن العبارة، من قوله "وهو ما تخرجه إلى الإمام ـ إلى قوله ـ فالكثير من الخالق خير" بعينها لفظ الكشاف سوى "الكوفة" بدل "الكُردَة" و يدل عليه قوله: فزيادة اللفظ لزيادة المعنى. و إذا كان "الكوفة" بدل "الكردة" ينعكس المقصود لأن الكوفة أكبر من القرية فتكون غلّتها أزيد و أكثر من القرية. والمقصود إظهار الزيادة في الخراج، والقِلّة في الخَرج.

قوله أفضل المعطين. أي نسبة الرزق إلى غيره تعالى بمعنى الإعطاء. والرازق حقًّا هو اللّٰه تعالى وحده. و عطاؤه أفضل و أعلى، فإنه بدون غرض و عوض، و عطاء غيره لا يخلو من غرض أو عوض في الدنيا أو الآخرة.

قوله العِلهِز، بكسر العين والهاء، و سكون اللام بينهما، و في الآخر زاي معجمة مثل زِبرِج: القُراد الضَّخم، و طعام من الدم والوبَر، كان يُتخذ في المجاعة (قاموس) قال ابن الأثير: هو شيء يتخذونه في سني المجاعة، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار و يأكلونه. الخ. لسان العرب و مجمع البحار.

أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: «بلى» فقال: قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية.[٤٤] والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر - وهو القحط الذي أصابهم- برحمته لهم ووجدوا الخصب ﴿لَّلَجُّوا﴾ أي لتمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون يعني لعادوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ولذهب عنهم هذا التملق بين يديه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ استشهد على ذلك بأنا أخذناهم أولاً بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم، فما وجدت بعد ذلك منهم استكانة أي خضوع ولا تضرع. وقوله: «وما يتضرعون» عبارة عن دوام حالهم أي وهم على ذلك بعد ولذا لم يقل وما تضرعوا. ووزن استكان استفعل من الكون[٤٥] أي انتقل من كون إلى كون كما قيل «استحال» إذا انتقل من حال إلى حال. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا﴾ «فتّحنا» يزيد ﴿عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي باب الجوع الذي هو أشد من الأسر والقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ متحيرون آيسون من كل خير. وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد ليستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رُئِي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله: «﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾» [الروم:١٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ خصها بالذكر لأنها يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون شكراً قليلاً.[٤٦] و «ما» مزيدة للتأكيد بمعنى حقاً، والمعنى أنكم لم تعرفوا عظم هذه النعم ووضعتموها غير مواضعها فلم تعملوا أبصاركم

(٤٤) أخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، و الحاكم و صححه و ابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فقال: يا محمد أنشدك اللّٰه والرحم، فقد أكلنا العلهز ـ يعني الوبر بالدم، فأنزل اللّٰه (ولقد أخذناهم ـ الآية)
وأخرج ابن جرير، و أبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، أنّ ثُمامة بن أُثال الحنفي لما أتى النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فأسلم وهو أسير فخلّى سبيله، لحِق باليمامة، فحالَ بين أهل مكّة و بين المِيُرَة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز، فجآء أبو سفيان إلى النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فقال: أ لَسُتَ تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: بلى، قال: قتلت الآباء بالسيف، و الأبناء بالجوع، فأنزل اللّٰه (و لقد أخذناهم ـ الآية) ـ الدر المنثور

(٤٥) قوله من الكون ، بمعنى الصيرورة والانتقال، لا بمعنى الثبوت اه. قوله من كون إلى كون، أي من حال إلى حال ـ إكليل عن القنوي. قوله أعتاهم أي أشدّهم عُتُوًّا واستكبَارًا. قوله شكيمة. هي قوة القلب. و فلان شديد الشكيمة: إذا كان شديد النفس أنِفًا أبِيًّا. قوله ليستعطفك: ليطلب منك العطف أي الشفقة والرحم قوله محناهم ، مَحَنتُه وامتحنته بمنزلة خبرته و اختبرته و بلوته وابتليتُه. قوله لينُ مَقادة، أي انقياد، يقال: أعطاه مقادته: انقاد له (لسان العرب)

(٤٦) قوله شكرًا قليلًا. إشارة إلى أنه صفة مصدر محذوف، و قيل : المراد نفي الشكر كما في قوله: مررت بأرض قليلًا ما تجود عليها السماء، يريدون نفي الغيث، و كلام المصنّف ” ولم تشكروا له شيئًا“ يشير إليه.

وأسماعكم في آيات الله وأفعاله، ولم تستدلوا بقلوبكم فتعرفوا المنعم ولم تشكروا له شيئا.

﴿وَهُوَ الَّذِيْ ذَرَاَكُمْ﴾ خلقكم وبثكم بالتناسل ﴿فِي الْاَرْضِ وَاِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ۝﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وَهُوَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ﴾ أي يحيى النسم بالإنشاء ويميتها بالإفناء ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي مجيء أحدهما عقيب الآخرواختلافهما في الظلمةوالنور أو في الزيادة والنقصان وهو مختص به ولا يقدر على تصريفهما غيره ﴿اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ۝﴾ فتعرفوا قدرتنا على البعث أو فتستدلوا بالصنع على الصانع فتؤمنوا ﴿بَلْ قَالُوْا﴾ أي أهل مكة ﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْاَوَّلُوْنَ۝﴾ أي الكفار قبلهم. ثم بين ما قالوا بقوله: ﴿قَالُوْۤا ءَاِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظَامًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ۝﴾ «متنا» (٤٧) نافع وحمزة وعلي وحفص ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَاٰبَآؤُنَا هٰذَا﴾ أي البعث ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مجيء محمد ﴿اِنْ هٰذَاۤ اِلَّاۤ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ۝﴾ جمع أسطار جمع سطر وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له وجمع أسطورة أوفق.

ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بإقامة الحجة على المشركين بقوله: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهَاۤ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ۝﴾ فإنهم ﴿سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ﴾ لأنهم مقرون بأنه الخالق فإذا قالوا ﴿قُلْ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ۝﴾ فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها كان قادراً على إعادة الخلق، وكان حقيقاً بأن لايشرك به بعض خلقه في الربوبية. «أفلا تذكرون» (٤٨) بالتخفيف: حمزة وعلي وحفص، وبالتشديد: غيرهم. ﴿قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ۝ سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ قُلْ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ۝﴾ أفلا تخافونه فلا تشركوا به، أو أفلا تتقون في جحودكم قدرته على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء؟ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهٖ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الملكوت الملك والواو والتاء للمبالغة فتنبئ عن عظم الملك ﴿وَّهُوَ يُجِيْرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ۝﴾ أجرت فلاناً على فلان إذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحداً ﴿سَيَقُوْلُوْنَ لِلّٰهِ قُلْ فَاَنّٰى تُسْحَرُوْنَ۝﴾ تخدعون عن الحق أو عن توحيده وطاعته، والخادع هو الشيطان والهوى. الأول «لله» بالإجماع(٤٩) إذ السؤال لمن، وكذا الثاني والثالث عند غير أهل البصرة على المعنى

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بثّكم: فرّقكم و نشركم، و في الذرء بمعنى النشر و في الحشر بمعنى الجمع طباق.

قوله النَّسَم. بفتحتين جمع النَّسَمة بفتحتين، النفس والروح. و كل دابة في جوفها روح فهي نَسَمة (لسان العرب)

قوله وهو مختصّ به، الاختصاص مستفاد من تقديم له ومن اللام.

(٤٧) قوله متنا، بكسر الميم نافع و حمزة و علي و حفص والباقون مُتنا بضم الميم. قوله جمع سطر، بفتح الطاء كفرس و أفراس، و سبب و أسباب، فيكون الأساطير جمع الجمع. قوله أوفق لأن وزن أُفعولة يستعمل فيما يتلهى به قولًا كان أو فعلًا نحو أحدوثة، و أعجوبة، و أضحوكة. (بيضاوي و خفاجي)

(٤٨) أفلا تذَكّرون ـ بتخفيف الذال، حمزة، و علي، و حفص، و خلف، و بتشديد الذال غيرهم. و تشديد الكاف باتفاق القراء. و الأصل تتذكّرون ، فالقراء ة الأولى بحذف إحدى التائين، والقراء ة الثانية بإدغام التاء الثانية في الذال بعد الإبدال.

(٤٩) جاء هنا (سيقولون لله) ثلاث مرات. فالأولى "لِلّٰه" باللام ، بإجماع القرآء ، و قرأ أبو عمرو البصري ، و يعقوب البصري في الموضعين الثاني والثالث بحذف=

لأنك إذا قلت: من رب هذا؟ فمعناه لمن هذا؟ فيجاب لفلان كقول الشاعر:

إذا قيل من رب المزالف والقرى ★ ورب الجياد الجرد قيل لخالد.

أي لمن المزالف. ومن قرأ بحذفه فعلى الظاهر لأنك إذا قلت: من رب هذا؟ فجوابه فلان ﴿بَلْ أَتَيْنٰهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل ﴿وَإِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ﴾ في قولهم اتخذ اللّٰه ولداً ودعائهم الشريك. ثم أكد كذبهم بقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ وَّلَدٍ﴾ لأنه منزه عن النوع والجنس؛ وولد الرجل من جنسه ﴿وَّمَا كَانَ مَعَهٗ مِنْ إِلٰهٍ﴾ وليس معه شريك في الألوهية ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفرد كل واحد من الآلهة بالذي خلقه فاستبدبه ولتميّز ملك كل واحد منهم عن الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ﴾ ولغلب بعضهم بعضاً كما ترون حال ملوك الدنيا، ممالكهم متمايزة وهم متغالبون، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء، ولا يقال «إذاً» لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب وههنا وقع «لذهب» جزاء وجواباً ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل لأن الشرط محذوف وتقديره: ولو كان معه آلهة لدلالة «وماكان معه من إله» عليه وهو جواب لمن حآجَّه من المشركين(٥٠) ﴿سُبْحٰنَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُوْنَ﴾ من الأنداد والأولاد.

﴿عٰلِمِ﴾ بالجر صفة للّٰه، وبالرفع مدني وكوفي غير حفص خبر مبتدأ محذوف ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾ من الأصنام وغيرها﴿ قُلْ رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّيْ مَا

= اللام "اللّٰه" وفيهما موافقة السوال لفظًا، فإن السوال : من رب السموات" من بيده ملكوت كل شيء، و قرأ غيرهما في الأخيرين أيضًا "للّٰه" باللام الداخلة على اسم الجلالة. و فيهما موافقة السوال معنىً، يقال من ربّ هذه الدار و يراد لمن هذه الدار، و بالعكس أي يقال لمن الدار؟ و يراد مَن صاحبها؟ وهذا يحتاج إلى الاستشهاد من الاستعمال، فذكر البيت. و فيه لفظ السوال "من ربّ المزالف" و لفظ الجواب "لخالد" لأن مراد السوال لمن المزالف؟ و ذكر الثعلبي في عكسه:

وأعلم أنني سأكون رَمسًا ــ إذا سار النواعج لا يسير

فقال السائلون لمن حفرتم؟ ــ فقال المخبرون لهم وزير

قال: فأجاب المخفوض بمرفوع ، لأن معنى الكلام "فقال السائلون مَن الميت؟ فقال المخبرون: الميت وزير، فأجاب عن المعنى ـ اه ـ الكشف و البيان للثعلبي ـ النواعج من الإبل: البيض الكريمة. و بمعنى السّراع أيضًا، نعجت الناقة (بفتح العين) في سيرها: أسرعت. (لسان العرب) والرمس، القبر والفعل بمعنى الدفن، والمذكور في البيت يجدر أن يكون مصدرًا بمعنى اسم المفعول أي المدفون.

قوله المزالف في لسان العرب: المَزالف والمَزْلَفة: البلد، و قيل: القرى التي بين البر والبحر ، كالأنبار، والقادسية، و نحوهما قوله الجياد. جادَ الفرس، أي صار رائعًا يجود جُودة، بالضم، فهو جواد، للذكر والأنثى من خيل جِياد، و أجياد، و أجاويد قوله الجُرُد، جمع أجرد. فرس أجرد: قصير الشعر، و قد جرِد و انجَرَدَ، و كذلك غيره من الدواب، و ذلك من علامات العِتُق والكرَم. اه.

قوله فاستبدّ به أي فاستقلّ به تصرفًا و ملكًا. قوله إذًا لا تدخل إلّا ـ الخ ـ هذا على مذهب الفرّاء من أنّ إذن جواب و جزاء دائمًا لشرط ملفوظ أو مقدر (خفاجي)

(٥٠) قوله وهو جواب لمن حاجّه ـالخ ـ و هذا البرهان قطعي، فإن التجربة شاهدة عليه. والتجربيات من اليقينات والقطعيات. ولا يضُرّ القطعَ إمكانُ خلافها عقلًا، بل لا يضُرّه وقوعُ خلافها أحيانًا، كما قررُنا في قوله تعالى: لو كان فيهما آلهة إلّا اللّٰه لفسدتا. (سورة الأنبياء ـ ٢٢)

يُوْعَدُوْنَ ﴿٩٣﴾ «ما» والنون مؤكدان أي إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِيْ فِي الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٩٤﴾﴾ أي فلا تجعلني قريناً لهم ولاتعذبني بعذابهم، عن الحسن رضي الله عنه: أخبره أن له في أمته نقمة ولم يخبره متى وقتها، فأمر أن يدعو هذا الدعاء.ويجوز أن يسأل النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهاراً للعبودية وتواضعاً لربه، واستغفاره عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلسه سبعين مرة لذلك(٥١)،والفاء في «فلا» لجواب الشرط و «رب» اعتراض بينهما للتأكيد ﴿وَاِنَّا عَلٰٓى اَنْ نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقٰدِرُوْنَ ﴿٩٥﴾﴾ كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه فقيل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتم فما وجه هذا الإنكار؟.

﴿اِدْفَعْ بِالَّتِيْ﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ اَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ هو أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال: ادفع بالحسنى السيئة والمعنى اصفح عن(٥٢)إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، وعن ابن عباس رضي الله عنهما:هي شهادة أن لا إله إلا الله . والسيئة : الشرك . أو الفحش بالسلام أو المنكر بالموعظة. وقيل: هي منسوخة بآية السيف. وقيل: محكمة إذ المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى ثلم دين ﴿نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَصِفُوْنَ ﴿٩٦﴾﴾ من الشرك أو بوصفهم لك وسوء ذكرهم فنجازيهم عليه ﴿وَقُلْ رَّبِّ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزٰتِ الشَّيٰطِيْنِ ﴿٩٧﴾﴾ من

قوله ما والنون مؤكدان أي في قوله إمّا تُرِيَنِّي. أصله إنْ تُرِني، إن شرطية، و ما زائدة للتأكيد، و إن الشرطية إذا تأكدت بـ"ما" حسُن التأكيد في الفعل المضارع بالنون الثقيلة كما في قوله تعالى: فإمّا يأتينّكم منِّي هدًى (البقرة ٣٨) فإمّا تَرَيِنَّ من البشر أحدًا (مريم ٢٦) ويرى المبرّد تأكيد المضارع بالنون الثقيلة مع "إمّا" لازمًا، بخلاف سيبويه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية م ٥٤٦هـ)

(٥١) قال البيضاوي: وهو إمّا لهضم النفس ، أو لأن شؤم الظَّلَمة قد يحيق (أي ينزل) بمن وراء هم كقوله تعالى: واتقوا فتنة لا تصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة. (الأنفال ٢٥) ـ اهـ ـ و جاء في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي و صححه "وإذا أردتَّ بقومي فتنةً فتوَفَّنى إليكَ غيرَ مَفْتُون". (ابن كثير)

(٥٢) قوله اصفح. صفح عنه: أعرض عن ذنبه، و بابه قطَع. و ضرب عنه صَفُحا: أعرض عنه و تركه ـ اهـ ـ مختار الصحاح.

قوله مقابلتها، معطوف على إساء تهم، والباء في " بما أمكن" للاستعانة، و في الكشاف: والمعنى الصفح عن إسائتهم، ومقابلتُها بما أمكن من الإحسان ـ اهـ ـ وهذا واضح ، والمقابلة معطوف على الصفح، والباء للمقابلة أي البدلية. و كلامه بعد ذلك يدل عليه قال: حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان و بذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة، و هذه قَضِيَّة قوله (أي مقتضى قوله) "بالتي هي أحسن". و عبارة المصنّف برُمّتها عبارة الكشاف سوى ما نقلت آنفًا عن الكشاف، تركه المصنّف تلخيصًا.

قوله المُداراة: في الحديث: "رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس" أي مُلايَنَتُهم، و حسنُ صحبتهم ، و احتمالُهم لئلّا ينفِروا عنك ـ اهـ ـ لسان العرب.

قوله ثَلُم دين، بفتح الثاء المثلثة و سكون اللام مصدر من باب ضرب، و مطاوعه ثلِم ثلَما بفتح اللام في المصدر من سمع. ثلم الحائطَ : أحدث فيه خللًا، والثُلْمة، بضم الثاء : الخلل.

وساوسهم ونخساتهم، والهمزة: النخس[٥٣]، والهمزات جمع الهمزة ومنه مهماز الرائض، والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب حثاً لها على المشي﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ أمر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً أو عند تلاوة القرآن أو عند النزع[٥٤] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ «حتى» تتعلق بـ«يصفون» أي لا يزالون يشركون إلى وقت مجيء الموت، أو لايزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما مذكور على وجه الاعتراض، والتأكيد للإغضاء عنهم مستعيناً بالله على الشيطان أن يستنـزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ أي ردوني إلى الدنيا خاطب الله بلفظ الجمع للتعظيم كخطاب الملوك﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الموضع الذي تركت وهو الدنيا لأنه ترك الدنيا وصار إلى العقبى،قال قتادة:ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولكن ليتدارك ما فرط. «لعلي» ساكنة الياء كوفي وسهل ويعقوب ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الرجعة وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ المراد

(٥٣) قوله والهمزة: النَّخْسُ (ف نِ ض) بفتح فسكون، الطَّعنُ. نخسَ الدابة وغيرها: غَرَز جنبها أو مؤخَّرها بعود و نحوه. و في الكشف للثعلبي: قال أهل المعاني: يعني دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، والهمز: شدة الدفع، و منه قيل للحرف الذي يخرج من هواء الفم للدفع "همزة" ـ اه ـ والمهماز : حديدة تُربط على مؤخر رِجل الفارس، و تسمّى "مهموزًا" لحثّ الدابة بنخسِها. والراضة كالسادة، جمع رائض ، و هو مَن يروضُ الخيل علي الجري. (خفاجي) راضَ المُهْرَ (ن) رَوضًا و رِياضةً و رياضًا : ذلّله وطوّعه و علّمه السير، فهو رائض والمُهر مَرُوض. (لسان العرب، مختار الصحاح وغيرهما) قوله والهمزات جمع همزة، قال البيضاوي : والجمع للمرات، أو لتنوّع الوساوس، أو لتعدّد المضاف إليه ـ اه ـ دفع به ما يقال : لمَ لم يتعوّذ من الهمزة الواحدة وهو أبلغ. (خفاجي)

(٥٤) أقوال للمفسرين ، والأولى هو التعميم، و ما ذُكر من تعيين الأوقات ليس للتخصيص، بل للاهتمام بتلك الأوقات لاشتداد همزاتهم فيها. و قال الإمام أحمد حدثنا يزيد، أخبرنا محمد بن إسحق، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهنّ عند النوم من الفزع "بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه، و من شر عباده، و من همزات الشياطين و أن يحضرون " قال: فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، و من كان منهم صغيرًا لا يعقل أو يحفظها كتبها له فعلّقها في عنقه. و رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث محمد بن إسحٰق، و قال الترمذي حسن غريب. (ابن كثير)

قوله للإغضاء عنهم، أي الصفح المطلوب بقوله (ادفع بالتي هي أحسن) و أصل الإغضاء غضّ الجفن، فجعل كناية عن الصفح. قوله أن يستنـزله عن الحلم، أي يطلب نزوله عن الحلم، و في الكشاف، و عنه في المفاتيح: أن يستزلّه عن الحلم أي يطلب زَلّته عنه. قوله يُغريه أي يحرّضه.

قوله ردّوني إلى الدنيا. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم لعائشة: إذا عاين المومن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول : إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قَدِماني إلى الله.

و أمّا الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت ـ الآية. (جامع البيان)

قوله لعلّي ساكنة الياء، عاصم، و حمزة، وعلي، و يعقوب من العشرة، و سهل بن محمد و ليس من العشرة، والباقون بفتح الياء "لعلّيَ".

بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض(٥٥) وهو قوله: «رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت»﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾لامحالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والندم عليه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي أمامهم والضمير للجماعة ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لم يرد أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلي، لما علم أن لا رجوع بعد البعث إلا إلى الآخرة.﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾(٥٦) قيل: إنها النفخة الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وبالإدغام: أبو عمرو لاجتماع المثلين وإن كانا من كلمتين يعني يقع التقاطع بينهم حيث يتفرقون مثابين ومعاقبين ولا يكون التواصل بينهم بالأنساب إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، وإنما يكون بالأعمال.﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا لأن كلاً مشغول عن سؤال صاحبه بحاله.ولاتناقض بين هذا وبين قوله: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ» [الصافات:٢٧] فللقيامة مواطن. ففي موطن يشتد عليهم الخوف فلا يتساءلون، وفي موطن يفيقون فيتساءلون.﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمع موزون وهي الموزونات من الأعمال الصالحة التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قوله:«فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا»

(٥٥) يعني ليس المراد بها معناها المشهور لغة واصطلاحًا، بل هي هنا بمعنى الكلام ، كما يقال: كلمة الشهادة. وهي في هذا المعنى مجاز عند النحاة. و أمّا عند أهل اللغة فقيل: إنه حقيقة، و قيل مجاز مشهور. (خفاجي)
قوله لا محالة بفتح الميم، بمعنى لا بدّ، ولا ريب، والتأكيد مستفاد من اسمية الجملة، و تقديم الضمير أي "هو".
قوله لا يخلّيها أي لا يتركها. لعله أخذ معنى دوام القول من كون الجملةِ اسميةً، والخبرِ اسمَ فاعلٍ، أي قول تلك الكلمة من عادته و دابه. والعبارة للكشاف.
قوله أمامهم، يعني وراء هنا بمعنى أمام، لأنه كل ما واراك، أو من الأضداد. والمراد بالجماعة الكفار. (خفاجي)

(٥٦) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره: هذا عند النفخة الأولى، و ذلك أن الناس بأجمعهم يموتون فلا يكون بينهم نسب في ذلك الوقت وهم أموات. قال ابن عطية: وهذا التأويل يُزيل ما في الآية من ذكر هول المحشر. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وغيره: إنّه عند النفخة الثانية، وقيام الناس من القبور ، فهم حينئذ لهول المطلع قد اشتغل كل امرئ بنفسه. اهـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي.
أخرج ابن المبارك في الزهد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ـــ و في لفظ: يوخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين ـــ ثم ينادي مناد: ألا إن هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قِبَله فليأت إلى حقه. فيفرح ـ واللهِ ـ المرءُ أن يكون له الحق على والده أو زوجته، و إن كان صغيرًا. و مصداق ذلك في كتاب الله. (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)
وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : إنّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي، و سببي، و صهري. و أخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسو ل الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : كل نسب و صهر ينقطع يوم القيامة إلّا نسبي و صهري. (الدر المنثور) و أورد ابن كثير أحاديث أُخر في هذا المعنى.
قوله فلا نقيم لهم يوم القيٰمة وزنًا. أي الأعمال الصالحة للكفار توزن لكن لا يكون لها قدر و اعتداد عند الله، و أعمال المؤمنين يكون لها قدر و اعتداد عند الله. هذا =

[الكهف:١٠٥] ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهٗ﴾ بالسيئات والمراد الكفار ﴿فَأُولَٰٓئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْٓا اَنْفُسَهُمْ﴾ غبنوها ﴿فِيْ جَهَنَّمَ خٰلِدُوْنَ۝﴾ بدل من «خسروا أنفسهم» ولا محل للبدل والمبدل منه لأن الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لـ«أولئك» أو خبر مبتدأ محذوف ﴿تَلْفَحُ﴾ أي تحرق ﴿وُجُوْهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيْهَا كٰلِحُوْنَ۝﴾ عابسون(٥٧).

فيقال لهم: ﴿اَلَمْ تَكُنْ اٰيٰتِيْ﴾ أي القرآن ﴿تُتْلٰى عَلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُوْنَ۝﴾ وتزعمون أنها ليست من الله تعالى. ﴿قَالُوْا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ ملكتنا ﴿شِقْوَتُنَا﴾ «شقاوتنا» حمزة وعلي وكلاهما مصدر أي شقينا بأعمالنا السيئة التي عملناها. وقول أهل التأويل غلب علينا ما كتب علينا من الشقاوة لا يصح، لأنه إنما يكتب ما يفعل العبد وما يعلم أنه يختاره ولا يكتب غير الذي علم أنه يختاره فلا يكون مغلوباً ومضطراً في الفعل، وهذا لأنهم إنما يقولون ذلك القول اعتذاراً لما كان منهم من التفريط في أمره فلا يجمل أن يطلبوا لأنفسهم عذراً فيما كان منهم ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّيْنَ۝﴾ عن الحق والصواب ﴿رَبَّنَآ اَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي من النار ﴿فَاِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فَاِنَّا ظٰلِمُوْنَ۝﴾ لأنفسنا. ﴿قَالَ اخْسَئُوْا فِيْهَا﴾ اسكتوا سكوت ذلة وهوان ﴿وَلَا تُكَلِّمُوْنِ۝﴾ في رفع العذاب عنكم فإنه لايرفع ولا يخفف.قيل:هو آخر كلام يتكلمون به ثم ، و لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير(٥٨) «أن يحضروني» . ارجعوني «ولا تكلموني»بالياء في الوصل والوقف:يعقوب وغيره بلا ياء ﴿اِنَّهٗ﴾ إن الأمر والشأن ﴿كَانَ فَرِيْقٌ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أحد القولين والقول الثاني كما ذكر البيضاوي أن أعمال الكفار لاتوزن لانحباطها و سبق الكلام في وزن الأعمال و كيفيته في سورة الأنبياء تحت قوله تعالى: و نضع الموازين القسط ليوم القيٰمة الآية. ٤٧.

قوله غبنوها. أي جعلوها ناقصة الحظوظ، فاقدة الأصل. والغَبْن بيع المتاع بأنقص من قيمته، واستعير هنا لصرف العمر في الحظوظ الفانية دون الباقية، و إبطال استعداد الصلاح والإيمان بالانهماك في الشهوات والضلالات.

(٥٧) قوله عابسون. به فسّر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم — و أخرج ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، والترمذي و صحّحه، و ابن أبي الدنيا في صفة النار، و أبو يعلى، وابن المنذر ، و ابن أبي حاتم، و الحاكم وصحّحه، وابن مردويه، و أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم في قوله (تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون) قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، و تسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرّتَه. (الدر المنثور)

قوله شقاوتنا، بفتح الشين والقاف وألف بعدها حمزة وعلي الكسائي و خلف. والباقون بكسر الشين و إسكان القاف بلا ألف. اه. إكليل.

(٥٨) حكاه الثعلبي عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنه. وفي المعنى أثر موقوف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وحديث مرفوع عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه (الدر المنثور) شبهت أصواتهم بصوت الحمير. والزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره. (تفسير النسفي، سورة هود ـ ١٠٦)

﴿مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ مفعول ثان وبالضم:مدني وحمزة وعلي،وكلاهما مصدر سخر كالسخر إلا أن في ياء النسبة مبالغة. قيل: هم الصحابة رضي الله عنهم. وقيل: أهل الصفة خاصة و معناه اتخذتموهم هزوا و تشاغلتم بهم ساخرين ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ﴾ بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ﴿ذِكْرِي﴾ فتركتموه أي كان التشاغل بهم سبباً لنسيانكم ذكري ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم. ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي لأنهم ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٥٩) ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً أي جزيتهم اليوم فوزهم لأن جزى يتعدى إلى اثنين «وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً» [الدهر: ١٢] «انهم» حمزة وعلي على الاستئناف أي إنهم هم الفائزون لا أنتم.

﴿قَالَ﴾أي الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة. «قل» مكي وحمزة وعلي. أمر لمالك أن يسألهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ أي كم عدد سنين لبثتم فكم نصب بـ «لبثتم» و «عدد» تمييز ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها؛ لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله مصدر سخر، من سمع ، قوله كالسخر، بفتح فسكون، و بفتحتين و بضم فسكون أيضًا، في لسان العرب: سخِر منه و به سَخُرًا، و سَخَرا، و مَسْخَرا و سُخْرًا، بالضم ـ و سُخرة، و سِخْرِيًّا، و سُخْرِيًّا، و سُخْرِيّة: هزأ به ـ اهـ ـ

قوله مبالغة. كالخصوص و الخصوصية، كما زيدت في أحمرِيّ. (خفاجي)

قوله أهل الصفة، فقراء المهاجرين و من لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا ياوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة. قال الكرماني: وهو بضم صاد، و تشديد فاء. وهم زهّاد من الصحابة فقراء غرباء، و كانوا سبعين، و يَقِلّون حينًا و يكثرون. اهـ ـ إكليل.

قوله أي كان التشاغل بهم ـ الخ ـ إشارة إلى أن إسناد الإنساء إليهم بطريق المجاز. قوله إنّي جزيتهم. استيناف لبيان حسن حالهم و أنهم انتفعوا بما آذوهم.

قوله بصبرهم إشارة إلى أن ما مصدرية والباء للسببية. قوله و جزاهم بما صبروا جنة (و حريرًا) ـ سورة الإنسان : ١٢ـ

(٥٩) قوله إنهم هم الفائزون ، بكسر إن، والجملة مستانفة يظهر منها سبب جزاء هم ، والمفعول الثاني لقوله "جزيتُهم" مقدر نحو النعيمَ المقيم أو بالنعيم المقيم فإن جزى يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه و بالباء، و أنهم بفتح أن. في إعرابه وجهان الأول أنه مجرور محلًّا بتقدير اللام فيكون تعليلًا للجزاء، و هذا المعنى موافق لقراء ة الكسر، و لذا اختاره المصنّف، والثاني أنه منصوب محلًّا لكونه ثاني مفعولي جزيتهم كما ذكره المصنّف بقوله و يجوز أن يكون الخ ـ

قوله لا أنتم إشارة إلى أنّ قصر الصفة على الموصوف في قوله "انهم هم الفائزون " (بتعريف الخبر مع تقديم المسند إليه و التأكيد بصيغة الفصل) قَصرُ قلب ردًّا على زعم المخاطبين زيادةً لحسرتهم.

قوله فكم نصب ـ الخ ـ أي هو منصوب المحل على أنه ظرف زمان. والناصب هو الفعل المذكور بعده.

قوله استقصره ـ استقصرالشيء: عدّه قصيرًا، استطاله: حسبه و عدّه طويلًا.

أيام الدعة ﴿فَسْـَٔلِ الْعَآدِّيْنَ﴾أي الحساب أو الملائكة الذين يعدون أعمار العباد وأعمالهم «فسل»بلاهمز:مكي وعلي ﴿قٰلَ اِنْ لَّبِثْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا﴾ أي ما لبثتم إلا زمناً قليلاً أو لبثاً قليلاً ﴿لَّوْ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾ صدقهم الله تعالى في تقالّهم لسني لبثهم في الدنيا وبّخهم على غفلتهم التي كانوا عليها «قل إن» حمزة وعلي ﴿اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمَا خَلَقْنٰكُمْ عَبَثًا﴾ حال أي عابثين أو مفعول له أي للعبث ﴿وَّاَنَّكُمْ اِلَيْنَا لَا تُرْجَعُوْنَ﴾ وبفتح التاء وكسر الجيم: حمزة وعلي ويعقوب وهو معطوف على «أَنَّمَا خلقناكم»أو على«عبثاً»أي للعبث ولنترككم غير مرجوعين بل خلقناكم للتكليف، ثم للرجوع من دار التكليف إلى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء ﴿فَتَعٰلَى اللّٰهُ﴾ عن أن يخلق عبثاً ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك لأن كل شيء منه وإليه، أو الثابت الذي لايزول ولا يزول ملكه ﴿لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ﴾ وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين. وقرىء شاذاً برفع «الكريم» صفة للرب تعالى.

﴿وَمَنْ يَّدْعُ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ لَا بُرْهَانَ﴾ أي لا حجة ﴿لَهٗ بِهٖ﴾ اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك: من أحسن إلى زيد – لا أحق بالإحسان منه – فإن الله مثيبه أو صفة لازمة(٦٠) جيء بها للتوكيد كقولك «يطير بجناحيه» لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان ﴿فَاِنَّمَا حِسَابُهٗ﴾ أي جزاؤه وهذا جزاء الشرط ﴿عِنْدَ رَبِّهٖ﴾ أي فهو يجازيه لا محالة ﴿اِنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ جعل فاتحة السورة «قد أفلح المؤمنون» وخاتمتها «إنه لا يفلح الكافرون» فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة. ثم علمنا سؤال المغفرة والرحمة بقوله ﴿وَقُلْ رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ ثم قال ﴿وَاَنْتَ خَيْرُ الرّٰحِمِيْنَ﴾ لأن رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله الدعة: الراحة و خفض العيش من وَدُع وَداعة. (ك ف): إذا صار إلى الدعة والسكون. والإعلال في "الدّعة" كما في "السّعة" قوله و قرئ شاذًا ـ الخ ـ قال القرطبي : و قرأ ابن مُحَيْصِن ، و رُوي عن ابن كثير، "الكريم" بالرفع نعتًا لله.

(٦٠) قوله صفة لازمة ، أي الإله الآخر يلزمه صفة الخلو عن البرهان. فقوله "لا برهان له به" ليس للتقييد والتخصيص بل لأنه من الصفات اللازمة لإله آخر مثل "يطير بجناحيه" في قوله تعالى: و ما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أمم أمثالكم. (الأنعام: ٣٨) و توصيف " إلهًا آخر" بالصفة اللازمة المذكورة أي جملة " لا برهان له به" للتأكيد.

قوله شتانَ، اسم فعل بمعنى بَعُدَ. والله تعالى أعلم و صلّى الله تعالى على رسوله الأكرم و على آله و صحبه وسلم.

[تمّ سحر الثالث من شوال سنة ١٤٢٧هـ المصادف ٢٦/ من أكتوبر سنة ٢٠٠٦م على الساعة الرابعة و خمس عشرة دقيقة]

سورة النور مدنية وهي ستون وأربع آيات

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿سُورَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة ﴿أَنزَلۡنَٰهَا﴾ صفة لها. وقرأ طلحة[١] «سورةً» على «زيدا ضربته» أو على «اتل سورة». والسورة: الجامعة لجمل آيات بفاتحة لها وخاتمة. واشتقاقها من سور المدينة ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾أي فرضنا أحكامها التي فيها. وأصل الفرض القطع أي جعلناها مقطوعاً بها. وبالتشديد: مكي وأبو عمرو للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأن فيها فرائض شتى، أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ أي دلائل واضحات[٢]﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ۝﴾ لكي تتعظوا. وبتخفيف الذال: حمزة وعلي وخلف وحفص. ثم فصل أحكامها فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ رفعهما على الابتداء والخبر محذوف أي فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي جلدهما، أو الخبر ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ ودخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط وتقديره: التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه.وكقوله:«وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ »[٣]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

سورة النور

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي ـ بالتحتانية ـ الكوفي، ثقة فاضل يقال له سيد القراء، مات سنة اثنتي عشرة أو بعدها بعد المأة. اه. إكليل. و قراء ته "سورة" بالنصب شاذة. والنصب إمّا على تقدير فعل يفسره ما بعد المنصوب نحو "زيدًا ضربته"، و إمّا على تقدير فعل يفهم من المقام نحو "أُتْلُ" والقراء ة المتواترة "سورة" بالرفع على أنه خبر، و المبتدأ مقدر، كما ذكر المصنّف.

قوله السورة الجامعة ـ الخ ـ قال المصنّف في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة) : والسورة: الطائفة من القرآن، المترجمة التي أقلها ثلاث آيات. و واوها إن كانت أصلًا فإمّا أن تسمى بسور المدينة، وهو حائطها، لأنها طائفة من القرآن محدودة مَحُوزة على حيالها كالبلد المسور ـــــ أولأنها محتوية على فنون من العلم، وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها ـــ و إمّا أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب، يترقى فيها القارئ، وهي أيضًا في نفسها مرتبة، طوال، و أوساط، و قصار. أو لرفعة شأنها و جلالة محلها في الدين ـــ و إن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة و طائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء. الخ ـ

قوله بالتشديد، أي بتشديد الراء من باب التفعيل، قرأه ابن كثير المكي و أبو عمرو البصري، والباقون بتخفيف الراء من المجرد، و التفعيل من خواصه المبالغة في الكم أو الكيف فالمعنى الأول بالنظر إلى الكيف، و الأخيران بالنظر إلى الكم لكثرة فرائضها أو لكثرة مَن فُرِضَتْ عليهم.

(٢) ذكر الله سبحانه في هذه السورة أنواعًا من الأحكام والحدود ، و عدة من دلائل التوحيد فقوله "و فرضناها" إشارة إلى الأحكام، و قوله "و أنزلنا فيها آيات بينات" إشارة إلى ما بين فيهامن الدلائل. و قوله "لعلكم تذكّرون" يتعلق بهما، فإنّ التذكر في الأحكام يبعث على العمل بها، والتذكر في الدلائل يبعث على الاعتقاد بما دلت عليه.

(٣) قالت النحاة في باب الاشتغال في نحو "زيدًا ضربتُه" بجواز النصب والرفع في الاسم. أمّا النصب فعلى تقدير فعل ناصب مثل ضربتُ أو ما يناسبه. و أمّا الرفع فعلى أن الاسم مبتدأ، و ضربتُه خبره. و الرفع هنا أحسن عندهم =

[النور:٤]. وقرأ عيسى بن عمر بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من «سورةً أنزلناها»لأجل الأمر. ﴿كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ الْجَلد: ضرب الجِلد وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الألم إلى اللحم. والخطاب للأئمة لأن إقامة الحد من الدين وهي على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم، وهذا حكم حر ليس بمحصن

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= من النصب، للسلامة من الحذف والتقدير، و لصحة كون الجملة الخبرية خبرًا بلا تأويل. و كذا قالوا بجواز الرفع والنصب في نحو "زيدًا اضربُه" مما يقع الأمر أو النهي بعد الاسم الذي يشتغل الفعل عنه بضميره. لكن المختار هنا النصب، لأن ما قبل الأمر والنهي من مواقع الفعل، و إذا جُعل الاسم مرفوعًا بالابتداء يكون الإنشاء خبرًا عنه، و ذا لا يكون إلّا بتأويل.

فظاهر قوله تعالى:السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوْا أَيْدِيَهِمَا، و قوله تعالى: الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما، يُرى أنهما ممّا يُختار فيه النصب لوقوع الأمر بعد الاسم. لكنّ القراء اتِ المتواترة متوافقة على الرفع في الموضعين. و هذا يقتضي أن لا يكونا من المواضع التي يختار فيها النصب ، فإن القرآن جاء على أفصح اللغات و أحسن الوجوه.

ولذا قال سيبويه : إنهما ليسا من تلك المواضع، بل هنا جملتان، الأولى السارق والسارقة ـــ الزانية والزاني، على أن يكون الاسم في الموضعين مبتدأ، و الخبر مقدرًا ، و تقدير الكلام هكذا : فيما يجب عليكم أو فيما يتلى عليكم حكم السارق والسارقة، أو حكم الزانية والزاني، بتقدير مضاف في جانب المبتدأ ، و الجملة الثانية ما بعد ذلك الاسم مشتملًا على بيان الحكم و تفصيله.

و قال المبرد: الكلام جملة، و الفاء للسببية، دخلت الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط بناء على أن اللام في المبتدأ موصولة لا حرف تعريف، و المعنى: الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ـ الخ ـ والتي زنت والذي زنى فاجلدوا ـ الخ ـ و هذه الفاء تمنع ما بعدها من العمل فيما قبلها بالاتفاق، والأمر في هذا الموقع يقع خبرًا للمبتدأ بلا تأويل. و ليست هيالفاء التي يعمل ما بعدها فيما قبلها كما في "و رَبَّكَ فَكَبِّرْ" ليصح النصب بالتسليط لما بعدها.

و بسط سيبويه (م نحو، ١٨٠ھ) هذا المقام في "الكتاب" (١/٢٠٠ ـ ٢٠٦بتحقيق محمد كاظم البكّاء طبعة ١٤٢٥ھ) فليراجع إليه. و ما ذكر المصنّف هنا من الإعرابين هو بالنظر إلى القولين المذكورين. و قد ذكرهما ابن الحاجب (م ٦٤٦ھ) أيضًا في الكافية في آخر مبحث "ما أضمر عامله على شريطة التفسير".

قوله عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري. أخذ عنه الخليل و سيبويه ، وله الكتاب الجامع في النحو. توفي سنة تسع و أربعين و مأة ـــ إكليل.

قوله "سورة أنزلناها" بنصب سورةً كما قرأ في الشواذ طلحة بن مصرف اليامي. الجملة الفعلية هنا خبرية والمختار في مثل هذا التركيب هو الرفع.

قوله لأجل الأمر، علة لكونه أحسن،لأنه في باب "الاشتغال" يختار النصب إذا كان بعده أمر، إذ لو رفع على الابتداء يلزم وقوع الإنشاء خبرًا، وهو لا يكون بدون تأويل (خفاجي) هذه القراء ة أيضًا شاذة. والقراءة المتواترة هي القرآن الثابت. وليس هذا المقام من مواضع اختيار النصب بل هنا جملتان ، إحداهما جملة خبرية مركبة من خبر مقدم و مبتدأ مؤخّر. والثانية جملة إنشائية أو هنا جملة واحدة مشتملة على مبتدأ يتضمّن معنى الشرط و على خبر صدره الفاء. كما صرّح به أئمة النحو. و سبق مفصّلًا.

قوله ليس بمحصن، المحصن بمعنى المتزوج بفتح الصاد، قال ابن الأعرابي: كلام العرب كله على "أَفْعَلَ" فهو مُفْعِل (بكسر العين) إلّا ثلاثة أحرف: أحصَن فهو محصَن، و أَلْفَجَ فهو مُلْفَج، و أسهب في كلامه فهو مُسْهَب. زاد ابن سِيُده: و أسهم فهو مُسْهَم. والمحصن بمعنى العفيف بفتح الصاد و كسرها. و كذا كل امرأة عفيفة فهي مُحصَنةٌ و محصِنة (بالفتح والكسر) و كل امرأة متزوجة محصَنةٌ بالفتح لا غير (لسان العرب)

إذ حكم المحصن الرجم. وشرائط إحصان الرجم: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والتزوج بنكاح صحيح والدخول. (٤) وهذا دليل على أن التغريب غير مشروع لأن الفاء إنما يدخل على الجزاء وهو اسم للكافي، والتغريب المروي منسوخ بالآية كما نسخ الحبس والأذى في قوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البيوت» وقوله: «فَآذُوهُمَا» (٥) [النساء: ١٥] بهذه الآية.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله إذ حكم المحصن الرجم. وقد ثبت بالسنة القطعية لتواترها معنىً، و لا عبرة بإنكار الخوارج الرجم.

قوله و شرائط إحصان الرجم، قيّد بإحصان الرجم لأن إحصان القذف غير هذا كما سيأتي. والإضافة في شرائط الإحصان بيانية. أي الشرائط التي هي الإحصان. والحاصل أن الإحصان الذي هو شرط الرجم هو الأمور المذكورة فهي أجزاؤه، وهو هيئة تكون باجتماعها، فهي أجزاء علة، و كل جزء علة، فكل واحد حينئذ شرط وجوب الرجم، والمجموع علة لوجود الشرط المسمّى بالإحصان. اه. فتح القدير لابن الهمام.

(٤) هذه ستة، والسابع أن يكون كل واحد من الزوجين مساويًا للآخر في شرائط الإحصان وقت الإصابة بحكم النكاح، و هذا الشرط عندنا خلافًا للشافعي ، و في شرط الإسلام أيضًا يخالفنا الشافعي، و كذا أبو يوسف في رواية و به قال أحمد، و قول مالك كقولنا. و الجمع بين الجلد والرجم في المحصن قول أهل الظاهر و رواية عن أحمد، و عندنا لا يجمع وهو قول مالك والشافعي كما ذكر القرطبي و ابن كثير. والجمع في البكر بين الجلد و تغريب عام ـ أي النفي من البلد ـ قول الشافعي، و أحمد، و الثوري، والأوزاعي، ومالك في آخرين. وعندنا لايجمع، نعم إن رأى الإمام فيه مصلحة فله أن يفعل ذلك سياسة لا حدا، و عليه نحمِل الحديث المروي في ذلك. و البسط في كتب الفقه.

قوله التغريب غير مشروع أي بطريق الحد، أمّا بطريق التعزير والسياسة فهو ثابت بالسنة و عمل الصحابة. و روى البخاري عن أبي هريرة رضي اللّه تعالى عنه "أن رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام و بإقامة الحدّ عليه. هذا ظاهر في أنّ النفي ليس في الحد، لعطفه عليه". فجاز كونه تغريبًا لمصلحة. و قوله عليه السلام: "خذوا عنّي فقد جعل اللّه لهنّ سبيلًا: البكر بالبكر جلد مأة و تغريب عام، والثيب بالثيب جلد مأة و رجم أو رمي بالحجارة" (الإمام أحمد، ومسلم، و أبو داؤد ، والترمذي، و ابن ماجة و غيرهم بألفاظ متقاربة من حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه تعالى عنه) لايدلّ أن التغريب له بطريق الحد. بل أقصى ما فيه من دلالة أنه عطف واجب على واجب. و حديث أبي هريرة يدلّ أن التغريب ليس بطريق الحد. و هو المدّعى فإنّا لاننكر التغريب الذي يكون لمصلحة رآها الإمام، كما سبق ذكره.

قوله وهو اسم للكافي. قال فيالهداية: لنا قوله تعالى فاجلدوا ـ الآية ـ جعل الجلد كل الموجَب، رجوعًا إلى حرف الفاء، و إلى كونه كل المذكور ـ اه ـ يعني أنّ ما ذكر وقع موقع الجزاء، مبيّنًا لما يترتب على الزنا، و يجازىٰ به. فلا بد أن يكون جميع جزآئه، و إلّا كان تجهيلًا في مقام البيان، فكأنه قيل: ليس له إلّا الجلد، و حينئذ يعارضه الحديث إذا كان معناه أن التغريب من الحد. لأن الآية تبيّن أن جزائه ليس إلّا الجلد، وهذا ينافي أن يكون التغريب من الحدّ و لا يمكن أن يعتبر الحديث ناسخًا للآية؛ لأن الحديث من الآحاد، و إن تلقّوه بالقبول، والآحاد لا تصلح لنسخ ما في الكتاب، و يصح العكس ، أي نسخ الكتاب للحديث ولو كان متواترًا، فكيف بما هو من الآحاد، و شطرُه (أي جمعُ الجلد والرجم على المحصن) منسوخ باتّفاق الحنفية والقائلين بمشروعية التغريب حدًّا. فهو دون الآحاد التي ليس جزء منها منسوخًا. والحاصل أن ذلك الحديث لا يصلح لإثبات التغريب بطريق الحد معارضًا لما في الآية.

(٥) والّتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفّٰهنّ الموتُ أو يجعلَ اللّه لهن سبيلًا. والّذان يأتيٰنها منكم فآذوهما فإن تابا و أصلحا ، فاعرِضوا عنهما إنّ اللّه كان توّابًا رحيمًا. (النساء : ١٥–١٦)

﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٌ﴾ أي رحمة والفتح لغة وهي قراءة مكي. وقيل: الرأفة في دفع المكروه والرحمة في إيصال المحبوب. والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ولا يأخذهم اللين في استيفاء حدوده فيعطلوا الحدود أو يخففوا الضرب ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي في طاعة الله أو حكمه ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه،وجواب الشرط مضمر أي فاجلدوا ولا تعطلوا الحد﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا﴾ وليحضر موضع حدهما وتسميته عذاباً دليل على أنه عقوبة ﴿طَآئِفَةٌ﴾ فرقة يمكن أن تكون حلقة ليعتبروا وينزجرهو وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول شيء.وعن ابن عباس رضي الله عنهما:أربعة إلى أربعين رجلاً ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ۝٢﴾ من المصدقين بالله.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله والفتح لغة، أي فتح الهمزة "رأَفة" قرأه ابن كثير المكي، والباقون بالسكون، و جاء الفعل من ك و س و ف و نبّه بقوله في دين الله على أن الدين إذا أوجب أمرًا لم يصحّ استعمال الرافة في خلافه. (رازي)

قوله من باب التهييج. كما يقال "إن كنت رجلًا فافعل كذا" ولا شكّ في رجوليته، و كذا المخاطبون هنا مقطوع بإيمانهم لكن قصد تهييجهم و تحريك حميتهم و عزتهم لله، فلا يتوهم أنه ليس المحل محلّ "إن" لأنه ليس المقصود به الشك، بل التهييج لإبرازه في معرضه. (خفاجي)

قوله طائفة، الطواف في الأصل الدَّوَران أو الإحاطة كالطواف بالبيت. والطائفة في الأصل اسم فاعل مؤنث فهو إمّا صفة "نفس" فتطلق على الواحد، أو صفة "جماعة" فتطلق على ما فوقه، و هو كالمشترك بين تلك المعاني فيحمل في كل مقام على ما يناسبه بحسب القرائن. (خفاجي)

عن مجاهد قال: الطائفة الرجل إلى الألف، و قال عطاء: رجلان فصاعدًا، و حكي عن مالك والليث أربعة. لأن الشهود أربعة قال أبو بكر الرازي الجصاص: يشبه أن المعنى في حضور الطائفة ما قاله قتادة "أنه عظة و عبرة لهم" فيكون زجرًا له عن العود إلى مثله، ورَدْعًا لغيره عن إتيان مثله. والأولى أن تكون الطائفة جماعة يستفيض الخبر بها و يشيع، فيرتدع الناس عن مثله لأن الحدود موضوعة للزجر والردع. (أحكام القرآن)

(كيف يكون الثبوت و التنفيذ؟) قال في الهداية: الزنا يثبت بالبينة والإقرار، والمراد ثبوته عند الإمام ـ فالبيّنة أن تشهد أربعة من الشهود على رجل و امرأة بالزنا، لقوله تعالى: فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم. و إذا شهدوا يسألهم الإمام عن الزنا، ما هو ؟ و كيف هو ؟ و أين زَنى؟ و متى زنى؟ و بمن زنى ؟ ـــ فإذا بيّنوا ذلك و قالوا رأيناه وطيها في فرجها كالميل في المكحلة، و سأل القاضي عنهم فعُدّلوا في السر والعلانية حكم بشهادتهم ـــ والإقرار أن يقر البالغ العاقل على نفسه بالزنا أربع مرّات في أربع مجالس من مجالس المقر كلّما أقر ردّه القاضي ـ و عند الشافعي رحمه الله تعالى يكتفي بالإقرار مرّة واحدة ـ فإذا تم إقراره أربع مرّات سأله عن الزنا، ما هو؟ و كيف هو؟ و أين هو؟ و بمن زنى؟ فإذا بيّن ذلك لزمه الحد، لتمام الحجّة. فإن رجع المقر عن إقراره قبل إقامة الحد أو في وسطه قَبِل رجوعَه و خلّى سبيله ـــ و قال الشافعي رحمه الله تعالى: يقيم عليه الحد ـــ و يستحبّ للإمام أن يلقّن المقر الرجوع فيقول له: لعلّك لمست أو قبّلت.

و إذا وجب الحد وكان الزاني محصنًا رجمه بالحجارة حتى يموت ، لأنه عليه السلام رجم ماعزًا وقد أُحصن، و قال في الحديث المعروف: و زنًا بعد الإحصان. وعلى هذا إجماع الصحابة. و يخرجه إلى أرض فضاء، و يبتدئ الشهود برجمه، ثمّ الإمام، ثمّ الناس، فإن امتنع الشهود من الابتداء سقط الحد، لأنه دلالة الرجوع ، و كذا إذا ماتوا أو غابوا ـ في ظاهر الرواية ـ لفوات الشرط. =

﴿اَلزَّانِیۡ لَا یَنۡکِحُ اِلَّا زَانِیَۃً اَوۡ مُشۡرِکَۃً ۫ وَّ الزَّانِیَۃُ لَا یَنۡکِحُہَاۤ اِلَّا زَانٍ اَوۡ مُشۡرِکٌ ۚ﴾[٦] أي الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء وإنما يرغب في خبيثة من شكله، أو في مشركة. والخبيثة المسافحة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وإنما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة، أو المشركين. فالآية تزهيد في نكاح البغايا؛ إذ الزنا عديل الشرك في القبح،والإيمان قرين العفاف والتحصن وهو نظير قوله:«اَلۡخَبِیۡثٰتُ لِلۡخَبِیۡثِیۡنَ» [النور:٢٦] وقيل: كان نكاح الزانية محرماً في أول الإسلام ثم نسخ بقوله: «وَاَنۡکِحُوا الۡاَیَامٰی مِنۡکُمۡ» [النور:٣٢] وقيل: المراد بالنكاح الوطء، لأن غير الزاني يستقذر الزانية ولا يشتهيها وهو صحيح لكنه يؤدي إلى قولك «الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزنى بها إلا زان». وسئل صلى الله عليه وسلم عمن زنى بامرأة ثم تزوجها فقال: أوله سفاح وآخره نكاح. ومعنى الجملة الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر، و معنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفّاء و لكن للزناة و هما معنيان مختلفان. وقدمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً لأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= و إن كان مقرًا ابتدأ الإمام ثم الناس. و يغسل و يكفن و يصلّى عليه ــ و إن لم يكن محصنًا و كان حرًّا فحدّه مأة جلدة. يأمر الإمام بضربه بسوط لا ثمرة له ضربًا متوسّطًا، و يُنزع عنه ثيابه دون الإزار. و يفرق الضرب على أعضاء ه إلّا رأسه و وجهه و فرجه، و يضرب في الحدود كلها قائمًا غير ممدود ــ و إن كان عبدًا جلده خمسين جلدة لقوله تعالى: فعليهنّ نصف ما على المحصنات من العذاب، نزلت في الإماء. و الرجل والمرأة في ذلك سواء غير أن المرأة لا ينزع من ثيابها إلّا الفرو، والحشو، و تضرب جالسة. و إن حفر لها في الرجم جاز، و لا يحفر للرجل ـ اهـ ـ

(٦) يتوجّه هنا سوال. وهو أن قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلّا زانية أو مشركة) ظاهره خبر، ثمّ إنه ليس الأمر كما يشعر به هذا الظاهر، لأنا نرى أن الزاني قد ينكح المومنة العفيفة، والزانية قد ينكحها المومن العفيف و أجيب عنه بثلاثة أوجه: الأول أن اللفظ و إن كان عامًّا لكن المراد منه الأعم الأغلب، أي عادة الزاني عدم الرغبة في نكاح الصالحات، و كذا الزانية جرت العادة بعدم رغبة الصلحاء في نكاحها. و هذا الجواب منقول عن الضحاك و القفال، و قال الرازي إنه أحسن الوجوه.

الوجه الثاني أن نكاح الزانية كان محرمًا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: و أنكحوا الأيامى منكم (النور ـ ٣٢) و هذا الجواب مروي عن سعيد بن المسيب سيد التابعين رضي الله تعالى عنهم رواه عنه ابن أبي حاتم، و أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له، و غيرهما.

الوجه الثالث أنّ النكاح بمعنى الوطئ أي الزنا و (ذلك) إشارة إليه. و هذا مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. أخرجه أبو داؤد في ناسخه، و البيهقي في سننه، والضياء في المختارة و جماعة.

وتعقّب بأنا لو قلنا المراد أن الزاني لا يطأ إلّا الزانية فالإشكال عائد، لأنا نرى أن الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها، و لو قلنا المراد أن الزاني لا يطأ إلّا الزانية حين يكون وطؤه زنا، فهذا الكلام لا فائدة فيه. و أجيب بأنه إخبار خارج مخرج الغالب. أريد به تشنيع أمر الزنا، و لذلك زيدت المشركة.

ذكر المصنّف هنا الوجوه الثلاثة المذكورة والكلام هنا في كتب التفسير طويل.

قوله أوّله سفاح و آخره نكاح، والحرام لا يحرم الحلال، أخرجه الطبراني والدار قطني من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها. والسفاح بالكسر بمعنى الزنا، و الفعل من باب المفاعلة. و قوله: معنى الجملة الأولى الخ ـ دفع لما يتوهم أن الجملتين معناهما واحد.

والمرأة هي المادة التي منها نشأت تلك الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلاً في ذلك بدئ بذكرها. وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه لأنه الخاطب ومنه بدء الطلب. وقريء «لا ينكح» بالجزم على النهي، وفي المرفوع أيضاً معنى النهي ولكن أبلغ وآكد، ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى أن عادتهما جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها﴿ وَحُرِّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ۝ ﴾أي الزنا أو نكاح البغايا لقصد التكسب بالزنا أو لما فيه من التشبّه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة. ومجالسةُ الخطّائين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب.

﴿ وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ الْمُحْصَنٰتِ ﴾وبكسر الصاد:علي(٧)؛ أي يقذفون بالزنا الحرائر والعفائف المسلمات المكلفات. والقذف يكون بالزنا وبغيره والمراد هنا قذفهن بالزنا بأن يقول يا زانية لذكر المحصنات عقيب الزواني ولاشتراط أربعة شهداء بقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوْا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ أي ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشهدون على الزنا لأن القذف بغير الزنا بأن يقول يا فاسق يا آكل الربا يكفي فيه شاهدان وعليه التعزير. وشروط إحصان القذف: الحرية والعقل والبلوغ والإسلام والعفة عن الزنا. والمحصن كالمحصنة في وجوب حد القذف ﴿ فَاجْلِدُوْهُمْ ثَمٰنِيْنَ جَلْدَةً ﴾ إن كان القاذف حراً، ونصب«ثمانين» نصب المصادر كما نصب «مائة جلدة» و«جلدة» نصب على التمييز ﴿ وَّلَا تَقْبَلُوْا لَهُمْ شَهَادَةً اَبَدًا ﴾ نكر شهادة في موضع النفي فتعم كل شهادة. ورد الشهادة من الحد عندنا ويتعلق باستيفاء الحد أو بعضه على ما عرف، وعند الشافعي رحمه الله تعالى يتعلق رد شهادته بنفس القذف. فعندنا جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد

قوله البغايا، في المصباح: بغت المرأة تبغي بغاء، بالكسر والمد: فجرت، فهي بغيّ، والجمع بغايا، وهو وصف مختص بالمرأة، ولا يقال للرجل "بغي" قاله الأزهري ـ اه ـ إكليل.

قوله عديل أي المثل والنظير قوله العفاف: وهو الكفّ عن الحرام والتحصّن بمعنى العفاف.

قوله الأعفّاء جمع عفيف، نحو أحبّاء و حبيب قوله للزناة جمع زانٍ قوله ولم تومض له، أو مضت المرأة: سارقت النظر. لسان العرب.

قوله قرئ "لاينكح" بالجزم على النهي، هذا في الشواذ، قرأه عمرو بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه. إكليل.

قوله و حرم ذلك على المؤمنين، بين المراد من "ذلك" على ما ذكر من الأقوال في تفسير الآية.

قوله لسوء القالة ـ هي كما قاله الراغب كل قول فيه طعن، وقيل هي ما تيسر من القول، و قال الخليل: القالة تكون بمعنى القائلة. (خفاجي)

قوله لاقتراف الآثام أي لارتكاب الذنوب، قوله القحاب، جمع القحبة أي الفاجرة، في المصباح القحبة: المرأة البغيّ و الجمع قحاب مثل كلبة و كلاب.

(٧) قوله المحصنت. بكسر الصاد علي الكسائي، والباقون بالفتح. ذكر المصنّف هنا عدة أمور. (١) المراد بالرمي، و هو الرمي الخاص أي القذف بالزنا (٢) الدليل على هذا المراد (٣) شروط إحصان القذف. (٤) حكم قذف المحصن. (٥) جلد ثمانين حد القاذف الحر، و حدّ العبد على النصف منه.

الشهادة على التأبيد وهو مدة حياتهم ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز جزاء الشرط كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية. وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ تَابُوْا مِنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ أي القذف ﴿وَأَصْلَحُوْا﴾ أحوالهم، استثناء من الفاسقون ويدل عليه ﴿فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ أي يغفر ذنوبهم ويرحمهم. وحق الاستثناء أن يكون منصوباً عندنا لأنه عن موجب، وعند من جعل الاستثناء متعلقاً بالجملة الثانية أن يكون مجروراً بدلاً من «هم» في «لهم».

ولما ذكر حكم قذف الأجنبيات بين حكم قذف الزوجات فقال: ﴿وَالَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ أي يقذفون زوجاتهم بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به ﴿إِلَّآ أَنْفُسُهُمْ﴾ يرتفع على البدل من شهداء ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ﴾ بالرفع [٨] كوفي غير أبي بكر على أنه خبر و المبتدأ « فشهادة أحدهم » وغيرهم بالنصب لأنه في حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر، والعامل فيه المصدر الذي هو «فشهادة أحدهم» وعلى هذا خبره محذوف، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع ﴿شَهٰدٰتٍۭ بِاللّٰهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾لاخلاف في رفع الخامسة هنا في المشهور والتقدير: والشهادة

قوله إلّا الذين تابوا ـــ اختلف العلماء في هذا الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط و يبقى مردود الشهادة دائمًا و إن تاب. أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ و أمّا الجلد فقد ذهب وانقضى، سواء تاب أو أصر، ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف. فذهب الإمام مالك والشافعي و أحمد إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، و نصّ عليه سعيد بن المسيّب سيد التابعين، و جماعة من السلف أيضًا. و قال الإمام أبو حنيفة إنّما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، و يبقى مردود الشهادة أبدًا. و ممن ذهب إليه من السلف القاضي شريح، و إبراهيم النخعي، و سعيد بن جبير، و مكحول، و عبد الرحمٰن بن زيد بن جابر ، و قال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته و إن تاب، إلّا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته. (ابن كثير)

قوله و حقّ الاستثناء أن يكون منصوبًا عندنا لأنه عن موجب. المستثنى منه عندنا قوله (و أولئك هم الفٰسقون) كلام موجب، ليس فيه نفي أو نهي أو استفهام والمستثنى بعد ذلك يكون منصوبًا ، و من جعله مستثنى من قوله (ولا تقبلوا لهم شهادةً أبدًا) يكون عنده استثناء من كلام غير موجب و يكون بدلًا من "هم" في "لهم" فيكون مجرورًا.

(٨) القراءات:(١) فشهادة أحدهم أربعُ ـ بالرفع حفص، و حمزة، والكسائي و خلف. أربعَ بالنصب: الباقون (٢) أنْ لعنتُ ـ بإسكان أن بلاتشديد، و رفع لعنتُ ـ نافع و يعقوب، أنّ لعنتَ ـ بتشديد أنّ و نصب لعنتَ ـ الباقون. و وقف عليها بالهاء: ابن كثير، و أبو عمرو، و الكسائي و يعقوب، و الباقون بالتاء. (٣) والخامسةُ أنْ غضِبَ اللّٰه عليها، نافع، برفع الخامسة، و تخفيف أنْ، و غَضِبَ فعلًا ماضيًا، و رفع لفظ الجلالة على الفاعلية.
(٤) والخامسةَ أنّ غَضَبَ اللّٰه عليها ـ حفص ـ بنصب الخامسة، وتشديد أنّ، وغضَبَ اللّٰه، بلفظ المصدر المنصوب المضاف إلى اسم الجلالة المجرور.
(٥) والخامسةُ أنْ غَضَبُ اللّٰهِ عليها ـ يعقوب و كذا سهل و ليس من العشرة ـ برفع الخامسة و تخفيف أن، و غضَبُ اللّٰهِ، بلفظ المصدر المرفوع المضاف=

الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ فهي مبتدأ وخبر ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الْكٰذِبِيْنَ﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ ويدفع عنها الحبس وفاعل يدرأ ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهٰدٰتٍ بِاللهِ إِنَّهُ﴾ إن الزوج ﴿لَمِنَ الْكٰذِبِيْنَ﴾ فيما رماني به من الزنا ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَآ إِنْ كَانَ﴾ أي الزوج ﴿مِنَ الصّٰدِقِيْنَ﴾ فيما رماني به من الزنا. ونصب حفص «الخامسة» عطفاً على «أربعَ شهادات» وغيرُه رفعها بالابتداء و «أنَّ غَضَبَ الله » خبره.وخفف نافع «أنْ لعنةُ الله» و «أنْ غَضِبَ اللهُ» بكسر الضاد وهما في حكم المثقلة و «أنْ غَضَبُ الله» سهل ويعقوب.وجعل الغضب في جانبها لأن النساء يستعملن اللعن كثيراً كما ورد به الحديث. «فربما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعن على ألسنتهن وسقوط وقوعه عن قلوبهن»، فذكر الغضب في جانبهن ليكون رادعاً لهن. والأصل أن اللعان عندنا شهادات مؤكدات بالأيمان مقرونة باللعن قائمة مقام حد القذف في حقه ومقام حد الزنا في حقها، لأن الله تعالى سماه شهادة. فإذا قذف الزوج زوجته بالزنا وهما من أهل الشهادة صح اللعان بينهما، وإذا التعنا كما بين في النهر لا تقع الفرقة حتى يفرق القاضي بينهما. وعند زفر رحمه الله تعالى تقع بتلاعنهما والفرقة تطليقة بائنة، وعند أبي يوسف وزفر والشافعي تحريم مؤبد. ونزلت آية اللعان في هلال بن أمية أو عويمر حيث قال: وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سحماء فكذبته فلاعن النبي(٩) صلى الله عليه وسلم بينهما ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ﴾ تفضله ﴿عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ نعمته ﴿وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيْمٌ﴾ جواب «لولا» محذوف أي لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة.

﴿إِنَّ الَّذِيْنَ جَآءُوْ بِالْإِفْكِ﴾ هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وأصله الأفك وهو القلب(١٠)لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد ماأفك به على عائشة رضي الله عنها،قالت عائشة:

= إلى اسم الجلالة المجرور، و الخامسةُ أنّ غَضَبَ الله عليها، الباقون.
فنصب الخامسة لحفص و حده، وأن غضِبَ اللهُ ـ بتخفيف أنُ و كسر الضاد على لفظ الفعلِ الماضي، و رفع الفاعل ـ لنافع وحده. و أن غَضَبُ اللّهِ ـ بتخفيف أنُ، و لفظ المصدر المرفوع و اسم الجلالة المجرور ليعقوب وحده ، ووافقه سهل.

(٩) قال النووي:اختلفوا في نزول آية اللعان، هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال؟ و الأكثرون على أنها نزلت في هلال. وأمّا قوله عليه السلام لعويمر: إنّ الله قد أنزل فيك و في صاحبتك، فقالوا معناه الإشارة إلى ما نزل في قصة هلال، لأن ذلك حكم عام لجميع المسلمين. و يحتمل أنها نزلت فيهما جميعًا، فلعلهما سألا في وقتين متقاربين، فنزلت الآية فيهما، و سبق هلال باللعان ، اه. وفي إرشاد الساري: لايمتنع أن يتهم شريك بن سحماء بهذه المرأة ، و امرأة عويمر معًا. وأحاديث اللعان مروية في الصحاح مفصّلة.قال النووي في تهذيب الأسماء: عويمر بن أبيض الأنصاري العجلاني، وهو صاحب اللعان الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء ، و كان لعانهما في شعبان سنة تسع من الهجرة حين قدم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم من تبوك. اه. إكليل.

(١٠) قوله وأصله: الأفك، بفتح الهمزة و سكون الفاء من ضرب، وهو القلب (ض) أي الصرف من وجه إلى وجه. قوله والمراد ـ الخ ـ فاللام فيه للعهد. قالت عائشة ـ الخ ـ مختصر من حديث طويل رواه عبد=

فقدت عقداً في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلو الهودج لخفتي، فلما ارتحلوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فيّ من هلك، فاعتللت شهراً وكان عليه الصلاة والسلام يسأل «كيف أنت» ولا أرى منه لطفاً كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت: تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك، فلما سمعت ازددت مرضاً وبت عند أبوي لا يرقأ لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدي حتى قال عليه الصلاة والسلام:« ابشري يا حميراء فقد أنزل الله براءتك » فقلت: بحمد الله لا بحمدك ﴿ عُصۡبَةٌ ﴾جماعة من العشرة إلى الأربعين واعصوصبوا: اجتمعوا. وهم:عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش و من ساعدهم ﴿مِّنكُمۡۚ﴾ من جماعة المسلمين وهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون من كان من المؤمنين ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ أي الإفك ﴿شَرّٗا لَّكُمۖ﴾ عند الله ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ لأن الله أثابكم عليه وأنزل في البراءة منه ثماني عشرة آية. والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ومن ساءه ذلك من المؤمنين ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ أي على كل امريء من العصبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه، وكان بعضهم ضحك وبعضهم تكلم فيه وبعضهم سكت. ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ أي عظمه. عبد الله بن أبيّ ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي من العصبة ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ أي جهنم. يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملأ من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة. فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. (١١) ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿لَّوۡلَآ﴾ هلا ﴿إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ أي الإفك ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= الرزاق، و أحمد، والبخاري، و عبد بن حميد و مسلم، و غيرهم. قوله غزوة بني المصطلق، قال ابن إسحٰق : و ذلك سنة ست، و قال موسى بن عقبة: سنة أربع (خفاجي.)

قوله الهودج:مركب معروف، أناخ البعير: أبركه و أجلسه هلك فيّ: في شاني. اعتللت: مرضت. عثرت (ض ن س) زَلَّت. مسطح بكسر الميم على زنة منبر. تَعَس (ف) هلك.لايرقأ (ف) لايسكُن.

قوله فالق، اسم فاعل من فلق (ن، ض) شقَّ. قوله أَبْشِرِيْ، أمر للمخاطبة من الإفعال أي افرحي.حميراء، تصغير حمراء، لقب للصديقة رضي الله تعالى عنها. قوله أُثاثة، بضم الهمزة. حَمنه بفتح الحاء المهملة و سكون الميم. جَحُش ، بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة.

قوله كِبْرَه أي عُظُمَه، كِبْرُ الشيء، مُعْظَمه، بكسر فسكون. قال الفراء: اجتمع القراء على كسر الكاف، و قرأ ها حُميد الأعرج وحده: كُبره (بضم فسكون) وهو وجه جيد في النحو، لأن العرب تقول: فلان تولّى عُظُم الأمر، يريدون أكثره. قال اللحياني: عُظُم الأمر وعَظُمه : مُعظَمه ، و في حديث ابن سيرين: جلست إلى مجلس فيه عُظُم من الأنصار أي جماعة كبيرة منهم. (لسان العرب)

(١١) روى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى (والذي تولّى كبره) هو ابن أبيّ رأس المنافقين، وهو الذي قال: ما برئت منه، وما برئ منها. (الدر المنثور)

قوله (لولا) هلا، إِشارة إلى أن ”لولا“ تحضيضية.

بِأَنْفُسِهِمْ﴾بالذين منهم فالمؤمنون كنفس واحدة وهو كقوله:«وَلَا تَلْمِزُوٓا أَنْفُسَكُمْ » [الحجرات:١١] ﴿ خَيْرًا ﴾ عفافاً وصلاحاً وذلك نحو ما يروى أن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام: أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله عصمك من وقوع الذباب على جلدك لأنه يقع على النجاسات فيتلطخ بها، فلما عصمك الله من ذلك القدر من القذر فكيف لايعصمك عن صحبة من تكون متلطخة بمثل هذه الفاحشة؟وقال عثمان: إن الله ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه على ذلك الظل، فلما لم يمكن أحداً من وضع القدم على ظلك كيف يمكن أحداً من تلويث عرض زوجتك؟وكذا قال علي رضي الله عنه: إن جبريل أخبرك أن على نعليك قذراً وأمرك بإخراج النعل عن رجلك بسبب ما التصق به من القذر فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش. وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله سوءاً؟ فقال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة خير مني وصفوان خير منك.(١٢)وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ولم يقل«ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم» ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات،وليدل التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه ﴿وَّقَالُوْا هٰذَآ اِفْكٌ مُّبِيْنٌ﴾ كذب ظاهر لا يليق بهما.

﴿ لَوْلَا جَآءُوْ عَلَيْهِ بِاَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ هلا جاؤوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء ﴿فَاِذْ لَمْ يَاْتُوْا بِالشُّهَدَآءِ﴾ الأربعة ﴿فَاُولٰٓئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ﴾ أي في حكمه وشريعته ﴿هُمُ الْكٰذِبُوْنَ﴾ أي القاذفون لأن الله تعالى جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءَها، والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم يكن لهم بينة على قولهم فكانوا كاذبين ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيْمَآ اَفَضْتُمْ فِيْهِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ «لولا» هذه

قوله ولا تلمزوا أنفسكم : ولا تطعنوا أهل دينكم، واللمز: الطعن والضرب باللسان ، والمؤمنون كنفس واحدة ، فإذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه. (مدارك التنزيل ، سورة الحجرات)

(١٢) أخرج ما يقاربه ابن إسحق، و ابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن مردويه ، وابن عساكر. (الدر المنثور)

قوله أبا أيوب الأنصاري، هو خالد بن زيد بن كليب من كبار الصحابة، شهد بدرًا، و نزل عليه النبي صلّى اللّه تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة، مات غازيًا بالروم سنة خمسين، وقيل بعدها ـ إكليل.

قوله بحرم ـ حَرَم بفتحتين، وهو كناية عن أهله. كما اشتهر استعماله بهذا المعنى (خفاجي)

قوله ليبالغ في التوبيخ، لأن لولا تفيد التوبيخ أيضًا كما صرّح به أهل العربية. (خفاجي)

لامتناع الشيء لوجود غيره بخلاف ما تقدم أي: ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم في الآخرة في العفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال أفاض في الحديث وخاض واندفع ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ «مسكم» أو لـ«أفضتم» ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ يأخذه بعضكم من بعض. يقال تلقى القول وتلقنه وتلقفه[١٣] ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾أي أن بعضكم كان يقول لبعض:هل بلغك حديث عائشة؟حتى شاع فيما بينهم وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله: (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)[آل عمران:١٦٧] ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾أي خوضكم في عائشة رضي الله عنها﴿هَيِّنًا﴾ صغيرة ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ كبيرة. وجزع بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال:أخاف ذنباً لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم. ﴿وَلَوْلَا﴾ وهلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ فصل بين لولا و «قُلْتُمْ» بالظرف؛ لأن للظروف شأناً وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها. وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادَوْا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به،فلما كان ذكر الوقت أهم قدم، والمعنى هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا﴿سُبْحَانَكَ﴾للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة. وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم، وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات[١٤]﴿ هَٰذَا بُهْتَانٌ﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(١٣) التلقي، والتلقف، والتلقن معان متقاربة، خلا أن في الأول معنى الاستقبال ، وفي الثاني معنى الخطف والأخذ بسرعة، و في الثالث معنى الحذق و المهارة. (أبو السعود)

قوله ولا ناد، أي مجلس، و أصله من ندى القوم: جمعهم والمحفل يجمع الناس.

قوله على بال أي اكتراث و اهتمام، والبال بمعنى الخاطر والقلب والحال أيضًا. قوله أن يتفادَوا، تفادى من كذا: تحاماه و انزوى عنه. مختار الصحاح.

قوله حرمة نبيه، حرمة بضم فسكون بمعنى المرأة كما في المصباح (خفاجي) قوله الكشخنة: عدم الغيرة و الديانة، والكشخان: الديّوث، و ليس بعربي كما نقل عن الخليل. (خفاجي و لسان العرب)

(١٤) فإن قيل لو لم يجز ذلك لكان الرسول أعرف الناس بامتناعه، ولو عرف ذلك لما ضاق قلبه، و لما سأل عائشة عن كيفية الواقعة؟ قلنا إنه عليه السلام كثيرًا ما كان يضيق قلبه من أقوال الكفار مع علمه بفساد تلك الأقوال، قال تعالى: (ولقد نعلم أنّك يضيق صدرك بما يقولون. الحجر:٩٧) فكان هذا من هذا الباب ـ مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي.

زور يبهت من يسمع ﴿عَظِيْمٌ﴾ وذكر فيما تقدم هذا إفك مبين، ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبري ﴿يَعِظُكُمُ اللّٰهُ اَنْ تَعُوْدُوْا﴾ في أن تعودوا ﴿لِمِثْلِهٖٓ﴾ لمثل هذا الحديث من القذف أو استماع حديثه ﴿اَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء مكلفين ﴿اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو الإيمان الصادّ عن كل قبيح ﴿وَيُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ﴾ الدلالات الواضحات وأحكام الشرائع والآداب الجميلة ﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ﴾ بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيْمٌ﴾ يجزي على وفق أعمالكم أو علم صدق نزاهتها وحكم ببراءتها.

﴿اِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ اَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ أي ما قبح جداً، والمعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الإشاعة ومحبة لها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالحد. ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبيّ وحسّانًا ومسطحًا الحد[١٥] ﴿وَالْاٰخِرَةِ﴾ بالنار وعدها إن لم يتوبوا ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ﴾ بواطن الأمور وسرائر الصدور ﴿وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ أي إنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ﴾ لعجل لكم العذاب وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم ﴿وَاَنَّ اللّٰهَ رَءُوْفٌ﴾ حيث أظهر براءة المقذوف وأثاب ﴿رَّحِيْمٌ﴾ بغفرانه جناية القاذف إذا تاب.

﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ﴾ أي آثاره ووساوسه بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه ﴿وَمَنْ يَّتَّبِعْ خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ فَاِنَّهٗ﴾ فإن الشيطان ﴿يَاْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ﴾ ما أفرط قبحه ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ مَا زَكٰى مِنْكُمْ مِّنْ اَحَدٍ اَبَدًا﴾ ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ﴿وَّلٰكِنَّ اللّٰهَ يُزَكِّيْ مَنْ يَّشَآءُ﴾ يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها ﴿وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيْمٌ﴾ بضمائرهم و إخلاصهم.

﴿وَلَا يَاْتَلِ﴾ ولا يحلف، من ائتلى إذا حلف ، افتعال من الألية، أو لا يقصرمن الألو[١٦] ﴿اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ في الدين ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في الدنيا ﴿اَنْ يُّؤْتُوْٓا﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله زور يبهت، فيه إشارة إلى أصل البهتان. قوله الصادّ: المانع. قوله ما قبح جدًّا، إشارة إلى معنى الفاحشة فإن كل شيء جاوز حده فهو فاحش (مختار الصحاح)

(١٥) في الخميس : ولمّا نزلت "إن الذين جاء وا بالإفك عصبة منكم ـ الآية ـ جلد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم بعد تنازع بين الأصحاب أربعة (١) عبد الله بن أبي (٢) حسان بن ثابت و (٣) مسطح بن أُثاثة و (٤) حمنة بنت جحش، أخت زينب التي عصمها الله بالورع، جلدهم ثمانين ثمانين، و في رواية و جلد زيد بن رفاعة خامس الأربعة المذكورة ـ اه ـ إكليل. قوله الممحّصة أي المطهرة من الذنوب. والمَحُص في اللغة التخليص والتنقية. و تمحيص الذنوب: تطهيرها أيضًا (لسان العرب) قوله محضوها أي أخلصوها.

(١٦) ذكر احتمالين في "لا يأتل " الأوّل أن يكون من الأليّة بمعنى الحلف. والثاني أن يكون من الأَلُوِ بمعنى التقصير و يؤيّد الأوّل ما جاء في سبب النزول من روايات صحيحة أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حلف أن لا يصل مسطحًا.

أي لا يؤتوا إن كان من الألية ﴿أُولِي الْقُرْبٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَالْمُهٰجِرِيْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾أي لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها﴿ وَلْيَعْفُوْا وَلْيَصْفَحُوْا ﴾ العفو الستر والصفح الإعراض أي ليتجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة﴿اَلَا تُحِبُّوْنَ اَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ﴾ فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم ﴿وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا، نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها وكان مسكيناً بدرياً مهاجراً، ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال: بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته. (١٧)

﴿اِنَّ الَّذِيْنَ يَرْمُوْنَ الْمُحْصَنٰتِ﴾ العفائف ﴿الْغٰفِلٰتِ﴾ السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجرّبن الأمور ﴿الْمُؤْمِنٰتِ﴾ بما يجب الايمان به.

قوله أي لا يوتوا إن كان من الأليّة، و إن كان من الألو فالتقدير "في أن يوتوا".

قوله شحناء أي العداوة والبغضاء. قوله اقترفوها أي ارتكبوها قوله الجفاء ممدودًا، ضدّ البر- مختار الصحاح. إكليل.

(١٧) قوله ردّ إلى مسطح نفقته، و أخرج ابن المنذر عن الحسن أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه صار يضعّف له بعد ما نزلت هذه الآية ضعفي ما كان يعطيه. (الدر المنثور)

قوله دَهاء، ناقص واوي و يائي ـ وهو المنكر، وجودة الرأي (لسان العرب)

ذكر المصنّف ثلاثة أقوال في المراد بهولاء المحصنات. و نسب القول الأول إلى سيدنا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، و كذا قال الضحاك، و أبو الجوزاء، و سلمة بن نشيط، و بالثالث قال سعيد بن جبير، و مقاتل بن حيّان و قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم هذا في عائشة و من صنع مثل هذا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى. و لكن كانت عائشة إما ما في ذلك. (ابن جرير و ابن كثير)

قال أبو السعود: والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها، والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين، لاشتراك الكلّ في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم كما في قوله تعالى: (كذبت قوم نوح المرسلين) و نظائره. وقيل: أمهات المؤمنين. فيدخل فيهنّ الصديقة دخولًا أوّليًا.

وأمّا ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمّة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمي هولاء عقوبات مختصّة بالكفار والمنافقين. ولاريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين، ليس بكفر ـ فيجب أن يكون المراد إياهنّ على أحد الوجهين، فإنهن قد خصصن من بين سائر المومنات، فجعل رميهن كفرا إبرازًا لكرامتهن على الله عزّ و جلّ، و حماية لحمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنبًا ثم تاب منه قبلت توبته إلّا من خاض في أمر عائشة رضي الله تعالى عنها. وهل هو منه رضي الله تعالى عنه إلّا لتهويل أمر الإفك، والتنبيه على أنه كفر غليظ. اهـ.

والذين قالوا بالعموم يرون أن الوعيد المذكور في هذه الآية مشروط بعدم التوبة، لأن الذنب سواء كان كفرًا أو فسقًا إذا حصلت التوبة منه صار مغفورًا. (مفاتيح الغيب)

والذي ينبغي أن يعول عليه الحكم بكفر من رمى إحدى أمهات المؤمنين بعد نزول الآيات و تبين أنهنَّ طيبات، أمّا من رمى قبل فالحكم بكفره مطلقًا=

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هن أزواجه عليه الصلاة والسلام. وقيل: هن جميع المؤمنات؛ إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب. وقيل: أريدت عائشة رضي الله عنها وحدها. وإنما جمع لأن من قذف واحدة من نساء النبي عليه الصلاة والسلام فكأنه قذفهن. ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جعل القذفة ملعونين في الدارين وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة إن لم يتوبوا، والعامل في ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ يعذبون[١٨] وبالياء حمزة وعلي ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بما أفكوا أو بهتوا والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ بالنصب صفة للدين وهو الجزاء، ومعنى الحق الثابت الذي هم أهله. و قرأ مجاهد بالرفع صفة للّٰه كقراءة أبيّ «يوفيهم الله الحقُّ دينَهم» و على قراءة النصب يجوز أن يكون «الحق» وصفاً للّٰه بأن ينتصب على المدح ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ عند ذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ لارتفاع الشكوك وحصول العلم الضروري. ولم يغلّظ الله تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفك عائشة رضي الله عنها، فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر، وما ذاك إلا لأمر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة. وهذا منه تعظيم ومبالغة في أمر الإفك. ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها، وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم رضي الله عنها بإنطاق ولدها، وعائشة رضي الله عنها بهذه الآي العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر بهذه المبالغات، فانظر كم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= غير ظاهر، والظاهر أنه يحكم بكفره إن كان مستبيحًا أو قاصدًا الطعن به عليه الصلاة و السلام كابن أبي، و إن لم يكن كذلك فلا يحكم بكفره كحسان ، ومسطح، وحمنة. فإن الظاهر أنهم لم يكونوا مستحلّين ولا قاصدين الطعن بسيد المرسلين صلّى الله تعالى عليه وعلى آله أجمعين، وإنّما قالوا ما قالوا تقليدًا فوبخوا على ذلك توبيخا شديدا، و ممّا يدل دلالة واضحة على عدم كفر الرامين قبل أنه عليه الصلاة والسلام لم يعاملهم معاملة المرتدين بالإجماع، و إنّما أقام عليهم حدّ القذف على ما جاء في بعض الروايات. (روح المعاني)

(١٨) قوله والعامل في (يوم تشهد عليهم) يعذبون. قال ابن عطية: والعامل في قوله "يوم" فعل مضمر يقتضيه العذاب أي يعذبون يوم. أو نحوه. اهـ. و قال البيضاوي: ظرف لما في "لهم" من معنى الاستقرار ، لا للعذاب لأنه موصوف. قال الخفاجي: إشارة إلى ما ذكر النحاة من أن المصدر إذا نعت لا يعمل مطلقًا. و أجازه السيرافي مطلقًا ـ الخ ـ

قوله والعامل في "يومئذ" يُوَفِّيهِم الله. فيوم ظرف مقدم منصوب بقوله "يوفّيهم" و تنوين "إذ" بدل من جملة تشهد عليهم. أي يوم شهادة الألسنة والأعضاء بأعمالهم السيئة يعطيهم الله جزاء وافيًا ثابتًا يستحقّونه بما عملوا.

قوله و ما ذاك إلّا لأمر، التنوين للإبهام والتعظيم أي لأمر عظيم لا يدرك عِظَمه و جلالته.

قوله بالحجر الذي ذهب بثوبه ـ أشار به إلى ما ورد في الحديث من رميهم له عليه السلام بالأدرة أي انتفاخ الخصية، لاستتاره في غسله عن أعين الناس، فاغتسل مرّة و وضع ثوبه على حجر فلما خرج من الماء و أراد الثوب فرّ الحجر بثوبه و ذهب عليه السلام خلفه حتى رأوه سليمًا ممّا رموا به ـ إكليل.

بينها وبين تبرئة أولئك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسوله والتنبيه على إنافة محله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

﴿ اَلْخَبِيْثٰتُ ﴾ من القول تقال ﴿ لِلْخَبِيْثِيْنَ ﴾ من الرجال و النساء ﴿ وَالْخَبِيْثُوْنَ ﴾ منهم يتعرضون ﴿ لِلْخَبِيْثٰتِ ۚ ﴾ من القول وكذلك ﴿ وَالطَّيِّبٰتُ لِلطَّيِّبِيْنَ وَالطَّيِّبُوْنَ لِلطَّيِّبٰتِ ۚ اُولٰٓئِكَ مُبَرَّءُوْنَ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ ؕ ﴾ أي فيهم و «أولئك» إشارة إلى الطيبين وأنهم مبرؤون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم، وهو كلام جارٍ مجرى المثل لعائشة رضي الله عنها وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب، ويجوز أن يكون إشارة إلى أهل البيت وأنهم مبرؤون مما يقول أهل الإفك، وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء الخبائث يتزوجن الخباث والخباث تتزوج الخبائث وكذا أهل الطيب ﴿لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ مستأنف أو خبر بعد خبر ﴿وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة. ودخل ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها في مرضها وهي خائفة من القدوم على الله تعالى فقال: لا تخافي لأنك لا تقدمين إلا على مغفرة ورزق كريم وتلا الآية فغشي عليها فرحاً بما تلا.وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها:لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتهن امرأة،نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر عليه الصلاة والسلام أن يتزوجني، وتزوجني بكراً وما تزوج بكراً غيري،وتوفي عليه الصلاة والسلام ورأسه في حجري، وقبر في بيتي، وينزل عليه الوحي وأنا في لحافه وأنا ابنة خليفته وصديقه، ونزل عذري من السماء، وخلقت طيبة عند طيب، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً. وقال حسان معتذراً في حقها:

حصانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة — وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس ديناً ومنصباً — نبى الهدى و المكرمات الفواضل
عقيلة حيّ من لؤيّ بن غالب — كرام المساعى مجدها غير زائل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله إنافة محلّه أي رفعة مقامه.

قوله:(الخبيثت)ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالخبيثات والطيبات الأقوال، والمراد بالخبيثين والطيبين الرجال. وقال ابن زيد: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ـالخـ

قوله لقد أعطيت تسعًا، رواه الثعلبي بطريق علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة، و أخرجه الحاكم من وجه آخر و صحّحه و وافقه الذهبي، وله طرق أخرى.

قوله في حجري، في المصباح: حجر الإنسان بالفتح وقد يكسر : حِضنه، وهو ما دون إبطه إلى الكشح، والجمع حجور ـ إكليل. قوله قُبِر أي دفن.

قوله حصان: بفتح الأول، امرأة عفيفة.رزان (ك) امرأة رزان، بفتح الراء إذا كانت ذات ثبات و وقار و أصل الرزن الثقل. ما تُزَنّ زنّه بكذا و أزَنّه به: إذا اتهمه به و ظنّه فيه. ريبة أمر يريب الناس. غرثي (س) مؤنث غرثان: جائعة أيهي عفيفة ذات وقار و رجاحة عقل ما تُتهم بأمر يريب الناس، ولا تأكل لحوم الغافلات اغتيابًا، فتصبح جائعة من لحومهن سالمة من الاغتياب، و أكل اللحم صار كناية عن الغيبة أخذًا من القرآن (ولا يغتب بعضكم بعضًا أ يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا)

قوله حليلة من الحِلّ: زوجة المرء، أي زوجة أفضل الناس دينًا و مرتبة وهو نبي الهداية صاحب المكارم الفاضلة. قوله عقيلة: وهي لغة المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل في النفس الكريمة من كل شيء من الذوات والمعاني، والحي القبيلة. لُؤَيّ بن غالب، =

مهذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل شين و باطل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾(١٩) أي بيوتاً لستم تملكونها ولا تسكنونها ﴿حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ أي تستأذنوا، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقد قرئ به. والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف، استفعال من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفاً أي حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا، وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ والتسليم أن يقول: "السلام عليكم أ أدخل" ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا رجع،

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= ينتمي إليه نسب الرسول عليه السلام و نسب الصديق رضي الله تعالى عنه. وهو من بني تيم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ. أي هي امرأة كريمة من قبيلة من لؤيّ بن غالب أهل المساعي الكريمة، مجدها لا يزول ولا يفني. قوله مهذبة ، هذب الشيء يهذبه هذبًا (ض) و هذّبه: نقّاه و أخلصه، وقيل: أصلحه، والمهذب من الرجال: المخلّص النقيّ من العيوب، و رجل مهذب أي مطهَّر الأخلاق. والخيم بالكسر، الشيمة والطبيعة والسجيّة والخلُق والخيم: الأصل. والشين بالفتح : العيب أي هي نقية من العيوب ، طاهرة الأخلاق، قد جعل الله أصلها و سجيّتها طيبة، و جعلها طاهرة من كل عيب و باطل.

(١٩) بعدَ ما فصّل الزواجر عن الزنا، و عن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عمّا عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال والنساء، و دخولهم عليهنّ في أوقات الخلوات، وتعليم الآداب الجميلة والأفعال المرضية المستتبعة لسعادة الدارين. (أبو السعود)

أخرج الفِريابي و ابن جرير من طريق عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: قالت امرأة لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم إنّي أكون في بيتي على الحالة التي لا أحبّ أن يراني عليها أحد، لا ولد و لا والد، فيأتيني الآتي فيدخل علي، فكيف أصنع؟ ــ و لفظ ابن جرير: و إنه لا يزال يدخل علي رجلٌ من أهلي و أنا على تلك الحال، فنزلت (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم) ـ الآية ـ (الدر المنثور)

قال البيضاوي في تفسير "غير بيوتكم" التي تسكنونها. فإن من آجر داره لغيره، أو أعارها لغيره لا يجوز أن يدخلها إلّا بإذن المستأجر والمستعير، لأنها غير مسكونة له، و إن كان يملكها، و قال النسفي: أي بيوتًا لستم تملكونها ولا تسكنونها، فهذه العبارة تدلّ على وجوب الاستيذان عند عدم الملك والسكنى جميعًا، ولم يفهم حكم ما إذا وجد الملك أو السكنى فقط، و لعلّ حكمه أن السكنى مرخص في الدخول بلا استيذان دون الملك (أي حين تحقق سكنى الغير بطريق الإجارة أو الإعارة) التفسيرات الأحمدية.

والدار المملوكة إذا لم يسكن فيها أحد فلا شك أن المالك لا يحتاج إلى الاستيذان في دخولها و لعلّ النسفي رحمه الله تعالى زاد "لستم تملكونها" نظرًا إلى هذه الصورة.

قوله تستأذنوا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ أخرجه عنه ابن أبي حاتم، و ابن الأنباري في المصاحف. و أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه عنه رضي الله تعالى عنه قال: الاستئناس الاستيذان. قوله من آنس الشيء. آنس بالمد ـ قوله أ يطلق، الإطلاق هو الإجازة، قوله وذلك بتسبيحة ـ الخ ـ أخرج ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي، و ابن أبي حاتم، والطبراني، و ابن مردويه عن أبي أيوب قال: قلت يا رسول الله أ رأيت قول الله (حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها) هذا التسليم قد عرفناه فما الاستيناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسبيحة، و تكبيرة، و تحميدة، و يتنحنح فيوذن أهل البيت. و أخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: الاستيناس أن تدعو الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين يسلم عليهم. (الدر المنثور)

قوله والتسليم أن يقول: السلام عليكم أ أدخل؟ ـ روى أبو داؤد عن ربعي قال أتى رجل من بني عامر استاذن على رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم وهو في بيته، فقال أ ألج؟ فقال النبي صلّى الله تعالى=

وقيل: إن تلاقيا يقدم التسليم وإلا فالاستئذان ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير إذن فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول حييتم صباحاً وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي قيل لكم هذا لكي تذكروا وتتعظوا وتعملوا ما أمرتم به في باب الاستئذان ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوْا فِيْهَآ﴾ في البيوت ﴿أَحَدًا﴾ من الآذنين ﴿فَلَا تَدْخُلُوْهَا حَتّٰى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ حتى تجدوا من يأذن لكم، أو فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها ولكم فيها حاجة فلاتدخلوها إلا بإذن أهلها لأن التصرف في ملك الغير لا بد من أن يكون برضاه ﴿وَإِنْ قِيْلَ لَكُمُ ارْجِعُوْا﴾ أي إذا كان فيها قوم فقالوا ارجعوا ﴿فَارْجِعُوْا﴾ ولا تُلحّوا في إطلاق الإذن ولا تلَجّوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الأبواب(٢٠)، لأن هذا مما يجلب الكراهة فإذا نهي عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك، وعن أبي عبيد: ما قرعت باباً على عالم قط.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= عليه وسلم لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له : قل السلام عليكم أ أدخل ؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أ أدخل؟ فأذن له النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فدخل ـ اهـ ـ و أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في الأدب ، والبيهقي في سننه.
وأخرج مالك والبخاري و مسلم و أبو داؤد عن أبي سعيد الخدري قال: كنت جالسًا في مجلس من مجالس الأنصار فجاء أبو موسى فزعًا، فقلنا له: ما أفزعك؟ قال: أمرني عمر أن آتيه، فأتيته فاستأذنت ثلاثًا. فلم يوذن لي فرجعت فقال: ما منعك أن تأتيني قلت: قد جئت، فاستأذنت ثلاثًا فلم يوذن لي وقد قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يوذن له فليرجع" قال: لتأتينّي على هذا بالبينة، فقالوا : لا يقوم إلّا أصغر القوم، فقام أبو سعيد معه فشهد له، فقال عمر لأبي موسى: إني لم أتهمك ، ولكن الحديث عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم شديد. (الدر المنثور)
قوله الدمور من نصر قوله حييتم صباحًا يقوله إذا دخل صباحًا و حييتم مساء يقوله إذا دخل مساء. أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسير الآية عن مقاتل بن حيان يذكر عن عادة أهل الجاهلية و تعليم الإسلام ما هو أحسن و أنزه. قوله ولا تلحوا من الإلحاح و هو الإصرار في المسألة، قوله ولا تلجوا، من لجّ في الأمر (س و ض) تمادى عليه و أبى أن ينصرف عنه. في تسهيل الحجاب أي تخفيفه و تيسيره.
(٢٠) قوله ولا تقفوا على الأبواب، أخرج البخاري في الأدب ، و أبو داؤد عن عبد اللّٰه بن بشر قال: كان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، و لكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، و يقول: السلام عليكم، السلام عليكم. و ذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور ـــ و أخرج الطبراني عن سعد بن عبادة قال: جئت إلى النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم و هو في بيته ، فقمت مقابل الباب فاستاذنت، فأشار إليّ أن تباعد، وقال: هل الاستئذان إلّا من أجُل النظر، و أخرج نحوه ابن أبي شيبة، و أبو داؤد، والبيهقي في شعب الإيمان. (الدر المنثور)
قوله عن أبي عبيد هو القاسم بن سلّام ممن أخذ الفقه عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، و كان إما ما بارعًا في علوم كثيرة، منها التفسير والقراء ة والحديث والفقه واللغة والنحو و التأريخ، له مصنّفات حسان، منها غريب القرآن و غريب الحديث ، خرج إلى مكة سنة تسع عشرة و مأتين و توفي بها سنة أربع و عشرين و مأتين وله سبع و ستون سنة ــ إكليل.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي الرجوع أطيب وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد عن الريبة أو أنفع وأنمى خيراً[٢١] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨﴾ وعيد للمخاطبين بأنه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا﴾ في أن تدخلوا ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها كالخانات والربط وحوانيت التجار ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ أي منفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع. وقيل: الخربات يتبرز فيها، والمتاع التبرز ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۝٢٩﴾ وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ «من» للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على مايحل[٢٢] ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن الزنا ولم يدخل «من» هنا لأن الزنا لا رخصة فيه بوجه، ويجوز النظر إلى وجه الأجنبية وكفها وقدميها في رواية، وإلى رأس

(٢١) أزكى إمّا من الزكاة بمعنى الطهارة أو الزكاء بمعنى النمو، وبالنظر إليهما ذكر معنيين.
قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة. أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: فلمّا نزلت آية التسليم والاستيذان في البيوت قال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة، والشام و بيت المقدس، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون و يسلمون و ليس فيها سكان، فرخص الله في ذلك فقال: (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة) بغير إذن.
قوله كالخانات هي البيوت التي ينزلها التجار بأمتعتهم و يسكنون فيها. قوله والربط بضم الراء والباء و طاء مهملة، جمع رِباط بكسر الراء: مكان يقيم فيه المجاهدون، و تُربط فيه خيولهم، والمرابطة محافظة الثغور الإسلامية مترصدين مستعدين للغزو. قوله حوانيت، واحدها حانوت، وهو الدكان. قوله كالاستكنان أي طلب الكِنّ والاختفاء. قوله و إيواء الرحال أي إنزال الرحال و جعلها ماوى لها. قوله الخربات: جمع خَرِبة بفتح فكسر موضع الخراب. والخراب ضدّ العمران، والفعل خرِب بالكسر خَرَبا، بفتحتين فهو خرِب ـ بفتح فكسر ـ و أخربه و خَرَّبه (لسان العرب) أخرج عبد بن حميد عن عكرمة و إبراهيم النخعي في قوله (بيوتًا غير مسكونة) هي البيوت الخرِبة لقضاء الحاجة. و أخرج عبد بن حميد، و ابن جرير وابن المنذر و ابن أبي حاتم عن عطاء في قوله (فيها متاع لكم) قال: الخلاء والبول. (الدر المنثور)
قال أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن بعد ذكر الأقوال في بيوت غير مسكونة: و جائز أن يكون المراد جميع ذلك ، إذ كان الاستيذان في البيوت المسكونة لئلا يهجم على ما لايحب من العورة، و لأن العادة قد جرت في مثله بإطلاق الدخول، فصار المعتاد المتعارف كالمنطوق به. اه.
(٢٢) إيضاح لمعنى التبعيض، وجعل الغضّ عن بعض المبصَر غضًّا عن بعض البصر. (خفاجي)
قوله في رواية، وهي رواية الحسن عن أبي حنيفة رحمهما الله و جواز النظر إلى الوجه و الكفين فقط في ظاهر الرواية لأنها تحتاج إلى البيع و الشراء، و الأخذ والعطاء، و لا يمكنها ذلك عادة إلّا بكشف الوجه والكفين، فيحل لها الكشف. قال في البدائع: ثم إنّما يحل النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة منها من غير شهوة ، فأمّا عن شهوة فلا يحلّ، لقوله عليه الصلاة والسلام "العينان تزنيان" (أحمد، والبخاري) وليس زنا العينين إلّا النظر عن شهوة، ولأن النظر عن شهوة سبب الوقوع في الحرام فيكون حرامًا، إلّا في حالة الضرورة ـ الخ ـ

المحارم والصدر والساقين والعضدين ﴿ذٰلِكَ﴾ أي غض البصر وحفظ الفرج ﴿اَزْكٰى لَهُمْ﴾ أي أطهر من دنس الاثم ﴿اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا يَصْنَعُوْنَ﴾ فيه ترغيب وترهيب يعني أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ﴾ أمرن بغض الأبصار فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبتيه، وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثل ذلك وغض بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها.وإنما قدم غض الأبصار على حفظ الفروج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور فبذر الهوى طموح العين ﴿وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ﴾ الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أوكحل أوخضاب، و المعنى و لايظهرن مواضع الزينة إذ إظهار عين الزينة وهي الحلي ونحوها مباح فالمراد بها مواضعها أو إظهارها وهي في مواضعها لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها، ومواضعها الرأس والأذن والعنق والصدر والعضدان والذراع والساق فهي للإكليل والقرط والقلادة والوشاح والدملج والسوار والخلخال ﴿اِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره وهو الوجه والكفان والقدمان، ففي سترها حرج بين فإن المرأة لا تجد بداً من مزاولة الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصاًفي الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ وليضعن من قولك «ضربت بيدي على

قوله يجيلون من الإجالة وهي الإدارة. قوله بريد الزنا، البريد بمعنى الرسول، و أريد به الدواعي معرّب من "بُريده دُم" أي محذوف الذنَب، لأنه اسم لبِغال توضع في الطرق مرصدة لإبلاغ الأخبار، و كانت تُعلَم بذلك، ثم أطلق على المسافة الموضوع فيها، وعلى الرسول الذي يركبها. فتقديم النهي عنه لأنه يتضمّن النهي عن الزنا، و لأنه يتقدّمه في الواقع فجعل النظم على وَفْقِه، و لأن البلوى به أعم فبودرَ إلى منعه. (خفاجي)

قوله رائد الفجور، أي ممثّله و مقدّمه ، وأصل الرائد الذي يتقدّم القوم يُبصر لهم الكلأ و مساقط الغيث (لسان العرب) فالنظر كالرائد الذي يُبعث ليرتاد و يطلب منزلًا و يتقدم قومه.

قوله فبذر الهوى طموح العين، البذر: الحَبّ الذي يلقى في الأرض للزرع، والطموح: الارتفاع، أي ارتفاع البصر إلى الرجل أو المرأة كحَبّ ينبت عنه الهوى في القلب.

قوله من حَلْيٍ، بفتح فسكون، ما تُزُيِّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة، و الجمع حُلِيٌّ أصله حُلُوْي على زنة فعول، و قد تكسر الحاء في الجمع للياء، والحِلْيَة، بكسر فسكون، كالحَلْي والجمع حِلًى و حُلًى. (لسان العرب)

قوله للإكليل، شبْه عصابة تزين بالجواهر، ويسمى التاج إكليلًا۔ القُرط، الذي يعلّق في شحمة الأذن القلادة بالكسر، ما يجعل في العنق من الحلي ـ الوِشاح، بالكسر شبه قلادة ينسج من أديم عريضٍ يرصّع بالجوهر، تشدّه المرأة بين عاتقها و كشحها ـ الدملج بضم الدال واللام، هي حلقة تحملها المرأة على عضدها ـ السِّوار والسُّوار: القُلب، وهو حلية كالطوق، تلبسه المرأة في زَنْدها ـ الخلخال حلية من فضة كسوار كبير تلبسه النساء في أرجلهن (إكليل)

الحائط» إذا وضعتها عليه ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾جمع خمار﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ص﴾[٢٣]بضم الجيم: مدني وبصري وعاصم. كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطّينها. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي مواضع الزينة الباطنة كالصدر والساق والرأس ونحوها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ لأزواجهن جمع بعل ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارم ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾فقد صاروا محارم أيضاً ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالة﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾أي الحرائر لأن مطلق هذا اللفظ يتناول الحرائر ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أي إمائهن ولا يحل لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع منها خصياً كان أو عنيناً أو فحلاً.

وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنكم سورة النور فإنها في الإماء دون الذكور. وعن عائشة رضي الله عنها أنها أباحت النظر إليها لعبدها[٢٤] ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ﴾ بالنصب: شامي ويزيد وأبو بكر على الاستثناء أو الحال، وغيرهم بالجر على البدل أو على الوصفية ﴿أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة إلى النساء. قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء لأنهم بله لا يعرفون شيئاً من أمرهن، أو شيوخ صلحاء، أو العنين أو الخصي أو المخنث. وفي الأثر أنه المجبوب والأول الوجه ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ حال ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٣) قوله جيوبهنّ بضم الجيم مدني، و بصري ، و عاصم و كذا هشام عن ابن عامر ، والباقون (ابن ذكوان و ابن كثير و حمزة والكسائي) بكسر الجيم.
قوله النوافل: جمع نافلة، و النافلة ولد الولد ، و في التنزيل (و وهبنا له إسحٰق و يعقوب نافلة)
قوله أي الحرائر ، قال في غاية البيان: و قوله تعالى (أو نساء هن) أي الحرائر المسلمات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرّد بين يدي مشركة أو كتابية. اه. و نقله في العناية و غيرها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهو تفسير مأثور. و في شرح العلامة عبد الغني النابلسي على هدية ابن العماد عن شرح والده الشيخ إسماعيل على الدرر و الغرر: لا يحل للمسلمة أن تنكشف بين يدي يهودية أو نصرانية أو مشركة إلّا أن تكون أمة لها، كما في السراج و نصاب الاحتساب ، و لا ينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة، لأنها تصفها عند الرجال. فلا تضع جلبابها و لا خمارها عندها. كما في السراج. اه. إكليل.

قوله خصيا، الذي سُلّت خصيتاه. عنينا. العنين كسِكّين: من لا يأتي النسآء عجزا، أو لا يريدهن. اه. قاموس. فحلاً، الذكر من كل حيوان، قوله سعيد بن المسيّب التابعي، الإمام الجليل توفي سنة ٩٣هـ. قوله فإنها في الإماء ـ الخ ـ به قال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وهو قول ابن مسعود ، و عطاء، و ابن سيرين، وإبراهيم النخعي رحمهم الله تعالى.
(٢٤) و به قال الشافعي رحمه الله تعالى.
قوله بُله، جمع الأبله، وهو الغافل عن الشر. شيوخ جمع شيخ، وهو المسِنّ. المخنث ، الذي في أعضاءه لين و تكسّر بأصل الخلقة، ولا يشتهي النساء، فإنه رخص بعض مشايخنا في ترك مثله مع النساء. المجبوب، من قطع ذكره و خصيتاه.
التفسير الأول مروي عن ابن عباس و مجاهد و طاؤس رضي الله تعالى عنهم و الباقي عن سعيد بن جبير و عكرمة والكلبي وغيرهم ، قال القرطبي: وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى، و يجتمع فيمن=

﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِيْنَ﴾ هو جنس فصلح أن يراد به الجمع ﴿لَمْ يَظْهَرُوْا عَلٰى عَوْرٰتِ النِّسَآءِ﴾ أي لم يطلعوا لعدم الشهوة من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أو لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء ، من ظهر على فلان إذا قوي عليه ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِيْنَ مِنْ زِيْنَتِهِنَّ﴾ كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فنهين عن ذلك إذ سماع صوت الزينة كإظهارها ومنه سمي صوت الحلي وسواساً ﴿وَتُوْبُوْٓا اِلَى اللّٰهِ جَمِيْعًا اَيُّهَ الْمُؤْمِنُوْنَ﴾ «أَيُّهُ»شامي إتباعاً للضمة قبلها بعد حذف الألف لالتقاء الساكنين،وغيره على فتح الهاء لأن بعدها ألفاً في التقدير﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ۝﴾العبد لايخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه وإن اجتهد.فلذا وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة وبتأميل الفلاح إذا تابوا وقيل: أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس له حاجة إلى التوبة،وظاهر الآية يدل على أن العصيان لاينافي الإيمان.

﴿وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ﴾ الأيامى جمع أيم(٢٥) وهو من لا زوج له رجلاً أو امرأة، بكراً كان أو ثيباً، وأصله أيايم فقلبت ﴿وَالصّٰلِحِيْنَ﴾ أي الخيرين أو المؤمنين، والمعنى زوجوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح﴿ مِنْ عِبَادِكُمْ وَاِمَآئِكُمْ﴾أي من غلمانكم وجواريكم والأمر للندب إذ النكاح مندوب إليه﴿اِنْ يَّكُوْنُوْا فُقَرَآءَ﴾ من المال ﴿يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ بالكفاية والقناعة أو باجتماع الرزقين،وفي الحديث:«التمسوا الرزق بالنكاح» وعن عمر

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= لا فهم له، ولا همّة ينتبه بها إلى أمر النساء. اهـ.
قوله (أو الطفل) هو جنس، يعني أنه مفرد وضع موضع الجمع كالحاجّ بمعنى الحجاج، و قال الراغب: إنه يقع على الجمع، ولذا قال بعض النحاة إنه في الأصل مصدر ، فيقع على القليل والكثير، و هذا أولى، لأن وقوع المفرد موقع الجمع ردّه بعض النحاة. (خفاجي)
قوله و بتأميل الفلاح، مأخوذ من قوله تعالى (لعلكم تفلحون) أي توبوا إلى الله و أنتم ترجون الفلاح على أنّ الترجي في "لعلّ" للمخاطبين.
قوله و ظاهر الآية ـ الخ ـ فإن الأمر بالتوبة يدلّ على وقوع العصيان منهم، و مع ذلك خاطبهم بقوله (أيّه المؤمنون) فلو كان العصيان منافيًا للإيمان ما استحقوا الخطاب بـ "أيّها المؤمنون".
(٢٥) قوله أيّم مثل قَيِّم، مهموز الفاء، أجوف الياء قوله أصله أيايم فقُلِبَتْ، بتقديم الميم و تأخير الياء، و الياء المتحركة وقعت بعد الفتح فأُبْدِلت ألفا، ذهب المصنّف تبعًا للزمخشري و من تابعه إلى أنه مقلوب، لأن فعيلًا و فيعلًا لا يجمعان على فعالى، فأصل يتامى و أيامى، يتايم و أيايم. و ذهب ابن مالك و من تبعه إلى أنه شاذّ، لا قلب فيه، أي جاء وضع جمعه على هذه الصيغة بخلاف القياس. وهو ظاهر كلام سيبويه. و ذهب ابن الحاجب إلى أنهم حملوا "يتامى و أيامى" على وجاعى وحباطى لقرب اللفظ والمعنى (خفاجي) و هذا أيضًا يشتمل على القول بأنه لا قلب فيه، بل الجمع جاء على هذا الوزن حملًا على غيره.
قوله الخيرين أو المومنين. الخير بتشديد الياء و كسرها، أي أهل الخير والأحوال المرضيّة، أو المؤمنين ، فإنّ الإيمان أصل الصلاح.
قوله تعالى من عبادكم و إمائكم. فيه دليل على جواز إضافة العبد إلى غير الله، إذا كان بمعنى الغلام والخادم، وقد جاء في الأخبار والآثار و عبارات العلماء و الفقهاء إضافة العبد إلى المخلوق كثيرًا، و لم يحكم أحد بكراهته فضلًا عن الحرمة والإشراك، و لكن الوهابية قوم يجهلون و يعتدون.
قوله التمسوا الرزق بالنكاح، أخرجه الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا، و أخرج ابن=

رضي الله عنه روي مثله ﴿وَاللّٰهُ وَاسِعٌ﴾ غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ﴿عَلِيْمٌ﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر. وقيل: في الآية دليل على أن تزويج النساء والأيامى إلى الأولياء كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالي. قلنا: الرجل لا يلي على الرجل الأيم إلا بإذنه فكذا لا يلي على المرأة إلا بإذنها لأن الأيم ينتظمها ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِيْنَ﴾ وليجتهدوا في العفة كأن المستعف طالب من نفسه العفاف ﴿لَا يَجِدُوْنَ نِكَاحًا﴾ استطاعة تزوج من المهر والنفقة ﴿حَتّٰى يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ حتى يقدرهم على المهر والنفقة.قال عليه الصلاة والسلام:«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم،فإنه له وجاء»فانظر كيف رتب هذه الأوامر، فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد عن مواقعة المعصية وهو غض البصر،ثم بالنكاح المحصن للدين المغني عن الحرام، ثم بعزة النفس الأمارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن تقدر عليه.

﴿وَالَّذِيْنَ يَبْتَغُوْنَ الْكِتٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ أي المماليك الذين يطلبون الكتابة فـ«الذين» مرفوع بالابتداء أو منصوب بفعل يفسره ﴿فَكَاتِبُوْهُمْ﴾وهو للندب ودخلت الفاء لتضمنه معنى الشرط. والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول لمملوكه:كاتبتك على ألف درهم. فإن أداها عتق ومعناه كتبتُ لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبتُ لي على نفسك أن تفي بذلك. أو كتبتُ عليك الوفاء بالمال وكتبتُ عليّ العتق، و يجوز حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغيرمنجم لإطلاق الأمر(٢٦)﴿اِنْ عَلِمْتُمْ فِيْهِمْ خَيْرًا﴾قدرة على الكسب أو أمانة وديانة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= جرير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفًا: التمسوا الغنى في النكاح، لقول الله (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) و أخرج عبد الرزاق و ابن أبي شيبة معًا في المصنّف عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: ابتغوا الغنى في الباء ة ، و في لفظ : اطلبوا الفضل في الباء ة، و تلا (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ـ الدر المنثور ـ

قوله لا يرزؤه (ف) لاينقصه قوله وليجتهدوا ـ ماخوذ من السين الطلبية في الاستعفاف، و قوله كأنّ المستعفّ، الخ، إيضاحٌ لهذا المعنى.

قوله استطاعة تزوج، الخ أي وجدان النكاح بمعنى وجدان أسبابه، أو الوجدان بمعنى الاستطاعة كناية أو مجازًا.

قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب ـ الحديث ـ رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قوله البائة، بالمد والهاء أفصح من المد بلا هاء، و من هائَيُنِ بلا مد، و من هاء بلا مد [الباء، الباهة، الباه] و أصلها الجماع، أي من قدر الجماع لقدرته على مؤنته، و من لم يستطعه لفقره فالصوم يدفع شهوته كالوجاء، والوجُؤ: أن تُرَضَّ أُنثيا الفحل رَضًّا شديدا يُذهب شهوة الجماع، و يتنزّل في قطعه منزلة الخَصِي. و قيل: أن تُوجَأَ العُروق، والخصيتان بحالهما، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطع الوِجاءُ(مجمع البحار و لسان العرب)

(٢٦) قوله حالًّا، بتشديد اللام، وهو أن يؤدي بدل الكتابة على الفور. قوله مؤجّلًا، و هو أن يضرب أجل لأداء البدل. قوله منجمًا وهو أن يكون الأداء بأقساط معلومة. و قال المزني عن الشافعي: لا تجوز الكتابة على أقلّ من نجمين. و ذكر ابن العربي المالكي اختلاف المالكية في جواز الكتابة الحالّة ، و قال =

والندبية معلقة بهذا الشرط ﴿وَّاٰتُوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللّٰهِ الَّذِيْٓ اٰتٰىكُمْ﴾أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة لقوله تعالى: (وَفِي الرِقَابِ) [التوبة:٦٠] وعند الشافعي رحمه الله:معناه حطوا من بدل الكتابة ربعاً.وهذا عندنا على وجه الندب والأول الوجه لأن الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحط. سأل صبيح مولاه حويطباً أن يكاتبه فأبى فنزلت.

واعلم أن العبيد أربعة(٢٧):قن مقتنى للخدمة، ومأذون في التجارة، ومكاتب، وآبق. **فمثال الأول** ولي العزلة الذي حصل العزلة بإيثار الخلوة وترك العشرة.**والثاني** ولي العشرة فهو نجي الحضرة يخالط الناس للخبرة وينظر إليهم بالعبرة ويأمرهم بالغيرة فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بحكم الله ويأخذ لله ويعطي في الله ويفهم عن الله ويتكلم مع الله، فالدنيا سوق تجارته، والعقل رأس بضاعته، والعدل في الغضب والرضا ميزانه، والقصد في الفقر والغنى عنوانه،..

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= القرطبي المالكي: لم يرد عن مالك نصّ في الكتابة الحالة، والأصحاب يقولون: إنّها جائزة، و يسمّونها قِطاعة ـ اه ـ و قال أبو بكر الجصاص رحمه الله في تفسير (و آتوهم من مال الله الذي اتاكم) اختلف أهل العلم في المكاتب هل يستحق على مولاه أن يضع عنه شيئًا من كتابته فقال أبوحنيفة و أبو يوسف و زفر و محمد و مالك والثوري: إن وضع عنه شيئًا فهو حسن مندوب إليه. وإن لم يفعل لم يجبر عليه، و قال الشافعي: هو على الوجوب ـ اه ـ قال : وقد حكي عن الشافعي أن الكتابة ليست بواجبة، و أن يضع عنه بعد الكتابة واجب أقلّ ما يقع عليه اسم شيء، ولو مات المولى قبل أن يضع عنه وضع الحاكم عنه أقل ما يقع عليه اسم شيء ـ اه ـ و حكى الإمام البغوي الشافعي أقوالًا في قدر ما يُحطّ عن المكاتب، الربع عن علي، الثلث عن ابن عباس، قول الآخرين: ليس له حدّ بل عليه أن يحط عنه ما شاء، وهو قول الشافعي ـ اه ـ و هذا يدل أن الحطّ واجب عند الإمام الشافعي لكن ليس له قدر محدود عنده.

قوله سأل صُبيح ـ الخ ـ أخرجه ابن السكن في معرفة الصحابة (لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)

(٢٧) قوله واعلم أنّ العبيد أربعة ـ ذكر المصنّف هنا أقسام العبيد و أقسام العباد، و أوضح أحوالهم بإبداء المشابهة بينهم. فالعبيد أربعة أقسام:

(١) عبد خصّه المولى لخدمته، و شهود حضرته. (٢) عبد خصّه المولى للقيام بتجارته ، و كتب له الإذن بالتصرف في معاملته (٣) عبد كاتبه المولى بأن يؤدّي أقساطًا من المال بعد سعايته، و يتحرّر من الرقّ (٤) عبد أبق و هرب من مولاه بدون إذنه يهيم على وجهه.

كذلك العباد أربعة أقسام:

(١) العباد الذين يختارون العزلة عن الناس، و يُوثرون الخلوة بالرب، و يواظبون على مشاهدة المولى ومناجاته، وهم أولياء العُزلة.

(٢) العباد الذين شغلهم الله بهداية الناس، و أداء رسالاته إليهم، و تطهير ظاهرهم و باطنهم، فهولاء يتصلون بالله، و يواصلون الناس و يعاشرونهم في الله، و لله، وهم أولياء العِشرة.

(٣) العباد العاملون الذين يجتهدون في أداء ما أوجب الله عليهم من العبادات المعينة ليفوزوا بالحريّة الدائمة، و ينالوا ما تمنّوا.

(٤) العصاة الهائمون خلف الأهواء ، الهاربون ممّا يرضى الله، الساقطون في سخط الله. و يمكن فهم هولاء العباد، و تفاوتِ أحوالهم و درجاتهم بفهم أقسام العبيد كما أبان المصنّف و أجاد.

قوله قِنّ، العبد الذي مُلِك هو و أبواه ، واللفظ للواحد و الاثنين والجمع والمؤنث. مقتنى، اقتناه: اتخذه لنفسه لا للبيع، أي متخذٌ. آبق (ض ن) الهارب نجي: المناجي، المحادث سرًّا. الخبرة، بالضم والكسر: العلم بحقيقة الشيء وكنهه. العبرة، بالكسر، الاتّعاظ والاعتبار بما مضى، الاستدلال بالشيء على الشيء. الغيرة: الحميّة والأنفة. القصد التوسط والاعتدال. العنوان: ما يُعرف به. العلامة.

والعز مفزعه ومنجاه، والقرآن كتاب الإذن من مولاه، هو كائن في الناس بظواهره، بائن منهم بسرائره، فقد هجرهم فيما له عليهم في الله باطناً، ثم وصلهم فيما لهم عليه لله ظاهراً:

وما هو منهم ، بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام،

يأكل ما يأكلون ويشرب ما يشربون، وما يدريهم أنه ضيف الله يرى السماوات والأرض قائمات بأمره وكأنه قيل فيه:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال.

فحال ولي العزلة أصفى وأحلى، وحال ولي العشرة أوفى وأعلى، ونزل الأول من الثاني في حضرة الرحمن منزلة النديم من الوزير عند السلطان. أما النبي عليه الصلاة والسلام فهو كريم الطرفين ومعدن الشذرين ومجمع الحالين ومنبع الزلالين، فباطن أحواله مهتدى ولي العزلة، وظاهر أعماله مقتدى ولي العشرة. **والثالث** المجاهد المحاسب العامل المطالب بالضرائب كنجوم المكاتب. عليه في اليوم والليلة خمس، وفي المائتي درهم خمسة، وفي السنة شهر، وفي العمر زورة، فكأنه اشترى نفسه من ربه بهذه النجوم المرتبة فيسعى في فكاك رقبته خوفاً من البقاء في ربقة العبودية، وطمعاً في فتح باب الحرية ليسرح في رياض الجنة فيتمتع بمناه ويفعل ما يشاؤه ويهواه. **والرابع** الأبّاق فما أكثرهم فمنهم القاضي الجائر والعالم الغير العامل، والعامل المرائي، والواعظ الذي لايفعل ما يقول ويكون أكثر أقواله فضول وعلى كل ما لاينفعه يصول فضلا عن السارق والزاني والغاصب فعنهم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام:«إن الله لينصر هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة ».

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ كان لابن أبيّ ست جوار:معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة، يكرههن على البغاء وضرب عليهن الضرائب، فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فنزلت. (٢٨) ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة والبغاء الزنا

مفزع ملجا منجا موضع النجاة. بائن، من البينونة أي منفصل معدن بكسر الدال عدن بالبلد: توطّنه (ض) والمعدن: مركز كل شيء. الرغام، بالفتح: التراب. فإن تفق: من فاقه علاه أي لا يستحيل أن يفوق الفرعُ أصلَه فإن المسك أصله دم الغزال لكنه يفوق سائر الدم. والبيتان للمتنبي. الشّذُر، كالبحر، القطعة من الذهب. الزلال، بالضم، الماء العذب الصافي يمر سريعًا في الحلق. الضريبة ما تقرر أداء ه من المال، كخَراج العبد والجزية. النجوم جمع نجم: القِسط خمس من الصلوات شهر للصوم زورة للحج فكاك ، بالفتح والكسر التخليص ربقة، بالفتح والكسر: العروة من الحبل. ليسرح (ف) ليذهب و يسير. بمناه مُنية: ما يتمناه المرء، والجمع مُنًى. الأُبَّاق، جمع آبق. الجائر: غير العادل، ليصول: صال عليه: سطا عليه وقهر. خلاق: النصيب

(٢٨) حكاه الثعلبي في الكشف و البيان، والواحدي في أسباب النزول عن مقاتل بن حيان، و في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما=

للنساء خاصة وهو مصدر لبغت ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففاً عن الزنا. وإنما قيده بهذا الشرط لأن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن، فآمر المطيعة للبغاء لا يسمى مكرهاً ولا أمره إكراهاً، ولأنها نزلت على سبب فوقع النهي على تلك الصفة، وفيه توبيخ للموالي أي إذا رغبن في التحصن فأنتم أحق بذلك ﴿لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي لتبتغوا بإكراههن على الزنا أجورهن وأولادهن ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ أي لهن، وفي مصحف ابن مسعود كذلك وكان الحسن يقول: لهن والله لهن والله. ولعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة وهو الذي يخاف منه التلف فكانت آثمة أو لهم إذا تابوا.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء: حجازي وبصري وأبو بكر وحماد. والمراد الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود، وجاز أن يكون الأصل مبيناً فيها فاتسع في الظرف أي أجري مجرى المفعول به كقوله «ويوم شهدناه» وبكسرها غيرهم أي بينت هي الأحكام والحدود جعل الفعل لها مجازاً أو من بين بمعنى تبين ومنه المثل: «قد بين الصبح لذي عينين» ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ومثلاً من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ما وعظ به من الآيات والمثل من نحو قوله تعالى: «وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله». «لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ». «وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ» «يَعِظُكُمُ الله أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً» ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ أي هم المنتفعون بها وإن كانت موعظة للكل.

نظير قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢٩] مع قوله : «مَثَلُ نُورِهِ» و «يَهْدِى الله لِنُورِهِ»

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مُسَيكة، و أخرى يقال لها أُميمة، فكان يريدهما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم - الآية -) قوله أو لهم إذا تابوا، هذا التجويز ضعيف، يأباه النظم الجزيل (أبو السعود) قوله يوم شهدناه، أي شهدنا فيه، حذف الجار، و جرى المجرور مجرى المفعول به.

قوله بكسرها غيرهم، أي قرأ حفص، وابن عامر، و حمزة، والكسائي مبيّنٰت، بكسر الياء.

(٢٩) الله نور السموات والأرض. النور في اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الأجرام، و لا شك أنه لا يمكن أن يكون إلهًا، لأنه إن كان عرضًا فظاهر، وإن كان جسمًا فكذلك، للدليل الدال على أن إله العالم ليس بجسم ولا جسماني، ولا زائل و لا منتقل، إلى غير ذلك من أمارات الحدوث والافتقار.

و يتوجّه هنا سوال: أن قوله (الله نور السموات) يقتضي ظاهره أنه في ذاته نور، و قوله (مثل نوره) و كذا (يهدي الله لنوره) يقتضي أن لا يكون هو في ذاته نورًا، و بينهما تناقض. أجاب عنه المصنّف بقوله: نظير قوله... قولك زيد كرم وجود ... والمعنى ذو نور السموات. والنور هو الحق، و تشبيه الحق بالنور لجامع الظهور والبيان ، والإضافة إلى السموات والأرض للدلالة على سعة الإشراق. أي الله ذو نور الحق الذي عمّ السموات والأرض.

قولك زيد كرم وجود ثم تقول: ينعش الناس بكرمه وجوده، والمعنى ذو نور السمٰوت و «نُورُ السمٰوٰت والارض» الحق. شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله: «اَللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ» [البقرة: ٢٥٧] أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إليهما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض،وجاز أن المراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به ﴿مَثَلُ نُوْرِهٖ﴾ أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكٰوةٍ﴾ كصفة مشكاة وهي الكوّة في الجدار غير النافذة ﴿فِيْهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي سراج ضخم ثاقب ﴿اَلْمِصْبَاحُ فِيْ زُجَاجَةٍ﴾ في قنديل من زجاج شامي بكسر الزاي ﴿اَلزُّجَاجَةُ كَاَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضيء بضم الدال وتشديد الياء منسوب إلى الدرّ لفرط ضيائه وصفائه، وبالكسر والهمزة أبوعمرو وعلي،كأنه يدرأ الظلام بضوئه،وبالضم والهمزة أبو بكر وحمزة.شبه في زهرته بأحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما ﴿يُّوْقَدُ﴾ «توقد» بالتخفيف: حمزة وعلي وأبوبكر، الزجاجة و «يُوقَدُ» بالتخفيف: شامي ونافع وحفص «وتوقد» بالتشديد: مكي وبصري أي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله و جاز أن المراد ـ الخ ـ هذا يرجع إلى أن المراد بالنور هو الهداية، والحاصل أن اللّٰه ذو هداية أهل السموات والأرض، أي اللّٰه هاديهم. و هذا التفسير مروي عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، أخرجه عنه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات. و قال في تفسير (مثل نوره) : مثل هداه في قلب المومن (كمشكاة) يقول: موضع الفتيلة، يقول: كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، و إذا مسّته النار ازداد ضوء على ضوئه. كذلك يكون قلب المومن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا أتاه العلم ازداد هدى على هدًى و نورًا على نور. (الدر المنثور)

قوله أي صفة نوره ـ الخ ـ المثل في الأصل بمعنى النظير، يقال مَثَل، و مِثْل، و مَثيل كَشَبَه، و شِبْه، و شَبيه ثم قيل للقول الشائع المشهور الذي استعمل أولًا في موضع، ثم استعمل في مثل ذلك الموضع، و جرى به ضرب المثل، ولا يُضرب إلّا ما فيه غرابة، ثم استعير لكل حال، أو قصة، أو صفة لها شأن و فيها غرابة، مثل قوله تعالى: مثل الجنة التي وعد المتقون، و قوله تعالى: وللّٰه المثل الأعلى (بيضاوي سورة البقرة) فالمثل هنا على ذلك الإطلاق الثالث.

قوله الكوّة، بفتح الكاف و ضمها: الطاق ثاقب أي شديد الإضاءة (خفاجي)

قوله شامي، بكسر الزاي ـ كسر الزاي في زجاجة ليس في قراءة ابن عامر الشامي، ولا في قراءة أحد من العشرة بل هو قراءة شاذة، قرأه أبو رجاء، و نصر بن عاصم كما في البحر المحيط. و لفظ الكشاف هنا: أراد قنديلًا من زجاج شامي أزهر ـ اھ ـ فاعتبر الزجاج الشامي أصفى و أزهر. و قيد به، و ليس التقييد في الآية. و لعل في عبارة المدارك سقطا، و أصل العبارة هكذا: في قنديل من زجاج شامي، و قُرئ بكسر الزاي، فسقط لفظ "و قُرئ".

(دُرِّيٌّ) بضم الدال، و تشديد الياء ـ حفص، نافع، ابن كثير، ابن عامر.

(دِرِّيءٌ) بكسر الدال، والهمزة ـ على زنة شِرِّيب، و صِدّيق ـ أبو عمرو البصري، و علي الكسائي.

(دُرِّيء) بضم الدال، والهمزة ـ أبو بكر شعبة، و حمزة ـ استشكلوا هذه القراءة و قالوا ليس فُعِّيل من أبنية العرب، و أجيب بأن سيبويه عدّه من أبنيتهم ، و نظيره مُرِّيْق، اسم العُصْفُر لكنه نادر. وقال أبو عبيد: أصله دُرُّوء، كسُبُّوح، فجعلت الضمة كسرة لاستثقال الضمات، ثم أبدلت الواو ياء كما قالوا في عُتُوّ، عِتِيّ (لسان العرب و عناية القاضي)

قوله في زهرته، بفتح الزاي و ضمها مع سكون الهاء: بياضه و حسنه والزُّهَرة اسم الكوكب المعروف، بضم الزاي و فتح الهاء، و تسكينها خطأ. (خفاجي)=

هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي ابتدأ ثقوبه من زيت شجرة الزيتون[٣٠] يعني رويت ذبالته بزيتها ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كثيرة المنافع أو لأنها نبتت في الأرض التي بورك فيها للعالمين. وقيل: بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل من «شجرة» نعتها ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي منبتها الشام يعني ليست من المشرق ولا من المغرب بل في الوسط منهما وهو الشام وأجود الزيتون زيتون الشام. وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل يصيبها بالغداة والعشي جميعًا فهي شرقية وغربية.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ دهنها ﴿يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ وصف الزيت بالصفاء والوميض وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور، وهذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه. و القنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= (تُوقد و يُوقد) مبنيين للمفعول من الإفعال، و (تَوَقَّدَ) فعلًا ماضيًا من التفعل، فالقراء ات ثلاث والضمير على الأوّل للزجاجة، و على التذكير للمصباح.

(٣٠) قوله ابتدأ، إشارة إلى أن "من" للابتداء، والثقوب الإضاء ة رُوِّيت بتشديد الواو و تخفيفها، أي سقيت ذبالته بضم الذال المعجمة و تخفيف الموحدة، هي الفتيلة (خفاجي) الوميض اللمعان، مصدر على زنة فعيل من باب وعد التلألأ ، الإضاء ة والإشراق.

قال البيضاوي: وقد ذُكر في معنى التمثيل (أي في المراد من التشبيه) وجوه.

الأوّل أنّه تمثيل للهدى الذي دلّ عليه الآيات المبينات ، في جلاء مدلولها، و ظهور ما تضمنته من الهدى، بالمشكاة المنعوتة (يعني أنّه تشبيه مركب بمركب. فشبهت فيه الهيئة المنتزعة بأخرى، والنور و إن كان لفظه مفردًا دالٌّ على أمور متعدّدة، و قوله في جلاء ـ الخ ـ متعلق بتمثيل، وهو وجه الشبه، وهو مركب عقلي، كما في شرح الكشاف، والمراد بالآيات، آيات القرآن مطلقًا، أو آيات هذه السورة، و قوله من الهدى، بيان لما تضمنته، وهو مدلولها أيضًا ـ خفاجي) الثاني أنه تشبيه للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس و خيالاتهم، بالمصباح، وإنّما وليَ الكاف المشكاة لاشتمالها على المصباح (يعني أنه تشبيه مقيد، و في شرح الكشاف أنه على هذا من المركب الوهمي، حيث تصور في المشبه والمشبه به حال منتزعة، و هي قوله من حيث إنه محفوف ـ الخ ـ فشبه الهدى المحيط به الضلالُ بمصباح في ليل مظلم كقوله:

وكأن النجوم بين دُجَاها   سُنن لاحَ بينهنّ ابتداع

و تشبيهه بالمصباح أوفق من تشبيهه بالشمس (لأنه الذي يوقد بالليل، فيدلّ على الظلمة التي لها دخل في التشبيه ـ خفاجي)

الثالث أنه تمثيل لما نوّر الله به قلب المومن من المعارف والعلوم، بنور المشكاة (ففيه مضاف مقدر، أي هو كنور مشكاة) المنبَثّ فيها من مصباحها، و يؤيّده قراء ة أُبيّ: مثل نور المومن (و هذا الوجه رجحه الطيبي على غيره، و قال : إنه تفسير السلف، و إنه الأنسب بالمقام ـ اه ـ و نقل البغوي عن كعب أنه قال: إنه مثل ضربه الله لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلم ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح ما فيه من الحِكَم. و عن الحسن رحمه الله تعالى: الشجرة المباركة شجرة الوحي، يكاد زيتها يضيء، أي القرآن يتضح و إن لم يقرأ، أو شجرة النبوة ـ اه ـ والظاهر على هذا أنه تشبيه مفرّق، و قيل إنه مركب كالأوّل، والفرق بينهما في أصل المعنى لا في طريق التشبيه. وإضافة النور إليه تعالى باعتبار السببية. خفاجي)

وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لا بعلي غير معاين ولا مشهود فأبو تمام[٣١]لما قال في المأمون:

إقدام عمرو في سماحة حاتم ❁ في حلم أحنف في ذكاء إياس.

قيل له: إن الخليفة فوق من مثلته بهم، فقال مرتجلاً:

لا تنكروا ضربي له من دونه ❁ مثلاً شروداً في الندى والباس

فاللّٰه قد ضرب الأقل لنوره ❁ مثلاً من المشكاة و النبراس

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣١) أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي، الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) و رحل إلى مصر، و استقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدّمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة ٢٣١ﻫ و مولده سنة ١٨٨ﻫ و من تصانيفه فحول الشعراء، و ديوان الحماسة، و مختار أشعار القبائل، و له ديوان شعر.

المأمون هو أبو العباس عبد اللّٰه بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، و أحد أعاظم الملوك في سيرته و علمه و سعة ملكه، تولد سنة ١٧٠ﻫ وو لي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ﻫ توفي في (بذندون) و دفن في طرسوس سنة ٢١٨ﻫ.

واختلف أهل الأخبار في أن هذه القصيدة كانت في مدح المأمون أو المعتصم أو أحمد بن المعتصم، و أبو تمام لم يصل إلى دار الخلافة في عصر المأمون بل استقدمه المعتصم. لكن ثبت قبل ذلك مدحه للمأمون أيضًا.

قوله إقدام عمرو، الخ ـ أي له الإقدام على الحروب كإقدام عمرو مع جود حاتم و حلم أحنف و ذكاء إياس. (في لمعنى المصاحبة) مدحه بالإقدام على الحروب، والسماحة والجود، والحلم، والذكاء، و شبّهه في هذه الصفات بعمرو، و حاتم، والأحنف، وإياس على الترتيب، لاشتهارهم بالصفات المذكورة.

عمرو، أظنّه عمرو بن معديكرب الزبيدي، فإنه كان معروفًا بالإقدام، كان فارس اليمن، و صاحب الغارات المشهورة وفد على المدينة سنة ٩ﻫ في عشرة من بني زبيد ، فأسلم و أسلموا، و عادوا توفي سنة ٢١ﻫ أخبار شجاعته كثيرة، و له شعر جيد مطبوع باسم ديوان عمرو بن معديكرب. الأعلام ٥/٨٦.

حاتم بن عبد اللّٰه بن سعد الطائي أبو عدِيّ، فارس، شاعر، جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، و زار الشام فتزوجماية بنت حجر الغسانية. و مات في عوارض (جبل في بلاد طيء) و أرخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. الأعلام ٢/١٥١.

الأحنف بن قيس، أبو بحر، سيد بني تميم، والأحنف لقب له لحنَف كان برجله، و اسمه الضحاك. وقيل صخر، أدرك النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم ولم يره. و دعا له النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. يضرب المثل بحلمه و عقله. توفي بالكوفة سنة سبع و ستين أو اثنتين و سبعين. و رجّح هذا الذهبي في تاريخ الإسلام. (إكليل. و أعلام)

إياس بن معاوية بن قُرّة بن إياس المزني، أبو واثلة، قاضي البصرة، أحد أعاجيب الدهر في الفطنة و الذكا، يضرب المثل بذكائه و زكنه، يقال أذكى من إياس، و أزكن من إياس. و الزكن: التفرس في الشيء بالظن الصائب، توفي بواسط سنة ١٢٢ﻫ و مولده سنة ٤٦ﻫ. الأعلام ٢/٣٣.

قوله شَرُوْدًا، أي سائرًا مشتهرًا، و أصله من شرد البعير: نَفَر و بابه دخل ـ مختار الصحاح. الندى: السخاء البأس: الشجاعة. النبراس: المصباح.

و معنى البيتين : لا تنكروا أني ضربت للملك الذين دون رتبته مثلًا سائرًا في السخاء و الشجاعة أي كانوا معروفين بهما و صاروا مثلًا، فذكرتهم بطريق المثل في هذه الصفات، و هذا لايليق بالإنكار لأن اللّٰه ضرب لنوره مثلًا ما هو أقلّ رتبة، أي المشكاة =

﴿يَهْدِي اللّٰهُ لِنُوْرِهٖ﴾ أي لهذا النور الثاقب ﴿مَنْ يَّشَآءُ﴾ من عباده أي يوفق لإصابة الحق[٣٢] من يشاء من عباده بإلهام من الله أو بنظره في الدليل ﴿وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ﴾ فيبين كل شيء بما يمكن أن يعلم به. وقال ابن عباس رضي الله عنه: مثل نوره أي نور الله الذي هدى به المؤمن. وقرأ ابن مسعود رحمه الله «مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة» وقرأ أبيّ «مثل نور المؤمن».

﴿فِیْ بُیُوْتٍ﴾ يتعلق «بمشكاة» أي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت، أو بـ«توقد» أي توقد في بيوت، أو بـ«يسبح» أي يسبح له رجال في بيوت. و«فيها» تكرير فيه توكيد نحو «زيد في الدار جالس فيها» أو بمحذوف أي سبحوا في بيوت ﴿اَذِنَ اللّٰهُ﴾ أي أمر ﴿اَنْ تُرْفَعَ﴾ تبنى كقوله: «بَنٰىهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّٰىهَا» [النازعات:٢٨] «وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِمُ الْقَوَاعِدَ» [البقرة: ١٢٧] أو تعظم من الرفعة. وعن الحسن: ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ﴿وَیُذْكَرَ فِیْهَا اسْمُهٗ﴾ يتلى فيها كتابه أو هو عام في كل ذكر ﴿یُسَبِّحُ لَهٗ فِیْهَا بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ﴾ أي يصلي له فيها بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وإنما وحد الغدو لأن صلاته صلاة واحدة، وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والمصباح. جملةُ الكلام أن المعنى إذا دقّ و علا يجرى إفهامه وتقريبه إلى الأذهان بما يدانيه من المحسوسات الكريمة الجلية، لكن لايجوز أن يُشَبّه الشريفُ العالي بالرذيل السافل، فإنّ تشبيه الشريف بالرذيل يدلّ على التحقير و التذليل، و ذلك قد يَجُرّ القائل إلى الكفر، و قد يَجُرّه إلى ما دونه، فيجب التنبُّه في أمثال المقام.

(٣٢) قوله أي يوفّق لإصابة الحق. فسّر به لأن المصنّف اختار أن المراد بالنور هو الحق. كما سبق.

قوله يتعلّق بمشكاة - أراد ما يشمل التعلق المعنوي والصناعي، لأنه على الأوّل صفة.

قوله أو بيسبح، واختاره أبو حيان في البحر المحيط. والجملة مستانفة حينئذ. قال الخفاجي: و هذا أولى ممّا قبله و ذكر الارتباط أبو السعود قائلًا: لما ذكر شأن القرآن العظيم في بيانه للشرائع والأحكام، و مباديها و غاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب، و غير ذلك من أحوال الآخرة و أهوالها، و أشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار، حيث مثل بما فصل من نور المشكاة، و أشير إلى أنّ ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور، إنّما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته، دون من عداه ، عقّب ذلك بذكر الفريقين، و تصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء و عدمه. اه. و قال أبو حيان: لما ذكرت الهداية للنور جاء التقسيم لقابل الهداية و عدم قابلها ، فبُدئ بالمؤمن، و ما تأثر به من أنواع الهدى، ثم ذكر الكافر - اه -

قوله تبنى، تفسير الرفع بالبناء مروي عن مجاهد عند ابن جرير وغيره، و في التنزيل: بناها رفع سمكها فسواها - رفع السمك بيان للبناء قال المصنّف في تفسيره: (بنٰها) أي الله ثم بيّن البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها (فسوّيها) فعدّلها مستوية بلا شقوق و لا فطور - اه - و قال في تفسير (و إذ يرفع إبراهيم القواعد) هي جمع قاعدة، وهي الأساس والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبة، و معناها الثابتة. و رفع الأساس ، البناء عليها، لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع. و تطاولت بعد التقاصر - اه - قوله أُصُل، بضمتين كعنق.

«يسبح» «يسبّح» شامي وأبو بكر ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة أعني له فيها بالغدوو«رِجَالٌ» مرفوع بما دل عليه «يُسَبَّحُ» أي يُسَبِّحُ له ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ لاتشغلهم ﴿تِجَارَةٌ﴾ في السفر ﴿وَّلَا بَيْعٌ﴾ في الحضر. وقيل: التجارة الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع أو خص البيع بعد ماعم لأنه أوغل في الإلهاء من الشراء لأن الربح في البيعة الرابحة متيقن وفي الشراء مظنون ﴿عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ باللسان والقلب ﴿وَإِقَامِ الصَّلٰوةِ﴾ أي وعن إقامة الصلاة. التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال والأصل إقوام، فلما قلبت الواو ألفاً اجتمع ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف، فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التاء فأسقطت ﴿وَإِيْتَاءِ الزَّكٰوةِ﴾ أي وعن إيتاء الزكاة والمعنى لا تجارة لهم حتى تلهيهم كأولياء العزلة، أو يبيعون ويشترون ويذكرون الله مع ذلك وإذا حضرت الصلاة قاموا إليها غير متثاقلين كأولياء العشرة. ﴿يَخَافُوْنَ يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة و «يخافون» حال من الضمير في «تلهيهم» أو صفة أخرى لـ«رجال»﴿ تَتَقَلَّبُ فِيْهِ الْقُلُوْبُ ﴾ببلوغها إلى الحناجر﴿ وَالْأَبْصَارُ ﴾ بالشخوص والزرقة أوتتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران والأبصار إلى العيان بعد إنكاره للطغيان كقوله: «فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيْدٌ»[ق: ٢٢]

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ اَحْسَنَ مَا عَمِلُوْا وَيَزِيْدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ﴾ أي يسبحون ويخافون ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي يثيب من يشاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يُسبّح مبنيا للمفعول، قرأه ابن عامر و شعبة. والباقون مبنيا للفاعل. قوله و رجال مرفوع بما دل ـ الخ ـ كقوله:

لِيُبكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ
و مختبطٌ ممَّا تُطيحُ الطوائح

قوله إلى أحد الظروف ـ الخ ـ والأولى الذي يلي الفعل، لأن طلب الفعل للمرفوع أقوى من طلبه للمنصوب الفضلة. (البحر المحيط)

قوله في السفر ـ دفع للإيراد بالتكرار بحمل التجارة على ما يكون في السفر، و حمل البيع على الحضر، و بتخصيص التجارة بالشراء بقرينة المقابلة و بأن ذكر البيع ذكر للخاص بعد العام لفائدة.

قوله أوغل أي أدخل قوله ببلوغها إلى الحناجر و قوله بالشخوص والزرقة إشارة إلى ما في الآيات التالية (١) و أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين. [غافر ـ ١٨] ٢– إنّما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. [إبراهيم ـ ٤٢] ٣– فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا [الأنبياء ـ ٩٧] ٤– يوم ينفخ في الصور و نحشر المجرمين يومئذ زُرقًا. [طه ـ ١٠٢]

قوله فكشفنا عنك، في التنزيل: لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد. [ق ـ ٢٢] جُعلت الغفلة كأنها غطاء غُطي به جسده كله، أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئًا، فإذا كان يوم القيامة تيقّظَ و زالت عنه الغفلة و غطاؤها، فيُبصر ما لم يُبصره من الحق، و رجع بصره الكليل عن الإبصار لغفلته حديدًا لتيقظه ـ اهـ ـ مدارك.

هذه صفات المهتدين بنور الله فأما الذين ضلوا عنه(٣٣) فالمذكورون في قوله: ﴿وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ هو ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ﴿بِقِيْعَةٍ﴾ بقاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار ﴿يَّحْسَبُهُ الظَّمْاٰنُ﴾ يظنه العطشان ﴿مَآءًؕ حَتّٰٓى اِذَا جَآءَهٗ﴾ أي جاء إلى ما توهم أنه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ كما ظنه ﴿وَّوَجَدَ اللّٰهَ﴾ أي جزاء الله كقوله: (يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ﴿١١٠﴾)[النساء: ١١٠] أي يجد مغفرته ورحمته ﴿عِنْدَهٗ﴾ عند الكافر ﴿فَوَفّٰىهُ حِسَابَهٗ ؕ﴾ أي أعطاه جزاء عمله وافياً كاملاً. وحد بعد

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٣) قوله فأمّا الذين ضلوا عنه ـ مثّل لهم ولأعمالهم مثلين: أحدهما يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة، والثاني يذكر حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة.

أمّا التشبيه الأوّل ففي تفسيره ثلاثة وجوه. (١) الكافر الذي له عمل من أبواب البر كصلة الأرحام. و فك الأسارى، و سقاية الحاج، و عمارة البيت، و إغاثة الملهوفين، و قِرى الأضياف و نحو ذلك ممّا لو كان مع الإيمان لاستتبع الثواب، لكنه للكافر كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاء ه لم يجده شيئًا. كذلك الكافر يظن عمله نافعًا حتى إذا جاء في الآخرة لم ينفعه عمله شيئًا، هنا تمّ بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل. و قوله تعالى (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة، لئلّا يتوهّم أنّ قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن، و يظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلًا ـــ فليست الجملة معطوفة على "لم يجده شيئًا" ـ بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينًا ولا أثرًا كما في قوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا) كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الاٰخرة. لم يجدوها شيئًا. ووجدوا اللّٰه ـ أي حكمه و قضاء ه عند المجيء، و قيل عند العمل، فوفّاهم أي أعطاهم وافيًا كاملًا حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة و جزاء ها. فإن اعتقادهم نفعها بغير إيمان، و عملَهم بموجبه كفر على كفر، موجب للعقاب قطعًا ـــــ وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إمّا لإرادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل، و إمّا للحمل على كل واحد منهم، و كذا إفراد ما يرجع إلى أعمالهم.

و هذا الوجه اختاره العلامة أبو السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

(**٢**) الوجه الثاني ما اختاره في الكشاف و تبعه المصنّف بأن خصّ الظمآن بالكافر الذي يرى السراب بالساهرة، و قد غلبه عطش يوم القيامة ـ الخ ـ فجعل الظمآن هو الكافر، حتى تتحد الضمائر في جاء ه، و لم يجده، و وجد، و فوفّاه لشخص واحد.

واعتُرض على الوجه الأول بأن فيه تفكيك الكلام والمغايرة بين الضمائر، و جعل بعضه مفصولًا عن بعض، و على الوجه الثاني بأنه تشبيه الشيء بنفسه بعد جعل الظمآن هو الكافر، وأجيب بأنه تشبيه عامة الكفرة بفرد خاص منهم فصّل حاله، فليس تشبيه الشيء بنفسه. و يمكن مثل هذا الجواب عن الوجه الأول أيضًا، مثل أن يقال: لا بأس بمغايرة الضمائر فإن أول الكلام كان للمشبه به، لكن أحواله راجعة إلى المشبه، فذكر خيبة الظمآن حين وصوله إلى موضع السراب يوضح حال الكافر و يبين خيبته حين وصوله إلى الآخرة، و لغاية ظهوره ترتّبَ آخر الكلام على هذا الكافر الخائب. ولا تفكيك أصلًا حيث كان المقصود بيان حال المشبّه، و قد حصل. بعضه بالتشبيه، و بعضه بذكر حاله السيئة أصالة. فالكلام كلّه منتظم في إيضاح حاله من الخيبة والهلاك.

(**٣**) الوجه الثالث اختاره أبو حيان في البحر المحيط، وهو أن الضمائر كلها للظمآن. يقول: والذي يظهر لي أنه تعالى شبه أعمالهم في عدم انتفاعهم بها بسراب صفته كذا، و أن الضمائر فيما بعد الظمآن له. والمعنى في (و وجد الله عنده) أي: ووجد مقدور الله عليه من=

تقدم الجمع حملاً على كل واحد من الكفار ﴿وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾ لأنه لا يحتاج إلى عد وعقد ولا يشغله حساب عن حساب، أو قريب حسابه لأن ما هو آت قريب. شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم:(عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ) [الغاشية:٣] (وَهُمْ يَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعًا) [الكهف:١٠٤] قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يترهب ملتمساً للدين في الجاهلية فلما جاء الإسلام كفر.

﴿اَوْكَظُلُمٰتٍ فِيْ بَحْرٍ﴾ «أو» هنا كـ«أو» في «أَوْ كَصَيِّب»(٣٤) ﴿لُّجِّيٍّ﴾ عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر ﴿يَّغْشٰهُ﴾ يغشى البحر أو من فيه أي يعلوه ويغطيه ﴿مَوْجٌ﴾ هو ما ارتفع من الماء ﴿مِّنْ فَوْقِهٖ مَوْجٌ﴾ أي من فوق الموج موج آخر ﴿مِّنْ فَوْقِهٖ سَحَابٌ﴾ من فوق الموج الأعلى سحاب ﴿ظُلُمٰتٌ﴾ أي هذه ظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج على الموج وظلمة السحاب على الموج ﴿اِذَآ اَخْرَجَ يَدَهٗ﴾ أي الواقع فيه ﴿لَمْ يَكَدْ يَرٰىهَا﴾ مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها، شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من

= الهلاك بالظمأ عنده أي عند موضع السراب. (فوفاه) ما كتب له من ذلك، وهو المحسوب له، والله معجل (حسابه) لا يؤخره عنه. فيكون الكلام متناسقًا آخذًا بعضه بعنق بعض، و ذلك باتصال الضمائر لشيء واحد، و يكون هذا التشبيه مطابقًا لأعمالهم من حيث إنهم اعتقدوها نافعة فلم تنفعهم و حصل لهم الهلاك بإثر ما حوسبوا. اهـ.

قال الخفاجي: ولو قيل إنه من تتمة وصف السراب، والمعنى وجد مقدوره تعالى من الهلاك بالظمأ عند السراب، فوفّاه ما كتب له مَن لا يؤخر الحساب كان الكلام متناسبًا. فتدبّر. اهـ.

قوله يسرب (ن) سرب الماء سروبًا: جرى. الساهرة: وجه الأرض ـ زبانية ـ بفتح الزاء، من الزَّبْن بمعنى الدفع، سمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها، قال قتادة: الزّبانية عند العرب الشُّرَط، والواحد: زِبْنِيَة بكسر الزاي، و إسكان الباء، و كسر النون، و تخفيف الياء المفتوحة و قال الكسائي: واحدها زِبْني (مثل هِنْدِيّ) يعتلونه: يقودونه بعُنُف (ض) الحميم: الماء الحار الذي انتهى حرّه ـ الغسّاق: صديد أهل النار عاملة ناصبة تعمل ما تنصَب و تتُعَب فيه، ولا تنتفع به شيئًا.

قوله قيل نزلت في عتبة ـ الخ ـ حكاه البغوي في المعالم عن مقاتل.

(٣٤) قوله أو هنا ـ الخ ـ و في أنوار التنزيل: للتخيير، أو التنويع، أو التقسيم. قال: و أو للتخيير فإن أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لُجّ البحر والأمواج، والسحاب ـ أو للتنويع، فإن أعمالهم إن كانت حسنة فكالسراب، و إن كانت قبيحة فكالظلمات ـ أو للتقسيم باعتبار وقتين، فإنها كالظلمات في الدنيا، و كالسراب في الآخرة ـ اهـ ـ

خدعه من بعيد شيئاً ولم يكفه خيبة وكمداً أن لم يجد شيئاً كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهٗ نُوْرًا فَمَا لَهٗ مِنْ نُّوْرٍ﴾ من لم يهده الله لم يهتد. عن الزجاج.في الحديث:«خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل».

﴿اَلَمْ تَرَ﴾(٣٥) ألم تعلم يا محمد علماً يقوم مقام العيان في الإيقان ﴿اَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالطَّيْرُ﴾ عطف على «من» ﴿صٰٓفّٰتٍ﴾ حال من «الطير» أي يصففن أجنحتهن في الهواء﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهٗ وَتَسْبِيْحَهٗ﴾الضمير في «علم» لـ«كل» أو لله، وكذا في صلاته وتسبيحه. والصلاة الدعاء ولم يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لايكاد العقلاء يهتدون إليها ﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌۢ بِمَا يَفْعَلُوْنَ﴾ لايعزب عن علمه شيء ﴿وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ لأنه خالقهما ومن ملك شيئاً فبتمليكه إياه ﴿وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ﴾ مرجع الكل.

﴿اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يُزْجِيْ﴾ يسوق إلى حيث يريد ﴿سَحَابًا﴾ جمع سحابة دليله ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهٗ﴾ وتذكيره للفظ أي يضم بعضه إلى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهٗ رُكَامًا﴾ متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلٰلِهٖ﴾ من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ «وينزل» مكي ومدني وبصري ﴿مِنَ السَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء ﴿مِنْ

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله كمداً، في المصباح المنير للفيّومي: الكمد بفتحتين ، الحزن المكتوم، وهو مصدر من باب تعِب، و صاحبه كمِد، و كميد ـ اه.

(٣٥) لما وصف أنوار قلوب المؤمنين، و ظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد. وهي ثلاثة أنواع النوع الأول، الاستدلال بأحوال من في السموات والأرض ، النوع الثاني: الاستدلال بالآثار العلوية، النوع الثالث: الاستدلال بأحوال الحيوانات. (مفاتيح الغيب) والخطاب في "أ لم تر" للنبي صلّى الله تعالى عليه وسلم، والمراد الكلّ (قرطبي) والتسبيح إمّا محمول على الحقيقة،و من في السموات والأرض مخصوص بالمطيعين. أو المراد من التسبيح الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص، موصوفًا بنعوت الجلال. و "مَن" عام لكل موجود. والتعبير بمن تغليبًا للعقلاء، أو تنزيلًا لكل دالّ على نزاهته و كماله منزلة العاقل. و تخصيص الطير بالذكر لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة من جملة من في السموات والأرض حالَ طيرانها.

قوله الضمير في علم لكل أو لله ـ الخ ـ والمعنى كلٌّ قد علم صلاة نفسه و تسبيح نفسه، فهو يثابر عليهما و يؤديهما ـ قاله الحسن البصري ـ أو كلٌّ قد علم صلاةَ اللّٰه، و تسبيح اللّٰه الّذَيْنِ أمر بهما و هدى إليهما. فهذه إضافة خلق إلى خالق. وقال الزجاج وغيره: كلّ قد علم اللّهُ صلاتَه و تسبيحه، فالضميران للكلّ. (المحرر الوجيز لابن عطية) والمراد بكلّ ، كل واحد ممّا ذكر أو من الطير. (بيضاوي)

قوله "ولم يبعد" الخ ـ يشير إلى اختيار أن تسبيح الطير حقيقي. قوله لا يعزب (ن، ك، ض) لا يغيب قوله فتوقه، جمع فَتُق (ض، ن) وهو الشقّ. قوله ينزل، بإسكان النون و تخفيف الزاي من الإفعال، ابن كثير المكي، و أبو عمرو البصري، و يعقوب من العشرة، والباقون بفتح النون، و تشديد الزاي. و لعلّ ذكر =

﴿جِبَالٍ﴾ «من» للتبعيض[٣٦] لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي ﴿فِيهَا﴾ في السماء ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ للبيان أو الأوليان للابتداء والآخرة للتبعيض، ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها. وعلى الأول مفعول «ينزل» «من جبال» أي بعض جبال فيها ومعنى «من جبال فيها من برد» أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر أو يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال «فلان يملك جبالاً من ذهب» ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي يصيب الإنسان وزرعه ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾ فلا يصيبه أو يعذب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فلا يعذبه ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ ضوؤه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ يخطفها به (يُذۡهِبُ) يزيد على زيادة الباء. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ يصرفهما في الاختلاف طولاً وقصراً والتعاقب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ في إزجاء السحاب وإنزال الودق والبرد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ لذوي العقول. وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السماوات والأرض وما يطير بينهما ودعاؤهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر، فهي براهين لائحة على وجوده ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر.

ثم بين دليلاً آخر فقال تعالى. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ﴾ «خالق كل» حمزة وعلي ﴿دَآبَّةٖ﴾ كل حيوان يدب[٣٧] على وجه الأرض ﴿مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= المدني مع المكي والبصري خطأ الناسخ.

(٣٦) قوله في من الثلاثة. (١) من الأولى، للابتداء، والثانية للتبعيض، والثالثة للبيان. والمعنى ينزل من السماء بعضَ جبالِ بَرَد.

(٢) من الأولى والثانية للابتداء ـ على أن الجار والمجرور (من جبال) بدل الاشتمال أو بدل البعض ـ والثالثة للتبعيض، وهو المفعول به ، فالمعنى: ينزل بعضَ برد من السماء، من جبال فيها.

قوله أن يخلق الله في السماء ـ الخ ـ و في تفسير البيضاوي (من السماء) من الغَمام، و كل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قِطَعٍ عظامٍ تُشبِه الجبالَ في عِظَمها أو جمودها (من برد) بيان للجبال ـ (ثم قال) و قيل: المراد بالسماء المُظِلَّة، و فيها جبال من برد، كما في الأرض جبال من حجر. و ليس في العقل قاطع يمنعه. والمشهور (أي بين الحكماء) أن الأبخرة إذا تصاعدت ، ولم تُحَلّلُها حرارة، فبلغت الطبقة الباردة من الهواء، و قوِيَ البرد هناك اجتمع و صار سحابًا. فإن لم يشتدّ البرد تقاطر مطرا و إن اشتدّ فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا، و إلّا نزل بَرَدا. وقد يبرد الهواء بردًا مفرطًا فينقبض و ينعقد سحابًا، و ينزل منه المطر أو الثلج.

وكل ذلك لا بد و أن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالّها و أوقاتها. و إليه أشار بقوله (فيصيب به من يشاء و يصرفه عمّن يشاء) قوله ضوؤه أي ضوء برقه، والسنا مقصورًا ـ بمعنى الضوء، و ممدودًا بمعنى العلو والشرف. و هنا مقصور في القراء ات المشهورة. وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث إنه توليد الضد من الضد ــ أي البرق الذي هو نار أو منير من السحاب الذي هو ماء منعقد، أو ظلمة من نور، أو ذهاب البصر من النور الذي به الإبصار.(بيضاوي و خفاجي)

(٣٧) قوله يدِبّ، بالكسر، من ضرب. وفي شرح التلخيص في بيان أن التنكير قد يكون للإفراد والنوعية نحو (والله خلق كل دابّة من ماء): أي كلّ فرد من أفراد الدوابّ من نطفة معينة، و هي نطفة أبيه المختصّة به (والكلام مبنيّ على الغالب، فلا يرِد ما أُورِد ـ تجريد) أو كلَّ نوع من أنواع الدوابّ من نوع من أنواع المياه، وهو نوع النطفة التي تختصّ بذلك النوع من الدوابّ. اه.

من ماء مخصوص وهو النطفة،ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم ومنها أناسي وهو كقوله:(يُّسۡقٰى بِمَآءٍ وَّاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلٰى بَعۡضٍ فِى الۡاُكُلِ) [الرعد:٤]وهذا دليل على أن لها خالقاً ومدبراً وإلا لم تختلف لإتفاق الأصل. وإنما عرف الماء في قوله: «وَجَعَلۡنَا مِنَ الۡمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَىٍّ» [الأنبياء: ٣٠] لأن المقصود ثم أن أجناس الحيوان مخلوقة من جنس الماء وأنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط. قالوا: إن أول ما خلق الله الماء فخلق منه النار والريح والطين، فخلق من النار الجن، ومن الريح الملائكة، ومن الطين آدم ودواب الأرض، ولما كانت الدابة تشمل المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل ﴿فَمِنۡهُمۡ مَّنۡ يَّمۡشِىۡ عَلٰى بَطۡنِهٖ ۚ﴾ كالحية والحوت. وسمي الزحف على البطن مشياً استعارة كما يقال في الأمر المستمر قد مشى هذا الأمر، أو على طرائق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين﴿وَمِنۡهُمۡ مَّنۡ يَّمۡشِىۡ عَلٰى رِجۡلَيۡنِ ۚ﴾ كالإنسان والطير﴿وَمِنۡهُمۡ مَّنۡ يَّمۡشِىۡ عَلٰٓى اَرۡبَعٍ ؕ﴾ كالبهائم وقدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو غيرها ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع ﴿يَخۡلُقُ اللّٰهُ مَا يَشَآءُ ؕ﴾ كيف يشاء ﴿اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيۡرٌ ۝٤٥﴾ لا يتعذر عليه شيء. ﴿لَقَدۡ اَنۡزَلۡنَاۤ اٰيٰتٍ مُّبَيِّنٰتٍ ؕ وَاللّٰهُ يَهۡدِىۡ مَنۡ يَّشَآءُ﴾ بلطفه ومشيئته﴿اِلٰى صِرَاطٍ مُّسۡتَقِيۡمٍ ۝٤٦﴾إلى دين الإسلام الذي يوصل إلى جنته والآيات لإلزام حجته.

لما ذكر إنزال الآيات، ذكر بعدها افتراق الناس إلى ثلاث فرق: فرقة صدقت ظاهراً وكذبت باطناً وهم المنافقون، وفرقة صدقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون، وفرقة كذبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون على هذا الترتيب. وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿وَيَقُوۡلُوۡنَ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالرَّسُوۡلِ﴾ بألسنتهم ﴿وَاَطَعۡنَا﴾ الله والرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلّٰى﴾ يعرض عن الانقياد لحكم الله ورسوله ﴿فَرِيۡقٌ مِّنۡهُمۡ مِّنۡۢ بَعۡدِ ذٰلِكَ ؕ﴾ أي من بعد قولهم آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴿وَمَاۤ اُولٰٓـئِكَ بِالۡمُؤۡمِنِيۡنَ ۝٤٧﴾ أي المخلصين وهو إشارة إلى القائلين آمنا، وأطعنا، لا إلى الفريق المتولي وحده. وفيه إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لاعتقادهم ما يعتقد هؤلاء.والإعراض وإن كان من بعضهم فالرضا بالإعراض من كلهم.(٣٨)

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله هوامّ بالتشديد، جمع هامّة اسم لخَشاش الأرض و حشَراتها، و يطلق على القمّل ونحوه أيضًا.

قوله يُسقى بالياء، ابن عامر و عاصم و يعقوب، أي ما ذُكر و بالتاء الباقون، أي الجنات و ما فيها بماء واحد، و نفضل بالنون. وحمزة، و علي، و خلف بالياء بعضها على بعض في الأكل بسكون الكاف مكي و مدني والباقون بضمها أي في الثمر، قدرا و شكلًا و طعمًا ورائحة.

قوله استعارة، أي شبّه الزحف بالمشي، و ذُكر المشبه به موضع المشبّه. قوله المشاكلة وهي ـ في علم البديع ـ ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا نحو دِنّاهم كما دانوا ـ أي جَزيناهم كما صنعوا.

قوله أعرق من العَراقة، وهي الأصالة. والعِرق: الأصل.

(٣٨) و في تفسير البيضاوي (و ما أولئك...) إشارة إلى القائلين بأسرهم ... أو إلى الفريق منهم ـ اهـ ـ وهم المذكورون بقوله فريق منهم، و ضمير يقولون =

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي إلى رسول الله كقولك «أعجبني زيد وكرمه» تريد كرم زيد ﴿لِيَحْكُمَ﴾ الرسول ﴿بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ۝٤٨﴾ أي فاجأ من فريق منهم الإعراض نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم والمنافق إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي إذا كان الحق لهم على غيرهم ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ إلى الرسول ﴿مُذْعِنِينَ۝٤٩﴾ حال أي مسرعين في الطاعة طلباً لحقهم لا رضا بحكم رسولهم. قال الزجاج: الإذعان الإسراع مع الطاعة. والمعنى أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت يمتنعون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك لتأخذ لهم ما وجب لهم في ذمة الخصم ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته

= للمومنين مطلقًا. (خفاجي)

قوله أي إلى رسول الله - الخ - و ذكر الله تعالى لتعظيمه، والدلالة على أن حكمه صلّى الله تعالى عليه وسلم في الحقيقة حكم الله تعالى (بيضاوي) لأنه إذا ذكر اسمان متعاطفان، والحكم إنّما هو لأحدهما — كما قرروه في نحو يخادعون الله والذين آمنوا، و سرني زيد و حسنُ حاله — أفاد قوّة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه، و أنهما بمنزلة شيء واحد بحيث يصحّ نسبة أوصاف أحدهما و أحواله إلى الآخر. ولا كذلك البدل في نحو أعجبني زيد كرمه، لأنّ الثاني مقصود بالنسبة - الخ - (خفاجي)

قوله أي فاجأ - الخ - بيان لأنّ "إذا" فجائية.

قوله نزلت في بشر المنافق ، الخ سبقت القصة في سورة النساء في سبب نزول (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك. يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - إلى قوله - رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا.)

أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (أ لم تر إلى الذين يزعمون - الاية) قال نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر، خاصم يهوديًا، فدعاه اليهودي إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف. ثمّ إنهما احتكما إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق و قال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أ كذلك؟ قال : نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى بَرَدَ. ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله و رسوله. فنزلت. (الدر المنثور)

و أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر ، و ابن أبي حاتم عن الحسن، قال: إن الرجل كان يكون بينه و بين الرجل خصومة أو منازعة على عهد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فإذا دعي إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محقّ أذعن و علم أن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم سيقضي له بالحق. وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم أعرض، وقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله. (و إذا دعوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم) إلى قوله (هم الظالمون) فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم من كان بينه و بين أخيه شيء فدعاه إلى حكم من حكام المسلمين، فلم يجب فهو ظالم لا حق له.

وأخرج الطبراني عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له. (الدر المنثور)

أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله ﴿بَلْ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ﴾ أي لايخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم، وذلك شيء لايستطيعونه في مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن ثم يأبون المحاكمة إليه. ﴿اِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ وعن الحسن «قول» بالرفع، والنصب أقوى لأن أولى الاسمين بكونه اسماً لكان أوغلهما في التعريف وأن يقولوا أوغل بخلاف «قول المؤمنين» ﴿اِذَا دُعُوْٓا اِلَى اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ لِيَحْكُمَ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام « لِيُحكم» يزيدُ أي ليفعل الحكم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بحكم الله الذي أنزل عليه ﴿اَنْ يَّقُوْلُوْا سَمِعْنَا﴾ قوله ﴿وَاَطَعْنَا﴾ أمره ﴿وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ الفائزون ﴿وَمَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ﴾ في فرائضه ﴿وَرَسُوْلَهٗ﴾ في سننه ﴿وَيَخْشَ اللّٰهَ﴾ على ما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما يستقبل(٣٩) ﴿فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُوْنَ﴾ وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية. وهي جامعة لأسباب الفوز «ويتقه» بسكون الهاء: أبو عمرو وأبو بكر بنية

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله تعالى (و إذا دعوا ... و إن يكن لهم الحق) - التعبير بإذا في جانب الباطل إشارة إلى تحققه. بخلاف جانب الحق. فلذا عبّر فيه بإنْ (خفاجي)

قوله يحيف. الحيف: الميلُ في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين، (يخافون أن يحيف) أي يخافون أن يجورَ في حكمه (مفردات) و بابه ضرب.

قوله البَحْتُ، بفتح فسكون: الخالص، وهو في الأصل مصدر بَحُتَ من كرم قوله أحداقهم. الحَدَقَة السواد المستدير وسط العين. وقال الجوهري: حَدَقَةُ العين: سَوادُها الأعظم، والجمع حَدَق، و أَحداق، و حِداق (لسان العرب) و قضى له: حكم موافقًا له، و قضى عليه : حكم خلافًا له. فمعنى قوله. يمتنعون عن المحاكمة إليك. الخ - يُعرضون عن مرافعة القضية إليك إذا غلب و علاهم الحق مخافةَ أن تنتزعه من أحداقهم أي تُخرجه من أيديهم بأن تقضي خلافا لهم و موافقًا لخصومهم.

قوله والنصب أقوى على أن (قولَ المومنين) خبر مقدم لكان، و (أن يقولوا) اسم مؤخر لها قوله أو غل أي أدخل. لأن الفعل المُصدّر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف إلى الفاعل، فإذا كان فاعله معرفة - كما في هذا المقام - كان في معنى المصدر المضاف إلى المعرفة، فيكون معرفة، ولا سبيل إلى تنكيره لأن عزل الفعل عن فاعله غير متصور، بخلاف "قول المومنين" لأنه إذا عُزِل عن الإضافة وقيل "قول للمومنين" عاد نكرة - (إكليل بتغيير)

قوله ليحكم يزيد - بالبناء للمفعول ، وكذا في الآية ٤٨، والباقون ليحكم، بالبناء للفاعل في الموضعين.

قوله ليُفعل الحكم - يعني : الفعل مسند إلى المصدر، و مثله جُمع بينهما، و أُلف بينهما، و مثله لقد تقَطّعَ بينَكم فيمن قرأ "بينكم" منصوبًا. أي وقع التقطع بينكم. (كشاف)

(٣٩) قوله فيما يستقبل، لأن الاتقاء يكون في الآتي، بخلاف الخشية. (خفاجي)

قوله ويتقه بسكون الهاء - الخ - قال سيدي علي النوري الصفاقسي في "غيث النفع في القراء ات السبع" قرأ قالون، و حفص، و هشام - بخُلف عنه - بكسر الهاء من غير إشباع، إلّا أن حفصًا يسكن القاف قبلها. والبصري، و شعبة، و خلاد - بخُلف عنه - بإسكان الهاء. و ورش ، والمكي ، وابن ذكوان و خلَف، و علي بإشباع كسرة الهاء. وهو الطريق الثاني، لهشام و خلاد - اه - فالقراء ات هكذا: (١) يَتَّقْهِ - بسكون القاف، و بدون إشباع كسرة الهاء. حفص (٢) يَتَّقِهِ - بكسر القاف و بدون إشباع كسرة الهاء. قالون، و هشام في طريقٍ له. (٣) يَتَّقِهْ - بكسر القاف. و إسكان الهاء. أبو عمرو، شعبة، خلاد في طريق له (٤) يَتَّقِهِ - بكسر القاف و إشباع=

الوقف، وبسكون القاف وبكسر الهاء مختلسة: حفص، وبكسر القاف والهاء، غيرهم.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أي حلف المنافقون بالله جهد اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودهم. وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما:من قال بالله فقد جهد يمينه.وأصل «أقسم جهد اليمين» «أقسم يجهد اليمين جهداً» فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول كقوله: «فَضَرْبَ الرِّقَابِ » [محمد: ٤] وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾أي لئن أمرنا محمد بالخروج إلى الغزو لغزونا أو بالخروج من ديارنا لخرجنا ﴿ قُلْ لَا تُقْسِمُوا ﴾لاتحلفوا كاذبين لأنه معصية ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، مبتدأ محذوف الخبر أو خبر مبتدأ محذوف أي الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المؤمنين لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣ ﴾ يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ صرف الكلام عن الغيبة(٤٠) إلى الخطاب على طريق الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ يريد فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله تعالى وكلفه من أداء الرسالة فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ أي وإن أطعتموه فيما يأمركم وينهاكم فقد أحرزتم نصيبكم من الهدى، فالضرر في توليكم والنفع عائدان إليكم ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٥٤ ﴾ وما على الرسول إلا أن يبلغ ما له نفع في

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= كسرة الهاء ـ ورش، ابن كثير، ابن ذكوان، خلف ، الكسائي، هشام و خلاد في طريق آخر لهما.

قوله بسكون القاف، و كسر الهاء مختلسة (أي بغير إشباع) فأعطى "تَقِه" حكم "كَتِف" لكونه على وزنه، فخفف بتسكين وسطه، لجعله ككلمة واحدة، وقال ابن الأنباري: إنه لغة لبعض العرب في كل معتلّ حذف آخره، يجعله منسيًاو يعطي حكم الآخر لما قبله ، فيقولون: لم أر ولم أل بسكون الراء واللام. فلا يختصّ بهذا الوزن. (خفاجي)

قوله فضرب الرقاب. أصله فاضربوا الرقابَ ضربًا، فحذف الفعل (أي اضربوا) وقدّم المصدر (أي ضربا) فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول ـ الخ ـ (مدارك ـ سورة القتال ـ الآية ٤)

قوله كأنه قال ـ الخ ـ والأصل : أقسموا بالله يجهدون أيمانَهم جهدًا، يجهدون حال. حذف هذا الفعل، و قدم المصدر (جهدًا) مضافًا إلى المفعول فصار "جهدَ أيمانهم" ولما ناب مناب فعله أخذ حكمه قوله أمثل أي أفضل قوله الخُلّص على وزن "سُجَّد" جمع خالص.

(٤٠) قوله صرف الكلام عن الغيبة ـ الخ ـ يتعلق بما يأتي أي قوله فإن تولّوا قوله تبكيتهم أي تقريعهم و توبيخهم.

قلوبكم ولا عليه ضرر في توليكم. والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية، والمبين الظاهر لكونه مقروناً بالآيات والمعجزات.

ثم ذكر المخلصين فقال ﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولمن معه و «منكم» للبيان. وقيل: المراد به المهاجرون و «من» للتبعيض ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْاَرْضِ﴾ أي أرض الكفار. وقيل: أرض المدينة. والصحيح أنه عام لقوله عليه الصلاة والسلام : ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ﴾ «استخلف» (٤١) أبو بكر ﴿الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۠ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِى ارْتَضٰى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ ﴿وليبدلنهم﴾ بالتخفيف: مكي وأبو بكر ﴿مِنْۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْنًا﴾ وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام، وتمكينه تثبيته وتعضيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام "لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليس معه حديدة" فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب و افتتحوا أبعد بلاد المشرق و المغرب و مزقوا ملك الأكاسرة و ملكوا خزائنهم و استولوا على الدنيا. والقسم المتلقى باللام و النون في «ليستخلفنهم» محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم، أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كأنه قيل: أقسم الله

قوله ماله نفع في قلوبكم و في نسخة الكشاف "ماله نفع في قبولكم".

(٤١) قوله استخلف، على البناء للمفعول، قرأه أبو بكر شعبة بن عياش، والباقون بالبناء للفاعل.

قوله وليبدلنهم بالتخفيف، من الإبدال، ابن كثير و شعبة، والباقون من التبديل. قوله تعضيد: تقوية.

قوله سَرُبهم بفتح فسكون: الطريق. يُؤَمِّنَ سربهم يجعله في الأمن.

قوله وذلك أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم ـ الخ ـ أخرج نحوه عبد بن حميد ، و ابن أبي حاتم عن أبي العالية ـ و أخرج ابن المنذر، والطبراني في الأوسط، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والضياء في المختارة عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: لما قدم رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم و أصحابه المدينة، و آوتُهم الأنصار، رَمَتُهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلّا في السّلاح و لا يُصبحون إلّا فيه، فقالوا أترون أنا نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلّا الله؟ فنزلت (وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصلحت....) ـ الدر المنثور

قوله عشر سنين، و في الدر المنثور "نحوًا من عشر سنين" فترك الكسر، و مدة مكثهم بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة. قوله لا تغبرون. غبر غبورًا بمعنى بقي و بمعنى مضى، وهو من الأضداد ، و بابه نصر الأكاسرة، جمع كسرى، لقب لكل مَن ملك الفرس.

ليستخلفنهم(٤٢)﴿ يَعْبُدُوْنَنِيْ ﴾ إن جعلته استئنافاً فلا محل له كأنه قيل: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟فقال: يعبدونني موحدين، وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم فمحله النصب ﴿لَا يُشْرِكُوْنَ بِيْ شَيْئًا﴾ حال من فاعل يعبدون أي يعبدونني موحدين، ويجوز أن يكون حالاً بدلاً من الحال الأولى. ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ أي بعد الوعد والمراد كفران النعمة كقوله تعالى: «فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ»(٤٣)[النحل:١١٢] ﴿فَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ﴾ هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة الجسيمة وجسروا على غمطها. قالوا: أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضي الله عنه فاقتتلوا بعدما كانوا إخواناً وزال عنهم الخوف، والآية أوضح دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم.(٤٤) ﴿وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ﴾ معطوف على «اَطِيْعُوْا اللهَ وَ أَطِيعُواْ الرسول» ولا يضر الفصل وإن طال ﴿وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ﴾ فيما يدعوكم إليه وكررت طاعة الرسول تأكيداً لوجوبها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ﴾ أي لكي ترحموا فإنها من مستجلبات الرحمة.

ثم ذكر الكافرين فقال: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مُعْجِزِيْنَ فِي الْاَرْضِ﴾ أي فائتين الله بأن لا يقدر عليهم فيها، فالتاء خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل والمفعولان «الذين

(٤٢) و "ما" في (كما استخلف) مصدرية، و هو صفة لمحذوف، أي استخلافًا مثل استخلافهم. (خفاجي)

(٤٣) أخرج عبد بن حميد عن أبي العالية (و من كفر بعد ذلك) قال: كفر بهذه النعمة، ليس الكفر بالله. (الدر المنثور)

قوله هم الكاملون. توجيه للحصر بأنه باعتبار الكمال (خفاجي) الجسيمة: العظيمة جسروا (ن) جسر على الأمر. أقدم غَمْط، بفتح فسكون (ض س) غمِط النعمة: لم يشكرها.

قوله قَتَلة عثمان. أخرج البغوي بسنده في معالم التنزيل، قال عبد الله بن سلام في عثمان: إن الملائكة لم تزل محيطة بمدينتكم هذه منذ قَدِمَها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم حتى اليوم، فو الله لئن قتلتموه ليذهبون ثمّ لا يعودون أبدًا، فو الله لا يقتلنّه رجل منكم إلّا لقي الله أجذم لا يَدَلَه، و إنّ سيف الله لم يزل مغمودًا عنكم، والله لئن قتلتموه ليَسُلَّنّه الله ثم لا يُغمده عنكم، إمّا قال: أبداء، و إمّا قال : إلى يوم القيامة، فما قتل نبي إلّا قتل به سبعون ألفًا، ولا خليفة إلّا قتل به خمسة و ثلاثون ألفًا. اه.

(٤٤) قال البيضاوي : إذ لم يجتمع الموعود، و الموعود عليه لغيرهم بالإجماع ـ اه ـ و قال الإمام: دلّت الآية على إمامة الأئمة الأربعة، وذلك لأنه تعالى وعد الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الحاضرين في زمان محمد صلّى الله تعالى عليه وسلم ، وهو المراد بقوله (ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) و أن يمكن لهم دينهم المرضي، وأن يبدلهم بعد الخوف أمنًا، و معلوم أن المراد بهذا الوعد بعد الرسول هولاء، لأن استخلاف غيره لا يكون إلّا بعده، و معلوم أنه لا نبي بعده لأنه خاتم الأنبياء، فإذن المراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة، ومعلوم أن بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنّما كان في أيام أبي بكر و عمر و عثمان ، لأن في أيامهم كانت الفتوح العظيمة، و حصل التمكين، و ظهور الدين والأمن، ولم يحصل ذلك في أيام علي رضي الله تعالى عنه، لأنه لم يتفرغ لجهاد الكفار، لاشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة، فثبت بهذا دلالة الآية على صحة خلافة هولاء. الخ. (مفاتيح الغيب)

كفروا» و «معجزين» وبالياء شامي وحمزة والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره والمفعولان «الذين كَفَرُواْ»و «معجزين» ﴿وَمَأْوٰىهُمُ النَّارُ﴾معطوف على «لاَتَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ» كَأَنَّهُ قِيلَ:الذين كَفَرُواْ لاَيفوتون الله وَمَأْوَاهُمُ النار﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيْرُ﴾أي المرجع النار.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا(٤٥) لِيَسْتَاْذِنْكُمُ الَّذِيْنَ مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ أمر بأن يستأذن العبيد والإماء ﴿وَالَّذِيْنَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ أي الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار، وقريء بسكون اللام تخفيفاً ﴿ثَلٰثَ مَرّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة وهي ﴿مِنْ قَبْلِ صَلٰوةِ الْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِيْنَ تَضَعُوْنَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيْرَةِ﴾ وهي نصف النهار في القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلٰوةِ الْعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثَلٰثُ عَوْرٰتٍ لَّكُمْ﴾ أي هي أوقات ثلاثة عورات فحذف المبتدأ والمضاف. وبالنصب: كوفي غير حفص بدلاً من «ثلاث مرات» أي أوقات ثلاث عورات. وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها، والعورة: الخلل ومنها الأعور المختل العين. دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه: وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن. ثم بين

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله بالياء (لا يحسَبَنّ) شامي و حمزة، و السين مفتوحة، والباقون بالتاء، إلّا أنّ غير عاصم و أبي جعفر بكسر السين (لا تحسِبنّ) قوله كأنه قيل: الخ ـ بين به أن الجملة الفعلية السابقة و إن كانت إنشائية لفظًا لكنها خبرية معنى، فلا كلام في صحة العطف. ومذهب سيبويه صحّة العطف مع اختلاف الجملتين خبرًا و إنشاء، وهو الصحيح. (البحر المحيط)

(٤٥) قوله يأيّها الذين آمنوا ـ رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها، و في الأحكام اللاحقة من التمثيلات ، والترغيب والترهيب، و الوعد والوعيد، والخطاب. إمّا للرجال خاصة، والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص، أو للفريقين جميعًا بطريق التغليب (أبو السعود)

قوله و قرئ ـ قرأ الحسن، و أبو عمرو في رواية، و طلحة (الحلْم) بسكون اللام، وهي لغة بني تميم (البحر المحيط)

قوله اليَقَظة، بفتحات: الانتباه من النوم قوله القيظ، بفتح فسكون: شدة الحر و فصل الصيف (المصباح المنير)

قوله دخل غلام من الأنصار. نقله الثعلبي ، والواحدي، والبغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا سند. (تخريج أحاديث الكشاف) وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيّان قال: بلغنا أن رجلًا من الأنصار و امرأته أسماء بنت مرشدة صنعا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعامًا. فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا، إنه ليدخل على المرأة و زوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن. فأنزل الله في ذلك. (يأيّها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والإماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) قال: من أحراركم من الرجال والنساء. (الدر المنثور)

العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله: ﴿طَوّٰفُوْنَ عَلَيْكُمْ﴾ أي هم طوافون بحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلٰى بَعْضٍ﴾ تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة «طوافون» عليه، ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام، فلوجزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهومدفوع في الشرع بالنص ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ﴾ أي كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيْمٌ﴾ في بيان مراده.

﴿وَاِذَا بَلَغَ الْاَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ أي الأحرار دون المماليك ﴿الْحُلُمَ﴾ أي الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوْا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: «يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَدْخُلُوْا بُيُوْتًا غَيْرَ بُيُوْتِكُمْ حَتّٰى تَسْتَأْنِسُوْا وَتُسَلِّمُوْا» الآية. والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن، والناس عن هذا غافلون، وعن ابن عباس[٤٦] رضي الله عنه: ثلاث آيات جحدهن الناس: الإذن كله وقوله: «اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰكُمْ» [الحجرات:١٣] «وَاِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ» [النساء:٨]. وعن سعيد بن جبير: يقولون هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة وقوله ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اٰيٰتِهٖ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيْمٌ﴾ فيما يبين من الأحكام.

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعد لأنها من الصفات المختصة بالنساء[٤٧] كالطالق والحائض

قوله جُزم الأمر، أي قُطع قوله أن يُفطموا، أي يقطعوا، و أصله في القطع عن الرضاع.

(٤٦) قوله عن ابن عباس. الخ. أخرجه ابن جرير ـ و فيه : وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتًا ـ (قال عطاء:) و نسيت الثالثة. و أخرجه ابن أبي حاتم ـ و فيه ذكر الثلاثة. و لفظه : ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن.

قوله وإذا حضر القسمة أُولو القربى واليتٰمى والمسٰكينُ فارزُقوهم منه و قولوا لهم قولًا معروفًا. (٨– النساء] أي إذا حضر قسمة التركة أهل القرابة ممن لا يرث، واليتامى والمساكِين من الأجانب فأعطوهم ممّا ترك الوالدان والأقربون، و هو أمر ندب، وهو باق لم ينسخ، وقيل: كان واجبًا في الابتداء ثم نسخ بآية الميراث. والقول المعروف : عذر جميل و عدة حسنه، و قيل: أن يقولوا لهم خذوا بارك الله عليكم و يستقلّوا (يعدّوا قليلًا) ما أعطوهم ، ولا يمنّوا عليهم. كذا أفاد المصنّف في سورة النساء.

قوله : و عن سعيد بن جبير: أخرج نحوه ابن جرير عن الشعبي و عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهما.

(٤٧) و مثل هذه الصفات لا تُزاد فيها تاء التانيث، لأن المادة و جوهر اللفظ إذا دلّ على التانيث لم يحتج إلى الدلالة عليه بشيء زائد. لكن جمعها يأتي كجمع ذوات التاء.

أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿مِنَ النِّسَآءِ﴾ حال ﴿الّٰتِيْ لَا يَرْجُوْنَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه وهي في محلّ الرفع صفة للمبتدأ وهي القواعد والخبر﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾إثم ودخلت الفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط بسبب الألف واللام﴿اَنْ يَّضَعْنَ﴾ في أن يضعن﴿ثِيَابَهُنَّ﴾ أي الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار﴿غَيْرَ﴾حال﴿مُتَبَرِّجٰتٍ بِزِيْنَةٍ﴾أي غير مظهرات زينة، يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق ونحو ذلك أي لايقصدن بوضعها التبرج ولكن التخفيف، وحقيقة التبرج يكلف إظهار ما يجب إخفاؤه﴿وَاَنْ يَّسْتَعْفِفْنَ﴾أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن وهو مبتدأ خبره﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ﴾لما يعلن﴿عَلِيْمٌ﴾بما يقصدن.

﴿لَيْسَ عَلَى الْاَعْمٰى حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْاَعْرَجِ حَرَجٌ وَّلَا عَلَى الْمَرِيْضِ حَرَجٌ﴾ قال سعيد بن المسيب: (٤٨)كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزلت الآية رخصة لهم ﴿وَّلَا عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ﴾ أي حرج ﴿اَنْ تَاْكُلُوْا مِنْۢ بُيُوْتِكُمْ﴾ أي بيوت أولادكم لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولذا لم يذكر الأولاد في الآية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: أنت ومالك لأبيك. أو بيوت أزواجكم لأن الزوجين صارا كنفس واحدة فصار بيت المرأة كبيت الزوج ﴿اَوْ بُيُوْتِ اٰبَآئِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ اُمَّهٰتِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ اِخْوَانِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ اَخَوٰتِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ اَعْمَامِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ عَمّٰتِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ اَخْوَالِكُمْ اَوْ بُيُوْتِ خٰلٰتِكُمْ﴾ لأن الإذن من هؤلاء ثابت دلالة ﴿اَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَّفَاتِحَهٗٓ﴾ جمع مفتح وهو ما يفتح به الغلق، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته، له أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته. (٤٩) وأريد بملك المفاتح كونها في يده وحفظه. وقيل: أريد به بيت عبده لأن العبد وما في يده لمولاه ﴿اَوْ صَدِيْقِكُمْ﴾ يعني أو بيوت أصدقائكم والصديق

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله الظاهرة، قيّد الثياب بالظاهرة، لتخرج الباطنة، لأنها تفضي لكشف العورة. ولا إذن فيه بدون الحاجة. قوله المِلحفة، بالكسر هي المُلائة التي تلتحف بها المرأة. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار و دون الرداء. متبرجات، تبرجت المرأة: أظهرت زينتها و محاسنها للأجانب. (المصباح المنير)

(٤٨) قوله سعيد بن المسيب. أخرجه الواحدي بسنده عن الزهري عن سعيد بن المسيب. و أخرج عن الزهري ما يقاربه معنى عبد الرزاق، و عبد بن حميد، و أبوداؤد في مراسيله، و ابن جرير، والبيهقي. و ذكر ابن كثير رواية الزهري عن عروة عن أم المؤمنين الصديقة رضي الله تعالى عنها في هذا المعنى ثم رأيت أخرجه ابن أبي حاتم.

قوله أنت و مالك لأبيك ، أخرجه الإمام أحمد في المسند و أبو داود و ابن ماجة. قوله الغَلَق، بفتحتين، ما يغلق به الباب. قوله قيّمه، القيّم: سائس الأمر، و قيم القوم : الدي يقوّمهم و يسوس أمرهم. الضَّيْعَة: الأرض المُغلّة، ومال الرجل من النخل والكرم. (إكليل، لسان العرب)

(٤٩) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قوله الشُحّ: البخل مع حرص. مختار الصحاح.

يكون واحداً وجمعاً وهو من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك، وكان الرجل من السلف يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك، فأما الآن فقد غلب الشح على الناس فلا يؤكل إلا بإذن.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَأْكُلُوْا جَمِيْعًا﴾ مجتمعين ﴿اَوْ اَشْتَاتًا﴾ متفرقين جمع شت. نزلت في بني ليث بن عمرو[٥٠] وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة، أو في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم، أو تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض ﴿فَاِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوْتًا﴾ من هذه البيوت لتأكلوا ﴿فَسَلِّمُوْا عَلٰۤى اَنْفُسِكُمْ﴾ أي فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة أو بيوتاً فارغة أو مسجداً فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[٥١]﴿تَحِيَّةً﴾ نصب بـ«سلموا»؛ لأنها في معنى تسليماً

(٥٠) وهم من بني كنانة كما ذكر البغوي في المعالم. وهذه ثلاثة أقوال في سبب النزول. الأول مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. بدون اسم حيّ أو قبيلة. و عن قتادة، و ابن جريج، و الضحاك، و ابن زيد عند ابن جرير، وابن أبي حاتم. والثاني مروي عن أبي صالح و عكرمة عند ابن جرير وابن المنذر والثالث لم أجده صريحًا، نعم يوخذ من بعض ما روي هنا في تفسير (ليس على الأعمى حرج) ـ الاية ـ عند ابن أبي حاتم، و ابن المنذر، و عبد بن حميد كما في الدر المنثور.

(٥١) (**الف**) إذا دخلتم بيوتًا فليسلم بعضكم على بعض. هذا المعنى أخرجه عبد الرزاق، و ابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن البصري. و أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمٰن بن زيد، و عبد بن حميد عن مجاهد. و ابن جرير عن الضحاك. و أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري و قتادة، قالا: بيتك إذا دخلت فقل: السلام عليكم، و أخرج عن سعيد بن جبير:' يعني بيوت المسلمين.

(**ب**) و أخرج ابن أبي شيبة، والبخاري في الأدب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إذا دخل البيت غير المسكون، أو المسجد فليقل: السلام علينا و على عباد الله الصالحين. و أخرج عبد بن حميد ، و ابن أبي حاتم ، و البيهقي عن قتادة، قال: إذا دخلت بيتك فسلّم على أهلك. و إذا دخلت بيتًا لا أحد فيه فقل: السلام علينا و على عباد الله الصالحين. فإنه كان يؤمر بذلك. و حدثنا أن الملائكة تردّ عليه. و عن أبي مالك قريبًا من هذا المعنى عند سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن جرير والبيهقي.

(**ج**) وأخرج عبد الرزاق، و ابن جرير، و ابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم، و صحّحه، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال: هو المسجد إذا دخلته فقل: السلام علينا و على عباد الله الصالحين.

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قلت لعطاء فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلّم، قل: السلام على النبي و رحمة الله و بركاته، السلام علينا و على عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت و رحمة الله. الخ.

وأخرج عن سفيان عن الأعمش عن إبراهيم ، قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله ، و إذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل: السلام علينا و على عباد الله الصالحين، و إذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم. اهـ. فتفسير المصنّف يرجع إلى هذه الأقوال. و أخرج البزار، وابن عدي، والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: أوصاني النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم بخمس خصال. قال: أسبغ الوضوء يزدْ في عمرك، و سلّم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك، و إذا دخلت بيتك فسلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك، وصلّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأوّابين قبلك، يا أنس! ارحم الصغير، و وقّر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة. (الدر المنثور)

نحو «قعدت جلوساً» ﴿مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه، أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله ﴿مُبٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وصفها بالبركة و الطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير و طيب الرزق ﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ لكي تعقلوا وتفهموا.

﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ(٥٢) وَاِذَا كَانُوْا مَعَهٗ عَلٰى اَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي الذي يجمع له الناس نحو الجهاد والتدبير في الحرب وكل اجتماع في الله حتى الجمعة والعيدين ﴿لَّمْ يَذْهَبُوْا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوْهُ﴾ أي ويأذن لهم. ولما أراد الله عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذنه إذا كانوا معه على أمر جامع،جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله،وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره.وذلك مع تصدير الجملة بـ«إنما»وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده توكيداً وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَاْذِنُوْنَكَ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ﴾(٥٣) وضمنه شيئاً آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسلّلهم لواذاً ﴿فَاِذَا اسْتَاْذَنُوْكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَاْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَاْذَنْ لِّمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ وذكر الاستغفار للمستأذنين دليل على أن الأفضل أن لايستأذن. قالوا: وينبغي أن يكون الناس كذلك مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم

(٥٢) استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة، تقريرا لها، و تأكيدا لوجوب مراعاتها، و تكميلًا لها ببيان بعض اخر من جنسها. (أبو السعود)
قوله أي الذي يُجمع له الناس، و أسند الجمع إلى الأمر، مبالغةً، لجعل السبب للجمع جامعًا، وهو مجاز عقلي أو استعارة مكنية (بيضاوي و خفاجي)
قوله و يأذن لهم، لا بد من تقديره لأنه هو الغاية لما قبله، والاقتصار على ذكر الاستيذان لأنه الذي يتمّ من قبَلهم. (أبو السعود)
قوله كالتشبيب له والبساط لذكره، أي كالابتداء له والتمهيد لذكره. والتشبيب في الأصل ذكر أيام الشباب و اللهو والغزل، و ذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر، فسُمّي ابتداء كل أمر تشبيبًا و إن لم يكن في ذكر الشباب. اهـ. شرح التلخيص.
(٥٣) فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله و رسوله. كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما و بين الاستيذان. قوله كالمصداق - أي المصَدِّق.
قوله و عرّض - الخ - فإن حصر المؤمنين في المستأذنين، و حصر المستأذنين في المؤمنين أفاد أن الذاهبين بغير إذن خارجون عنهم. وهم المنافقون الذين يتسلّلون لواذًا.
قوله فيه رفع شأنه عليه الصلاة والسلام، بأن لم يجعل الإذن محتومًا عليه بل فوّضه إلى رأيه.
قوله و ذكر الاستغفار - الخ - فإن الاستئذان و إن كان لعذر لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على الآخرة. و في الكشف نقلًا عن شيخه الشهاب السُّهُرَوَرْدِي أن هذه الآية تدل على أنّ ملاكَ الأمر في الاتباع تسليمُ نفسه لصاحب الشريعة كالميّت بين يدي الغاسل، فلا يُقدم ولا يُحجم دون إشارته. (خفاجي)

يظاهرونهم ولايتفرقون عنهم إلا بإذن، قيل: نزلت يوم الخندق كان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غير استئذان(٥٤).

﴿لَا تَجْعَلُوْا دُعَآءَ الرَّسُوْلِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ أي إذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه، فلا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض.(٥٥)

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يظاهرونهم: يعاونونهم و يساعدونهم.

(٥٤) أخرج ابن إسحٰق، و ابن المنذر، والبيهقي في الدلائل عن عروة، و محمد بن كعب القُرظي قالا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من بئر رُومة بالمدينة، قائدها أبو سفيان، و أقبلت غطفان نزلوا بذَنَب نَقْمى إلى جانب أحد. و جاء رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم الخبر و ضرب الخندق على المدينة و عمل فيه، وعمل المسلمون فيه، و أبطأ رجال من المنافقين، و جعلوا يُوَرّون (يستترون) بالضعيف من العمل، فيتسلّلون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم و لا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم و يستأذنه في اللحوق لحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين (إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله و إذا كانوا معه على أمر جامع.) إلى قوله (والله بكل شيء عليم) لباب النقول والدر المنثور، والسيرة لابن هشام.

وأخرج الفريابي عن مكحول ، قال: إذا جمعهم لأمر حَزَبَهم من الحرب و نحوه لم يذهبوا حتى يستأذنوه. وأخرج ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (على أمر جامع) قال: من طاعة الله ـ اه ـ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(٥٥) ذكر تفسيرين في "دعاء الرسول" في الأول إضافة المصدر إلى الفاعل، والمفعول محذوف، و في الثاني إضافة المصدر إلى المفعول، والفاعل محذوف، والمحذوف على التقديرين يُعرف من باقي الكلام. التفسير الأول اختاره القفال والمبرد، و رجّحه الإمام الرازي بقوله هو أقرب إلى نظم الآية. واختاره القاضي البيضاوي بتقديمه. قال: فإن المبادرة إلى إجابته عليه السلام واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة.

ووجه الارتباط على التفسير الثاني أن الاستيذان يحتاج إلى الخطاب والنداء فلا يليق أن يكون كنداء بعضهم بعضًا بل بالتوقير والتعظيم والصوت المخفوض. و هذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، و مجاهد ، وسعيد بن جبير، و قتادة، و زيد بن أسلم.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم فنهاهم الله عزّ و جل عن ذلك، إعظامًا لنبيه صلّى الله تعالى عليه وسلم. قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله. أخرجه ابن أبي حاتم، و قال الإمام السيوطي في أحكام القرآن ، إنّ في هذا النهي تحريم ندائه صلّى الله تعالى عليه وسلم باسمه ـ اه ـ قال ابن كثير : هذا قول، وهو الظاهر من السياق. كقوله تعالى (يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَقُوْلُوْا رَاعِنَا) إلى آخر الآية. و قوله (يٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَ لَا تَجْهَرُوْا لَهٗ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ) إلى قوله وَ إِنَّ الذين يُنَادُوْنَكَ مِن وَّرَاءِ الْحُجُرٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ ، وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتّٰى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) ـ الآية ـ فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم، و الكلام معه و عنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته ـ اه ـ

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِيْنَ يَتَسَلَّلُوْنَ﴾ يخرجون قليلاً قليلاً ﴿مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ حال أي ملاوذين اللواذ. والملاوذة هو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا أي ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ اَمْرِهٖ﴾(٥٦) أي الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون. يقال: خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه ومنه: ﴿وَمَآ أُرِيْدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه. والضمير في «أمره» للّٰه سبحانه أو للرسول عليه الصلاة والسلام والمعنى عن طاعته ودينه ومفعول «يحذر» ﴿اَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة في الدنيا أو قتل أو زلازل وأهوال أو تسليط سلطان جائر أو قسوة القلب عن معرفة الرب أو إسباغ النعم استدراجاً ﴿اَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ﴾ في الآخرة. والآية تدل على أن الأمر للإيجاب.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يلوذ هذا بذاك ـ الخ ـ لاذ به التجأ إليه و انضم و استغاث. و قيل معنى يتسلّلون منكم لواذًا: يلوذ هذا بذا و يستتر ذا بذا، و منه الحديث: يلوذ به الهُلّاك أي يستتر به الهالكون و يَحْتَمون (لسان العرب) قال: البيضاوي في معنى يتسلّلون : ينسلّون قليلًا قليلًا من الجماعة، و نظير تسلّل: تدَرّج و تدخّل ـ اهـ ـ أي في دلالة "تفعل" على مواصلة العمل في مهلة. وهو معنى قولهم: إنّ ذلك الفعل وقع قليلًا قليلًا. (خفاجي)

(٥٦) قوله تعالى: يخالفون عن أمره. أصل معنى المخالفة أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله (مفردات) وهو تحقيق لمعنى المفاعلة فيه، المبني عليه (خفاجي) فمعنى المفاعلة يقتضي جانبين، و معنى المخالفة يقتضي أن يكون طريق كل واحد غير طريق الآخر. و لإظهار معنى المفاعلة يستعملون الفعل لمشاركين يكون أحدهما بصورة الفاعل و الآخر بصورة المفعول. فالمخالفة تقتضي فاعلًا و مفعولًا، و بيان مغايرة الطريقين يقتضي صلة بعدهما ، فيستعملون لإظهارها إلى وعن، فإذا دعوت صاحبك إلى الدرس، فلم يجبك واشتغل باللهو تقول: خالفني صاحبي إلى اللهو. أو تقول : خالفني صاحبي عن الدرس، أو تجمعهما فتقول : خالفني صاحبي عن الدرس إلى اللهو. أي معرضًا عن الدرس مائلًا إلى اللهو. فإلى تدلّ على الانتهاء و الميل إلى شيء، و عن تدلّ على التجاوز و البعد عن شيء كما في رغب إليه، و رغب عنه و في: انقطع عن الخلق إلى الحق. و فصّل صاحب الكشاف هذه الأمور (كما نقل كلامه المصنّف هنا) بقوله : "يقال خالفه إلى الأمر، إذا ذهب إليه دونه" فإن المخالفة تقتضي أن يكون طريق الآخر غير طريق الأول. و بقوله "خالفه عن الأمر، إذا صَدّ عنه دونه" أي امتنع و أعرض عنه مغايرًا له. ففي كلامه تحقيق معنى المفاعلة و معنى المخالفة، و يتضح منه قوله: أي الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين أي يخالفون المؤمنين راغبين عن أمره، ذاهبين إلى غيره، والمفعول (المؤمنين) محذوف لما أن المقصود بيان المخالِف و المخالَف عنه (كشاف) و ضمير " أمره" للّٰه تعالى لأنه الآمر حقيقة، أو للرسول صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم لأنه المقصود بالذكر. (أبو السعود).

قوله محنة في الدنيا ـ الخ ـ هذه ستة أقوال، الأوّل عن مجاهد، و الثاني عن ابن عباس رضي اللّٰه تعالى عنهما، والثالث عن عطاء والرابع عن جعفر بن محمد، والخامس عن الجنيد البغدادي، والسادس عن الجراح، والسابع الطبع على القلوب مروي عن الضحاك و عبد الرحمٰن بن زيد، (الكشف للثعلبي، الكشاف، البحر المحيط، ابن أبي حاتم، ابن جرير) قال أبو حيان: و هذه الأقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر ـ اهـ ـ

قوله والآية تدلّ ـ الخ ـ و ذلك لأن اللّٰه تعالى أوجب الوعيد الشديد ـ وهو الفتنة في الدنيا أو العذاب الأليم في الآخرة ـ للمخالفين عن أمر اللّٰه أو رسوله، و ما هذا إلّا من شأن الواجب، فعلم أن الأمر المطلق يقتضي الوجوب فقط. نعم إذا صارف قرينة عن الوجوب فحينئذ يحمل على غيره. (التفسيرات الأحمدية)

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ «ألا» تنبيه على أن لا يخالفوا أمر من له ما في السماوات والأرض ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أدخل «قد» ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، والمعنى أن جميع ما في السماوات والأرض مختص به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف تخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجهدون في سترها؟ ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ وبفتح الياء وكسر الجيم: يعقوب أي ويعلم يوم يردون إلى جزائه وهو يوم القيامة. والخطاب والغيبة في قوله: «قد يعلم ما انتم عليه» «ويوم يرجعون إليه» يجوز أن يكونا جميعاً للمنافقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون «ما أنتم عليه» عاماً و «يرجعون» للمنافقين ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ بما أبطنوا من سوء أعمالهم ويجازيهم حق جزائهم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ فلا يخفي عليه خافية. ورُوي أن ابن عباس رضي الله عنهما قرأ سورة النور على المنبر في الموسم وفسرها على وجه لو سمعت الروم به لأسلمت والله أعلم.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله ويعلم يومَ يُردُّون ـ الخ ـ أبان به أن "يوم" معطوف على مفعول يعلم، وهو ما أنتم عليه. و تعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم، لا برجوعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك، و غايةِ تقريره، لما أنّ العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوع الشيء على أبلغ وجه و آكده. و فيه إشعار بأن علمه تعالى بنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعًا (أبو السعود) و يجوز أن يكون ظرفًا لمحذوف معطوف على الجملة السابقة أي قد يعلم.... و سينبّئهم يوم يرجعون إليه. و يجوز أن يكون معطوفًا على مقدر أي قد يعلم ما أنتم عليه الآن و يوم يرجعون إليه. فإن الجملة الاسمية تدلّ على الحال في ضمن الدوام والثبوت (خفاجي)

قوله و روي أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ الخ ـ أخرج الحاكم عن أبي وائل قال: حججت أنا و صاحب لي ـ وابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور و يفسرها ، فقال صاحبي: سبحٰن الله! ما ذا يخرج من رأس هذا الرجل؟ لو سمعت هذا الترك لأسلمت. (الدر المنثور)

تمّ على خمس و أربعين دقيقة بعد الساعة الثانية عشرة من ليلة الأحد ـ (٢٤/رمضان ١٤٢٨هـ /٧/أكتوبر ٢٠٠٧م)

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اٰية

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾

﴿ تَبَارَكَ ﴾ تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته، ومعنى تبارك الله تزايد خيره وتكاثر[1] أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي فحسب ﴿ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ هو مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما، وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل والحلال والحرام، أو لأنه لم ينزل جملة ولكن مفرقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى إلى قوله: «وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ۝» [الإسراء: ١٠٦] ﴿ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد أو الفرقان﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ للجن والإنس.وعموم الرسالة من خصائصه عليه الصلاة والسلام ﴿نَذِيرًا ۝﴾ ....

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل ١٤٢٩هـ

سورة الفرقان

إنه سبحانه تكلم في هذه السورة أوّلًا في التوحيد لأنه أقدم و أهم، ثم في النبوة لأنها الواسطة، ثم في المعاد، و سيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين. فما أشرف هذه المطالب، و ما أحسن هذا الترتيب. (نيسابوري)

(١) تفسير له باعتبار حاصل معناه ـ لا إشارة إلى تقدير مضاف ـ لأن البركة في الأصل مأخوذة من بَرْكِ البعير، و هو صدره، و منه : بَرَكَ البعير، إذا ألقى برْكه على الأرض. و اعتبر فيها معنى اللزوم فقيل: بَرَاكاءُ الحرب، لمكان يلزَمه الأبطال. و سمي محبِسُ الماء برْكة. والبَرَكة: ثبوتُ الخير الإلٰهي في الشيء ثبوتَ الماء في البِرْكة، و المبارك: ما فيه ذلك الخير. و لما كان الخير الإلٰهي لا يحسّ ولا يحصى و لا يحصر قيل لكل ما يعرف فيه زيادة غير محسوسة "مبارك، و فيه بَرَكة" وقوله و تعالى عنه، تفسير لتزايَدَ، إشارة إلى أن المراد رفعته عمّا سواه و كماله. (خفاجي)

قوله فحسبُ أي فقط، أي لا يستعمل له مضارع و اسم فاعل و نحوه، و يردُ عليه ما نقله في الكشف من أنه يقال: تباركت النخلة إذا تعالت، قال: إلى الجذع جذع النخلة المتبارك. إلّا أن يقال: إنّه أغلبي. (خفاجي)

قوله لفصله ـ الخ ـ يعني أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل ـ كما في الوجه الأول ـ أو بمعنى اسم المفعول ـ كما في الوجه الثاني.

قوله (و قرانًا) منصوب بفعل يفسّره (فَرَقْنٰه) نزّلناه مفرقًا في عشرين سنة، أو و ثلاث (لِتَقرأه على الناس على مُكُث) مُهُل و تُؤَدَة ليفهموه (ونزَّلنٰه تنزيلًا) شيئًا بعد شيء على حسب المصالح. (جلالين. سورة الإسراء ـ ١٠٦)

قوله للجن و الإنس. يجب الإيمان بأن سيدنا محمدًا صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم أرسله اللّٰه تعالى إلى الإنس والجن، فإن استثنى أحدهم الجانّ أو صنفا من بني آدم، بل شخصًا ولو واحدا، من دعوته صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم لا يصح إيمانه برسالته. و في الملائكة اختلاف. رجّح الإمام السبكي، و البارزي، و ابن حزم والسيوطي بعثته إلى الملائكة لأنهم مكلّفون بالطاعات العملية كما قال تعالى: (لا يعصون اللّٰه ما أمرهم) و قال تعالى في الملائكة (و من يقل منهم إنّى إلٰه من دونه فذلك نجزيه جهنم) و هذا يدل على شمو ل الإنذار للملائكة أيضًا كما ذكره الإمام السيوطي. و كذا قال بعض المحققين بعموم بعثته إلى الحيوانات والجمادات، قالوا تكليفهما بحسب حالهما من ذكر أو تسبيح أو نحوهما. و استدلّوا بشهادة الضبّ ، والحجر، والشجر له بالرسالة، و بقوله تعالى (ليكون للعٰلمين نذيرًا) فإن العالم هو ما سوى اللّٰه تعالى، فيتناول جميع المخلوقات، و استدلّوا بما رواه مسلم في صحيحه من قوله صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "أُرسلتُ إلى الخلق كافّة" و فائدة الإرسال للمعصوم و غير المكلّف طلب إذعانه لشرفه و دخولهما تحت دعوته=

منذراً أي مخوفاً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِيْ وَنُذُرِ ﴿١٨﴾» [القمر:١٨]﴿الَّذِيْ﴾ رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو على الإبدال من «الذي نزل» وجوز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله «ليكون» لأن المبدل منه صلته «نزل» وليكون تعليل له فكأن المبدل منه لم يتم إلا به أو نصب على المدح ﴿لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ على الخلوص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعم اليهود والنصارى في عزير والمسيح عليهما السلام ﴿وَّلَمْ يَكُنْ لَّهٗ شَرِيْكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ كما زعمت الثنوية﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي أحدث كل شيء وحده لا كما يقوله المجوس والثنوية من النور والظلمة ويزدان وأهرمن. ولا شبهة فيه لمن يقول:إن الله شيء ويقول بخلق القرآن، لأن الفاعل بجميع صفاته لا يكون مفعولاً له على أن لفظ شيء اختصّ بما يصح أن يخلق بقرينة «وخلق»، وهذا أوضح دليل لنا على المعتزلة في خلق أفعال العباد﴿ فَقَدَّرَهٗ تَقْدِيْرًا ﴿٢﴾﴾ فهيأه لما يصلح له بلا خلل فيه(٢) كما أنه خلق الإنسان على هذا الشكل الذي تراه

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= تشريفًا له على سائر المرسلين صلوات الله و سلامه عليه وعليهم أجمعين.

قال الإمام أحمد رضا القادري رحمه الله تعالى: وهو المختار عندنا ، و به نقول و حسبُنا الآية و الحديثُ الصحيح المذكور المروي في صحيح مسلم. فلا تُخصُّ العمومات الشرعية إلّا بدليل، و أين الدليل؟ والتمسّك بعدم العقل مقطوع بقواطع النقل. قال تعالى: (و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده) والحمل على التسبيح بالحال مردود بقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) و في حديث الطبراني وغيره عن يَعلى بن مُرّة " ما من شيء إلّا يعلم أني رسول الله إلّا مَرَدَة الجنّ والإنس" و قد نصّ الإمام ابن حجر في "أفضل القرى" أن الله تعالى أخذ العهد من جميع المخلوقات، حتى المصنوعات كالسيف و نحوه، بالإيمان بمحمد صلّى الله تعالى عليه وسلم. رزقنا الله تعالى حسن الإيمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم.(المستند المعتمد، المعتقد المنتقد، المواهب اللدنيه، شرحها للزرقاني)

قوله منذرًا، على أن فعيلًا صفة مشبهة بمعنى منذر، أو مصدر كالنكير، وجعله نفس الإنذار مبالغة، كرجل عدل، و ليس هذا على طريق اللفّ والنشر المرتب لقوله "العبد أو الفرقان" كما قيل. (خفاجي)

قوله و نذر، جمع نذير، بمعنى الإنذار أي إنذاراتي.

قوله أو نصب. بتقدير أمدح أو أعني.

قوله على الخلوص. إشارة إلى الاختصاص والحصر المستفادين من "له " أي اللام، و تقديم الخبر، قال أبو السعود أي له خاصة ـ دون غيره لا استقلالًا، ولا اشتراكًا ـ السلطانُ القاهر، والاستيلاءُ الباهر عليهما، المستلزمان للقدرة التامّة، والتصرف الكلي فيهما، و فيما فيهما، إيجادا و إعدامًا، و إحياء و إماتة، و أمرًا و نهيًا حسبما تقتضيه مشيئته المبنيّة على الحِكم والمصالح ـ اهـ ـ

قوله المجوس والثنوية. تعتقد المجوس إلٰهين للعالم، خالق الخير، وهو يزدان، و خالق الشر وهو أهْرَمن أي الشيطان. والثنوية تقول فاعل الخير هو النور، و فاعل الشر هو الظلمة ـ و قيل في تعريف الفرقتين غير ذلك. (إكليل، وغيره)

(٢) إشارة إلى الجواب عن سوال، وهو أن الخلق هو إيجاد الشيء على تقدير و استواء ، فالتقدير معتبر في معنى الخلق، فذكره بعد الخلق يكون تكرارًا كأنه قيل: "قدّر كل شيء فقدّره" فأشار أن التقدير المذكور بعد الخلق ليس التقدير الذي يعتبر في معنى الخلق، بل هو بمعنى جعله مُهَيَّأً لما خلق له من العلم والتكليف ، وهما متغايران، و أجاب ثانيًا بقوله "أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم" وهذا أيضًا غير التقدير المعتبر في معنى الخلق كأنه قيل أوجده إيجادًا مراعًى فيه التقدير والتسوية كما تقتضيه الحكمة بتعيين مادته و صورته و ما يتعلّق به من العوارض ثم=

فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في الدين والدنيا أو قدره للبقاء إلى أمد معلوم.

﴿وَاتَّخَذُوْا﴾ الضمير للكافرين لاندراجهم تحت العالمين أو لدلالة «نذيراً» عليهم لأنهم المنذرون ﴿مِنْ دُوْنِهٖٓ اٰلِهَةً﴾ أي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُوْنَ شَيْـًٔا وَّهُمْ يُخْلَقُوْنَ﴾ أي إنهم آثروا على عبادة من هو منفرد بالألوهية والملك والخلق والتقدير عبادة عجزة لا يقدرون على خلق شيء وهم يخلقون ﴿وَلَا يَمْلِكُوْنَ لِاَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَّلَا نَفْعًا﴾ ولا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها ولا جلب نفع إليها ﴿وَّلَا يَمْلِكُوْنَ مَوْتًا﴾ إماتة ﴿وَّلَا حَيٰوةً﴾ أي إحياء ﴿وَّلَا نُشُوْرًا۝﴾ إحياء بعد الموت(٣) وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِنْ هٰذَآ﴾ ما هذا القرآن ﴿اِلَّآ اِفْكُ﴾ كذب ﴿اِفْتَرٰىهُ﴾ اختلقه واخترعه محمد من عند نفسه ﴿وَاَعَانَهٗ عَلَيْهِ قَوْمٌ اٰخَرُوْنَ﴾ أي اليهود وعداس ويسار وأبو فكيهة الرومي قاله النضر بن الحارث ﴿فَقَدْ جَآءُوْ ظُلْمًا وَّزُوْرًا۝﴾ هذا إخبار من الله، رد للكفرة فيرجع الضمير إلى الكفار وجاء يستعمل في معنى فعل فيعدى تعديتها، أو حذف الجار وأوصل الفعل أي بظلم وزور. وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كلاماً عربياً أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب، والزور أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه. ﴿وَقَالُوْٓا اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ﴾ أي هو أحاديث المتقدمين وما سطروه كرستم وغيره جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه ﴿فَهِيَ تُمْلٰى عَلَيْهِ﴾ أي تلقى عليه من كتابه ﴿بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَّاَصِيْلًا۝﴾ آخره فيحفظ ما يملى عليه ثم يتلوه علينا.

= جعله للبقاء إلى مدة معلومة و غاية محدودة.
قوله واتخذوا ـ الخ ـ لما تضمّن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الردّ على المخالفين فيهما. (بيضاوي)
(٣) فسّر الموت و الحيٰوة والنشور بالإماتة والإحياء لأن المراد بقوله "لا يملكون" لا يقتدرون على التصرف في شيء منها، والتصرف في الموت والحياة هو الإماتة والإحياء، و فيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادرًا على الخلق والضر و النفع والإحياء و الإماتة و من كان عاريًا عن هذه الصفات واللوازم فهو بمعزل عن الألوهية، و اعتقاده إلهًا غاية الجهل والسخافة.
قوله و اخترعه، عطف تفسير. قوله عَدّاس مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من أهل نينوى الموصل، كان نصرانيًا، له ذكر في صفة النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم. نقله في الإكليل عن أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن أثير.
قوله يسار مولى العلاء بن الحضرمي قوله أبو فكيهة الرومي، مولى بني عبد الدار، يقال إنه من الأزد، أسلم قديمًا بمكة، و كان يعذّب ليرجع عن دينه فيمتنع. (إكليل عن أسد الغابة)
قوله أي هو أحاديث، أشار إلى أنه خبر مبتدأ محذوف، و قوله أحاديث و ما سطروه نظرًا إلى أنه إمّا جمع أسطورة أو جمع أسطار جمع سطر بمعنى المسطور أي المكتوب.
قوله كتبها لنفسه، فإن بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل لنفسه. وهو إمّا افتراء عليه أيضًا، لأنهم يعلمون أنه لا يكتب أو مجاز بمعنى أمر بكتابتها، و هذا على استعمال افتعل بمعنى أمر بالفعل. كاحتجم و افتصد إذا أمر بذلك.
قوله أي تلقى عليه من كتابه، أصل الإملاء هو الإلقاء على الكاتب ليكتب ، و هنا جاء بمعنى الإلقاء والقراءة على الغير ليحفظ، بطريق الاستعارة، لأن صورة الإلقاء على المتحفظ كصورة الإملاء على الكاتب. (البحر المحيط)

﴿قُلْ﴾ يا محمد! ﴿أَنْزَلَهُ﴾ أي القرآن ﴿الَّذِيْ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] أي يعلم كل سر خفي في السماوات والأرض، يعني أن القرآن لما اشتمل على علم الغيوب التي يستحيل عادة أن يعلمها محمد عليه الصلاة والسلام من غير تعليم، دل ذلك على أنه من عند علاّم الغيوب ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا﴾ فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة وإن استوجبوها بمكابرتهم.

﴿وَقَالُوْا مَالِ هٰذَا الرَّسُوْلِ﴾وقعت اللام في المصحف مفصولة عن الهاء وخط المصحف سنة لا تغير، وتسميتهم إياه بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا: أي شيء لهذا الزاعم أنه رسول ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِيْ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ حال والعامل فيها «هذا» ﴿لَوْلَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوْنَ مَعَهُ نَذِيْرًا أَوْ يُلْقٰى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُوْنُ لَهُ جَنَّةٌ يَّأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي إن صح أنه رسول الله فما باله يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن ذلك الاقتراح إلى أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا إلى أن يكون مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا إلى أن يكون رجلاً له بستان يأكل هو منه كالمياسير أو نأكل نحن كقراءة علي وحمزة. وحسن عطف المضارع وهو «يُلْقى» و«تَكُونُ» على «أُنْزِلَ» وهو ماض لدخول المضارع وهو «فَيَكُونَ» بينهما وانتصب «فَيَكُونَ» على القراءة المشهورة لأنه جواب «لَوْلاَ»بمعنى «هلا» وحكمه حكم الاستفهام. وأراد بالظالمين في قوله:«وَقَالَ الظّٰلِمُوْنَ﴾ إياهم بأعيانهم غير أنه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش ﴿إِنْ تَتَّبِعُوْنَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًا﴾ سحر فجن أو ذا سحر وهو الرئة عنوا أنه بشر لا ملك

(٤) هذا الجواب مبني على مقدّمة معلومة، وهي أن القرآن مشتمل على أنواع علوم و أسرار عجز الخلق عن معارضتها مع تكرار التحدّي، فاستبان أنه ليس من عند مخلوق، بل هو تنزيل عليم يعلم كل سر خفي في السموات والأرض. وهم قد أدركوا هذا، مع ذلك نسبوا الافتراء إلى الرسول عليه السلام ظلمًا و زورًا، فاستحقوا العذاب والإهلاك، لكن الله غفور رحيم فيمهلهم عسى أن يكون فيهم أو في أولادهم مَن يرجع من الكفر و يومن بالحق.

قوله والعامل فيها هذا أي ما فيه من معنى الإشارة أو التنبيه. كقوله تعالى (و هذا بَعْلي شيخا ـ هود ـ ٧٢)

قوله الاقتراح :السؤال بدون رَوِيّة يتساندا: يتعاونا. مرفوداء رفده (ض) أعطاه وأعانه. يستظهر يتقوّى. المياسيرجمع موسر أي الغني.

قوله و حسُن عطف ـ الخ ـ قال الخفاجي: و عدل إلى المضارع للدلالة على أن الكنز الملقى يبقى و يستمر عنده لعدم نفاده بخلاف الإنزال، و كذا ما بعده ـ اه ـ و كذا فيكونَ معه جاء مضارعًا للدلالة على بقاء الملك معه.

قوله: وحكمه حكم الاستفهام. أي الفاء الداخلة على المضارع إذا كانت في جواب الاستفهام ينتصب المضارع بأن مقدرة كذا إذا كانت في جواب التحضيض.

قوله تسجيلا، أي لقضاء الحكم عليهم بالظلم، في المصباح: سجّل القاضي، بالتشديد : قضى و حكم و أثبت حكمه في السِّجلّ ـ اه ـ إكليل.

قوله سحر فجن، يعني المراد بالسحر ما به اختلال العقل، و السَّحر، بفتح السين وسكون الحاء، الرِّئة.=

﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوْا ﴾ بينوا ﴿ لَكَ الْاَمْثَالَ ﴾ الأشباه أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال من المفتري والمملى عليه والمسحور ﴿فَضَلُّوْا﴾ عن الحق ﴿فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَبِيْلًا﴾ فلا يجدون طريقاً إليه.

﴿تَبٰرَكَ الَّذِيْٓ اِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذٰلِكَ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ وَيَجْعَلْ لَّكَ قُصُوْرًا﴾[٥] أي تكاثر خير الذي إن شاء وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا،وهو أن يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور.و «جنات» بدل من «خيرا»، «ويجعل»بالرفع: مكي وشامي وأبو بكر لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع ﴿بَلْ كَذَّبُوْا بِالسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكي عنهم يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو متصل بما يليه كأنه قال: بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها؟ ﴿ وَاَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيْرًا ﴾وهيأنا للمكذبين بها ناراً شديدة في الاستعار.

﴿اِذَا رَاَتْهُمْ﴾أي النار أي قابلتهم ﴿مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ﴾ أي إذا كانت منهم بمرأى الناظرين في البعد ﴿سَمِعُوْا لَهَا تَغَيُّظًا وَّزَفِيْرًا﴾ أي سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر، أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= والرئة ، بكسر الراء والهمز و تركه ، مجرى النفَس، والهاء عوض من اللام المحذوفة (والهمزة مبدلة من الياء) ـ المصباح المنير ـ والمسحور بمعنى ذي السَّحُر للنسبة كتامر ولابن، و مفعول أيضًا يأتي للنسب كفاعل. (خفاجي)

قوله الأمثال. أريد بالأمثال أقوالهم النادرة العجيبة مجازًا، لأن غالب ما يضرب به المثل يكون عجيبًا نادرًا ، قال أبو السعود: استعظام للأباطيل التي اجترء وا على التفوّه بها، و تعجيبٌ منها. أي انظر كيف قالوا في حقّك تلك الأقاويل العجيبة الخارجة عن العقول، الجارية لغرابتها مجرى الأمثال، و اخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذّة البعيدة من الوقوع. اه.

(٥) أخرج الفِرِيابي، و ابن أبي شيبة في المصنف، و عبد بن حميد ، وابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه عن خيثمة قال قيل للنبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم : إن شئت أعطيناك خزائن الأرض و مفاتيحها ما لم يعط نبي قبلك ، ولا يعطاه أحد بعدك، ولا ينقصك ذلك ممّا لك عند اللّٰه شيئًا، و إن شئت جمعتها لك في الآخرة. قال: اجمعها لي في الآخرة فأنزل اللّٰه (تبٰرك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنّٰت تجري من تحتها الأنهٰر و يجعل لك قصورًا) (الدر المنثور)

قوله شديدة في الاستعار، فيه بيان معنى السعير. والاستعار: التوقد والالتهاب، والشدة مستفادة من صيغة فعيل، فإنها للمبالغة. (خفاجي)

قوله تعالى (تغيظًا و زفيرًا) الغيظ: أشدّ غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فَوَران دم قلبه. و التغيّظ هو إظهار الغيظ، و قد يكون ذلك مع صوت مسموع. والزفير: تردّدُ النفَس حتى تنتفخ الضلوع منه (مفردات) و قال البيضاوي: هو صوت يسمع من جوفه ـ اه ـ و قال : إن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبِنية أمكن أن يخلق اللّٰه فيها الحياة فترى، و تتغيظ، و تزفر ـ اه ـ و أخرج الطبراني و ابن مردويه من طريق مكحول عن أبي أمامة قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعدًا من بين عيني جهنم" قالوا يا رسول اللّٰه و هل لجهنم من عين؟ قال: نعم أما سمعتم اللّٰه يقول (إذا رأتهم من مكان بعيد) فهل تراهم إلّا بعين. (الدر المنثور) =

إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار. ﴿وَإِذَآ أُلۡقُوا۟ مِنۡهَا﴾ من النار ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ «ضيقاً» مكي فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذا وصفت الجنة بأن عرضها السماوات والأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح(٦) ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرّنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد ﴿دَعَوۡا هُنَالِكَ﴾ حينئذ ﴿ثُبُورًا﴾ هلاكاً أي قالوا: واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك فيقال لهم ﴿لَّا تَدۡعُوا۟ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدۡعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً إنما هو ثبور كثير(٧) ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ﴾ أي المذكور من صفة النار خير ﴿أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِی وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ أي وعدها فالراجع إلى الموصول محذوف، وإنما قال: «أذلك خير»، ولا خير في النار توبيخاً للكفار ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَاۤءً﴾ ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعاً. وإنما قيل: «كانت» لأن ما وعد الله كأنه كان لتحققه أو كان ذلك مكتوباً في اللوح قبل أن خلقهم ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَاۤءُونَ﴾ أي ما يشاءونه

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم "يخرج عُنق من النار يوم القيامة، له عينان تبصران، و أُذنان تسمعان، و لسان ينطق يقول إنّي وُكّلت بثلاث: بكل جبّار عنيد، و بكل من دعا مع الله إلهًا آخر، و بالمصوّرين" و في الباب عن أبي سعيد. قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح. اهـ. و رجاله رجال الصحيحين سوى عبد الله بن معاويه الجمحي، وهو ثقة كما في التقريب.

وأخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إنّ العبد لَيُجَرّ إلى النار فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلّا خاف.(الدر المنثور)

قوله زبانيتها، بفتح الزاء، أصل الزَّبْن الدفع، و العرب تسمي الشُّرَط الزّبانية، و سمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار. (مختار الصحاح)

قوله ضيقًا، بتخفيف الياء والسكون، ابن كثير المكي، والباقون بالتشديد والكسر. قوله الروح، بفتح فسكون: الراحة. الزُجّ، بضم الزاي و تشديد الجيم: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٦) نقله عنه رضي الله تعالى عنه البغوي والثعلبي بدون سند، و أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بمعناه، و قال: روي عن مجاهد نحو ذلك، و أخرج عن يحيى بن أبي أسيد أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم سئل عن قول الله (و إذا ألقوا منها مكانا ضيقًا مقرنين) قال: "والذي نفسي بيده إنهم ليُستكرهون في النار كما يُستكره الوتد في الحائط".

قوله الأصفاد: القيود، واحدها صَفَد. و في سورة إبراهيم (و ترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد). [الآية: ٤٩] وفي سورة غافر: ٧١ (إِذِ الْأَغْلٰلُ فِيْ اَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلٰسِلُ يُسْحَبُوْنَ)

(٧) أخرج ابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم، و ابن مردويه، والبيهقي في البعث بسند صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم "إن أول من يُكسىٰ حُلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه و يسحبها من خلفه، و ذريته من بعده، و هو ينادي يا ثبوراه. و يقولون : يا ثبورهم حتى يقف على النار فيقول: يا ثبوراه. و يقولون: وا ثبورهم، فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا) ـ الدر المنثور ـ

﴿خٰلِدِيْنَ﴾ حال من الضمير في «يشاءون» والضمير في ﴿كَانَ﴾ لـ «ما يشاءون» ﴿عَلٰى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ أي موعوداً ﴿مَّسْئُوْلًا﴾ مطلوباً أو حقيقاً أن يسأل أو قد سأله المؤمنون والملائكة في دعواتهم «رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدْتَّنَا عَلٰى رُسُلِكَ» [آل عمران: ١٩٤] «رَبَّنَآ اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّفِي الْاٰخِرَةِ حَسَنَةً» [البقرة:٢٠١] «رَبَّنَا وَاَدْخِلْهُمْ جَنّٰتِ عَدْنِ الَّتِيْ وَعَدْتَّهُمْ »[غافر:٨][٨] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ» للبعث عند الجمهور وبالياء: مكي ويزيد ويعقوب وحفص. ﴿وَمَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ﴾ يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي يعني الأصنام ينطقها الله.وقيل:عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ﴿فَيَقُوْلُ﴾ وبالنون شامي ﴿ءَاَنْتُمْ اَضْلَلْتُمْ عِبَادِيْ هٰٓؤُلَآءِ اَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيْلَ﴾ والقياس ضلوا عن السبيل إلا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل إلى الطريق أو للطريق. وضل مطاوع أضله. والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق بإدخال الشبه أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ وإنما لم يقل «أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل»وزيد«أنتم»و«هم» لأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده؛ لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب، وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام ليعلم أنه المسؤول عنه.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٨) أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (كان على ربّك وعدًا مسئولًا) يقول: سَلوا الذي و عدتّكم تُنجَزوه ، و أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي من طريق سعيد بن هلال عن محمد بن كعب القُرَظي في قوله (كان على ربّك وعدًا مسئولًا) قال: إن الملائكة تسأل لهم ذلك في قولهم (و أدخلهم جنّت عدن التي وعدتهم) قال سعيد: و سمعت أبا حازم يقول : إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون : ربّنا عملنا لك بالذي أمرتنا، فأنجِزْ لنا ما وعدتَّنا. فذلك قوله (وعدًا مسئولًا) ـ الدر المنثور ـ و أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: سألوه إيّاها في الدنيا، طلبوا ذلك فأعطاهم، وعدهم إذ سألوه أن يعطيهم، فأعطاهم فكان ذلك وعدًا مسئولًا. الخ ـ

قوله وقيل عام، هذه ثلاثة أقوال، الأول مروي عن مجاهد، أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم ، والثاني نقله البغوي عن عكرمة والضحاك، والكلبي بدون سند، و الثالث ذكره الزمخشري بقوله: و يجوز أن يكون عامًا لهم جميعًا. اهـ.

قوله لأنّه أريد به الوصف. و ما يسئل بها عن وصف العاقل، نحو ما زيد؟ أ شاعر أم كاتب.

قوله إنّما لم يقل ـ الخ ـ إذا كان المطلوب تعيين أحد المعادلين يوضع أحدهما بعد الهمزة، والآخر بعد أم. نحو أ أنت كتبت أم أخوك؟ يقال هذا إذا كانت الكتابة متحققة معلومة و دائرة بينهما، و لم يكن الكاتب منهما معلومًا عند السائل، أو عند من يريد إعلامهم بالسؤال والجواب. فلو قيل: "أ أضللتم عبادي أم ضلّوا" كان المعنى أن الأمر دائر بين الإضلال و الضلال، والواقع أحدهما، إمّا الإضلال، و إمّا الضلال. والمطلوب تعيين أحدهما. مع أن وقوع الضلال متحقق متعين ، و طلب تعيينه ليس بمقصود بل المقصود أن متولّي الضلال من هو؟ أي ضلالهم جاء من قِبَلكم أم نشأ من أنفسهم؟ فزِيدَ "أنتم وهم" وقيل "أ أنتم أضللتم عبادي هولاء أم هم ضلوا السبيل" فالمعادلان "أنتم وهم" و أحدهما هو متولّي الضلال، والمطلوب تعيينه، والمعنى أ أنتم توليتم ضلالهم بأن أوقعتموهم في الضلال بإدخال الشبهات، أم هم تولّوا ضلالهم و وقعوا بأنفسهم في الضلال؟

قوله إيلائه أي إتباعه و وضعه بعد حرف الاستفهام.

وفائدة سؤالهم مع علمه تعالى بالمسؤول عنه أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فتزيد حسرتهم ﴿قَالُوْا سُبْحٰنَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما نداً. ثم قالوا: ﴿مَا كَانَ يَنْۢبَغِيْ لَنَآ اَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُوْنِكَ مِنْ اَوْلِيَآءَ﴾ أي ما كان يصح لنا(٩) ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك؟ «نُتخذَ» يزيد. و«اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد نحو «اتخذ ولياً» وإلى مفعولين نحو «اتخذ فلاناً ولياً» قال الله تعالى: «اَمِ اتَّخَذُوْٓا اٰلِهَةً مِّنَ الْاَرْضِ» [الأنبياء: ٢١] وقال: «وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا﴿١٢٥﴾» [النساء: ١٢٥] فالقراءة الأولى من المتعدي لواحد وهو من أولياء والأصل أن نتخذ أولياء وزيدت «من» لتأكيد معنى النفي، والقراءة الثانية من المتعدي إلى المفعولين فالمفعول الأول ما بني له الفعل والثاني من أولياء و«من» للتبعيض أي لانتخذ بعض أولياء لأن «من» لا تزاد في المفعول الثاني بل في الأول تقول: «ما اتخذت من أحد ولياً» ولاتقول: «ما اتخذت أحداً من ولي»(١٠) ﴿وَلٰكِنْ مَّتَّعْتَهُمْ وَاٰبَآءَهُمْ﴾ بالأموال والأولاد. وطول العمر والسلامة من العذاب ﴿حَتّٰى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي ذكر الله والإيمان به والقرآن والشرائع ﴿وَكَانُوْا﴾ عند الله ﴿قَوْمًا بُوْرًا﴿١٨﴾﴾ أي هلكى جمع بائر كعائذ وعوذ ثم يقال: للكفار بطريق الخطاب عدولاً عن الغيبة. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوْكُمْ﴾ وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونظيرها: «يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلٰى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ» إلى قوله: «فَقَدْ جَآءَكُمْ بَشِيْرٌ وَّنَذِيْرٌ» [المائدة: ١٩] وقول القائل:

قوله تعجب منهم. ذكر في سبحانك معنيين. الأوّل أنه تعجب، لأنّه كثيرًا ما يستعمل فيه. والثاني أنه مستعمل في التنزيه، فهو على ظاهره، والمقصود تنزيهه تعالى عن الأنداد.

(٩) قوله أي ما كان يصح لنا ـ الخ ـ قال القرطبي رحمه الله: ما كان، و ما ينبغي، و نحوه معناه الحظر والمنع، فيجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون. وامتناعه إمّا عقلًا كقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) [النمل: ٦٠] أو شرعًا كقوله (ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتٰب والحكم والنبوة) [آل عمران: ٧٩] و قوله (و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحيًا أو من وراء حجاب) [الشورى: ٥١] و ربما كان في المندوب كما تقول ما كان لك ترك التنفّل. اه. عناية القاضي، سورة النور، والجامع لأحكام القرآن ١٤/١٦٥ سورة الأحزاب.

قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض، ذكر المصنّف في سورة الأنبياء أن "من الأرض" صفة لآلهة، أو من لبيان النسبة كقولك فلان من المدينة أي مدني، فالمعنى أم اتخذوا آلهة أرضية أو من متعلق باتخذوا و هو لابتداء الغاية، و على الوجوه الثلاثة يكون الاتّخاذ هنا متعديًا إلى مفعول واحد.

(١٠) قال الطيبي رحمه الله: أجاز ابن جني أن تزاد من في المفعول الثاني، وأبى الزجاج أن تزاد إلّا في الأوّل، و صاحب النظم أن تزاد إلّا في مفعول واحد، و بنى المصنّف رحمه الله كلامه على كلام الزجاج. (خفاجي)

قوله هلكى، بفتح فسكون، مثل زمْنى و مَرضى، جمع هالك. قوله رائعة أي مُعجِبَة.

قوله إلى قوله (فقد جاءكم) و قبله، بعد قوله "من الرسل" (أَنْ تَقُوْلُوْا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ وَّ لَانَذِيْرٍ) [المائدة: ١٩]

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا .... ثم القفول فقد جئنا خراساناً

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم إنهم آلهة، والباء على هذا كقوله: (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) [ق:٥] والجار والمجرور بدل من الضمير كأنه قيل: فقد كذبوا بما تقولون. وعن قنبل بالياء ومعناه فقد كذبوكم بقولهم: «سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» [الفرقان:١٨] والباء على هذا كقولك «كتبت بالقلم»﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ «فما يستطيعون»أي فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو ينصروكم. وبالتاء حفص أي فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم ولا نصر أنفسكم. ثم خاطب المكلفين على العموم بقوله:﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي يشرك لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل المخلوق شريك خالقه فقد ظلم يؤيده قوله تعالى: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾» [لقمان: ١٣] ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ فسر بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق إلا على قول المعتزلة والخوارج.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كسرت «إن» لأجل اللام في الخبر والجملة بعد «إلا» صفة لموصوف محذوف، والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين،وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أي من المرسلين ونحوه «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾»[الصافات:١٦٤] أَي وَمَا مِنَّا أَحَدٌ.(١١) قِيلَ: هو احتجاج على من قال:«مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق» وتسلية للنبي عليه الصلاة

قوله قالوا خراسان الخ ـ أقصى أي آخر حدٍّ، ثم القفول أي الرجوع، فقد جئنا أي قلنا فقد جئنا خراسان، فينبغي الرجوع. والبيت للعباس بن الأحنف.

قوله والجار والمجرور بدل من الضمير أي بدل اشتمال. لأن كذب يتعدّى إلى مفعول واحد تارة بنفسه و تارة بالباء، و قد عدي هنا إلى "كُم" بنفسه، فلا جرم أن يكون الجار والمجرور بدلًا منه. (خفاجي و إكليل)

قوله عن قنبل بالياء، هذه رواية أبي حيوة و ابن الصلت عنه كما في البحر المحيط، و ليست من قراءته المشهورة.

قوله كقولك كتبت ـ الخ ـ أي تكون الباء للاستعانة.

قوله أي يشرك. هذا التفسير أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري، و ابن جريج رحمهما الله تعالى. أي أريد بالظلم فرده الكامل وهو الكفر والشرك. قال البيضاوي: والشرط و إن عم كل من كفر و فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيّد بعدم المزاحم وفاقًا (منا و من المعتزلة والخوارج) وهو التوبة، و عندنا العفو أيضًا ـ اه ـ مختصرًا.

(١١) العبارة من قوله "والجملة بعد إلّا ـ إلى قوله ـ ما منا أحد عبارة الكشاف بعينها و عبارة البيضاوي: أي إلّا رسلا إنهم ـ فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه، و أقيمت الصفة مقامه، كقوله تعالى (و ما منا إلّا له مقام معلوم) ـ اه ـ و قال في سورة الصافات: والمعنى ما من أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة، فحذف الموصوف و أقيمت الصفة مقامه اه. مختصرًا. قال الخفاجي: قوله رسلاً، هو الموصوف المقدر، و صفته جملة إنهم، كما صرّح به ، و في الكشاف أن هذه الجملة صفة ثانية لموصوف مقدر قبل قوله "من المرسلين" و عدل المصنّف (أي البيضاوي) عمّا في الكشاف لأن فيه فصلًا بين الصفة والموصوف بإلا، و قد ردّه أكثر النحاة كما في المغني. فجعَلَه صفةً لمحذوفٍ بعد إلّا ، هو بدل مما حُذف قبله، و أقيمت صفته مقامه،=

والسلام ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي محنة وابتلاء،[١٢] وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر ومشيه في الأسواق يعني أنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على هذه الفتنة فتؤجروا أم لا تصبروا فيزداد غمكم. وحكي أن بعض الصالحين تبرم بضنك عيشه فخرج ضجراً فرأى خصياً في مواكب ومراكب فخطر بباله شيء فإذا بمن يقرأ هذه الآية فقال: بلى فصبراً ربنا. أو جعلتك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنان لكانت طاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بالدنيا فإنما بعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ عالماً بالصواب فيما يبتلي به أو بمن يصبر ويجزع. ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْنَ﴾ لا يأملون[١٣] ﴿لِقَآءَنَا﴾ بالخير لأنهم كفرة

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= فلم تفصِل "إلّا" بين الصفة والموصوف، بل بين البدل و المبدل منه ، وهو جائز. اهـ. و قال في سورة الصافات تحت قول البيضاوي (فحذف الموصوف ـ الخ) تبع فيه الزمخشري، ثم رجّح بعد بحثٍ كلام أبي حيان أن التقدير (و ما أحد منا إلا له مقام معلوم) "أحد منا" مبتدأ و "له مقام معلوم" خبر، و هو مستثنى مفرغ، قال: والتفريغ في الأخبار كثير فرأي أبي حيان أسلم ـ اهـ مختصرًا. و جاز استثناء الجمع من "أحد" لأنه في معنى الجمع كما في قوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) [الحاقة:٤٧] شيخ زاده.

(١٢) و في صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم "يقول الله تعالى: إنّي مبتليك ، و مبتلٍ بك" و في المسند (للإمام أحمد) عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم "لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب و الفضة" و في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام خُيّر بين أن يكون نبيًّا ملِكا أو عبدًا رسولا، فاختار أن يكون عبدًا رسولا (ابن كثير) و أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال "لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم. و لو شاء الله لجعلكم فقراء كلكم لا غني فيكم. و لكن ابتلي بعضكم ببعض"ـ الدر المنثور ـ

قوله بعض الصالحين. ذكر القرطبي : قاله المُزني وقد أخرجتُه الفاقة فرأى خصيا ـ الخ ـ والمزني أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى تلميذ الإمام الشافعي وناشر علمه في مصر و سورية (١٧٥هـ ـــ ٢٦٤هـ)

قوله تبرم أي قلِق و سئم ـ برِم به (س) و تبرم به: سئمه. والضنك، بفتح فسكون: الضيق من كل شيء، الذكر و الأنثى فيه سواء. والفعل من كرم(لسان العرب).ضَجرا، بفتح فكسر، صفة ، في المصباح المنير: ضجِر من الشيء ضَجَرا، فهو ضجِر، من باب تعب: اغتمّ منه و قلق مع كلام منه، و تضجر منه كذلك. مواكب جمع موكِب، في الأصل نوع من السَّير، والفعل من ضرب بمعنى مشيٍ في تدرّج، والموكب : الجماعة من الناس ركبانًا و مشاةً ، والقوم الرُّكوب للزينة والتنزّه، و جماعةٌ ركبانٌ يسيرون برِفق. (لسان العرب) فصبرا ربّنا، أي نصبر صبرا يا ربّنا، صبرًا مفعول مطلق ، والفعل محذوف. و عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم "إذا نظر أحدكم إلى مَن فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من دونه في المال والجسم. (البغوي في المعالم بسنده)

(١٣) قوله لا يأملون، من أمل بالتخفيف بمعنى أمّل بالتشديد، وهو أكثر من استعمال التخفيف كما في المصباح. والأمل ضد الياس، و في المصباح: أكثر ما يستعمل الأمل فيما يبعد حصوله، والطمع فيما قرب حصوله، والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي يخاف أن لا يحصل مأموله، و لذا استعمل بمعنى الخوف، فإن قوِي الخوفُ استعمل استعمال الأمل، كما يستعمل الأمل بمعنى الطمع ـ انتهى ـ علم منه أن العرب فرقت في الاستعمال بين الرجاء والأمل، و لذا قال كعب بن زهير: أرجو و آمل أن=

لايؤمنون بالبعث أو لايخافون عقابنا إما لأن الراجي قلق فيما يرجوه كالخائف،أو لأن الرجاء في لغة تهامة الخوف ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ رسلاً دون البشر أو شهوداً على نبوته ودعوى رسالته ﴿أَوْ نَرٰى رَبَّنَا﴾ جهرة فيخبرنا برسالته واتباعه ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوْا فِيْٓ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم ﴿وَعَتَوْ﴾ وتجاوزوا الحد في الظلم ﴿عُتُوًّا كَبِيْرًا﴾وصف العتو(١٤)بالكبر فبالغ في إفراطه أي إنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا أنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو. واللام في «لقد» جواب قسم محذوف ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ أي يوم الموت أو يوم البعث و «يَوْم» منصوب بما دل عليه ﴿لَا بُشْرٰى﴾ أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى. وقوله:﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد لـ«يوم يرون» أو بإضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: لابشرى بالجنة يومئذ ولا ينتصب بـ «يرون» لأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بـ «بشرى» لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله، ولأن المنفي بلا لا يعمل فيما قبل «لا» ﴿لِّلْمُجْرِمِيْنَ﴾ ظاهر في موضع ضمير أو عام يتناولهم بعمومه وهم الذين اجترموا الذنوب والمراد الكافرون لأن مطلق الأسماء يتناول أكمل المسميات ﴿وَيَقُوْلُوْنَ﴾ أي الملائكة ﴿حِجْرًا مَّحْجُوْرًا﴾ حراماً محرماً عليكم البشرى أي جعل الله ذلك حراماً عليكم إنما البشرى للمؤمنين. والحجر مصدر والكسر والفتح لغتان

= تدنو مودّتها. وكذا استعملت العرب كلًا منهما بمعنى الآخر ــ وقوله أو لا يخافون، فالرجاء بمعنى الخوف كما في قوله : إذا لَسَعَتْه النَّحل لم يرجُ لَسْعَها. لأن الراجي لأمر يخاف فواته فاستعمل مجازًا فيه، و كون هذا لغة تهامة كما نقله الزمخشري ـ و هو ثقة ـ إمّا لأنهم لا يخصّونه بهذا المعنى، أو على أنه حقيقة عندهم. و قول الرضي وغيره "إن الترجّي: الارتقاب لمكروه أو محبوب، لايقضي عليه، مع أن الكلام هنا في لفظ "رجو" و كلام النحاة فيما يدل عليه، كلعلّ. فتأمّل. (خفاجي)

(١٤) لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها [يعني أنهم لتكبرهم استكبروا أنفسهم أي عدّوها كبيرة لشأن و خصوصية لها، فنزَل فيه الفعل المتعدي منزلة اللازم ـ خفاجي ـ] حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها [أي أرادوا روية الملك جهارا معاينا على صورته، التي تحصل لعظماء الأنبياء حين الوحي بالملائكة، لا بإلهام و منام و نحوهما] و أرادوا ما هو أعظم من ذلك [وهو روية الله تعالى عيانًا] و عتوا عتوا كبيرًا بالغًا أقصى مراتبه ، حيث عاينوا المعجزات القاهرة، فأعرضوا عنها، و اقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سُدّتْ دُونَه مطامحُ النفوسِ القدسيّة ـ اه ـ و يحتمل أن يكون (استكبروا ـ و عتوا) لفّا و نشرًا لقوله (لولا أنزل علينا الملائكة ـ أو نرى ربّنا). (خفاجي)

قوله أي الملائكة. هذا قول مجاهد، و عكرمة، والحسن، والضحاك، و قتادة، و عطية العَوْفي، و عطاء الخراساني، و خصيف، و غير واحد، و اختاره ابن جرير.(ابن كثير) و أخرج سعيد بن منصور، و عبد بن حميد، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه (و يقولون حجرًا محجورًا) قال: حرامًا محرمًا أن نبشركم بما نبشر به المتقين ـ اه ـ (الدر المنثور) و قد حكي ابن جرير عن ابن جريج أنه قال ذلك من كلام المشركين (يوم يرون الملئكة) أي يتعوّذون من الملائكة، و ذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدّة يقول "حجرًا محجورًا" ـ اه ـ و هذا القول و إن كان له مأخذ و وجه و لكنه بالنسبة إلى السياق بعيد، لا سيّما وقد نصّ الجمهور على خلافه ـ (ابن كثير)

وقرئ بهما وهو من حجره إذا منعه، وهو من المصادر المنصوبة بأفعال متروك إظهارها، و «مَّحْجُوراً» لتأكيد معنى الحجر كما قالوا: «موت مائت».

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ هو صفة ولا قدوم هنا ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقرى ضيف ونحو ذلك بحال من خالف سلطانه وعصاه فقدم إلى أشيائه وقصد إلى ما تحت يديه فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثراً. والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيهاً بالغبار، والمنثور المفرق وهو استعارة عن جعله بحيث لا يقبل الاجتماع ولايقع به الانتفاع.

ثم بين فضل أهل الجنة على أهل النار فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ تمييز والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحادثون ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ مكاناً يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، ولانوم في الجنة ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه.وروي: أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار(١٥)، وفي لفظ الأحسن تهكم بهم

﴿وَيَوْمَ﴾ واذكر يوم ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ والأصل تتشقق فحذف التاء كوفي وأبو عمرو وغيرهم أدغمها في الشين ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء كما تقول: «شققت السنام بالشفرة فانشق بها»(١٦)﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ «وننزل الملائكة» مكي، «وتنزيلاً» على هذا مصدر من غير لفظ الفعل. والمعنى أن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد.

﴿ٱلْمُلْكُ﴾ مبتدأ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته ومعناه الثابت لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه ﴿لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ خبره ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ شديداً. يقال: عسر عليه فهو عسير وعسر ويفهم منه يسره على المؤمنين،ففي الحديث: «يهون يوم القيامة

قوله و قرِئ بهما، لكن في المشهورة هو الكسر، و قراء ة الفتح حكاها، أبو البقاء كالمصنّف، و ذكر أبو حيان حُجرًا بالضم قراء ة الحسن والضحاك و أبي رجاء، ففيه ثلاث لغات قرئ بها، و ما عدا الكسر شاذ (عناية القاضي و البحر المحيط)

قوله موت مائت أي شديد. (تاج العروس،إكليل).

ملهوف، حزين قد ذهب له مال، أو فُجع بحميم. مظلوم ينادي و يستغيث. مكروب. (لسان العرب)

قِرى، بالكسر والقصر، وبالفتح والمد، والفعل من ضرب. إضافة الضيف.

(١٥) والحديث أخرجه الحاكم وصحّحه، و له طرق أخرى. (خفاجي)

قوله وغيرهم أي نافع، و ابن كثير، و ابن عامر، و كذا أبو جعفر و يعقوب تشَّقَّقُ.

(١٦) هذا يدلّ على أن الباء للآلة، والغمام ليس آلة شقّ السماء لكن لما كان الانشقاق بسبب طلوعه جُعل كالآلة.

على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا».(١٧) ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأنه من روادفها فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة ما لا يجده عند لفظ المكنيّ عنه، واللام في «الظالم» للعهد وأريد به عقبة لما نبيّن أو للجنس فيتناول عقبة وغيره من الكفار ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى النجاة والجنة وهو الإيمان ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ وقرئ «يا ويلتي» بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالي فهذا أوانك. وإنما قلبت الياء ألفاً كما في «صحارى» و«مدارى» ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ فلان كناية عن الأعلام فإن أريد بالظالم عقبة لما رُوي(١٨) أنه اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبيّ بن خلف وهو خليله: وجهي من وجهك حرام إلا أن ترجع فارتد. فالمعنى يا ليتني لم أتخذ أبياً خليلاً، فكنى عن اسمه. وإن أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه. وقيل: هو كناية عن الشيطان ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي عن ذكر الله

(١٧) أخرج نحوه الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعًا. (ابن كثير)
قوله روادفها أي توابعها، و الفعل من سمع و نصر.
قوله الرَّوعَة: الإعجاب والسّرور هلكة، الهَلَكة،بفتحات، مثل قَصَبَة: الهَلاك. مَدارىٰ الألف بدل من الياء، والواحد مِدْرَىٰ و مِدْرَاة و مَدْرِيَة، شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سِنّ من أسْنانِ المُشْط و أطولُ منه، يُسَرّح به الشَعَر المتلبّد، وَ يستعمله من لم يكن له مُشط، يقال له "سَرخَارَه" و يُشَبَّه قَرنُ الثور به. (لسان العرب)

(١٨) قوله لما روي ـ الخ ـ قال العلامة ابن حجر: حديث أن عُقبة بن أبي مُعَيط صنع طعامًا ودعا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فأبى أن يأكل حتى ينطق بالشهادتين، و كان أبيّ بن خلف صديقه ـ الحديث بطوله ـ و فيه : فقال له رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم "لا أراك خارجًا من مكة إلّا علوتُ رأسك بالسيف، فقُتل يوم بدر، أمر عليًّا بقتله، و قيل بل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، و طعن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم أبيًّا بأُحُد فرجع مكة فمات، و فيهما نزل "يوم يعضّ الظالم على يديه" الآية ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فذكره مطولا، لكن إلى قوله "فأُسر عقبة يوم بدر فقُتل صبرا، ولم يقتل من الأسارى يوم بدر غيره، قتله ثابت بن أبي الأفلح. و روى الطبري من طريق مجاهد في قوله تعالى (و يوم يعضّ الظالم على يديه) قال "دعا عقبة بن أبي مُعَيط النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم إلى طعام صنعه ـ إلى قوله "فشهدت له والشهادة ليست في نفسي" و من طريق مقسم نحوه مختصرًا، قال: "فقتل عقبة يوم بدر صبرًا" و أمّا أبي بن خلف فقتله النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم بيده يوم أُحد في القتال. و هما الذان أنزل الله تعالى فيهما (و يوم يعض الظالم على يديه) و ذكره الثعلبي ثم الواحدي من غير سند. (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف)

و ذكر في الدر المنثور طرقًا عديدة للقصّة ، مع بعض اختلاف، منها ما أخرجه ابن مردويه و أبو نعيم بسند صحيح عن ابن عباس. لكن القصّة فيه غير قصة الدعوة إلى الطعام و الرجل أبو معيط، و اسم خليله ليس مذكورًا.

أو القرآن أو الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيْ﴾ من الله ﴿وَكَانَ الشَّيْطٰنُ﴾ أي خليله سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضله الشيطان،أو إبليس لأنه الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ المطيع له ﴿خَذُوْلًا﴾ هو مبالغة من الخذلان أي من عادة الشيطان ترك من يواليه وهذا حكاية كلام الظالم أو كلام الله.

﴿وَقَالَ الرَّسُوْلُ﴾(١٩) أي محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا ﴿يٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿اتَّخَذُوْا هٰذَا الْقُرْاٰنَ مَهْجُوْرًا﴾ متروكاً أي تركوه ولم يؤمنوا به من الهجران وهو مفعول ثان لـ«اتخذوا» في هذا تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا. ثم أقبل عليه مسلياً ووعده النصرة عليهم فقال:﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِيْنَ وَكَفٰى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَّنَصِيْرًا﴾ أي كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفاك بي هادياً إلى طريق قهرهم والانتصار منهم، وناصراً لك عليهم. والعدو يجوز أن يكون واحداً وجمعاً والباء زائدة أي وكفى ربك هادياً وهو تمييز.

﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ أي قريش أو اليهود ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْاٰنُ جُمْلَةً﴾ حال من القرآن أي مجتمعاً ﴿وَّاحِدَةً﴾ يعني هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفاريق؟(٢٠) وهو فضول من القول ومماراة بما لا طائل تحته، لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو متفرقاً. و «نزّل» هنا بمعنى أنزل وإلا لكان متدافعاً بدليل «جملة واحدة» وهذا اعتراض فاسد لأنهم تحدوا بالإتيان

قوله مُخالّة، مفاعلة من الخُلّة، المُصَادَقة. قوله خِذْلان بكسر فسكون، والفعل خذل من نصر: ترك نصرته و عونه.

(١٩) عطف على قوله تعالى (و قال الذين لا يرجون لقاء نا) و ما بينهما اعتراض، مَسُوْق لاستعظام ما قالوه، و بيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال و الخطوب. و إيرادُه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق، والردِ على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحًا في رسالته صلّى اللّه تعالى عليه وسلم ـ الخ ـ (أبو السعود)

قوله من الهجران، هذا مروي عن ابن زيد، و رجّحه الطبري، و أخذه مجاهد و إبراهيم النخعي من الهُجر بمعنى القول السّيّء. (جامع البيان)

(٢٠) قوله كما أُنزلت الكتب الثلاثة ـ هي التوراة والإنجيل والزبور، دلّ على نزولها دفعة واحدة آثار و أحاديث كثيرة مرويّة عن السلف ذكرها في الإتقان و قال: "إنه كاد أن يكون إجماعًا" فلا عبرة بمن قال بخلاف ذلك.(خفاجي) و أخرج ابن أبي حاتم، و الحاكم و صحّحه، و ابن مردويه ، و الضياء في المختارة عن ابن عباس رضي اللّه تعالى عنهما قال: قال المشركون : إن كان محمد كما يزعم نبيًا فلم يعذبه ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة؟ ينزل عليه الآية والآيتين والسورة. فأنزل اللّه على نبيه جواب ما قالوا (و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة) إلى (و أضل سبيلًا). (الدر المنثور)

قوله مماراة: مجادلة. لا طائل: لا فائدة. تُحُدُّوا: بضمتين و تشديد الدال و ضمها، ماض مجهول للغائبين، أصله تُحُدِّيوُا من التحدِّي تقول: تَحَدَّيْتُ =

بسورة واحدة من أصغر السور فأبرزوا صفحة عجزهم حتى لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة وبذلوا المهج وما مالوا إلى الحجج ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقاً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين و«ذلك» في «كذلك» إشارة إلى مدلول قوله: «لولا نزل عليه القرآن جملة» لأن معناه لم أنزل عليك القرآن مفرقاً فأعلم أن ذلك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ﴾ بتفريقه ﴿فُؤَادَكَ﴾حتى تعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء وجزأ عقيب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه، أو لنثبت به فؤادك عن الضجر بتواتر الوصول وتتابع الرسول لأن قلب المحب يسكن بتواصل كتب المحبوب ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾معطوف على الفعل الذي تعلق به «كذلك» كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه أي قدرناه آية بعد آية ووقفة بعد وقفة، أو أمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى:«وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾» [المزمل:٤] أي اقرأه بترسل وتثبت أو بيناه تبييناً، والترتيل التبيين في ترسل وتثبت.(٢١) ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كأنه مثل في البطلان ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِالْحَقِّ﴾ إلا أتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وبما هو أحسن معنى ومؤدى من مثلهم أي من سؤالهم. وإنما حذف من مثلهم لأن في الكلام دليلاً عليه كما لو قلت: «رأيت زيداً وعمراً وإن عمراً أحسن وجهاً» كان فيه دليل على أنك تريد من زيد. ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا أنزل عليك القرآن جملة إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفاً لما

= فلانًا إذا بارَيْتَه في فعل و نَازعتَه الغَلَبة. أبرزوا: أظهروا. الصفحة من الشيء جانبه و وجهه. المناصبة: إظهار الشر و الحرب. في لسان العرب: نَاصَبَه الشرَّ والحربَ والعداوةَ: أظهره له و نصبَه. لاذبه و فزع إليه: لجأ. المُهَج: جمع مُهُجَة: دم القلب. الروح. خالص النفُس. و مهجة كل شيء : خالصه. حتى تَعِيَه و تحفظه، الوعي من باب وعد، و العطف للتفسير. الضَّجَر بفتحتين، الاغتمام و القلق. ترسّل: تمهُّل، أي تلبُّث و ترك عَجَلة.

(٢١) التفسير الثالث مروي عن قتادة. و نسبه في المعالم إلى سيدنا ابن عباس، و الأول مرويعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن والنخعي و ابن جريج. والثاني ذكره في الكشاف بقوله: و يجوز أن يكون المعنى "و أمرنا بترتيل قراء ته". اه.

قوله: لا محيد عنه أي لا مفر منه. حاد عنه: مال و عدل عنه.

قوله: و بما هو أحسن، إشارة إلى أنه عطف على "الحق" في قوله "بالحق".

قوله: أولا يأتونك بحال ـ الخ ـ المثل يستعمل في شيء نادر و عجيب، فالتفسير الأول باعتبار المثل بمعنى سؤال عجيب، و اعتبار الحق بمعنى الجواب الحق، و التفسير بمعنى المؤدّى و المعنى كما فصله. والتفسير الثاني بإرادة المثل بمعنى حال و صفة عجيبة، و إرادة الحق بمعنى ما يحقّ و يليق في الحكمة عطاؤه. و التفسير بمعنى كشف ما بُعث عليه.

قوله: وهو من الإسناد المجازي ، أي إسناد الضلال إلى السبيل، كما في قولك زيد أعلى بيتًا، و أكثر مالًا أي بيته أعلى و ماله أكثر، و الضلال في الأصل وصف صاحب السبيل. أسند إلى السبيل للملابسة مبالغةً.

بعث عليه ودلالة على صحته يعني أن تنزيله مفرقاً وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها، أدخل في الإعجاز من أن ينزل كله جملة.

﴿الَّذِيْنَ يُحْشَرُوْنَ عَلٰى وُجُوْهِهِمْ إِلٰى جَهَنَّمَ ۙ أُولٰٓئِكَ شَرٌّ﴾ «الذين»مبتدأ و «أولئك» مبتدأ ثان و «شر» خبر «أولئك»و«أولئك»مع«شر»خبر«الذين»أو التقدير: هم الذين أو أعني الذين و«أولئك» مستأنف﴿مَّكَانًا﴾ أي مكانة ومنزلة أو مسكناً ومنزلاً﴿وَّأَضَلُّ سَبِيْلًا﴾أي وأخطأ طريقاً، وهو من الإسناد المجازي. والمعنى أن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضلون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته، ولو نظرتم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله، وفي طريقته قوله: «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوْبَةً عِنْدَ اللهِ ۚ مَنْ لَّعَنَهُ اللهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ»[المائدة:٦٠] الآية[٢٢]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم «يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم» قيل: يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «الذي أمشاكم على أقدامكم يمشيهم على وجوههم».

﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ﴾[٢٣] التوراة كما آتيناك القرآن ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهٗٓ اَخَاهُ هٰرُوْنَ﴾ بدل أو

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٢٢) العبارة من قوله "إن حاملكم ـ إلى ـ "و غضب عليه ـ الآية" من الكشاف بعينها سوى قوله: تضلون" فإنه في الكشاف تضلّلون بمعنى النسبة إلى الضلال. وفي البيضاوي" إن حاملهم على هذه الأسولة تحقير مكانه و تضليل سبيله" و لفظ المدارك أظنّه من تصحيف الناسخ. قوله: عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم ، أخرجه أبو داؤد، والترمذي و حسّنه، و ابن جرير، و ابن مردويه، و البيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. و أخرج أحمد، و البخاري، و مسلم، والنسائي، وابن جرير، و ابن أبي حاتم، و الحاكم و أبو نعيم في المعرفة، و ابن مردويه، و البيهقي في الأسماء والصفات عن أنس رضي الله تعالى عنه قال "قيل يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادرٌ أن يمشيهم على وجوههم. و أخرج أحمد ، والنسائي، و الحاكم و صحّحه، و ابن مردويه، والبيهقي في البعث عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه أنه تلا هذه الآية. (و نحشرهم يوم القيٰمة على وجوههم عميًا و بكمًا و صمًّا) ـ (الإسراء: ٩٧) فقال: حدّثني الصادق المصدوق صلّى الله تعالى عليه وسلم "أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، و فوج يمشون و يسعون، و فوج تَسْحَبُهم الملائكة على وجوههم. و في رواية عن معاوية بن حَيَدة رضي الله تعالى عنه "إنكم تُحشَرون رِجَالًا و ركبانًا، أو تُجَرُّون على وجوهكم ههنا، و نحّىٰ بيده نحو الشام. (الدر المنثور ـ سورة الإسراء: ٩٧)

(٢٣) قال الفخر الرازي: و اعلم أنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد، و نفي الأنداد، و إثبات النبوة، والجواب عن شبهات المنكرين لها. و في أحوال القيامة شرع في ذكر القصص على السنة المعلومة. (مفاتيح الغيب) قال أبو السعود: (و لقد آتينا موسى) جملة مستانفة سيقت لتأكيد ما مرّ من التسلية، و الوعدِ بالهداية و النصر في قوله تعالى (و كفى بربّك هاديًا و نصيرًا) بحكاية ما جرى بينَ من ذكر من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ و بين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود ـ واللام جواب لقسم محذوف، أي و بالله لقد آتينا موسى ـ اهـ

عطف بيان ﴿وَزِيرًا﴾ هو في اللغة من يرجع إليه من الوزر وهو الملجأ، والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إلى فرعون وقومه وتقديره فذهبا إليهم وأنذرا فكذبوهما(٢٤) ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التدمير الإهلاك بأمر عجيب أراد اختصار القصة فذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة أعني إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي ودمرنا قوم نوح ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني نوحاً وإدريس وشيثاً أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيباً للجميع ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عبرة يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ وهيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ لقوم نوح وأصله وأعتدنا لهم إلا أنه أراد تظليمهم فأظهر، أو هو عام لكل من ظلم ظلم شرك ويتناولهم بعمومه ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي النار ﴿وَعَادًا﴾ دمرنا عاداً ﴿وَثَمُودَا﴾ حمزة وحفص على تأويل القبيلة وغيرهما: وثموداً على تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾(٢٥) هم قوم شعيب كانوا يعبدون الأصنام فكذبوا شعيباً فبيناهم حول الرس وهي البئر غير مطوية انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم، وقيل:الرس قرية قتلوا نبيهم فهلكوا، أو هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود﴿وَقُرُونًا﴾ وأهلكنا أمماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور﴿كَثِيرًا﴾لايعلمها إلا الله أرسل إليهم فكذبوهم فأهلكوا﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: من الوَزَر. بفتح الواو، والزاي. الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل. (مفردات)

قوله: والوزارة لا تنافي ـ الخ ـ إشارة إلى أن قوله تعالى (و وهبنا له من رحمتنا أخاه هٰرون نبيّا)[مريم:٥٣] لاينافي هذا. لأنه و إن كان نبيًا فالشريعة لموسى عليه الصلاة والسلام، و هو تابع له فيها، كما أنّ الوزير متبع لسلطانه. (خفاجي) قوله يوازر أي يعاوِن.

(٢٤) يشير إلى أن فيه إيجاز حذف، و أن الفاء في قوله "فدمرنٰهم" فصيحة، لأن أمره مستلزم لامتثالهما، و تدميرهم للتكذيب، فهو في قوّة المذكور، و لذا اختصر. (خفاجي)

(٢٥) قال ابن جرير: الرسّ في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر و نحو ذلك. (جامع البيان) و قال أبوعبيدة: الرسّ كل رَكِيّة [بير ذات ماء] لم تُطْوَ بالحجارة والآجرّ والخشب. (تفسير الثعلبي) قوله لم تُطْوَ و قول المصنّف "غير مطوية" يقال طويت البئر إذا بنيتها بالحجارة، و انهارت من الانهيار بمعنى انهدمت و غارت. و في أصحاب الرس أقوال. ذكر المصنّف منها ثلاثة. الأول حكاه الثعلبي والبغوي عن وهب بن منبّه. والثاني ممّا روي عن قتادة وغيره. والثالث اختاره ابن جرير بناء على أن الرس هو الحفرة، ولانعرف أهل حفرة ذكرهم القرآن إلّا أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، و الأخدود: الحفرة المستطيلة. قال ابن كثير: أمّا أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس "هم أهل قرية من قرى ثمود" و قال ابن جريج قال عكرمة "أصحاب الرسّ بفَلَجٍ، وهم أصحاب يٰسٓ (أي المذكورون في قوله "واضرب لهم مثلًا أصحٰب القرية") و قال قتادة "فلج من قرى اليمامة، و روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: بئر بأذُرَبِيُجان. وقال الثوري عن أبي بكر عن عكرمة: الرسّ بير رسّوا فيها نبيهم أي دفنوه فيها ـ اه ـ و قيل غير ذلك.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أي أهلكنا إهلاكاً، «وَكُلاًّ» الأول منصوب بما دل عليه «ضَرَبْنَا لَهُ الأمثال» وهو أنذرنا أو حذرنا والثاني بـ«تبرنا» لأنه فارغ له.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني أهل مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ سدوم وهي أعظم قرى قوم لوط وكانت خمساً أهلك الله أربعاً مع أهلها وبقيت واحدة ﴿الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ أي أمطر الله عليها الحجارة يعني أن قريشاً مروا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء،«ومطر السوء»مفعول ثانٍ والأصل أمطرت القرية مطراً،أو مصدرمحذوف الزوائد أي إمطار السوء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ أماً شاهدوا ذلك بأبصارهم عند سفرهم الشام فيتفكروا فيؤمنوا ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ بل كانوا قوماً كفرة بالبعث لا يخافون بعثاً فلا يؤمنون، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ إن نافية ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ اتخذه هزواً في معنى استهزأ به و الأصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوءًا به [٢٦] ﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ محكي بعد القول المضمر و هذا استصغار و استهزاء أي قائلين أهذا الذي ﴿بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ والمحذوف حال والعائد إلى «الذي» محذوف أي بعثه. ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة وهو دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وعرض المعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ هو وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالت مدة الإمهال ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هو كالجواب عن قولهم: «إن كاد ليضلنا» لأنه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضلال إذ لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي من أطاع هواه فيما يأتي ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول الله تعالى لرسوله: هذا الذي لايرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن

قوله سدوم ، بفتح السين و دال مضمومة و واو ساكنة نقل الأزهري عن أبي حاتم، و ابنُ بَرّي عن قتيبة أنها بالذال المعجمة، و صحّحه الأزهري. قال ابن برّي: والمشهور بالدال المهملة. (لسان العرب) و في أعلام المنجد: سَدوم مدينة قديمة في فلسطين على شاطئ البحر الميت. ذكر الكتاب المقدس أن الله أمطرها نارًا قصاصًا على خطايا أهلها ـ اه ـ

قوله أهلك الله أربعًا مع أهلها ـ بأن قُلِبَتْ، و جُعل عاليها أسفلها، و بقيت واحدة و هي سدوم أهلك الله أهلها بحجارة من سجّيل، و أبقى مكانها كما كان ليعتبر المعتبرون، و يتذكَّروا قصة أهلها ، و يتعظوا بها.

(٢٦) فهزوا، إمّا مصدر حمل على ضمير المخاطب مبالغة، أو مصدر بمعنى اسم المفعول.

قوله بعد القول المضمر أي قائلين أو يقولون أ هذا الذي، و نحوه في الاستحقار "أ هذا الذي مدحته كثيرًا". قوله والمحذوف أي قائلين حال.

قوله إن مخففة، و ضمير الشان محذوف أي إنه كاد، قوله فرط، بفتح فسكون، اسم من الإفراط، والمراد الزيادة والإكثار. قوله لجاج بفتح اللام، والفعل من سمع و ضرب، لجّ في الأمر: تمادى عليه و أبى أن ينصرف عنه. قوله يَذَر أي يترك، و لا يستعمل منه الماضي. قوله و جاعله إلٰهه، يدُلّ على أن=

تدعوه إلى الهدى. يروى: أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مر بحجر أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني. وعن الحسن: هو في كل متبع هواه ﴿أَفَأَنْتَ تَكُوْنُ عَلَيْهِ وَكِيْلًا﴾ أي حفيظاً تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه، أفأنت تكوِّن عليه موكلاً فتصرفه عن الهوى إلى الهدى، عرفه أن إليه التبليغ فقط ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ ۗ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلًا﴾(٢٧) «أم» منقطعة معناه بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها، وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول؛ لأنهم لايلقون إلى استماع الحق أذناً ولا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة فقد ركبهم الشيطان بالاستذلال لتركهم الاستدلال، ثم هم أرجح ضلالة منها لأن الأنعام تسبح ربها وتسجد له وتطيع من يعلفها وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولايطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي، وقالوا: للملائكة روح وعقل، وللبهائم نفس وهوى، والآدمي مجمع الكل ابتلاء. فإن غلبته النفس والهوى فضلته الأنعام، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام. وإنما ذكر الأكثر لأن فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا حب الرياسة وكفى به داء عضالاً ولأن فيهم من آمن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾(٢٨) ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ۚ﴾ أي بسطه فعم

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= إلهه مفعول ثان لاتخذ، قدّم على الأول للاعتناء به، و من توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زلّ منه أن المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبّس بالحالة الحادثة، أي أرأيت من جعل هواه إلٰها لنفسه، و بنى عليه أمر دينه معرضًا عن استماع الحجة والبرهان. (أبو السعود)

قوله يُروى ـالخ ـ رواه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس. قوله و عن الحسن ـ الخ ـ أخرج ابن أبي شيبة، و ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه في تفسير الآية، قال: لا يهوى شيئًا إلّا تبعه. وعن قتادة: كلمّا هوِي شيئًا ركبه، و كلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى. و عن ابن عباس : ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من اللّٰه ولا برهان. (الدر المنثور)

(٢٧) ذكر المصنّف في شرح ما تضمّنتُه الآية عدةَ أمور: (١) أم منقطعة تشتمل على معنى بل والهمزة، أي الإضراب والاستفهام. لِمَ جاء الإضراب. (٢) كونهم مسلوبي الأسماع والعقول ، و هذا مستفاد من نفي "يسمعون أو يعقلون" لأن الاستفهام للإنكار. و قوله لأنهم ـ الخ ـ دليل عليه. فإن من لا يستعمل جوارحه فيما خُلقت له فكأنه عارٍ عنها. (٣) قوله مشبهين بالأنعام، مذكور في "إن هم إلّا كالأنعام". (٤) قوله ثم هي أرجح ضلالة ، مذكور في "بل هم أضلّ" و قوله لأن الأنعام ـ الخ ـ شرح رجاحتهم ضلالة و دليل الحكم بها. (٥) وجه قوله تعالى "أكثرهم".

قوله الاستذلال، بالذال المعجمة بمعنى التذليل. المشرع (ف) موردُ الشّارِبة. الهَنِيّ و الهنيء من هَنَأَ (ض س ك) السائغ. الذي حصل بلا مشقة. العَذْبُ (ك) الحُلو الطيّب. الرويّ (س) التامّ المُشبع. داء عُضال، بضم العين: مرض شديد أعيى الأطباءَ دواؤ ه.

(٢٨) اعلم أنه تعالى لما بيّن جهلَ المعرضين عن دلائل اللّٰه تعالى، و فسادَ طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعًا من الدلائل الدالة على وجود الصانع. (النوع الأول)=

الأرض وذلك من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس في قول الجمهور لأنه ظل ممدود لا شمس معه ولا ظلمة، وهو كما قال في ظل الجنة «وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ» [الواقعة:٣٠] إذ لا شمس معه ولا ظلمة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي دائماً لا يزول ولا تذهبه الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ على الظل ﴿دَلِيلًا ۝٤٥﴾ لأنه بالشمس يعرف الظل ولولا الشمس لما عرف الظل، فالأشياء تعرف بأضدادها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي أخذنا ذلك الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا﴾ إلى حيث أردنا ﴿قَبْضًا يَسِيرًا ۝٤٦﴾ سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً أي جزءًا فجزءا بالشمس التي تأتي عليه. وجاء بـ«ثم» لتفاضل ما بين الأمور فكأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني، شبه تباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ جعل الظلام الساتر كاللباس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم، والسبت القطع والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته.وقيل: السبات الموت والمسبوت الميت لأنه مقطوع الحياة وهو كقوله تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ» [الأنعام:٦٠] ويعضده[٢٩] ذكر النشور في مقابلته ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾ إذ النشور انبعاث من النوم كنشور الميت. أي: ينشر فيه الخلق للمعاش. وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في الاحتجاب بستر الليل فوائد دينية ودنيوية، وفي النوم واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر. وقال لقمان لابنه:كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= الاستدلال بحال الظل في زيادته و نقصانه، و تغيره من حال إلى حال. (النوع الثاني) الاستدلال بأحوال الليل والنهار، والنوم واليقظة. (النوع الثالث) الاستدلال بأحوال الرياح و إنزال المطر و منافع البلاد والأنعام والإنسان به. (النوع الرابع) الاستدلال بما تشتمل عليه مياه البحار. (النوع الخامس) الاستدلال بخلق الإنسان من الماء، و تقسيمه إلى الذكور و الإناث. (مفاتيح الغيب بتلخيص)

قوله جاء بـ"ثم" لتفاضل ما بين الأمور ـ يعني أن التراخي رتبي. ففيه استعارة تبعية، شبّه تباعد الرتبة بالتباعد الزماني فاستعير له ما يدل عليه، و هو " ثمّ" الموضوعة للتراخي الزماني. أمّا بيان التفاضل فهو أن خلق الظل دليل على الخالق، و نعمة عظيمة للرب. لكن العقول لم تهتد إلى معرفته لولا وجود الشمس، فإن الناظر إلى الجسم الملوّن وقت الظل لا يشاهد سوى الجسم واللون ولا يعرف الظل لكن إذا طلعت الشمس ووقع ضوؤ ها على الجسم يعرف أن الجسم كان عليه الظل، و زال ذلك بوقوع الشعاع فجعلُ الشمس دليلًا على الظل أعظم منه، ثم قبضُ الظل بارتفاع الشمس والتدرّجُ في القبض حسب تدرّج الارتفاع أعظم من الثاني لدلالته على أن هذه التغيرات لاتكون إلّا بصنع قادر حكيم فوجود الظل أولا، ثم وقوع الشمس ثم انقباض الظل وانبساط الضوء شيئًا فشيئًا ينبّه العقول، و يوجّهها إلى خالق هذه التغيرات ، و حكمته و تدبيره، و إلى ما وضع فيها من مصالح العالم. فهذا أعظم من الأوّلين. و يجوز أن تكون "ثم" للتراخي الزماني، فإن الظل الممدود يوجد بعد الإسفار قبل طلوع الشمس، ثم ضوء الشمس ثم ارتفاع الشمس و انقباض الظل لكن المصنّف اختار الأوّل لأن الآية جائت لتعريف العقول خالق الكون و هدايتها إلى معرفة قدرته و نعمته و ربوبيته كما يدل عليه قوله "إلى ربّك" فإنّه ذكر هنا ذاته بعنوان الربوبية.

(٢٩) قوله: يعضده (ن) أي يؤيّده، و عن حذيفة رضي اللّٰه تعالى عنه كان رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم إذا أصبح قال: "الحمد للّٰه الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور" (أحمد، بخاري، أبو دواؤد، ترمذي، ابن حبان) فأعلَمَ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى=

﴿وَهُوَالَّذِيٓ أَرۡسَلَ الرِّيَٰحَ﴾ «الريح» مكي والمراد به الجنس ﴿بُشۡرًۢا﴾[٣٠] تخفيف بشر جمع بشور ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي قدام المطر لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر، وهذه استعارة مليحة ﴿وَأَنزَلۡنَامِنَ السَّمَآءِمَآءً﴾ مطراً ﴿طَهُورٗا﴾ بليغاً في طهارته. والطهور صفة كقولك:«ماء طهور» أي طاهر،واسم كقولك: لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار، ومصدر بمعنى التطهر كقولك: تطهرت طهوراً حسناً ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بطهور» أي بطهارة. وما حكي عن ثعلب: هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى إن كان هذا بيان زيادة الطهارة فحسن ويعضده قوله تعالى: « وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ» [الأنفال: ١١] وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء، وقياسه على ما هو مشتق من الأفعال المتعدية كقطوع ومنوع غير سديد لأن بناء الفعول للمبالغة، فإن كان الفعل متعدياً فالفعول متعد وإن كان لازماً فلازم. ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ ذكّر «ميتاً» [٣١] على إرادة البلد أو المكان ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا﴾ أي ونسقي الماء البهائم والناس. و «مما خلقنا» حال من «أنعاماً وأناسي» أي أنعاماً وأناسي مما خلقنا. وسقى و أسقى لغتان. وقرأ المفضل والبرجمي «ونَسقيه» والأناسي جمع

= عليه وسلم أن النوم موت، واليَقَظَة حياة. و كذلك يكون الإحياء بعد الموت المعروف.

(٣٠) قوله: بُشرا ـ بضم الباء و سكون الشين، قرأه عاصم ـ و نَشُرا ـ بفتح النون و سكون الشين، قرأه حمزة و علي ـ و نُشرا ـ بضم النون و سكون الشين، قرأه ابن عامر ـ و نُشُرا ـ بضم النون والشين ، قرأه الباقون.

وبُشر ـ بضم فسكون تخفيف بُشُر بضمتين بمعنى باشرات وهو إمّا جمع بشور ـ كما قال هنا ـ على زنة فَعول بفتح الفاء، و فعول بمعنى فاعل يطرد جمعه عليه كصَبور و صُبُر. و إمّا جمع بشير كما قال في الأعراف: ٥٧ ـ مثل نذير و نذر. و تسمية الرياح بها لأنها تُبَشّر بالمطر. والكلمة تكون حالًا عن الرياح.

ونَشرًا بفتح فسكون. إمّا مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات، أو مفعول مطلق، فإنّ الإرسال و النشر متقاربان معنيً، و نُشرا بضم فسكون، تخفيف نُشُر، بضمتين. و نُشرا، بضمتين جمع نَشور، بزنة بَشُور، بمعنى ناشرات للسحاب. و معنى نشرها للسحاب جمعها لها ـ من النشر بمعنى البعث ، لأنها تجمعها كأنها تحييها ـ لا من النشر بمعنى التفريق، لأنه غير مناسب ، إلّا أن يراد به السَّوق مجازًا. و الكلمة على القرائتين تكون حالًا. (بيضاوي و خفاجي ، الأعراف: ٥٧، و الفرقان: ٤٨)

قوله: قدام المطر. قدام تفسير لبين يدي، والمطر تفسير للرحمة، لأنها استعيرت له ثم رُشّحت، كقوله (يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ) [التوبة:٢١] و جعلُها بين يديه تتمة لها، لأَن البشير يتقدم المبشَّر به. و يجوز أن تكون تمثيلية، و بشرًامن تتمة الاستعارة داخل في جملتها، و من قرأ نشرًا كان تجريدًا لها، لأن النشر يناسب السحاب. (خفاجي)

قوله: من التفعيل في شيء، أي فعول بزِنة المبالغة في معنى الفاعل لا يجيء من التفعيل ، بل يجيء من الثلاثي المجرد. فطهور من طهُر الثلاثي، وهو بمعنى الطهارة لا بمعنى التطهير. فلا يكون "طهور" بمعنى المطهّر.

(٣١) قوله ذكّر ميتًا ـ الخ ـ و قال أبو حيان: لأنه [بعد التخفيف] يماثل فعلًا من المصادر ، كما وصف المذكر والمؤنّث بالمصدر فكذلك بما أشبهه، بخلاف المشدد، فإنه يماثل فاعلًا من حيث قبوله للتاء إلّا فيما خص المؤنث نحو طامث ـ اه ـ لكن قراء ة أبي جعفر بالتشديد فما ذكر المصنّف يتوجّه على القرائتين.

قوله ممّا خلقنا حال. قدّمت لكون ذي الحال نكرة.

قوله المفضل ابن محمد عن عاصم، والبرجمي بضم الباء الموحدة، و سكون الراء، و ضم الجيم، نسبة إلى=

إنسيٍّ على القياس ككرسي وكراسي، أو إنسانٍ وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النونُ ياء وأدغمت. وقدم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسي لأن حياتها سبب لحياتهما، وتخصيص الأنعام من الحيوان الشارب لأن عامة منافع الأناسي متعلقة بها فكان الإنعام عليهم بسقي الأنعام كالإنعام بسقيهم، وتنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة لأن أكثر الناس منيخون بالقرب من الأودية والأنهار فيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم وبقاياهم وهم كثير يعيشون بما ينزل الله من رحمته، وتنكير البلدة لأنه يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء. ولما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم، وبيان أن من حقهم أن يؤثروا الطهارة في بواطنهم وظواهرهم لأن الطهورية شرط الإحياء.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ «ليذكروا» (٣٢) حمزة وعلي، يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب المنزلة على الرسل، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه فيشكروا﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝﴾فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها.أو صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة، فأبوا إلا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته. وعن ابن عباس رضي

= البراجم، و هي قبيلة من تميم، و اسمه عبد الحميد بن صالح يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمهم الله. نَسقيه بفتح النون، و ليست من المشهورة. (إكليل)

قوله كسرحان، في المصباح: السرحان بالكسر الذئب والأسد، والجمع سراحين، و يقال للفجر الكاذب سرحان على التشبيه ـ اهـ ـ إكليل ـ وكون أناسّي جمعَ إنسانٍ، و أصله أناسين، مذهبُ سيبويه. وكونه جمعَ إنسيّ مذهب الفراء، والمبرد، والزَّجّاج. وأورد عليه في الدر المصون: أن فَعاليّ إنّما يكون جمعًا. لما فيه ياء مشدّدة إذا لم يكن للنِّسَب، ككرسيّ و كراسِيّ، و ما فيه ياء النِّسَب يُجمع على أَفاعِلة، كأَزْرَقيّ و أَزارِقة، فحقّه أن يجمع على أناسِيَة، و قال في التسهيل: إنه أكثري، فلا يرد ما ذكر ـ اهـ ـ خفاجي.

قوله لأن عامة منافع ـ الخ ـ و لذا قدم سقيها على سقيهم. قوله و لأن أكثر الناس ـ الخ ـ و له وجه آخر أقوى منه، سيأتي.قوله مُنيخون، اسم فاعل. من أناخ بالمكان: أقام فيه، و أناخ البعير: أبركه. قوله و بقاياهم، عطف تفسير.قوله مظانّ، بتشديد النون جمع مظنّة، بكسر الظاء مظِنّة الشيء: موضعه و ما لفه. (المصباح المنير) المراد ببلدة قطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة. (أبو السعود)

(٣٢) قوله ليذكروا، بسكون الذال، و تخفيف الكاف مضمومة حمزة و علي الكسائي، و الباقون بتشديد الذال و تشديد الكاف مفتوحتين لِيَذَّكَّروا.

قوله قلّة الاكتراث لها، أي قلة المبالاة بها.وابل، المطر الشديد. طلّ المطر الضعيف والنَّدىٰ. جَوْد، بفتح فسكون، المطر الواسع الغزير. رذاذ بفتح الراء (كسحاب) المطر الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار.دِيمَة بكسر فسكون، مطر يدوم أياما. (إكليل وغيره)

قوله بنوء كذا، والنَّوْءُ كما في أدب الكاتب سقوط النجم في المغرب مع الفجر و طلوعُ آخر يقابله من ساعته في المشرق ، من ناء بمعنى نهض، لأن الطالع=

الله عنهما: ما من عام أقل مطراً من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء وقرأ الآية. وروي: أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد. وينتزع من هنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي. ومن نسب الأمطار إلى الأنواء وجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله تعالى كفر، وإن رأى أن الله تعالى خالقها وقد نصب الأنواء أمارات ودلالات عليها لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِيْ كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيْرًا۞ فَلَا تُطِعِ الْكٰفِرِيْنَ﴾ أي لو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة(٣٣) جميع القرى، ولبعثنا في كل قرية نبياً ينذرها، ولكن شئنا أن نجمع لك فضائل جميع المرسلين بالرسالة إلى كافة العالمين فقصرنا الأمر عليك وعظمناك به فتكون وحدك ككلهم، ولذا خوطب بالجمع «يا أيها الرسل» فقابل ذلك بالشكر والصبر والتشدد، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهنتهم، وكما آثرتك على جميع الأنبياء فآثر رضائي على جميع الأهواء، وأريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهٖ﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= ينهض. وبعضهم يجعل النوء السقوط، فهو من الأضداد. و كانوا إذا سقط نجم و طلع آخر فكان عنده مطر، أو ريح ، أو برد، أو حَر نسبوه إلى الساقط، إلى أن يسقط الذي بعده، فإن سقط ولم يكن مطر قيل خوى و أخوى ـ اه ـ خفاجي. و في المصباح: خَوَتِ النجوم من باب رمى: سقطت من غير مطر، و أخوَت بالألف مثله ـ اه ـ إكليل.

و في صحيح مسلم عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لأصحابه يومًا على إثر سماء أصابتهم من الليل "أ تدرون ماذا قال ربّكم؟" قالوا: الله و رسوله أعلم. قال: "قال أصبح من عبادي مومن بي وكافر ، فأمّا من قال مُطرنا بفضل الله و رحمته فذاك مؤمن بي، كافر بالكوكب. و أمّا من قال مُطرنا بنوء كذا و كذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب". (ابن كثير)

قوله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ الخ ـ أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و الحاكم و صحّحه، والبيهقي في سننه عنه رضي الله تعالى عنه موقوفًا. قال ابن حجر: و في الباب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. أخرجه العقيلي من رواية علي بن حميد عن شعبة عن أبي إسحٰق عن أبي الأحوص عنه. و قال "لا يتابع على رفعه" ثم أخرجه موقوفًا من رواية عمر بن مرزوق عن شعبة و قال: هذا أولى ـ اه ـ و أورده ابن مردويه من وجه آخر عن ابن مسعود مرفوعًا. (تخريج أحاديث الكشاف)

قوله لا يكفر، قال الخفاجي: و كذا سائر أحكام النجوم، و ظاهره أنه لا يأثم أيضًا، وقد صرّح الإمام بأنه خطأ. اه. ولفظ الإمام في المفاتيح هكذا: و أمّا من قال: الصانع تعالى جَبَلَها على خواصّ و صفات تقتضي هذه الحوادث فلعلّه لا يبلغ "خطؤه" إلى حد الكفر ـ اه ـ و أرى فرقًا بين اعتقادها مجبولة على صفات تقتضي الحوادث و بين اعتقادها مخلوقة منصوبة كعلامات و دلالات و لعلّ في الأوّل خطأ، والثاني ليس من الخطأ في شيء.

(٣٣) قوله أعباء نذارة، أعباء جمع عِبء بالكسر، الحِمل والثِّقل من أيّ شيء كان، والنِّذارة بالكسر اسم للإنذار، قال المجد: وهذه عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ـ اه ـ قاموس.

قوله و مداهنتهم، المداهنة أن ترى منكرًا تقدر على دفعه ولم تدفعه حفظًا لجانب مرتكبه ، أو جانب غيره ، أو لقلّة مُبالاة الدين ـ اه ـ تعريفات السيد السند قدس سره ـ إكليل.

قوله تعالى وَجاهِدْهُمْ به، ذكر المصنّف في ضمير "به" ثلاثة وجوه، على الأولين الباء للاستعانة، و على الثالث للسببية.

أي بالله يعني بعونه وتوفيقه أو بالقرآن أي جادلهم به وقرعهم بالعجز عنه ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ عظيماً موقعه عند الله لما يحتمل فيه من المشاق، ويجوز أن يرجع الضمير في «به» إلى ما دل عليه «وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا» من كونه نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية نذيراً لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له: وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهاداً كبيراً جامعاً لكل مجاهدة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاّهما متجاورين متلاصقين. تقول: مرجت الدابة إذا خليتها ترعى، وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين[٣٤] ﴿هَٰذَا﴾ أي أحدهما ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ صفة لـ«عذب» أي شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ صفة لـ«ملح» أي شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حائلاً من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج فهما في الظاهر مختلطان وفي الحقيقة منفصلان ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وستراً ممنوعاً عن الأعين كقوله: «حِجَابًا مَّسْتُورًا» [الإسراء: ٤٥]

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٤) قوله سمّى المائين....بحرين، تأويل البحر بالماء الكثير لأن في البحار ليس ما يكون عذبا، فالمراد بالعذب النهر العظيم كدجلة والفرات والمراد بالملح البحر، وإطلاق البحر على النهر الواسع الكبير شائع حتى جعل حقيقة.

قال البيضاوي: و ذلك كدجلة تدخل البحر فتشقّه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها. اه. و قال ابن جرير في جامع البيان يفسّر الآية: و الله الذي خلط البحرين فأمرج أحدهما في الآخر و أفاضه فيه. و أصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج، لأن الرجل إذا خلّى الشيء حتى اختلط بغيره فكأنّه قد مرجه.... ثم قال: يعني بالعذب الفرات مياه الأنهار والأمطار، و بالملح الأجاج مياه البحار. و إنّما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، و عظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته و إفساده إيّاه بقضائه و قدره.... فقال جلّ ثناؤه: و جعل بينهما برزخًا، يعني حاجزًا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر "و حجرًا محجورًا" يقول و جعل كل واحد منهما حرامًا محرّمًا على صاحبه أن يغيره و يفسده. و نقل ابن جرير عن ابن جريج قال: لم أجد بحرا عذبا إلّا الأنهار العِذاب، فإن دجلة تقع في البحر، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر فلا تمور فيه، بينهما مثلُ الخيط الأبيض. فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر، والنيل يصبّ في البحر.... قال أبوجعفر (ابن جرير الطبري) و إنّما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله (و جعل بينهما برزخًا و حجرًا محجورًا) دون القول الذي قاله من قال: معناه أنه جعل بينهما حاجزًا من الأرض أو اليَبَس، لأن الله تعالى أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين، والمرج هو الخلط في كلام العرب على ما بينت قبلُ، فلو كان البرزخُ الذي بين العذبِ الفراتِ من البحرين والمِلح الأجاج أرضًا أو يَبَسًا لم يكن هناك مرجٌ للبحرين، و قد أخبر جلّ ثناؤه أنه مرجهما. و إنّما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأُجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه. فأمّا إذا كان كل واحد منهما في حيّز عن حيز صاحبه فليس هناك مرج، ولا هناك من الأُعجوبة ما ينبّه عليه أهل الجهل به من الناس، و يذكّرون به، و إن كان كلُّ ما ابتدعه ربُّنا عجيبًا، و فيه أعظم العبر و المواعظ والحجج البوالغ ـ اه ـ

﴿وَهُوَ الَّذِىْ خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ﴾ أي النطفة ﴿بَشَرًا﴾ إنساناً ﴿فَجَعَلَهٗ نَسَبًا وَّصِهْرًا﴾ أراد تقسيم البشر قسمين: ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن[٣٥] كقوله تعالى:«فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثٰى﴿٣٩﴾» [القيامة:٣٩] ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيْرًا﴿٥٤﴾﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى. وقيل: فجعله «نسباً» أي قرابة و«صهراً» مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما ﴿وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾[٣٦] إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوه ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلٰى رَبِّهٖ﴾ على معصية ربه ﴿ظَهِيْرًا﴿٥٥﴾﴾ معيناً ومظاهراً. وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والظهير والمظاهر كالعوين والمعاون والمظاهرة المعاونة، والمعنى أن الكافر بعبادة الصنم يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الرحمن. ﴿وَمَآ اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَّنَذِيْرًا﴿٥٦﴾﴾ منذراً للكافرين ﴿قُلْ مَآ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿مِنْ اَجْرٍ﴾ جعل ﴿اِلَّا مَنْ شَآءَ اَنْ يَّتَّخِذَ اِلٰى رَبِّهٖ سَبِيْلًا﴿٥٧﴾﴾ والمراد إلا فعل من شاء. واستثناؤه من الأجر قول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره بصورة الثواب كأنه يقول: إن حفظت مالك اعتدّ حفظك بمنزلة الثواب لي ورضائي به كرضا المثاب بالثواب.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٣٥) قوله يصاهر بهن، المصاهرة: التزوّج أي يقع التزوّج بهن ـ إكليل.
قوله يعني الوصلة بالنكاح ـ الخ ـ أي كما تكون الوصلة بالأنساب تكون بالمصاهرة، لأن التواصل (أي صلة أحد بالآخر) يقع بها أي بالأنساب و يقع بالمصاهرة ، لأن التوالد يكون بهما أي بالزوجين، و تكون للولد وصلة بالأبوين، و كذا يكون التواصل بين أسرة الزوج و أسرة الزوجة بسبب المصاهرة فهي كالأنساب في باب التواصل.

(٣٦) قوله تعالى: و يعبدون من دون الله ـ الخ ـ بعد شرح دلائل التوحيد والقدرة والنعمة عَود إلى تقبيح طريقة المشركين في عبادة الأوثان. و بيان لمنصب الرسول و مسئوليته بدون أن يطلب على أدائها أجرًا من الناس سوى أن يقبلوا دعوته، و يَقُوا أنفسهم الهلاك.
قوله على التبليغ، المدلول عليه بكونه مبشرا و نذيرا. قوله جُعْل، بضم فسكون، أجرة العمل. قوله و استثناؤه..... قولُ ذي شفقة أي كقول ذي شفقة. و ذهب أكثر المفسرين إلى أن الاستثناء هنا منقطع. و ذكر المصنّف فيما يأتي بقوله "و قيل: المراد لكن من شاء أن يتخذ ـ الخ ـ والوجه الذي ذكره المصنّف أوّلا مبني على كون الاستثناء متصلا، بتنزيل اتخاذ المدعو سبيلًا إلى ربه منزلة أجر الداعي مجازًا و ادعاء. و الوجه الذي ذكره آخرا أيضًا مبني على الاستثناء المتصل والأجر هنا على سبيل التحقيق، فإن الدالّ على الخير كفاعله، والمرء إذا اتخذ سبيلًا إلى ربه بطاعته يستحق الأجر، و من دعاه إلى ذلك هو أيضًا يستحق الأجر، فليس مطلوب الرسول شيء من الأجر، إلّا الأجر الذي يناله على طاعة الإنسان بسبب دعوته و إرشاده إلى الطاعة.
والمصنّف ذكر التقرب بالصدقة والنفقة تحت الوجه الأول، ثم ذكر الإنفاق تحت الوجه الثاني أيضًا ذيل الاستثناء المنقطع، وغير المصنّف ذكره مستقلًا. والفرق يسير، فالمعنى بالنظر إلى الوجه الأول "لا أسألكم عليه أجرًا لكن من تصدّق و أنفق في سبيل الخير و تقرّب بذلك إلى الله أَعتدُّه أجرًا لي. والمعنى بالنظر إلى الوجه الثاني لا أسألكم عليه أجرًا. لكن من شاء فلينفق في سبيل الخير. طلبًا لرضا الله تعالى. و ليس ذلك من أجر الرسول في شيء، لكنّه وجه من=

ولعمري إنه عليه الصلاة والسلام مع أمته بهذا الصدد. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلاً تقربهم إليه بالإيمان والطاعة أو بالصدقة والنفقة. وقيل: المراد لكن من شاء أن يتخذ بالإنفاق إلى رضاء ربه سبيلاً فليفعل. وقيل: تقديره لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلا اتخاذ المدعو سبيلاً إلى ربه بطاعته فذلك أجري لأن الله يأجرني عليه. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ اتخذ من لا يموت وكيلاً لا يكلك إلى من يموت ذليلاً يعني ثق به وأسند أمرك إليه في استكفاء شرورهم ولا تتكل على حي يموت.(٣٧) وقرأها بعض الصالحين فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق.والتوكل: الاعتماد عليه في كل أمر ﴿وَسَبِّحْ﴾ من لا يكل إلى غيره من توكل عليه ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بتوفيقه الذي يوجب الحمد أو قل سبحان الله وبحمده أو نزهه عن كل العيوب بالثناء عليه ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ أي كفى الله خبيراً بذنوب عباده يعني أنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في مدة مقدار هذه المدة لأنه لم يكن حينئذ ليل ونهار. روي عن مجاهد: أو لها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، وإنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلقه الرفق والتثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ﴾ أي هو الرحمن فـ «الرَّحْمَٰنُ» خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الضمير في «استوى» أو «الذي خلق» مبتدأ و «الرحمن» خبره ﴿فَسَلْ﴾ بلا همزة مكي وعلي ﴿بِهِ﴾ صلة «سل» كقوله: «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾» [المعارج: ١] كما

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= بذل المال فذُكر بطريق الاستثناء المنقطع.

قوله و لعمري، على حذف المضاف أي لواهب عمري، و ارتفاعه على الابتداء، و خبره "قسمي و يميني" محذوف، والواو فيه للاستيناف، واللام للابتداء، قال في المغرب: العمر بالضم والفتح : البقاء، إلّا أن الفتح غلب في القسم حتى لا يجوز فيه الضم. إكليل.

قوله بهذا الصدد، أي بهذه الجهة. و في لسان العرب: الصدد: الناحية والصدد ما استقبلك ، وهذا صدد هذا و بصدده و على صدده أي قبالته ، و الصدد القرب. والصدد : القصد ـ اه ـ إكليل.

(٣٧) قوله ولا تتّكل على حي يموت. فيه إشارة إلى أنه يفيد الحصر، لأن أصله "توكل على الله" فلمّا عدل عنه إلى ما ذكر أفاد بفحواه أن من ليس كذلك لا يصح التوكل عليه، أو لأنه لترتب الحكم على وصف مناسب، و هو أن المتوكَّل عليه دائم باق معتمد عليه، فصحّ الحصر. (خفاجي)

قوله "من لا يكِلُ" مفعولُ سبّح، و قوله "من توكل" مفعولُ لا يكِل. قال في مفاتيح الغيب "أمّا قوله (وسبّح بحمده) فمنهم من حمله على نفس التسبيح بالقول، ومنهم من حمله على الصلاة، ومنهم من حمله على التنزيه للّه تعالى عمّا لا يليق به في توحيده و عدله ، و هذا هو الظاهر". اه ـ و ما ذكر المصنّف من المعاني فالأخيران منها يشتملان على تفسير التسبيح و الحمد كليهما، لكن الوجه الأوّل ليس فيه معنى التسبيح فلعله أخذ في الوجه الأول معنى الصلاة ، و التسبيح جاء بمعنى الصلاة في القرآن كثيرًا، و قوله بتوفيقه ـ الخ ـ يشير إلى أن الباء للسببية. و قوله في الوجه الأخير "بالثناء" يشير إلى أن الباء بمعنى المصاحبة.

قوله فَسَلْ بلا همزة أي بإلقاء حركة الهمزة على السين و حذفها، قرأه ابن كثير المكي و علي الكسائي، والباقون "فسْئَل" بسكون السين و الهمزة المفتوحة.

تكون «عن» صلته في قوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨» [التكاثر: ٨] فسأل به كقولك اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه[٣٨] أو صلة ﴿خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ ويكون «خبيراً» مفعول «سل» أي فاسأل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو فاسأل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل: فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتب حتى يعرف من ينكره، ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن إلا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمان اليمامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي إذا قال محمد عليه الصلاة والسلام للمشركين ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ صلوا لله واخضعوا له ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أي لا نعرف الرحمن فنسجد له، فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بـ«ما» أو عن معناه لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم والرحوم ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ للذي تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به. «يأمرنا» علي وحمزة كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد أو يأمرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو؟ فقد عاندوا لأن معناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من أبنية المبالغة تقول: رجل عطشان إذا كان في نهاية العطش ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ قوله: «اسجدوا للرحمن» ﴿نُفُورٗا ۝٦٠﴾ تباعداً عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾[٣٩] هي منازل الكواكب السيارة لكل كوكب بيتان يقوى

(٣٨) قال البيضاوي: والسؤال كما يعدّى بعَنْ، لتضمنه معنى التفتيش، يُعدّى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء - اهـ - قال علقمة بن عبدة:

وإن تسألوني بالنساء فإنني☆ بصير بأدواء النساء طبيب

وضمير "به" يرجع إلى الرحمٰن، والمراد به الموصوف بالرحمة البالغة أو المراد به اسم الرحمٰن كما ذكر المصنّف أخيرا.

قوله مسيلمة، الكذّاب كان يدّعي النبوة، جمع جموعًا كثيرة من بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب و قصد قتال الصحابة في إثر وفاة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم فبعث إليه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الجيوش سنة إحدى عشرة من الهجرة و أميرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، فقاتلوه و قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه، وكان عمر مسيلمة الكذّاب لعنه الله يوم قُتِل مأة و خمسين سنة، و مولده قبل مولد عبد الله والد النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم. إكليل.

قوله للذي تأمرنا... أو لأمرك - أي ما موصولة أو مصدرية. قوله يأمرنا بالياء علي و حمزة والباقون بالتاء.

(٣٩) لما حكى الله سبحانه عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكّروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمٰن. (مفاتيح الغيب)

قوله هي منازل الكواكب السيارة. أخرج الخطيب في كتاب النجوم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله (تبٰرك الذي جعل في السماء بروجًا) قال: هي هذه الاثنا عشر برجًا. أولها الحمل، ثم الثور، ثم الجوزاء، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبلة، ثم الميزان، ثم العقرب، ثم القوس، ثمّ الجدي، ثم الدلو، ثمّ الحوت. (در منثور)

قال ابن كثير: هي الكواكب العظام في=

حاله فيهما. وللشمس بيت وللقمر بيت. فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل. وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيصيب كل واحد منها ثلاثة بروج: فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية. سميت المنازل بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، واشتقاق البروج من التبرج لظهوره.وقال الحسن وقتادة ومجاهد:البروج هي النجوم الكبار لظهورها ﴿ وَّجَعَلَ فِيهَا ﴾في السماء ﴿ سِرٰجًا ﴾يعني الشمس لتوقدها. «سرجا» حمزة وعلى أي نجوماً﴿وَّقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئاً بالليل.

﴿وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فعلة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر، والمعنى جعلهما ذوي خلفة(٤٠) يخلف أحدهما الآخر عند مضيه أو يخلفه في قضاء ما فاته من الورد ﴿لِّمَنْ اَرَادَ اَنْ يَّذَّكَّرَ﴾ يتدبر في تسخيرهما واختلافهما فيعرف مدبرهما. «يذكر» حمزة وخلف أي يذكر الله أو المنسي فيقضي ﴿اَوْ اَرَادَ شُكُوْرًا﴾ أي يشكر نعمة ربه عليه فيهما.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِيْنَ يَمْشُوْنَ﴾ أو أولئك يجزون «والذين يمشون» وما بعدهما صفة والإضافة إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل.(٤١)وصف أولياءه بعدما وصف

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= قول مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، والحسن، و قتادة ـــ و قيل: هي قصور في السماء للحرس. و يُروى هذا عن علي، وابن عباس، ومحمد بن كعب ، وإبراهيم النخعي، و سليمان بن مهران الأعمش، وهو رواية عن أبي صالح أيضًا. والقول الأول الأظهر. اللّهم إلّا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس، فيجتمع القولان. اهـ.

(٤٠) قوله ذوي خلفة، ذوي بفتح الواو تثنية ذي، قوله أو يخلفه في قضاء ما فاته من الوِرد بكسر الواو: الوظيفة من قراء ة و نحو ذلك، و جمعه أو راد، كحِمل و أحمال. (خفاجي) أخرج الطيالسي و ابن أبي حاتم عن الحسن: أن عمر أطال صلاة الضحى فقيل له : صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه؟ فقال: إنه بقي عليّ من وِردي شيء و أحببت أن أتمه ـ أو قال: أقضيَه، و تلا هذه الآية (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا) ـ (در منثور)

وأخرج مسلم، و أبو داود، و الترمذي، والدارمي، وابن ماجة، وابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر و صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل.

قوله (لمن أراد) الظاهر أن اللام صلة جعل، و لما كان ظهور فائدة ذلك لمن يتذكر أو يشكر كانا كأنهما لم يجعلا خلفة لغيرهما. و يجوز أن يكون للتعليل.

قوله يذكر، بسكون الذال وضم الكاف مخففة حمزة و خلف، والباقون بتشديدهما مفتوحتين، أصله يتذكر فأبدلت التاء ذالًا و أُدغمت فيها.

(٤١) قوله للتخصيص والتفضيل، أي لأن تفيد لهم خصوصية و شرفًا، و تفضّلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات و إلّافالخَلق كلهم عباد الله. (شيخ زاده)

أعداءه ﴿عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ حال أو صفة للمشي أي هينين أو مشياً هيناً. والهون:الرفق واللين أي يمشون بسكينة ووقار وتواضع دون مرح واختيال وتكبر فلا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشراً وبطراً ولذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق ولقوله: «ويمشون في الأسواق» ﴿ وَّإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُوْنَ ﴾أي السفهاء بما يكرهون ﴿ قَالُوْا سَلٰمًا۝ ﴾سداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإفك أو تسلماً منكم نتارككم ولا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسلم.وقيل: نسختها آية القتال. ولا حاجة إلى ذلك فالإغضاء عن السفهاء مستحسن شرعاً ومروءة.هذا وصف نهارهم ثم وصف ليلهم بقوله: ﴿ وَالَّذِيْنَ يَبِيْتُوْنَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴾ جمع ساجد ﴿وَّقِيَامًا۝﴾ جمع قائم والبيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم. وقالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً. وقيل: هما الركعتان بعد

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله: وصف أولياءه. وصفهم بتسعة أنواع من الصفات: (١) مشيهم على الأرض هونًا (٢) قولهم سلامًا إذا خاطبهم الجهلاء (٣) بيتوتهم سجدا و قيامًا (٤) دعاؤهم صرف العذاب عنهم (٥) اقتصادهم في الإنفاق (٦) مجانبتهم الشرك، و قتلَ النفس بدون حق، والزنا (٧) مجانبتهم الزور، و مرورهم باللغو مر الكرام (٨) عدم سقوطهم صمًّا و عميانًا حين التذكير بالآيات (٩) دعاؤهم عطاء قرة الأعين من الأزواج والأولاد. (مفاتيح الغيب بتلخيص).

قوله هينين أو مشيًا هينًا ، أي المصدر بمعنى الصفة، و في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة.

قوله بسكينة، و أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، و ابن النجار عن ابن عباس قالا: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم: "سرعة المشي تُذهب بهاءَ المؤمن" (الدر المنثور)

قوله مرح، بفتحتين، وهو شدة الفرح و النشاط، والصفة مرِح، بكسر الراء و اختيال أي إعجاب بالنفس. لا يخفقون (ض) خفق النعل: صوّت. أشرًا و بطرًا، كلاهما من سمع بمعنى شدة المرح، و بمعنى كفران النعمة و ترك الشكر.

قوله سدادًا، بفتح السين، أي صوابًا من القول. فعلى هذا الوجه يكون سلامًا إشارة إلى ما قالوه من حيث المعنى، ولا يكون سلامًا عين عبارتهم. (شيخ زاده و إكليل)

قوله من الإيذاء والإفك، الإفك هو الافتراء والكذب، و في نسخة "من الإيذاء والإثم" كما في الكشاف و البيضاوي.

قوله أو تسلّما منكم، يعني أنّ سلامًا منصوب على أنه مصدر فعل محذوف، والأصل نتسلم منكم تسلّما، فأقيم السلام مقام التسليم، فالمعنى : إذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى و كلام قبيح قالوا: نتسلّم منكم تسلّما، أي لا نجاهلكم ولا نتلبّس بشيء من أموركم وهو الجهل وما يبتني على خفّة العقل. (شيخ زاده)

وأخرج الإمام أحمد عن النعمان بن مقرن المزني: أن رجلًا سبّ رجلًا عند النبي صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم فجعل الرجل المسبوب يقول: عليك السلام. فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم "أما إنّ ملكًا بينكما يذبّ عنك ، كلما شتمك هذا قال له: بل أنت، و أنت أحقّ به، و إذا قلت له: عليك السلام قالَ: لا. بل لك، أنت أحق به". قال ابن كثير إسناده حسن و لم يخرجوه. و أخرج أبو نعيم عن محمد بن علي الباقر قال: سلاح اللئام قبيح الكلام (الدر المنثور) قيل: نسختها ـ الخ ـ نسب الزمخشري هذا القول إلى أبي العالية.

قوله فالإغضاء من الإفعال. أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم، فقيل: أغضى على القَذَى، إذا أمسك عفوا عنه. (المصباح المنير)

قوله الظلول، في المصباح المنير: ظلّ يفعل كذا، يظلّ من باب تعب ظُلولا، إذا فعله نهارا ، قال الخليل: لا تقول العرب ظلّ إلّا لعمل يكون بالنهار.

قوله من قرأ شيئا من القرآن. روى أبو داؤد عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه=

المغرب والركعتان بعد العشاء. والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره ﴿وَالَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ هلاكاً لازماً ومنه الغريم(٤٢) لملازمته. وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذاناً بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون متضرعون إلى الله في صرف العذاب عنهم ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًا﴾ أي إن جهنم. و«ساءت» في حكم«بئست»وفيها ضمير مبهم يفسره «مستقراً» والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم «إن» وجعلها خبراً لها، أو بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم «إن» و «مستقراً» حال أو تمييز، ويصح أن يكون التعليلان متداخلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم. ﴿وَالَّذِيْنَ إِذَآ أَنْفَقُوْا لَمْ يُسْرِفُوْا﴾ لم يجاوزوا الحد في النفقة أو لم يأكلوا للتنعم ولم يلبسوا

= تعالى عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، و من قام بمأة آية كتب من القانتين، و من قام بألف آية كتب من المقَنْطِرين [أي المكثرين من الأجر] و حكى الثعلبي عن ابن عباس قال: من صلّى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك، فقد بات لله سبحانه و تعالى ساجدًا وقائمًا، وقال الكلبي: الركعتان بعد المغرب، وأربع بعد العشاء. (الكشف والبيان للثعلبي المتوفى٤٢٧هـ)

و عن أبي أُمامة قال قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم: عليكم بقيام الليل فإنه داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربّكم، و مَكْفَرة للسيّئات ، و مَنْهَاة عن الإثم. رواه الترمذي، و عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : إن في الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، و باطنُها من ظاهرها أعدها الله لمن أَلانَ الكلام، و أطعم الطعام ، و تابع الصيام، و صلّى بالليل و الناس نيام. رواه البيهقي في شعب الإيمان، و روى الترمذي عن علي نحوه، و في روايته لمن أطاب الكلام. (مشكاة المصابيح ، باب التحريض على قيام الليل)

و عن عثمان بن عفّان قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم : من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، و من صلّى الصبح في جماعة فكأنّما صلّى الليل كله. رواه البغوي بسنده في تفسيره.

(٤٢) قوله منه الغريم، وهو من له الدين أو من عليه الدين والمراد هنا الأول أي العذاب لازم كما يلازم الدائن المديون. قال محمد بن كعب: طالبهم الله بثمن النعيم في الدنيا فلم يأتوا به، فأغرمهم ثمنها بإدخالهم النار. (قرطبي)

قوله و يصح أن يكون التعليلان جاء إن عذابها كان غرامًا بالفصل فهو جواب سائل سأل لِمَ طلبوا صرف العذاب فكان علّة لذلك الدعاء و كذا جاء "إنها ساء ت" بالفصل فهو علّة كونها غرامًا، أو الجملتان علّتان لدعاء صرف العذاب، فعلى الأول هما تعليلان متداخلان، و على الثاني تعليلان مترادفان. وقال أبو حيان في البحر المحيط: والظاهر أن التعليلين غير مترادفين، ذكر أولًا لزوم عذابها، و ثانيًا مساء ة مكانها، و هما متغايران، و إن كان يلزم من لزوم العذاب في مكان ذمّ ذلك المكان. و قيل: هما مترادفان. والظاهر أنه من كلام الداعين وحكاية لقولهم. وقيل هو من كلام الله. و يظهر أن قوله "و مقامًا" معطوف على سبيل التوكيد، لأن الاستقرار والإقامة كأنهما مترادفان، و قيل : المستقر للعصاة من أهل الإيمان، فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون، والإقامة للكفار. اهـ

للتصلف.[٤٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم ينفقوا في المعاصي فالإسراف مجاوزة القدر. وسمع رجل رجلاً يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير، وقال عليه الصلاة والسلام: من منع حقاً فقد قتر ومن أعطى في غير حق فقد أسرف. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوْا﴾ بضم التاء كوفي، وبضم الياء وكسر التاء مدني وشامي، وبفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري. والقتر والإقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذٰلِكَ﴾ أي الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي عدلاً بينهما فالقوام العدل بين الشيئين والمنصوبان أي «بين ذلك قواماً» خبران وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير، وبمثله أمر عليه الصلاة والسلام «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً إِلٰى عُنُقِكَ» الآية.[الإسراء:٢٩] وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن عبد العزيز عن نفقته حين زوجه ابنته فقال: الحسنة بين السيئتين. فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية. وقيل:أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لايأكلون طعاماً للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثيابهم للجمال والزينة ولكن لسد الجوعة وستر العورة

(٤٣) قوله التصلّف: التمدّح بما ليس عندك والادّعاء فوق ذلك تكبرًا (قاموس) جمع الإمام أحمد رضا القادري البريلوي رحمه اللّٰه تعالى (١٢٧٢هـ ـ١٣٤٠هـ) في المجلد الأول من فتاواه في رسالة سمّاها "بركات السماء في حكم إسراف الماء" (١٣٢٧هـ) أحد عشر قولًا في تعريف الإسراف، و تكلم على كل واحد منها ثم قال: أجمعها، و أنفعها ، و أوضحها تعريف سيدنا عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه تعالى عنه رواه عنه الفريابي، و سعيد بن منصور، و أبو بكر بن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وأبناء جرير والمنذر و أبي حاتم، والطبراني، والحاكم و صحّحه، و البيهقي في شعب الإيمان ـ واللفظ لابن جرير ـ في قوله تعالى: ولا تبذّر تبذيرًا. قال: التبذير في غير الحق، وهو الإسراف. و أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبًا في طاعة اللّٰه لم يكن إسرافًا، ولو أنفقت صاعًا في معصية اللّٰه كان إسرافًا ـ اهـ ـ قال أحد لحاتم الطائي نظرا إلى كثرة بذله: لا خير في سرف فقال: لا سرف في خير. أقول: لم يكن إنفاق حاتم للّٰه بل كان للسمعة و شيوع الذكر كما نصّ عليه في الحديث، فكلّ عطائه كان إسرافًا لكن الشرع المطهر يأمر بالقصد في الإنفاق في الخير أيضًا قال اللّٰه تعالى : "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا" لكن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه تعالى عليه وسلم أثنى على أبي بكر ببذله جميع ماله في سبيل اللّٰه فالتحقيق أن العامّة لهم حكم القصد والتوسط أمّا المتوكّلون صدقًا والمتبتّلون حقًّا فلهم شأن عظيم، ولذا أنكر على بلال رضي اللّٰه تعالى عنه جمعه كثيبًا من التمر، و قال له: ما رزقت فلا تخبأ و ما سئلت فلا تمنع قال: كيف استطيع ذلك؟ قال: هو ذاك أو النار، رواه الطبراني في الكبير ، و أبو الشيخ في الثواب، والحاكم وقال صحيح الإسناد، و قال له: انفق بلالا، ولا تخش من ذي العرش إقلالا، رواه البزار عن بلال، و أبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، والطبراني في الكبير كالبزار عن ابن مسعود، رضي اللّٰه تعالى عنهم بأسانيد حسان. انتهى مختصرًا. (الفتاوى الرضوية ج١، ص ١٨١، الطبعة الأولى)

قوله من منع حقًا ـ الخ ـ لم أقف على من أخرجه مرفوعا. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب في قوله (لم يسرفوا، ولم يقتروا) قال: لا ينفقه في باطل، ولا يمنعه من حق. (در منثور)

قوله قيل أولئك ـ الخ ـ أخرجه ابن أبي حاتم و ابن جرير عن يزيد بن حبيب.

ودفع الحر والقر. وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا أكله.

﴿ وَالَّذِيْنَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ ﴾ أي لا يشركون ﴿ وَلَا يَقْتُلُوْنَ النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ ﴾ أي حرمها(٤٤) يعني حرم قتلها ﴿اِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بقود أو رجم أو ردة أو شرك أو سعي في الأرض بالفساد، وهو متعلق بالقتل المحذوف أو بـ «لا يقتلون» ﴿وَلَا يَزْنُوْنَ﴾ ونفي هذه الكبائر عن عباده الصالحين تعريض لما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم كأنه قيل: والذين طهرهم الله مما أنتم عليه ﴿وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ﴾ أي المذكور ﴿يَلْقَ اَثَامًا﴾ جزاء الإثم ﴿يُّضٰعَفْ﴾ بدل من «يلق» لأنهما في معنى واحد إذ مضاعفة العذاب هي لقاء الأثام كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا   تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله قال عمر ـ الخ ـ أخرجه عبد الرزاق عنه رضي الله تعالى عنه و لفظه: كفى سَرَفًا أن الرجل لا يشتهي شيئًا إلّا اشتراه فأكله. (در منثور) وأخرج أحمد عن أبي الدرداء عن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: من فقه الرجل قصده في معيشته. (ابن كثير)

قوله الجوعة ـ بفتح الجيم المرة الواحدة، والجوع بالضم مصدر جاع يجوع ضدّ الشَّبَع، القَرّ بالفتح مصدر ، و بالضم اسم البرد. (المصباح المنير)

(٤٤) قوله حرمها ـ بيان للعائد المحذوف في الصلة ، فإن الصلة لا بدّ فيها من عائد إلى الموصول، و يجوز حذفه إذا كان فضلة. قوله يعني حرم قتلها لأن الحل والحرمة من صفات أفعال المكلفين، وليسا من صفات الأعيان. قوله بقَوَد، بفتحتين: القصاص، ذكر ما يحِقّ به القتل. قوله متعلق بالقتل المحذوف أي في قوله حرم الله قتلها، أي حرم الله قتلها بجميع الأسباب إلّا بسبب حقّ ، أو متعلق بلا يقتلون أي لا يقتلون بسبب من الأسباب إلّا بالحقّ، وقد جوّز فيه أن يكون صفة مصدر محذوف أي قتلًا ملتبسًا بالحق، أو حالًا أي ملتبسين بالحق. (خفاجي و شيخ زاده)

قوله نفي هذه الكبائر ـ الخ ـ كأنه جواب عمّا يقال: ما الفائدة في نفي هذه الكبائر، فإن عباد الرحمٰن الموصوفين بالخصال السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا يتوهم أحد ثبوتها لهم حتى يورد نفيها عنهم و حاصل الجواب أن هذا النفي تعريض بما كان عليه أعداؤهم، و يحسن النفي تعريضًا و إن لم يكن المنفي عنه مظنة لثبوت المنفي له مثل أن تقول لعابد صنم: لستُ بعابد حجر لا يعقل، تريد التعريض بسفاهته.

هذا، و قد روى البخاري، و مسلم، و أبو داؤد، والنسائي، وابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناسًا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا، و زَنَوا ثم أتَوا محمدًا صلّى الله تعالى عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول و تدعو إليه لحَسَنٌ ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارةً، فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر....) و نزلت (قل يٰعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم....) [الزمر: ٥٣]

قوله متى تأتنا ـ الخ ـ البيت المذكور استشهد به النحاة على الإبدال من الشرط، فتُلمِمُ بمعنى تنزل، و "بنا" متعلق به بدل من "تأتنا" والاستشهاد به لمجرد الإبدال من الشرط، و ليس "تُلمم" جواب الشرط لعدم الفائدة فيه. والحطب الجزل: اليابس الكثير، و"تأجّجا" يحتمل أن يكون بضمير التثنية والتذكير لتغليب الحطب، أو الألف للإشباع، و فيه ضمير النار لتأويله بمذكر كشهاب أو جَمَر، أو الألف بدل من نون التأكيد الخفيفة، أصله تَتَأجَّجَنْ، و دخلت نون التأكيد في تأجّجَنْ مع خلوّه عن معنى الطلب للضرورة. قال سيبويه: يجوز في الضرورة أنت تفعلن. والأجيج تلهّب النار، يقال أجّتِ النار تَؤُجّ أجيجًا إذا تلهّبت. (شيخ زاده و خفاجي)

فجزم «تلمم» لأنه بمعنى «تأتنا» إذ الإتيان هو الإلمام. «يضعّفْ» مكي ويزيد ويعقوب. «يضعّفُ»شامي«يضاعفُ»أبوبكر على الاستئناف أو على الحال ومعنى يضاعف ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾أي يعذب على مرور الأيام في الآخرة عذاباً على عذاب. وقيل: إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعاً فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه ﴿وَيَخْلُدْ﴾ جزمه جازم «يضاعف» ورفعه رافعه لأنه معطوف عليه ﴿فِيْهِ﴾في العذاب «فيهي» مكي وحفص بالإشباع.وإنما خص حفص الإشباع بهذه الكلمة مبالغة في الوعيد. والعرب تمد للمبالغة مع أن الأصل في هاء الكناية الإشباع ﴿مُهَانًا﴾ حال أي ذليلاً ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن الشرك وهو استثناء من الجنس[٤٥] في موضع النصب ﴿وَاٰمَنَ﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ بعد توبته ﴿فَأُولٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّاٰتِهِمْ حَسَنٰتٍ﴾ أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة، ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة ولكن المراد ما ذكرنا. «يبدل» مخففاً البرجمي ﴿وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا﴾

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

قوله يُضعّف، بتشديد العين و فتحها، و بالجزم قرأه ابن كثير المكي، ومن العشرة أبو جعفر يزيد، و يعقوب و قرأه بالرفع ابن عامر الشامي، و يضاعفُ ـ من المفاعلة مبنيًّا للمفعول ـ بالرفع قرأه أبو بكر شعبة، والباقون بالجزم ، و يَخْلُد ـ بفتح الياء و سكون الخاء و ضم اللام وبالرفع قرأه ابن عامر و شعبة، و الباقون بالجزم.

(٤٥) قوله وهو استثناء من الجنس ـ قال أبو حيان: استثناء متصل من الجنس ولا يظهر، لأن المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير: إلّا من تاب و آمن و عمل صالحًا، فلا يضاعف له العذاب، و لا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف. فالأولى عندي أن يكون استثناء منقطعًا: أي لكن من تاب و آمن و عمل صالحًا فأولئك يبدل اللّٰه سيئاتهم حسنات، إذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة. (البحر المحيط) لكن المشهور بين المفسرين أنه استثناء متصل من الجنس، و أجيب عن قول أبي حيان أنه غير لازم إذ المقصود الإخبار بأن من فعل كذا فإنه يحل به ما ذكر إلّا أن يتوب. و أمّا إصابة أصل العذاب و عدمها فلا تعرض له في الآية. اه. (شيخ زاده) ـ وقال الخفاجي: قوله فأولئك ـ الخ ـ احتراس، لأن الاستثناء من مضاعفة العذاب ربما يوهم ثبوت أصله. ومن لم يتنبه له اعترض به. فتنبّه ـ اه.

قوله يبدل، مخفّفا من الإبدال، قرأه البرجمي ، هو عبد الحميد بن صالح البرجمي بضم الباء الموحدة، و سكون الراء، وضم الجيم، هذه النسبة إلى البراجم، وهي قبيلة من تميم، و عبد الحميد بن صالح يروي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم رحمهم اللّٰه. (إكليل)

قال ابن كثير: في معنى قوله (يبدل اللّٰه سيئاتهم حسنات) قولان: أحدهما: أنهم بدلوا عمل السيئات بعمل الحسنات، هذا روي عن ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وهو قول أبي العالية و قتادة و جماعة آخرين والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات. وما ذاك إلّا لأنه كلما تذكّر ما مضى ندم و استرجع، واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار، فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه فإنه لا يضره و ينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك، و صحت به الأثار المروية عن السلف رضي اللّٰه عنهم ـ الخ ـ و نقل فيه أحاديث منها حديث رواه مسلم منفردًا عن أبي ذرّ رضي اللّٰه تعالى عنه مرفوعًا.

قوله مرضيًا ـ الخ ـ هو مستفاد من تعظيم التنكير يندفع به ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء في قوله: "من تاب.... فإنه يتوب إلى اللّٰه متابًا" فإن الشرط هو الرجوع مطلقًا، والجزاء رجوع خاص. (خفاجي و شيخ زاده)

يكفر السيئات ﴿رَّحِيمًا﴾ يبدلها بالحسنات.

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ أي ومن تاب وحقق التوبة بالعمل الصالح فإنه يتوب بذلك إلى الله تعالى متاباً مرضياً عنده مكفراً للخطايا محصلاً للثواب ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي الكذب يعني ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله إذ مشاهدة الباطل شركة فيه، وكذلك النظارة[٤٦] إلى ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الآثام لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا، وسبب وجود الزيادة فيه.وفي مواعظ عيسى عليه السلام: إياكم ومجالسة الخاطئين. أو لا يشهدون شهادة الزور على حذف المضاف. وعن قتادة: المراد مجالس الباطل. وعن ابن الحنفية: لا يشهدون اللّهو والغناء. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ بالفحش وكل ما ينبغي أن يلغى ويطرح، والمعنى وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين مكرمين أنفسهم عن التلوث به كقوله: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ» [القصص: ٥٥] وعن الباقر رضي الله عنه: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بالقرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ هذا ليس بنفي الخرور بل هو إثبات له ونفي الصمم والعمى ونحوه «لا يلقاني زيد مسلماً» هو نفي للسلام لا للقاء يعني أنهم إذا ذكروا بها خروا سجداً وبكياً

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

(٤٦) قوله النظّارة، مشدّدًا: القوم ينظرون إلى شيء. (مختار الصحاح) أصلها فرقة أو جماعة نظّارة. و جاء في تفسير الزور أقوال. (١) الشرك و عبادة الأصنام (٢) الكذب والفسق والكفر (٣) اللغو والباطل (٤) اللغو والغناء (٥) أعياد المشركين (٦) مجالس السوء والخنا (٧) شرب الخمر.
قال أبو جعفر الطبري: و أصل الزور تحسين الشيء و وصفه بخلاف صفته حتى يخيّل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به. والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسَّن لأهله حتى قد ظنوا أنه حقّ. وهو باطل، و يدخل فيه الغناء ، لأنه أيضًا ممّا يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضًا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إيّاه حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك ممّا يدخل في معنى الزور فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئًا من الباطل، لا شركًا، ولا غناء، و لا كذبا، ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور. (جامع البيان)

قوله أو لا يشهدون شهادة الزور، و هي الكذب متعمّدًا على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا، قلنا: بلى يا رسول اللّه، قال : "الشرك باللّه و عقوق الوالدين" وكان متكئًا فجلس فقال: "ألا و قول الزور" ألا و شهادة الزور" فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور، أي لا يحضرونه و لهذا قال تعالى: (و إذا مروا باللغو مروا كرامًا) أي لا يحضرون الزور، و إذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنّسوا منه بشيء، و لهذا قال: (مروا كرامًا) ـ ابن كثير ـ
قوله هذا ليس بنفي الخرور ـ الخ ـ فإن النفي إذا دخل المقيّد كان القيد هو محطّ النفي ، كما في قوله تعالى: و ما خلقنا السموات والأرض لاعبين.
قوله الصمم ، بفتحتين : ثقل السمع أو ذهابه. والعمى: ذهاب البصر.

سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية لما أمروا به ونهوا عنه لا كالمنافقين وأشباههم دليله قوله تعالى: «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩» [مريم:٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ «من» للبيان كأنه قيل: هب لنا قرة أعين. ثم بينت القرة وفسرت بقوله: «من أزواجنا» ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم: «رأيت منك أسداً» أي أنت أسد، أو للابتداء(٤٧) على معنى هب لنا من جهتهم ما تقربه عيوننا من طاعة وصلاح «وذريتنا» أبو عمرو وكوفي غير حفص لإرادة الجنس وغيرهم «ذرياتنا» ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وإنما نكر لأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قال: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل: «أعين» على القلة دون «عيون» لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾» [سبأ:١٣] ويجوز أن يقال في تنكير «أعين» إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين، والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً عمالاً لله تعالى يسرون بمكانهم وتقر بهم عيونهم. وقيل: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الولد إذا رآه يكتب الفقه(٤٨) ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ أي أئمة يقتدون بنا في الدين فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، أو واجعل كل واحد منا إماماً. قيل: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ أي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس دليله قوله: «وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾» [سبأ:٣٧] ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ «ويلقون» كوفي غير حفص ﴿تَحِيَّةً﴾ دعاء بالتعمير ﴿وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾

قوله واعية، وعي الحديث وعيًا من باب وعد: حفظه و تدبّره. راعية، رعى الأمر: حفظه.

(٤٧) قوله أو للابتداء ، أي من ابتدائية متعلقة بهب، أو بيانية متعلقة بمقدر، و هذا بناء على جواز تقدم المبيّن على المبيَّن، و قوله رأيت منك أسدًا تجريد. و من التجريدية تحتملهما. (خفاجي)

(٤٨) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف، و روى عنه ابن جرير و ابن المنذر قال: يعنُون من يعمل بالطاعة فتقربه أعيننا في الدنيا والآخرة. (الدر المنثور)

قوله فاكتفى بالواحد، مع أنه مفعول ثان لقوله "و اجعلنا" فينبغي أن يطابق المفعول الأول في الإفراد والجمع بأن يقال "و اجعلنا أئمة" لدلالته على الجنس الشامل للقليل والكثير ولعدم اللبس أي الالتباس، بكون المراد واحدًا، لأن القرينة قائمة على أن المراد هو الجمع.

قوله العلالي جمع عُلِّيّة بكسر العين و ضمها، و تشديد اللام والياء. المسكن الأعلى.

قوله بصبرهم. ما مصدرية، والباء للسببية أو المقابلة أي بدل صبرهم.

قوله يلقون، بفتح الياء وسكون اللام، و تخفيف القاف من لقِي يلقى مبنيًا للفاعل ، معدّى لواحد ـ وهو تحية ـ كوفي غير حفص، أي أبو بكر و حمزة، و الكسائي و=

ودعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه ﴿خٰلِدِيْنَ فِيْهَا﴾ حال ﴿حَسُنَتْ﴾ أي الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًا﴾ موضع قرار وإقامة وهي في مقابلة «ساءت مستقرا ومقاما».

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّيْ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ «ما» متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب ومعناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام أو لولا عبادتكم له أي أنه خلقكم لعبادته كقوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ» [الذاريات: ٥٦] أي الاعتبار عند ربكم لعبادتكم. أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، وهو كقوله تعالى: «مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ» [النساء: ١٤٧] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ رسولي يا أهل مكة ﴿فَسَوْفَ يَكُوْنُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي ذا لزام أو ملازماً وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل، وقال الضحاك: ما يعبأ ما يبالي بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلهاً آخر.

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

= خلف والباقون بضم الياء، و فتح اللام،' و تشديد القاف من المزيد مبنيًا للمفعول معدّى لاثنين أحدهما ناب عن الفاعل فارتفع وهو الواو ، والثاني تحيّة.

قوله لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام. فالدعاء بمعنى الدعوة، والمصدر مضاف إلى المفعول ، وفاعله مقدر، والمعنى الثاني: لولا عبادتكم له فالدعاء بمعنى العبادة، والمصدر مضاف إلى الفاعل، والمفعول ضمير مقدّر راجع إلى "ربي" والمعنى الثالث ما يصنع بعذابكم ـ الخ ـ بحذف المضاف في "بكم" و تقدير مفعول الدعاء "آلهة" و يقاربه ما نقل عن الضحاك: "ما يبالي بمغفرتكم بتقدير المغفرة المضافة إلى ضمير الخطاب، و تقدير مفعول الدعاء "إلٰها آخر".

بدأت تحشية تفسير سورة الكهف في أواخر شعبان من سنة ١٤٢٣ه و لم يجرِ العمل إلّا في العطلات من شعبان و رمضان غالبًا. و لذا امتدّ العمل سنوات حتى تمّت الحواشي على تفسير سورة الفرقان ١٦/ محرم سنة ١٤٢٩ه المصادف ٢٦/ ينائر ٢٠٠٨م يوم السبت على الساعة الرابعة نهارًا و هذا آخر ما أردت، والحمد لله سبحانه و تعالى. والصلاة والسلام على رسوله أفضل المرسلين و على آله و صحبه الطيّبين الطاهرين و على من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد أحمد المصباحي
رئيس المدرّسين بالجامعة الأشرفية
مباركفور ـ أعظم جره ـ الهند

صاحب مدارك التنـزيل و حقائق التأويل

ذكره عدّة من المصنّفين في كتبهم، و أنقل هنا ما ذكره الكفوي في الطبقات، و ما زاد عليه الشيخ أبو الحسنات في الفوائد البهية، و أزيد عليها حواشي ملتقطًا من الفوائد البهية.

قال محمود بن سليمان الكفوي (المتوفى ٩٩٠هـ) في كتائب أعلام الأخيار في طبقات فقهاء مذهب النعمان المختار:

عبد الله بن أحمد بن محمود: أبو البركات، حافظ الدين النسفي، نسبة إلى نَسَف بفتحتين، من بلاد السغد في ما وراء النهر، و قيل بكسر السين، و في النسبة تفتح.

كان إمامًا كاملاً عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه و الأصول، بارعًا في الحديث و معانيه، تفقّه على شمس الأيمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَري(٥٩٩هـ -٦٤٢هـ)، وعلى حميد الدين الضرير[(١)] و بدر الدين خواهرزاده[(٢)].

وله تصانيف معتبرة: منها (١) الوافي، متن لطيف في الفروع (٢) و شرحه: الكافي (٣) وكنز الدقائق، متن مشهور في الفقه (٤) والمصفّى شرح المنظومة النسفية[(٣)] (٥) والمستصفى شرح الفقه النافع (٦) والمنار، متن في الأصول، (٧) و شرحه: كشف الأسرار (٨) والاعتماد شرح العمدة.

دخل بغداد سنة عشر و سبع مأة و وفاته في هذه السنة.

قال الجامع (أبو الحسنات مولانا عبد الحي بن عبد الحليم الفرنجي محلي ١٢٦٤هـ -١٣٠٤هـ): قد انتفعت من تصانيفه : الوافي، والكافي، والمستصفى، وهو الذي قد يسمى بالمنافع، والمنار، و شرحه: الكشف ، و غير ذلك. وكل تصانيفه نافعة معتبرة عند الفقهاء ، مطرحة لأنظار العلماء.

---

(١) هو علي بن محمد بن علي ، نجم العلماء حميد الدين الضرير، الرامشي البخاري، توفي سنة ٦٦٧هـ سبع و ستين و ست مأة.

(٢) هو محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردري، بدر الدين خواهرزاده، ابن أخت محمد بن عبد الستار الكردري ربّاه خاله أحسن تربية، و نشأ عنده و بلغ رتبة الكمال. و توفي سلخ ذي القعدة سنة إحدى و خمسين و ست مأة.

(٣) هو أوّل كتاب نظم في الفقه، ناظمه مفتي الثقلين عمر بن محمد بن أحمد بن إسمٰعيل، نجم الدين، أبو حفص النسفي. تولد بنَسَف سنة ٤٦١ هـ ، و توفي بسمرقند سنة ٥٣٧ هـ.

و قد أرخ القاري[١] وفاته سنة إحدى و سبع مأة، و ذكر أن من تصانيفه (٩) المدارك في التفسير و (١٠-١١) شرحان على منتخب الأخسيكثي[٢]، و (١٢) شرحان على المنار، أحدهما الكشف، و الثاني ألطف منه. انتهى.

و قال قاسم بن قطلوبغا[٣] في رسالته ''الأصل في بيان الوصل والفصل'' أن موت النسفي بعد العشر و سبع مأة. انتهى.

و في الجواهر المضيئة[٤]: حافظ الدين لقب إمامين: أحدهما محمد بن محمد بن نصر البخاري،[٥] سمع منه أبو العلاء. و الآخر عبد الله بن محمود ، أبو البركات صاحب التصانيف المفيدة في الفقه، سمع منه السِّغناقي[٦] وكلاهما تفقها على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري. انتهى.

و فيه أيضًا في حرف العين: عبد الله بن أحمد ، حافظ الدين النسفي تفقه على الكَردَري، و روى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي.[٧] انتهى. و تبعه في هذا القاري.

وقال الكفوي في ترجمة العتابي: قد نصّ في الجواهر أن العتّابي مات سنة ست و ثمانين و خمس مأة، و أنّى تصح رواية شخص مات سنة عشر و سبع مأة عن شخص مات سنة ست وثمانين وخمس مأة؟. انتهى.

و في كشف الظنون[٨] عند ذكر الهداية و حواشيها: و شرح الهداية الإمام حافظ

---

(١) هو علي بن سلطان محمد الهروي نزيل مكة ، المعروف بالقاري الحنفي، أحد صدور العلم و فرد عصره، وفاته بمكة في شوال سنة ١٠١٤ هـ. كذا في خلاصة الأثر.

(٢) هو محمد بن محمد بن عمر، حسام الدين الأخسيكثي، له المختصر في أصول الفقه المعروف بـــ''المنتخب الحسامي'' نسبة إلى ''أَخْسِيْكَث'' بلدة من بلاد فرغانة، ذكره السمعاني، مات يوم الاثنين و العشرين من ذي القعدة سنة ٦٤٤ هـ.

(٣) قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ولد سنة ٨٠٢ هـ بالقاهرة، و توفي بحارة الديلم رابع الربيع الآخر سنة ٨٧٩ هـ كذا ذكره تلميذه السخاوي في الضوء اللامع.

(٤) صنفها عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ، أبو محمد القرشي، ولد سنة ست و سبعين و ست مأة، و توفي سنة خمس و سبعين و سبع مأة.

(٥) تولد ببخارا سنة خمس عشرة و ست مأة، و توفي في النصف الثاني من شعبان سنة ثلاث و تسعين و ست مأة ببخارا، و دفن بكلاباذ.

(٦) هو حسين (أو حسن) بن علي بن حجاج، حُسام الدين، السّغناقي (بكسر السين المهملة و سكون الغين المعجمة، نسبة إلى بلدة في تركستان) شرح الهداية و سماه النهَاية فرغ عنه في الربيع الأول سنة سبع مأة. و له شرح التمهيد في قواعد التوحيد لأبي المعين ميمون بن محمد النسفي المكحولي. توفي سنة ٧١٠ هـ.

(٧) أحمد بن محمد بن عمر، زاهد الدين ، أبو نصر العتّابي، نسبة إلى عَتّابية (بفتح العين المهملة، و تشديد التاء المثنّاة الفوقية)محلّة ببخارا.

(٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، هو كتاب جامع لأخبار الكتب المصنّفة في الإسلام و قبله، ـ

الدين، أبوالبركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠ھ.

و في طبقات تقي الدين من خطّ ابن الشحنة[١] أنه لا يعرف له شرح على الهداية. و في هوامش الجواهر: أنه دخل بغداد، و شرح الهداية سنة ٧٠٠ھ.

و فيه عند ذكر الوافي: ذكر الإتقاني[٢] في غاية البيان أن النسفي لما نوى أن يشرح الهداية سمع به تاج الشريعة[٣] وهو من أكابر عصره، فقال: لايليق بشانه، فرجع عمّا نواه، وشرع في أن يصنف كتابًا مثل الهداية، فألّف الوافي، ثم شرحه وسماه بالكافي، فكأنه شرح الهداية، وهو إمام كامل فاضل محرر مدقق. انتهى.

(الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة عبد الحي الفرنجي محلي. ص ٤٣، نشرة مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، مبارك فور، ١٤٢٢ھ صورة المطبوعة بالمطبع المصطفائي سنة ١٢٩٣ھ في عصر المؤلف)

محمد أحمد المصباحي

=
أحوال مصنّفيها، و وفَياتهم، لم يصنَّف مثلُه في بابه، مؤلفه مشهور بـــ''كاتب چلپي'' و اسمه مصطفى بن عبَد الله القسطنطيني (أي الأستنبولي) مولدا ومنشأ، و يشتهر بـــ''حاجي خلَيفة'' أيضًا. توفي سنة ١٠٦٧ھ.

(١) هو محب الدين، أبو الوليد محمد بن محمد، الشهير بابن الشِّحْنَة (٧٤٩ ھ ـــ٨١٥ ھ) و ابنه محمد يعرف بابن الشحنة الصغير (٨٠٤ ھ ـــ ٨٩٠ ھ)

(٢) هو : أمير كاتب العميد بن أمير عمر بن أمير غازي، قوام الدين، المكني بأبي حنيفة، الإتقاني الفارابي، نسبة إلى ''فاراب'' ناحية وراءِ نهر سيحون، و ''إتقان'' قصبة، (بكسر الألف و سكون التاء) ولد سنة ٦٨٥ ھ و توفي في شوال سنة ٧٥٨ ھ. له شرح المنتخب الحسامي و سمّاه التبيين، و شرح الهداية، و سماه غاية البيان و نادرة الأقران.

(٣) هو محمود بن أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم، تاج الشريعة المحبوبي، أخذ العلم عن أبيه صدر الشريعة أحمد، له تصانيف جليلة، منها الوقاية، انتخبها من الهداية، صنّفها لأجل حفظ ابن ابنه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود ، والفتاوى، والواقعات، و شرح الهداية.

الكلام على التفسير

بعد التعريف بالعلامة النسفي ينبغي الكلام على درجة تفسيره، لكن قبل ذلك أريد أن أكتب شيئا حول التفاسير التي استفاد بها العلامة النسفي كثيرًا، و هي الكشاف، و مفاتيح الغيب، و أنوار التنـزيل.

الكشاف عن حقائق التنـزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل:

صنّفه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزَّمَخْشَري، جار الله، أبوالقاسم ولد في ''زَمَخْشَرَ'' (قرية كبيرة من قرى خوارزم) و سافر إلى مكة، فجاور بها زمنًا فلقّب بـ''جار الله'' و تنقل في البلدان، ثم عاد إلى ''جُرْجَانِية'' فتوفي فيها، و جُرجَانية: قصبة خوارزم وهي على شاطئ جيحون كما ذكر ياقوت الحموي في كتاب ''البلدان''.

قال ابن خلّكان فيه ما نصّه: الإمام الكبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، و علم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع، تُشَدّ إليه الرحال في فنونه (وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِّكان ٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ، ج٥، ص ١٦٨، دار الثقافة، بيروت، مطبعة دار القلم بيروت، ١٩٧١م)

أشهر كتبه (١)الكشاف في تفسير القرآن (٢) أساس البلاغة (٣) المفصل في النحو و له كتب أخر.

كان معتزليّ المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على الصوفية الكرام، سَيِّئَ الطعن على علماء أهل السنة، أكثر من التشنيع عليهم و على الأولياء الكرام في الكشاف وغيره.

مكانة تفسيره:

تفسيره يتّسم و يمتاز بما يأتي:

❶ العناية بوجوه البلاغة، و علمي المعاني والبيان، و إبداء محاسن القرآن و وجوه الإعجاز من وجهة الأدب اللساني، والاهتمام بإبانة نظم عال عجز عنه فرسان الكلام و سلاطين البيان.

❷ بيان الاشتقاق، و ذكر عدة معاني محتملة في كلمات القرٰان أحيانًا، ثم تفهيمها مع إظهار الموافقة مع السياق والسباق، وكذا إيضاح ما يشكل من الإعراب.

❸ ذكر الأخبار و الآثار لتنوير مطالب التنزيل، و لكن بدون إسناد أو عَزْوٍ إلى من خرّجها، فأتى بالصحاح و الحسان والضعاف، و ما لا أصل له، و ما هو موضوعٌ قطعا. و ذا يتضح بما صنّفه العلامة ابن حجر العسقلاني حولَ الكشاف أعني كتابه "الكافي الشاف لتخريج أحاديث الكشاف".

❹ توضيح آيات الأحكام، وهو من مشايخ الحنفية، فيذكر ما هو عند الحنفية، و قد يذكر غيره من المذاهب، وحينا يميل إلى خاصة رايه.

❺ ذكر القراءات المتواترة و الشاذة. و توضيحها لغة و صرفًا و نحوًا، إن دعت الحاجة إليهِ، لكنّه كثيرًا ما يذكر القراءات مختلطة، و لا يميز بين ما هو متواتر منها و بين ما هو شاذ.

❻ إيراد النكات و المسائل بطريق السوال و الجواب بلفظ فإن قلتَ ... قلتُ ...

❼ تائيد مذهب الاعتزال، و صرف نظم القرآن عما توارث عن السلف، و تقرر عند أهل الحق إلى ما يوافق مذهبه الاعتزالي ، و على الأقلّ إلى ما لا يتنافى مع عقيدته.

من أصول المعتزلة:

❶ صاحب الكبيرة ليس بمؤمن و لا كافر.

❷ و إن مات بلا توبة فلا يجوز أن تقبل فيه شفاعة، و لا يجوز أن يعفو اللّٰه عنه بفضله.

❸ وهو مخلد في العذاب إن مات بلا توبة.

❹ العباد خالقون لأفعالهم، و يتفرع عليه أن الهدى والضلال ليسا بمخلوقين للّٰه تعالى و كذا الحسنات والسيِّئات.

❺ يجب على اللّٰه ما هو الأصلح لعباده.

❻ يجب عليه ثواب المطيع و عقاب العاصي.

❼ و اللّٰه تعالى رويته مستحيلة.

❽ القِدَم أخصُّ وصفه تعالى، لا يشاركه فيه ذات ولا صفات، و ينفون الصفات الزائدة على الذات. و أهل السنة يثبتون الصفات القديمة، و يخصّون الوجوب الذاتي لذات اللّٰه تعالى بدون اشتراك الصفات فيه.

❾ كلامه تعالى مخلوق محدث مركب من الحروف والأصوات، و عند أهل السنة القرٰان و كلامه تعالى غير مخلوق.

هذه أصول اتفقت عليها المعتزلة، ثم تشعّبت إلى فرق كثيرة، يخالف بعضها بعضها، ذكرتها مفصلة في كتابي "حدوث الفتن و جهاد أعيان السنن" (١٤٢١ﻫ) أخذًا مِّما في المواقف و شرحها والملل والنحل للشهرستاني.

يرى الناظر في الكشاف أن مؤلفه يصرف جميع قواه لإثبات هذه الأصول، و كلما مرّ على آية تُناقض مذهب الاعتزال، يبذل غاية جهده ليصرفها عن معناها إلى ما يوافق و هواه. و على الأقلّ إلى ما لا يتنافى مع عقيدته. و قد يدُسّ في عبارته الاعتزال بحيث لا يتنبَّه عليه إلا الأذكياء النبهاء من العلماء.

و ذكر ابن خلدون أن العلامة شرف الدين الطَّيْبِيّ من أهل توريز من عراق العجم شرح كتاب الزمخشري هذا، و تتبع ألفاظه، و تعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيّفها، و تبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، و فوق كل ذي علم عليم. (مقدمة ابن خَلْدون ص٣٦٨ــمؤسسة جمال للطبع والنشر، بيروت، لبنان)

والطِّيبي اسمه الحسين بن عبد الله بن محمد كما ذكر نفسه في أول شرح مشكاة المصابيح، و اسم شرحه للكشاف "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" في أربعة مجلدات ضخمة. توفي سنة ٧٤٣هـ.

و كتب العلامة أحمد بن محمد بن المنيّر الإسكندري المالكي (٦٢٠هـ - ٦٨٣هـ)"الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال" فأوضح دسائس الاعتزال، و ردّ عليها شديدا. و الكتاب مطبوع مع الكشاف في ذيله.

مفاتيح الغيب ــ و يشتهر بالتفسير الكبير

صنّفه الإمام المفسر محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبوعبد الله فخر الدين الرازي، أوحد زمانه في المعقول و المنقول و علوم الأوائل ، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان و مولده في الريّ سنة ٥٤٤هـ، و إليها نسبته، و يقال له "ابن خطيب الري" رحل إلى خوارزم و ماوراء النهر و خراسان، و توفي في "هَراة" يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ.أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، قال السبكي: وكانت له يد طولى في الوعظ باللسان العربي والفارسي، وكان من أهل الدين والتصوف، وله يد فيه ، و تفسيره ينبئ عن ذلك. اهـ. (طبقات الشافعية الكبرى لشيخ الإسلام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب ابن تقي الدين السبكي، ج٥، ص ٣٨، دار المعرفة، بيروت)

من تصانيفه: ١-مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم ٢-لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ٣-معالم أصول الدين ٤-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والمتكلمين ٥-المسائل الخمسون في أصول الكلام ٦-

المحصول في علم الأصول ٧-الأربعون في أصول الدين ٨-نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز-البلاغة- ٩- شرح قسم الإلٰهيات من الإشارات لابن سينا ١٠-لباب الإشارات، تهذيب الشرح المذكور. و له غير ذلك من كتب نفيسة.

تفسيره و مزاياه: يتجلّى في تفسيره علمه الباهر، فإنه يتكلم من نواحي شتّى، و يدخل في فنون عديدة، و يفيد الدارس إفادات جميلة. و أسطُر هنا بإجمال عددا من مزاياه الجليلة.

❶ يعتني بذكر المناسبات في الآي و السور، وله يد طولى في هذا المجال.

❷ يشبع الكلام على الآيات الكونية، و يتكلم عليها بما يرشد القارئ إلى جلالة صنع اللّه، و دلالة آياته المنتصبة في الآفاق على مبدعها و عظيم فضله و إنعامه على خلقه المفتقر إلى جوده و إكرامه.

❸ يؤيد أصول الدين التي أجمع عليها أهل الإسلام، و حاد عنها أهل الكفر والشرك والإلحاد و أهل الملل المنسوخة بما يتجلى به الأدلة التي أوردها القرآن و يقتنع به أهل العقل والإنصاف.

❹ يذكرشبهات الفرق المبتدعة بتقرير منتظم مُنْسَبِک يعجز عن مِثله الخصم نفسه لو أراد. ثم يردّ عليها و يجيب عنها بما يؤيد مذهب أهل السنة. لكن أُخذ عليه أنه يورد شبهات الخصم بقوة و نشاط و يدفعها بضعف و فتور، واعتذر عنه أنه يصرف جميع قواه لتقرير دليل الخصم و حسن ترتيبه و تنظيمه ، و إذا جاء على ردها تفتر قوته و يذهب نشاطه.

❺ يهتمّ بآيات الأحكام، و إبانة ما يُستنبط منها من الأحكام، و يذكر الأقوال و المذاهب والأدلّة، و يؤيد مذهبه الشّافعي.

❻ قد يسطر على موضوع هامّ مقالاً مبسوطًا حتى يتشكّل رسالة جامعة ، أنظر كلامه في فضل العلم (سورة البقرة، الآية: ٣١) و في الحسد (البقرة ، الآية: ١٠٩) و في كرامات الأولياء (الكهف، الآية:١٢) و نحو ذلك.

❼ يناقش ما ذُكر من الإسرائيليات المصادمة للحق، و يرد عليها أشدّ رد، أنظر كلامه في هاروت و ماروت و في قصة الغرانيق.

❽ يتحدث عن وجوه الإعجاز ، و بلاغة نظم القرآن، و روعة البيان.

❾ يذكر القراءات، لكنه لا يلتزم ذكر المشهورات فقط، فيذكر الشواذّ أيضًا.

❿ يشرح غريب القرآن، و يبحث عن الإعراب و الاشتقاق و نحو ذلك، و كثيرًا ما ينقل كلام الكشاف بهذا الصدد.

⓫ يورد الأحاديث، و أقوال السلف لشرح القرآن و تفسيره، و لأجل الترغيب والترهيب، و ما إلى ذلك. و هذا يدلّ أن تفسيره ليس بمقصور على الراي و المعقول

فقط، بل يجمع المعقول و المأثور معًا، و لم يُصب من قال: فيه كل شيء إلاّ التفسير.

أنوار التنزيل و أسرار التأويل

صنّفه القاضي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي ، ناصر الدين البيضاوي قال السبكي :كان إمامًا، مبرّزًا، نظّارًا، خيّرًا، صالحًا، متعبدًا.

ولد في ''البيضاء'' (مدينة بفارس، قربَ شيراز) و ولي قضاء شيراز مدة، و صرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة خمس و ثمانين و ست مأة. و قيل سنة إحدى و تسعين و ست مأة.

من تصانيفه: (١) أنوار التنـزيل و أسرار التأويل، و يعرف بتفسير البيضاوي. (٢) طوالع الأنوار في أصول الدين (٣) منهاج الوصول إلى علم الأصول، هذه أشهر تصانيفه ، و له كتب غير ذلك.

تفسيره: يمتاز تفسير القاضي البيضاوي بوجازة العبارة، و دقة الإشارة، لا يكاد القاري يقف على مغزاه إلا بإمعان النظر، و دراسة عميقة، وبحث دقيق، مُعْظَم تفسيره ماخوذ ممن سبقه لكن نبوغه يتجلى في جودة التحرير، و دقِّة التنقيح، وبراعة التلخيص، ووضاحة الاختصار، و روعة التعبير، و رشاقة الجمع و الضبط.

و من محتويات هذا التفسير:

١-شرح الكلمات، و بيان الاشتقاق، و إبانة الإعراب.

٢-إيضاح وجوه البيان و أنواع البلاغة التي يشتمل عليها نظم القرآن.

٣-إتمام الكلام بذكر أسباب النـزول، و الوقائع، و القصص باختصار.

٤-ذكر ما هو المختار عنده أولا و ذكر المرجوح عنده بلفظ ''قيل'' ثانيًا أو ثالثًا أو رابعًا.

٥-الكلام على الحقائق الكونية، والأفكار الطبيعية أخذاً مما في مفاتيح الغيب أو زيادة من عند نفسه.

٦-تأئيد أهل السنة، و الردّ على المبتدعة و خاصة على المعتزلة و توهين تمسكات الكشاف لدعم مذهبه الاعتزالي.

٧- تائيد مذهبه الشافعي فيما يتعلق بالأحكام.

٨- ذكر القراءات المتواترة والشاذة ، والتوسع في إيضاح إعرابها أحيانًا.

٩- نقل الأخبار والآثار ، و أقوال السلف بدون أسانيدها أو العَزو إلى مخرجيها، و التقليل من إيراد الإسرائيليات، لكنه لم يتنزّه، عمّا أورد الزمخشري من الموضوعات

في فضائل السور.

قال الجلال السيوطي رحمه الله في حاشيته على تفسير البيضاوي المسمّاة بـ''نواهد الأبكار و شوارد الأفكار'':

''و إن القاضي ناصر الدين البيضاوي لخص هذا الكتاب فأجاد، و أتى بكل مستجاد، ماز فيه أماكن الاعتزال، و طرح مواضع الدسائس وأزال، و حرر مهمات، و استدرك تتمات، فظهر كأنه سبيكة نُضار، و اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار''. (المدخل المنير للشيخ مخلوف ٤١-التفسير و المفسرون ١:٣٠١)

و قال الكاتب الچلپي حاجي خليفه في كتابه ''كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون'':

وتفسيره: هذا كتاب عظيم الشأن، غني عن البيان، لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق، وغوامض الحقائق، ولطائف الإشارات. وضم إليه: ما وَرَىٰ زِنَادُ فكْرِه من الوجوه المعقولة، فجلا رين الشك عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة''.(كشف الظنون ج١/ ص ١٨٧- دار إحياء التراث العربي، بيروت)

مدارك التنزيل و حقائق التأويل

استفاد العلامة النسفي في تفسيره من الكشاف و مفاتيح الغيب للإمام الرازي ، و تفسير القاضي البيضاوي، وغيرها. و غالب مأخذه الكشاف، وكثيرًا ما نقل عبارته بتلخيص و اختصار و تغيير يسير ، و يمتاز عنه بأمور:

١- ترك طريق السوال والجواب بلفظ ''فإن قلت...... قلت.....'' وضمُّ حاصل الجواب إلى تفسيره كنكتة أو تنبيه و توضيح. ولم يذكر السوال إلا نادرًا.

٢-ترك ما فيه من نزعات الضلال و شطحات الاعتزال، و سوء المقال في الأولياء والاجتراء حينا بحضرة سيد الأنبياء عليه و عليهم السلام.

٣-ترك ما فيه من الموضوعات.

٤- ترك ذكر القراءات الشواذ والاقتصار على المتواترات (إلا شاذًا ذكر بعض الشواذ) و تمييز القراءات بذكر أصحابها.

٥-تأئيد مذهب أهل السنة و لكن بدون توسع في البحث والمناقشة.

٦-إيضاح مذهب الحنفية، و ذكر بعض المراجع حينًا.

٧- التقليل من الإسرائيليات، و الرد على ما يصادم الحق، والاقتصار من القصص

على قدر ما ينكشف به الأمر، و يتضح النظم.

٨-ذكر المناسبات، و حل ما يشكل من الإعراب، وتبيين وجوه البلاغة و توضيح التمثيلات، والاستعارات بالاختصار.

٩-ذكر الأقوال في التفسير، و إيراد الأخبار والآثار و لكن بقلة و بدون عَزْو إلى من خَرجها كمثل الكشاف.

١٠-الخلو عن السخريات والسقطات التي وقع فيها الزمخشري، لايتكلم العلامة النسفي في منابذيه من المبتدعة أيضًا إلاّ بوقار العلم، و رزانة العلماء، و متانة الدليل و رصانة الحجة.

و أذكر هنا نماذج من الكشاف و المدارك، و نموذجًا من مفاتيح الغيب، و أنوار التنزيل، ليطلع الدارس على طريقة كلّ منها مباشرة، والله الموفّق و الميَسّر للصعاب.

نـــمـــاذج

سورة الكهف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ○

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ عِوَجًا○ۜ قَيِّمًا لِّيُنْذِرَ بَاْسًا شَدِيْدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا○ۙ مَّاكِثِيْنَ فِيْهِ اَبَدًا○ۙ وَّيُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا○ۗ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ۔ الاٰية۔

الكشاف: سورة الكهف مكية، و هي مأة و إحدى عشرة آية.

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم **وفوزهم** (وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ عِوَجًا) ولم يجعل له شيئاً من العوج قط ، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان ، والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة **والإصابة فيه. فإن قلت: بم انتصب (قَيِّمًا)؟ قلت: الأحسن** أن ينتصب بمضمر **ولا يجعل حالاً من الكتاب**؛ لأنّ قوله: (وَلَمْ يَجْعَل) معطوف على أنزل، فهو داخل في حيز الصلة، **فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة**، وتقديره: ولم يجعل له عوجا جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة. **فإن قلت**: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا

يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح. وقيل: قيِّما على سائر الكتب مصدقاً لها، شاهداً بصحتها. وقيل: قيمًا بمصالح العباد وما لا بدّ لهم منه من الشرائع. وقرئ قِيَماً. «أنذر» متعدّ إلى مفعولين، كقوله:(**إِنَّا أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا**) **فاقتصر على أحدهما، وأصله** (**لِّيُنذِرَ**) الذين كفروا (بَأْسًا شَدِيدًا) **والبأس من قوله: (بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ) وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبأسة** (مِّن لَّدُنْهُ) صادراً من عنده . **وقرىء من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون** (وَيُبَشِّرَ) بالتخفيف والتثقيل. **فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولى أنذر؟ قلت:** قد جعل المنذر به هو الغرض المسُوق إليه ، فوجب الاقتصار عليه. والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله (وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) استغناء بتقدّم ذكره . والأجر الحسن : الجنة (مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي بالولد أو باتخاذه، يعني أنّ قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد استملته آباؤهم من الشيطان وتسويله. فإن قلت: اتخاذ الله ولداً في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم؟ قلت: معناه ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إمّا للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لايستقيم تعلق العلم به.-اهـ-

تفسير النسفي: سورة الكهف مأة و إحدى عشرة آية بصري و عشر آيات كوفي.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلّم ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ، لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام وما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلّم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ أي:شيئاً من العوج والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان ، يقال: في رأيه عوج وفي عصاه عوج والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً وانتصابه بمضمر وتقديره ، جعله قيما لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، وفائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة وفي أحدهما غني عن الآخر التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند التصفح أو قيماً على سائر الكتب مصدقا لها شاهداً بصحتها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ أنذر متعد إلى مفعولين كقوله : (إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا). فاقتصر على أحدهما ، وأصله لينذر الذين كفروا ﴿بَأْسًا﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا﴾ وإنما اقتصر على أحد مفعولي أنذر لأن المنذر به هو المسوق إليه فاقتصر عليه ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ صادراً من عنده ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ أي:الجنة، ويبشر حمزة وعلي.

﴿مَّاكِثِينَ﴾ حال من هم في لهم ﴿فِيهِ﴾ في الأجر وهو الجنة ﴿أَبَدًا* وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ذكر المنذرين دون المنذر به بعكس الأول استغناء بتقديم ذكره ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط فإن قلت : إتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم. قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه أو لأنه في نفسه محال. ـ اهـ ـ

ملاحظة: أخذ أكثر العبارة من الكشاف، و حذف (فإن قلت ...... قلت) و ضم الجواب إلى عبارته، و غيَّر عبارة الكشاف: ''قد جَعَل المنذر به ...... فوجَبَ ..... '' بقوله: ''المنذر به هو المَسوق إليه، فاقتصر عليه''، و ترك القراءة الشاذة ''قِيَمًا'' ونسب المتواترة إلى قُرّائها.

تفسير الإمام الرازي: سورة الكهف مأة و إحدى عشرة آية مكية.

قال ابن عباس إنها مكية غير آيتين منها فيهما ذكر عيينة بن حصن الفزاري و عن قتادة أنها مكية و عن رسول الله ﷺ: قال:''ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت؟ هي سورة الكهف''.

في الآية مسائل :

المسألة الأولى: أما الكلام في حقائق قولنا : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد سبق ، والذي أقوله ههنا أن التسبيح أينما جاء فإنما جاء مقدماً على التحميد ، ألا ترى أنه يقال : سبحان الله والحمد لله إذا عرفت هذا فنقول : إنه جل جلاله ذكر التسبيح عندما أخبر أنه أسرى بمحمد ﷺ فقال: ﴿سُبْحَانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء :١] وذكر التحميد عندما ذكر أنه أنزل الكتاب على محمد ﷺ فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيٓ أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتٰبَ﴾ وفيه فوائد :

الفائدة الأولى: أن التسبيح أول الأمر لأنه عبارة عن تنزيه الله عما لا ينبغي وهو إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته والتحميد عبارة عن كونه مكملاً لغيره ، ولا شك أن أول الأمر هو كونه كاملاً في ذاته . ونهاية الأمر كونه مكملاً لغيره . فلا جرم وقع الابتداء في الذكر بقولنا ﴿سبحان الله﴾ ثم ذكر بعده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تنبيهاً على أن مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية . إذا عرفت هذا فنقول : ذكر عند الإسراء لفظ التسبيح وعند إنزال الكتاب لفظ التحميد . وهذا تنبيه على أن الإسراء به أول درجات كماله وإنزال الكتاب غاية درجات كماله ، والأمر في الحقيقة كذلك لأن الإسراء به إلى المعراج يقتضي حصول الكمال له ، وإنزال الكتاب عليه يقتضي كونه مكملاً للأرواح البشرية وناقلاً لها

من حضيض البهيمية إلى أعلى درجات الملكية، ولا شك أن هذا الثاني أكمل . وهذا تنبيه على أن أعلى مقامات العباد مقام أن يصير [العبد] عالماً في ذاته معلماً لغيره ولهذا روي في الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال : "من تعلم وعلم فذاك يدعى عظيماً في السموات".

الفائدة الثانية: أن الإسراء عبارة عن رفع ذاته من تحت إلى فوق وإنزال الكتاب عليه عبارة عن إنزال نور الوحي عليه من فوق إلى تحت ، ولا شك أن هذا الثاني أكمل.

الفائدة الثالثة: أن منافع الإسراء به كانت مقصورة عليه ألا ترى أنه تعالى قال هنالك : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء :١] ومنافع إنزال الكتاب عليه متعدية ، ألا ترى أنه قال : ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والفوائد المتعدية أفضل من القاصرة .

المسألة الثانية: المشبهة استدلوا بلفظ الإسراء في السورة المتقدمة وبلفظ الإنزال في هذه السورة على أنه تعالى مختص بجهة فوق . والجواب عنه مذكور بالتمام في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤].

المسألة الثالثة: إنزال الكتاب نعمة عليه ونعمة علينا ، أما كونه نعمة عليه فلأنه تعالى أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والإكرام وأسرار أحوال الملائكة والأنبياء وأحوال القضاء والقدر ، وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي ، وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا ، وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب ، وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ، وتصيير النفس كالمرآة التي يتجلى فيها عالم الملكوت وينكشف فيها قدس اللاهوت فلا شك أن ذلك من أعظم النعم ، وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلأنه مشتمل على التكاليف والأحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل واحد ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه فلما كان كذلك وجب على الرسول وعلى جميع أمته أن يحمدوا الله عليه فعلمهم الله تعالى كيفية ذلك التحميد فقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.

ثم إنه تعالى وصف الكتاب بوصفين فقال : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا قَيِّمًا﴾ وفيه أبحاث :

البحث الأول: أنا قد ذكرنا أن الشيء يجب أن يكون كاملاً في ذاته ثم يكون مكملاً لغيره ويجب أن يكون تاماً في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يفيض عليه كمال الغير [لعل الصواب: بأن يفيض على غيره الكمال] إذا عرفت هذا فنقول في قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ إشارة إلى كونه كاملاً في ذاته وقوله : ﴿قَيِّمًا﴾ إشارة إلى كونه مكملاً

لغيره لأن القيم عبارة عن القائم بمصالح الغير ونظيره قوله في أول سورة البقرة في صفة الكتاب : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] فقوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إشارة إلى كونه في نفسه بالغاً في الصحة وعدم الإخلال إلى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إشارة إلى كونه سبباً لهداية الخلق وإكمال حالهم فقوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ قائم مقام قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقوله : ﴿قَيِّماً﴾ قائم مقام قوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهذه أسرار لطيفة .

البحث الثاني: قال أهل اللغة العوج في المعاني كالعوج في الأعيان ، والمراد منه وجوه : **أحدها**: نفي التناقض عن آياته كما قال : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافاً كثيراً﴾ [النساء:٨٢] . **وثانيها**: أن كل ما ذكر الله من التوحيد والنبوة والأحكام والتكاليف فهو حق وصدق ولا خلل في شيء منها ألبتة . **وثالثها**: أن الإنسان كأنه خرج من عالم الغيب متوجهاً إلى عالم الآخرة وإلى حضرة جلال الله وهذه الدنيا كأنها رباط بني على طريق عالم القيامة حتى أن المسافر إذا نزل فيه اشتغل بالمهمات التي يجب رعايتها في هذا السفر ثم يرتحل منه متوجهاً إلى عالم الآخرة فكل ما دعاه في الدنيا إلى الآخرة ومن الجسمانيات إلى الروحانيات ومن الخلق إلى الحق ومن اللذات الشهوانية الجسدانية إلى الاستنارة بالأنوار الصمدانية فثبت أنه مبرأ عن العوج والانحراف والباطل فلهذا قال تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ . الصفة الثانية : للكتاب وهي قوله : ﴿قَيِّماً﴾ قال ابن عباس: يريد مستقيماً وهذا عندي مشكل لأنه لا معنى لنفي الإعوجاج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار و إنه باطل ، بل الحق ما ذكرناه وأن المراد من كونه : ﴿قَيِّماً﴾ أنه سبب لهداية الخلق وأنه يجري مجرى من يكون قيماً للأطفال ، فالأرواح البشرية كالأطفال ، والقرآن كالقيم الشفيق القائم بمصالحهم .

البحث الثالث: قال الواحدي: جميع أهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير، والتقدير : أنزل على عبده الكتاب قيماً **ولم يجعل له عوجاً**. **وأقول:** قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لأنا بينا أن قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ يدل على كونه **كاملاً في ذاته** ، وقوله: ﴿قَيِّماً﴾ يدل على كونه مكملاً لغيره وكونه كاملاً في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكملاً لغيره فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً﴾ فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه .

البحث الرابع: اختلف النحويون في انتصاب قوله : ﴿قَيِّماً﴾ وذكروا فيه وجوهاً . **الأول**: قال صاحب "الكشاف" لا يجوز جعله حالاً من ﴿الكتاب﴾ لأن قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ معطوف على قوله : ﴿أَنزَلَ﴾ فهو داخل في حيز الصلة فجعله حالاً من ﴿الكتاب﴾ يوجب الفصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة ، وأنه لا يجوز . قال : ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير : ولم يجعل له عوجاً وجعله قيماً . **الوجه الثاني**: قال الأصفهاني الذي نرى فيه أن يقال قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ حال وقوله : ﴿قَيِّماً﴾ حال أخرى وهما حالان متواليان والتقدير أنزل على عبده الكتاب غير مجعول له عوجاً قيماً . **الوجه الثالث:** قال السيد صاحب "حل العقد" يمكن أن يكون قوله: ﴿قَيِّماً﴾ بدلاً من قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ لأن معنى : ﴿لَّمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ أنه جعله مستقيماً فكأنه قيل : أنزل على عبده الكتاب وجعله قيماً . **الوجه الرابع** : أن يكون حالاً من الضمير في قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ أي حال كونه قائماً بمصالح العباد وأحكام الدين.

واعلم أنه تعالى لما ذكر أنه : أنزل على عبده الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لأجله أنزله فقال : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ وأنذر متعد إلى مفعولين كقوله : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَٰكُم عَذَاباً قَرِيباً﴾ [النبأ:٤٠] إلا أنه اقتصر ههنا على أحدهما وأصله ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الذين كفروا ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ كما قال في ضده : ﴿وَيُبَشِّرَ المؤمنين﴾ والبأس مأخوذ من قوله تعالى : ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف:١٦٥] وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبآسة وقوله : ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ أي صادراً من عنده قال الزجاج: وفي لدن لغات يقال لدن ولدي ولد والمعنى واحد ، قال: وهي لا تتمكن تمكن عند لأنك تقول: هذا القول صواب عندي ولا تقول صواب لدني وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك ولدني لما يليك لا غير وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بسكون الدال مع إشمام الضم وكسر النون والهاء وهي لغة بني كلاب ثم قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ واعلم أن المقصود من إرسال الرسل إنذار المذنبين وبشارة المطيعين ، ولما كان دفع الضرر أهم عند [ذوي] العقول من إيصال النفع لا جرم قدم الإنذار على التبشير في اللفظ ، قال صاحب "الكشاف" وقرىء ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ بالتخفيف والتثقيل وقوله : ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ يعني خالدين وهو حال للمؤمنين من قوله : ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ ، قال القاضي : الآية دالة على صحة قولنا في مسائل ، أحدها : أن القرآن مخلوق وبيانه من وجوه . الأول : أنه تعالى وصفه بالإنزال والنزول وذلك من صفات

المحدثات فإن القديم لا يجوز عليه التغير . الثاني : وصفه بكونه كتاباً والكَتْب هو الْجَمْع وهو سمي كتاباً لكونه مجموعاً من الحروف والكلمات وما صح فيه التركيب والتأليف فهو محدث . الثالث : أنه تعالى أثبت الحمد لنفسه على إنزال الكتاب والحمد إنما يستحق على النعمة والنعمة محدثة مخلوقة . الرابع : أنه وصف الكتاب بأنه غير معوج وبأنه مستقيم والقديم لا يمكن وصفه بذلك فثبت أنه محدث مخلوق . وثانيها : مسألة خلق الأعمال فإن هذه الآيات تدل على قولنا في هذه المسألة من وجوه . الأول : نفس الأمر بالحمد لأنه لو لم يكن للعبد فعل لم ينتفع بالكتاب إذ الانتفاع به إنما يحصل إذا قدر على أن يفعل ما دل الكتاب على أنه يجب فعله ويترك ما دل الكتاب على أنه يجب تركه وهو إنما يفعل ذلك لو كان مستقلاً بنفسه ، أما إذا لم يكن مستقلاً بنفسه لم يكن لعوج الكتاب أثر في اعوجاج فعله ولم يكن لكون الكتاب قيماً أثر في استقامة فعله ، أما إذا كان العبد قادراً على الفعل مختاراً فيه بقي لعوج الكتاب واستقامته أثر في فعله . والثاني : أنه تعالى لو كان أنزل بعض الكتاب ليكون سبباً لكفر البعض وأنزل الباقي ليؤمن البعض الآخر فمن أين أن الكتاب قيم لا عوج فيه؟ لأنه لو كان فيه عوج لما زاد على ذلك . والثالث : قوله : ﴿لِيُنْذِرَ﴾ وفيه دلالة على أنه تعالى أراد منه إنذار الكل وتبشير الكل وبتقدير أنه يكون خالق الكفر والإيمان هو الله تعالى لم يبق للإنذار والتبشير معنى لأنه تعالى إذا خلق الإيمان فيه حصل شاء أو لم يشأ وإذا خلق الكفر فيه حصل شاء أو لم يشاء فبقي الإنذار والتبشير على الكفر والإيمان جارياً مجرى الإنذار والتبشير على كونه طويلاً قصيراً وأسود وأبيض مما لا قدرة له عليه . والرابع : وصفه المؤمنين بأنهم يعملون الصالحات فإن كان ما وقع خلق الله تعالى فلا عمل لهم ألبتة . الخامس: إيجابه لهم الأجر الحسن على ما عملوا فإن كان الله تعالى يخلق ذلك فيهم فلا إيجاب ولا استحقاق.

المسألة الرابعة: قال قوله:﴿لّيُنذِرَ﴾ يدل على أنه تعالى إنما يفعل أفعاله لأغراض صحيحة وذلك يبطل قول من يقول إن فعله غير معلل بالغرض، واعلم أن هذه الكلمات قد تكررت في هذا الكتاب فلا فائدة في الإعادة . ـ اهـ ـ

❁ هذا نموذج من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ومنه يعلم طريق بحثه، وبسطه، والتوسّع في كل كلام.

تفسير البيضاوي:

سورة الكهف مكية

و قيل إلا قوله : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) و هي مائة و إحدى عشرة آية.

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) يعني القرآن ، رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيهاً على أنه أعظم نعمائه، وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد.(وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) شيئاً من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى،أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان.

(قَيِّمًا) مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، أو قَيِّماً بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ، أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها ، وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيماً أو على الحال من الضمير في ''لَهُ'' ، أو من ''الكتاب'' على أن الواو في ''وَلَمْ يَجْعَل'' للحال دون العطف ، إذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلاً بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير و قرئ ''قِيَمًا''. (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً ، فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصاراً على الغرض المسوق إليه. (مِنْ لَدُنْهُ) صادراً من عنده، وقرأ أبو بكر بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع الإشمام ليدل على أصله، وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع. (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) هو الجنة . (مَاكِثِينَ فِيهِ) في الأجر. (أَبَدًا) بلا انقطاع .

(وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم، وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره .

(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول، والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب، أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به، فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر . أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه . ـ اهـ ـ

ملاحظة: هذا نموذج من أنوار التنزيل و أسرار التأويل للقاضي البيضاوي، و منه يعلم طريق تلخيصه، و حسن تحريره، و دقته في الأخذ و الترك.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ○

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝

الكشاف: سورة مريم مكية ، و هي تسعون و ثمان أو تسع آيات.

(كٓهيعٓصٓ) قرأ بفتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن ذَكَّرَ رَحْمَةَ ربك أي : هذا المتلو من القران ذكر رحمة ربك. وقرىء : ذكر على الأمر . راعى سنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص، وعن الحسن : نداء لا رياء فيه، أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة. أو أسره من مواليه الذين خافهم . أو خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ : صوته خفات وسمعه تارات. و اختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل : ستون، وخمس وستون، وسبعون، وخمس وسبعون، وخمس وثمانون. قرىء ''وهن'' بالحركات الثلاث. وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن . ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا إلى معنى آخر وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها. (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا). إدغام السين في الشين عن أبي عمرو . شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس . وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة . توسل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة . وعن بعضهم أن محتاجا سأله وقال : أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا. فقال : مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته. كان مواليه - وهم عصبته إخوته وبنو عمه - شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدي به في إحياء الدين ويرتسم مراسمه فيه : (من وراءى) بعد موتي . وقرأ ابن كثير : ''من وراي'' بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بـ ''خفت'' لفساد المعنى ولكن بمحذوف. أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي. أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي. وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم (خَفَّتِ الْمَوَالِيُ مِن وَرَآءِي)

وهذا على معنيين أحدهما : أن يكون ''وراءى'' بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي: قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه . والثاني: أن يكون بمعنى قدامي فيتعلق بـ''خفت'' ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد ''من لدنك'' تأكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا إلى الله تعالى وصادرا من عنده وإلا - فهب لي وليا يرثني - كاف أو أراد اختراعا منك بلا سبب لأني وامرأتي لا نصلح للولادة.ـ اهـ ـ

تفسير النسفي:

سورة مريم مكية. وهي ثمان و تسعون آية، مدني و شامي.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ○

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال السدي : هو اسم الله الأعظم وقيل هو اسم للسورة قرأ علي ويحيى بكسر الهاء والياء ونافع بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وأبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء وحمزة بعكسه وغيرهم بفتحهما ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ أي: هذا ذكر ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ مفعول الرحمة ﴿زَكَرِيَّآ﴾ بالقصر حمزة وعلي وحفص وهو بدل من عبده ﴿إِذۡ﴾ ظرف للرحمة ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ دعاه دعاء سرا كما هو المأمور به وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء أو أخفاه لئلا يلام على طلب الولد في أوان الكبر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة ﴿قَالَ رَبِّ﴾ هذا تفسير الدعاء، وأصله: يا ربي فحذف حرف النداء والمضاف إليه اختصاراً ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ ضعف. وخص العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية والمراد أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ تمييز أي: فشا في رأسي الشيب واشتعلت النار إذا تفرقت في إلتهابها وصارت شعلاً فشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار.

ولا ترى كلاماً أفصح من هذا ألا ترى أن أصل الكلام ''يا رب قد شخت'' إذ الشيخوخة تشتمل على ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما، وأقوى منه ضعف بدني وشاب رأسي ففيه مزيد التقرير للتفصيل ، وأقوى منه وهنت عظام بدني ففيه عدول عن التصريح إلى الكناية فهي أبلغ منه، وأقوى منه وأنا وهنت عظام بدني، وأقوى

منه إني وهنت عظام بدني، وأقوى منه إني وهنت العظام من بدني ففيه سلوك طريقي الإجمال والتفصيل، وأقوى منه إني وهنت العظام مني ففيه ترك توسيط البدن، وأقوى منه إني وهن العظم مني لشمول الوهن العظام فرداً فرداً باعتبار ترك جمع العظم إلى الإفراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فرد ولهذا تركت الحقيقة في شاب رأسي إلى أبلغ وهي الاستعارة فحصل اشتعل شيب رأسي وأبلغ منه اشتعل رأسي شيباً لإسناد الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس لإفادة شمول الاشتعال الرأس إذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيباً وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي ناراً، والفرق نير ولأن فيه الإجمال والتفصيل كما عرف في طريق التمييز وأبلغ منه واشتعل الرأس مني شيباً لما مروأبلغ منه واشتعل الرأس شيباً ففيه اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا بقرينة العطف على وهن العظم.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيّٗا﴾ أي كنت مستجاب الدعوة قبل اليوم سعيداً به غير شقي فيه، يقال: سعد فلان بحاجته إذا ظفر بها وشقي إذا خاب ولم ينلها. وعن بعضهم أن محتاجاً سأله وقال : أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا فقال : مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقت حاجته وقضى حاجته. ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ﴾ هم عصبته إخوته وبنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخافهم أن يغيروا الدين وأن لا يحسنوا الخلافة على أمته فطلب عقباً صالحاً من صلبه يقتدي به في إحياء الدين ﴿مِن وَرَآءِي﴾ بعد موتي وبالقصر وفتح الياء كهداي مكي وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لأن وجود خوفه بعد موته لا يتصور ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي: خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي ، أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ عقيماً لا تلد ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ اختراعا منك بلا سبب لأن امرأتي لا تصلح للولادة ﴿وَلِيّٗا﴾ ابنا يلي أمرك بعدي. ـ اهـ ـ

سورة طه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ○

طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥

الكشاف: سورة طه مكية، و هي مأة و أربع و ثلاثون آية.

(طٰهٰ) أبو عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء. وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الأصل. والباقون أمالوهما. وعن الحسن رضي الله عنه : طه وفسر بأنه أمر بالوطء وأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في يطأ فيمن قال : لا هناك المرتع، ثم بنى عليه الأمر والهاء للسكت ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله أعلم بصحة ما يقال : إن ''طاها'' في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عك تصرفوا في ''يا هذا'' كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في ''يا'' : ''طا'' واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به :

إن السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين

والأقوال الثلاثة في الفواتح : أعني التي قدمتها في أول الكاشف عن حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الألباء المتقنون (مَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ) إن جعلت ''طه'' تعديدا لأسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام. وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ و (الْقُرْاٰنَ) ظاهر أوقع موقع الضمير لأنها قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم . وقرىء ''ما نزل عليك القرآن'' (لِتَشْقٰى) لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى : ''لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ'' والشقاء يجيء في معنى التعب . ومنه المثل : أشقى من رائض مهر أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة . وقيل : إن أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له : إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها . وروي : أنه عليه الصلاة و السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل عليه السلام : أبق على نفسك فإن لها عليك حقا . أي : ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط . فإن قلت : أما يجوز أن تقول : ما أنزلنا عليك القران أن تشقى كقوله تعالى. ''اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ'' [الحجرات:٢] قلت: بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما

النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لأنه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها . فإن قلت : هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى ؟ قلت : لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي إلا فيه بمعنى لكن. ويحتمل أن يكون المعنى : إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (لِّمَن يَخْشَىٰ) لمن يؤول أمره إلى الخشية ولمن يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر إيمانا وبالقسوة خشية . في نصب (تَنزِيلًا)وجوه : أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا لا إذا كان مفعولا له ؛ لأن الشيء لا يعلل بنفسه، وأن ينصب بـ"نزل" مضمرا وأن ينصب بـ"أنزلنا"؛ لأن معنى : ما أنزلناه إلا تذكرة : أنزلناه تذكرة، وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بـ"يخشى" مفعولا به . أي : أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن وإعراب بين . وقرىء تنزيل بالرفع على خبر مبتدأ محذوف . ما بعد تنزيلا إلى قوله : له الأسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته إلى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه إما تنزيلا نفسه فيقع صلة له وإما محذوفا فيقع صفة له . فان قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب ؟ قلت: غير واحدة، منها: عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة . ومنها: أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة . ومنها: أنه قال أولا أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين. ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه . وصف السموات بالعلى، دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها.

قرىء (الرَّحْمَٰنِ) مجروراً صفة لمن خلق والرفع أحسن ، لأنه إما أن يكون رفعاً على المدح على تقدير : هو الرحمن ، وإما أن يكون مبتدأ مشاراً بلامه إلى من خلق . فإن قلت : الجملة التي هي (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ) ما محلها - إذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح؟ قلت : إذا جررت فهي خبر مبتدأ محذوف لا غير وإن رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدأ. لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك ، جعلوه كناية عن الملك فقالوا : استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة ، وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك

المعنى ومساواته ملك في مؤدّاه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر . ونحوه قولك : يد فلان مبسوطة ، ويد فلان مغلولة ، بمعنى أنه جواد أو بخيل ، لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت . حتى أنّ من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد رأساً قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم : هو جواد . ومنه قول الله عز وجل : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) [المائدة : ٦٤] أي هو بخيل ، (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) [المائدة : ٦٤] أي هو جواد ، من غير تصوّر يد ولا غل ولا بسط، والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام. ـ اهـ ـ

تفسير النسفي:

سورة طه

مكية و هي مائة و خمس و ثلاثون آية كوفي.

﴿طه﴾ فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء أبو عمرو. وأمالهما حمزة وعلي وخلف وأبو بكر، وفخمهما على الأصل غيرهم. وما روي عن مجاهد والحسن والضحاك وعطاء وغيرهم أن معناه يا رجل فإن صح فظاهر وإلا فالحق ما هو المذكور في سوة البقرة ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ إن جعلت ''طه'' تعديداً لأسماء الحروف فهو ابتداء كلام ، وإن جعلتها اسماً للسورة احتملت أن تكون خبراً عنها وهي في موضع المبتدأ ، و ''الْقُرْآنَ'' ظاهر أوقع موقع المضمر لأنها قرآن وأن يكون جواباً لها وهي قسم ﴿لِتَشْقَىٰ﴾ لتتعب لفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ، أو بقيام الليل فإنه روي أنه عليه السلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل : أبق على نفسك فإن لها عليك حقاً أي ما أنزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة أو حال ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ لمن يخاف الله أو لمن يئول أمره إلى الخشية. ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من ''تَذْكِرَةً'' إذا جعل حالاً ويجوز أن ينتصب بـ " نزل " مضمراً أو على المدح أو بـ ''يَخْشَىٰ'' مفعولاً أي: أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ﴾ ''مِنْ'' يتعلق بـ ''تَنزِيلا'' صلة له ﴿ الْعُلَى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى ووصف السماوات بالعلى دليل ظاهر على عظم قدرة خالقها ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمن ﴿ عَلَى الْعَرْشِ﴾ خبر مبتدأ محذوف ﴿ اسْتَوَىٰ﴾ استولى، عن الزجاج. **ونبّه** بذكر العرش وهو أعظم المخلوقات على غيره. وقيل : لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك

جعلوه كناية عن الملك فقال استوى فلان على العرش أي ملك وإن لم يقعد على السرير البتة وهذا كقولك: "يد فلان مبسوطة" أي: جواد وإن لم يكن له يد رأساً ، والمذهب قول علي رضي الله عنه : الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه تعالى كان ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان. ـ اهـ ـ

من آيات الأحكام:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

[سورة النور، الآيتان: ٥٨،٥٩]

الكشاف:

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل : العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار"ثلاث مرات" في اليوم والليلة: قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة . وبالظهيرة : لأنها وقت وضع الثياب للقائلة . وبعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة ؛ لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها. والعورة : الخلل . ومنها : أعور الفارس وأعور المكان والأعور : المختل العين . ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله : (طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم) يعني أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم بالخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام ؛ فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى إلى الحرج . وروي : أن مدلج بن عمرو : وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه و سلم وقت الظهر إلى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر : لوددت أن الله عز و جل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي صلى الله عليه و سلم . فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه. وقيل : نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت : إنا لندخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد . وقيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول

الله صلى الله عليه و سلم فقالت : إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن أبي عمرو : ''الحلم'' بالسكون وقرئ : '' ثلاث عورات'' بالنصب بدلا عن ثلاث مرات أي : أوقات ثلاث عورات . وعن الأعمش : عورات على لغة هذيل . فإن قلت : ما محل ليس عليكم ؟ قلت : إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف . والمعنى : هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان و إذا نصبت: لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة: فإن قلت: بم ارتفع ''بعضكم''؟ قلت: بالابتداء وخبره ''عَلَىٰ بَعْضٍ'' على معنى : طائف على بعض، وحذف لأن طوّافون يدل عليه. ويجوز أن يرتفع بـ''يَطُوفُ''مضمرا لتلك الدلالة (الْأَطْفَالُ مِنكُمُ) أي من الأحرار دون المماليك(الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)يريد:الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا) ـ الآية ـ [النور : ٢٧] والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن، وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة. وعن ابن عباس : آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن وإني لآمر جارتي أن تستأذن علي. وسأله عطاء : أأستأذن على أختي ؟ قال : نعم وإن كانت في حجرك تمونها، وتلا هذه الآية. وعنه: ثلاث آيات جحدهن الناس ، الإذن كله. وقوله: ''إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ'' [الحجرات : ١٣] فقال ناس: أعظمكم بيتا . وقوله : ''وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ'' [النساء : ٨]. وعن ابن مسعود : عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم . وعن الشعبي : ليست منسوخة فقيل له : إن الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان . وعن سعيد بن جبير : يقولون هي منسوخة، ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها . فإن قلت : ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ ؟ قلت : قال أبو حنيفة:ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية . وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما . وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق في قوله :

ما زال مذ عقدت يداه إزاره فسما فأدرك خمسة الأشبار

واعتبر غيره الإنبات. وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام فقال : هل اخضرَّ إزاره ؟ ـ اهـ ـ

تفسير النسفي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أمر بأن يستأذن العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي: الأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار ، وقريء بسكون اللام تخفيفاً ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلة وهي ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وهي نصف النهار في القيظ لأنها وقت وضع الثياب للقيلولة ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ أي هي أوقات ثلاث عورات فحذف المبتدأ والمضاف . وبالنصب: كوفي غير حفص بدلاً من ''ثلاث مرات'' أي: أوقات ثلاث عورات . وسمي كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الإنسان يختل تستره فيها ، والعورة : الخلل ومنها الأعور المختل العين . دخل غلام من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو على عمر رضي الله عنه وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه : وددت أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بالإذن ، فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزلت عليه الآية. ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات بقوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ أي لا إثم عليكم ولا على المذكورين في الدخول بغير استئذان بعدهن . ثم بين العلة في ترك الاستئذان في هذه الأوقات بقوله: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ أي: هم طوافون بحوائج البيت ﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ تقديره بعضكم طائف على بعض فحذف طائف لدلالة ''طوافون'' عليه ، ويجوز أن تكون الجملة بدلاً من التي قبلها وأن تكون مبينة مؤكدة يعني: أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام ، فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأفضى إلى الحرج وهو مدفوع في الشرع بالنص ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: كما بين حكم الاستئذان يبين لكم غيره من الآيات التي احتجتم إلى بيانها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في بيان مراده. ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾أي: الأحرار دون المماليك ﴿ٱلْحُلُمَ﴾ أي: الاحتلام أي إذا بلغوا وأرادوا الدخول عليكم ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال ، أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ) الآية [النور: ٢٧]. والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا

اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن ، والناس عن هذا غافلون ، وعن ابن عباس رضي الله عنه : ثلاث آيات جحدهن الناس : الإذن كله وقوله : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات:١٣] (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ) [النساء : ٨] . وعن سعيد بن جبير: يقولون: هي منسوخة والله ما هي بمنسوخة. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح الأنام ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يبين من الأحكام. -اهـ-

❁ هذه نماذج من الكشاف و تفسير العلامة النسفي "مدارك التنزيل و حقائق التأويل":

١- أوّل سورة الكهف
٢- أول سورة مريم
٣- أول سورة طه
٤- آيتان في الأحكام من سورة النور.

يتمكن الدارس بعد النظر فيها مدى الفرق بين الكشاف و المدارك، و طريق الأخذ، والترك، والزيادة فيما كتبه العلامة النسفي رحمه الله تعالى.

و إليكم بعد ذلك نموذجين ممّا يتعلق بمذهب الاعتزال، و طريق الكشاف و المدارك فيه.

(١) مما يتعلّق بالاعتزال

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ [سورة البقرة، الآية:٧]

الكشاف:

فإن قلت : فلم أسند الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علواكبيرًا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه . وقد نص على تنزيه ذاته بقوله : "وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ" - "وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ" - "إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ" . ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل.

قلت : القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها . وأما إسناد الختم إلى الله عز و جل فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير

العرضي . ألا ترى إلى قولهم : فلان مجبول على كذا ومفطور عليه : يريدون أنه بليغ في الثبات عليه . وكيف تتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم . ويجوز أن تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا، كقولهم : سال به الوادي: إذا هلك. وطارت به العنقاء: إذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وإنما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء **فكذلك مثلت** حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو **قلوب الأغتام** التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال **قلوب البهائم أنفسها** أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عزوجل **فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك. ويجوز ان يستعار الإسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز. وهو لغيره حقيقة** . تفسير هذا : أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به : عيشة راضية وماء دافق . وفي عكسه : سيل مفعم . وفي المصدر : شعر شاعر وذيل ذائل . وفي الزمان نهاره صائم ، وليله قائم . وفي المكان : طريق سائر ونهر جار . وأهل مكة يقولون : صلى المقام . وفي المسبب : بنى الأمير المدينة وناقة صبوث وحلوب . وقال : إذا رد عافي القِدْر من يستعيرها* فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذى **أقدره ومكنه أسند إليه الختم** كما يسند الفعل إلى المسبب . **ووجه رابع**: وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى **عليهم الألطاف** المحصلة ولاالمقربة إن أعطوها . لم يبق - بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا - طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد **لا يتناهون عنه إلا بالقسر** والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي . **ووجه**

خامس: وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم في :''قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ. ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى: ''لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ -اهـ-

هذا ماكتبه الزمخشري في التخلص عما يرد على مذهب الاعتزال أن الختم على القلب والسمع، و سدّ البصر عن النظر منعٌ لها عن قبول الحق، و ذلك قبيح والله جلّ جلاله متعالٍ عن القبيح.

و العلامة النسفي كتب هنا ما يتضح به مذهب أهل السنة، و ما هو عند المعتزلة، و لم يتوسّع في الردّ و إليك نصه:

تفسير النسفي:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ قال الزجاج : الختم التغطية لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه . وقال ابن عباس : طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير، يعني: أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان . وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه . وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولايدعون لهم بخير. وقال بعضهم : إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر ، إلا أنه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال : بنى الأمير المدينة ، لأن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له ، فإسناده إلى الفاعل حقيقة . وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازاً لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار له إسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ وحد السمع كما وحد البطن في قوله : كلوا من بعض بطنكم تعفوا، لأمن اللبس ولأن السمع مصدر في أصله يقال : سمعت الشيء سمعاً وسماعاً ، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع فلمح الأصل . وقيل : المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم وقرىء ''وعلى أسماعهم''. ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌ﴾ بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر:نور العين وهو ما يبصر به الرائي، كما أن البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. والغشاوة: الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل

على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة . والأسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله : ﴿وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غشاوة﴾ [سورة الجاثية : ٢٣]، ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم. ونصب المفضل وحده غشاوة بإضمار "جعل" وتكرير الجار في قوله:"وعلى سمعهم"دليل على شدة الختم في الموضعين. قال الشيخ الإمام أبو منصور بن علي رحمه الله : الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أنّه لا بد من صانع ، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة ، وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة في حكم التغشية . والآية حجة لنا على المعتزلة في الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم. ـ اهـ ـ

هذا ما أوضح به العلامة النسفي، و لم يورد جميع تاويلات الزمخشري، و لم يرُدّ عليه ردًّا مفصّلا، و**العلامة أحمد بن محمد** بن المنيّر المالكي الإسكندري كتب هنا في "الإنصاف عما في الكشاف من الاعتزال" ما ردّ به على مبدء المعتزلة في خلق الأفعال، أي على قولهم: "إن العباد خالقون لأفعالهم" و إليك نصّه:

قال محمود: (فإن قلت كيف أسند الختم إلى الله تعالى الخ) **قال أحمد:** هذا أوّل عشواء خبطها في مهواة من الأهواء هبطها حيث نزل من منصة النص إلى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة، فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدّها و أردها: **الأولى**: مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى و مقتضاه أنه لا حادث إلا بقدرة الله تعالى لا شريك له، والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث، فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات. **الثانية:** مخالفة دليل النقل المضاهي لدليل العقل كأمثال قوله تعالى:"الله خالق كل شيء" "هل من خالق غير الله"و هذه الآية أيضًا، فإن الختم فيها مسند إلى الله تعالى نصًا والزمخشري لا يأبى ذلك و لكنه يدعى الالتجاء إلى تأويلها لدليل قام عنده عليه، فإذا ثبت أن الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه وجب إبقاؤها على ظاهره، بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهرًا لوجب تأويلها بالدليل جمعًا بين العقل و النقل. **الثالثة:** الفرار من نسبة ما اعتقده قبحًا إلى الله تعالى **تنزيهًا** على زعمه إلى الإشراك به في اعتقاد أن الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربّه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب، و ورد من حميم البدعة موارد العذاب. **الرابعة**: الغلط باعتقاد أن ما يقبح شاهداً يقبح غائبًا ، فلمّا كان المنع من قبول الحق قبيحًا في الشاهد وجب على زعمه أن يكون قبيحًا من الغائب، وهذه قاعدة

قد فرغ من بطلانها في فنها. **الخامسة:** اعتقاد أن ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلمًا، والله تعالى منـزه عن الظلم بقوله تعالى: "وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ" و من الظلم البين جهل حقيقة الظلم، فإنه التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فكيف يتصوّر ثبوت حقيقته للّه تعالى، و كل مفروض محصور بسور ملكه عزّ و جل "الملك للّه الواحد القهار". **السادسة:** أنه فرّ من اعتقاد نسبة الظلم إلى الله تعالى فتورط فيه إلى عنقه، لأنه قد جزم بأن المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلمًا فيقال له، و قد قام البرهان على أنه من فعل الله تعالى، فيلزمك أن يكون ظلما، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرًا و الخيال الذي يدندن حوله هؤلاء أن أفعال العبد لو كانت مخلوقة للّه تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم، وهذا الشبه قد أجراها في أدراج كلامه المتقدم فيقال لهم: لم قلتم إنها لو كانت مخلوقة للّه لما نعاها على عباده ، فإن أسندوا هذه الملازمة ـ وكذلك يفعلون ـ إلى قاعدة التحسين و التقبيح و قالوا: معاقبة الإنسان بعمل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما إذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائبًا، قيل لهم و يقبح في الشاهد أيضًا أن يمكن الإنسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه و مسمع، ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه و رده من الأوّل عنها. و أنتم معاشر القدرية تزعمون أن القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة للّه تعالى على علم منه عزّوجلّ أن العبد يخلق بها لنفسه ذلك. فهو بمثابة إعطاء سيف باتر لفاجر يعلم أنه يقطع به السبيل و يسبى به الحريم، و ذلك في الشاهد قبيح جزمًا فسيقولون: أجل إنه لقبيح في الشاهد، و لكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب، فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على أن لا يقع منه شيء و لم يحسن ذلك في الشاهد، و في هذا الموطن تتزلزل أقدامهم و تتنكس أعلامهم إذا لاحت لهم قواطع اليقين و بوارق البراهين، فيقال لهم: ما المانع أن تكون تلك الأفعال مخلوقة للّه تعالى و يعاقب العبد عليها لمصلحة و حكمة استأثر الله بها كما فرغتم منه الآن سواء، فلم لا يسلك أحدكم الطريق الأعدل وينظر عاقبة هذا الأمر فيصير آخر أوّل، و ليفوّض من الابتداء إلى خالقه، و يتلقّى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم، و يسلك مهتديًا بنور العقل و مقتديًا بدليل الشرع الصراط المستقيم، فإن نازعته النفس و حادثته الهواجس و رغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر، فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية، فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريبًا، فإذا استشعر ذلك فليتنبّه فقد لطف به إلى أن انحرف عن مضايق الجبر فارًّا أن يلوح به شيطان الضلال إلى مهامه الاعتزال، فليمسك نفسه دونها

بزمام دليل الوحدانية، على أن لا فاعل ولا خالق إلا الله تعالى، فإذا وقف لم يقف إلا وهو على الصراط المستقيم و الطريقة المثلى، مارًّا عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف، فليتأمّل الناظر هذا الفصل و يتخذه وزره في قاعدة الأفعال يقف على الحق إن شاء الله تعالى. ـاهـ

(٢) مما يتعلّق بالاعتزال

يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ۙ وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝

و إسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب : لأنه لما ضرب المثل فضلّ به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم . وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال : يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال : لمن هذه السلة فقال : لي، فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك : هذه وضعت القيود على رجلك . وقرأ زيد بن علي : "يضل به كثير" وكذلك : "ما يضل به إلا الفاسقون" . والفسق : الخروج عن القصد . قال رؤبة : **"فواسقا عن قصدها جوائرا"**. والفاسق في الشريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي: بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا : إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله تعالى عنه وعن أشياعه، وكونه بين بين : أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة . ومذهب مالك بن أنس والزيدية : أن الصلاة لا تجزئ خلفه . ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة.وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله:"بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ" [الحجرات:١١]. يريد اللمز والتنابز "إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝" .

تفسير النسفي:

قال النسفي رحمه الله تعالى هنا: و الإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، و الهداية خلق فعل الاهتداء. هذا هو الحقيقة عند أهل السنة.اهـ . لم يزد على ذلك، و قال أحمد بن محمد ابن المنيّر رحمه الله:

قال محمود : (و نسبة الإضلال إلى الله تعالى من إسناد الفعل إلى السبب الخ) **قال أحمد**:جرى على سنة السببية في اعتقاد أن الإشراك بالله وأن الإضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عزوجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة،

تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوًا كبيرًا. و انظر إلى ضيق الخناق فغلبه الحكايات لإطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد ، و هذا من ارتكاب الهوى و اقتحام الهلكة، و ما أشنع تصريحه بأن الله سبب الإضلال لا خالقه ، كما أن السلة سبب في وضع القيود في رجلي المحبوس و إسناد الفعل لله عزّ و جل مجاز لا حقيقة، كما أن إسناد الفعل إلى البلد كذلك ياله في تمثيل صار به مثلة و تنظير صار به حائداً عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة، نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة، وهو ولي التوفيق.

و قال العلامة النسفي رحمه الله تعالى في الفسق : والفسق: الخروج عن الأمر بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي: بين منزلة المؤمن و الكافر عند المعتزلة، و سيمر عليك ما يبطله إن شاء الله. اهـ.

ويظهر منه أن النسفي رحمه الله لم يذهب في الخلافيات بين أهل السنة و المعتزلة إلى البسط و التفصيل، و اكتفى بذكر ما تقرر عند أهل المذهبين. و فوّض البحث و المناقشة إلى الكتب الكلامية.

محمد أحمد المصباحي

مواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل

١٤٢٩ هـ

هذه حاشية تزيد تفسير النسفي رحمه الله تعالى قدرًا، و وضوحًا، و تشتمل على إبانة مآخذ المصنف، و نسبة الأقوال والتفاسير إلى أهلها، و تخريج الآثار و تحقيقها، و تأييد التفسير المذكور بالماثور، و غير ذلک من الأبحاث والفوائد، أذكرها فيما يأتي مع شيء من شواهدها من الحاشية.

① ذكر التناسب بين الآي والسور

قال جلال الدين السيوطي : علم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقّته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، وأفرده بالتأليف العلامة أبوجعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه ‘‘البرهان في مناسبة ترتيب القرآن’’ ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي (هو إبراهيم بن عمر، منسوب إلى البقاع، من بلاد سوريا، توفي سنة ٨٨٥هـ- البدر الطالع ١: ١٩) في كتاب سماه ‘‘نظم الدرر في تناسب الآي والسور’’ [و قد طبع من الدائرة العثمانية ، بحيدرٰاباد ، الدكن] وكتابي الذي صنعته في أسرار التنـزيل كافل بذلک، جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخّصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف، سميته "تناسُق الدُّرَر في تناسُبِ السور".

وقال الشيخ ولي الدين الملّويّ: قَد وهم من قال: لايُطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرّقَة، وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع المفرقة تنـزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، إلخ .

و قال الإمام الرازي : أكثر لطائف القرآن مودّعة في الترتيبات والروابط.

(الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي٣: ٣٢٢، ٣٢٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون ذكر تاريخ النشر)

وقد ذكر الإمام النسفي المناسبات في كثير من المواضع ، و ترک في كثير، فزيد عليه في المواهب، حين دعت الحاجة إلى إبداء المناسبة، و غالب ذلک منقول عن مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الرازي، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لخاتمة المفسّرين أبي السعود رحمهما الله تعالى.

الشواهد: (١) انظر مواهب الجليل ، سورة الكهف، حاشية رقم ٢٠. نصّها:

ووجه ربط هاتين الآيتين بما قبلهماكما ذكره العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" أن قوله تعالى: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ) يبعث الرسول عليه السلام على الحذر والاشفاق من شدة الوجد على إعراضهم، و قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) استئناف وتعليل لما في ''لعل'' من معنى الإشفاق و قوله تعالى: (وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾) لتكميل ما في السابقة من التعليل، وحاصل المعني لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب، فإنّا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها، لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها، و إنّا لَمُفْنُوْنَ (اسم فاعل للجمع من الإفناء) جميعَ ذلك عن قريب، و مُجازون لهم بحسب أعمالهم. ـاهـ

(٢) قال تعالى: **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ** - الأية-

لا يظهر ارتباط قوله : وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ...... بما قبله......... فكتبت:

وجه المناسبة أن اليهود دلت المشركين على الأسئلة الثلاثة، و قالت إن أجاب صاحبكم عنها فهو نبي، ومنها خبر أصحاب الكهف، فلمّا كان الإخبار بالغيب دليل النبوة، وقد أخبر عنه ثبت أنه نبي صادق، والإيمان به واجب، مع ذلك إن لم يومنوا و سألوا تعنّتًا أن يأتيهم بقرآن غير هذا، أو اقترحوا تكبرا أن يطرد أصحابه الفقرآء، فليس على الرسول إلا البلاغ، والمداومة على تلاوة ما أوحي إليه من الكتاب، والصبر على مجالسة من آمن به، و ترك الالتفات إلى من تعاظم و استكبر و أصرّ على الكفر متبعًا هواه فقال تعالى: وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ.... (مواهب الجليل، الكهف، حاشية رقم ١٠٦)

(٣) قال تعالى: طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ (إلى قوله) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ [طه:١ - ٨] ثم قال: وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ـ الآيات.

يتشوق القاري إلى علم مناسبة الآية التاسعة و ما بعدها بما قبلها، فذكرت:

قال الإمام: اعلم أنه تعالى لما عظم حال القرٰان ، و حال الرسول فيما كلّفه أتبع ذلك بما يُقوّي قلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكر أحوال الأنبياء

عليهم السلام ، تقويةً لقلبه في الإبلاغ، كقوله: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ) و بدأ بموسى عليه السلام؛ لأن المحنة و الفتنة الحاصلة له كانت أعظم، ليسلّي قلب الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم بذلک، و يصبّره على تحمل المكاره ـ مفاتيح الغيب ـ (مواهب الجليل ـ سورة، طه، حاشية رقم ٨)

② حل الكلمات الغريبة أو الصعبة

وهذا كثير، ولا يخلو شرح أو حاشية عنه، فلا يليق بالذكر هنا إلا ما فيه شيء من البحث و التنقير.

(١) قال تعالى: وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾[الكهف: ٢٨] نصّ الحاشية: الفرط بضمّتين: الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد ـ قاموس ـ و في المفردات للراغب: فرس فُرُطٌ: يسبق الخيل -اه- فأخذ منه معنى التقدم والمجاوزة عن الحدّ، كما في المفاتيح.

(٢) قال تعالى حكاية عن عيسى على نبينا و عليه السلام: وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ـ [مريم: ٣٣]

قال في المدارك: و إن كان [حرف التعريف في قوله: السلام] للجنس فالمعنى: و جنس السلام على، و فيه تعريض باللعنة على أعداء مريم و ابنها، لأنه إذا قال: و جنس السلام عليّ، فقد عرّض بأن ضدّه عليكم، إذ المقام مقام مناكرة و عناد، فكان "مئنة" لمثل هذا التعريض. اهـ .

مواهب الجليل، حاشية رقم ٢٢ : قوله مئنة، بفتح الميم، و كسر الهمزة، و تشديد النون، إنه لمَئِنّة من كذا أي خليق، و أتاه على مئنة ذلک، أي حينه، و قال دُكين: "مَئِنّةٍ مِنْ قَلْتِ النفوس" أي مكان من هلاک النفوس ، و هذا المعني على أنّه بمنزلة مَظِنّة (بمعنى الموضع، أي محلّ يُظَنُّ وجوده فيه) والمَئِنّة: العلامة، و في حديث ابن مسعود : إن طول الصلاة و قِصَر الخطبة مَئِنّة من فقه الرجل، أي أن ذلک مما يُعرف به فقه الرجل، قال ابن الأثير : و حقيقتها أنها مَفعِلة من معنى "إنّ" التي للتحقيق والتأكيد ، غير مشتقة من لفظها، لأن الحروف لا يُشتق منها، و إنها ضُمِّنَتْ حروفها دلالة على أنّ معناها فيها، قال: و لو قيل إنها اشتُقّت من لفظها بعد ما جُعلت اسما لكان قولاً، قال الأصمعي : سألني شعبة عن هذا، فقلت: مَئِنّة أي علامة لذلک ، و خليق لذلک (لسان العرب)

فتحصّل لهذا اللفظ من مواضع استعماله و تفسير علمآء اللغة معان:

(١) العلامة (٢) الوقت (٣) الخليق والجدير (٤) المظِنّة والمحلّ، وهنا يصح

المعنيان الأخيران، أي: جدير لمثل هذا التعريض، أو محلّ لمثل هذا التعريض. قال الإمام الرازي هنا ناقلاً لمعنى كلام الكشّاف: وكان المقام مقام اللجاج والعناد، و ''يليق به'' مثل هذا التعريض ـ انتهى نصّ المواهب ـ

(٣) قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ٢] لتتعب لفرط تأسفك عليهم..... أو بقيام الليل . (مدارك التنزيل)

<u>الحاشية</u>: قال الراغب: الشقاوة خلاف السعادة، والسعادة في الأصل ضربان: سعادة أخروية و سعادة دنيوية، ثم السعادة الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، و بدنية، و خارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضراب. و في الشقاوة الأخروية قال: (فلا يضل ولا يشقى) و في الدنيوية (فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى) قال بعضهم: قد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيتُ في كذا، وكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة، فالتعب أعم من الشقاء.اه.

وفي مجمع البحار في شرح درك الشقاء: الشقاء: الشدة، و ابن منظور ذكر في معناه الشدةَ والعسرةَ أيضًا و منه شاقيته أي صابرته، و شاقيت ذلك الأمر بمعنى عانيته (لسان العرب) فالشقاء: العَناء وهو التعب والمشقة. قال الزمخشري: والشقاء يجيء في معنى التعب، و منه المثل: أشقى من رائضِ مُهرٍ. (كشاف) انتهى، (مواهب الجليل ـ سورة طه ، حاشية رقم ٥)

(٤) قال تعالى: ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ۝١٠٠﴾ [طه: ١٠٠]

<u>مدارك التنزيل</u>: عقوبة ثقيلة، سمّاها ''وزرًا'' تشبيهًا في ثِقَلها على المعاقَب و صعوبة احتمالها بالحِمل الثقيل الذي يُنْقِضُ ظهرَه، و يُلقيْ عليه بُهْرَه''.

<u>الحاشية</u>: قوله:''الذي يُنقِض ظهره و يلقي عليه بُهْرَه'' أي:الذي يُثقِلُ ظهرَه و يُوقع عليه تتابُعَ نَفَسه لشدةِ الثقل. في لسان العرب: أنقض الحِمْل ظهرَه: أثقله و جعله يُنقِض من ثِقَله أي: **يُصوّت**. والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحِمْل سُمع له نقيض أي صوت خفي ـ والبُهْر بالضم تتابع النفَس من الإعياء، و بالفتح المصدر، بَهَره الحِمْلُ يَبْهَره بَهْرًا أي: أوقع عليه البُهر، فانبَهَر أي تتابع نفَسُه، و في الحديث: وقع عليه البُهْر، وهو بالضم، ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد و العَدْو من النهيج و تتابُع النفَس.اه. والنهيج هو تواتُر النفَس من شدة الحركة -اهـ- (مواهب الجليل ، سورة طه، حاشية رقم ٥٩)

③ إيضاح بعض ما يتعلق بالنحو

(١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]

قال في المدارك: أحصى فعل ماض .... و من قال: أحصى أفعل من الإحصاء وهو العدّ فقد زلّ، لأنّ بناء ه من غير الثلاثيّ المجرد ليس بقياس .اه.

يتشوّق الناظر إلى علم من قال: "أحصى أفعل من الإحصاء" فذكرت:

اختاره الزجاج والتبريزي، لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة، نحو (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)، (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) و بناء أفعل التفضيل من غير الثلاثي المجرد عند بعض النحاة جائز مطلقًا وهو ظاهر كلام سيبويه، و ردّه أبو على الزمخشري، و في الكشف: أن قول الزجاج ليس بذلك المردود، إلاّ أن ما آثره الزمخشري أحق بالإيثار لفظًا و معنيً. (خفاجي) لكن الموافقة للآيات الأخرى تُرَجّح هنا ما اختاره الزجّاج و التبريزي -اه- (مواهب الجليل، الكهف، حاشية رقم ٣١)

(٢) قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف : ١٨]

<u>مدارک التنـزيل</u>: حكاية حال ماضية، لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي -اه-

<u>مواهب الجليل</u>:و عند الكسائي، و هشام، وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقًا. (الكهف حاشية رقم ٦٦)

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]

<u>مدارک التنـزيل</u>: قال الزجاج معناه: و لا تقولنّ إني أفعل ذلک إلاّ بمشيئة الله تعالى ، لأن قول القائل: أنا أفعل ذلک إن شاء الله ، معناه: لا أفعله إلا بمشيئة الله-اه-

<u>مواهب الجليل</u>: أمّا قول الزجاج فالظاهر أنه أراد تعليقه بـ"فاعل ذلک غدا" لكن لا يصح هذا، قال البيضاوي: ولا يجوز تعليقه بفاعل، لأن استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد، و استثناء اعتراضها دونه لايناسب النهي. اهـ.

فإن المعنى على الوجه الأول: إني فاعل ذلک إلاّ أن يشاء الله ذلک الفعل، أي: إن يشأ ذلک الفعل فلا أفعله، فساد هذا غني عن البيان، ولولا النهي لما قال النبي عليه السلام ذلک. والمعنى على الوجه الثاني: إني فاعل ذلک إلاّ أن تعترض مشية الله دونه، أي: فلا أقدر على فعله، و هذا الكلام سديد فلا وجه للنهي عن مثل هذا القول.

.... لا أفعله إلاّ بمشيئة الله سديد، و أفعله إلاّ بمشيئة الله ، مع تعلّق النهي "أي لا تقولن أفعله إلاّ بمشيئة الله" لا وجه لسَداده كما ذكرت مفصّلاً . اهـ. (الكهف

حاشية رقم ٩٤، ٩٥)

(٤) قال تعالى: إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَّخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهٗ [الحج: ٧٣]

مدارك التنزيل: "ولو اجتمعوا له" محله النصب على الحال، كأنه قيل: مستحيل منهم أن يخلقوا الذباب مشروطًا عليهم اجتماعُهم جميعًا لخلقه و تعاونُهم عليه-اه-

مواهب الجليل: للنحاة في مثل هذا التركيب المشتمل على الواو الداخلة على "لو" و "إن" الوصليتين ثلاثة أقوال: (١) الواو عاطفة، والتقدير هكذا: لن يخلقوا ذبابًا لو لم يجتمعوا ولو اجتمعوا، فالحاصل لن يخلقوا بكل حال. واختاره أبو حيان، كما صرّح في تفسيره "البحر المحيط". (٢) الواو حالية، وجواب حرف الشرط مقدر، والتقدير لن يخلقوا ذبابًا والحال أنهم لو اجتمعوا فلن يخلقوا (فكيف إذا انفردوا؟) واختاره البيضاوي هنا. (٣) الواو حالية، وحرف الشرط هنا لا يحتاج إلى تقدير أصلاً، لأنه انسلخ عن معنى الشرطية، و تمحّض للدلالة على الفرض و التقدير، والمعنى مفروضًا اجتماعهم. واختار المصنف هذا، كما يظهر من كلامه. الخ.

③ إيضاح القراءات

ذكر المصنف القراءات السبع غالبًا، واعتنى بإيضاحها الشيخ عبد الحق الإلٰه آبادي المكي رحمه الله في الإكليل، فما اشتغلت به إلاّ يسيرًا، حين رأيت الحاجة ماسّة إليه, نحو ما يأتي :

(١) قال تعالى: وَاتَّخَذُوْٓا اٰيٰتِيْ وَمَآ اُنْذِرُوْا هُزُوًا۝ [الكهف: ٥٦]

مدارك التنزيل: ... بسكون الزاي والهمزة حمزة، و بإبدال الهمزة واوًا حفص، و بضم الزاي والهمزة غيرهما.

مواهب الجليل: ..... أما القراءات في هزوا فقال العلامة على النوري الصفاقسي في كتابه غيث النفع في القراء ات السبع: قرأ حمزة بإسكان الزاي، والباقون بالضم. وحفص بالواو، والباقون بالهمزة، إلاّ أن حمزة في الوقف يبدلها واوًا كحفص، وله أيضًا نقل حركة الهمزة إلى الزاي و حذفها-اه-

فالقراء ات خمس هكذا: .... الخ ـ (الكهف، حاشية رقم: ١٧٩)

❷ قال تعالى: ثُمَّ لْيَقْضُوْا تَفَثَهُمْ وَلْيُوْفُوْا نُذُوْرَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوْا بِالْبَيْتِ الْعَتِيْقِ۝ [الحج: ٢٩]

ليراجع هنا المدارك و المواهب.

❸ وَمَنْ يُّطِعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ .... [النور : ٥٢]

المدارك: و يتقه، بسكون الهاء أبو عمرو و أبو بكر بنية الوقف ، و بسكون القاف

و بكسر الهاء مختلسة حفص، و بكسر القاف والهاء غيرهم .اهـ.

المواهب: قال سيدي على النوري الصفاقسي في ''غيث النفع في القراء ات السبع'':

قرأ قالون، و حفص، و هشام ـ بخُلْف عنه ـ بكسر الهاء من غير إشباع، إلّا أن حفصًا يسكن القاف قبلها. والبصري، و شعبة، و خلاد ـ بخُلْف عنه ـ بإسكان الهاء. و ورش ، والمكي ، وابن ذكوان و خَلَف، و علي بإشباع كسرة الهاء. وهو الطريق الثاني، لهشام و خلاد -اهـ- فالقراء ات هكذا .... الخ ـ

⑤ نسبة الأقوال و التفاسير إلى أهلها و إبانة مصادر تفسير المصنف

هذه قد عُنيت بها في حاشيتي ، و سيجدها الدارس كثيرًا ، نحو ما يلي:

❶ قال تعالى: لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ۝ [الأنبياء: ١٠]

المدارك: ''فيه ذكركم'' شرفكم إن عملتم به، أو لأنه بلسانكم، أو فيه موعظتكم، أو فيه ذكر دينكم و دنياكم. اهـ.

المواهب: قوله تعالى: ''فيه ذكركم'' جاء في تفسيره كلمات:

(١) عن ابن عباس : فيه شرفكم، رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) عن مجاهد: فيه حديثكم، رواه ابن أبي شيبة و عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) عن الحسن البصري: فيه دينكم، رواه ابن أبي شيبة، و عبد بن حميد، وابن المندر، وابن أبي حاتم.

(٤) عن السدّي: فيه ذكر ما تُعنَونَ به، و أمر آخرتكم و دنياكم. رواه ابن أبي حاتم. (الدر المنثور)

و للذكر معانٍ عند أهل اللغة. منها جَرَيُ الشيء على لسانک ، والصِّيت والثناء، والتذكير، والشرف والفخر، والمصنّف فسّر الشرف بشرط العمل وهو الشرف الديني، و العزّ الأخروي، و قوله: ''أو لأنه بلسانكم'' ناظر إلى شرف الدنيا والصِّيت فيها، وقوله ''موعظتكم'' راجع إلى كون الذكر بمعنى التذكير، و قوله الآخر راجع إلى كون الذكر بمعني الحديث و الإخبار عن شيء . اهـ .

❷ قال تعالى: أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ [الأنبياء: ٣٠]

مدارک التنزيل: قيل : كانت السماء لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما ففتقناهما أي

فصلنا بينهما بالهواء، و قيل: كانت السمٰوٰت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها الله تعالى و جعلها سبع سموات ، وكذلک الأرض..... و قيل: كانت السماء رتقا لا تمطر، والأرض رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات. اه.

مواهب الجليل: القول الأول مروي عن الحسن، و قتادة . والثاني عن مجاهد، و أبي صالح ، والسُّدّي، و الثالث عن عكرمة، و عطية، وابن زيد، و ابن عباس رضي الله تعالى عنهم. و اختاره ابن جرير، و رجّحه الجمهور ـ الخ ـ (ابن كثير، الدر المنثور)

❸ قال تعالى: قُلۡنَا يٰنَارُ كُونِيۡ بَرۡدًا وَّسَلٰمًا عَلٰٓى اِبۡرٰهِيۡمَ﴿۶۹﴾ [الأنبياء: ٦٩]

ذكر في المدارك أنهم جمعوا أصناف الخشب و أشعلوا نارًا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مقيداً مغلولاً فرموا به فيها وهو يقول: حسبي الله و نعم الوكيل. و قال له جبريل: هل لک حاجة؟ فقال: أمّا إليک فلا، قال: فسل ربّك، قال : حسبي من سوالي علمه بحالي، و ما أحرقت النار إلا وثاقه، و عن ابن عباس: إنّما نجا بقوله : حسبي الله و نعم الوكيل.اه.

مواهب الجليل: مكالمته عليه السلام جبريلَ عليه السلام إلى قوله:"أما إليک فلا" أخرجه ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، و عدم إحراق النار إلاّ وثاقه الذي رُبِط به مرويٌّ عن كعب الأحبار عند عبد الرزاق ، و عبد بن حميد، و ابن جرير و ابن أبي شيبة و ابن المنذر و عن ابن جريج عند ابن المنذر.

و قوله حين الإلقاء في النار: "حسبي الله و نعم الوكيل" مرويٌّ عن سليمان بن صُرَد ـ وكان قد أدرک النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ـ عند عبد بن حميد، و أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف، وابن المنذر عن ابن عمرو، قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقي في النار "حسبنا الله و نعم الوكيل"-الخ- (الأنبياء ـ حاشية رقم ٤٠)

❹ قال تعالى: فَلۡيَحۡذَرِ الَّذِيۡنَ يُخَالِفُوۡنَ عَنۡ اَمۡرِهٖۤ اَنۡ تُصِيۡبَهُمۡ فِتۡنَةٌ اَوۡ يُصِيۡبَهُمۡ عَذَابٌ اَلِيۡمٌ ﴿۶۳﴾ [النور: ٦٣]

مدارک التنزيل: (اَنۡ تُصِيۡبَهُمۡ فِتۡنَةٌ) محنة في الدنيا، أو قتل ، أو زلازل و أهوال، أو تسليط سلطان جائر، أو قسوة القلب عن معرفة الربّ، أو إسباغ النعم في الدنيا -اه-

مواهب الجليل: هذه ستة أقوال: الأوّل عن مجاهد، و الثاني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والثالث عن عطاء، والرابع عن جعفر بن محمد، والخامس عن الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى، والسادس عن الجراح، والسابع الطبع على القلوب مروي عن الضحاک و عبد الرحمٰن بن زيد، (الكشف للثعلبي، الكشاف، البحر

المحيط، ابن أبي حاتم، ابن جرير) قال أبو حيان: و هذه الأقوال خرجت مخرج التمثيل لا الحصر-اه-(النور، حاشية رقم، ٥٦)

⑥ حــــلّ الإشــــكال

له نظائر كثيرة، و لا أذكر هنا إلاّ ثلاثة.

❶ قال تعالى: فَانْطَلَقَا حَتّٰى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا (إلى قوله) فَانْطَلَقَا حَتّٰى إِذَا لَقِيَا غُلٰمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ [الكهف: ٧١ ـ ٧٤]

مدارك التنزيل: و إنما قال: ''فقتله'' بالفاء، وقال: ''خرقها'' بغير فاء، لأن ''خرقها'' جعل جزاء للشرط وجعل ''قتله'' من جملة الشرط معطوفًا عليه والجزاء ''قَالَ اَقَتَلْتَ نَفْسًا''،وإنما خولف بينهما لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام -اه-

مواهب الجليل: يَرِدُ عليه أن الحديث الصحيح خير شاهد على أن الخرق تعقب الركوب، فقد روى الشيخان وغيرهما مرفوعًا: فلمّا ركبا في السفينة لم يفجأ موسى إلاّ والخضر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقَدوم، فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدتَّ إلى سفينتهم فخرقتها ـ الخ ـ

وقال البيضاوي في وجه تغيّر النظم: و لعلّ تغيير النظم بأن جعل ''خرقها'' جزاءً، واعتراض موسى عليه السلام مستانفًا، و في الثانية "قتْلَه" من جملة الشرط، واعتراضَه جزاءً، لأن القتل أقبح ، والاعتراض عليه أدخل، فكان جديرًا بأن يجعل عمدة الكلام ـ

وذكر أبو السعود في تفسيره ''إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم'' وجهًا آخر، حاصله أن الخضر عليه السلام أكّد نفي الصبر عن موسى، وعلّله بأنه يرتكب أمورًا غريبةً لا يتمالک الرجل الصالح معها الصبر، فالسامع تشوقت نفسه إلى علم ما يرتكب من الغرائب فاعتنى به التنزيل و قصّ أنهما لما ركبا في السفينة خرقها الخضر، مع أن الإنسان يهتمّ بصيانة مثلها إذا ركبها، و ذكر بعد ذلک اعتراض موسى عليه السلام ثم جواب الخضر و وعْد موسى المؤكّد، فالسامع تحقق عنده أن الخضر لا محيد له عن ارتكاب الغرائب والخوارق، ولكن نشأ ترقبه وانصرفت نفسه إلى أن موسى هل يثبت على وعده أم يفقد صبره، فاهتم التنزيل ببيان حال موسى عليه السلام بأن جعل ما وقع منه عمدة و جزاء، و ما وقع من الخضر وضعه موضع ما يجري عادة، و جعله جزء من الشرط فقال : فانطلقا حتى إذا لقيا غلامًا فقتله قال أقتلت نفسًا زكيّة

بغير نفس ـ الآية ـ (الكهف، حاشية رقم ٢١٣)

❷ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]

المدارك: ''في غطاء عن ذكري'' عن آياتي التي ينظر إليها، أو عن القرآن ، فأذكره بالتعظيم، أو عن القرآن و تأمّل معانيه-اه-

عن آياتي .... أو عن القرآن ..... أو عن القرآن ..... التنويع و التقسيم مضطرب، فكتبت هنا:

في الكشاف: عن آياتي التي يُنظر إليها فأُذكر بالتعظيم، أو عن القرآن و تأمل معانيه و تبصرها.اه. و هذا يدلّ على أن في عبارةالمدارک خطأً في النسخ، و هو زيادة (أو عن القرآن) أوّلا، و زيادة هاء الضمير في (فأذكره) ثانيًا و عبارة الكشاف واضحة، فإنه بين مناسبة غطاء العين بالذكر، فإن الذكر يُسمع و يقتضي أن يقال كانت أسماعهم مسدودة عن ذكري، فأوضح أن المراد بالأعين إمّا العيون الحسّية، والمراد بالذكر، الآيات المشاهدة التي تؤدّي إلى ذكر الله جلّ و علا، فأريد السبب بذكر المسبّب، و إمّا البصائر القلبية، والمراد بالذكر، القرآن، والمعني أن عيون قلوبهم كانت في غطاء عن القرآن و تأمل معانيه. (وانظر البيضاوي و حاشية الخفاجي). (مواهب الجليل ، الكهف، حاشية رقم ٢٤٩)

❸ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانبياء: ٨٨]

المدارك''نُجِّي'' شامي و أبو بكر، بإدغام النون في الجيم عند البعض ، لأن النون لا تدغم في الجيم -الخ-

المواهب: قال سيدي على النوري الصفاقسي في ''غيث النفع في القراء ات السبع'': قرأ الشامي و شعبة بنون واحدة مضمومة و تشديد الجيم (نُجِّيْ) والباقون بضم النون الأولي و إسكان الثانية و تخفيف الجيم (نُنْجِيْ) من أنجي مسنداً إلى الله عزّ و جلّ بنون العظمة ، ونصب المومنين به وهي قراءة ظاهرة واضحة. واختار القراء ة الأولى أبو عبيد لموافقتها المصاحف، لأنها في الإمام و مصاحف الأمصار بنون واحدة، و جعلها بعض النحويين لحنًا، وليس الأمر كما ذكر، فإنها قراء ة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين. و وجهها كما قال جماعة من الأئمة و أشار إليه ابن هشام في باب الإدغام من توضيحه أن الأصل نُنَجّى بفتح النون الثانية مضارع نَجّيٰ، فحذفت النون الثانية تخفيفًا، أو نُنْجِي بسكونها مضارع أنجيٰ، و أدغمت النون في الجيم لاشتراكهما في الجهر، والاستفال، والانفتاح، والتوسط بين القوة والضعف، كما

أدغمت في إجّاصة و إجّانة بتشديد الجيم فيهما، والأصل إنجاصة و إنجانة، فأدغمت النون فيهما ـ الخ ـ (الأنبياء ـ حاشية رقم ٤٩)

⑦ تخريج الآثار و تحقيقها

كان القدامى من المفسرين يذكرون الآثار و الأخبار بأسانيدها، و يتمكن الناظر بذلك معرفة درجتها في الثبوت، ثم جاء زمان يذكر فيه المفسرون الآثار بدون الأسانيد ، فدخلت في كتب التفسير أخبار و آثار لا أصل لها، وقد تُذكر مرفوعة و ليست بمرفوعة، فمسّت الحاجة إلى البحث والتنقير و التمييز ، و قد قام بها جهابذة من أهل العلم بالحديث و التفسير، و أذكر لذلك أمثلة من المدارك.

❶ ذكر المصنف في تسمية ذي القرنين أقوالا و أسبابًا ، منها ما ذكر المصنف بما نصّه: و قال عليه السلام: ''سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا'' يعني جانبيها شرقها و غربها ـ اهـ. (سورة الكهف، ذيل تفسير الآية ٨٣)

قال ابن حجر في كتابه "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف": لم أجده مرفوعًا، و إنّما رواه الدارقطني في الموتلف من رواية عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري، قال: إنّما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها، و قرن الشمس من مطلعها.اهـ.

و ذكره في الدر المنثور عن الزهري بتخريج ابن عبد الحكم في فتوح مصر، و أخرج نحوه ابن المنذر و أبو الشيخ عن أبي العالية-اهـ- (مواهب الجليل، ذيل حواشي رقم ٢٣٤)

❷ كذا قول المصنف في تفسير الآية ٨٦ من سورة الكهف: قال صلى الله تعالى عليه وسلم: "بدء أمره أنه وجد في الكتب أن أحد أولاد سام يشرب من عين الحياة فيخلد، فجعل يسير في طلبها، و الخضر وزيره و ابن خالته، فظفر فشرب، ولم يظفر ذو القرنين.اهـ.

مواهب الجليل: والحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا في شرب الخضر من عين الحياة و حرمان ذي القرنين عنه لم أجد له مأخذًا حتى الذين قالوا بحياة الخضر لم يذكروا هذا الحديث، مع أنه من أعظم دليل لمذهبهم على تقدير وجوده ولو بطريق ضعيف. و مضمون العبارة مذكور في قصّة طويلة أخرجها ابن أبي حاتم و أبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، والظاهر أنه أخذها من علماء أهل الكتاب.اهـ. (سورة الكهف، حاشية رقم ٢٣٦)

③ **مدارك التنزيل**، تحت قوله تعالى: ''قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝''. [مريم: ٢٤]: و سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن السري فقال: ''هو الجَدْوَل'' ـ اهـ.

مواهب الجليل: أخرجه الطبراني في الصغير، و ابن عدي من رواية أبي سنان سعيد بن سنان عن أبي إسحٰق عن البراء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى (قَدْ جَعَلَ رَبُّک تَحْتَک سَرِيًّا) قال: السري: النهر.

قال الطبراني: لَم يرفعهَ عن أبي إسحٰق إلا أبو سنان، رواه عنه معاوية بن يحيى وهو ضعيف.

وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي إسحٰق عن البراء موقوفًا، و كذا ذكره البخاري تعليقًا عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحٰق، و رواه ابن مردويه من طريق آدم عن إسرائيل كذلک، و أخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي إسحٰق موقوفًا. و في الباب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن السري الذي قال الله تعالى لمريم نهر أخرجه الله لتشرب منه. أخرجه الطبراني و أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة عن ابن عمر، و رواية عن أيوب بن نهيک، ضعفه أبو حاتم و أبوزرعة ـ تخريج أحاديث الكشاف ـ (سورة مريم، حاشية رقم ١٥)

هذه أمثلة، أما التخريج أي نسبة الأحاديث المذكورة إلى من رواها من المحدثين في كتب الحديث فلا حاجة إلى إيراد مثال منه، فإن القاري سيراه تحت كل حديث ذكره المصنّف في المدارک، إلا ما لم أجد له مصدرًا بقصور نظري و قلة بحثي، و هو قليل معدود.

أمّا البحث عن رجال الأسانيد فما عرجت عليه، إلا في موضع، قال المصنّف في قوله تعالى: "طه" : روي عن مجاهد، و الحسن، والضحاک، و عطاء وغيرهم أن معناه يا رجل، فإن صحّ فظاهر، و إلا فالحق ما هو المذكور في سورة البقرة ـ اهـ.

كتبت تحت قوله''فإن صح فظاهر'': صحّت روايته إلى ابن عباس. قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسين بن محمد بن شَنَبَة الواسطي ، حدثنا أبو أحمد ـ يعني الزبيري ـ أنبأنا إسرائيل، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: طه يا رجل (ابن كثير)

الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي : ثقة من رجال الستة. و سالم بن عجلان الأفطس: ثقة من رجال البخاري و أبي داؤد و النسأي و ابن ماجة. و سعيد بن جبير الأسدي مولاهم : ثقة ثبت فقيه من رجال الستة و كبار التابعين. و شيخ ابن أبي

حاتم ، الحسين بن محمد بن شنَبَة الواسطي: صدوق ـ محمد أحمد المصباحي .
(مواهب الجليل، سورة طه، حاشية رقم ٣)

ذكرت مراجع ما كتب المصنف من أسباب النزول، و رجّحت بعض التفاسير بذكر الأحاديث و الآثار، و قصدت بذلک أن يكون تفسير النسفي رحمه الله تعالى معضّداً مؤيّداً بذكر مصادر رواياته و بإيراد ما لم يورده ، فسيرى الناظر تفسيره مع حاشيتي ''مواهب الجليل لتجلية مدارک التنزيل'' تفسيرا جامعًا بين المعقول و المنقول، مزينًا بذكر المصادر و الأصول.

و كذا ألممت بتفصيل بعض القصص حين رأيت الحاجة تمسّ إليه و ذكرت في مواضعَ اختلافَ أئمة الفقه، و أوضحت مسائل الفقه، كما عُنيت في مواضع كثيرة بإبانة وجوه البلاغة.

و لا أريد إطالة الكلام بذكر الشواهد، و أخشى أن يملّ الناظر مما ذكرت فيما سبق ، و لكني قصدت أن يقف القراء على وجهات أنظاري ، و مَديٰ ما بذلت من مجهودي في تحشية المدارك و تجليتها . و ليس ذلک شيئًا إلا أن يضعه المولي الكريم المنّان في ناحية من ساحة قبوله، وهو ذو الفضل العظيم. و صلى ربنا و بارک و سلم على مالكنا و مالک الأرض و رقاب الأمم سيدنا و مولانا محمد النبي الأمي الأعلم الأكرم ، وعلى آله و صحبه و دعاة دينه و هداة سبيله و كرام أساتذتي و مشايخي أولي الفيض و الجود والعطاء والكرم.

محمد أحمد المصباحي

رئيس المدرسين بالجامعة الاشرفيه مبارک فور — ١٩/ ٥/ ١٤٣١هـ

و مدير مجلس البركات — ٥/ ٥/ ٢٠١٠م

المحشي في سطور

اسمه:

محمد أحمد،و''المصباحي''نسبة إلى دار العلوم الأشرفية ''مصباح العلوم''مبارك فور، لتخرّجه منها.

أبوه:

محمد صابر بن عبد الكريم بن محمد إسحٰق.

مولده:

بقرية عتيقة تسمى ''بهيره'' BHEERA، كان بها علماء و أولياء كبار من القرن العاشر إلى أوائل الرابع عشر، ذكر بعضهم المولوي رحمن علي في تذكرة علماء الهند. مكتب البريد لها: وليد فور، بقرب مدينة صغيرة تسمى ''محمدآباد جوهنه'' مديرية: أعظم جَره، سابقًا و مديرية ''مئو'' MAU حالاً، مقاطعة أترابرديش ، الهند .

تاريخ الميلاد:

حسب مذكّرةٍ لأبيه: ١٨/ من ذي الحجة سنة ١٣٧١ه‍ (إحدى و سبعين و ثلث مأة و ألف) المصادف ٩/ سيتمبر سنة ١٩٥٢م. **و التاريخ في الشهادات**: ٨/ مارس سنة ١٩٥٢م.

دراسته:

تعلّم الصفوف الابتدائية بقريته في المدرسة الإسلامية الرحيمية، ثم التحق بالمدرسة الأشرفية ضياء العلوم، خيرآباد ، مديرية مئو و درس هناك من سنة ١٩٦٢م إلى سنة ١٩٦٦م.

ثم التحق بدار العلوم الأشرفية مصباح العلوم، مبارك فور ، و درس فيها من ١٠/ شوال سنة ١٣٨٦ه‍ -إلى—١٠/شعبان ١٣٨٩ه‍ المصادف٢٢/ ينائر سنة ١٩٦٧م -إلى- ٢٣/ أكتوبر سنة ١٩٦٩م.

و تخرج منهاحائزًا شهادة الفضيلة في ١٠/ شعبان ١٣٨٩ه‍ ثم استمرّ في الدرس و التعلم بأمر أستاذه حافظ الملة من شوال ١٣٨٩ه‍ إلى الربيع الآخر ١٣٩٠ه‍ المصادف ديسمبر ١٩٦٩م إلى يونيو ١٩٧٠م.

أساتذته: **في المدرسة الأشرفية ضياء العلوم خيرآباد**

١- الأستاذ محمد عمر الخيرآبادي ٢- الأستاذ محمد حنيف المصباحي المبارك فوري ٣- الأستاذ محمد سلطان الرضوى الأدروي ٤- الأستاذ غلام محمد البهيروي المصباحي ٥- الحافظ المقري نثار أحمد المبارك فوري ٦- ماجستير أسرار أحمد خان الأدروي. ٧- ماجستير محمد رفيق المبارك فوري.

في دار العلوم الأشرفية مصباح العلوم ، مبارك فور

١-حافظ الملة العلامة عبد العزيز المحدث المراداٰبادي قدس سره (١٣١٢هـ - ١٣٩٦هـ) شيخ الحديث و رئيس المدرسين بالدار.

٢- العلامة عبد الرؤوف البلياوي رحمه الله تعالى (المتوفى ١٣٩١هـ) نائب رئيس المدرسين بالدار

٣- بحر العلوم المفتى عبد المنان المبارك فوري حفظه الله تعالى.

٤- الشيخ مظفر حسن، ظفر أديبي (المتوفى)

٥- الشيخ محمد شفيع المبارك فوري (المتوفى جمادى الآخرة ١٤١١هـ)

٦- الشيخ السيد حامد أشرف الكچھوچھوي (المتوفى١٨/صفر المظفر١٤٢٥هـ)

٧- الشيخ المقري محمد يحيى المبارك فوري (المتوفى٢٦/ذي الحجة ١٤١٦هـ)

٨- الشيخ أسرار أحمد المصباحي اللّهَرَاوِي حفظه الله تعالى.

المؤسسات التي قام بالتدريس فيها:

١- دار العلوم الفيضية النظامية، باوا هاٹ،مديرية بهاگل فور-

من يونيو سنة١٩٧٠م-إلى-نوفمبر سنة١٩٧١م

٢- مدرسة فيض العلوم، جمشيد فور.

من ديسمبر ١٩٧١م - إلى - أكتوبر ١٩٧٦م

٣- دار العلوم نداء حق ، جلال فور، مديرية فيض اٰباد.

من ديسمبر ١٩٧٦م - إلى - سيتمبر ١٩٧٨م

٤- مدرسة فيض العلوم ، محمداٰباد جوهنه، مديرية مئو حالاً، و أعظم جره سابقاً.

من ١٨/ سيتمبر ١٩٧٨م - إلى - ١٦/ يونيو ١٩٨٦م.

٥- الجامعة الأشرفية (المسمّاة سابقًا "دار العلوم الأشرفية مصباح العلوم" من ٩ شوال ١٤٠٦هـ/ ١٧ يونيو ١٩٨٦م.

و يستمر بها تدريسه إلى الأن، و فوض إليه الشيخ عبد الحفيظ المصباحي حفظه الله (ابن حافظ الملة رحمه الله) رئيس إدارة الجامعة الأشرفية منصبَ رئاسة المدرسين بإصرار من أول أغسطس سنة ٢٠٠١م.

البيعة:

بايع على يد المفتي الأعظم بالهند العلامة الشيخ مصطفى رضا القادري ابن الإمام أحمد رضا القادري البريلوي رحمهما الله تعالى في ٢٦/صفر ١٣٩٣هـ المصادف أول إبريل ١٩٧٣م بدار الإفتاء الرضوية، بريلي الشريفة في السلسة القادرية البركاتية، ثم تشرف بطلب السلسلة القادرية المنورية المعمرية من حافظ الملة المحدث المرادآبادي في الربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ بمبارك فور، و نال إجازة دلائل الخيرات و جميع الأوراد و الأشغال من مجاهد الملة العلامة حبيب الرحمن القادري الأريسوي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٥هـ بمدرسة فيض العلوم جمشيد فور حين قدومه الميمون.

الكتابة والتصنيف:

له شغف بالتحرير والتصنيف، و تدريب الطلاب عليهما، و اشتغالُه بهذا الجانب على أنواع:

(١) تصنيف كتاب أو رسالة أو تحرير مقال على موضوع خاص.

(٢) تحقيق كتاب لكاتب إسلامي عظيم.

(٣) ترجمة كتاب أو رسالة بالعربية أو بالأردية.

(٤) تسهيل كتاب، و تزيينه بالتعاليق والحواشي.

(٥) تقديم كتاب لأحد من إخوانه المعاصرين أو أكابره الماضين.

(٦) تصويب و إصلاح لما كتبه بعض من يتصل بهٖ.

و للبسط مقام اٰخر، فيُذكر هنا ما رقمه من الكتب و طبعت:

١- تدوين قرآن (أردية) ٢- معين العروض و القوافي (أرديه)

٣- الإمام أحمد رضا و التصوف(أردية)٤- محاسبةُ نقدِ روايات المعجزات (أردية)

٥- الازدواج في المنظور الاسلامي(أردية) ٦-الخلفاء الراشدون ونظام الأخلاق الإسلامي (أردية)

٧-فقاهة الإمام أحمد رضا بضوء حاشيته جد الممتار على رد المحتار. (أردية و عربية)

٨- حدوث الفتن و جهاد أعيان السنن (١٤٢١هـ) (عربية).

٩- واجبات و آداب للمتعلم و المعلم (أردية) ١٠- التصوف و أعداء التصوف (أردية)

١١ - سواهب الجليل لتجلية مدارك التنزيل (١٤٢٩هـ) عربية.

محمد أحمد المصباحي

١٩/ ٥/ ١٤٣١هـ

٥/ ٥/ ٢٠١٠م









MAJLIS-E-BARAKAT JAMIA ASHRAFIA

MUBARAKPUR, DISTT. AZAMGARH (U.P.) 276404

Ph: (05462) 250092, 250148, 250149, Fax: 251448

http ://www.al-jamiatulashrafia.org

E-mail: aljamiatul_ashrafia@rediffmail.com